الجزء الأول من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب فريد زمانه
ونادرة أوانه العلامة أحمد المقري المغربي
المالكي الأشعري تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

هذا وبهامش أجزائه الأول والثاني والثالث [illegible] في [illegible]
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للإمام أبي الحسن علي المسعودي أحسن الله مثواه
في دار المستقر وأورد بهامش جزئه الرابع بالكتاب [illegible] المسمى بتحفة الأحباب
وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم وبقاع البركات وما يتبع ذلك للعلامة
السخاوي الهمام تغمده الله تعالى برحمته والإكرام

(الطبعة الأولى)

(بالمطبعة الأزهرية بمصر)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)



يقول العبد الفقير * الذليل المضطر الحقير * من هو من صالح الأعمال عري * أحمد
بن محمد الشهير بالمقري * المغربي المالكي الأشعري * أصلح الله تعالى حاله * وجعل
في مرضاته حله وترحاله * ومع بغيته الطاعة والرضوان أعماله * وأنجح بلوغ آماله
تتماه واتماله * (أحمد) من عرف من حلى الأمصار وحلى الأعيان * على تداول الأعصار
وتناول الأحيان * ما فيه ذكرى لأولي الأبصار وإرشاد إلى معرفة الديان * واعتبار
أخبار راق وصفها أوراق * (وشرق) من صرف المطامح والمطامع * إلى تحصيل ما أفاد
لسان الدين من كلم جوامع * وتحصيل ما أجاده من حكم بوالغ سحب بلاغتها هوامع *
وإفادة ذخائر المهتدين التي تستغنيها بدررها اللوامع الآذان والمسامع * من كل منحط عن
درجة البراعة أوراق * (حتى) توج الخطب الجيدة رؤس المنابر فرائد الكلام وحلى
الكاتب الأديب المجيد صدور المزابر من فوائد الأعلام * وكحل الحكم المنتسبة الأريب
المفيد من أثمد الفاخر مراود الأقلام * عيون أوراق * (وأشهد) أن لا إله إلا الله
لا شريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال وبرا * وقسم العباد إلى عامر وباد
وخامل وقاصر وكامل * تشير إليهم الأنامل * أيدي المكبرا * والذي في اختلاف
وأعراضهم وتباين أدواتهم وأغراضهم وتعارض ألسنتهم وأمكنتهم وأ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله أهل الحمد
ومستوجب الثناء والمجد
وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما إلى
يوم الدين

*باب ذكر جوامع أغراض
هذا الكتاب*

أما بعد فإنا صنفنا كتابنا
في أخبار الزمان وقدمنا
القول فيه في هيئة الأرض
ومدنها وعجائبها وبحارها
وأغوارها وجبالها وأنهارها
وبدائع معادنها وأصناف
مناهلها وأخبار غياضها
وجزائر البحار والبحيرات
الصغار وأخبار الأبنية
المعظمة والمساكن
المشرفة وذكرنا شأن المبدا
وأصل النسل وتباين
الأوطان وما كان نهرا
فصار بحرا وما كان بحرا
فصار برا وما كان برا
صار بحرا على مرور الأيام
وكرور الدهور وعلة ذلك
وسببه الفلكي والطبيعي

وأكوانهم ومناصبهم ومناسبهم شبرا * وجعل الدنيا لمن أتيح صغرا أو كبرا * ولبس منهم مسوحا او حبرا * أو أخلد الى الارض او صعد منبرا * جسرا الى الآخرة ومعبرا وحكم وهو الفاعل المختار على الجميع بالموت فكان لمبتداهم خبرا * فياله من داء أعيا كل معالج أو راق * (فسبحانه) من اله انفرد بوجوب القدم والبقا واختص بفضله من شاء فارتقى وعم تعالى ذوى السعادة والشقا بالحدوث والفنا * وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها بلا ثنيا فمن وفق فنفى عن جفنه وسنا * او خذل فجرى في ميدان الاغترار رسنا وزين له عياذا بالله سوء عمله فرآه حسنا * طعم شعوب المر الجنى * فلم يغن منه عن ذوى الغنى والغناء * وأهل السناء والسنا * من استظهر وابه من أرباب الصوارم والقنا وأصحاب النظم والنثر والجدال والفخر والمدح والثنا * فأولئك ألقوا السلاح مذعنين مستبصرين موقنين انجاء الحق وزهق الباطل وولى الامترا * وهؤلاء تركوا الاصطلاح معلنين عالمين انهم لم يكونوا في التمويه محسنين وكيف لا وقد اضمحل الغرور والاجترا * وذهب والله الجور والافترا * وبدل مذق الاطراء بصدق الاطراق * (وأشكره) جل وعلا على أن علم بالقلم مالم نعلم * ونبه بآثاره الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الاقوم الواضح المعلم * وأرشد من أشرق فكره وأضا الى التفويض لاحكام القضا ومن ذا يرد ما أمضى أو ينقض ما أبرم والتسليم على كل حال أسلم * وأمر جل اسمه بالتدبر في أنباء من مضى والنظر في عواقب أحوال الذين زال أمرهم وانقضى من صنوف الامم * ووبخ من دجا قلبه بالاعراض عن ذلك وأظلم * وشتان ما بين اللاهى والمتذكر والساهى والمتفكر والناجى والهالك المتحير والداجى الحالك والمشرق النير * وما يستوى الظل والحرور والحزن والسرور والظلمات والنور ذو البهجة والاشراق * (وأصلى) ازكى الصلاة والسلام هدية لحضرة سيد الانام ولبنة التمام من زويت له من الارض المغارب والمشارق * وتم به نظم أنبياء الله ورسله العظام وأزاح نوره الضلال والظلام حتى أضاءت بوسمه المساجد وازدانت باسمه المهارق * وألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام وذلك شأن ذوى العقول الراجحة والأحلام غير خائف من عتب ولا مترقب للام فأمن من الطوارئ والطوارق * وتمت كلمة الاسلام الذى اتضح برهانه لدى بصر وبصيرة لا يحتاج الى زيادة الاعلام وعلت سيوف توحيد الملك العلام * من المعاند المفارق المفارق * وخضبتها بحناء النجيع الرقراق * (النبى) الامى الامين الداعى جميع العالمين الى سلوك منهاج ماله من هاج ذى أضواء شوارق * سيد الرسل الغر الميامين ملجا الامة جعلنا الله ممن نجا باللجا اليه آمين الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وانشق له الزبرقان ونبع الماء من بين أصابعه زيادة فى الايقان * وسلمت عليه الاحجار وانقادت لامره الاشجار متفيئة ظلاله الشريفة وخطت فى الارض أسطرا مبدعة الاتقان الى غير ذلك من معجزاته الخوارق * فهو صاحب الدعوة الجامعه والبراهين اللامعه والادلة التى سقت الشجرة الطيبة غيوثها النافعه الصيبة الهامية الهامعة الصادقة البوارق * فأثمرت النجاة والفوز والفلاح وأورقت بالهدى أحسن ايراق * (أسنى) رسول بعث الى

وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحى والآفاق وتباين الناس فى الآراء
القديم واختلافهم فى بدئه
وأوّليته من الهند وأصناف
الملحدين وما ورد فى ذلك
عن الشرعيين وما نطق
به الكتب وورد على
الديانيين (ثم اتبعنا ذلك
باخبار الملوك الغابرة
والامم الداثرة والقرون
الخاليه والطوائف البائدة
على مر سيرهم فى تغير أوقاتهم
وتصنيف اعصارهم من
الملوك والفراعنة العادية
والاكاسرة واليونانية وما
ظهر من حكمهم ومقاتل
فلاسفتهم واخبار ملوكهم
وأخبار العناصر الى ما فى
تضاعيف ذلك من أخبار
الانبياء والرسل والاتقياء
الى ان أفضى الله بكرامته
وشرف برسالته محمدا نبيه
صلى الله عليه وسلم فذكرنا
مولده ومنشاه وبعثته
وهجرته ومغازيه وسراياه
الى أوان وفاته واتصال
الخلافة واتساق المملكة
بزمن زمن ومقاتل من ظهر
من الطالبيين الى الوقت
الذى شرعنا فيه تصنيف
كتابنا هذا من خلافة
المتقى لله أمير المؤمنين
وهى سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة (ثم اتبعناه) بكتابنا
الاوسط فى الاخبار على
التاريخ وما اندرج فى السنين
الماضية (ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط رأينا) ايجاز ما بسطناه

الارض وأعظمهم جلاله * وأكثرهم تابعا فى الطول منها والعرض ولم لا وقد ظهر به
الحق لمن أمه مسترشدا وجلاله * وأسمى من جاء بتبيين السنة والفرض وأعمهم دلاله
منقذ البرايا فى الدنيا ويوم العرض الآخذ بحجزهم عن النار والضلاله * الداعى الى
تقديم الخير وحسن القرض الحريص على هداية الخلق المبلغ لهم أحكام الحق من غير ضجر
ولا ملاله * ذو الفضل العظيم الذى لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان والمجد الصميم
الثابت الاصول الباسق الافنان المنتقى من محتد معد بن عدنان المنتخب من خير عنصر
وأطهر سلاله * شفيعنا وملاذنا وعصمتنا ومعاذنا وثمالنا الذى نجحت به آمالنا وزكت
أقوالنا وأعمالنا * ووسيلتنا الكبرى وعمدتنا العظمى فى الاولى والاخرى وكنزنا الذى
أعددناه لازاحة الغموم ذخرا * وغيثنا وغوثنا وسيدنا ونبينا ومولانا محمد الطيب المنابت
والاعراق (صلى) الله وسلم عليه ووجه وفود التعظيم اليه من مفرد فى جماله صار يجمع
الانبياء تماما * وفذ فى كماله تقدم فى حضرة التقديس التى أسست على التشريف أعظم
تاسيس بالمرسلين اماما * وصدر تحلى بجميل الاوصاف كالوفاء والعفاف والصدق
والانصاف فزكا فى أعماله وبلغ الراجى منتهى آماله ولم يخلف وعدا ولم يخفر ذماما *
وسيد كسى حلل العصمه من كل مخالفة وذنب ووصمه فلم يصرف لغير طاعة مولاه الذى
اولاه من التفضيل ما أولاه اهتبالا واهتماما * وعلى آله وعترته الفائزين بأثرته أنصار
الدين والمهاجرين المهتدين وأشياعه وذريته الطالعين نجوما فى سماء شهرته وأتباعهم
القائمين بحقوق نصرته * أرباب العقل الرصين الفاتحين بسيوف دعوته أبواب المعقل
الحصين حتى بلغت أحكام ملته وأعلام بعثته من بالاندلس والصين فضلا عن الشأم
والعراق * (ورضى) الله تعالى عن علماء أمته المصنفين فى جميع العلوم والفنون وعظماء
سنته الموفين للطلاب بالآراب المحققين لهم الظنون * وحكماء شرعته المتبصرين
بحدوث من مرت عليه الايام والشهور وكرت عليه الآناء والدهور والاعوام والسنون *
المتدبرين فى عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الامكان
بمن طحنته رحا المنون * من أملاك العصور الخاليه وملاك القصور العاليه وذوى
الاحوال التى هى بسلوك الاختلاف حاليه * من بصير وأعمى وفقير وذى نعمى ومختال
تردى بكبريائه ومحتال على ما بايدى الناس بسمعته وريائه * وعاقل أحسن العمل
وغافل افتتن بالامل * وكارع فى حياض الشريعه ورائع برياض الآداب المريعه
وذى ورع سد عما رابه الذريعه وأخى طمع فى أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال
السريعه * ومقتبس من نبراس الروايه وملتبس بأدناس الغوايه * وشاعر هام فى كل
واد وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرواد * وجاهل عمر الخراب وخدع بالسراب
عن أعذب الشراب * ومحقق علم أنه اذا جاء القدر عمى البصر ممن كان أحذر من غراب
وموفق تيقن أن غير الله فان وكل الذى فوق التراب تراب * ومن متخلق متجرد تصوف
ومتعلق متفرد تشوق الى ما فيه رضا الرب وتشوف وناه ذكر بايام الله ووعظ وخوف *
ولاه اغتر بالباطل فهو بالحق مماطل وطالما أخر وسوف * وأبعد الانتجاع ثم أوى

واختصارنا وبسطنا أرفى كتاب لطيف نودعه ٤ لمع ما فى ذينك الكتابين مما ضمناهما وغير ذلك من انواع العلوم
واخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان وتنتصل من اغفال او عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والزابج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية واذربيجان والران والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى فى الآفاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة
لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى
الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا سلك مسالك من مواقفهم على ان العلم قد
بادت آثاره وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا مموها جاهلا ومتعاطيا

من

من باطنه الى بيت قعيدته لكاع نفس أمارة بعد ما طوف * ومن مادح نظم الا لا نظ، اللا ل وكادح طمس لالاء العز بظلمة ذل السؤال * فجعل القصائد مصايد والرسائل وسائل والمقطعات مرقعات فا ل أمره الى ما آل * ومن مخبر بما سمع ورأى حين اغترب عن مكانه ونأى او أقام فى أوطانه فبلغ ما قدر ووأى * ومن مجازف لا يفرق بين الغث والسمين والامرار والاحلاء * وعارف ثقة أمين نظم در الصدف الثمين فى أسلاك الكتابة والاملاء * وعاشق خنساء فكره ذات الصدار من الشجون والشعار تبكى على صخر قلب المحبوب * وتذكره كلما طلعت شمس أو كان للصبا هبوب فتأتى بما يطفى وقود الجوى المشبوب من بحار الاشعار * وليلى شوته العفيفة عن العار ترفل فى ثوب من التصبر معار وفيس توفه من ثوب السلو عار * قد توله واشتاق خص وصاعند انتشاق البشام والعرار * وقلق لما ارق فلم يقر به قرار * فاعتراه ما براه وألف البكاء بحكم الاضطرار * ولبس ثياب النحول والاصفرار وأسر لما هزمت جيوش صبره وأزمعت الفرار * فتحير مما شجاه وسأل النجاه من أسر الفراق

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
ومسدد أو جائر * أو حائر يشكو ظلامه
لولا استقامة من هدا * ه لما تبينت العلامه
ومجاور الغرر المخيـ * ـف له البشارة بالسلامه
وأخو الحجا فى سائر الانفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله * يمضى ولم يقض الترامه
والجاهل المغتر من * لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من * يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من * لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش فى الدنيا الدنيـة غير مرجو الادامه
من أرضعته ثديها * فى سرعة تبدى فطامه
من عز جانبه بها * تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فأين من * منعته أو منحت مرامه
ومن الذى وهبته وصـ * ـلا ثم لم يخش انصرامه
ومن الذى مدت له * حبلا فلم يخف انفصامه
كم واحد غرته اذ * سرته مخفية الدمامه
قعدت به من حيث لم * يعلم فلم يملك قيامه
أين الذين قلوبهم * كانت بها ذات استهامه
أين الذين تفيؤا * ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذوو الربا * سة والسياسة والصرامه

ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم ير الاشتغال بهذا الضرب من العلوم • والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن اصول الديانة وكتاب المقادير فى اصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة فى اصول الملة وما اشتمل عليه من اصول الفتون وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد فى الاحكام ووقع الرأى والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهى والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وافعال النبى صلى الله عليه وسلم وما الحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم فى شئ منه وكتاب الاستبصار فى الامامة ووصف اقاويل الناس فى ذلك من اصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والجلى والخفى الداثر وايقاظنا على ما يرتقبه المرتقبون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر لنا أوها المنجلى اوائلها الى سائر كتبنا فى السياسة كالسياحة المدنية واجزاء

و بنو أمية حين جمع عصرهم لهم فتامه
ونمكنوا من يحيا * ولقد عن ماشاؤا انبرامه
وتعشقوا المابدا * لهم محيا الارض شامه
وتاملوا وجه البسي*طة فانثنوا يهوون شامه
حتى تقلص ظلهم * وأراهم الدهر اخترامه
أين الخلائف من بني ال*عباس والبر القسامه
أين الرشيد وأهله * و بنوه أصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجع*فر ابنه الراوى احتشامه
والفضل مدنى من يقو* لمان يلوم على الندى مه
أم أين عنترة الشجا *ع وذوا الجدا كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم * أن القبور صدى وهامه
والمكثرون من الجو * ن اذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد * أو أشعب وأبو دلامه
أين الالى هاموا بس*عدى أو بثينة أو أمامه
و بكوا الفرط جواهم * والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من * عشقوا بنجد أو تهامه
وتعللوا الشوف بغل*سب بالاراكة والبشامه
أضنى النوى قيسا فقا * سى لاعجا أغرى غرامه
وغوى هوى غيلان مذ* أبدى بميته هيامه
أين الاكاسر والقيا * صرة المحلون القمامه
أين الذى الهرمان من * بنيانه الحاكى اعتزامه
أم أين غمدان وسي*ف والوفود به أمامه
أين الخورنق والدو*ر ومن شفى بهما أوامه
ومدائن الاسكندر اللاتى لها أعلى دعامه
أين الحصون ومن يصو * ن بها من الاعدا حطامه
أين المراكب والموا * كب والعصائب والعمامه
أين العساكر والدسا * كر والندامى فى المدامه
وسقاتها المتلاعبو * ن بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدرى * بالغصن ان يهزز قوامه
ذى غرة لالاؤها * تمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى أزراره * والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب اذا رمى * عن قوس حاجبه سهامه

يبة تركيب العوالم
جسام السماوية وما
سوس وغير محسوس
كثيف واللطيف
ل أهل النحلة فى ذلك
مادعانى الى تأليف
هذا فى التاريخ
ار العالم ومامضى فى
ف الزمان من أخبار
اء والملوك وسيرها
ومساكنها محجبة
ذاء الشاكلة التى
العلماء وقفاها
اء وان يبقى للعالم
مودا وعلما منظوما
فانا وجدنا مصنفى
نتب فى ذلك مجيدا
را ومنتهيا ومختصرا
دنا الاخبار زائدة
دة الايام حادثة مع
الازمان وربما عاب
منها على الفطن
ولكل واحد قسط
قدار عنايته ولكل
ائب يقتصر على
هله وليس من لزم
طنه وقنع بما هىء اليه
بار عن اقليمه كمن
ره على قطع الاقطار
ع ايامه بين تقاذف
ار واستخراج كل
ن معدنه واثارة
من مكمنه وقد
س كتبا فى التاريخ
وربما يسلف وخلف فاصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه واظهر مكنون

و يروق حسناان رنا * ويفوق آراما برامه
أنى لها ثغر حلا * ذوقا لمن رام التثامه
أنى لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للغ * ولا يرى الشرع اعتيامه
بل اين اوباب العلو * م اولوا التصدر والامامه
وذو والو زارة والحجا * بة والكتابة والعلامه
كانتة سكنوا بانـ * ـدلس فلم يشكوا سآمه
هى جنة الدنيا التى * قد اذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة الغـ * ـراء رائقة الوسامه
وهى التى دعيت دمشـ * ـق وحسبها هذا فخامه
لنزول اهليها بها * اذ أظهر الكفر انهزامه
وأتت جيوش الشأم من * باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق * اذ أشبهتها فى الفخامه
وبدا لهم وجه المنى * واراهم الثغر ابتسامه
وتبوؤها حضرة * تبرى من المضنى سقامه
برواتها وبمائها * وهوائها النافى الوخامه
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
وبمرجها النضر الذى * قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهر التى * يأبى بها الحسن انقسامه
ياليت شعرى أين من * امضى بها الملك احتكامه
واتيح فى حمرائها * عز ابه زان اتسامه
ابن الوزير ابن الخطيـ * ـب بها فما احلى كلامه
فلكم ابان العدل فى * ارجائها وبها اقامه
ولكم اجار عداوكم * اجرى ندى والى انسجامه
واعت صروف الدهر دو * لته وما راعت ذمامه
حتى نوى اثر التوى * فى حفرة نثرت نظامه
من زارها فى ارض فا * س اذهبت شجوا منامه
اذنبهته لكل شمـ * ـل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين اسـ * ـكته واسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن * حياه لم يردد سلامه
فكانه ما امسك الـ * ـقلم المطاوع والاحسامه
وكأنه لم يعل متـ * ـن مطهم بارى النعامه
وكانه لم يرق غا * رب الاعتزاز ولا سنامه

جوهر فطنته كوهب بن منبه وأبى مخنف لوط بن يحيى العامرى ومحمد بن اسحق والواقدى وابن الكلبى وأبى ع
معمر بن المثنى و
العباس الهمدانى واله
ابن عدى الطائى والمثـ
ابن القطامى وحماد الراو
والاصمعى وسهل بن هر
وعبدالله بن المقفع واليز
ومحمد بن عبدالله العـ
والآمدى وأبى ز
سعيد بن أوس الانصار
والنضر بن شميل وعبيد ا
ابن عائشة وابى عبيد ا
القاسم بن سلام وعلى
محمد المداتنى ودمار
ربيع بن سلمة ومحمد بن
سلام الجمحى وأبى عمار
عمرو بن بحر الجاحظ وا
زيد عمر بن شبة النميرى
والزرقى الانصارى وا
السائب المخزومى وعلى
ابن محمد بن سليمان النوفلى
والزبير بن بكار والانجيلى
والرياشى وابن عائدة وعما
ابن وسيمة المصرى وعيسى
لهيعة المصرى وعبدالرحمن بن
عبدالله بن عبد الحكم
المصرى وابى حسان الزيادى
ومحمد بن عيسى الخوارزمى
وابى جعفر محمد بن أبى السر
ومحمد بن الهيثم بن شبابه
الخراسانى صاحب كتاب
الدولة واسحق بن ابراهيم
الموصلى صاحب كتاب
الاغانى وغيره من الكتب
والخليل بن الهيثم الحرثمى
صاحب كتاب الحيل والمكايد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد بن سليمان المقرى الجوهرى ومحمد بن

وكأنه لم يحل وجهاً حاز من بشر عامه
وكأنه ما حال في * امر ولا نهي وسامه
وكأنه ما نال من * ملك حباه ولا احترامه
وكأنه لم يلق في * يده لتدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفردا * والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزا * رة جاده صوب الغمامه
لم يبق إلا ذكره * كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعـ * ـد الموت أهوال القيامه
والناس مجزيون عن * أعمال ميل واستقامه
فذوو السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكي ندامه
والله يفعل فيهم * ما شاء ذلا او كرامه
ويشفع المختار فيـ * ـهم حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبـ * ـد كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤل في الفوز والنجاة كرما منه وحلما * فبيده الخير لا اله الا هو العلي الكبير العليم الخبير الذي احاط بكل شئ علما * فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء من مخلوقاته على الشمول والاستغراق * (أما بعد) حمد الله مالك الملك * والصلاة على رسوله المنجي من الملك * والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم الظلم الحالك وعن العلماء الاعلام الخائضين بحار الكلام المستوين من البلاغة على الفلك * (فيقول) العبد الحقير * المذنب الذي هو الى رحمة ربه الغني فقير * المقصر المبرئ من الحول والقوه المتمسك بأذيال الخدمة للسنة والنبوه وذلك بفضل امان وبراءه * الضعيف الفاني الخطاء الجاني من هو من لباس التقوى عري * احمد بن محمد بن احمد الشهير بالمقري المغربي المالكي الاشعري التلمساني المولد والمنشا والقراءة * نزيل فاس الباهره ثم مصر القاهره أصلح الله احواله الباطنة والظاهره وجعله من ذوي الاوصاف الزكية والخلال الطاهره وسدد في كل قصد انحاءه وآراءه * ووفقه عنه وكرمه للاعمال الصالحه والطاعات الناجحة الراجحه والمتاجر المغبوطة الرابحه والمساعي الغادية بالخير الرائحه ووقاه ما بين يديه ووراءه * وكفاه مكر الكائد وافتراءه * وجدال الحاسد المستأسد ومراءه * وجعل فيما يرضيه سوقه وشراءه * آمين انه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب اورد * ولا محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء اوورد * برحلتي من بلادي ونقلتي عن محل طارفي وتلادي بقطر المغرب الاقصى * الذي تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت بضائع

الخزاعي المعروف بالخاقاني الانطاكي وعبد الله محمد بن محفوظ البلدي الانصاري صاحب أبي يزيد عمارة بن زيد اليمني ومحمد البرقي بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان وولده احمد بن محمد بن خالد البرقي واحمد ابن ابي طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وابي الوشاء وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب أخبار ابراهيم بن المهدي وغيرها ومحمد بن الحرث التغلبي صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن داربه فانه كان اماما في الألف متنوعا في ملاحة التصنيف اتبعه من بعده واخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير في التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة في المسالك والممالك

بضائع أمنه نقصا * وطما به بحر الاهوال فاستعملت شعراء العيش فى كامل رونقه من الزحاف اضمارا وقطعا ووقصا

قطر كأن نسيمه * نفحات كافور ومسك
وكأن زهر رياضه * در هوى من نظم سلك

وذلك أوائل رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب والاهل والوطن والالف

بلد طاب لى به الانس حينا * وصفا العود فيه والابداء
فسقت عهده العهاد ورقت * منه تلك النوادى الأنداء

وما عسى أن اذكر فى اقليم تعين بحجة فضله التسليم

أضواؤه طبق المنى وهواؤه * يشتاقه الولهان فى الاسحار
والطبع معتدل فقل ما شئته * فى الظل والازهار والانهار

محل فتح الكمائم ومسقط الرأس وقطع التمائم

به كان الشباب اللدن غضا * ودهرى كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤن * له شغف بتفريق الجميع

لم أنس تلك النواسم التى أيامها للعمر مواسم وثغورها بالبشر ورد بواسم فصرت اشير اليها وقد زمت للرحيل القلص الرواسم

ولنا بها تيك الديار مواسم * كانت تقام لطيبها الاسواق
فأبا ننا عنها الزمان بسرعة * وغدت تمد لنا بها الاشواق

وأنشد قول غيلان

أمنزلتى مى سلام عليكما * هل الازمن اللائى مضين رواجع

واتمثل فى تلك الحدائق التى حمائمها سواجع بقول من جفونه من الموت غير هواجع

تشدو بعيدان الرياض حمائم * شدو القيان عزفن بالاعواد
ماد النسيم بقضبها فتمايلت * مهتزة الاعطاف والاجياد
هذى تودع تلك توديع التى * قد آذنت منها بوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عين الندى * فابتل منه زر عطفها المياد

وأحدق النظر الى روض لانسان العين من فراقه فى بحر الدموع سبح وخوض

روض به أشياء ليست فى سواه تؤلف
فن المزار ترنم * ومن التضيب تقطف
ومن النسيم تلطف * ومن الغدير تعطف

وألتفت كالمستريب والحى اذ ذاك قريب وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب

أهذا ولما تمض للبين ساعة * فكيف اذا مرت عليه شهور

والآثار لائحة والشمال غادية ورائحة

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب من تذكرهم دموعى

وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته واذا افتقدته حمدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى أيامهم وأخبارهم تأليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من

هجرة [illegible]

وما فتح فى أيامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم فى فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن اخت عيسى ابن برخان شاه بلغ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما انبأت به التوراة وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى أيامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الاموى

وأسأل من قضى بفراق حي * يمن على منهم بالرجوع

والنفس متعللة ببعض الانس والمشاهد الحميدة لم تنس

تلك العهود بشدها مختومة * عندي كما هي عقدها لم يحلل

غير ان الرحيل عن الربع المحيل فصل به بين الشائق والمشوق وحيل

وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ويحاول

وألقت دموع العين فيه مسائلا * لما عن عبارات الغرام دلائل

وبالسفح منها كم سقيت لبانها * فيلته والسفح للبان مائل

اذا نسمة الاحباب منها تنسمت * تطيب بها اسحارنا والاصائل

تثير شجوني ساجعات غصونها * فمنها على الحالين هاجت بلابل

مرابع ليلى في مراتع لذتي * مطالع اقماري بها والمنازل

فياها الله من منازل ذات اقمار سائرة فيها ومنازه لا يحصي الواصف محاسنها وامداح اهلها ولا يستوفيها

حلوا عقود اصطباري عندما رحلوا * وفي الخمائل حلوا مثل امطار

ان المنازل قد كانت منازه اذ * باتوا بها وهي اوطاني واوطاري

ورعى الله من بان وشاق حتى الرند والبان

بانوا لعيني اقمارا تقلهم * لدن الغصون فلما آنسوا بانوا

عهودهم لست انساها وكيف وقد * رقى لبيني عنها الرند والبان

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق الاديب الاندلسي الشهير بابن الزقاق

وقفت على الربوع ولي حنين * لساكنهن ليس الى الربوع

ولو أني حننت الى مغاني * احبائي حننت على ضلوعي

وكما قال بعض من له في هذه الفجاج مسير

دخولك من باب الهوى ان اردته * يسير ولكن الخروج عسير

واين من له صفاة لا يطمع الدهر القوي في نحتها وجنات دنيوية لا تجري انهار الفراق من تحتها

فسقى رضيع النبت من ذاك الحمى * بحيا تدور على الربا كاساته

سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

ولم ازل بعد انفصالي عن الغرب بقصد الشرق واتصالي في اثر ذلك الجمع بالفرق

احن اذا خلوت الى زماني * تقضى لي بأفنية الربوع

واذكر طيب ايام تولت * لنا فتفيض من اسف دموعي

وأتوق وقد اتسع من البعد الخرق وخصوصا اذا شدا صادح أو أومض برق الى ديار لا يعدوها اختيار

وأربع احباب اذا ما ذكرتها * بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر

وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف وكيع القاضي في

* التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فأما عبدالله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته واما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ ابي عبدالله ابراهيم ابن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه محشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن اهل عصره تأليفا واملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد ابن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس و بني امية وشعرائهم ووزرائهم

بطاح وادواح يروقك حسنها * بكل خليج غنمته الازاهر

فما هو الا فضة فى زبرجد * تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر

بحيث الصبا والترب والماء والهوى * عبير وكافور وراح وعاطر

وما جنة الدنيا سوى ما وصفته * وما ضم منه الحسن نجد وحاجر

بلادى التى اهلى بها واحبتى * ورَوحى وقلبى والمنى والخواطر

تذكرنى انجادها ووِدادها * عهودا مضت لى وهى خضر نواضر

اذ العيش صاف والزمان مساعد * فلا العيش مملول ولا الدهر جائر

بحيث ليالينا كغض شبابنا * وايامنا سلك ونحن جواهر

ليالى كانت للشبيبة دولة * بها ملك اللذات ناه وآمر

سلام على تلك العهود فانها * موارد افراح تلتها مصادر

واتذكر تلك الايام التى مرت كالاحلام فأتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام

يا ديار السرور لا زال يبكى * فيك اذ تضحك الرياض غمام

رب عيش صحبته فيك غض * وعيون الفراق عنا نيام

فى ليال كانهن أمان * فى زمان كانه احلام

وكأن الاوقات فيك كؤس * دائرات وانسهن مدام

زمن مسه دوالف وصول * ومنى تستلذها الاوهام

و بقول الحائك الامى عندما يكثر شجوى وغمى

لم انس اياما مضت ولياليا * سلفت وعيشا بالصريم تصرما

اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف * صرف الزمان ولا نطيع اللوما

والعيش غض والحواسد نوّم * عنا وعين البين قد كلت عمى

فى روضة ابدت تغور زهورها * لما بكى فيها الغمام تبسما

مد الربيع على الخمائل نوره * فيها فاصبح كالخيام مخيما

تبدو الاقاحى مثل ثغر أشنب * اضحى المحب به كئيبا مغرما

وعيون نرجسها كاعين غادة * ترنو فترمى باللواحظ اسهما

وكذلك المنثور منثور بها * لما رأى ورد الخدود منظما

والطير تصدح فى فروع فنونها * سحرا فتوقظ بالهديل النوما

وأميل الى بلاد محياها جميل

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها عق الشباب تمائمى

ذكرت بها عهد الصبا فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم

ليالى لا الوى على رشد ناصح * عنانى ولا انثيه عن غى لائم

انال سهادى من عيون نواعس * واجنى مرادى من غصون نواعم

وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم

تمر الينا ثم عنا كانها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابى الحسن على بن الحسن المعروف بابن الماشطة فانه بلغ فى تصنيفه الى آخر ايام الراضى بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التاليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معربا للمعانى واذا أردت علم ذلك فانظر فى كتابه فى الأخبار المعروفة بأخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه فى كتابه فى الاخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسى الذى عارض فيه المبرد فى كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطى الكاتب فى أخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح فى الوزراء وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق

وبقناولا واش نخاف كاتما * حللناه مكان السر من صدر كاتم

واهفو الى قصور ذات بهجه وصروح توضح معالمها للرائد نهجه

ورياض تختال منها غصون * فى برود من زهرها وعقود

فكأن الادواح فيها غوان * تتبارى زهوا بحسن القدود

وكأن الاطيار فيها قيان * تتغنى فى كل عود بعود

وكأن الازهار فى حومة الرو * ض سيوف تسل تحت بنود

وأصبو الى بطاح وادواح تروح النفوس والارواح

سقيا لها من بطاح خز * ودوح زهر بها مطل

اذ لا ترى غير وجه شمس * اطل فيه عذار ظل

وانهار جارية وازهار نواسمها سارية وأربع وملاعب تزيح عن مبصرها المتاعب

تلك المنازل والملا * عب لا أراها الله محلا

أوطنتها زمن الصبا * وجعلت فيها لى محلا

حيث التفت رأيت ما * ء سائحا ورأيت ظلا

والنهر يفصل بين زهـ * ـر الروض فى الشطين فصلا

كبساط وشى جردت * ايدى القيون عليه نصلا

والى منازل يستفز حسنها الرائق الجاد والهازل ويشفى منظرها عليلا ويكفى مخبرها للستفهم دليلا

وجنان ألفتها حين غنت * حولها الورق بكرة واصيلا

نهرها مسرع جارى وتمشت * فى رباها الصبا قليلا قليلا

وأتمثل ان ذكرت حال وداعى بقول الشاعر الاديب الوداعى

الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه

فالشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه

وبقول غيره اشارة لفضل الغرب وخيره

أشتاق للغرب واصبو الى * معاهد فيه وعصر الصبا

ياصاحبى نجواى والليل قد * ارخى جلابيب الدجى واختبا

لا تعجبا من ناظر ساهر * بات يراعى النجم ما غيبا

القلب فى آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

واهيم كلما حللت من غيران ارضى بمكان وقد صير السائق جد السير معمولا لما انفك كما جعله خبر المكان بقول قاضى القضاة العالم الكبير الشمس بن خلكان

أى ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زم جماله

يزجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله

أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله

وأنخها هنيهة وارحها * اذ براها السرى وفرط الكلاله

ابن أبى يعقوب المصرى فى اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبدالله بن الحسين ابن معد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبى الازهر فى التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الحرجانى حين انتقل ماليس من صناعته واستنهج ماليس من طريقته قد الف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام فى أخلاق النفس واقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون فى كتابه فى السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة فى التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جلة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ماليس من مهنته ولو أقبل على الذى انفرد لاتطل

بهمن علم اقليدس والمعظمات والمجسطي والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن
الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو أليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلة مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتابا فقد استهدف فان أجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف (قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من أن نأتي على ذكره في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم
من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف انواعهم وتنازعهم في آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من اهل الآراء والنحل

لا أطل سيرها العنيف فقد برح بالصب في سراها الاطاله
وارث للنازح الذي ان رأى ربعـ ـا ثوى فيه نادبا أطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الاحباب لازالت الاعـ ـين في ترب ساحتيك مذاله
وتمشي النسيم وهو عليل * في مغانيك ساحبا أذياله
اين عيش مضى لنا فيك ما أسـ ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير * والتداني غصونه مياله
ولنا فيك طيب أوقات انس * ليتنا في المنام نلقى مثاله

وارد قول الذي سحر الالباب مناديا من له من الاحباب

احبابنا لو لقيتم في اقامتكم * من الصبابة ما لاقيت في الظعن
لأصبح البحر من انفاسكم يبسا * كالبر من ادمعي ينشق بالسفن

وقوله

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا * حالت بي الحال في عهدي وميثاقي
درسي غرامي بكم دهري اكرره * وقد تفقهت في وجدي واشواقي

وقول المجد بن شمس الخلافه معلما أنه لا يريد بدل معهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلو عنك حرام
أي عيش قطعته فيك لودا * م وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلما والعيش فيك خيالا * وسريعا ما تنقضي الاحلام
لهف نفسي على ليال تقضت * سلبتني برودها الايام
فطمتني الاقدار عنها وليدا * وشديد على الوليد الفطام
لا تلمني على البكاء عليها * من بكى شجوه فليس يلام

وقول أبي طاهر الخطيب الموصلي

حي نجدا عني ومن حل نجدا * أربعا هجن لي غراما ووجدا
واقرعني السلام آرام ذاك الشعب والاجرع الخصيب المندى
وابك عني حتى ترنح بالوجد أراكا به وبانا ورندا
فلكم وقفة اطالت على الضا * ل بدمع اذاع سري وأبدى
وعلى البان كم من البين أذريـ ـت لآلي للدمع مثنى ووحدا
آه والمفتي على طيب عيش * كنت قطعته وصالا وودا
حيث عود الشباب غض نضير * ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ينعم اسعا * فا وصرف الزمان يزداد بعدا
والليالي مساعدات على الوصـ ـل وعين الرقيب اذ ذاك رمدا

كم بهـا من لبـانة لى وأوطا * رتقضت وجازت الحدحذا
فاستعاد الزمان ما كان أعطى * خلسـة لى بخلهو استـردا

وقول بعضهم

سـلام عـلى تلك المعـاهـد انها * شريعة وردى أومهب شمالى
ليـالى لم نحـذر حزون قطيعـة * ولم نغش الافى سهول وصـال
فقد صرت أرضى من نواحى جنابها * بخلب برق أو بطيف خيـال

وقول الجرجانى

للمحبين من حـذار الفراق * عـبرات تجول بين المآقى
فاذا ما استقلت العيس للبـين * وسارت حـداتها بالرفاق
استهلت على الخدود انحدارا * كانحـدار الجمـان فى الاتساق
كم محب يرى التجلـد دينـا * فهو يخفى من الهوى ما يلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجـد * لسان عن دمعـه المهـراق
وانحدار الدموع فى موقف البـين * عـلى الخـد آية العشـاق
هوّن الخطب لست أوّل صب * فضحته الدموع يوم الفـراق

وقول الخطيب الحصكفى الشافعى

ساروا وأكبادنا جرحى واعيننا * قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
تشكو بواطننا من بعدهم حرقا * لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كأنهم فوق أكوار المطى وقد * سارت مقطرة فى حالك الغسـق
درارئ الزهر فى الابراج زاهرة * تسير فى الفلك الجارى على نسق
ياموحشى الدار مذ بانوا كما أنست * بقربهم لاخلت من صيب غدق
ان غبتم لم تغيبوا عن ضمـائرنا * وان حضرتم حملنا كم على الحـدق

وما أحسن قول بعضهم فى هذا المعنى الذى كررناذكره وبه ألمعنا

سلام على أهل الوداد وعهدهم * اذا الانس روض والسرور فنون
رحلنـا فشرّقنـا وراحوا فغربوا * ففاضت لروعات الفراق عيون

وكم أنشدت وليالى النوى عاتمة قول الأندلسى بن حاتمة

أيامنا بالحمى ما كان أحلاك * كم بت أرعاه اجلالا وأرعاك
لاتنكرى وقفتى ذلا بمغناك * يادار لولا أحبـائى ولولاك
لما وقفت وقوف المائم البـاكى
فهل لهم عطفة من بعد دلهم * تالله ما تسمح الدنيا بمثلهـم
آها لقلبى على تبديد شملهم * ما كان أحلاك يا أيام وصلهم
ويا ليالى الرضا ما كان أضواك
يابدر تم تناءت عنه أربعنا * ولم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
ما للنوى بضروب البين يوجعنا * اذاتذ كرت دهرا كان يجمعنا

.لمذاهب والجدل الى سنة اثنين وثلاثين ١٤ وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد
بسمت كتابى هـذا بكتاب
روج الذهب ومعـادن
جوهر) لنفاسة ماحواه
عظم خطر ما استولى عليه
ن طوالع بوارع ما تضمنه
تبنا السالفـة فى معناه
غـرر مؤلفاتنا فى مغـزاه
جعلتـه تحفة للاشراف
ن الملوك واهل الدرايات
ـا قـد ضمنتـه من جمل
ما ندعو الحاجة اليه وتنازع
لنفوس الى علمه من درايه
ما سلف وغـبر فى الزمان
و جعلتـه مسـهما عـلى
غراض ما سلف من كتبنا
ومشتملا على جوامع يحسن
لاديب العاقل معرفتها ولا
يعذر فى التغافـل عنها ولم
نترك نوعا من العلوم ولا فنا
من الاخبار ولا طريقـة
من الآثار الا اوردناه فى
هـذا الـكتاب مفصلا أو
ذكرناه مجمـلا أو اشرنا اليه
بضرب من الاشارات أو
لوحنـا اليـه بفحوى
العبارات فمن حرف شيأ
من معناه اوازال ركنا من
مبناه اوطمس واضحة من
معالمه اولبس شاهدة من
تراجمه اوغـيره او بدله او
اشعنه او اختصره اونسبه
الى غـيرنا او اضـافـه الى
سوانا فوافاه من غضـب
الله ووقوع نقمه وفوادح
البلاء بما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله تعطرت

تفطرت كبدى شوقا لمرآك

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم * و يامعاهد نجوانا بذى سلم
تالله ماشبت دمعا للاسى بدم * ولا لثمت تراب الارض من كرم
الا مراعاة خل طل برعاك

عل التعلل يدنى منهم وعسى * فيعمر القرب ما بالبين قد درسا
كم ذا انادى بربع بالنوى طمسا * ياقلب صبرا فان الصبر عاد أسى
ويامنازل سلمى أين سلماك

وقول بعض من اشتد به الهيام مخاطب جيرته مادحا ليالى القرب وذاما تقلب الايام

أيام أنسى قد كانت بقربكم * بيضا فحين نأيتم أصبحت سودا
ذممت عيشى مذ فارقت أرضكم * من بعدما كان مغبوطا ومحسودا

وقول صاحب مصارع العشاق وقد شاقه من الهوى ماشاق

بانوا فادمع مقلتى * وجدا عليهم تستهل
وحدا بهم حادى الفرا * ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحلوا * عن ناظرى والقلب حلوا
ماضرهم لو أنهلوا * من ماء ود لهم وعلوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق عن أوطان العراق

قد قلت والعبرات تسـ * ـفحها على الخد المآ ‌قى
حين انحدرت الى الجزيـ * ـرة وانقطعت عن العراق
وتخبطت أيدى الرفا * ق مهامه البيد الرقاق
يابؤس من سل الزما * ن عليه سيف الفراق

وقوله أيضا

يامنزل الحى بذات النقا * سقاك دمع مذ نأوا مارقا
هل سلوة هيهات لا سلوة * قد بلغ السيل الزبى وارتقى
وأنت يايوم النوى عاجلا * أدال منك الله يوم اللقا

وقولى موطنا الثالث وقد تغير لى فيمن تغير حادث

لم أنس معهدنا والشمل مجتمع * والعيش غض وروض الانس معطار
فهل أنا بعد بعد عنه فى قلق * وقد نبت بى أرجاء وأقطار
تمضى الليالى وأشواقى مجددة * وما انقضت لى من الاحباب أوطار

وكلما مرت بمرأى برق لمعت لى من ناحية المغنى بالمنى بروق فتذكرت قول بعض من له على غير من يهوى طروق

مانظرت عينى سواك منظرا * مستحسنا الا عرضت دونه
وما تمنيت لقاء غائب * الا سألت الله أن تكونه

وربما رمت انتعالى مذهب السلو وانتحالى خلال أحوال اقامتى وارتحالى فلم ينتقل

انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التخويف فى أول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى او غلبه شقاء فليراقب امر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وماحوى كل باب منها من انواع الاخبار و بالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب)

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جلامس كية ابوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكى يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر ملك أرحبعم بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بنى اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك

عن تلك الصفات حالي وأني وجيدي بقلائد البنات حالي

والشوق أعظم ان يحيط بوصفه * قلم وان يطوى عليه كتاب

والله ما انا منصف ان كان لي * عيش يطيب وجيرتي غياب

وكيف ولا ماقي صب ولا تواقي زيادة اذا سرى نسيم او هب

شربت حيا البين صرفا وطالما * جلوت محيا الوصل وهو وسيم

فيعاد دمعي ان تنوح حمامة * وميقات شوقي أن يهب نسيم

فان لاح لعيني بارق شاقني او ترنم شادح ابي الى الهيام وساقني او رنا ظبي فلاة راعني وراقني

والى ليصبيني سنى كل بارق * وكل حمام في الاراك ينوح

وأرتاع من ظبي الفلاة اذا رنا * وارتاح للتذكار وهو سنوح

ولم يك ذاك لامر من حيث ذاته * ولكن لمعنى في الحبيب يلوح

ولا أستطيع الاعراب عن أمري العجيب لما بي من النوى المذهل والجوى المدهش والوجيب

ولا تسألوا عما أجن فليس لي * لسان يؤدي ما الغرام يقول

يطارحني البرق الاحاديث كلما * أضاء كان البرق منه رسول

ومابال خفاق النسيم يميلني * هل الريح راح والشمال شمول

اذ دموع شؤوني عند الذكرى لا ترقا وجفوني ليس لها عن الارق مرقى وشجوني تنمو اذا صدحت بغنها ورقا

ورب ورقاء في الدياجي تنادي * الفها في غصونها المياده

فتثير الهوى بلحن عجيب * يشهد السمع أنها عوّاده

كلما رجعت توجعت حزنا * فكانا في وجدنا نتباده

فيا لها من ذات طوق مثيرة لكامن شوق جالبة له من يمين وشمال وفوق

ذكرتني الورقاء أيام أنس * سالفات فبت أذري الدموعا

ووصلت السهاد شوقا لحبي * وغراما وقد هجرت الهجوعا

كيف يخلو قلبي من الذكر يوما * وعلى حبهم حنيت الضلوعا

كلما أولع العذول بعتبي * في هواهم يزداد قلبي ولوعا

وربما أتخيل قول من قال انها بالحزن بائحة وعلى فقد الالف نائحة فأنشد قول خليل وهو بالحب مدنف وعليل

ورب حمامة في الدوح باتت * تجيد النوح فنا بعد فن

أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا * فمنها النوح والعبرات مني

ولا غرو ان ظهر سر بائح فبالك مثلي من الشجو نائح

فرجعت بعد فراق أيام الهوى * أصف الصبابة للمحب المولع

دامي الجفون اذا الحمامة غردت * من فوق خوط البانة المترعرع

أسقي الديار وقد تباعد أهلها * عنها عزالي[٣] الدموع الهمع

٣ قوله عزالي يقرأ بتشديد الياء للضرورة اه

ونواعب الاطلال ليس يجيبنى * مابينهن سوى الصدى بتوجع
وهواتف فوق الغصون يجيبنى * منهن تغريد الحمام السجع
ناحت على عذب الفروع والفها * منها عسر أى فوقها وبمسمع
مافارقت الفاكما افارقته * كلا ولا أجرت سواكب أدمعى

على أوان عيون سعوده روان وزمان معمور بأمانى وامان وآمال دوان وتهانى مابين بكر وعوان وفى عذر من طال ليله فاضطرب فيه لولوعه وسكن جواه بجوانحه وضلوعه

ان طال ليلى بعدهم فلطوله * عذر وذلك لما اقاسى منهم
لم تسر فيه نجومه لكنها * وقفت لتسمع ما أحدث عنهم

فأرقنى الزائد فى حرقى أظهر المكنون وأبان ووجدى بمن ناى وبان لم يجد فيه تعلل برند وبان

تنبهى ياعذبات الرند * كم ذا الكرى هب نسيم نجد
فلست مثلى فى جوى أوأرق * وحرقة من فرقة أوصد
عوفيت مماحل بى من جيرة * فى الغرب لم يرثوا لفرط وجدى
أعلل القلب ببان عنهم * وهل ينوب غصن عن قد
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم * مغنى ولا عهد الرضا بعهد
آها من البعد ومن لم يدره * لم يشجه تأوهى للبعد

وفى شغل من ابكاه الربوع والطلول وذهبت برهة من زمانه بين الترحل والحلول فركب من الاخطار الصعب والذلول وحافظ على العهود ولم يسلك سبيل الغادر الملول

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفى من بعدهم ونحولى
ضمنت لها أجفان عين قريحة * من الدمع مدرار الشؤن همول

ومن الغريب الذى ينكره غير الاريب أن الحادى ان سر القلب بكشف رين فقد تسبب فى اجتماع أمرين متنافيين متنافرين

ترنم حادبالصريم فشاقنى * الى ذكر من بانت ضلوعى تضمه
فسر وساء النفس شجوا فربما * كلفت به من حيث صرت أذمه

وارتحلت حين مللت من طول السرى مضمنا ذكر ما أروم له تيسرا وقد أكثر الرفاق عند رؤية مالم يألفوه من الآفاق تلهفا وتحسرا

قلت لما طال النوى عن بلادى * ولاهل النوى جوى وعويل
هل أرى للفراق آخر عهد * ان عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضمنا

لائمى فى ذكر أحباب نأوا * لاتلم من أضعف الشوق قواه
ان يوما جامعا شملى بهم * ذاك عيدى ليس لى عيد سواه

ثم قلت مضمنا أيضا

للّه من صار ضربه النوى * وليس له غير اللقاء طبيب

وان صبا طا نلتقى بمسائه * صباح الى قلبى المشوق حبيب

ثم عدت الى الصبر بعد امعان النظر والتدبر

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * ولكنّ انفاقى على الصبر من عمرى
فلا تطفئ نار الشوق بالشوق طالبا * سلوّا فان الجمر يسعر بالجمر

ثم سلكت منهج التفويض والتسليم منشدا قول ابن قطران المغربى فى مقام النصح والتعليم ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم

ان ايام الرضا معدودة * والرضا اجمل شئ بالعبيد
لا تضنوا عنكم لى سلوة * ما على شوقى اليكم من مزيد
واجعوا انفسكم تسلية وا * أنكم فى الوقت اقصى ما أريد
ان يوما يجمع الله بكم * فيه شملى ذاك عندى يوم عيد

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد وامّل العود والعود أحمد الى المشاهد وغفر للدهر ذنبه ان عاد وتلهف ان لم يعامله بغير الابعاد

لئن عاد جمع الشمل فى ذلك الحى * غفرت لدهرى كل ذنب تقدّما
وان لم يعد منيت نفسى بعودة * وماذا عسى تجدى الامانى وقلما
يحق لقلبى أن يذوب صبابة * وللعين أن تجرى مدامعها دما
على زمن ماض بهم قد قطعته * لبست به ثوب المسرة معلما

وقول آخر يخاطب أحبابه ويذكر فواصل بحر النوى الطويل وأسبابه

أعيذكم من لوعتى وشجونى * ونار جوى تذكى بماء شئونى
وبرح أسى لم يبق فى بقية * سوى حركات تارة وسكون
أرى القلب أضحى بعد طارقة الاسى * أسير صبابات رهين شجون
وكيف سبيل القرب منكم ودونكم * رمال زرود والاجارع دونى
سلوا مضجعى هل قرّ من بعد بعدكم * وهل عرفت طعم الرقاد جفونى
سهرنا بنعمان ونمتم ببابل * فيا لعيون ما وفت لعيون

وفى بعض الاحيان أتسلى بقول بعض الاندلسيين الاعيان

لا تكترث بفراق اوطان الصبا * فعسى تنال بغيرهن سعودا
فالدر ينظم عند فقد بحاره * بجميل أجياد الحسان عقودا

وقول غيره

فعسى الليالى أن تمنّ بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن فى النظام وأجملا

وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها واطلب ممن اجال النفوس فى سيول الكربة ان يخلصها

فنلتقى وعوادى الدهر غافلة * عما نروم وعقد البين محلول
والدار آنسة والشمل مجتمع * والطير صادحة والروض مطلول

وأضرع اليه سبحانه فى تيسير العود الى أوطانى ومعهدى الذى مطايا العز أوطانى وأن يلحقنى بذلك الافق الذى خيره موفور وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور

اذا ظفرت من الدنيا بقربهم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأنى بعاتب يقول ماهذا التطويل فأقول له جوابى قول ابن أبى الاصبع الذى عليه التعويل

أكثرت عذلى كأنى كنت أول من * بكى على مسكن أوحنّ للسكن
لا تلح ان من الايمان عند ذوى الايمان ما حنين النفس للوطن

على أننى أقول اللهم يسر لى مافيه الخيرة لى بالمشارق أو المغارب وجد لى من فضلك حيث حللت بجميع مافيه رضاك من المآرب بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله وأصحابه الاعلام والتابعين لهم باحسان ماذر شارق وتعاقب طالع وغارب ثم جدّ بنا السير فى البر أياما ونأينا عن الاوطان التى أطنبنا فى الحديث حبالها وهياما وكنا عن تفاعيل فضلها نياما الى ان ركبنا البحر وحللنا منه بين السحر والنحر وشاهدنا من أهواله وتنائى أحواله مالا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدّا * لاجعلت حاجتى اليه
أليس ماء ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد أزعجتها أكف الريح من وكرها كما نبهت اللجج من سكرها فلم تبق شيأ من قوتها ومكرها فسمعنا للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما وزفيرا وتيقنا أنا لانجد من ذلك الافضل الله مجيرا وخفيرا واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وايسنا من الحياة لصوت تلك العواصف والمياه فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب فيبتعد ويقترب وفرقه تلتطم وتصطفق وتختلف ولا تكاد تتفق فتخال الجو يأخذ بنواصيها وتجذبها أيديه من قواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من خلالها وعنان السحب يخطف فى استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وآذنت الاحوال بعد انتظامها باختلالها وساءت الظنون وتراءت فى صورها المنون والشراع فى قراع مع جيوش الامواج التى أمدّت منها الافواج بالافواج ونحن قعود كدود على عود ما بين فرادى وأزواج وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا وخرست من الفرق ألسنتنا وتوهمنا أنه ليس فى الوجود أغوار ولا نجود الا السماء والماء وذلك السفين ومن فى قبر جوفه دفين مع ترقب هجوم العدوّ فى الرواح والغدوّ لاجتيازه على عدّة من بلاد الحرب دمّر الله سبحانه من فيها وأذهب بفتحها عن المسلمين الكرب لاسيما مالطة الملعونة التى يتحقق من خلص من معرّتها أنما مدّ بتأييد المهيمن ومعونة فقد اعترضت فى لهوات البحر الشامى شجا وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا فزادنا ذلك الحذر الذى لم يبق ولم يذر على ما وصفناه من

هول البحر بينما وانجر بنا ادداك في ميدان الالتفاء باليد الى التهلكة طلعنا وتشتت أفكارنا فرقا وذهبنا شتى وتساوينا فرقا اذا البحر وحده لا كي يصارعه ولا قوي يصارعه ولا شكل يضارعه لا يؤمن على كل حال ولا يفرق بين عاطل وحال ولا بين أعزل وشاكي ومتباك وباكي

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخائن والكافر الحائن الى أن قضى الله بالنجاة وكل ما زاد فهو الكائن وان نهى عنه وأخطأ المائن فرأينا البر وكأنا بل لم نره وشفيت به أعيننا من المره وحصل بعد الشدة الفرج وشممنا من السلامة أطيب الارج فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب يقل شكرها مر الاحقاب وعتق الرقاب جعلنا الله بآلائه معتبرين وعلى طاعته مصطبرين ولم نخل في البر من معاناة خطوب ومداراة وجوه لا عن ذات تجهم وقطوب فكم جبنا من مهامه فيحا ومسحنا بالخفاف منها أثيرا وصفيحا وفلينا الفجاج وقرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامة واعوجاج وقلوب الرفقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج وربما عميت على الخ تهد الادلة التي يستدل بها على المذهب الاحتجاج فترى الانفاس تعثر في زمرة الاشواق والاجسام قد زرت عليها من التعب الاطواق هذا والليل بصفحة البدر مرتاب وقد شدت رحال وأقتاب وزمت ركاب ورفعت احداج وفريت من الدجنة بمدية الذهب أوداج وتساوى في السير نهار مشرق وليل بقمر أوداج وأديم التأويب والاسآد وحمل العربة قد أثقل وآد ثم وصلنا بعد خوض بحار يدهش فيها الفكر وقفار وجوب وياف ومجاهل يضل فيها القطا عن المناهل الى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الاوجاع وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها الافواه والاسجاع وتمثلنا في بدائعها التي لا تنتزفها بقول ابن ناهض فيها

شاطئ مصر جنة * ما مثلها في بلد
لا سيما مذ زخرفت * بنيلها المطرد
وللرياح فوقه * سوابغ من زرد
مسرودة ما مسها * داود عبد بمبرد
سائلة وهو بها * يرعد عاري الجسد
والفلك كالافلاك بين * حادر ومصعد

ويقول آخر

انظر الى النيل الذي * ظهرت به آيات ربي
فكأنه في جريه * دمعي وفي الخفقان قلبي

ويقول ابن المكارم الخطير المعروف بابن مماتي في جزيرتها

جزيرة مصر لاعدتك مسرة * ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا * ومختلفات الموج فيك حبالها

ومن أعجب الاشياء أنك جنة * تمد على أهل الضلال ظلالها

لعله أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدواوين وتذكرت في مصر قول القاضي الفاضل

بالله قل للنيل عني انني * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأعيذ صبرك أن يكون جميلا

وقول احمد بن فضل الله العمري

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقي * ماء الحياة والخضر

وقول آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقول آخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
بشط يهز السمهرية ذبلا * وموج يهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكي الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يعده مرا

وقول آخر

واها لهذا النيل أي عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا ما مل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقول ابن النقيب

الصب من بعدهم مفرد * ودمعه النيل وتعليقه
وخده لما بكاهم دما * مقياسه والدمع تخليقه

وقول الصفدي

سقيا لمصر وما حوت * من أنسها وأناسها
ومحاسن في مقسها * تبدو وفي مقياسها
ومسرة كاساتها * تجلى على أكياسها
وسطور قرط خطها البارى على قرطاسها
ودمى كنائسها ولا * تنسى ظباء كناسها
ولطافة بجلالة * تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى * للنفس في أنفاسها
ومراكب لعبت بها الامواج في وسواسها

وقول ابن جابر الاندلسي

نيل في ذلك الى هجرته صلى الله عليه وسلم ذكر هجرته وجوامع مما كان في ايامه الى وفاته صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار عن امور وأحوال كانت من مولده الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم

ذكر ما اديته عليه الصلاة والسلام من الكلام مما حفظ ولم ينقل عن احد من الانام

ذكر خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره

ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره

ذكر خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره ونسب اخوته واخواته

ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحروب وغير ذلك

ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

ذكر حربه رضي الله عنه مع اهل النهروان وهم الشراة وما لحق بهذا الباب

ذكر مقتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه

ذكر لمع من كلامه وزهده وما لحق بهذا المعنى من اخباره ذكر خلافة الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام معاوية بن ابي سفيان

مرآنف ندمن محاسن ارضها * خبر اصحابنا لبس بالمقطوع
نمن يدل من نيلها ومسلسل * وسدبج من هضبها المرفوع

وقول ابراهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كأنما * صدئت بصفحته صفيحة منصل
يأتيك من كدر ازواخره مده * بمسك من مائه ومصندل
وكأن نوء البدر في تموجه * برق تموج في سحاب مسبل
وكأن نور السرج من جنباته * زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مفتقا أنواره * تبدو لعين مشبه وممثل

وقول ابن الصاحب

فرح الانام بنيلهم * اذ صار احمر كالشقيق
وتبركوا بشروقه * فكانه وادي العقيق

وقول آخر

احمر للنيل حد * حتى غدا كالشقيق
وقد تربعت فيه * اذ صار وادي العقيق

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدة مديدة الى المهم الاعظم والمقصد الاكبر الذي هو سر المطالب الجليلة وهو زيارة الحرمين الشريفين والعلمين المنيفين زادهما الله تنويها وبلغ النفوس ببركة من شرفهما ما لم تزل تنويها فسافرت في البحر الى الحج راجيا من الله سبحانه في الاجر الانجاز الى ان بلغت جدة بعد مكابدة خطوب انشدت لهام الصبر عدة فحين حصل القرب واكتحلت العين بإثمد تلك الترب ترنمت بقول من زال محرّدا على الوخد والارقال

بدا لك الحق فاقطع ظهر بيداء * واهجر مقالة احباب واعداء
واقصد الى عزمة ارض الحجاز فقد * بعدا عن السخط في نزل الاوداء
وقل اذا لمت من ام القرى أربا * وهو الوصول باسرار وابداء
يامكة الله قد مكنت لي حرما * فوقفا لست اشكو فيه من داء
فذراي النازح المسكين مسكنه * في قطرك الرحب لم ينكب بارداء
شوق الفؤاد الى مغناك متصل * شوق الرياض الى طل وأنداء

ثم انشدت عند ما بدت اعلام البيت الحرام قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام وقد بلغ من امانيه الموجبة بشائره وتهانيه المرام

وافى الحجيج الى البيت العتيق وقد * سجا الدجى فرأوا انواره بزغا
عجوا عجيجا وقالوا الله أكبر ما * للجو مؤتلقا بالنور قد صبغا
قال الدليل ألا هاتوا بشارتكم * فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا الى العيس بالاشواق وانتحبوا * وحن كل فؤاد نحوها وصغا
وكل من ذم فعلا نال محمدة * في مكة ومحا ما قد جنى وبغى

ولما وقع بصرى على البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف بالله الشبلى لما وفد الى حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعينى * رسم دارهم فهاج اشتياقى
هذه دارهم وأنت محب * ما احتباس الدموع فى الآماق
والمغانى للصب فيها معانى * فهى تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها * واهجر الصبر وارع حق الفراق

ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بالطاعة ربعه عمره وذلك أوائل القعدة من عام ثمانية وعشرين وألف من الهجرة السنية وأقمت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف ومتفيئا ذلك الظل الوريف ومقتفيا آثار الشرب الحنيفى الى أن جاء الاوان فأحرمت بالحج من غير توان وحين حللت مما به أحرمت نويت الاقامة هنالك وأبرمت فحال من دون ذلك حائل وكنت حريا بأن أنشد قول القائل

هذى أباطح مكة حولى وما * جمعت مشاعرها من الحرمات
أدعو بها لبيك تلبية امرئ * يرجو الخلاص بها من الأزمات
نلت المنى بمنى لانى لم أخف * بالخيف من ذنب أحال سماتى
وعرفت ذى عرفات أنى ناشق * للعفو عرفا عاطر النسمات

وأن أتمثل فى المطاف اذحفتنى الالطاف بقول من ربعه بالتقوى مشيد البغدادى الشهير بابن رشيد

على ربعهم لله بيت مبارك * اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجانى فيغفر ذنبه * ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة أو فرحة لطوافه * فلله ما أحلى الطواف وأهناه

ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار طيبة الشريفة التى لها الفضل على الاقطار واستشعرت قول من أنشد وطير عزمه عن أوكاره قد طار

حمدت مرادى اذ بلغت مرادى * بأم القرى مستمسكا بعمادى
ومذ رويت من ماء زمزم غلتى * فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التى جلت ومننه التى نزلت بها النفوس مواطن التشريف وحلت

من يهده الرحمن خير هداية * يحلل بمكة كى يتاح المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انثنى * يشفى برؤية طيبة داء الصدى

وكان حظى فى هذه الحال نذكر قول بعض الوشاحين من الاندلسيين الذين كان لهم ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة والمشاهد الزاهرة التى تشد اليها الرحال

يامن لعبد له افتقار الى أياديه جسام فضلك مدن لخير مدن حل بها سيد الانام

لم يهف قلبى لحب ليلى * ولا سعاد ولا الرباب
لا فى شعونا ولا ويلا * من هام فى ذلك الجناب

بل من ذي الفؤاد ميلا * لمن له الحب لا يعاب

قلبي والله مستطار * مذ حل في بيته الحرام ذي الحجر والركن خير ركن وزمزم الخير والمقام

دابت قلوب المطي عشقا * وركبها واستوى المراد

الى حبيب القلوب حقا * الحي والميت والجماد

الى الذي ليس فيه يشقى * من حبه داخل الفؤاد

شكوا وقد طالت الديار * وبعضا باهم السقام فهي قسي من التثني والقوم من فوقها سهام

ولست من سكرتي مفيقا * حتى ارى حجرة الرسول

فان يسهل لي الطريقا * فذاك أقصى مني وسول

حتى ترى عيني العقيقا * ويفرح القلب بالوصول

كم قلت والصبر مستعار للركب اذ غادر والمنام ونسمة الشوق حركتني وزادني الوجد والغرام

قوموا فقد طال ذا الجلوس * وبادروا زورة الحبيب

تاقت الى طيبة النفوس * لا عيش من دونها يطيب

لا حبذا دونها العروس * والماء والشادن الربيب

وحبذا الرمل والقفار والعرب في تلكم الخيام وام غيلان ظللتني والايك والاثل والثمام

يا طيبة حزت كل طيب * سيدفيك ذي حلول

نداء مستضعف غريب * في غر أمداحه يقول

وهو من السامع المجيب * لمدحه نال القبول

أنت الغني لي فلا افتقار * وأنت عزي فلا أضام

مستمسك منك حين نلني * بعروة ما لها انفصام

بسيد العالمين أجمع * بأحمد المجتبى الرسول

ومن هو الشافع المشفع * في موقف الحشر المهول

اذ لا كلام هناك يسمع * للغير والناس في ذهول

اذ السما ما لها انفطار والشهب منثورة النظام كذا الجبال انثنت كعهن سريعة المر كالغمام

يا أول الرسل في الفضيله * وان تأخرت في الزمن

شفاعة نلت مع وسيله * فمن يضاهي علاك من

علت بك الرتبة الجليله * وطبت في السر والعلن

فأنت من خيرهم خيار فمن يضاهيك في المقام والرسل نالت بك التمنى وأنت بدر لهم تمام

الوجد تذكر في فؤادي * فالصبر به فرار

ولا محي صاعد اتقاد * ودمع عيني له انهمار

ودأبا جئت من بلادي * للطيبة أبتغي الجوار

فحبذا تلكم الديار والمصطفى مسكة الختام عليه أزكى الصلاة مني وصحبه الغر والسلام

وقول

وقول أبي جعفر ابن عبي العرباطي رحمه الله تعالى وهو من التشريع أحد أنواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة * نلت المنى بزيارة الأخيار
حتى العقيق إذا وصلت وقف لنا * وادي منى بأطيب الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرف داعيا * نال العنا وظفرت بالأوطار

ولما من الله تعالى علينا بالحلول بالمشاهد التي قام الدين بها وظهر والمعاهد التي بان الحق فيها واشتهر والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر ونصرت النبوة وعضدت وقطعت غصون الكفر وحصدت وردمت قواعد التوحيد ونضدت وقرت العيون وقضيت الديون أنشد لسان الحال قول بعض من جد بمحاسن طيبة حال

يا من به طيبة طابت حلولي وحلي * ومن تشرف به أشرف العرب
يا أحمد المصطفى قد جئت من بلد * قاص ولي حاجة فاس ولي أرب
وقد دهتني ذنوب مذ ما اذ عظمت * لله منها رطبه المرتجى الهرب

ونسيبا بمشاهدة تلك الجناب ما كتميه وسبق الدمع الذي لا يعارض الفرح ولا ينافيه

أيها المغرم المشوق هنيئا * ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا * طالما أسعدا التيوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الأشجان والأشواق
وأمر العين أن تفيض انهمالا * وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وملنا عن الأكوار وغشانا من عرفها الآثار الأكوار وغمامنا من هاتيك الأنوار وشغلنا عن الأغيار وعلينا حلى الأخيار وكيف لا وطيبة مركز الزوار

إذا لم تطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين تطيب
وإن لم يجب في أرضها ربنا الدعا * ففي أي أرض للدعاء يجيب
أيا ساكني أكناف طيبة كلكم * إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

وما أحسن قول عالم الأندلس المالكي الأديب عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب

لله در عصابة صاحبتها * نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامه قد جبتها ومفاوز * مذ زلت أذكرها بطول حياتي
حتى أتينا القبر قبر محمد * خص الإله محمدا بصلات
خير البرية والنبي المصطفى * هادي الورى لطرائق النجاة
لما وقفت بقربه لسلامه * جادت دموعي واكف العبرات
ورأيت حجرته وموضع الذي * قد كان يدعو فيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها إنها * مشتقة من روضة الجنات
وبمنزل الأنصار وسط قبابهم * بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا وبانوا رحمة * معنى الكتاب ومحكم الآيات
وبقبر حمزة والصحابة حوله * فاضت دموع العين منهمرات

من الهجرة إلى هذا الوقت وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقد انتهيا فيه إلى المراد من هذا الكتاب

ذكر من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وآخر الكتاب

ذكر جمل التاريخهم وما ورد عن ذوي الدراية في أمدادهم

قال المسعودي فهذه جوامع ما حوى هذا الكتاب من الأبواب على ما بيناه في ما تقدم ذكرنا من أنواع العلوم وفنون الأخبار والآثار ما لم نأت عليه بتراجم الأبواب وقد رتبت على حسب ما قدمناه من إيراد على تفصيل ما أثر الخلفاء وغيرها من أعمارهم بأبواب نفردها عن سيرهم وأخبارهم ثم نعقب بعد ذلك الغرر من أخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان في أعصارهم وأخبار وزرائهم وما جرى من أنواع العلم في مجالسهم ملوحين بذلك إلى ما سلف من تقدم وتقدم من تأليفنا في هذه المعاني والفنون وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل

عليه هذا الكتاب من الأبواب مائة واثنان وثلاثون بابا أولها ذكر جميع أغراض هذا الباب

وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي الا بالله

(ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية)

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابن عباس غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها

سقى الله أيام ما اذا شاهدتها * وشاهدتها بالخطو والخطوات
لا زلت زوّارا لقبر نبينا * ومدينة زهراء بالبركات
صلى الاله على النبي المصطفى * هادي البرية كاشف الكربات
وعلى ضجيعيه السلام مرددا * ما لاح نور الحق في الظلمات

وقول كمال الدين ناظر توص

أبشر هذه والحمد لله يثرب * بتبشر الرضوان الذي كنت تطلب
فعفر بهذا الترب وجهك انه * أحق به من كل طيب وأطيب
وقبل ربوعا حولها قد تشرفت * بمن جاورت والشيء بالشيء يحبب
وسكن فؤادا لم يزل باشتياقه * اليها على جمر الغضى يتقلب
وكفكف دموعا طالما قد سفحتها * وبرد جوى نيرانه تتلهب

وقول الرعيني الغرناطي

هذه روضة الرسول فدعني * أبذل الدمع في الصعيد السعيد
لا تلمني على انسكاب دموعي * انما صنتها لهذا الصعيد

ولما سلمت على سيد الانام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء وخجلا لما أتاه من ارتكاب ما يقتضي وجلا غير أني توسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم في أن أكون ممن وضح له وجه الصفح وجلا

اليك أفر من زللي * فرار الخائف الوجل
وكان مزار تربك بالمدينة منتهى أملي
فوفى الله ما طمحت * له نفسي بلا خلل
فخذ بيدي غريق في * بحار القول والعمل
وهب لي منك عارفة * تعرف ما تنكر لي
وتهديني الى رشدي * وتمنعني من الزلل
وتحملني على سنن * يؤمنني من الوجل
فأنت دليل من عميت * عليه مسالك السبل
وانك شافع بر * وموئلنا من الوهل
وانك خير مبتعث * وانك خاتم الرسل
فيا أزكى الورى شرفا * وشافيهم من العلل
ويا أندى الانام يدا * ويا أكرم ناصر وولي
نداء مقصر وجل * بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمدي * فأنقذني من الدخل
وألحقني بجنات * لدى درجاتها الاول
بصديق وفاروق * وعثمان الرضى وعلي
فأنت ملاذ معتصم * وأنت عماد متكل

عليك صلاة ربك جل ذا العدوات ولا ـل

ومذ شممنا من أرج تلك الارجاء الذاكية واستضأنا بسرج تلك الاضواء الزاكية ظهر من الشوق ما كان بطن ولم يخطر ببالنا مكن ولا وطن ويا سعادة من اقام بتلك البقاع الشريفة وقطن

مرا لنسيم بربعهم فتلذذا * حتى كأن النشر صار اذا غدا
فحاوصح وصاح لا اشكو أذى * بل للصبا ماذا حملت من الشذا
أمسست طيبا أم علاك عبير

يا أيها الحادي الذي من وسمه * قصد الحبيب وأن يلم برسمه
هذي منازله فزمزم باسمه * بأبي الذي لم نذو زهرة جسمه
لكنه غض الجمال نضير

لله شوق قد تجاوز حده * أوفى على الصبر المشيد فهده
ياناشق الكافور لا تتعده * طوبى لمشتاق يعفر خده
في روضة الهادي اليه بشير

فهناك يبذل في التوسل وسعه * ويصيخ نحو خطيب طيبة سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه * ويرى معالم من يحب وربعه
ومحمد للعالمين بشير

صلى عليه الله خير صلاته * وحباه منه بجليل صلاته
ماحن ذو الاشواق في حالاته * وأتى معانيه على علاته
فأتيح حسن الختم وهو وزير

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين وتوسلنا الى الله بذلك المقام العلي خاضعين وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا لخدودهم على شذا تلك الاعتاب واضعين

أكرم بعبد نحو طيبة مقتدى * متوسل مستشفع مسترشد
يطوي الفلاة لها بعزم أيد * وافى الى قبر النبي محمد
ولربعه الاسمى يروح ويغتدي

أزجاه صادق حبه المتمكن * وحداه سائق عزمه المتعين
فحكى لدى شجو حمام الاغصن * هزجا يردد فيه صوت ملحن
ويمد للاطراب صوت المنشد

ويقول جئت بعزمة نزاعة * ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحل أحمد قائلا باذاعة * هذا النبي المرتجى لشفاعة
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤف بجاره ونزيله * هذا سراج الله في تنزيله
هذا الذي لاريب في تفضيله * هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن باني البيت أول مسجد

الجبال فقرت الارض وذلك قوله تعالى وجعل فيها رواسي ان تميد بكم وخلق ٢٧ الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا في يومين في يوم الخميس والجمعة وانما سمي الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى في كل سماء أمرها يقول خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور قد طبقها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة

هذا الذي اصطفت النبوة جمعه * هذا لدى الائام الهدى تقديه
هذا الذي سقى غدا سنيه * هذا الذي جبريل كان خديه
في حضرة التشريف أزكى مصعد
هذا الذي شهد الوجود بتحصه * بمزيه التفصيل من مختصه
وأبانه من وحيه في نصه * هذا الذي ارتمع البراق بشخصه
في ليلة الاسراء أشرف مشهد
هذا الذي غدت الطلول حدائقه * بجواره وبدت تروف أنيقه
هذا المكمل خلقه وخليقه * هذا الذي سمع السداحديقه
ودنوا لربك يل دالك بعد
فبجاهك ترسل به نتوسل * وعلى جاه لدى المعاد نعول
يا ارحم الرحماء أنت الموئل * يا خاتم الارسال أنت الاول
فترق في اسنى المكارم واسعدي
الله روح في سراه منارة * وأبان في السبع العلا أنواره
فبدت ملائكة السما آثاره * وأراه جنته هناك وناره
فتر بدو مخلد خلد
لم داده روحل وجلى ظلمه * وأتى بالرحمن ومنن جرمه
لما دجا ليل الضلالة دهمه * بعث الاله به لمرحم امه
لولاه كانت بالضلالة تردى
جار الشفوف فكل من دونه * فالغيث يسأل اذ يسيل يمينه
والشمس تشهد الشروق جبينه * والله قد لهوا طهر دينه
ووفي له فيه ردو الموعد
تطى ينادي ذكره ويراوح * وبه ينافح مسكه وينافح
نعي اللسان محامد ومدائح * طوبى لمن قد عاش وهو يكافح
عنه ينادي بالسان وباليد
هو صفوة العرب الالى أحسابهم * اسنى فهم قرنت بها انسابهم
فهم لباب المجد وهو لبابهم * من آل بيت لم تزل انسابهم
تنمى لهم عن طيب عنصر مولد
شرف النبوة ندرسا في اهلها * وسما على الزهر العلا بمحلها
ساق السوابق للفخار برسلها * نطق الكتاب كما علمت بفضلها
وقضى به نص الحديث المسند
فوق السماك ترطنت وتوطدت * وتفردت بالمصطفى وتوحدت
وهي الخلاصة صفيت فبردت * من معدن فيه الرسالة قد بدت
من عصر آدم للعصر محمد

انه يدوهم على ... خلقوا الى ان تقوم الساعة وتحت العرش بحر من منه أرزاق الحيوان يوحي الله تعالى اليه فيمطر ماشاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي الى موضع يقال له الابرم فيوحي الله الى الريح فتحمله الى السحاب ... وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يتدفق ... ابواب مثل ما في بحور الارض ... وان الله تعالى اسكن ظهر الارض الماء ... من خلقها الجن قبل آدم فجعلهم من مارج من ... وابليس منهم فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم ويظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس لا ينتهون عن ذلك سأل الله تعالى ان يرفعه الى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة وأرسل الله الى الجن وهم حرب ابليس قبيلا من الملائكة تطردهم الى جزائر البحار وقتلوا من شاء الله منهم وجعل الله ابليس على سماء الدنيا خازنا فوقع في صدره كبر ثم شاء الله عز وجل ان يخلق آدم فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة

قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تكون له ذرية ويفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فقالوا

طالوا ولم يبقوا للمجد مصعدا * والراقي أيمانهم حتف العدا
سئلوا فهم لعفاتهم غيث الجدا * أهل السقاية والرفادة والندى
والكعبة البيت الحرام المقصد

المطعمون وقد طوى أم الطوى * الناهضون اذا الصريخ بهم نوى
العاطفون اذا الطريق بهم نوى * أهل السدانة والحجابة واللوى
اهل المقام وزمزم والمسجد

المصلحون اذا الجموع تخاذعت * المنجحون اذا المساعي دافعت
الدافعون اذا الاعادي قارعت * المؤثرون اذا السنون تتابعت
وندا الجدب بنيل كل مفتقد

لا يقرب الخطب الملم ربيعهم * لا يطرق الكرب المخيف قريعهم
والله شرف بالنبي جميعهم * من نال رتبتهم وحاز صنيعهم
نال الشفوف وحاز معنى السودد

حلوا من الطود الاشم بمنعة * في خير معتصم واسمى رفعة
فهم بمنعة أمنه في شجعة * الله خصصهم بأشرف بقعة
محجوجة محفوفة بالاسعد

لما انبت لرامة اصل السرى * من بعد قصدي مكة ام القرى
انشدت جهرا فيه انثر جوهرا * واليكها يا خير من وطئ الثرى
عذراء تزري بالعذارى الخرد

كل الحسان لحسنها انداد هشا * ما منشاها في تربها منشا
سفرت بعزم ما اجتدوا طبشا * نشأت بطي القلب واروت الحشا
زهراء من برد أيهل ويسعد

امتك تشأى في مدا الالسنا * وترى اجادتها المجيد المحسنا
تغدو ولا تثني العنان عن السنا * واتتك تمرح كالقضيب اذا انثنى
مترنحا بين الغصون الميد

نداعملت في المدح ثاقب ذهنها * ترجو الحلول لدى فراءة امنها
وعسى اذا غديت بتربة عدنها * يحلوك الاحسان بارع حسنها
والحسن يحلوها وان لم تنشد

مدحي لخير العالمين عقيدتي * ومطيتي بل طيبتي ونشيدتي
ونتيجتي وهدى اليقين مفيدتي * ولئن مدحت محمدا بقصيدتي
فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

يا خير خلق الله دعوة حائر * يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم في هواك سرائري * وهو الذي أرجو لعفو جرائري
متوسلا بجنابك المتأطد

بنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون ثم بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض اني أعوذ بالله منك ان تنقصني فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فأخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين في الالوان وسمي آدم لانه أخذ من أديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك الموت بالموت وجبله الله تعالى وتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمأ مسنون أي متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح صلصالا كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضرب به له فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير

لولا خوف عدت بمغارب * لمكثت عندك كى تتاح مآربى
ويكون فى ازرقا عذب مشاربى * حتى احلى من ثراك ترائبى
وانال دفنا فى بقيع الغرقد

وعليك من رب حباك صلاته * وسلامه وهباته وصلاته
ما أم بابك من هدته فلاته * لعلاك حتى زحزحت علاته
فأتيح حسن الختم دون تردد

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم ووقعت من البعد عن تلك المعاهد فى المقعد المقيم وأنا أرجو أن يكون شكل منطقى غير عقيم وان أحشر فى زمرة من سلك الصراط المستقيم

يا شفيع العصاة أنت رجائى * كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضرا بفؤادى * غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش فى البلاد انتفاع * أطيب العيش ما يكون بطيبه

ثم عدت الى مصر وقد زال عنى ببركته صلى الله عليه وسلم الاصر وذلك فى محرم سنة ١٠٢٩ ثم قصدت زيارة بيت المقدس فى شهر ربيع من هذا العام وقد شملتنى بفضل الله جوائز الانعام وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى وهو مما زادنى هذه الزيارة رغبة

الى البيت المقدس جئت أرجو * جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا فى مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الاقصى وابصرت بدائعه التى لا تستقصى بهرنى جماله الذى تجلى الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت اليه وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة وكان حقى أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغى أن تزمزم به الحداة

ان كنت تسأل أين قد * رمحمد بين الانام
فأصخ الى آياته * تظفر بريك فى الاوام
أكرم بعبد سمت * تقديمه لرسل الكرام
فى حضرة القدس وا * فاها بعز واحترام
صفوا وصلوا خلفه * ان الجماعة بالامام
للشهب نور بين * والفضل للقمر التمام
سلك النبوة باهر * وبأحمد ختم النظام
هذا الكتاب دلالة * تبقى الى يوم القيام
شهدت له من بعد عجـ * ـز ألسن اللد الخصام
خير الورى وأجل آ * يات له خير الكلام
فعليه من رب الورى * أزكى صلاة مع سلام

ماذكرناه وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يا رب أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذى كنت مستخلفا فى الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامه وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذى من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى أن آدم كان محرابا للمامورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى فى آدم من روحه فكان كلما دخل فى بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودى) وما ذكرناه من الاخبار فى مبدإ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقى عن الماضى فعبرنا [illegible]

بما يقول من يقف على سرد هذه الامداح النبوية الى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان
البديهة والروية فأنشده في الجواب قول بعض من أمّ نهج الصواب

لأديمن مديح المصطفى * فعل من في الله قوى طمعه
فعسى أنعم في الدنيا به * وعسى يحشرني الله معه

واذا كان القريض في بعض الاحيان كذبا صراحا والموفق من تركه والحالة هذه رغبة عنه
واطراحا فخيره ما كان حقا وهو مدح الله ورسوله وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله

ليس كل القريض يقبله السمع وتصغي لذكره الافهام
ان بعض القريض ما كان هزأ * ليس شيأ وبعضه أحكام
واجل الكلام ما كان في مد * ح شفيع الورى عليه السلام
طيب العرف دائم الذكر لا تأ * تي الليالي عليه والايام
مثل زهر قد شق عنه كمام * أو كمسك قد فض عنه ختام
ليس تحصى صفات أحمد بالعد * كما لم تحط به الاوهام
ولو ان البحار حبر وما في الارض من كل نابت أقلام
فطويل المديح فيه قصير * وحسام ماض لديه كهام
ولسان البليغ فيه عيي * وكذا صيب الفصيح جهام
كيف يحصى مديح مولى عليه الله أثنى وذكره مستدام
وله المعجزات والآي تبدو * لا يغطي وجوههن لثام
حسن المعجزات أن سار ليلا * وجميع الانام فيه نيام
راكبا للبراق حتى أتى القد * س وفيه رسل الاله الكرام
فاستووا خلفه صفوفا وقالوا * صل يا أحمد فأنت الامام
فعليه من ربه صلوات * زاكيات مع صحبه وسلام

ثم رجعت الى القاهرة وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ الذي
هو عام تسعة وثلاثين وألف مكة خمس مرات وحصلت لي بالمجاورة بها المسرات وأمليت
بها على قصد التبرك دروسا عديدة والله يجعل أيام العمر بالعود اليها مديدة ووفدت على
طيبة المعظمة ميمما مناهجها السديدة سبع مرار واطفأت بالعود اليها ما بالاكباد الحرار
واستضأت بتلك الانوار وألفت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به علي في ذلك
الجوار وأمليت الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ونلت بذلك
وغيره ولله المنة ما لم يكن لي فيه مطمع ولا مطمع ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور
ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور وكان عودي من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع
وثلاثين وألف للهجرة فتحركت همتي أوائل رجب هذه السنة للعود لبيت المقدس وتجديد
العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة
وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب وألقيت عدة دروس بالاقصى

ب ما نقل الينا من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف
من وافق ذلك وانقاد اليه
من أهل الملل القائلين
بالحدوث ولا الرد على من
سواهم ممن خالف ذلك
وقال بالقدم لذكرنا ذلك
فيما سلف من كتبنا وتقدم
من تصنيفنا وقد ذكرنا في
مواضع كثيرة من كتابنا
هذا جملا من علوم النظر
والبراهين والجدل تتعلق
بكثير من الآراء والنحل على
طريق الخبر وروي عن أمير
المؤمنين علي بن ابي طالب
عليه السلام انه قال ان الله
حين شاء تقدير الخليقة
وذرء البرية وابداع المبدعات
نصب الخلق في صور كالهباء
قبل دحو الارض ورفع
السماء وهو في انفراد ملكوته
وتوحد جبروته فأتاح نورا
من نوره فلمع ونزع قبسا من
ضيائه فسطع ثم اجتمع
النور في وسط تلك الصور
الخفية فوافق ذلك صورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقال الله عز من قائل أنت
المختار المنتخب وعندك
مستودع نوري وكنوز
هدايتي من اجلك أسطح
البطحاء وأموّج الماء
وارفع السماء واجعل الثواب
والعقاب والجنة والنار
وأنصب أهل بيتك للهداية
وأوتيهم من مكنون علمي
الا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفي واجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي ثم أخذ الله الشهادة عليهم

والصخرة المنيفة وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة وكنت حقيقا بأن أنشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذى فضله معروف وأمره مشروح

خليل الله قد جئناك نرجو * شفاعتك التى ليست ترد
ألسنا دعوة واشفع تشفع * الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب أضيافى وفد * لهم بمحمد صلة وعهد
اتوا يستغفرونك من ذنوب * عظام لا تعد ولا تحد
اذا وزنت بيذبل او شمام * رجحن ودونها رضوى وأحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم * وكيف يضيق وهو لهم معد
وها انا سائل ورضاك على لسانى * الهى ما أجيب وما ارد
فيامولاهم عطفا عليهم * فهم جمع اتوك وانت فرد

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم على نبينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبياء أجمعين افضل الصلاة والتسليم ثم حدث لى منتصف شعبان عزم على الرحلة الى المدينة التى ظهر فضلها وبان دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام والادواح المتنوعة والارواح المتضوعة حيث المشاهدة المكرمة والمعاهدة المحترمة والغوطة الغناء والحديقة والمكارم التى يبارى فيها المرء شانئه وصديقه والاظلال الوريفة والافنان الوريقة والزهر الذى تخاله مبتسما والندى ريقه والقضبان الملد التى تشوق رائيها بجنة الخلد

بحيث الروض وضاح الثنايا * انيق الحسن مصقول الاديم

وهى المدينة المستولية على الطباع المعمورة البقاع بالفضل والرباع

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التى راقت بحلو المشارب
لها فى اقاليم البلاد مشارق * منزهة اقمارها عن مغارب

ودخلتها أواخر شعبان المذكور وحمدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعى المشكور

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ومبانيها المستحسنة

نزلنا بها ننوى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنق فى الخطاب وأطال فى الوصف وأطاب وان ملأ من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام أجلى * من ان تحاط بحد
لولا حمى الشرع قلنا * ولم نقف عند حد
كانها معجزات * مقرونة بالتحدى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالباب لاسيما اذا حياها النسيم واسكر

أحب الحمى من اجل من سكن الحمى * حديث حديث فى الهوى وقديم

[right margin column:]
... لهداية معه والنوراة ... سامية فى آله تقدمها ... ة العدل وليكون ... عذار متقدما ثم أخذ الله ... الخليقة فى غيبه وغيبها فى ... ون علمه ثم نصب العوالم ... بسط الزمان وموج الماء ... ثار الزبد وأهاج الدخان ... اعرشه على الماء فسطح ... رض على ظهر الماء ثم ... خ بابه الى الطاعة ... دعاها بالابهته ثم انشا ... الملائكة من أنوار ... دعها وأرواح اخترعها ... رن توحيده بنبوة محمد ... لى الله عليه وسلم فشهرت ... ى السماء قبل بعثته فى ... لارض فلما خلق الله آدم ... بان فضله للملائكة وأراهم ... ما خصه به من سابق العلم ... حيث عرفه عند استنبائه ... اياه بسماء الاشياء فجعل ... الله آدم محرابا وكعبة وبابا ... وقبلة أسجد اليها الابرار ... والروحانيين الانوار ثم نبه ... آدم على مستودعه وكشف ... له عن خطر ما ائتمنه عليه ... بعد ما سماه اماما عند ... الملائكة فكان حظ آدم ... من الخير ما أراه من مستودع ... نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ ... النور تحت الزمان الى ان ... وصل محمدا صلى الله عليه

وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد فلله

من آدا الجميل الجليل وبيوتها التى لم تخرج عن عروض الخليل ومخبرها الذى هو على
لها وفضل اهلها أدل دليل ومنظرها الذى يتقلب البصر عن بهجته وهو كليل

والروض قدراق العيون بحلة * قدحا كماسجابه آذار
وعلى غصون الدوح خضر غلائل * والزهر فى أكمامه أزرار

تكم لها من حسن ظاهر وكامن كما قلت موطئا للبيت الثامن

أما دمشق جنة * لعبت بالباب الخلائق
هى بهجة الدنيا التى * منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فاخرت بذوى الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالورود وبالشقائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للاشواق سائق
والطير بالعيدان أبدت فى الغنا احلى الطرائق
ولآلئ الازهار حلت جيد غصن فهو رائق
وموارد الامطار قد * كحلت بها حدق الحدائق
لازال مغناها مصو * نا آمنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا ايضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء * وبهجة وغضاره
فيها نسيم عليل * صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس * تزهى باعجب شاره
ياحسنها من رياض * مثل النضار نضاره
كالزهر زهرا وعنها * عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها * أعلى الاله مناره
وحاصل القول فيها * لمن أراد اختصاره
تذكيرها من رآها * عدنا وحسبى اشاره
دامت تفوق سواها * انالة وانارة

وكما ارتجلت فيها ايضا

قال لى ما تقول فى الشام حبر * كلما لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا أقول فى وصف قطر * هو فى وجنة المحاسن شامه

وقلت ايضا

قال لى صف دمشق مولى رئيس * جمل الله نعلته واحتشامه
قلت كل اللسان فى وصف قطر * هو فى وجنة البسيطة شامه

وقلت أيضا

واذا وازن ذو فى محاسن الدنيا فلا * تبدأ بغير دمشق فيها أولا
بلد اخ وذو الكاظم طرف نحوه * لم تلق الاجنة أو جدولا

واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق المقت ثم انتقل النور الى غرائزنا ولاح فى أئمتنا فنحن انوار السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين واشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ما روى عن أبى عبدالله جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن امير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار وطرقها الا انا قد انبنا على جميع ذكرها واتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل فى هذا الكتاب واما ما وجدت فى التوراة فهو أن الله تعالى ابتدأ الخلق فى يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام احتلام قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه

ذا وصف بعض صفاتها وهى التى * يعيا البليغ وان اجاد وطولا

والغاية فى هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفائتة الالباب قول ابى الوحش سبع ابن خلف الاسدى يصف ارضها المشرقة ورياضها المورقة ونسيمها العليل وزهرها البليل

سقى دمشق الشام غيث ممرع * من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهى حسنها * فى سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زوراء العراق أنها * تعزى اليها لاالى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر فى اشراقها
نسيم رياروضها متى سرى * فك اخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع فى ربوعها * وسيقت الدنيا الى اسواقها
لاتسأم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدى الطبى

اذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل فى وصفها لافى سواها * بها ماشئت من دين ودنيا

وكان لسان الدين ذا الوزارتين بن الخطيب عناها بقوله المصيب

بلد تحف به الرياض كانه * وجه جميل والرياض عذاره
وكانما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وكنت قبل رحلتى اليها ووفادتى عليها كثيرا مااسمع عن اهلها زادالله فى ارتقائهم مايشوقنى الى رؤيتها ولقائهم وينشقنى على البعد اريج الادب الفائق من تلقائهم حتى لقيت بمكة المعظمة أوحد كبرائها الذين فرائدهم بلبة الدهر منظمة عين الاعيان وصدر أرباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذى طبق الكلى والمفاصل والفتاوى التى حكمها بين الحق والباطل فاصل والتآليف التى وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل وارث العلم عن غير كلالة ذو الحسب المشرق بدره فى سماء الجلالة صاحب المعارف التى زانت خلاله وساحب اذيال العوارف التى أبانت عن فضله دلالة مفتى السلطان فى تلك الاوطان على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين لازال سالكا سبيل المهتدين فكان جل الله به عصرا وأوانا لقضية هذا القياس عنوانا فلما حللت بدارهم ورأيت ماأذهلنى من سبقهم للفضل وبدارهم صدق الخبر وتمثلت فيهم بقول بعض من غبر

ألمت بنا أوصافهم فامتلا الفضا * عبيرا وأضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم * بلا غافصح النقل اذ حصل اللقا

وقابلونى أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء وعرفنى بديع برهم فن الاكتفاء

غمرتنى المكارم الغر منهم * وتوالت على منها فنون
شرط احسانهم تحقق عندى * ليت شعرى الجزا[illegible]يكون

وقابلونى بالقبول مغضين عن جهلى

والآثار وهو أن الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ فى آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم واسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتى سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس ببيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذى خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتثر فى بلاد الهند فيقال والله اعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والافاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفى جزائر بحره السنباذج وفى قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة لها قشر وهى الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهى الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور[illegible]

وما

وما زال بي احسانهم وجميلهم * وبرهم حتى حسبتهم اهلي

بل الاولى أن اتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول في آل المهلب وهو قول بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خلب في زمن به تقلب

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل

ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

لا سيما المولى الذي امداحه تحلي اجياد الطروس العاطلة وسماحه يخجل انواء الغيوث الهاطلة صدر الاكابر الاعاظم الحائز قصب السبق في ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم الصديق الذي بوده أغتبط والصدوق الذي بأسباب عهده ارتبط الاوحد الذي ضربت البراعة رواقها بناديه والماجد الذي لم يزل بديع البلاغة من كتب يناديه السري الحائز من الخلال ما أبان تفضيله اللوذعي الذي لم تزل أوصافه تحكم له بالسودد وتقضي له والحق أبلج لا يحتاج الى زيادة براهين الاجل المولى احمد افندي بن شاهين لا زالت العزة مقيمة بواديه ولا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر وبواديه والسعد براوح مقامه ويغاديه والمجد يترنم بذكره حاديه فكم له أسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدى من أياد يعجز عن الابانة عنها لو أراد وصفها قس اياد ولو تعرضت لاسمائهم وحلاهم أدام الله تعالى سوددهم وعلاهم لضاق عن ذلك هذا النطاق وكان من شبه التكليف بما لا يطاق فليت شعري بأي أسلوب أؤدي بعض حقهم المطلوب أم بأي لسان أثني على مزاياهم الحسان وما عسى أن اقول في قوم نسقوا الفضائل ولاء وتعاطوا أكواب المحامد ملاء وسحبوا من المجد مطارف وملاء وحازوا المكارم وبذوا الموادد والمصارم سوددا وعلاء

فما رياض زهر الربيع * اذا بدت في وشيها البديع
ضاحكة عن شنب الاقاح * عند سفور طلعة الصباح
غنى بها مطوق الحمام * وصافحتها راحة الغمام
وباكرتها نسمة من الصبا * فاصبحت كأنها عهد الصبا
نضارة ورونقا وبهجه * تفدى بكل ناظر ومهجه
أطيب من ثنائهم عبيرا * بين الورى فاسأل به خبيرا
دامت معاليهم على طول الزمن * يروي حديث الفضل عنها عن حسن
وثابت وقرة وسعد * وأسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوهوا بقدري الخامل وظنوا مع نقصي أن بحر معرفتي وافر كامل حسبما اقتضاه طبعهم العالي فلو شريت بعمري ساعة ذهبت من عيشي معهم ما كان بالغالي فتعين حقهم لا يترك وحبهم لا يخالط بغيره ولا يشرك وان اطلت الوصف فالغاية في ذلك لا تدرك

يزداد في مسمعي ترداد ذكرهم * طيبا ويحسن في عيني مكرره

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابي الذي ضل ناقته في مدح البدر والبليغ المعترف بالقصر في ذلك سيان والحق أبلج والباطل لجلج وليس الخبر

والشاهلوج وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص ومنها مالا قشر له ولا نوى ٣٥ [illegible]
التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذي يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمي بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمي الذكر قابين والانثى لوبذا ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمي الذكر هابيل والانثى اقليمياء وقد تنوزع في اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قابين على ما ذكرنا ومنهم من رأى ان اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وقد ذكر علي بن الجهم في قصيدته في بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمي قابنا * وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابيل وشب قابن * ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوج أخت هابيل لقابن وأخت قابن لهابيل وفرق في النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام صار مرتبطا الآدمي مما يمكنه في ذوي التحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب

كالعيان

هب الروض لا يثني على الغيث نشره * أتحسبه تخفى ماآثره الحسنى

وقد تذكرت بلادي النائية بذلك المرأى الشامي الذي يبهر رائيه فاشتت من أنهار ذات انسجام أترع فيها من جريال الانس جام وازهار متوجة للادواح مروحة للنفوس بعاطر الارواح وحدائق تغشى أنوارها الاحداق وعيانها للخبر عنها مصداق وأي مصداق

فهي التي ضحك النهار صباحها * وبكت عشيتها عيون النرجس
واخضر جانب نهرها فكأنه * سيف يسل وغمده من سندس

وجنان أفنانها في الحسن ذوات أفنان

صافحتها الرياح فاعتنق السر * و ومالت طواله للقصار
لا تذ بعضه ببعض كقوم * في عتاب مكرر واعتذار

وبطاح راق سناها وكمل حسنها وتناهى كما قلت مضمنا في ذلك المنحى لقول بعض من نال في البلاغة مناو منحا

دمشق لا يقاس بها سواها * ويمتنع القياس مع النصوص
حلاها راقت الابصار حسنا * على حكم العموم أو الخصوص
بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص

ولله در القائل في وصف تلك الفضائل

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا يكون سواها
أو تكن في السماء فهي عليها * قد امدت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور * فاغتنمها عشية أو ضحاها

وعند رؤيتي لتلك الاقطار الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى اوطان لي بها اوطار اذ التشابه بينهما قريب في الانهار والازهار ذات العرف المعطار وزادت هذه بالتقديس الذي همعت عليها منه الامطار وتمثلت بقول الاصفهاني وان غيرت يسيرا منه لما اسفرت وجوه التهاني

لما وردت الصالحية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الشآ * م نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولمن احـ * ـب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * ء كما بكيت من الفراق
لم يبق لي الا تجشـ * م ازمن السفر البواق
حتى يطول حديثنا * بصفات ماكنا نلاق

وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه

ولي بالحمى اهل وبالشعب جيرة * وفي حاجر خل [illegible] يكونون صحب
تقسم ذا القلب المتيم بينهم * سألتكم بالله هـ[illegible]ـم القلب

فبالك

وقد زعمت المجوس ان ادم لم فيه الفضل في الصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به في الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخاليه والممالك الدائرة وان هابيل وقابين قربا قربانا فتحير هابيل أجود غنمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قابين شرماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز من قتل قابين هابيل ويقال انه اغتاله في برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير في تواريته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قابين ثم قال ما حكاه القرآن عنه ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودي) وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى ادم قاله حين حزن على ولده * وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الا[illegible]

فيالك من صب مراع للذمام منقاد لشوقه بزمام يتخيل له انه سمع صوت قيان بقول الاول

الى الله أشكو بالمدينة حاجة * وبالشام أخرى كيف يلتقيان

وفرد تعددت جوعه ووشت بما كنت ضلوعه دموعه فانشد وقد تحير مابدل فيه من عظم مابه وغير

كتمت شان الهوى يوم النوى فوشى * بسره من جفونى أى غمام

كانت ليالى بيضا فى دنوهم * فلا تسل بعدهم عن حال أيامى

ضنيت وجدا بهم والناس تحسب بى * سقما فابهم حالى عند لوامى

وليس أصل ضنى جسمى النحيل سوى * فرط اشتياقى لاهل الغرب والشام

وحصل التحير حيث لم يمكن الجمع ولا الحلو عند التخير كما قال ابن دقيق العيد فى مثل هذا الغرض البعيد

اذا كنت فى نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلى باللوى فمحسر

وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكنى نجد وعيل تصبرى

فقد طال مابين الفريقين موقفى * فمن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة وهو مقر الاولياء والانبياء ولا يجهل فضله الا الاغمار الاغبياء الذين قلوبهم مريضة

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها * والشمس تبهر أبصار الخفافيش

ولله در من قال فى مثل هذا من الارضياء

وهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر

اذا لم يكن للمرء عين بصيرة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وحسب الفاضل اللبيب أن يروى قول البدر بن حبيب

عرج اذا ما شمت برق الشآم * وحى اهل الحى وافر السلام

وانزل باقليم جزيل الحيا * بارك فيه الله رب الانام

العز والنصر لديه وما * لعروة الاسلام عنه انفصام

من اولياء الله كم قد حوى * ركنا بمرآه يطيب المقام

وهو مقر الانبياء الالى * والاصفياء الاتقياء الكرام

كم من شهيد فى حماه وكم * من عالم فرد وكم من امام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره فى الدواوين وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة الاواوين وتناقلت أنباءه البديعة ألسن الراوين وهامت باماكنه المريعة هداة الشريعة فضلا عن الشعراء الغاوين ومع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين أولا يرى انهم يأتون من مقوله امرا ينذر رأيهم وعقولهم ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين

تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح وبدل أهلها خمطا وأثلا * بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس ينسى * لعين لا يموت فنستريح
وقتل قابين هابيل ظلما * فوا أسفا على الوجه المليح
فمالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * وما أنا من حياتى مستريح
ووجدت فى عدة من كتب التواريخ والسير والانساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول
تنح عن البلاد وساكنيها * فقد فى الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها * أ آدم من اذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتى ومكرى * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن اضحت * بكفك من جنان الخلد ريح
ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ما ذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت
أباها بيل قد قتلا جميعا * وصار الحى بالموت الذبيح
فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على المعصار مرابماقى وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه انى مخرج منك نورى الذى به السلوك فى القنوات

على ندرك الصهباء توليك نشوة * بهاسيء اعداء وسر أصحاب
ولو أنها تعضيك منها بقدرها * لضاقت بك الاكوان وهي رحاب

وكذا في حلال الاقامة بدمشق المحوطة واثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة كثيرا ما ننتظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الاعيان في مجالس مغبوطة تتجاذب فيها اهداب الآداب ونشرب من سلسال الاسترسال وتتهادى لباب الالباب ونمد بساط الانبساط ونسدل أطناب الاطناب ونتضى اوطار الاقطار ونستدعى أعلام الاعلام فينجر بنا الكلام والحديث شجون وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون الى ذكر البلاد الاندلسية ووصف رياضها السندسية التي هي بالحسن منوطة وقضاياها الموجهة التي لا يستوفيها المنطق مع انها ضرورية وممكنة وشروطة والفطر السليمة والافهام المستقيمة بتسليم براهينها قاضية لاسيما ان كانت بالانصاف مربوطة فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجرى على لساني من الفيض الرحماني وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني صب الله عليه شآبيب رحماه وبلغه من رضوانه الاماني ما تثيره المناسبة وتقتضيه وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجد والهزل والانشاء الذي يدهش به ذاكره الالباب ان شاء وتصرفه في فنون البلاغة حالى الولاية والعزل اذ هو أعنى لسان الدين فارس النظم والنثر في ذلك العصر والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر وكيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدى الهصر ونثره تزرى صورته بالخريدة ودمية القصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة اجماعهم وعلق بقلوبهم وأضحى منتهى مطلوبهم وبغية آمالهم واطماعهم وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ويستنشقون من أزهاره كل ذلك فطلب منى المولى احمد الشاهينى اذ ذاك وهو الماجد المذكور ذو السعى المشكور أن اتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض احواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ومفاخره التي قلد بها جيد الزمان ولبته ومآثره التي ارج بها مسرى الشمال ودبته وبعض ماله من النثار والنظام والمؤلفات الكبار العظام الرائقة للابصار الفائقة على كلام كثير من أهل الامصار السائرة مسير القمر والشمس المعقود عليها بالخناصر بل الخمس كى ما يكون ذلك لهذه الاغراض مشيعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من اغراضه البديعة ومنازعه وشيعا فاجبته اسمى الله قدره الكبير وأدام عرف فضائله المزرى بالعنبر والعبير بان هذا الغرض غير سهل ولست علم الله له باهل من جهات عديدة اولها قصورى عن تحمل تلك الاعباء الشديدة اذ لا يوفى بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة وثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لانى خلفتها بالمغرب واكثرها في المشرق كعنقاء مغرب وثالثها شغل الخاطر باشجان الغربة الجالبة للفكر غاية الكربة ولزوم البال بين شغل عائق وبلبال وأنى يطيق سلوك هذا المضيق من اكتحلت [illegible]ـنه بالسهاد ونبت

الطاهرة والارومات الشريفة وأباهي به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعله خيار الائمة الخلفاء واختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم واشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغتسل زوجتك على طهارة منها فان وديعتى تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور في مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسر ما يكون من الذكران واتمهم وقارا واحسنهم صورة واكملهم هيئة واعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع ويفع وكهل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض والمؤدى حق الله الى اوصيائه وانه ثانى انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين ادى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفى يوم الجمعة لست بخلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة

جنوبه عن المهاد وسد نحوه الاسف سهمه وشغل باله ووهمه وبث فلى تبريحا
وعناء لم يجد منه الان بلطف الله تسريحا فشام بارقة أمل الا فى النادر ولا ورد منهل
صفاء الا وكدره مكر غادر وقد كثر الجفاء وبرح بلا شك الخفاء واستوخمت الموارد
والمصادر والقلب مكلوم وذو الادب غير ملوم اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر ولا
يؤنس الاشاكى دهر بلسان صريح او باكى قاصمة ظهر بجفن قريح اومناضل فى
معترك العجز طريح اوفاضل دفن من الخمول فى ضريح اذ رمته سهام الاوهام الصوائب
وعضت منه ابهام الابهام بنابها النوى والنوائب فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب وكم
شابت من أمثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب

على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وأدمع اجاوها تسلط فاوها فكم من عدو منهم فى ثياب صديق وحسود لنظره الى نعم
الله على عباده تحديق لا تخدعه المداراة ولا تردعه المماراة يتتبع العثرات ويقنع
بالم البثرات ويتبسم وقلبه من الغل يتقسم ويتودد ومكايده تتجدد وتتعدد

لا ترم من مماذق الود خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب الحباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

والصديق الصدوق فى هذا الزمن قليل وقد ألف بعض العلماء شفاء الغليل فى ذم
الصاحب والخليل وهو غير محمول على الاطلاق وان قال به بعض من رهنه من أبناء
عصره ذو اغلاق

أبناء دهرك فالقهم * مثل العدا بسلاحكا
لا تغترر بتبسم * فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاول والآخر وقد عظم الامر فى هذا الاوان وكثر المزدرى والساخر
مع ان أسواق الدفاتر كاسدة وأمزجة المحابر فاسدة

والدهر دهر الجاهليـن وأمر أهل العلم فاتر
لا سوق أكسد فيه من * سوق المحابر والدفاتر

فالمنسوب للعلم فى هذا الزمن زمن وهو بان ينشد قول الاول قمن

لاى وميض بارقة أشيم * ورعى الفضل عندهم هشيم

وليت شعرى علام يحسد من ابدل الاغتراب شارته واضعف الاضطراب اشارته وانهل
بالدموع انواءه وقلل اضواءه وكثر علله وادواءه وغير عند التأمل رواءه وثنى عن
المأمول عنانه وارهف بالخمول سنانه حتى قدح الذكر جنانه وملأ الفكر جاشه وجنانه
فهو فى ميدان النزوح مستبق ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق

له أنة المشتاق فى كل ساعة * تمر وما للثاكلات من الحزن
ومن مرسلات الدمع واقعة الاسى * ومن عاديات البين قارعة السن

تثير الذكرى منه كوامن الشجون وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والحجون

قدوصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن أربعين ألفا ٣٩ من ولده وولد ولده وتنازع الناس فى
قبره فمنهم من زعم ان قبره بنى فى مسجد الخيف ومنهم من رأى انه فى كهف جبل أبى قبيس وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وان شيثا حكم فى الناس واستشرع صحف أبيه وما انزل عليه فى خاصته من الاسفار والاشراع وان شيثا واقع امرأته فحملت بانوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة اوعز اليه شيث فى شان الوديعة وعرفه شانها وانها شرفهم وكرسهم واوعز اليه ان ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وان ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة مادام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع الناس فيه من أهل الملة من قال بالنص وغيرهم من اصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم الاباضية أهل الامامة من شيعة على بن ابى طالب رضى الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان
الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما انبياء واما اوصياء منصوص عن اسمائهم واعيانهم من الله ورسوله واصحاب

وتحت ضلوع المستهام كآبة * يخاف على الاحشاء منها التفطرا
ولوان احشاء تبوح بما حوت * لتملأن الارض كتبا واسطرا

وشتان مابين الاقتراب والاغتراب والسكون في الركون والنبوّ عنها والاضطراب فذلك تسهل غالبا فيه الاغراض والمآرب وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز * ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وان طاوعتني رقة الحال مرة * أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وكما قلت عند ماصرت الى الاغتراب وألت

تركت رسوم عزي في بلادي * وصرت بمصر منسي الرسوم
ورضت النفس بالخير يد زهدا * وقلت لها عن العلياء صومي
مخافة أن أرى بالحرص ممن * يكون زمانه احد الخصوم

وكما قال بعض الاكابر من أهل الزمان الغابر

لاعار ان عطلت يداي من الغنى * كم سابق في الخيل غير محجل
صان اللئيم وصنت وجهي ماله * دوني فلم يبذل ولم أتبذل
أبكي لهم ضافني متأوبا * ان الدموع قرى الهموم النزل
لاتنكروا شيبا ألم بمفرقي * عجلا كأن سناه سلة منصل
فلقد دفعت الى الهموم تنوبني * منها ثلاث شدائد جمعن لي
اسف على ماضي الزمان وحيرة * في الحال منه ووحشة المستقبل
ماان وصلت الى زمان آخر * الابكيت على الزمان الاول
لله عهد بالحمى لم انسه * ايام اعصي في الصبابة عذلي

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندري اذقال في معنى التمني المصدري

لعل زماني بالعذيب يعود * فيقرب قرب اويصد صدود
وابصر كثبانا وهز روادف * عليهن اغصان وهن قدود
واقطف ورد الخدوهو مضرج * واجني اقاح الثغر وهو برود
وادني ذراعي للعناق ذريعة * فتنهى عن الاقدام فيه نهود
ويسري الى البدر وهو ممنع * ويغدو الى الظبي وهو شرود
ونكرع في شكوى الفراق كانتا * فوارط هيم واقهن ورود
واكبر مقدار الهوى عن كبيرة * واحمي عفافي دونه واذود

وفرق مابين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصا والحسام والعصا والرجوع الى التفويض للاقدار في امور هذه الدار الكثيرة الاكدار هو المطلوب والمرجو من الله سبحانه جبر القلوب

يارب نفس همومي * واكشف كروبي جميعا
فقد رجوت كريما * وقد دعوت سميعا

ولم يجعل لي المذكور حفظه الله فسحة ولا مندوحة بعد هذه الاعذار المحمودة في الصدق الممدوحة

الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من اصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوّض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ماوصفنا من اقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان أنوش قد لبث في الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قابين بن آدم قاتل أخيه ولقتله خبر عجيب قد أوردناه في اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تموز بعدما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي احدثت في ايامه احدثها ولد قابين قاتل أخيه ولولد قابين مع ولد لود حروب وقصص

الممدوحة واسان حالى وقالى يثبتان عجزى عن اداء هذا الحق بشهادة من هو واد وولى اذ من كان بصفة غير متمكنة مما تكون به متصفة واتسم بنعوت مختلفة وارتسم فى غير ذوى الاحوال المؤتلفة كيف يحير فى التصنيف جوابا أو ينحى من التأليف صوابا ومن جفنه هام هامل وقصوره عام شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر الكامل ومن لبس من العى ملاه لا يعبر عن طبق معاصل الكلام وكلاه وقصرت ألسن البلغاء عن علاه وزانت صدور الدواوين حلاه وجمع خلالا حسانا وكان للدين لسانا وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب وازدانت بمرآه النوادى والمواكب ونفحات الازهار من آدابه ونسمات الاسحار عطر أذياله وأهدابه والسحر من كتابته والسحر من كنايته وروح النسيم من تعريضه والنثرة من نثره والشعرى من شعره وقريضه وحلل المجد لباسه وأنوار العلم اقتباسه

له ذهن يغوص بحر علم * فيأتى منه بالدر النظيم
معانيه الرياض لاجل هذا * سرت ألفاظه مثل النسيم

ومباهيه النجوم ومضاهيه الغيث السجوم الى آباء يحسدهم القمر والشمس واباء لو كان للمشرفى لما تحيفه لمس وشرف لا مدعى ولا منتحل وهمة لو نالها البدر لا ستجدى له زحل وبراعة أرهفت سنان قلمه و يراعة سارت أمراؤها تحت علمه فكم فتح بفكره اقفالها ووسم بذهنه الثاقب أغفالها وسبك معانيها فى قالب ذهبه ابريزا ورقم بيان لسانه برود احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع فى ميدان الاجادة لواؤه وأتيح من انهار البراعة العذبة ارواؤه ونال سبقا وتبريزا

وما زمن الشباب وانت تجرى * مع الاحباب فى لهو وطيب
ووصل من حبيب بعد هجر * بأحلى من كلام ابن الخطيب

فقصائده ارخصت جواهر البحور المنظومة فى قلائد اللبات والنحور من حسان العقائل الحور

معان وألفاظ تنظم منهما * عقود لآل فى نحور الشمائل
و زهر كلام كالحدائق نسجه * غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدت للابداع اقليدا وجمعت طريفا من البلاغة وتليدا

كسون عبيدا ثياب العبيد * واضحى لبيد لديها بليدا

ومقطعاته ألذ فى الاسماع من مطرب السماع وأبهى فى الاحداق والنواظر من الحدائق ذوات الاغصان الملد النواضر يعترف بفضلها من انتحل الانصاف دينا وانتحل الاوصاف فاختار العدل منها خدينا

رقيقات المقاطع محكمات * لو أن الشعر يلبس لارتدينا

و رسائله كنقط العروس اللائحة فى البياض او كوشى الربيع اوقطع الرياض برزت اغصانها الحالية وتبرجت وتضوعت أفنانها العالية وتارجت وقد البسها القطر زهرا وفجر خلالها نهرا فأخذت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير مختفية وتبدت فبهرت

قد أتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم ١٤ من ولد قابن واكثر هذا النوع بارض قمار من ارض الهند والى بلدهم اضيف العود القمارى فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته فى اذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذى اخبر الله عز وجل فى كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم احدى وعشرون صحيفة وانزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلخ) بن خنوخ فعمر البلاد والنور فى جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس فى كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات فى ايلول وقام بعده (لمك) وكانت فى أيامه كوائن واختلاف وتوفى وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد فى الارض فاشتدت دياجى الظلم فقام فى الارض داعيا الى الله فابوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فاوحى الله اليه أن اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة

من لها قابل أستغفر الله لا بل

هي الحديقة الا أن صبها * صوب النهى وجناها زهرة الكلم

وقوافيه ريشت بها قوادم الاتقان وخوافيه بنان مجاريها يستدثر الحصر وباع مباريها يستشعر القصر

خطها روضة والفاظها الاز * هار يضحكن والمعاني ثمار

تبدي لمبصرها وترى ما قاله أبو عبادة البحتري

وكلام كأنه الزهر النا * ضر في رونق الربيع الجديد

مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد

ومعان لو فصلتها القوافي * هجنت ما لجرول من نشيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد

بل هي أجل مما وصف عند التحقيق وامعان النظر الصحيح والتدقيق

ابن زهر الرياض وهو اذا ما * طال عهدا بالغيث عاد هشيما

من قواف كأنها الانجم الزهـ * ـر سناها زان الظلام البهيما

وناهيك عن اطلعته العلوم على جلائلها ودقائقها وأرته الفنون ماشاء من يانعات حدائقها وحبته الحكم الرياضية بأزاهرها وشقائقها وارضعته الوزارة من ثديها وحلت به الامارة صدر نديها وجعلته المرجوع اليه في تمييز جيد الامور ورديها فغرس في ارض الرياسة من نخل السياسة وديها وأعلى علم العدل وأغمد سيف الانتقام ودفع تنين الفتنة الذي فغر فاه للالتقام والعهد اذ ذاك قريب في وطن الاندلس الغريب باختلال الحال وتوالي الامحال والتبري على قتل الملوك والتحري لقطع الطرق ومنع السلوك حيث أهواء المارقين ذات انتراق وضلوع الصادقين في قلق واحتراق وأيدي الاحن باطشة وسيوف المحن الى الدماء عاطشة وعرش الحماية مثلول وصارم الكفاية مفلول ونطاق الرعاية مطلول وجيب النصيحة مملول والنور السلطاني بنار اختلاف الكلمة ملتهب والعدو ينتهز الفرصة ويستلب الانفس والاموال وينتهب وليس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء وان عقد المهادنة في بعض الاحيان فهو يسرحسوا في ارتغاء وكلاب الباطل في دماء أهل الحق والغة ولله سبحانه وتعالى في خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة فرقع لسان الدين ثوب الاندلس ورفاه وأرغم رحمه الله الكفر الذي فغر فاه وشمر عن ساعد اجتهاده وحض باللسان واليد على دفاعه وجهاده حتى لاحت للنصر بوارق وأمنت بالحزم البواري والطوارق ثم ضرب الدهر ضربانه وأحرق الحاسد بنار أحقاده أنضر بانه وأظهر ما في قلبه على لسان الدين وأبانه وتقرب الوشاة وهم ممن كان يخدمه ويغشاه الى سلطانه الذي كان عزة أوطانه الذي كان يأمنه ولا يخشاه حتى فسد عليه ضميره وتكدر ومن يسمع يخل غيره فاحس بظاهر التغير وصار في الباطن من أهل التحير وأجال قداح آرائه والتفت الى جهة العدو من ورائه ففر مشمرا عن ذيله في ليلة من خيله الى أسد العرين سلطان بني مرين وكان اذ ذاك بتلمسان وهو من أهل العلم والعدل والاحسان فاهتز لمقدمه ولقيه بخاصته

خلت من آذار فأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة اشهر ثم أمر الله الارض ان تبتلع الماء والسماء ان تقلع واستوت السفينة على الجودي والجودي ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلي وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر أن بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ما أسرع الى بلعه عندما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول أعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذي امتنعت الارض من بلعه انحدر الى قعور مواضع من الارض فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب أهلك به أمم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها * ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ودبر دقب هؤلاء

وخدمه وأكرم مثواه وجعله صاحب نجواه ثم أدرك السلطان الحمام وكسف بدره وقت التمام فرجع لسان الدين الى فاس واستنشق بها أطيب الانفاس وكثرت بعد ذلك الاهوال وتغيرت بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال فانجا من مكر العدا ولا سلم وآل أمره من الاغتيال وما نفع الاحتيال الى ما علم على يدى بعض أعدائه الذين كانوا يتربصون الدوائر لاردائه فاصبح كأمس الذاهب وصارت أمواله وضياعه عرضة للناهب وغص بذلك من كان من أودائه وأخذ الله ثاره من بعض من حرك عليه المكر وأثاره وتسبب فى هلاكه حتى انتثرت جواهر أسلاكه ومات بدائه فالعيون لى هذا الوقت على لسان الدين باكية ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكية ولا لسنة والاقلام لمقاماته فى الاسلام حاكية فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفا لا يقدر مثلى على تحبير التعبير عنه ويخشى أن تكون فكرته بحر قاء نقضت تضنا أو صوفا ثم انى لما تكرر على فى هذا الغرض الالحاح ولم تقبل أعذارى التى زندها شحاح عزمت على الاجابة لما المذكور على من الحقوق وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق وهو الذى يروى من أحاديث الفضل الحسان والصحاح فوعدته بالشروع فى المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية وأزمعت السير عن دمشق المعروفة المزية وألبسنى السفر منها من الخلع زيه ورحلنا عن تلك الارجاء المتالقة والقلوب بها وبمن فيها متعلقة

حللنا ديار الغرام سرت بها * الينا صبا نجد بطيب نسيم
وبان ردا الاشجان لما تجاذبت * أكف المنى فيها رداء نعيم
فما انشبتنا العيس أن قذفت بنا * الى فرقة والعهد غير قديم
فان نك ودعنا الديار وأهلها * فما عهد نجد عندنا بذميم

فخرج معنا أسماه الله مع جملة من الاعيان الى داريا المضاهية لدارين فى رياها وحبذا ريا فالفيناها

ربا من الانداء طيبة لها القدر الجليل
تهدى لنا أرجاؤها * أرجا من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت * ميل الخليل على الخليل

ووصلنا عند الظهيرة وسرحنا العيون فى محاسنها الشهيرة

منزل كالربيع حاك عليه * حاليات السحاب عقد النطاق
يمتع العين من طرائق حسن * تتجافى بها عن الاطراق

وقلنا بها لما نزلنا بجانبها

وبتنا والسرور لنا نديم * وماء عيونه الصافى مدام
يسايره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

فيا لك من ليلة أربت فى طيب النفح على ليلة الشريف الرضى بالسفح

ونحن فى روضة مفوفة * قد وشيت بالغمائم الوكف
نغفى على زهرها فيوقظنا * وهنا هدير الحمائم الهتف

وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التأويل والمتخلف عنه من ولده الذى قال له يا بنى اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث فى مسكن سام ووجدت فى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة ٣ فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم فى البر والبحر على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل فى الارض وما كان منهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم ابن سام عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن غاثر ابن ارم بن سام وكانوا

٣ قول المسعودى فجميع عمر نوح الخ يتأمل فيه وتراجع كتب التفسير اه

أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من أخباره وأخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العماليق تفرقوا فى البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر فى باب تنازع الناس فى انساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرت باميم وقيل ان أميما نزل أرض وبار وهى التى غلبت عليها الجن على مازعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عبيل ابن عوص أخى عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماش بن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذى بنى الصرح ببابل وجسر جسر ابابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفى زمانه فرق الله الالسن فجعل فى ولد سام تسعة عشر لسانا وفى ولد حام سبعة عشر لسانا وفى ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا فى موضعه الذى يوجد فى كتابنا لم

ودوحها من نداه فى وشح * ومن لآلى الازهار فى شنف
والغصن من فوقه حمامته * كانها همزة على ألف

وما أقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للاقمار

يا ليلة بتنا بها * فى ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الربا * ض وتحت أذيال النسيم

وناهيك بمحل قرب من دمشق الغراء خلعت عليه حلل الحبور والسراء وأمدته بضيائها وأودعته برفى حياها وماء حيائها فدار ناضر الدوحات عاطر الغدوات والروحات مونق الانفاس والنفحات مشرق الاسرة والصفحات هذا والقلوب من الفراق فى قلق ولسان الحال ينشد

وبى علاقة وجد ليس يعلمها * الا الذى خلق الانسان من علق

ويحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هى غنيمة ويذكر بقول من قال وأكف الدهر موقظة ومنيمة

تمتع بالرقاد على شمال * فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع * فانت من الفراق على يقين

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع والكل ما بين واجم وباك وداع فتمثلت بقول من قلبه لفراق الاحباب فى انصداع

ودعتهم ودموعى * على الخدود غزار
فاستكثروا دمع عينى * لما استقلوا وساروا

وقول آخر

يا وحشة من جيرة قد نأوا * علوّ تدرى فى الهوى انحطا
حكت دموعى البحر من بعدهم * لما رأت منزلهم شطا

وحق لى أن أتمثل فى ذلك بقول الفزارى

لا تسلنى عما جناه الفراق * حملتنى بداه ما لا يطاق
أين صبرى أم كيف أملك دمعى * والمطايا بالظاعنين تساق
تف معى نندب الطلول فهذى * سنة قبل سنها العشاق
وأعدلى ذكر الغوير فكم ما * ل بعطفى نسيمه الخفاق
فى سبيل الغرام ما فعلت بالـ * ـعاشقين القدود والاحداق
يوم ولت طلائع الصبر منا * ثم شنت غاراتها الاشواق

وبقول غيره

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجمع ملتصقه
واليوم صار الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وقول آخر

حين هم الحبيب بالتوديع * عيرونى أنى سفحت دموعى

لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعة الأسى من ضلوعى
كيف لا أسفح الدموع على ربـ * ـع حوى خير ساكن وجموع
هبك أنى كتمت حالى أتخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام بمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

وقول من قال

أقول له عند توديعه * وكل بعبرته مبلس
لئن قعدت عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفس

وقول الصابى

ولما حضرت لتوديعه * وطرف النوى نحونا اشوس
عكست له بيت شعر مضى * يليق به الحال اذ يعكس
لئن سافرت عنك أجسادنا * فقد قعدت معك الانفس

وقول المهذب بن أسعد الموصلى

دعنى وما شاء التفرق والاسى * واقصد بلومك من يطيعك أو يعى
لا قلب لى فاعى الملام فاننى * أودعته بالامس عند مودعى
هل يعلم المتحملون لنجعة * أن المنازل أخصبت من أدمعى
كم غادروا حرضا وكم لوداعهم * بين الجوانح من غرام مودع
والسقم آية ما أجن من الجوى * والدمع بينة على ما أدعى

وقول الكمال التنوخى

كم ليلة قد بتها ارعى السها * جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد
قضيتها ما بين نوم نافر * وزفير مهجور وقلب مكمد
لم أنس أيام السرور وطيبها * بين السدير وبين برقة ثهمد
والروض قد أبدى بدائع نوره * من أزرق ومفضض ومورد
والماء يبد وكالصوارم ساريا * فيعيده مر الصبا كالمبرد
والطير بين مسجع ومرجع * ومغرد ومعدد ومردد

وقول القاضى بهاء الدين السنجارى

أحبابنا مالى على بعد المدى * جلد ومن بعد النوى يتجلد
لله أوقات الوصال ومنظر * نضر وغصن الوصل غض أملد
أنى يطيق أخو الهوى كتمانه * والخد بالدمع المصون مخدد
ما بعد مفترق الركاب تصبر * عمن أحب فهل خليل يسعد
يا سعد ساعد بالبكاء أخا هوى * يوم الوداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الأثير

لم أنس ليلة ودعوا * صبا وسار وابالجمول
والدمع من فرط الاسى * يجرى فيعثر بالذيول

الذى قسم الارض بين الامم ولذلك سمى فالغ وهو فالغ أى قاسم ابن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذى قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر ابن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو اول من حياه ولده بتحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية الملك من ملوك الحيرة وقحطان ابو اليمن كلها على حسب ما يذكر ان شاء الله تعالى فى باب تنازع الناس فى انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعانى وابانته عنها ويقطن ابن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب مانورده من اخبارهم وقطور بنو عم لهم ثم أسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح فى جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حى لان الله عز وجل اوحى الى سام ان الذى وكلته بجسد آدم بتبقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم فى وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك فى ايلول

الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالح) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله شالح قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت فى ايامه كوائن وتنازع فى مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة واربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنه وقد قدمنا ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بارض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور لضروب من العلل احدثت فى الارض

وقول الارجانى

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى هامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كانى سحاب والوشاة بروق

وقول ابن نباتة السعدى

ولما وقفنا للوداع عشية * ولم يبق الا شامت وغيور
وقفنا فمن باك يكفكف دمعه * وملتزم قلبا يكاد يطير

وقول بعضهم

لما حدا الحادى بترحالهم * هيج أشواقى وأشجانى
وراح يثنى القلب عن غيرهم * فهو لهم حاد ولى ثانى

وقول الصفدى

لما اعتنقنا لوداع النوى * وكدت من حر الجوى أحرق
رأيت قلبى سار قدامهم * وأدمعى تجرى ولا تلحق

وقوله أيضا

تذكرت عيشا مرحلوا بقربكم * فهل لليالينا الذواهب واهب
وما انصرفت آمال نفسى لغيركم * ولا أنا عن هذى الرغائب غائب
سأصبر كرها فى الهوى غير طائع * لعل زمانى بالحبائب آئب

وقول ابن نباته المصرى

فى كنف الله وفى حفظه * مسراك والعود بعزم صريح
لو جاز أن تسلك اجفاننا * كنا فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل

عجبت لنفسى بعدهم مابقاؤها * ولم أحظ من لقياهم بمرادى
لعمرك مافارقتهم مذ ودعوا * ولكنما فارقت طيب رقادى
وقد منعوا منى زيارة طيفهم * وكيف يزور الطيف حلف سهاد
وأعجب مافى الامر شوقى اليهم * وهم فى سوادى ناظرى وفؤادى

وقوله رحمه الله تعالى

رعى الله أيام المقام بروضة * تروح علينا بالسرور وتغتدى
كأن الشقيق الغض بين بطاحها * نجوم عقيق فى سماء زبرجد

وقول القاضى الرشيد الاسوانى

رحلوا فلا خلت المنازل منهم * ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم * وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحمى * روت جفونى أى أرض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتى * رحلوا وفى قلب المتيم خيموا

وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتى سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله ساروغ قام بعده (ناحور) بن ساروغ مقتديا ما

ماضرهم لوودعوا من أودعوا * نارالغرام وسلموا من أسلموا
هم فى الحشاان أعرقوا أوأيمنوا * اوأشاموا أوأنجدوا أوأتهموا

وقول الشاعر أبى طاهر الاصفهانى المعروف بالوثانى

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع * وزمّت مطايا للرحيل سراع
فقلت وداع لاأطيق عيانه * كفانى من البين المشت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته * وعند النوى سر المكتوم مذاع

وقول أبى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله * وجاد عليه هاطل وهتون
ولازال مخضر الجوانب مترع السحياض وفيه للنعيم فنون
لئن قدّر الله اللقاء وأينعت * غصون التدانى فالبعاد يهون
وان حكمت أيدى الفراق بعسرة * فكم قضيت للمعسرين ديون

وقول آخر

غبتم فمالى فى التصبر مطمع * عظم الجوى واشتدّت الاشواق
لاالدار بعدكم كما كانت ولا * ذاك البهاء بها ولاالاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى * عنه أحبة قلبه يشتاق

وقول أبى الحسن الهمذانى

و يوم ولت الاظعان عنا * وقوّض حاضر وأرنّ بادى
مددت الى الوداع يدا وأخرى * حبست بها الحياة على فؤادى

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

قالفيه
..در بن الادمى مكتفيا

يوم توديعى لاحبابى غدا * ذكرمى شاغلى عن كل شى
قرنت نحوى وقالت ياترى * أنت حى فى هوانا قلت مى

وقال غيره

ولى فؤاد مذ نأى شخصهم * ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم * تذرف دمعا أربعا أربعا
وليس لى من حيلة كلما * لجت بى الاشواق الاالدعا
أسال من ألف ما بيننا * وقدّر الفرقة أن يجمعا

وقول الرعينى الغرناطى

محاسن ربع قد محاهن ماجرى * من الدمع لما قيل قد رحل الركب
تناقض حالى مذ شجانى فراقهم * فمن أضلعى نار ومن أدمعى سكب

وفى معناه قوله ايضا

بمن سلف من ابائه وحدث فى أيامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام ٤٧ قبله وأحدثت فى أيامه ضروب من المهن

والآلات وكانت فى ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفى عصره كان نمرود بن كنعان وفى ايام نمرود حدثت فى الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب فى العبادات وكان فى الارض رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وقرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر اصحاب النجوم الى طالع السنة التى ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فاخبر النمرود ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمرود بقتل الولدان واخفى ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

(ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل وغيرهم) ولما نشا ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التى كان بها وتامل افاق الارض والعالم وما فيه من دلائل

الشمس أبهر منه رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فمنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فأتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتى رشده من قبل ومن أوتى رشده فقد عدم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم المجوفات آلهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمرود النار والقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسمعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة اول من آمن بابراهيم عليه السلام وهي ابنة بتوايل ابن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن اخي ابراهيم عليه السلام ارسل الله ولما

وقائلة ماهذه الدرر التي * تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها هذا الذي قد حشابه * أبو مضر اذني تساقط من عيني

انتهى

وقول الزمخشري

لم يبكني الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي اجريته من مدمعي

وقول الزعارى

قد بعتهم قلبي يوم بينهم * بنظرة التوديع وهو يحترق
ولم اجد من بعدها الرده * وجها وكان الردلولم نفترق

وقول بعض الاندلسيين

ساروا وفودعه طرفي واودعهم * قلبي فما بعدوا عني ولا قربوا
هم الشموس ففي عيني اذا طلعوا * في القادمين وفي قلبي اذا غربوا

وقلت انا مضمنا بديهة

لا كان يوم فراق * ساق الشجون الينا
فكم اذل نفوسا * يا من يعز علينا

وقلت ايضا مضمنا

سلا أحبته من لم يذب كمدا * يوم الوداع وان اجرى الدموع دما
يا من يعز علينا أن نفارقهم * من بعدكم هد ركن الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرها عن منازلكم * فالقلب ثاو بها لم يصحب القدما
وما نسينا عهودا للهوى كرمت * نعم قرعنا عليها سن نادما
واظلمت بالنوى ارجاء مقصدنا * وصار وجدان ألف غيركم عدما

وقلت ايضا مضمنا

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه * جادت معاهده أنواء نيسان
لهفي لعيش قضيناه في مشاهدها * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

يا جيرة بانوا وابقوا حسرة * تجري دموعي بعدهم وفق القـ..
كم قلت اذ ودعتهم والانس لا * ينسى وعهد ودادهم لن يـ..
يا موقف التوديع ان مدامعي * فضت وفاضت في ثرى ..ـضا

وكم تفاءلت بقول الاول مع علمي بان على الله المعول

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البـ..
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع ..

وضاقت بي الرحاب عند مفارقة اعيان الاحباب والاصحاب ..ت دموعي من بينهم السحاب وزند التذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب وقد ..اذ ذاك والجوانح من الجوى في التهاب وذخائر الصبر دات انتهاب بقول بعض من حرق ..منه الاهاب

ولما نزلنا منزلا طله الندى * انيقا وبستانا من النور حاليا
اجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
وقد طفت فى شرق البلاد وغربها * وسيرت خيلى بينها وركابيا
فلم ارمنها مثل بغداد منزلا * ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا * واعذب الفاظا واحلى معانيا

ويقول من تاسف على مغانى التدانى وهو ابو الحجاج الاندلسى الدانى

الى الله الا ان افارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام حين غشيته * يمينا فلم احلله الا مسافرا

وتخيلنا ان اقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف ما كانت الا خطرة طيف ملم او لمحة طرف

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغنى المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك فى اجتماع * اذا ما شتت البين اجتماعه

وطالما عللت النفس بالعود اليها ام الى بقاعى منشدا قول الاديب الشهير بابن الفقاعى

منى عاينت عيناى أعلام حاجر * جعلت مواطى العيس فوق محاجرى
وان لاح من ارض العواصم بارق * رجعت باحشاء صوادرصوادر
سقى الله هاتيك المواطن والربا * مواطر أجفان هوام هوامر
وحيا الحيا من ساكى الحى اوجها * سفرن بانوار زواه زواهر
بحيث زمان الوصل غض وروضه * اريض بازهار بواه بواهر
وحيث جفون الحاسدين غضيضة * ومقن باماق سواء سواهر

ثم حاولت خاطرى الكليل فيما يشفى بعض الغليل فقال على طريق التضمين وقد غلب ... الشوق والتضمين

بأبى من أودعوا اذ ودعوا * قلبى الشوق وللعيس ذميل
جيرة غر كرام خيرة * كل شئ منهم يبدو جميل
وعلى انه مالى غيرهم * لو ارادوا ان يميلوا او يميل

وبقولى ... ت وقد سدد التنائى الى نبله موطئا للبيت الثالث كما فى الابيات قبله

يادمشق احياك غيث غزير * وحفاك الاله مما يضير
حسنك الفرد البدائع بدع * متناه فيه فعز النظير
أين ايامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

ثم اكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال وقد شبهت البيداء والشوق ببدل الكل والاشتمال وتنسمت من نواحى تلك الارجاء اريج الشمال وضمنت فى المعنى قول بعض من ثنى الحب عطفه وأمال

تنسمت ارواحا سرت من ديار من * بهم كان جمع الشمل لمحة حالم
وجاوبت من يلحى على ذاك جاهلا * بقول لبيب بالعواقب عالم
وما انشق الارواح الا لانها * تمر على تلك الربا والمعالم

مشتق من الافك وهو الكذب على رأى من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله فى كتابه بقوله والمؤتفكة اهوى وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلى الاردن وبلاد فلسطين الا ان ذلك فى حيز الشام وهى مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها براها الناس سودا فاقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسمعيل) هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل افئدة من الناس تهوى اليهم واهلك الله قوم لوط فى عهد ابراهيم لما كان من فعلهم وأتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد

لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس

اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولدت منها سته ذكور وهم مرفونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفي ابراهيم بالشام وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وانزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بوحباء ابنة بنوايل فولدت له (العيص ويعقوب) في بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق في وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة في ولده ودعا لعيص بالملك في ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام

وما احسن قول الآخر

سرت من نواحي الشام لي نسمة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متتابعه

وقلت انا

جدت وحق الله للشام رحلة * اتاحت لعيني اجتلاء محياه
وبعد التنائي صرت اوتاح للصبا * لان الصبا تسرى بعاطر رياه
فلله عهد قد اتاح بجلق * سرورا تحياه الاله وحياه

واستحضرت عند جد السير قول صفوان بن ادريس المرسي ذكره الله تعالى بالخير

أين ايامنا اللواتي تقضت * اذ زجرنا للوصل ايمن طير

ثم قول غيره ممن حن وأنّ وقلق قلبه وما اطمان

احن الى مشاهد انس الفى * وعهدي من زيارته قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفي * لهيب الشوق فازداد اللهيب

وربما تجاذبت مغالطا متعللا بقول من كان لالفه مخالطا

حضرت فكنت في بصري مقيما * وغبت فكنت في وسط الفؤاد
وما شطت بنا دار ولكن * نقلت من السواد الى السواد

وقول غيره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد * فالقلب يرعاك ان لم يرعك البصر

وبقول الوداعي

يا عاذلي في وحدتي بعدهم * وأن ربعي ماله من جليس
وكيف يشكو وحدة من له * دمع حميم وأنين انيس

ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلغه السلو ريقه

لا رعى الله عزمة ضمنت لي * سلوة القلب والتصبر عنهم
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منهم

وبقول ابن آجروم في مثل هذا الغرض المروم

يا غائبا كان أنسي رهن طلعته * كيف اصطباري وقد كابدت بعدهما
دعواي أنك في قلبي يعارضها * شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

ثم جد بي السير الى مصر واستمر فتذكرت قول الصفدي وقد اشتد بالرمل الحر

اقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالي الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدي به في الشام وهو عليل

وقول ابن الخياط

قصدت مصرا من ربا جلق * بهمة تجري بتجريبي
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عيني بالمرازيب

وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعي وانشدت قول الشهاب الحنبلي الزرعي

احبتنا والله مذغبت عنكم * سهادى سميرى والمدامع مدرار
ووالله ما اخترت الفراق وانه * برغمى ولى فى ذلك الامر أعذار
اذا شام برق الشام طرفى تتابعت * سحائب جفنى والفؤاد به نار
الا ليت شعرى هل يعودن شملنا * جميعا وتحوينا ربوع واقطار

وقول ابن عنين

دمشق بنا شوق اليك مبرح * وان لج واش اولج عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول آخر

نفسى الفداء لانس كنت اعهده * وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى انف بوصلهم * والانس اوصل ما بالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى * سواهم فاعترانى بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادى واشتياقه له * والآن كل وجود بعدهم عدم

فان أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال

ياغائبا قد كنت أحسب قلبه * بسوى دمشق وأهلها لا يعلق
ان كان صدك نيل مصر عنهم * لا غرو فهو لنا العدو الازرق

اتيت فى جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر جمعنا شمل لذته * بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس * كأنما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلها * من النعيم الى ذلك من الحرق
رق العذول لحالى بعدها ورثى * لى فى الجوى والهوى والشجو والارق

لهٔ فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طوالعها منسوبة

وكانت فى دمشق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

ي مغانى التهانى التى ما نسيناها وأمانى زمانى التى نعمت بطور سيناها عليها وعلى وطنى مقصورة والقلب فى المغنى متيم بهما وان كان فى غيرهما بالصورة والاشواق اليهما قضاياها موجهة وان كانت غير محصورة

ولله عهد قد تقضى وان بعد * فانى عن الايام أعفو وأصفح
بقلبى من ذكراه ما ليس ينقضى * ومن برحاء الشوق ما ليس يبرح
اذا سمحت كفى الدموع تسترا * بدت زفرة بين الجوانح تقدح
فان جمعت شملى الليالى بقربهم * تجمع غيلان ومى وصيدح
على انها الايام جد مزاحها * ورب مجد فى الاذى وهو يمزح

وكثيرا ما يلهج لسانى بقول من قال

وتعالى وكاد واشار وشمعون وروبيل) هؤلاء الاسباط والنبوة والملك فى عقب اربعة منهم لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثر جزع يعقوب من اخيه العيص فآمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فاعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفافا لشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاتبه الله فى ولده بتأخير الملك لوعده فاوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولى ولاجعلن ولد العيص ملوكا ونحو ذلك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من امره مع اخوته ما قص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك فى امته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة واربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجده وقيل ان يوسف اوصى ان يحمل فيدفن

وما بعض الاوقات احرى لذاتها * ولكن اوقات الحسان حسان

ويردد قول من شوقه متجدد

سقى معهد الاحباب ناقع صيب * من المزن عن مغناه ليس بريم

وان لم اكن من ساكنيه فانه * يحل به خل على كريم

وينشد من يلوم قول من فى حشاه وله وفى قلبه كلوم

قد أصبح آخر الهوى اوّله * فالعاذل فى هواك مالى وله

بالله عليك خل ما اوله * وارحم دنفا الذى حشاه وله

ولقد امتدّ بنا الكلام وربما يجعله اللاحى ذريعة لزيادة الملام فلنرجع الى ما كنا بصدده من اجابة المولى الشاهينى أمده الله سبحانه بمدده فاقول مستمدا من واهب العقول انى شرعت بعد الاستقرار بمصر فى المطلوب وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع والقلوب وسلكت فى ترتيبه احسن أسلوب وعرضت فى سوقه كل نفيس غريب من العرب الى الشرق مجلوب تستحسن الابصار ما عليه احتوى وتعرف الافكار أنه غير مجنوى ثم وقف بى مركب العزم عن التمام واستوى فاخرته تاخير الغريم لدين الكريم وصدّتنى أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض وأضربت برهة عما له من منحى لاختلاف احوال الدهر نفعا ودفعا ومنعا ومنحا ومرقت عن هدف الاصابة نبال وطرقت فى سدف ليلى الكتابة أمور ولم تكن تخطر ببال فجاءتنى من المولى المذكور آنفا رسالة دالة على انه لم يكن عن انجاز الوعد متجانفا فعدت لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستانفا وحدانى خطابه الجسيم للاتمام وساقنى وراقنى كتابه الكريم لتلك الايام وشاقنى وذكرنى تلك الليالى التى لم انسها وحركنى لتلك المعاهد التى لم ازل اذكر انسها الالف لا يصبر عن الفه الا كما يطرف بالعين وقد صبرنا عنهم مدة ماهكذا شأن المحبين فيا كتاب كريم اعرب عن ود صميم وذكر بعهد غير ذميم وود طيب العرف يخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعز تميم

ولم تر عيناى من قبله * كتابا حوى بعض ما قد حوى

كأن المباسم سماته * ولاماته الصدغ لما التوى

واعينه كعيون الحسان * تغازلنا عند ذكر الهوى

كتاب ذكرنا بالفاظه * عهودا زكت بالحمى واللوى

فكأنه الروض المطرد الانهار والدوح المدبج الازهار

رأيناه روضا تدبج وشيه * اذا جاد من تلك الايادى غمائم

به ألفات كالغصون وقد علا * عليها من الهمز المطل حمائم

وقد سقيت بانهار البراعة السلسالة حدائق حلت بها غانية تلك الرسالة تشفى صبها بالزيارة وتشرف بدنوها دياره

زارت الصب فى ليال من البعد فلما دنت رأى الصبح يلمع

فلذت بالعقيان جيد بيان * ليس فيه للفتح من بعده الزلمع

عند قبر أبيه يعقوب فى مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان فى عصره (أيوب) النبى صلى الله عليه وسلم وهو ايوب بن موص ابن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك فى بلاد الشام من اردن حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله فى نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من اخباره فى كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذى كان ياوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة فى ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب نبى قبل موسى ابن عمران وانه هو الذى طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض اهل الكتب ان الخضر هو خضرون بن عمايئيل بن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه ارسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران فشفت

فشفت النفس من آلامها وأحييت ميت الهوى بذحيت بعذب كلامها

كلام كالجواهر حين يبدو * وكالندّا بعنبر اذيفوح
له فى ظاهر الالفاظ جسم * ولكن المعانى فيه روح

فصيرت لى ذلك الكتاب سميرا ووردت من السرور مشرعا عميرا وتمثلت بقول بعض من اخلص فى الود ضميرا

يا مفردا أهدى الى كتابه * جلا غبار الذهن فى اثنائها
كالدر اشرق فى سموط عقوده * وازهر والانوار غب سمائها
فافادنى جذلا وبالى كاسد * واجار نفسى من جوى برحائها
وحسبت ايام الشباب رجعن لى * فلبست حلى جمالها وبهائها
لا يعدم الاخوان منك محاسنا * كل المفاخر فترة من شانها

فاكرم به من كتاب جاء من السرى العلى والماجد الاخ الولى

فضضت ختامه فتبدت لى * معانيه عن الخبر الجلى
وكان ألذ فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وأعرب عن اعتماد متماد ووداد مرداد وأطاب حين أطال وادى دين الفصاحة دون مطال واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحدق المراض * وأبى من اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التى لا خلف فيها ولا اعتراض وروينا من غيث اماليه المتون ورويناعنه مسندا محدس الاسانيد والمتون وحشا لى العود والرجوع وكان اجدى من الماء الزلال لذى ظما والمشتهى من الطعام لذى سغب وجوع

واشهى فى القلوب من الامانى * واحلى فى العيون من الهجوع

ورده ظلام استيحاشى وحشر الى اشتات المسرات دون ان يحاشى ووجدنى شغوب واشغال اشربت القلب الكسل واللغوب وحيرت الخواطر وصيرت الافلام غير مواطر فزحزح عنى الغموم وسلانى واولانى شكر الله صنيعه رات ما اولانى

ويقول

حديث اوحديث عنه يطربنى * هذا اذا غاب اوهذا اذا حضرا
كلاهما حسن عندى أسربه * لكن احلاهما ما وافى النظرا

وقال آخر

لست مستأنسا بشئ اذا غبت سوى ذكرك الذى لا يغيب
أنت دون الجلاس عندى وان كنت بعيدا فالانس منك قريب

وضمنت فيه لما ورد مع جلة كتب من تلك الناحية وأنوار أهلها ذوى الفضائل الشهيرة أطهر من شمس الظهيرة فى السماء الصاحية

قلت لما أتت من الشام كتب * من أجلاء نورهم يتألق
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن جلق

الملواس بن ليث بن هران ابن عمر بن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد استرقوا بعد مضى يوسف واشتد عليهم البلاء واخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان سيولد مولود يزيل ملكه ويحدث ببلاده من امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وامر بذبح الاطفال وكان من امر موسى ما اوحى الله عز وجل الى امه فى امره أن اقذفيه فقذفته فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره واوحيه على ان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويت بن رعويل بن مر ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من اهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من امره معه وتزويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده باخيه (هرون) وبعثهما الى

وقت أيضا

ذلت لما وافت من الشام كتب * والليالي تتيح قربا وبعدا
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن سعدى

وكان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهيني الذي اقتنص بفضله كل شارد مانصه ومما استلاب قلبي من يدي ترحي وجدد سروري ونبه فرحي حديث الكتاب وما حديث الكتاب حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب وأنساني حرارة المصاب في الاسال والاحتساب ونضى به من حق لسان الدين دينه الذي تبرع به غريم ملىء من البلاغة وهو غير مدين حتى كاني ياسيدي بهذه البشرى أحرزت سواري كسرى وكان في سمعي كل حرف البهامنسوب قميص يوسف في أجفان يعقوب وحتى كدت أهجر اهلي وبيتي وأسرج لاستقبال هذه البشرى أشهبي وكميتي وحتى انني حاربت نومي وقومي وعزمت على ان أرحل ناقتي في وقتي ويومي وان ذلك التغلس والتهجير في جنب ما بشرت به لحقير وان موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير وقد كنت سألت شيخي حين ورد دمشق الشام واستنشم العرر الشام وشرفني فعرفني وشاهدني فعاهدني على ان يجري ما دار بيننا ذي المحاورة من المسامرة والمحاورة في ديباجة ذلك الكتاب الذي فتن العقول خبره وسحر الالباب وما قصدت الا أن يجري اسمي على قلمه ويرقم رسمي في مطاوي تحريره ورقمه ويكون ذكري مختلطا بذكره كما أن سري مرتبط في المحبة بسره فرأيت شيخي لم يتعد في أثناء هذه البشرى لما فهمني بالذكرى لانظر النجاح في الاخرى ولم يساعدني على ذلك الملتمس وحبس عنان القلم فاحتبس فانكسرت سورة سروري بفتوري وتبين لنفسي عن بلوغ ذلك الامل تخلفي وقصوري انتهى

قال) بعد كلام طويل لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض مانصورته

وحسدت أن سيدي وحاشاه نسي من ليس ينساه ونشدت به انتشدون لامور تكون وهل يرضى سيدي وشيخي أن يهدي لدنياي طبق ثم الاخرى على ذلك انه ثلث أن خطه هو ازروضة الغنا لابل جنة المأوى فطوبى لنفسي ان جنت ثمر ولعمر شيخي اني بذلك لجدير واني كنت أملك به الخورنق والسدير انتهى

بالغرض من ذلك الرقيم الذي شكل منطقه غير عقيم سلك الله تعالى بي وبمن وجهها المستقيم وأتى في المكتوب بانواع من البلاغة مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه بهذا الامر الخاص الذي يسر الكارع الادب مساغه وختمه بقصيدة نفيسة من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد وأشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد وما دلت الا بالذي علمت سعد * وهذه صورتها

ياسيدا أفديه بالاكثر * من أصغر العالم والاكبر
وياوحيدا ليس مثل له * عطارد أنت مع المشتري
ويامجيدا ليس عندي له * الامقال المادح المكثر
أقسمت بالبيت العتيق الذي * حجت اليه الناس والمشعر

والغ دون من لبس ببالغ وكانت

الالواح التي انزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد اخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل راى قوما من بني اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فارتعد فسقطت الالواح من يده فتكسر جميعها واودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله في الهيكل وكان هرون كاهنا وهو قيم الهيكل وانزل الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التيه وقبض هرون في التيه ودفن في جبل من جبال الشراة مما يلي الطور وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دوي عظيم يجزع منه كل ذي روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع في تلك المغارة وبهذا الموضع عجائب قد ذكرناها في كتابنا اخبار الزمان من الامم الماضية والممالك الدائرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ما وصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة اشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائة وعشرين وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشام وكانت له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعريانين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم

مالعلا

ما للعلا والعلم الا ابو الـعباس شيخي أحمد المقري
ذاك الذي آثرني منه بالـعلم الذي للغير لم يؤثر
وخصني منه باشياء لم * يفز بها غيري ولم يعثر
فرحت بـبـداذا وفاء له * معـترفا بالرق لا امتري
فيا أبا العباس يا من غدا * أعظم في نفسي من معشري
ومن اذا ما غاب عن ناظري * كان بسر القلب كالمحضر
هات أفدني سيدي عن علا الـمولى لسان الدين ذاك السري
ذاك الوحيد الفذ في عصره * بل أوحد الادهر والاعصر
ذاك الذي أخبرني سيدي * عنه مزايا بعد لم تحصر
ذاك الذي أعيوف لا يعتلي * الى معاليه ولا تجتري
ما قد وعدت العبد في جمعه * من خبر عن فضله مسفر
بخطك الوضاح وهو الذي * مخبره يربي على المنظر
والشئ لا يرجى اذا ما غدا * مخبره يربي على المخبر
نقش على طرس بياض كما * لاحت عيون ارشا الاحور
وأسطر قد سلسلت مثل ما * لاح عذار الشادن الاحور
ونزهة الانفس معنى غدا * ما بينها ينساب كالكوثر
عذب رقيق مثل ظبي غدا * يلوح طاوي الكشح أو جؤذر
آثار أقلامك وهي التي * أغنت عن الابيض والاسمر
يراعك الجامع راو غدا * يروي اللعي عن لفظك الجوهري
ينثر مسكا تارة ناظما * وينظم الجوهر بالعنبر
هذا ابن شاهين الفتى أحمد * عن ذكرك المأنوس لم يفتر
فاجعل له ذكرا كريما به * يردان مغبوطا الى المحشر
واذكر بيوتاني وكل الذي * كتبته نحوك في دفتري
أنت جدير بمديحي فكن * ذا كرعبد بالوفا أجدر
وها كها سيارة انفقت * على جواد كان للبحتري
طرف كريم سابق صافن * بذهن ذي ادب او فر
ورثته منه ولكنما * من شاعر واتى الى أشعر
ما للفتى الطائي شوط امرئ * يصطاد نسر الجو بالمنسر
واسلم لعبد لا يرى سيدا * سوى الذي في ثوبك الاطهر
في كرم العنصر فرد اغدا * طبعك فاشكر كرم العنصر
ما حن مشتاق أخو صبوة * الى خليل في الهوى مسكر   انتهت

فلما وصلني هذا الخطاب الذي ملأ من الفصاحة الوطاب وحلي في عيني وقلبي وطاب تحركت دواعي الوجد لذلك المجد الذي ولعت به ولوع ابن الدمينة بصبا نجد وآثار من

من الطوائف على حسب ما في التوراة وانزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم انزل الله عليه التوراة بالعبرية وفيها الامر والنهي والترغيب والترهيب والسنن والاحكام وذلك في خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من سبعمائة الف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا واوصى الى الكاهن بعد هرون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم تحدث لموسى ولا لهرون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع فاوقع ببلاد اريحاء من أرض الغور وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقى ولا تتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كفولى وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب

الهيام والاوار مابزيد على ماحصل للمرزدفى لما فارق النوار وضاعف الشوق الى تلك الانجاد والاغوار منشدا قول الاول لعل أبى المغوار وتدكرت والذكرى شجون واطوار تلك الاضواء والانوار المشرفة بقطر أزهر بالمحاسن وجرى نهره غير آسن فلم يذم فيه الجوار

وان اصطبارى عن معاهد جلق * غريب فما أجفى الفراق واجفانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت بها من شدّة الشوق أجفانى

وحصل التصميم على التكميل للتاليف والتتميم رعيا لهذا الولى الحميم أفاض الله تعالى عليه غيث البر العميم وأبقى ظل عزه ممدودا وحلى سودده مودودا وأناله من الخيرات ماليس محصورا ولا معدودا وجمعنى واياه واطلع لى بشر محياه وانشقنى عرف اجتماعه ورياه وكيف لا أستديم أمد بقياه وأعتقد البشائر فى لقياه واسقى غروس الود بسقياه وهو الصدر الذى أصفى لى الوداد والركن الذى لى بثبوته اعتماد واعتداد

فعليه من مصفى هواه تحية * كالمسك لما فض عنه ختام
تترى بساحته السنية مادعت * فوق الغصون هديلهن حمام

ودامت فضائله طاهرة كالشمس محروسة بالسبع المثانى معوّذة بالخمس

ولا انفك مايرجوه أقرب من غد * ولازال مايخشاه أبعد من أمس

وبقى من العناية فى حرم امين آمين * (ولما) حصل لى كمال الاغتباط بما دل على صحة حال الارتباط نشر بساط الانبساط وحدثت لى قوّة النشاط وانقشعت عنى سحائب الكسل وانجابت وناديت فكرى فلبت مع ضعفها وأجابت فاقتدحت من القريحة زندا كان شحاحا وجمعت من مقيدانى حساما وصحاحا وكنت كتبت شطره وتيسر هامشه وسطره ورقت من انباء لسان الدين بن الخطيب ما لا تخلق جدته وسلكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطا وتقصر بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعتنى به الاسلام وينصر مفاخره الباسقة ومآثر أهلها المتناسقة لان كل ذلك لايستوفيه النظم ولا يحصر من النثم والنثر بنبذة توضح للطالب سبله وتقهر خلمه ونبله وتترع كأس محاسنه المذاكرة واناؤه حتى يرى حسن هذا التأليف ابناء هذا التصنيف وادباؤه بالمغرب وظلال الشباب ضافية وسماء الافكار من نزع الاكدار صافية معنيا بالفحص عن أبناء أبناء الاندلس واخبار اهلها التى تنشرح لها الصدور والانفس ومالهم من السبق فى ميدان العلوم والتقدم فى جهاد العدوّ الظلوم ومحاسن بلادهم ومواطن جدالهم وجلادهم حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الافاضل الاخاير وانتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر واقتطفت ازاهر أنجمها فى افق المحاضرة زواهر وحصلت فوائد بواطن وظواهر طالما كانت اعين الالباء لنيلها سواهر وجمعت من ذلك كلما عالية لو خاطب بها الداعى صم الجلامد لانبجس حجرها وحكما غالية لو عامل بها الايام ربح متجرها واسجاعا تستنزل الاعطاف ومواعظ يعمل بمقتضاها من حفت به الالطاف وقوافى موفورة

نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا عن مائها فيغوص فى وسطها وهو نهر عظيم فلا يدرى اين غاص من غيران يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة اعنى المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد اتينا على ذلك فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الدائرة وذكرنا اخبار الاحجار التى تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودى وذكرته الفلاسفة واستعملته فى العلاج به وجع الحصاة فى المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة يخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله اعلم بحيرة لا يتكون فيها دود وروح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها بيلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة وهى المعروفة بكبوذان وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كبوذان ويأتى على قياس قولهم ان تكون عينهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشأم

القوادم والخوافي يثني عليها من سلم من الغباوة والصمم ويعترف ببراعتها من لا يعتريه الألم وطالما اعرض الجاهل الغمر بوجهه عن مثله واشاح وانصتت لها الحرا صات السوار بجرس الحلي ونغم الوشاح ونرجو ان ظفر بشيء منها فرح الصائب بالقنيص والسارى الغارى ذى البطن الخميص بالزاد والقميص وتركت الجمح بالمغرب ولم استصحب معى منه ما يبين عن المقصود ويعرب الا نزرا يسيرا علق بحفظي وحليت بجواهره جيد لفظي وبعض اوراق سعد في جواب السؤال بها حظي ولو حضرني الآن ما خلفته مما جمعت في ذلك الغرض والفته لقرت به عيون وسرت الباب اذ هو والله الغاية في هذا الباب ولكن المرء ابن وقته وساعته وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته وعذر مثلي باد للمنصفين من العباد ان قصرت فيما تصرت أو تخلفت في الذي تكلفت أو أ نعت تحريرها وتنقيحت والتقمت ثدى التقصير ورضعت أو أطعت داعي التواني فتأخرت عمن سبق وانقطعت ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ومن كانت بضاعته مزجاة فهو من الانصاف بنجاة اذا أتى بالمقدور وتبرأ من الدعوى في الورود والصدور وعين الرضا عن كل عيب كليلة والسلامة من الملامة متعذرة أو قليلة وقد قال امامنا مالك صاحب المذهب ان الحاله كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ازكى صلاة وأتم سلام وشفع جناده من الآلام تلوينا الملة وجعلنا ممن كان اتباع سنته رائده ودليله آمين والحمد لله الذي يسر لي هذا القدر مع ضيق الصدر وقلة بضاعتي وكثرة اضاعتي فان حمده جل جلاله تتضوع به المطالب طيبا وتغدى ببركته المآرب فيرقى صاحبها على منبر القبول خطيبا وتعذب به المشارب فتنبت في أرض القرطاس من زاكي الغراس ما يروق ويراو بورق غصنا رطيبا وقد أتيت من المقال بما يقر ان شاء الله تعالى العين ومن قال وان كنت ممن هو في ثوب الحي رافل وعن نسبته للقصور غير غافل ومن نفس هدفا وصيره كان الدر صدفا اذ لسان الدين بن الخطيب امام هذه الفنون وذوى الآمال الفنون المستخرج من بحار البلاغة دره المكنون وله اليد الطولى في اختلاف أجناسها والالفاظ الرائقة التي تزيح وحشة الانفس بايناسها

ناهيك من فرد أتم مدح ❊ رحب الذراع الكلام محمد
بهر الانام رياسة وسياسة ❊ وجلالة في المنتمى والمحتد
وأتى بكل بديعة في نوعها ❊ لم تختزع وغريبة لم تعهد
ماشئت من شعر أرق من الصبا ❊ وكتابة أزهى من الزهر الندى
وبديع قرطاس توشح متنه ❊ بمنمنم من رقمه ومنجد
بهج كأن الحسن حل أديمه ❊ فكساه رونق الشباب الاغيد
كالبرد في توشيعه والسلك في ❊ ترصيعه والوشي نمق باليد
وكأنما سال العذار عليه أو ❊ خطته أيدي الغانيات بأثمد
يختال بين موصل ومفصل ❊ ومطرز بمنظم ومنضد
قيد الابصار والافكار من ❊ ألفاظه بمثقف ومقيد

وكانت مدة يوشع بن نون في بني اسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محاربته الملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين ففي ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمي

ألم تر ان العلقمي بن هوبر ❊ بايلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل ❊ ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا
فامست عداد العماليق بعده ❊ على الارض مشيا مصعدين وفزعا
كأن لم يكونوا بين أجبال مكة ❊ ولم يرراء قبل ذاك السميدعا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ماب بن لوط ابن هاران وكان مستجاب الدعوة فسأله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتأت له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام في بني اسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب) ابن يوفنا بن بارص بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودي) ووجدت

مافيـه معرز أصبح الاوفيـه نتيجة لمفرع ومولد
ولكل جزء حكمة أو ملحة * أودعة لمرسل ومقصد
أولس مثلى قاصراعن وصفه * والحق نور واضح للمهتدى

وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت الممنون وفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون

ليت شعرى أى العبارات توفى * واجب ابن الخطيب مما أروم
وأنا عاجز عن البعض منها * لقصوري وما العيي ملوم
وهو بدى اسان دين وبا يسلك افتداره تم الرسوم
نباى الحلى أحلى على من * مال فضلا روته عرب وروم
وعلى الغرض ما الذى أنتحى منه لدى الوصف ان يخص العموم
أحفظ قدار توى من معين * لصواب عليه كل يحوم
أم انهم يستخرج الدر غوصا * من بحار يخشى بها من يعوم
أم انكر مؤلف فى فنون * عن دهاء به نداوى الكلوم
أم لنظم كأنه جوهر السلك غلا قدره على من يسوم
تتباهى به الصدور حليا * ونروق العيون منه نجوم
أم انثر وافى بسحر بيان * فهو كالروح والمعانى جسوم
وأظلنه للبديع سماء * تتلالا فى جانبيها العلوم
فاستزادت منه النفوس رشادا * واستزانت منه النهى والحلوم
أم تخذ منهم فاق حسنا * مثل وشى تلوح منه الرقوم
أوكزهر فى بهجة ورواء * وأريج به تزاح الغموم
والغصون الاقلام والطرس روض * ناضر والمداد غيث سجوم
تلك ست أعجزن وصفى فانى * بسواها مما يحل أقوم

ولم يكن جمع علم الله هذا التأليف لرفد أستمد به أو عرض نائل أستزيد به بل لحق ودين وعد أدمه وأبديه ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبية داع أحييه وأعذر

ان من يرجو نوال الورى * من بنى الدنيا لذو حظ غبين
فلقد كان على غير الهدى * من يسويهم برب العالمين
ويرجى منهم الرزق فهل * خالق الكل فقير أو ضنين
أتخلى قصد رب مالك * ونرى للخلق جهلا قاصدين
مالنا من مخلص نأتى به * غير جاه المصطفى الهادى الامين
سيد الخلق العماد المرتجى * للملمات شفيع المذنبين
فعليه صلوات تنتمى * حضرة حل بها فى كل حين
والرضا من بعد عن أربعة * هم بحق أمراء المؤمنين
فبهم الان من يهواهم * ليكونن من أصحاب اليمين

وملك (عمايل) بن قاشم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان بنى اسرائيل كثرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بنى اسرائيل (علان) الاخرى أربعين سنة (ثم قام سمويه) الى أن ولى بهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص ابن العازر بن هرون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خابية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فاذا مغارة تحتها صخرة ثابتة فوضع الخابية فيها وانضمت الصخرة على ذلك كما كانت أولا ولما هلك فينحاس بن العزر دبر امرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بنى اسرائيل واخذهم البلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال بن قناز اخو كالاب من سبط يهودا اربعين سنة ثم دبرهم عفلون ملك هاب بجهد شديد ثمانى عشرة سنة ثم دبرهم اهود من ولد افرايم

وسط جنات تحييه بها * آنسات قاصرات الطرف عين
بقوارير يجين شربه * واباريق وكاس من معين
والذي شرفهم يمنحنا * حبهم والكون معهم اجمعين

فدونك ايها الناظر في هذا الكتاب المتجافي عن مذهب التقصد والعتاب كلمات سوانح اختلست مع اشتغال الجوانح وتفاد الامور اللوائح ولوائح والعاطب بوارح فقنصت بين اشتغال الجوارح وطرقا أسمت الطرف في مرعاها او كانت هملا غير سوارح ونحفا يحصل بها لناظره الامتاع ولا يعدها من سقط المتاع المتاع ويلهج بها المرتاح ويستانس المستوحش المرتاع

وبعد ان خمنت تمام هذا التصنيف وامعنت النظر فيما يحصل به التفريط لجامعه والتشنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطلوب بحسبان اسمه باسمين

(القسم الاول) فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب والانباء المنبئة صوب الصواب الرائقة من الادلة في سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول) في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المنافع والمحاسن واحتوائها وكرم نباتها الذي سقته سماء البركات من جنباتها بنافع انوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من اضوائها

(الباب الثاني) في القاء بلاد الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحال الارتياء والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد ونبا وصل اليه اعتيام وتقرر به اعتماد

(الباب الثالث) في سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامي العماد والقهر للعدو والتحرك للهدو البالغ غايته الآماد واعمال اهلها للجهاد بالجد والاجتهاد في الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المسللة من الاغماد

(الباب الرابع) في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموي ذي البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرتي الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقضي بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة

(الباب الخامس) في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العراق والشام ومدح جماعة من اولئك الاعلام ذوي الالباب الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها ذوي السودد والاحتشام ومخاطباتهم للمؤلف المقترحين حلها عام سبعة وثلاثين والف وشاهد برق فتنتها المبين وشام

(الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق المهتدين في

خمسا وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة خلت من ايامه تم للعالم اربعة آلاف سنة ٩٥ وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن اهون خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امراة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبط نفتالي يقال له بازاق اربعين سنة تداولهم رؤساء بني اسرائيل وهم عريب ورسب ورسونا ودارع وصالاع سبع سنين وثلاثة اشهر ثم دبرهم كدعون من آل منشا اربعين سنة وقيل سلوك مدين ثم ابنه ابيمالخ ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم تولع من آل فراين ثلاثة وعشرين سنة ثم يائير من آل منشا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم يفتحون من سبط ... سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين اربعين سنة ثم عالي الكاهن بعد ذلك اربعين سنة وفي زمانه ظفر البابليون ببني اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فبقي منهم ثلاثة أسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة

قصدهم اليها بسور المدينة المشرق والاكابر الذين حلوا منها بحلولهم فيها الجيد والمفرق وانفردوا برؤية قطرها المونق لى المشئم والمعرق

(الباب السابع) فى نبذة مما من الله تعالى به على اهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم فى اكتساب المعارف والمعالى ما عز اوهان وحوزهم فى ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم واوصافهم المؤذنة بالمعيتهم وغير ذلك من احوالهم التى هى على فضلهم اوضح برهان

(الباب الثامن) فى ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه المكايد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بكره واستعماله فى امرها حيل فكره حتى استولى دمره الله عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأى الخبيث لديها واستغاثة من بها بالنظم والنثر اهل ذلك العصر من سائر الاقطار حين تعذرت بحصارها مع دار حماتهم وانصارها المآرب والاوطار وجاءها لا سداء من خلفها ومن بين يديها اعادها الله تعالى اليها كلمة الاسلام واقام بها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حواليها امين ولم اخل بابا فى هذا القسم من كلام للسان الدين بن الخطيب وان قل مع ان القسم الثانى بذلك كما تقف عليه قد استقل وهذا آخر ما تعلق بالقسم الاول وعلى الله سبحانه المتكل والمعول

(القسم الثانى) فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر انبائه التى يروق سماعها ويترجح نفعها ويطيب وما يناسبها من أحوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شؤون الكلام والاستطراد وقد تضمن الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب

(الباب الاول) فى ذكر أولية لسان الدين وذكر اسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضى اخلاقه وما يناسب ذلك مما الى مذهب المنصف الى خلافه

(الباب الثانى)* فى نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته فى مصافاته ومنافاته وارتباكه فى شباكه وما نالنى من احن الحسدة ذوى المذهب الفاسد ومحن الكائد المستاسد وآفاته وذكر نصوره واهواله وغير ذلك من احواله فى تغلباته عند ما قابله الزمان باهواله فى بدئه واعادته الى وفاته

(الباب الثالث) فى ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة وما يتصل بذلك من الاخبار الشافية للعلة والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة والمناسبات الواضحة البراهين والادلة

(الباب الرابع) فى مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العلية وثناء غير واحد من اهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم انوار رياسته الجلية

(الباب الخامس) فى ايراد جملة من نثره الذى عبق ارج البلاغة من نفحاته ونظمه الذى بالغ نور البراعة من لحنه وصفحاته وما يتصل بذلك من بعض أزجاله وموشحاته

لا ولا سمعت بقوم فروا من الله فرارهم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة ايام حتى تواعى آخرهم ودبر بنى اسرائيل بعد عالى الكاهن شمويل بن بروحام ابن ماحور اوتى ملكه فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح امرهم ثم خلطوا بعد ذلك فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل معه فى سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن شر بن ابنال بن طرون بن بحرون بن أذى بن سمبدا بن فالح بن بنيامين ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل من مصر الى ان ملك على بنى اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل فى كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم

وزاده بسطة فى العلم والجسم واخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية ومناسبات

ومحسبات روائعه من فنون الادب ومصطلحاته

(الباب السادس) في مصنفاته في الفنون ومؤلفاته المحققة للوقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

(الباب السابع) في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه والمقتبسين انوار الفهوم من سراجه الوهاج

(الباب الثامن) في ذكر اولاده الرافلين في حلل الجلالة المقتفين اوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والحلم والرياسة والمجد عن غير كلالة ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا المنقذة من أنواع الضلالة وما يتبع ذلك من المناسبات القوية والامداح النبوية التي لها على حسن الختام اظهر دلالة (وقد كنت) ولا سميته بعرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمته حين ألحقت اخبار الاندلس به (بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وله بالشام تعلق من وجوه عديدة هادية لمتامله الى الطرق السديدة أولها أن الداعي لتاليفه أهل الشام أبقى الله مآثرهم وجعلها على مر الزمان مديدة ثانيها أن الفاتحين للاندلس هم أهل الشام ذو والنجدة والشوكة الحديدة ثالثها أن غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستانفا وحضرة جديدة ورابعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء وهذه مناسبة قوية العرى شديدة * هذا واني أسال ممن وقف عليه أن ينظر بعين الاغضاء اليه كما أطلب ممن كان السبب في تصنيفه والداعي الى تاليفه وترصيفه استنادا الى ركن الثقة واعتمادا على الودوالمقة ان يصفح عما وقع فيه من قصور و يسمح و يلاحظه بعين الرضا الكليلة ويلمح اذ ركبت شكل منطقه [illegible] غالبة وقضية الغربة موجبة للكربة وبعض الآمال سالبة وهو [illegible] في بكل الغرض فلا يخلو من فائدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض فان أديت [illegible] بذلك المرام الذي ارتضيه ويوجب الود ويقتضيه والا فحسبي أني بذلت به جهدي [illegible] من وجدي على قدر ما عندي وقد توهمت أني لم أسبق الى مثله في بابه اذ لم أقف [illegible] نظير أتعلق باسبابه ورجوت أن يكون هدية مستملحة مستعذبة وطرفة مقبولة [illegible] مستغربة

هديتي تقصر عن همتي * وهمتي أكثر من مالي
وخالص الود ومحض الاخا * اكثر ما يهديه امثالي

وأوردت فيه من نظم وانشاء ما يكفي المقتصر عليه ان شاء ومن اخبار ملوك ورؤساء وطبقات من احسن واساء ما فيه اعتبار للمتامل وادكار للراحل المتحمل وزينة للذاكر المتجمل وتنكيت على أهل البطر وتبكيت لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة اوطر

اري اولاد آدم ابطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا و أولهم مني * اذا نسبوا وآخرهم منيه

حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وغيرهم وجالوت بن بالول بن ريال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بني اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك في كتابه وأمروا كيف يشربون من النهر ولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه و يتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان في مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهي التي قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا في الماء

وخالفوا ما أمروا به كان القائل لهم طالوت وقد أنبأ على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت

وفيه ايقاظ لمتلى من سنة الغفلة وحث على عدم الاغترار بمهلة وتنبيه للابس برد الشباب المشيب انه لابد من حادث الموت قبل أو بعد المشيب

لله در الشيب من واعظ * وناصح منهاجه واضح
كل امرئ يحجبه شانه * وحادث الدهر له فاضح

وكم باك على عصر الشباب وشاك افتراق عهد الاحباب أنساه طارق الزمان بمى والرباب

مضى عصر الشباب كلمح برق * وعصر الشيب بالاكدار شيبا
وما اعددت قبل الموت زادا * ليوم يجعل الولدان شيبا

وما احسن قول بعض الاعلام

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث احلام

وقول من ارشد سفيها

انما هذه الحياة متاع * فالجهول الجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى انت فيها

وفى معناه لغيره

دنياك شيئان فانظر * ماذانك الشيئان
ما فات منها فحلم * وما بقى فامانى

وما احكم قول ابن حطان مع وقوعه من البدعة فى أشطان

يا أسف المرء على ما فاته * من لبانات اذا لم يقضها
وتراه ضاحكا مستبشرا * بالذى امضى كأن لم يمضها
انما هى كاحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

ولغيره

والله لو كانت الدنيا باجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

ولآخر

لاحظ فى الدنيا لمستبصر * يلمحها بالفكرة الباصره
ان كدرت مشربه ملها * وان صفت كدرت الآخره

ويعجبنى قول الوزير ابن المغربى

انى ابثك من حديثى والحديث له شجون
فارقت موضع مرقدى * ليلا ففارقنى السكون
قل لى فأول ليلة * للقبر كيف ترى اكون

ولقول مامية

تأمل فى الوجود بعين فكر * ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من داود فى الحروب وخبر الدهل [illegible] ... [illegible] ... [illegible] فى أخبار [illegible] بعد هذا [illegible] من [illegible] البربر ونزولهم فى البلاد فى موضع الذى بهم الى هذا الكتاب (وورث الله داود) واتى [illegible] ذكر طالوت [illegible] داود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه ابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك [illegible] من ذلك [illegible] ناحيه فى [illegible] داود فتباطأت على سرير ملكه [illegible] كذا وانقادت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكان ملك طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذى قتل فيه جالوت بيسان من ارض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه

وحارب داود أهل مواب من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة

وقول بعض العارفين

استعدي يا نفس للموت واسعي * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحي خلود وما من الموت بد
انما أنت مستعيرة ما سو * ف تردين والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا تسهو وتلهين والمنايا تجد
أي ملك في الارض أو أي حظ * لامرئ حظه من الارض لحد
لا ترجي البقاء في معدن المو * ت ودار حتوفها لك ورد
كيف يرجو امرؤ لذاذة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

وأسأل من مبلغ السائلين ما يرجون أن يصفح عن زلاتي ويسامحني فيما أوردت في هذا الكتاب من الهزل والمجون الذي جرت المناسبة اليه والحديث شجون وما القصد منه الا ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الاسمار ويزجون وفيما أوردت من المواعظ والنصائح وحكايات الاولياء الذين طيب زهر مناقبهم فائح والتوسل بمحاسن الامداح النبوية أن يستر بفضله سبحانه القبائح ويرينا وجه القبول بلا اكتتام ويمنحنا الزلفى وحسن الختام ومن يتوسل بالنبي محمد شفيع البرايا السيد السند الاسنى فذلك جدير أن يكفر ذنبه ويمنح نيل القصد والختم بالحسنى وهذا أوان الشروع في الاصول من هذا الكتاب والفروع وعلى الله سبحانه أعتمد ومن معونته استمد

(القسم الاول)

فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب والانباء المنتمية الى الصواب الكافلة من الافادة في سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في ذلك من المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول)

في وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها وكرم بقعتها التي سحت عليها سحائب البركات بنافع أنوائها وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من اضوائها فاقول محاسن الاندلس لا تستوفى بعبارة ومجاري فضلها لا يشق غباره وأنى تجاري وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق (قال ابن سعيد) انما سميت بالاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها واليه تنسب سبتة (قال) وأهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لانهم اما عرب او متعربون انتهى (وقال ابن غالب) انه اندلس بن يافث والله تعالى أعلم (وقال الوزير) لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له اجرى فيه ذكر البلاد الاندلسية أعادها الله تعالى للاسلام ببركة المصطفى عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام ما نصه خص الله تعالى بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة

سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بختنصر وما يكون من أمره في المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أنور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة باورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس اعلى منه في هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المتقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية أوريا بن حيان ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدا واخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائما باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة وثنا

الناس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الانسان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها انتهى (قال أبو عامر السلمى) فى كتابه المسمى بدرر القلائد وغرر الفوائد الاندلس من الاقليم الشامى وهو خير الاقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو أوسط الاقاليم وخير الامور أوساطها انتهى (قال ابو عبيد البكرى) الاندلس شامية فى طيبها وهوائها يمانية فى اعتدالها واستوائها هندية فى عطرها وذكائها اهوازية فى عظم جباياتها صينية فى جواهر معادنها عدنية فى منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس وله الاثر فى الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والاثر فى مدينة طركونة الذى لا نظير له (قال المسعودى) بلاد الاندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع ستين يوما للفارس المجد وانتقد بامرين أحدهما أنه يقتضى أن اربونة داخلة فى جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثانى ان قوله ستين يوما للفارس المجد اعياء وافراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف (قال ابن سعيد) وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الحجارى وقد سالت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة افضى الى نحو شهر بنيف قليل (قال الحجارى) فى موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجز الى اشبونة الف ميل ونيف اه وما قاله قد يراد التقريب من غير مشاححة كما قاله ابن سعيد واطال فى ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط اربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند راسها من جهة الشرق ولقلته سميت جزيرة والا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس فى موسطها عند طليطلة ستة عشر يوما واتفقوا على ان جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا فى الركن الذى فى الشرق والجنوب فى اربونة فمن قال انه فى اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التى فى الركن الشمالى احمد بن محمد الرازى وابن حيان وفى كلام غيرهما انه فى جهة اربونة وحقق الشريف وهو اعرف بتلك الجهة لتردده فى الاسفار برا وبحرا اليها وتفرغه لهذا الفن (قال ابن سعيد) وسالت جماعة من علماء هذا الشان فاخبرونى أن الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة غير داخلتين فى ارض الاندلس وان الركن الموفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطركونة فى موضع يعرف بوادى زنلقطو وهنالك الحاجز الذى يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفى هذا المكان جبل البرت الفاصل فى الحاجز المذكور وفيه الابواب التى فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخل ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق فى البر وذكر الشريف أن هذه الابواب يقع فى مقابلتها بحر الزقاق البحر الذى بين جزيرتى ميورقة ومنورقة فقد اخبر بذلك

جمهور

سليمان بن داود عليه السلام وورع وداخل أباه فى قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عزوجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ابنه سليمان وقبض وكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين الفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب باس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة فى عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا من الله عزوجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا فى الارض مظهرا للحكمة والزهد فى هذا العالم الى ايام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وعم عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذى بارك الله عزوجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذى يسمى فى وقتنا هذا كنيسة القمامة وهى الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس

جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل وهي من مدن الافرنجة مطلة على البحر المحيط في شمال الاندلس وفي جنوبه والبر بعد ممتد من هذا الركن الى الشمال في بلاد افرنجة ولهم به جزائر كثيرة ويذكر أن الركن الشمالي عند شنت ياقوه من ساحل الجلالقة في شمال الاندلس حيث تبتدئ جزيرة برطانيه الكبيرة وتنحرف هنالك بحر داخل بين أرضين من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط ملتويا الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل (وذكر الشريف) أن عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور على جبل يخرج في البحر بنيانا صنما مشبها بصنم قادس والركن الثالث بمرية من جبل الاغر حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من مرية مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى جبل البرت المذكور انتهى والكلام في مثل هذا طويل الذيل *(قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي) بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام ذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وسطة من الحال لا يتولد في أحدهما فصل يتولد في سائر ما يتلوه انتقاص تتصل فواكهه أكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره وأما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيستأخر بالكثير من ثمره فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل الاحيان وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره منها أن المحلب وهو المقدم وبرانشم ثانويه والمعسل في أنواع الاشتمان لا ينبت بشيء من الارض الا بالهند والاندلس وبالاندلس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها جعل البر والبحر والسهل والوعر وشكلها مثلث وهي معتمدة على ثلاثة أركان الاول الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي الذي يقبلي الاندلس والركن الثاني هو بشرقي الاندلس بين مدينة نربونه ومدينة برديل مما بأيدي الفرنجة اليوم بازاء جزيرتي ميورقة ومنورقة مجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة التي بلد افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ومدينة نربونه تقابل البحر المحيط والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على البحر وفيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية قال والاندلس اندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان انهارها أندلس غربي وأندلس شرقي فالغربي منهما ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية ومبدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف الى بلد شنتمرية طالعا الى حوز اغريطة الجزيرة المستطيلة مائلا الى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة

منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون ان فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

*(ذكر مالك بن رحبعم ابن سليمان بن داود عليهما السلام ومن ملك من بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء):

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الا سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان ملكه الى أن هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة اسباط (نورهم) وكانت له كرائن وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (نودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم يبق منهم الا غلام

الجانب الآخر من الاندلس وهو الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى وتجري أوديته الى الشرق وأمطاره بالريح الشرقية وهو من حد جبل البشكنس هابطا مع وادي ابرة الى بلد شنتمرية ثم الى جوف هذا البحر وغربه المحيط وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج الى بلد الشام وهو البحر المسمى ببحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى. قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام بلد الاندلس عند علماء أهله اندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط المنصب عدما اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة والاندلس الغربي ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقي منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربي يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وجباله هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل وانما [illegible] الاوائل جزءين لاختلافهما في حال أمطارهما وذلك أنه مهما استحكمت الريح الغربية كثر مطر الاندلس الغربي وقحط الاندلس الشرقي ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الاندلس الشرقي وقحط الغربي وأوديته هذا القسم تجري من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبلا بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصب كلها الى البحر المحيط بالاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوفي الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فان أوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف (وصفة الاندلس) شكل مركن على مثال الشكل المثلث ركنها الواحد فيما بين الجنوب والغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنها الثاني في بلد جليقية حيث الصنم المشبه بصنم قادس مقابل جزيرة برطانية وركنها الثالث بين مدينة اربونة ومدينة برديل من بلد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرة بينهما في الحقيقة لولا أنه بقي بينهما برزخ الى بحر او عمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة التي وبعض الابواب ومن قبله يتصل بلد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة دار وجنس اختلافه قال واول من سكن بالاندلس على قديم الايام فيما نقله الاخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالاندلش معجمة الشين بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرا على دين التمجس والاهمال والافساد في الارض ثم أخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها وغارت عيونها ويبست أنهارها وبادت أشجارها فهلك أكثرهم وفر من قدر على الفرار منهم فاقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة وذلك من حد بلد افرنجة الى حد بحر الغرب الاخضر وكان مدة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا

فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعله فقتلوه ١٦ وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذي بقي من نسل داود فلك وله سبع سنين فاقام ملكا اربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (امليصا) وكان ملكه اثنين وخمسين سنة وكان في عصره (شعياء) النبي ولشعياء عجائب واخبار وكانت له حروب قد اتينا على ذكرها في كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوفا) ابن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (احام) فاظهر عبادة الاصنام فطغى واظهر البغي فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعبعس وكان من عظماء ملوك بابل وكانت له مع بني اسرائيل حروب الى ان اسره البابلي وخرب مدن الاسباط وسباهم وكان في ايامه تنازع بين اليهود في الديانة وبدء فيهم الاسامرة وانكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وابوا ان يكون بعد موسى نبي [illegible] وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران والاسامرة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعرا وهي بين الرملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس واكثرهم في هذه المدينة اعني نابلس ولهم جبل يقال له طور بيك وللاسامرة [illegible] منهم

منهم لامحال توالي على أهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم جماعة في السفن مع قائد من قبله يدعى ابطريقس فارسوا بريف الاندلس الغربي واحتلوا جزيرة قادس فصادفوا الاندلس قد امطرت وخصبت فجرت انهارها وانفجرت عيونها وحييت اشجارها فنزلوا الاندلس مغتبطين وسكنوا فيها معمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا في عمارة الارض ما بين الساحل الذي أرسوا فيه بغربيها الى بلاد الافرنجة من شرقيها ونصبوا من انفسهم ملوكا ضبطوا أمرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على ديانة من قبلهم من الجاهلية وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من ارض اشبيلية ابتنوها وسكنوها فاتسق ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخمسين عاما الى ان اهلكهم الله تعالى وسحقهم بعجم رومة بعد ان ملك من هؤلاء الافارقة في مدتهم ثلاثة احد عشر ملكا ثم صار ملك الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية وذكر بعضهم ان اسمه اصبهان فاحيل بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب اسمها عليه وهو الذي بنى اشبيلية وكان اشبان هذا اسم الاطالب البلد اشبيلية الذي كان يسكنه اشبان هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كله فالعجم الآن يسمونه اشبانية لآثار اشبان هذا فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة ثم ما سلطه الله عليهم في جموعه فعض عساكره وأثخن فيهم ونزل لهم بقاعدتهم طالقة وقد تحصنوا بها منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتحها الله له وقتلهم واستوت له مملكة الاندلس بأسرها وذان له من بها فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار مملكته واستعلت سلطنته في الارض وكثرت جموعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايليا وهي القدس الشريف من اشبيلية بعد سنتين من ملكه خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق مائة ألف ونقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتد سلطانه انتهى (وذكر بعض المؤرخين) أن الغرائب التي اصيبت في مغانم الاندلس أيام فتحها كمائدة سليمان عليه الصلاة والسلام التي ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وقليلة الدر التي ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف الذخائر انما كانت مما صار لاشبان صاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحها مع بختنصر وكان اسم ذلك الملك بريان وفي سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت الجن تأتي به نبي الله سليمان على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى (وقال غير واحد من المؤرخين) كان أهل المغرب الاقصى يضرون باهل الاندلس لاتصال الارض ويلقون منهم الجهد الجهيد في كل وقت الى أن اجتاز بهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فاحضر المهندسين وحضر الى الزقاق فامر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشئ يسير فامر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة

بابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب النبي عليه السلام وهذه الشرعة وعندهم صنمان منبايان كتبايهم آثار اليهود واحد الصنمين يقال له الكوسان والآخر الدرمسان احد الصنمين يقول بقدم العالم وسعان غير ذلك أعرضنا عن ذكرها مخافة التطويل وان كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحل وكان ملك احام الى ان اسره الملك الثاني سبع عشرة سنة ولما أسر الملك احام ولده ولد يقال له (حزقيل احام) فاظهر عبادة الرحمن وأمر بكسر التماثيل والاصنام وفي مملكته سار (سنحاريب) ملك بابل الى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بني اسرائيل وقتل من اصحابه خلق كثيرون وسبى من الاسباط عددا كثيرا وكان ملك حزقيل الى ان هلك سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعد حزقيل ولده يقال له (ميشا) فعم شره سائر مملكته وهو الذي قتل شعياء النبي فبعث الله قسطين ملك الروم فسار اليه في الجيوش فهزم جيشه وأسره فاقام في ارض الروم عشرين سنة واطلع عما كان

عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولده يقال له (أمون) بن ميشا

التي كانت بين البحرين وبني رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل في البحر الشامي ثم فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة وأهلك امما عظيمة كانت على الشطين وطفا الماء على الرصيفين احدى عشرة قامة فاما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة العدوة فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الارض اثني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه في العدد بين لارتباط الكلام بعضه ببعض (وقال ابن سعيد) ذكر الشريف أن لاحظ لارض الاندلس في الاقليم الثالث قال ويمر بجزيرة الاندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما في سمتها من الجزائر والشمس مدبرته * والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما في سمتهما الى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلونة ثم يمر على رومية وبلادها ويشق بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبره الزهرة * والسادس يمر على ساحل الاندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه وبعض البلاد الداخلة في قشتالة وبرتقال وما في سمتها وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ومدبره عطارد ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة وغيرها من الجزائر وما في سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البيهقي وفيه تقع جزيرة تولى وجزيرتا الجبال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر انتهى (وقال بعض العلماء) ان النصارى حرموا جنة الآخرة فاعطاهم الله جنة الدنيا تامة تسلما من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شجر الى البندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الاقاليم الباردة ورب عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكر وانما يكون شئ من ذلك في الساحل لان البحر يدفئ انتهى (قال ابن حيان في المقتبس) ذكر رواة العجم ان الخضر عليه السلام وقف على اشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدن له ايام حراثته فقال له يا اشبان لذو شان وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان فاذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبياء فقال له اشبان أساخر بي رحمك الله أني يكون هذا مني وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلي ينال السلطان فقال له قد قدر ذلك فيك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد أورقت فريع لما رأى من الآية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام بخلده ووقرت في نفسه الثقة بكونه فترك الامتهان من وقته وداخل الناس وصحب اهل الباس منهم وسما به جده فارتقى في طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما أتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشرين سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده الى ان

فانهزم الضيزن وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر في الجيوش فامعن في القتل واسره ومضى به الى مصر فمات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل نيفا وملك بعده اخ له يقال له (نوفين) وهو ابو دانيال عليه السلام وفي عصره ذلك سار البختنصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان يلي وكانت نصبة الملك فامعن البختنصر في القتل لبني اسرائيل والاسر وجلاهم الى ارض العراق واخذ التوراة وما كان في بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبي من بني اسرائيل ثمانية عشر ألفا وفي هذا العصر كان (أفدنيا) النبي عليه السلام وسار بختنصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وفتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني اسرائيل فاولدها ولدا فرد بني اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زريايل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور

ن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومة امة يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن بيطه وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اتوا الاندلس من قبل رومة وكانوا يملكون افريجة معها ويبعثون عمالهم اليها فاتخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل ملكهم بها مدة الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات أمة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ من صاحب رومة وتفردوا بسلطانهم واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم فبقي باشبيلية علم الاشبانيين وريا سة اوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين في الارض يدعون الخلق الى ديانته فاختلف الناس عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان من اسرعهم اجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشندش ملك القوط فتنصر ودعا قومه الى النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخير من تنصر من ملوكهم واجمعوا على انه لم يكن فيهم اعدل منه حكما ولا أرشد رأيا ولا احسن سيرة ولا اجود تدبيرا فكان الذي ادخل النصرانية في مملكته ومضى اهلها على سنته الى اليوم وحكموا به والانجيلات في المصاحف الاربعة التي يتداعون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقت ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان غلبتهم العرب عليها واظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الاديان (فوقع في تواريخ العجم القديمة) ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتاناوينوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصري لمضي اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم الى عهد لذريق آخرهم الذي ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصفر وهو الذي دخلت عليه العرب فازالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وان مدة ايام ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنتان وأربعون سنة انتهى (وقال جماعة) ان القوط غير [illegible] وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار ملكهم ماردة واتصل ملكهم في رواية [illegible] منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل عليهم القوط واتخذوا طليطلة دار مملكة مصر ملكهم خشندش مثل ما تقدم ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون واشتهر [ذ]كر الرازي) أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى أنوائها [ال]مسمى [ال]رازي) في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه ان الاندلس في آخر الاقليم الرابع [الى الا]قاليم السبعة التي تقدم ذكرها التي هي ربع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة خصبة الناعة منبجسة العيون الغزار منفجرة الانهار الغزار قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء أكثر الازمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان وكذا سائر فصولها في اعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر بباكوره كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل اوان ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد المتقدم على أجناسه في الطيب والصبر على النار وبه شجر الخلاف

ما قام هذا الملك على عمارة أرض هم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها مما الشرائع مما كان نافعا لهم في حال الناس والاسامرة تزعم ان التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أوحى الى موسى ابن عمران عليه السلام وان تلك حرفت وبدلت وغيرت وان الذي دلها هذا الملك لانه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في ايدي الاسامرة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستة وأربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بختنصر وهو الذي ردهم ومن عليهم وفيه نظر (ودبر اسمعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام) ونبأه الله عز وجل وأرسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الأوثان فآمن طائفة منهم وكفر اكثرهم وولد اسمعيل اثنى عشر ذكرا وهم قائث وقيدار وأربل ومبسم ومسمع ودوما ودوام ومنسا وحداد وحيم وقطورا وماش وكنت ووصى ابراهيم الى ابنه اسمعيل عليه السلام ووصى اسمعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده

المعروف الافاويه المتقدم ان انواع الاشنان كثير واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها فقط وما خراسان نباتية يكثر تعداده انتهى (وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال) يوجد في ناحية دلاية من اقليم البشرة عود لا يحوج لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحة وقد سيق منه الى خيران الصقلبي صاحب المرية وان اصل منبته كان بين احجار هنالك وباشكونية جبل كثيرا ما تتوقع ريحه ريح العود الذكي اذا ارسلت فيه النار وبحر شذونة يوجد العنبر الشبيه الغربي وفي جبل منت ايون الخلب ويوجد بالاندلس القسط الطيب والسنبل الطيب والجنطيانا يحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقار رفيع والمر الطيب بقلنة اربونة واطيب كبر ماء الارض بشذونة درهم منه يعدل دراهم من المجلوبة واطيب القرمز قرمز الاندلس واكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد وقد يوجد في غيره او لي بقرب بقرية من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد بجبل شعيران وهو شرقي بيرة وحجر النجادي يوجد بناحية مدينة الاشبونة في جبل هنالك يتلألأ فيه ليلا كالسراج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة الا انه دقيق جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانة في خندق يعرف بقرية باشرة أشكالا مخلقة كانه مصبوغ حسن اللون صبور على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير وحجر الشادنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل ذلك في التذهيب وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت وهو انفع شيء للحصاة وحجر المرقشيثا الذهبية في جبال ابدة لا نظير لها في الدنيا من الاندلس تحمل الى جميع الآفاق لاصلها والمغنسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة الا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية يلقط منه في اقل من شهر نحو ثمانين ربعا ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير ويجمع ايضا في ساحل الاشبونة ومعادن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جنة بجانة وباقليم كرنش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونية معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة وله معادن بناحية افرنجة وليون ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هنالك يتجهز الى الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا الملام بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة وهي ازكى توتيا واقواها في صبغ النحاس وبجبال طليطلة توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل الشبيه بالاصفهاني بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من ان تحصى وما ذكرت هنا وان تكرر بعضه مع ما سبق او ياتي فهو لجمع النظائر وما لم نذكره اكثر والله تعالى اعلم (ومن خواص طليطلة) ان حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به الرفاق الى الآفاق وكذلك الصبغ السماوي انتهى (وقال المسعودي) في مروج الذهب بعد كلام ما نصه والعنبر كثير ببحر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى

قائث بن اسمعيل عليه السلام على منهج اسمعيل وملته وقيل ايضا انه كان وصي ابيه اسمعيل عليه السلام

وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهم السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير وبوخت رع الناس في ترتيب واشعياء بن اموص والياس واليسع ويونس وذي الكفل والخضر وروي عن ابن اسحق انه ارميا وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت ايساع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح عليهم السلام وهو عمران بن ماثان بن يعاقيم من ولد داود ايضا واسم ام ايساع ومريم حنة وولد لزكريا يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فطلبوه وكان لما احس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت ايساع ابنة عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما دار رجلا بعثه الله عز وجل الى بني اسرائيل فقام فيهم بامر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الأحداث في بني اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا

قرطبة

قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشدونة تبلغ الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادى وتباع بمصر اوقيته بعشرين دينارا وهو عنبر جيد ويمكن ان يكون هذا العنبر الواقع الى بحر الروم ضربته الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء وبالاندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز الى سائر بلاد الاسلام والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرر مع ماذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى اعلم (وذكر البعض) ان في بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهي الرصاص من زحل والقصدير الابيض من المشترى والحديد من قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزئبق من عطارد والفضة من القمر (وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بالرقيق بلاد الاندلس) فقال اهلها اصحاب جهاد متصل يحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امة يدعون الجلالقة يأخذون حوزتهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالحرب متصلة بينهم مالم تقع هدنة ويحاربون بالافق الشرقي امة يقال لهم الفرنجة هم اشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم اذ كانوا اخلاقا عظيمة في بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة العمارة آهلة تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجلالقة واشد باسا واحد شوكة واعظم امدادا وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم في الديانة فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بارضهم وفي ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة (قال ابن سعيد) ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربي بمكان ثم يقال له الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدار عرضه هنالك ما ذكر (وثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصره معدودة بالقرب من سبتة (وذكر) كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الاسكندر بناها يعبر عليها من بر الاندلس الى بر العدوة يعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب المجاز لانه مجمع البحرين لاتزال الامواج تتطاول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك الى مقابلة سبتة ومن هنالك ياخذ البحر في الاتساع الى ثمانمائة ميل وأزيد ومنتهاه مدينة صور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر (قال بعضهم) انها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرهما انتهى وبعضه بالمعنى (وقال بعضهم) عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة ماصورته ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى مالا ذرع له ولانهاية (وقال بعضهم) وكان مبلغ خراج الاندلس الذي كان يؤدى الى ملوك بني امية قديما ثلثمائة ألف دينار دراهم اندلسية كل سنة قوانين وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم

من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس ٧١ وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم بنت عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته في يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ماذكره الله عز وجل في كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان ايشوع الناصرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه في بعض الايام كان يقرأ في سفر اشعياء اذ نظر في السفر الى كتاب من نور فيه أنت نبيي وخالصتي اصطفيتك لنفسي فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله في ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت في هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة

ورد حاملها الثلثمر دراهم مائة ألف دينار ويتقون في أمره ونرائبهم ومؤن أهاليهم مائة ألف دينار ويدخرون لحادث ايامهم مائة ألف دينار انتهى (وذكر غيره) ان الجباية كانت بالاندلس ايام عبد الرحمن الاوسط ألف ألف دينار في السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر (وقال قاضي القضاة) ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير ما صورته كان هذا القطر الاندلسي من العدوة الشمالية من عدوتي البحر الرومي و بالجانب الغربي منها يسمى عند العجم الاندلوش فسكنه امم من افرنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالقة وكان القوط قد ملكوه وغلبوا على اهله لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الافرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط يغزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها و بين قرطبة واشبيلية وماردة وأقاموا كذلك نحوا من أربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة لملوكهم كما أن جرجير سمة لملوك صقلية انتهى (ومن اشهر بلاد الاندلس) غرناطة وقيل ان الصواب اغرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بها (وقال القلقشندي) أما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف اماثل وعلماء أكابر وشعراء افاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض والنهر شديل لكفاها (وفي بعض كلام لسان الدين) ما صورته وما لمصر تفخر بنيلها وألف منه في شنيلها يعني أن النيل عند أهل المغرب عددها ألف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل وفيها قيل

غرناطة مالها نظير ✽ ما مصر ما الشام ما العراق
ما هي الا العروس تجلى ✽ وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق لان جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الانهار وكثرة الاشجار حكاه صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الاندلس انتقل أهلها اليها فصارت المصر المقصود والمعقل الذي تنضوي اليه العساكر والجنود و يشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها وفي قبليها جبل شلير وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندي لكن ليس فيه حشائشه انتهى (ومن أعمال غرناطة) نظر لوشة و بها معدن للفضة جيد ومنها أعني لوشة أصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها و بين غرناطة مرحلة وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة النهير بشنيل ✽ (ومن أعمال غرناطة الكبار) ✽ عمل باغة والعامة يقولون بيغة واذا نسبوا اليه قالوا بيغي وقاعدته باغة طيبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه و يجود فيها الزعفران ✽ (ومن أعمال غرناطة) وادي آش و يقال وادي الاشات وهي مدينة جليلة

فيها عظام الموتى يسيل منها ريب نحس كالرب نتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين وابناء ابي زبدي الصيادين وقد ذكر أن منهم يوحنا وشمعون وبولس وهؤلاء هم الحواريون الاربع الذين منهم الانجيل فاتبعوا عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبره وولده وكيف محمد يحيي بن زكريا وهو يحيي المعمداني في بحيرة طبرية وقيل في نهر الاردن الذي يخرج من بحيرة طبرية و يجري الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب وأبى من المعجزات وما قالت اليهود الى ان رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي الانجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم عليهما السلام و يوسف النجار اعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك في كتابه ولا اخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم)

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم من الناس من راى انهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فممن ذكرنا انه نبي حنظلة بن صفوان وكان ولد اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وارسل الى أصحاب الرس وكانوا

قد أحدقت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر وفيها يقول ابو الحسن بن نزار

وادي الاشات يهيج وجدي كلما * اذكرت ما افضت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط * قد بردت لفحاته الانداء
والشمس ترغب أن تفوز بلحظة * منه فتطرف طرفها الافياء
والنهر يبسم بالحباب كأنه * سلخ نضته حية رقشاء
فلذاك تحذره الغصون فميلها * ابدا على جنباته ايماء

(ومن اعمال وادي آش) حصن جليانة وهو كبير يضاهي المدن وبه التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع بجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادي آش اثنا عشر ميلا (ومن غرائب الاندلس) ان به شجرتين من شجر القسطل وهما عظيمتان جدا احداهما بسند وادي آش والاخرى بشرة غرناطة في جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا أمر مشهور قاله ابو عبد الله بن جزي وغيره * وكانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الناس اليها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده (وذكر غير واحد) أن في كورة سرقسطة الملح الاندراني الابيض الصافي الاملس الخالص وليس في الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح (قال) وسرقسطة بناها قيصر ملك روما الذي تؤرخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس (وقيل ان موسى بن نصير) شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وحكم أنه لم شرب بالاندلس أعذب منه وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم * وبمدينة برجة وهي من اعمال المرية معدن الرصاص وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء وهو محدق بالازهار والاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني رحمه الله تعالى

رياض تعشقها سندس * توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربا * لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة * وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا قوله

حط الرحال ببرجه * وارتد لنفسك بهجه
في قلعة كلاح * ودوحة مثل لجه
فحصنها لك امن * وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها * كعمرة وهي حجه

وعانقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس في الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي حسبما انشده غير واحد منهم

من ولد اسمعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن ٧٣ وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عز وجل فقتلوه فاوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بختنصر بسير اليهم فسار اليهم فاتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما احسوا باسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في رثيته له فقال

بكت عيني لاهل الرس * رعويل وقدمان
واسلم من ابي زرع * بكال الحي قحطان

وقد حكي عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذي القرنين والناس في ذي القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك في كتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الاعصار كانوا فمنهم من زعم أنهم كانوا في زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكر ملوك الروم في هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك

في الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله ٧٤ من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد ادرك بعض الحواريين فارسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره ثالثة واحراقه واذرائه في نهره فاهلك الله عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود في كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعوه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعبرية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته انتهى

ابن سعيد

ما لقيت حيث يا تينها * الفلك من أجلك يا تينها

نهى طبيبي عنه علتي * ما للطبيب عن حياتي نهى

وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله

وحمص لا تنس لها تينها * واذكر مع التين زيا تينها

وفي بعض النسخ

لا تنس لاشبيلية تينها * واذكر مع التين زيا تينها

وهو نحو الاول لان حمص هي اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره (ونسب) ابن جزي في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الاولين للخطيب ابي محمد عبد الوهاب المالقي والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم * وقال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة كثير البركة شهيرها وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه أشجار النارنج البديعة انتهى وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى (وبكورة اشبونة) المتصلة بشنترين معدن التبر وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري (ومن اشهر مدن الاندلس) مدينة قرطبة اعادها الله تعالى للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر (وقد ذكر ابن حيان) أنه بني على امر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ونصه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله انتهى وفيها يقول بعض علماء الاندلس

باربع فاقت الامصار قرطبة * منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم اعظم شئ وهو رابعها

(وقال الحجاري في المسهب) كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في الروايه اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من أحسن الانهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالازهار تصدح في جنباته الاطيار وتنعر النواعير ويبسم النوار وقرطاها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وافقاه النعماء والسراء وان كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة أوجهها الحسان فتلك عادته وسل الخورنق والسدير وغمدان وقد أعذر بانذاره اذ لم يزل ينادي بصروفه لا أمان لا أمان وقد قال الشاعر

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبني على قدر اخطارها

انتهى وقال السلطان يعقوب المنصور ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي لاحد رؤساء اجناده ما تقول في قرطبة فخطبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله جوفها شمام وغربها قمام وقبلتها مدام والجنة هي والسلام يعني بالشمام جبال الوردو يعني بالقمام ما يؤكل اشارة الى محرث الكنبانية ويعني بالمدام النهر ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لابي عمران موسى بن سعيد العنسي ما عندك في قرطبة قال له ما كان لي أن أتكلم حتى اسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المفسحة الكبيرة والشوارع المتسعة والمباني الفخمة المشيدة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرف الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المؤمنين ما أقول (قال ابن سعيد) ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم الا ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان اثقلته صاح ما ندري اين رضاهم فنقصده ولا اين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيته من اهلها عندي ولايه واني ان كلفت العود ليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انتهى (وقال ابو الفضل التيفاشي) جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى (وحكى) الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابي بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابي بكر المخزومي قال فسألنا من اين فقلنا من قرطبة فقال متى عهدكما بها فقلنا الآن وصلنا منها فقال اقربا الي اشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم راسي وقبله وقال لي اكتب

اقرطبة الغراء هل لي اوبة ❊ اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة ❊ وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
لياليك اسحار وارضك روضة ❊ وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابي الحسن بن سراج بقوله

يا سيدي وأبي هوى وجلالة ❊ ورسول ودي أن طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها ❊ بابي الحسين وناده تمويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه ❊ اهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملا ❊ ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كانما ❊ جرت على زهر الرياض ذيولا

أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين وكان لهما فيها اخبار طويلة مع الملك ومع سليمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك في خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وجرمهما في كنيسة هناك قد ذكرناها في الكتاب الاوسط عند ذكرنا عجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لمعا من أخبارهم ان شاء الله تعالى فاما أصحاب الاخدود فانهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن في ملك ذي نواس وهو القاتل لذي سارو كان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد في الارض وملأها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه في النار فاتي بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عز وجل الطفل فقال يا أمه امضي على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها في النار وكانوا

وفى باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د بدراً أبى الحسن ان يكسفا
تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوسفا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومسجدها فى الباب المنفرد بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة (ومن اعظم مدن الاندلس اشبيلية) قال الشقندى من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى ونهرها الاعظم الذى يصعد المدّ فيه اثنين وسبعين ميلاثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت احسن اهذان ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا تمساح انتهى (ويقال) ان الذى بنى اشبيلية اسمه توليس وانه اول من سمى قيصر وانه لما دخل الاندلس اعجب بساحاتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى فى وسط المدينة قصبتين بديعتى الشان تعرفان باخوين وجعلها أم قواعد الاندلس واشتق لها اسما من رومية ومن اسمه فسماها رومية توليس انتهى (وقد تقدّم) شئ من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعة بلاد من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ فى فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه (واعلم) ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهى من الكور المجندة نزلها جند حمص ولواؤهم فى الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية ايام الحكم بن هشام الى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار * وفى اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبى وكأنها تريده لم يسمع فى الاخبار ولا روى فى الآثار صورة أبدع منها جعلت فى بعض الحمامات تعشقها جماعة من العوام وفى كورة ماردة حصن شنت أفرج فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره (ومن عجائب الاندلس) البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهى مربعة منحوتة مستوية الأطراف (وقال بعض من وصف اشبيلية) انها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقاليم الشرف واقليم الشرف على تل عال من تراب احمر مسافته اربعون ميلا فى مثلها يمشى به السائر فى ظل الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق (وقال صاحب مناهج الفكر) تنمذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يضرب المثل فى الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على

مؤمنين موحدين لا على رأى النصرانية فى هذا الوقت فضى رجل منهم يقال له دمعليان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشى لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذى يزن واستنجاده الملوك الى أن انجده انوشروان ما قد أتينا على ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى وهو خالد بن سنان بن غيث بن عبس وقد ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبى أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت فى العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدأ كل ذى دين يرد الى الله الأعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها وما بى سدى فاطفاها فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا انا دفنت فانه سيجى عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فتضرب قبرى ذلك

ذلك واديها الفرج وناديها البهج وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ويحرز في كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب أحمر طوله من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلا يشتمل على مائتين وعشرين قرية قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت انتهى * ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام بني عباد خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة وبها ولد المعتمد بن عباد وهي متصلة بكورة ماردة وجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى ابن نصير اذ كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا شهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجوّن البحر هنالك مستديرا حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة

وأقود قد ألقى على البحر متنه * فأصبح عن قود الجبال بمعزل
يعرض نحو الافق وجها كأنما * تراقب عيناه كواكب منزل

واذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج قال أبو الحسن علي ابن موسى بن سعيد أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدي أجز

انظر الى جبل الفتح * ترا كالمتنبح   فقلت
وقد تفتح مثل الافنان في شكل سرج

(وأما جزيرة طريف) فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في أربعمائة رجل فنزل بهذه الجزيرة في رمضان سنة احدى وتسعين وبعده دخل طارق والله أعلم (ومن أعظم كور الاندلس) كورة طليطلة وهي من متوسط الاندلس وكانت دار مملكة بني ذي النون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة وسماها قيصر بلسانه بزليطلة وتأويل ذلك أنت فارح فعربتها العرب وقالت طليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أمية بالثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لانها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بنى اشبيلية أخذها من بيت المقدس كما مر وقوّمت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار وقيل انها كانت من زمرد أخضر ويقال انها الآن برومة والله أعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه وقد قيل ان أواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها شيرهذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه * وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولعلنا نلم ببعض منتزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب ان

بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات دفن ورأوا ما قال فارادوا ان ينبشوه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تنسبنا العرب الى انا نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله احد فقالت كان أبي يقول هذا ونحن نورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من اخباره مما دعوا الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) وممن كان في الفترة رئاب الشني وكان من عبد القيس ثم من شن وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت احد من ولد رئاب فيدفن الا رأوا واسطا على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على احمد انه
رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وألزم طاعته كل من
على الارض من عرب او عجم

وهو اول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذي عظم
الله ملاء معضبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات

شاء الله تعالى * وطليطلة قاعدة ملك القوطيين وهي مطلة على نهر باجة وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخربت أيام الامير محمد لما عصى عليه اهلها فغزاهم واحتال في هدمها وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس

اضحت طليطلة معطلة * من أهلها في قبضة الصقر

تركت بلا أهل تؤهلها * مهجورة الاكناف كالقبر

ما كان يبقي الله قنطرة * نصبت لحمل كتائب الكفر

وسيأتي بعض اخبار طليطلة (ومن مشهور مدن الاندلس المرية) وهي على ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت في دولة المنصور ابن أبي عامر وولى عليها مولاه خيران فنسبت القلعة اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (وقال بعضهم) كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعتابي والمعاجر المدهشة والستور المكللة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها أفضل السواحل وبها قبور الملوك القديمة القريبة العجيبة وقد ألف فيها ابو جعفر بن خاتمة تاريخا فلاسماه مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية في مجلد ضخم تركته من جملة كتبي بالمغرب والله سبحانه المسؤل في جمع الشمل فله الامر من بعد ومن قبل * ووادي المرية طوله اربعون ميلا في مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مغردة (قال بعضهم) ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر مالا من أهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار أولية وكأنما غربلت ارضها من التراب * ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار انتهى (وقال ابن اليسع) عند ذكره مدينة شنترة ان من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال لي ابو عبد الله الباكوري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل بحضرة ابن عباد ان المعتاد عندهم أقل من هذا فاذا ارادوا أن يجيء بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وابقوا منه عشرا أو اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى * وبحصن شنش على مرحلة من المرية التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز ويعرف واديها بوادي طبرنش * وبغربي مالقة جبل سهيل وهو جبل عظيم

فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى وأحكم من قس وأجرى من الذي بذي الغيل من خفان أصبح خادرا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت اما بعد فان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو ارضى من دين أنتم عليه مالي اراهم يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف وقال ابياتا لا احفظها فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال انا أحفظها يا رسول الله فقال هاتها فقال

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الاوائل والاواخر

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر

ايقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني لأرجو ان يبعثه الله امة كثير

كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالاندلس الامنه (ومن كور الاندلس الشرقية تدمير) وتسمى مصر ايضا لكثرة شبهها بها لان لها ارضا يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر وصارت النصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب في قبليها * واعلم أن جزيرة الاندلس اعادها الله للاسلام مشتملة على موسطة وشرق وغرب * فالموسطة فيها من القواعد الممصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام واقطار متسعة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة فمن أعمال قرطبة استجة وبلكونة وبرة وريدة وغافق والمدور واسطبة وبيانة والبسانة والقصير وغيرها ومن أعمال طليطلة وادي الحجارة وقلعة رباح وطلمنكة وغيرها ومن أعمال جيان ابذة وبياسة وقسطلة وغيرها ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب ولوشة وغيرها ومن أعمال المرية اندرش وغيرها ومن أعمال مالقة بلش والحامة وغيرهما وبلش من الفواكه مثل مالقة وبالحامة العين الحارة على صفة واديها * واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الاعلى فمن أعمال مرسية اوريولة واقنت ولورقة وغير ذلك ومن أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك واما دانية فهي شهيرة ولها أعمال واما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الاعلى وفيها مدن وحصون ومن أعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهي أم ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة ومدينتها طرسونة وكورة وشقة ومدينتها تمريض وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايوب ومدينتها بليانة وكورة برطانية وكورة باروشة * واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن أعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن أعمال ماردة بطليوس وباجة وغيرها ومن أعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن أعمال شلب شنت رية وغيرها (وأما الجزر البحرية بالاندلس) فمنها جزيرة قادس وهي من أعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاة لان شريشا من اعمال اشبيلية كما مر قال وبها صنم قادس مفتاح واما نار بقادس ابن اخت القائد أبي عبد الله بن ميمون وهو علي بن عيسى قائد البحر بها ظنا ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيأ انتهى وهي اعني جزيرة قادس في البحر المحيط وفي المحيط الجزائر الخالدات السبع وهي غربي مدينة سلا لوح للناظر في اليوم الصاحي الخالي الجو من الابخرة الغليظة وفيها سبعة اصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولها جزيرة برطانية وهي بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه (وقال ابن سعيد) وفيه جزيرة شلطيش وهي آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يحمل مملحا الى اشبيلية وهي من كورة لبلة مضافة الى عمل أونبه انتهى (وقال بعضهم) لما اجرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس ان الزرع في بعض أقطارها يكتفي بمطرة واحدة وبها أقواس

(قال المسعودي) ولقس اشعار كثيرة وحكم وأخبار مع قيصر في الطب والزجر والفال وانواع الحكم وقد ذكرناه للثقفي كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط * ومن كان في الفترة زيد بن عمرو ابن نفيل ابو سعيد بن زيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا * ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم في فتية يشرب اذ وقع

من الحجارة المقربصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن أعجب بنائها الدواميس وهي اربعة وعشرون على صف واحد من حجارة مهندسة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة وارتفاع كل واحد اكثر من مائتي ذراع بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها الى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة واحكام بديع انتهى (قلت) أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الاندلس والله أعلم (وقال صاحب مناهج الفكر) عندما ذكر قرطاجنة وهي على البحر الرومي مدينة قديمة بقي منها آثارها فحص طوله ستة أيام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى وذكر قبل ذلك في لورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتي ميورقة ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبانة

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه حلة ريشه الطاووس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤوس

وقال يخاطب مالكها ذلك الوقت

وغمرت بالاحسان ارض ميورقه * وبنيت مالم يبنه الاسكندر

وجزيرة يابسة * واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ولو تتبع لكان تأليفا مستقلا وما أحسن قول ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
واذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقال بعضهم في طليطلة

زادت طليطلة على ما حدثوا * بلد عليه نضرة ونعيم
الله زينه فوشح خصره * نهر المجرة والغصون نجوم

ولا حرج ان أوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بحر صفوان بن ادريس الامير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانه مناسب (ونصه) مولاي امتع الله ببقائك الزمان وابناءه كما ضم على حبك احناءهم واحناءه وأوصل لك ما شئت من المن والامن كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان فانك الملك الهمام والقمر التمام ايامك غرر وحجول وفرند بهائها في صفحات الدهر يجول البست الرعية برود التأمين فتنافست فيك من نفيس ثمين وتلقت دعوات خلدك لها باليمين فكم للناس من امن بك وايناس وللايام من لوعة فيك وهيام وللاقطار من ايانات لديك واوطار وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويغتبقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون كل حزب بما لديهم فرحون محبة من الله ألقاها لك حتى على الجماد ونصرا مؤزرا تنطق به ألسنة السيوف على أفواه الاغماد ومن

عراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال أمية اتدرون ما قال قالوا لا قال فانه يقول لكم ان أمية لا يشرب الكاس الثالثة حتى يموت فقال القوم لنكذبن قوله ثم قال احسوا كاسكم فحسوها فلما انتهت النوبة اليه أغمي عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

اليكما لبيكما
ها أناذا لديكما
أنا من حفت به النعمة والحمد والشكر
ان تغفر اللهم تغفر جما
واي عبد لك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد في الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم
شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي
في رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا
فقصارى أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة وكانت فيها نفسه (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من أهل العلم بايام الناس وأخبار من سلف كأبي دأب والهيثم بن عدي وأبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد ابن السائب الكلبي ان السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم هو ان امية بن أبي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش في عير لهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى

اسرسر بره ألبسه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بأجمل اعادتها وابداءها ومن
قدم صالحا فلابد ان يوازيه ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ولما تخاصمت فيك من
الاندلس الامصار وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار كلها يفصح قولا ويقول انا
احق واولى ويصيخ الى اجابة دعوته ويصغي ويتلو اذا بشر بك ذلك ما كنا نبغي تميزت
حمص غيظا وكادت تفيظ فيظا وقالت مالهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويحرصون
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ألهم السهم الاسد والساعد الاشد والنهر
الذى يتعاقب عليه الجزر والمد أنا مصر الاندلس والنيل نهري وسمائي الناس والنجوم
زهري ان تجاريتم في ذلك الشرف فحسبي ان افيض في ذلك الشرف وان تبجحتم باشرف
اللبوس فأى ازار اشتملتموه كشنتبوس الى ما شئت من ابنية رحاب وروض يستغني
بنضرته عن السحاب قد ملأت زهرائى وهادا ونجادا وتوشح سيف نهري بحدائقي نجادا
فانا اولاكم بسيدنا الهمام واحق الآن حصحص الحق (فنظرتها قرطبة شزرا) وقالت لقد
كثرت نزرا وبذرت في البحر الاسم بزرا كلام العداضرب من الهذيان وأنى للايضاح
والبيان متى استأصل المستقبح مستحسنا ومن أودع اجفان المهجور وسنا افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا ياعجبا للراكزة تقدم على الاسنة وللأثفار تفضل على الاعنة ان ادعيتم
سبقا فما عند الله خير وأبقى لى البيت المطهر الشريف والاسم الذى ضرب عليه رواقه
التعريف في بقيعي محل الرجال الافاضل فليرغم انف المناضل وفي جامعي مشاهد ليلة
القدر فحسبي من نباهة القدر فالاحدان يستأثر على بهذا السيد الاعلى ولا ارضى له
ان يوطئ غير ترابي نعلا فاقروا لى بالابوة وانقادوا لى على حكم البنوة ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها من بعد قوة وكفوا عن تباريكم ذلكم خير لكم عند باريكم (فقالت غرناطة)
لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ولا تجرى الا تحته جياد الغيث السجوم فلا
يلحقني من معاند ضر ولا حيف ولا يهتدى الى خيال طارق ولا طيف فاستسلموا قولا
وفعلا فقد افلح اليوم من استعلى لى بطاح تقلدت من جداولها اسلاكا وأطلعت كواكب
زهرها فهادت أفلاكا ومياه تسيل على اعطافي كادمع العشاق وبرد نسيم يرد دماء
المستهير بالانتشاق فحسبي لا يطمع فيه ولا يحتال فدعوني فكل ذات ذيل تختال فانا اولى
بهذا السيد الاعدل ومالى به من عوض ولا بدل ولم لا يعطف على عنان مجده ويثني وان
أنشد يوما فاياى يعني

بلاد بها عق الشباب تمائمي * واول ارض مس جلدى ترابها

فمالكم تعترضون لفخرى وتنتمون وتتأخرون في ميداني وتتقدمون تبرؤا الى مما تزعمون
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون *(فقالت مالقة) اتتركوني بينكم هملا ولم تعطوني
في سيدنا املا ولم ولى البحر العجاج والسبل الفجاج والجنات الاثيرة والفواكه
الكثيرة لدى من البهجة ما تستغني به الحمام عن الهديل ولا تجنح الانفس الرقاق الحواشي
الى تعويض عنه ولا تبديل فمالى لا أعطى في ناديكم كلاما ولا أشرى في جيش فخاركم أعلاما
فكأن الامصار فخرتها ازدراء فلم تر لحديثها في ميدان الذكر اجراء لانها موطن لا يحلى منه

دنت منهم فخصها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت فشدوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن
المنزل أشرفت عليهم عجوز
من كثيب رمل متوكئة على
عصا لها فقالت ما منعكم
ان تطعموا رحمة الجاريه
اليتيمة التي جاءتكم عشيه
قالوا ومن أنت قالت أم
العوام أوعت منذ أعوام
أما ورب العباد لتفترقن في
البلاد ثم ضربت بعصاها
الارض أثارت بها الرمل
وقالت أطيلي ايابهم
وأنفرى ركابهم فوثبت
الابل وكان كل بعير منها
على ذروة ما تملك منها شيأ
حتى افترقت في البوادي
فجمعناها من آخر النهار
الى غد ولم نكد فلما
أنخناها عادت الى مقالتها
ما منعكم أن تطعموا رحيمة
الجارية اليتيمة ألا أطيلى
ايابهم وأنفرى ركابهم
فخرجت الابل ما نملك منها
شيأ فجمعناها من آخر النهار
الى غد ولم نكد فلما أنخناها
فعلت مثل فعلتها الاولى
والثانية فتفرقت الابل
وأمسينا في ليلة مقمرة وقد
يئسنا من ظهورنا فقلنا
لامية بن أبي الصلت أين
ما كنت تخبرنا به عن نفسك
فتوجه الى ذلك الكثيب
الذى أتى منه العجوز حتى
هبط منه من ناحية أخرى
ثم صعد كثيبا آخر حتى
هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض

بطائل وتنس البلاد تأوات فيها قول القائل

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

(فقالت مرسية) أمامى تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تنفقون الصخر ان عدت المفاخر فلى منها الاول والآخر اين أوشالكم من بحرى وخرزكم من لؤلؤ نحرى وجمعتكم من نفثات سحرى فلى الروض النضير والمرأى الذى ماله من نظير ورتقاتى التى سار مثلها فى الآفاق وتبرقع وجه جمالها بغرة الاصفاق فمن دوحات كمها من بكور وروحات ومن ارجاء اليها تمد أيدى الرجاء فابنائى فيه فى الجنة الدنيوية مودعون يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ولهم فيها ما تشتهى انفسهم ولهم فيها ما يدعون فانقادوا الامرى وحاذروا اصطلاء جمرى وخلوا بينى وبين سيدنا الى زيد والاضربتكم ضرب زيد فانا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم وما يلقاها الاذو حظ عظيم *(فقالت بلنسية)* فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع والام التعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح أنا أحوزه من دونكم فأخمدوا نارى تحرككم وهدونكم فلى المحاسن الشامخة الاعلام والجنات التى تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام وبرصافتى وجسرى أعارض مدينة السلام فأجمعوا على الانقياد لى والسلام والافعن وابنانا واقرعوا أسنانا فانا حيث لا تدركون وأنى ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا (فعند ذلك ارتمت جمرة تدمير بالشرار) واستدت أسهمها النحور الشرار وقالت عش رجبا ترعجبا أبعد العصيان والعقوق تتهيأن لرتب ذوى الحقوق هذه سماء الفخر فمن ضمك أن تعرجى ليس بعشك فادرجى لك الوصب والخبل آلآن وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة من ادراك أن نضر بى وما أنت فاعلة ما الذى يجديك الروض والزهر أم ما يفيدك الجدول والنهر وهل يتحلى العطار ما أفسد الدهر هل أنت الامحط رحل النفاق ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع وقراك لا يسمن ولا يغنى من جوع فالام تبرز الاماء فى منصة العقائل ولكن اذكرى قول القائل

بلنسية بينى عن القلب سلوة * فانك روض لا أحن لزهرك
وكيف يحب المرء دارا تقسمت * على صارمى جوع وفتنة مشرك

بيد أنى اسأل الله تعالى ان يقدمن توفيقك ما نجد ويسيل من تسديدك ما جد ولا يطيل عليك فى الجهالة الامد واياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا ومولانا الى أفضل عوائده ويجعل مصائب اعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ويبقيه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصل له تأييدا وتأبيدا ويمهد له الايام حتى تكون الاحرار لعبيد عبيده عبيدا ويمد على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتأنق عبقا ونشرا ويتألق رونقا وبشرا على حضرتهم العلية ومطالع انوارهم السنية الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته (انتهى) ولما ألم الرحالة ابن بطوطة فى رحلته بدخوله بلاد الاندلس أعادها الله تعالى للاسلام قال فوصلت الى بلاد الاندلس

الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه رفع رأسه الى وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن أين يأتيك صاحبك قلت من أذنى اليسرى قال فبأى الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكاد يكون فى أذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فما جاء بك وما حاجتك فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى أمية قد برص فى عذاريه ورقبته وصدره واسودنى أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى أن جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها فى أخبار

حرسها

حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مدخور للمقيم والظاعن الى ان قال عند ذكره غرناطة ما نصه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له فى الدنيا وهو مسيرة اربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين الجليلة والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها انتهى (وقال الشقندى) غرناطة دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من اشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء افاضل ولو لم يكن بها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعية والركونية وغيرهما وناهيك بهما فى الظرف والادب انتهى (ولبعضهم) يتشوق الى غرناطة فيما ذكره بعض المؤرخين والصواب أن الابيات قيلت فى قرطبة كما مر والله أعلم

اغرناطة الغراء هل لى اوبة ✽ اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربى منك غمامة ✽ وقعقع فى ساحات روضتك الرعد
ليالىك أسحار وأرضك جنة ✽ وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

وقال ابن مالك الرعينى

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته ✽ ذهبت به للانس والليل قد ذهب
ترى الارض منها فضة فاذا اكتست ✽ بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

وهو القائل

لا تظنوا أن شوقى خمدا ✽ بعدكم أو أن دمعى جمدا
كيف اسلو عن اناس مثلهم ✽ قل ان تبصر عينى احدا

(وغرناطة) من أحسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لانها أشبه شئ بها ويشقها نهر حدرة ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذى لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفا ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفى أعلاه الازاهر الكثيرة وأجناس الافاويه الرفيعة ونزل بها أهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور ✽ وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخرين مائتان وسبعون قرية (وقال ابن جزى) مرتب رحلة ابن بطوطة بعد ذكر كلامه ما نصه قال ابن جزى لولا خشية أن انسب الى العصبية لاطلت القول فى وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبى بكر ابن محمد بن شبرين السبتى نزيل غرناطة حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوأ ✽ يسر حزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبى عندما رأى ✽ مسارحها بالثلج عدن جليدا
هى الثغر صان الله من أهلت به ✽ وما خير ثغر لا يكون برودا انتهى

وقال ابن سعيد عندما جرى ذكر قرية نارجة وهى قرية كبيرة تضاهى المدن قد أحدقت بها البساتين والمنازه يفتن الناظرين وهى من أعمال مالقة أباحتنا زمرة عليها مع والده أبى عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا فى بطن الوادى بين

الزمان وغيره فيما سلف من كتبنا ✽ ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم لحا وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى اثبت على ما أنت عليه فوالذى نفس ورقة بيده انك لنبى هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن ان أدركت ذلك لانصرن الله نصرا يعلمه وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبى صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزى بسيئة ✽ ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبى ربيعة وكان من أهل نينوى ولقى النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى الحديبية وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم ✽ ومنهم أبو قيس صرمة بن أبى أنس

مقطعاته خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغنى ويطرب وسالوا بم يعرف ذلك الموضع فقالوا الطراز فقال والذى اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ثم قال أجز

بشارجة حيث الطراز المنمنم فقلت أقم فوق نهر ثغره يتبسم

فقال وسمعك نحو الهاتفات فانها فقلت لما أبصرت من بهجة تترنم

فقال أيا جنة الفردوس لست بآدم فقلت فلا يك حظى من جناك التندم

فقال يعز علينا أن نزورك مثل ما فقلت يرور خيال من سليمى مسلم

فقال فلو أننى أعطى الخيار لساعدت فقلت محلك لى عين بمرآك تنعم

فقال بحيث الصبا والطل من نفثاتها فقلت وقت لسع روض فيه للنهر أرقم

فقال فوا أسفى ان لم تكن لى عودة فقلت فمكن ما لكانى عليك متمم

فقال فأحسب هذا آخر العهد بيننا فقلت وقد يلحظ الرحمن شوقى فيرحم

فقال سلام سلام لا يزال مرددا فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسجم انتهى

(وقال ابن سعيد) ان كورة بلنسية من شرق الاندلس ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب وبها كمثرى تسمى الارزة فى قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منارة ومسارح ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومنية ابن أبى عامر * وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطى من أبيات فيها

هى الفردوس فى الدنيا جمالا * لساكنها وكارهها البعوض

وقال بعضهم فيها

ضاقت بلنسية بى * وذادعنى غموضى

رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وفيها لابن الزقاق البلنسى

بلنسية اذا فكرت فيها * وفى آياتها اسنى البلاد

وأعظم شاهدى منها عليها * وأن جمالها للعين بادى

كساها ربها ديباج حسن * لها علمان من بحر ووادى

(وقال ابن سعيد أيضا) أنشدنى والدى قال أنشدنى مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله

كأن بلنسية كاعب * وملبسها سندس أخضر

اذا جئتها سترت نفسها * بأكمامها فهى لا تظهر

وأما قول أبى عبد الله بن عياش بلنسية بينى البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد لمية ان ذلك حيث صارت ثغرا يصابحها العدو ويماسيها انتهى (وقال ابو الحسن) بن حريق يجاوب ابن عياش

بلنسية قرارة كل حسن * حديث صح فى شرق وغرب

لا حوادا

ده

من الانصار من بنى النجار وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الاوثان ودخل بيتا واتخذه مسجدا لا تدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة

بمكة لا يلقى صديقا مؤاتيا

ومنهم أبو عامر الاوسى وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج فى خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشأم * ومنهم عبد الله بن جحش الاسدى من بنى أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بارض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فتحنا وصأصأتم يريد بصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك ان ولد الكلب اذا أراد ان يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر وقوله فقح فتح عينيه فان

فان قالوا محل غلاء سعر * و مسقط ديمتى طعن وضرب

فقل هى جنة حفت رباها * بمكروهين من جوع وحرب

وقال الرصافى فى رصافتها

ولا كالرصافة من منزل * سقته السحائب صوب الولى

احن اليها ومن لى بها * وأين السرى من الموصلى

(وقال ابن سعيد) و برصافة بلنسية مناظر و بساتين ومياه ولا نعلم فى الاندلس ما يسمى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى * ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التى منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفى وقبره كان بسبتة يزار رحمه الله تعالى ومن نظمه

قالت لى النفس أتاك الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم

فما ادخرت الزاد قلت اقصرى * هل يحمل الزاد لدار الكريم

ومن عمل بلنسية قرية بطرنة وهى التى كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسونى

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

ومن عمل بلنسية متيجة التى نسب اليها جماعة من العلماء والادباء * ومن عمل بلنسية مدينة اندة التى فى جبلها معدن الحديد واما رندة بالراء فهى فى متوسط الاندلس ولها حصن يعرف باندة أيضا * وفى اشبيلية اعادها الله من المتفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنزهاتها وكذلك تيطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل فى المتفرجات (وقال ابو عمران) موسى بن سعيد فى جوابه لابى يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصر بنى عبد المؤمن وكتب الى المذكور يرغبه فى النقلة عن الاندلس الى مراكش مانصه محل الحاجة منه وأما ما ذكر سيدى من التخيير بين ترك الاندلس و بين الوصول الى حضرة مراكش فيكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل

والعز محمود وملتمس * وألذه ما كان فى الوطن

فاذا نلت بك السماء فى تلك الحضرة فعلى من أسود فيها ومن ذا اضاهى بها

لا ارتقت بى همة ان لم أكن * فيك قد أملت كل الامل

و بعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدى أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس

هى الارض لا ورد لديها مكدر * ولا ظل مقصور ولا روض مجدب

افق صقيل وبساط مدبج وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الاديب عن أرض على هذه الصفة فيا سموأل الوفاء ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفاء كمل لمن أملك النعمة بتركه فى موطنه غير مكدر لخاطره بالتحرك من معدنه ملتفتا الى قول القائل

وسوّلت لى نفسى أن افارقها * والماء فى المزن اصفى منه فى الغدر

أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو جرو قد فتح واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجها اياه النجاشى ومهرها عنه أربعمائة دينار * ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى فى النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام فى تجارة أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما أبو بكر و بلال مروا ببحيرى وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده فى كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر و بلالا بقصته وما يكون من أمره وسأله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة

اليه والوصول والفوز بسالديه والحصول وعند ماردالله تعالى علينا ملكنا الرد الجميل
ربنا النافقه الجزيل وكان لعثارنا المقيل خاطبنا كم بذلك لمكانكم من ودادنا ومحلكم
من حسن اعتقادنا ووجهنا الى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا والله ينفعنا بجميل الظن
فى دينكم المتين وفضلكم المبين ويجمع الشمل بكم فى الجهاد عن الدين وتعرفنا الآن
عن له بأنبائكم اعتناء وعلى جلالكم حمد وثناء وبجناب ودكم اعتزاء وانتماء يتجاول عزمكم
بين جمبر وروترغبون من أجره فى ازدياد وتجددون العهد منه باليف اعتياد وبين رباط
فى سبيل الله وجهاد وتوثيره بهاد بين ربا اثيرة عند الله ووهاد يحشر يوم القيامة شهداؤها
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما آتاهم الله من فضله والله اصدق
القائلين الصادقين حيث لا غارة لغير عدو الاسلام تتقى الا لابتغاء ما لدى الله ترتقى حيث
رحمة الله قد فتحت أبوابها وحور الجنان قد زينت أترابها دار الغرب الذين قرعوا باب الفتح
وفازوا بجزيل المنح وخلدوا الآثار وأرغموا الكفار وأقالوا العثار وأخذوا الثار وأمنوا
من لفح جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار فكتبنا اليكم هذا نقوى بصيرتكم
على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم الى احدى الحسنيين والصبح غير خاف على ذى
عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين فانكم ان جئتم أعدتم فرضا اديتموه وفضلا
ارتديتموه فائدته عليكم مقصورة ونخستيه فيكم محصورة واذا اقمتم الجهاد جلبتم الى
حسناتكم عملا نر بيا واستانفتم سعيا من الله قريبا وتعدت المنفعة الى الوف من النفوس
المستشعرة لباس البوس ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لاطنبنا وأعنة
الاستدلال أرسلنا هذا وقد تقدمتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومن به لا يوجب
لكم نرفيع المقدار فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الاوطار
فان قوى عزمكم والله يقويه ويعيننا من بركم على ما ننويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريفكم
وتلادكم وكهولها اخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجد والدكم الله فى رباها
حلاوة زائدة ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة وتكييف نفسكم فيها تكييفات تقصر عنها
خلوات الملوك الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يوليكم وتروا أثر رحمته
فيكم وتخلفوا بحر هذا الانقطاع الى الله فى سبيلكم وبنيكم وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذى
يعليكم ومن الله تعالى يدنيكم فنبيكم العربى صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة والملاحم
ومعمل الصوارم وبجهادا لفرنج ختم عمل جهاده والاعمال بالخواتم هذا على بعد بلادهم
من بلاده وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده والاستباق الى آماده هذا ما عندنا حثثنا كم
عليه وندبناكم اليه وأنتم فى ايثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدومكم
من الاستئثار بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار وتصريف
وتقليب القلوب واجالة الافكار واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للانفس ومنها
الآخرة دار القرار وخير الاعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار ولـ
أهل الكشف والاطلاع بهذه الارجاء والاصقاع قد اتفقت أخبارها وا
على البشارة بفتح قرب أوانه واطل زمانه فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر

وثلثمائة فى برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال
جنوبا والجنوب شمالا
ورتب فى بيت الذهب حساب
الدور الاول والتاريخ
الاقدم الذى عليه عملت
الهند فى تواريخ البردة
وظهورها فى أرض الهند
دون سائر الممالك ولهم
فى البردة خطب طويل
أعرضنا عن ذكره اذ كان
كتابنا كتاب خبر
لا كتاب بحث ونظر وقد
أتينا على جمل من ذلك فى
الكتاب الاوسط ومن الهند
من يذكر ان ابتداء العالم
فى كل سبعين ألف سنة
هازروان وان العالم اذا
قطع هذه المدة عاد الكون
فظهر النسل ومرحت
البهائم وتغلغل الماء وذب
الحيوان وبقل العشب
وخرق النسيم الهواء وأما
أكثر الهند فانهم قالوا بكرور
منصوبات على دوائر
تبتدئ القوى متلاشية
الشخص موجودة القوة
منتسبة الذات وحدوا
لذلك أجلا ضربوه ووقتا
نصبوه وجعلوا الدائرة
العظمى والحادثة الكبرى
ووسموا ذلك بعمر العالم
وجعلوا المسافة بين البدء
والانتهاء مدة ستة وثلاثين
ألف سنة مكررة فى اثنى
عشر ألف عام وهذا عندهم الهازروان وان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط

ورب

فيه معاه ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * ولما دخل الاندلس أمير المسلمين على ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني ملك المغرب والاندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالها قال انها تشبه عقابا مخالبه طليطلة وصدره قلعة رباح ورأسه جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى المشرق في خبر طويل لم يحضرني الآن اذ تركته مع كتبي بالمغرب جمعني الله بها على أحسن الاحوال * ومع كون أهل الاندلس سباق حلبة الجهاد مطعين الى داعيه من الجبال والوهاد فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي ولكن سنح لي ان اذكر هنا حكاية أبي بكر المخزومي الهجاء المشهور الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة انه كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الاعراض سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعاريض سابقا في ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعره (والحكاية) هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد اذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن قدم المذكور يعني المخزومي على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد ونزل قريبا مني وكنت اسمع به بنار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأيت ان ابدأه بالتأنيس والاحسان فاستدعيته بهذه الابيات

يا ثانيا للمعري * في حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل * وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل حفيا * بكل بر وشكر
وليس الا حديث * كأزهار عقد در
وشادن يتغنى * على رباب وزمر
وما يسامح فيه الـ * ـغفور من كاس خمر
وبيننا عهد حلف * لياسر حلف كفر
نعم فخذه عهدا * يطيب شكر وسر
والكاس مثل رضاع * ومن كمثلك يدري

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده فلما استقر به المجلس وأفعمته روائح الند والعود والازهار وهزت عطفه الاوتار قال

دار السعيدي ذي أم دار رضوان * ما تشتهي النفس فيها حاضر داني
سقت أباريقها الند سحب ندى * تحدى برعد لاوتار وعيدان
والبرق من كل دن ساكب مطرا * يحيي به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نحدثه * ولا سبيل له الا بآذان

فقال أبو بكر بن سعيد والى الآن لا سبيل له الا بآذان فقال حتى يبعث الله ولد زني كلما انشدت هذه الابيات قال انها الاعمى فقال اما انا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت وتراك يا استاذ قديم النعمة بمجمر ند وغناء

جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في اول الكر لانفساح الدوائر وتمكن القوى من المحال وتقصر الاعمار في آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار الباترة للاعمار وذلك ان أقوى الاجسام وصفوها في أول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر والصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور ومنسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواصل وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطئ ذوي الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرناه علل وبراهين في المبادي الاول وفيما استنداه من تفريقهم في الدوائر المازروانات ورموز واسرار في النفوس واتصالها عالا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى اجناسهم واشرفهم ولا يغتذون بشيء من الحيوان وفي رقاب الرجال

وشراب فتعجب من تاتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالعيان ولكن من يجيء من حصن المدور وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحة فقال من هذه الفاضلة فقالت عجوز مقام أمك فقال كذبت ماهذا صوت عجوز انما هذه نغمة قحبة مخترقة تشم روائحها هنا على فراسخ فقال له أبو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا اسمعها الله خيرا ولا أراها الا أيرا فقالت له ياشيخ سوء تناقضت وأي خير للمرأة مثل ماذكرت ففكر ساعة ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وان كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فاعملت فكرها ثم قالت

قل للوضيع مقالا * يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئت والخر امنه اعطر
حيث البداوة أمست * في مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا * بكل شيء مدور
خلقت أعمى ولكن * تهيم في كل اعور
جازيت شعرا بشعر * فقل لعمري من اشعر
ان كنت في الخلق انثى * فان شعري مذكر

فقال لها الاسعي

الا قل لنزهونة مالها * تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت فيشة شمرت * كما عودتني سربالها

فحلف أبو بكر بن سعيد ان لا يزيد أحدهما على الآخر في هجو كلمة (فقال المخزومي) أكون هجاء الاندلس واكف عنها دون شيء فقال انا اشتري منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذي ارسلته فقادني الى منزلك فانه لين اليد رقيق المشي فقال أبو بكر لولا كونه صغيرا كنت أبلغك به مرادك واهبه لك ففهم قصده وقال أصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتني به على نفسك فضحك أبو بكر وقال ان لم تهج نظما هجوت نثرا فقال أيها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومي بالعبد بعدما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى * وفي كتاب الدر المنضد في وفيات اعيان أئمة محمد تاليف الامام صارم الدين ابراهيم بن دقماق قال أبو القاسم بن خلف كان يعني المخزومي المذكور حيا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى * ونسلت من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربي ما ملخصه وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين ابن جعفر الحاجب وذكرته هنا لانه ملحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بل كان واحد عصره في الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى دهره في اللهو واللعب والنكاهة والطرب

والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا مجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غني من كل وجه عن ابقائنا اياناو اعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى احدا من الناس ادرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة البارئ عز وجل في احد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة انفسنا التي هي أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا قال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج وكان

وكان أعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرا ما يقول المعانى اللطيفة فى الابيات الحسنة ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذقا وكانت له فى ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يزره أحد من اخوانه احضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه وكلهم يغنى فيجيد فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغنى لنفسه ولهم وكان نشارة الزامر الذى يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق وكان بعيد الهمة سمحا بماله تغل عليه ضياعه كل عام اموالا جليلة فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك ويستسلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق مغن الا سأل من يقصد بهذا الشان فيدل عليه ومن وصله منهم استقبله بصنوف البر والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه الى أحد من الناس فلا يزال معه فى صبوح وغبوق وهو مجدد له كل يوم كرامة حتى يأخذ جميع ما معه من صوت مطرب أو حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا فى الغناء فارتج المجلس اذ دخل عليه بعض غلمانه فقال بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر انه ضيف فأمر بادخاله فاذا رجل أسمر سناط رث الهيئة فسلم عليه قال ابن بلد الرجل قال البصرة فرحب به وأمره بالجلوس فجلس مع الغلمان فى صفة وأتى بطعام فأكل وسقى أقداحا ودار الغناء فى المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغنى بصوت ندى وطبع حسن

الا يا دار ما الهجر * لسكانك من شانى
سقيت الغيث من دار * وان هيجت أشجانى
ولو شئت لما استسقيت غيثا غير اجفانى
بنفسى حل اهلوك * وان بانوا بسلوانى
وما الدهر بمأمون * على تشتيت خلان

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحذق فى اشارته والطيب فى طبعه وقال يا غلام خذ بيده الى الحمام وعجل على به فادخل الحمام ونظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فالقيت عليه ورفعه فأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له

قومى امزجى التبر باللجين * واحتملى الرطل باليدين
واغتنمى غفلة الليالى * فربما أيقظت لحين
فقد لعمرى أقر منا * هلال شوال كل عين
ذات الخلاخيل أبصرته * كنصف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لى على رغم الحسود بقهوة * بكر ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المذاب تضمه * كاس كقشر الدرة البيضاء
والنجم فى افق السماء كأنه * عين تخالس غفلة الرقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدنى فغناه

وأنت الذى أشرقت عينى بمائها * وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة ١ وقال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام فى هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أما لا أدرى ما تقولون غير انى اخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف فى آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم وبهم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك فى مذاهبهم وتنازعوا فى آرائهم والذى وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودى) وقد رأيت ابا القاسم البلخى ذكر فى كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن ابن موسى النوبختى فى كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التى من اجلها احرقوا أنفسهم فى النيران وقطعوا أجسامهم بانواع العذاب فما تعرضنا لشئ مما ذكرنا ولا بما نحو ما وصفنا وقد تنوزع فى البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا اشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت الى نصب ملك عليها

وأغرقتها بالدمع حتى جفونها * لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا

فى يوم من أحسن الايام وأطيبها ووصله وأحسن اليه ولم يزل عنده مقربا مكرما وكان خليعا
ماجنا مشتهرا بالنبيذ خلاه وما أحب ثم وصف له الاندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى اليها
ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم
الكتاب انتهى وغرضى من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقى الاندلس وطيبها
وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسؤل فى حسن المئاب * ورأيت فى بعض كتب
تاريخ الاندلس فى ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة ما نصه وهو الذى
اكمل ترتيب نصبة مائة وكان افرس الناس وانبلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس
ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن
الخطيب فى قصيدته السينية المذكورة فى الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب
فلتراجع ثمة * وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان
من قبل نفسه واذا ادخله احد لم يتحرك ونظير هذا المعنى فى بعض الحيوانات بالنسبة الى
بعض البلاد كثير وذلك برصد او طلسم وقد استطرد بعض علماء اصول الدين ذلك عند
ما تكلموا على السحر حسبما قرر فى محله والله أعلم هكذا رأيت فى كلام بعض علماء
المشارقة والذى رأيته لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية الا
ماتت من ساعتها ويؤتى بالحيات والعقارب الهاجية فبنفس ما تدخل الى جوف البلد تموت
قال ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلق
من ستة أعوام والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والاجاص اليابسة من أربعة أعوام
والفول والحمص من عشرين سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب كان صوفا او حريرا او كتانا
وليس فى بلاد الاندلس اكثر فاكهة منها ولا اطيب طعما ولا أكبر جرما والبساتين محدقة بها
من كل ناحية ثمانية اميال ولها اعمال كثيرة مدن وحصون وقرى مسافة اربعين ميلا وهى
تضاهى مدن العراق فى كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرها عظيم وقد اسلفنا ذكرها
* واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا
ما لا يوجد مجموعه غالبا فى غيرها فمن ذلك ما ذكره الحجارى فى المسهب ان السمور الذى يعمل
من وبره الفراء الرفيعة يوجد فى البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى
سرقسطة ويصنع بها ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال هذا السمور
المذكور هنا لم اتحقق ماهو ولا ما عنى به ان كان هو نباتا عندهم او وبر الدابة المعروفة فان
كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون فى البحر وتخرج الى البر وعندها قوة تمييز وقال
حامد بن سمعون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون فى بحر الروم
ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر فى البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما
عرض للقناصين مرة أخرى فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين
فخذيه ليرى موضع خصيتيه خاليا فاذا رآه القناصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى
هذا الحيوان أيضا الجندبادستر والدواء الذى يصنع من خصيته من الادوية الرفيعة ومنافعه
كثيرة

سن أكبر ولده فكان ولى عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم
وزاد فى بناء الهياكل وقدم
الحكماء وزاد فى مراتبهم
وحثهم على تعليم الناس
الحكمة وبعثهم على طلبها
فكان ملكه الى ان هلك
مائة سنة وفى أيامه عمل
النرد واحدث اللعب بها
وجعل ذلك مثالا للمكاسب
وانها لا تنال بالكسب
ولا بالحيل فى هذه الدنيا
وان الرزق لا يتأتى فيها
بالحذق وقد ذكر ان اردشير
ابن بابك اول من صنع النرد
ولعب بها وأرى تقلب الدنيا
باهلها واختلاف أمورها
وجعل بيوتها اثنى عشر بيتا
بعدد الشهور وجعل كلابها
ثلاثين بعدد أيام الشهر
وجعل الفصين مثلا للقدر
ومثله باهل الدنيا وان
الانسان يلعب فيبلغ
باسعاد القدر اياه ما فى مراده
باللعب بها ومراده ان الحازم
الفطن لا يتأتى له ما تأتى
لغيره الا اذا أسعده القدر
وان الارزاق والحظوظ فى
هذه الدنيا لا تنال الا
بالجدود ثم ملك (دامان)
بعد الناهود فكان ملكه
نحوا من خمسين ومائة سنة
ولدامان سير واخبار وحروب
مع ملوك فارس وملوك
الصين قد أتينا على الغرر
منها فيما سلف من كتبنا ثم
ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك اربعين ومائة سنة ثم

كثيرة وخاصيته فى العلل الباردة وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة والقنلية حيوان أدق من الارنب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرا وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد فى بر البربر الا ما جلب منها الى سبتة فنشأ فى جوانبها قال ابن سعيد وتدجلبت فى هذه المدة الى تونس حضرة أفريقية ويكون بالاندلس من الغزال والايل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد فى غيرها كثيرا وأما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون فى أقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب أكبر بقليل من الذئب فى نهاية من القحة وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو فى خيل البر الجنوبى ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط فى نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عاينت من ذلك العجب والمسافرون فى البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولها نفخ بالماء من فيها يقوم فى الجو ذا ارتفاع مفرط وقال ابن سعيد قال المسعودى فى مروج الذهب فى الاندلس من أنواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب أن المسعودى قال أصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان فى ارض الاندلس ويوجد العنبر فى ارض الشحر قال ابن سعيد وقد تكلموا فى اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع فى قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه قال الحجارى ومنهم من قال انه نبات فى قعر البحر وقد تقدم قول الرازى ان المحلب وهو المقدم فى الافاويه والمفضل فى انواع الاشنان لا يوجد فى شئ من الارض الا بالهند والاندلس قال ابن سعيد وفى الاندلس مواضع ذكروا أن النار اذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه وفى جبل شلير افاويه هندية قال واما الثمار واصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان فى الاقاليم الباردة ولا يعدم منها الا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم فى غيرها أو يقل كالتين القوطى والتين السفرى باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم ترعينى ولم اذق لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالقى والزبيب المنكبى والزبيب العسلى والرمان السفرى والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة وانها فى الاندلس التى هى بعض تلك الارض واعظم معدن للذهب بالاندلس فى جهة شنت ياقور قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفى جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس فى شمال الاندلس كثير والصفر الذى يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة فى اماكنها والعين التى يخرج منها الزاج فى لبلة مشهورة وهو كثير مفضل فى البلاد منسوب لجبال طليطلة جبل الطفل الذى يجهز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدة مقاطع للرخام وذكر الرازى أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الابيض الناصع اللون والخمرى وفى

ملك بعده (دستلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بثعلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى ابوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى ايامه الشطرنج فقضى بها على النرد وبين الظفر الذى يناله الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرق حكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القنائع واقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظروا من اين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر يسرونه فى تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلل الاولى واعداد اضعاف

نشرة بقطع عجيب لعمدو بباغه من مملكة غرناطه مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة فى حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التى بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المرية يثمن الى البلاد فانه كالدر فى رونقه وله ألوان عجيبة ومن عادتهم ان يضعوه فى كيزان الماء وفى الاندلس من الامنان التى تنزل من السماء القرمز الذى ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس من اشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الذى لا تفوته حمرة قال ابن سعيد والى مصنوعات الاندلس ينتهى التفضيل وللمتعصبين لها فى ذلك كلام كثير فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالوشى المذهب الذى يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا منه شيأ وفى تنتالة من عمل مرسية تعمل البسط التى يغالى فى ثمنها بالمشرق ويصنع فى غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذى يعرف بالملبد المختم ذو الالوان العجيبة ويصنع فى مرسية من الاسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى ما يبهر العقل ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب وفخار مزجج مذهب ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف فى المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجى يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذى يصرفه أهل المشرق فى زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما يجرى مجراه واما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والالجم والدروع والمغافر فاكثر همم أهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة الى هذا الشان ويصنع فيها فى بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذى باشبيلية اليه النهاية وفى اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره وقد افرد ابن غالب فى فرحة الانفس للآثار الاولية التى بالاندلس من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحى التى بطركونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك ما صنعه الاول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التى فى أقليم الاصنام جلبوه فى جوف البحر فى الصخر المجوف ذكراث أنثى وشقوا به الجبال فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى ان انتهى به الى البحر ثم دخل به فى البحر واخرج فى جزيرة قادس والبنيان الذى دخل عليه الماء فى البحر ظاهر بين قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالاندلس قال فى بعض اخبار رومية انه لما ولى يوليش المعروف بجاشر وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش المبطلة وأقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها أرض الاندلس وركزها شرقى قرطبة ببابها المنتظم المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلى قرطبة الى شقندة الى استجة الى قرمونة الى البحر واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من

العدرنج سابعه عشر الف الف الف الف الف الف الف وسبعمائة واربعون الف الف الف ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف ألف وأحد وخمسون ألف ألف وستمائة وخمسة عشر ألف ومراتب هذه الالوف الستة الاولى ثم الخمسة التى هى ألف ألف خمس مرات ثم الاربع ثم الثلاث ثم الاثنين ثم الواحد لما عندهم من معان يذكرونها فى الدهور والاعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية فى هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها وللبونانيين والروم وغيرهم من الامم فى الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها قد ذكر ذلك الشطرنجيون فى كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولى والعدلى واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج فى هذا العصر وكان ملك بلهيت ملك الهند الى أن هلك ثمانين سنة وفى بعض النسخ انه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده (كورس) فأحدث للهند آراء فى الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان فى ملكه وعصره سندباد ودون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل فى خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم فى معرفة العلل مدينة

مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيفها فى بعض الاماكن راحة للخاطرين من وهج الصيف
وهول الشتاء ثم توقع ان يكون ذلك فسادا فى الارض وتغييرا للطرق عند انتشار اللصوص
وأهل الشر فيها فى المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هى عليه وذكر
فى هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير الا الصنم الذى بطرف جليقية وذكر قنطرة
طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مربيطر (قال ابن سعيد) وفى الاندلس
عجائب * منها الشجرة التى لولا كثرة ذكر العامة لها بالاندلس ماذكرتها فان خبرها عندهم
شائع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها وهم جم غفير وهى شجرة زيتون تصنع
الورق والنور والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسية * ومن العجائب
السارية التى بغرب الاندلس بزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان اذا أجدبوا المطر أقاموها
فيمطر الله جهتهم * ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب فى البحر المحيط
فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه فلما هدم فى أول دولة بنى عبد المؤمن صارت
السفن تجرى فيه * وبكورة قبرة مغارة ذكرها الرازى وحكى انه يقال انها باب من أبواب
الريح لا يدرك لها قعر * وذكر الرازى ان فى جهة قلعة ورد جبلا فيه شق فى صخرة داخل
كهف فيه فاس حديد متعلق من الشق الذى فى الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام
اخراجه لم يطق ذلك واذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى شق الصخرة ثم يعود الى حالته * وأما
ما أورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار فى شان فضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها
ابن سعيد فى كتابه المغرب ولم اذكرها أنا والله أعلم بحقيقة أمرها وكذلك ما ذكره ابن
بشكوال من ان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس قال وذكر سيف عن عثمان
ابن عفان رضى الله تعالى عنه والله أعلم بصحة ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم
قال سيف وذلك ان عثمان ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم أما بعد فان فتح
القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء فى الاجر
والسلام انتهى قلت عهدة هذه الامور على ناقلها وأنا برىء من عهدتها وان ذكرها ابن
بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها عندى لا أصل لها وأى وقت بعث عثمان الى
الاندلس مع أن فتحها بالاتفاق انما كان زمان الوليد وانما ذكرت هذا التنبيه عليه لا غير والله
أعلم (قال ابن سعيد) وميزان وصف الاندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فأكثرت فيها
الخصب والعمارة من كل جهة فمتى سافرت من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة
ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة ومما اختصت به أن قراها فى نهاية من
الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها فهى كما قال الوزير ابن
الحمارة فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين سوادها ويضيق
الصدر بضيق أوضاعها وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المصرة من مثلها
والمثال فى ذلك انك اذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهى

والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى أن مات عشرين ومائة سنة ولما
ملك هذا الملك اختلفت
الهند فى آرائها فتحزبت
الاحزاب وتحيزت الاجيال
وانفرد كل رئيس بناحية
فملك على أرض السند ملك
وملك على أرض القنوج
ملك وتملك على أرض
قشمير ملك وتملك على
مدينة المانكير وهى الحوزة
الكبرى ملك يسمى بالبلهرا
وهذا أول ملك سمى من
ملوكهم بالبلهرا فصارت
سمة لمن أدركه من الملوك
لهذه الحوزة الى وقتنا هذا
وهو سنة اثنين وثلاثين
وثلثمائة وأرض الهند
أرض واسعة فى البر والبحر
والجبال وملكهم متصل
بملك الزابج وهى دار ملك
المهراج ملك الجزائر وهذه
المملكة فاصلة بين مملكة
الهند والصين وتضاف الى
الهند والهند متصلة مما يلى
الجبال بأرض خراسان
والسند الى أرض التبت
وبين هذه الممالك تباين
وحروب ولغاتهم مختلفة
وآراؤهم غير متفقة
والاكثر منهم يقول بالتناسخ
وتنقل الارواح على حسب
ما قدمناه آنفا والهند فى
عقولهم وسياساتهم وحكمهم
وألوانهم وصفاتهم وصحة
أمزجتهم وصفاء أذهانهم
ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت

في نهاية من الحصارة والنضارة ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها وأكثرها مسوّر من أجل الاستعداد للعدو فحصل لها بذلك التشييد والتزيين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة لامتناع معاقلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم مجاورة العدو بالطعن والضرب وكثرة ما تختزن الغلة في مطاميرها فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن وان كان العدوّ قد نقصها من أطرافها وشارك في أوساطها ففي البقية منعة عظيمة فأرض بني فيها مثل أشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المتمصرة الرجاء فيها قوي بحول الله وقوّته انتهى قلت قد خاب ذلك الرجاء وصارت تلك الارجاء للكفر معرجا ونسأل الله تعالى الذي جعل لهم فرجا وللضيق مخرجا أن يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا امين (ومن غرائب الاندلس) البيلتان اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوّف في جوف النهر الاعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما أنهما تمتلئان وتحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك أن أوّل استهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا أصبح كان فيهما سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكلف أحد حين نقصان أن يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائهما افراغهما ولم يبق منهما شيأ ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين وهما أعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار وهاتان ليستا في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى دمرهم الله طليطلة فأراد الفنش أن يعلم حركاتهما فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليها الماء وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودي الذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي أعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فأراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له أيها الملك أنا أقلعهما وأردهما أحسن مما كانتا وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتحسران في الليل فلما قلعت لم يقدر على ردها وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ولم تزل الاخرى تعطي حركتها والله أعلم بحقيقة الحال (وقال بعضهم) في اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشان طيبة المكان لها البر المديد والبحر

فيه ولم توجد في غيره تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس واشتمال على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر جالينوس في طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون غير السودان في الاكثر من الطرب امورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا أن أبا العباس الراضي بالله بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من اسود ويقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدري اتلد طاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا في كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها في أمور الرعية لان في نظر العوام عندهم الى ملوكها خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالتدبير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودي) ورأيت في بلاد سرنديب الساكن

الساكن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى أن قال ولو لم يكن لها من الشرف الا وضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ لكفى وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام أعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن معلى ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض أتم حسنا من هذا النهر يضاهى دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الاطيار أربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ فى عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكر ويجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى انتهى ملخصا ❊ ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال لا يتزود فيها أحد ماء حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهى بطاح خضر وقصور بيض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الاندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة ثم طفت فى أفريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس فى مياهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحة أندلسية ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتصنيع الا ما شيد بمراكش فى دولة بنى عبد المؤمن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ومبانى حلب داخلة فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقان انتهى ومن أحسن ما جاء من النظم فى الاندلس قول ابن سفر المرينى والاحسان له عادة

في أرض أندلس تلتذ نعماء ❊ ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس فى غيرها بالعيش منتفع ❊ ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن أرض تحض بها ❊ على المدامة أمواه وأفياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها ❊ وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها ❊ والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به ❊ من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا ❊ ولا انتثار لآلى الطل أنداء
وانما أرج الند استثار بها ❊ فى ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه ❊ وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت ❊ فريدة وتولى ميزها الماء

وهى جزيرة من جزائر البحر ان الملك من ملوكهم اذا مات صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى وشعره يجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمه وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذر رماده فى الرياح وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتيممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى أهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل والهند تمتنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجوارى

دارت عليها نطاقا أبحر خفقت * وجدا بها اذ تبدّت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء
فيها خلعت عذاري ما بها عوض * فهي الرياض وكل الارض صحراء

ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان للجنة بالاندلس * مجتلى مرأى وريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقد تقدّمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذه الابيات وهو بالمغرب الاقصى في برّ العدوة ومنزله في شرق الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الثاقبة في الانصاف بين المشارقة والمغاربة اول ما نقدّم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بأيدي عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار لسلطان اعانتها وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها في المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى أسباب التملك الفاشية فيها ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم أخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال في أثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة ما ثنا ألف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفا من السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم أر بدا من اثبات هذا الفصل وان كان على أهل بلدي فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعري اذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها ببسالتهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب واني لاعجب منه اذ كان في زمان قد دلفت فيه عباد الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام حيث

الجمهور

والهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القشمير وملك الطافي وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من مملكته بر وبحر فأما البلهرا فان بين ديار مملكته وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدري كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار مملكته بين الجبال ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بؤورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذي على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله تعالى أعلم

الجمهور والقبة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما أدراك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور فى كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشده انهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التى يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع همم الملوك اخاورة على حسم الداء فى ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذى لا يطب وقد كانت جزيرة الاندلس فى ذلك الزمان بالضد من البلاد التى ترك وراء ظهره وذلك موجود فى تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة بعد ذلك الاعلام بينة والطريق واضح فلنرجع الى ما نحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس فى صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية واختلاف الولاة داع الى الاضطراب وعدم تأثل الاحوال وترتيب الفخامة فى الدولة ولما صارت الاندلس لبنى أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كل أبى فيها وأطاعهم كل عصى عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأبناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما ضخمت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكن الناموس من قلوب العالم ومراعاة أحوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم واحضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد الى الحق لهم أو عليهم وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل وكانت ألقاب الاول منهم الامراء أبناء الخلائف ثم الخلفاء أمراء المؤمنين الى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رتبت عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا بملوك الطوائف وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهون فى أحوال الملك حتى فى الالقاب فآل أمرهم الى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما فى جزيرتهم من أسباب الترفه والفخامة التى تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولاجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيروانى

مما يزهدنى فى أرض اندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسى أمير المؤمنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبنى عباد مملكة اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الاحيان على أبهة الخلافة وقانونهم فى ذلك معروف الى أن كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوى الذين توثبوا على الخلافة فى أثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون و يأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بنى العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح أو من

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها فى وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند فلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر أوقيانوس الغربى وهى ستة اجزاء عامرة الى اقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنى عشر فعلموا ان الشمس اذا غابت فى اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر أوقيانوس الغربى واذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذى ذكروا انهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التى عملوا عليها فى مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهى الى جزيرة تولى التى فى برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين

يحتاج الى الكلام بين ايديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب عما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبونى أمام حاجب ادريس بن يحيى الحمودى الذى خطب له بالخلافة فى مالقة وأنشده قصيدته المشهورة النونية التى منها قوله

وكأن الشمس لما أشرقت ٭ فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علـى بن حمود أمير المؤمنين

و بلغ فيها الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم ٭ انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر وأحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحب أن يشتهر عنه ذلك عند مباديه فى الرياسة ومذ وقعت الفتنة بالاندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار فى كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومرنوا على ذلك فصعب ضمهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بتهييج المنافسة والطمع الى أن انقادوا الى عبد المؤمن وبنيه وتلك القواعد فى رؤسهم كامنة والثوار فى المعاقل تثور وتروم الكرة الى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدوة مهيأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الرأى وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة يمشى فى الاسواق ويضحك فى وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه مالم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء وكان كما قيل

أمور يضحك السفهاء منها ٭ ويبكى من عواقبها الحليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وتملك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابط فيما يقال فى شأن أهل الاندلس فى السلطان أنهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان او جوادا يبرع الاجواد تهافتوا فى نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير فى عاقبة الامر الام يؤل وبعد أن يكون الملك فى مملكة قد توورثت وتدوولت ويكون فى تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع فى العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة تدموه ملكا فى حصن من الحصون ورفضوا عيالهم وأولادهم ان كان لهم ذلك بكرسى الملك ولم يزالوا فى جهاد وتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته وأهل المشرق أصوب رأيا منهم فى مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلا يدخل الخلل الذى يقضى باختلال القواعد وفساد الترتيب وحل الاوضاع ونحن نمثل فى ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى أن طار اسمه فى الاندلس وآل ذلك الى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجى وملك جيان أحصن بلد بالاندلس وأجله قدرا

المشرق والمغرب فى جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب فى النصف مما بين الجزائر العامرة واقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى قريبا من ستين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذى هو مقدار العرض فى النصف الذى هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر وأما الاقاليم السبعة فاولها أرض بابل تنسب خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وأفريقية والبربر والاندلس وما بينها له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة

فى

فى الامتناع وملك غرناطة وما لقبه وسموه بامير المسلمين وهو الآن المشار اليه بالاندلس والمعتمد عليه ❊ وأمّا قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت فى مدة بنى أمية مشتركة فى جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة فى البيوت المعلومة لذلك الى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب فى الدولة المروانية وأنه كان نائبا عن خليفتهم يسمى بالحاجب ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهى موجودة فى أمداح شعرائهم وتواريخهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم وصار الوزير الذى ينوب عن الملك يعرف بذى الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلا فى علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور الملك خاصة ❊ وأما الكتابة فهى على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل وله حظ فى القلوب والعيون عند أهل الاندلس وأشرف أسمائه الكاتب وبهذه السمة يخصه من يعظمه فى رسالة وأهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الالسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس وبر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية فى الاندلس أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه تمد الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأثلت حاله واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر وهذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفية السلطان ❊ وأما خطة القضاء بالاندلس فهى اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدى القاضى هذا وصفها فى زمان بنى أمية ومن سلك مسلكهم ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة الا من هو وال للحكم الشرعى فى مدينة جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصة وقاضى القضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة ❊ وأما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها فى ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك قليل ولا يكون الا فى حضرة السلطان الاعظم وهو الذى يحد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضى وكانت خطة القاضى او قروا تنى عندهم من ذلك ❊ واما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة فى اهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض والعادة فيه ان يمشى بنفسه راكبا على الاسواق واعوانه معه وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفى ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبى الصغير او الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيان به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان

له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الدبيل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس ذكر ذلك ... المنجم صاحب كتاب الزيج فى النجوم ... خالد بن عبد الله المروزى وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون فى برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا ... بمقدار درجة واحدة فى ثلثمائة وستين فوجد دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل وسانة وستين ميلا ثم ... دور الارض فى سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد واربعون ألف ميل وسانة وعشرون ميلا ... قسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذى هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة واربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة اميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالاسود وهى الذراع التى وضعها امير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون أصبعا (قال المسعودى) وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا

وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار ان يبيع باكثر او دون ما حد له
من الوزن ولا يكاد تخفى خيانته فان المحتسب يدس عليه صبيا او جارية يبتاع
احدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل
عما يلقى وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس فى الاسواق نفى من البلد ولهم فى
اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لانها عندهم
تدخل فى جميع المبايعات وتتفرع الى ما يطول ذكره * واما خطة الطواف بالليل وما يقابل
من المغرب أصحاب ارباع فى المشرق فانهم يعرفون فى الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس
لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح
معد وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واعيائهم فى أمور التلصص الى ان يظهروا على
المبانى المشيدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف ان يقر عليهم
أو يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد فى الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان
ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة الوالى ولينه ومع افراطه
فى الشدة وكون سيفه يقطر دما فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود
سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك ولم ينته اللصوص * واما قواعد أهل الاندلس فى دياناتهم
فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود
وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة فى ذلك وانكاره ان تهاون فيه أصحاب السلطان
وقد يلج السلطان فى شئ من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبؤن بخيله
ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير فى اخبارهم وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة
للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم * وأما طريقة الفقراء على مذهب اهل الشرق فى الدورة التى
تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب فى الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية واذا
رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن ان يتصدقوا عليه فلا تجد
بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر * واما حال اهل الاندلس فى فنون العلوم فتحقيق
الانصاف فى شأنهم فى هذا الباب أنهم احرص الناس على التميز فالجاهل الذى لم يوفقه الله
للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس لان هذا عندهم فى نهاية
القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره
عند الناس ويكرم فى جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك ومع هذا فليس لأهل الاندلس
مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم فى المساجد بأجرة فهم يقرؤن لأن
يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله
على أن يترك الشغل الذى يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ
واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة
فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت
عليه انفاسه فان زل فى شبهة رجموه بالحجارة اوحرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله
السلطان تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت

العامرة وان عددها اربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة فى عصره وسماها مدينة مدينة فى اسم اقليم وذكر فى هذا الكتاب الوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا ان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة ابحر وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما شهر من الجزائر دون ما لم يشتهر وذكر ان فى البحر الحبشى جزائر متصلة نحوا من ألف جزيرة يقال لها الدبيجات عامرة كلها وذكر بطليموس فى جغرافيا ان ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التى تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية فى الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه فى عدة الاقاليم وكل اقليم سعته تسعمائة فرسخ فى مثلها وفى البحار ما هو معمور بالحيوان ومنها ما ليس بمعمور وهو أوقيانوس البحر المحيط وسنأتى فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل فى تفصيل وبذلك

و بذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك
في الباطن على ما ذكره الحجاري والله اعلم وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم
رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر
المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة
حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه وهي الآن
بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها عندهم
ارفع السمات * وعلم الاصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة
حتى انهم في هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان الا جدة
وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في اي علم لا يكون متمكنا
من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء مع
ان كلام اهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع
العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلوبيني ابي علي المشار اليه بعلم النحو في
عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف
الذي في لسانه والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب واخذ يجري على قوانين النحو استثقلوه
واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم في القراآت والمخاطبات في الرسائل وعلم الادب المنثور
من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات انبل علم عندهم وبه يتقرب من
مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل * والشعر
عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظ ووظائف والمجيدون منهم
ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم الجليلة ويوقع لهم بالصلات على اقدارهم الا ان يختل
الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا الغالب واذا كان الشخص بالاندلس نحويا
او شاعرا فانه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها * واما زي
اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لاسيما في شرق الاندلس فان اهل غربها
لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقيها في ذلك
ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الاوان واليه الاشارة
وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره واما
الاجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك
الاندلس في عصرنا رأيته في جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر
الذي معظم الاندلس الآن في يده وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم واجنادهم بزي النصارى
المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم واقبيتهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم وكذلك
اعلامهم وسروجهم * ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس
ولا قسي العرب بل يعدون قسي الافرنج للحصارات في البلاد او تكون للرجالة عند
المصافة للحرب وكثيرا ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يوتروها ولا تجد في خواص
الاندلس واكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان الا انه لا يضعه على رأسه منهم الا الاشياخ

البحار ووصفها وهذه البحار كلها في كتاب جغرافيا بانواع من الاصباغ جملة المدائر في الصورة منها ما هو على صورة الطيلسان ومنها ما هو على صورة الشابورة ومنها مصراني الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الأن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض الفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع والذي يحيط به باسفل دائرة النجوم هو فلك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد راس الحمل الى الميزان أربعون ألف فرسخ وتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فاولها وهو اصغرها واقربها الى الارض للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها في جوف بعض ففلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين احدهما مما يلي الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج

المعظمون وعمائم الصوف كثيرا ما يلبسونها حمرا وخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف انما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرقي داخل الى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستظراف ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب * وأهل الاندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها * وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروآت على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل فأوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم ما تشتري لكم فحما تسخنون به فاني أمضي في حوائجكم وأجعل على يعوضون شأنكم فأعطيناه ما اشترى به فحما فأضرم نار الفحم فجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي لم ضربته فقال تعلم استغنام أموال الناس والفحم للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الي ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروآت أهل الاندلس وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وفق لك على نفسه ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشيء الحقير فقس الشيء الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير ولله دره فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء وقسمه الى أقسام منها كتاب وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى أربعة كتب الكتاب الاول كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس الكتاب الثاني كتاب الشفاة اللعس في حلى موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الانس في حلى شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب في ذكر ما جاء من الاندلس عباد الصليب والقسم الثاني كتاب الالحان المسلية في حلى جزيرة صقلية وهو أيضا ذو أنواع والقسم الثالث كتاب العلامة الاخيرة في حلى الارض الكبيرة وهو أيضا ذو أوسام وصور رحمه الله تعالى أجزاء الاندلس في كتاب وشي الطرس وقال أيضا ان كلا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية واشبيلية التي ما في الاندلس أجمل منها فيه وقسمه الى سبعة كتب كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة الكتاب الثاني كتاب

يكون الفروج تضيق من ناحية تتضبين وتتسع وسط الكرة والخط القاطع للكرة نصفين واحد وانه يسمى دائرة معدل النهار لان الشمس اذا دارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الارض والارض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك فاقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشتري وفوق ذلك فلك زحل وفي كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التي دونه مما سمينا وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب

في كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التي الذهبية

الذهبية الاصيلية في حلى المملكة الاشبيلية الكتاب الثالث كتاب خدع الممالقة في حلى مملكة مالقة الكتاب الرابع كتاب الفردوس في حلى مملكة بطليوس الكتاب الخامس كتاب الخلب في حلى مملكة شلب الكتاب السادس كتاب الديباجة في حلى مملكة باجة الكتاب السابع كتاب الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة وتذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به وصوّر أجزاءه على ما ينبغي فالله يجازيه خيرا والكلام في الاندلس طويل عريض* وقال بعض المؤرخين طول الاندلس ثلاثون يوما وعرضها تسعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية وليس في معمور الارض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا من يومه الا بالاندلس ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء وأصلا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت في الفلوات والصحارى والاودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الاطعمة* وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة أربعين يوما طولا في ثمانية عشر يوما عرضا وهو مخالف لما سبق* وقال ابن سيده أخذت الاندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من الحر الشامي في الجنوب الى البحر المحيط في الشمال وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى ولبعضهم

لله اندلس وما جمعت بها * من كل ما ضمت لها الاهواء
فكأنما تلك الديار كواكب * وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول في جنة * واعت به الافياء والانداء

وقال غيره

في أرض اندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن ارض يحض بها * على الشهادة ازواج وابناء
وأين يعدل عن أرض تحث بها * على المدامة امواه وأفياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها * وكل ارض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا * ولا انتشار لآلي الطل أنداء
وانما أرج الند استثار بها * في ماء ورد فطابت منه ارجاء
وأين يبلغ منها ما اصنفه * وكيف يحوي الذي حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض ثم بدت * فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا أبحر خفقت * وجدا بها اذ بدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء

قدمنا ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللاوائل فيما ذكرناه حجج يطول الخطب بذكرها* وفيها الكواكب المرئية التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضا في مسيرها ولا تنتقل عن اماكنها ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت في حركتها فمنها ما يسرع الكوكب في حركته ومسيره وربما أخذ في الجنوب وربما أخذ في الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب في افلاكها فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك في شهر ومقام الشمس في كل برج شهر ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ في كل برج خمسة وأربعون يوما ومقام المشتري في كل برج سنة ومقام زحل في كل برج ثلاثون شهرا* زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها اربعة

فيها خلعت ... ى ماسا عوض * فهى الرياض وكل الارض صحراء

وقد تقدمت هذه القصيدة وقال آخر

حبذا الاندلس من بلد * لم تزل تنتج لى كل سرور

طائر شاد وظل وارف * ومياه سائحات وقصور

وقال آخر

يا حسن اندلس وما جمعت لنا * فيها من الاوطار والاوطان

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان

نسج الربيع نباتها من سندس * موشية ببدائع الالوان

وغدا النسيم بها عليلا هائما * بربوعها وتلاطم البحران

يا حسنها والطل ينثر دوقها * درراخلال الورد والريحان

وسواعد الانهار قد مدت الى * ندمائها بشقائق النعمان

وتجاوبت فيها شوادى طيرها * والتفت الاغصان بالاغصان

ما زرتها الاوحيانى بها * حدق البهار وأنمل السوسان

من بعدها ما أعجبتنى بلدة * مع ما حللت به من البلدان

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة البلش بلاط فيه جوائز مشوورة من بقعة مستوية الاطراف طول الجائزة منها مائة شبر واحد عشر شبرا * وفى الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تذكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم ولنمسك العنان فى هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض أو لنقل صاحبه ما روى عنه او لاختلاف ما أو غير ذلك من غرض سديد

(الباب الثانى)

فى القاء الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحل الارتياء والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازدياده ازدياد ونبا وصل اليه اهتيام وتكرر بمثله اعتياد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلى الله عليه وسلم زويت لى مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها ووقع الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة لدى على مجاز الزقاق فكان ما يذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحمهم الله اجمع * وذكر الحجارى وابن حيان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرى مولى موسى بن نصير الذى تنسب اليه جزيرة طريف التى على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصرانى المحنق على لذريق صاحب الاندلس وكان فى مائة فارس وأربعمائة راجل جاز البحر فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع يليان صاحب سبتة انتهازة عن امر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهى اقوال * وقال ابن حيان ان الثانى ...

عشرون الف ميل وان عرضها وهو ... عرضها وعمقها تسعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا ذلك بأنهم اخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينتين ... على خط واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التى فى البرية بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب فى مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب فى مدينة تدمر اربعة وثمانين جزأ وثلث جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها فى هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا عشر وان الشمس تقطع كل برج فى شهر وتقطع البروج كلها فى ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محورى النجار والخراط الذى يخرط الاكرة والقصاع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارض وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين اعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى فاما اهل البلاد التى مالت الى ناحية

ف ... فى ... ار بعة ... ابن نصير صا ... وس ... اول اسباب ... الدهبية

الاندلس

الاندلس كان أن ولي الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير وولى عمه عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك في افريقية وجعل على مقدمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهي قصبة بلادهم وأم مدائنهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلها ولم تكن فتحت قبله وقيل بل فتحت ثم انغلقت * وذكر ابن حيان ان الاستصعاب سببه على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني وانه في اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ما سردنا بعضه فيما تقدم * وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح واخبارنا ما افاء الله من الخير على موسى ابن نصير وكتب من جهاد لطارق بن زياد مولاه قصاص واوراق وحديث اشراق واشراق وارعاد وابراق وعظم امتشاش وآلة معلقة في دكان قماش انتهى * وقال في المغرب طارق بن زياد من افريقية * وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو فتح جزيرة الاندلس ودوخها واليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى * وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه واما طارق السلطان فيكفيه ولايته سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير * ومن تاريخ ابن بشكوال احتل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين في اثني عشر الفا غير اثني عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الا شيء يسير وانه لما ركب البحر رأى وهو نائم النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن امير يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها ان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكر فاستبشر بذلك ومن معه * ومن تاريخ ابن حيان ان المحرض يليان النصراني صاحب سبتة للامر الذي وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس فجهز لها مولاه طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر في اربع سفن وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت في شعبان سنة ٩٢ ولم تزل المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبر وان يليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا في جهة البشكنش فبادر في جموعه وهم نحو مائة الف ذوي عدة وعدد وكتب طارق الى موسى بأنه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدة فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين فكملوا بمن تقدم اثني عشر الفا ومعهم يليان صاحب

الشمال فانهم يرون القطب الشمالي وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى في العراق في السنة اياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان وأما البلدان الجنوبية فانه يرى في السنة كلها وقد تنازع طوائف الملكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك اساكنان هما أم متحركان وذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع في شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا اقبلت اليه نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شيء وظهرت الاشجار والارض وهذا

سفينة فى حشد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار فاقبل نحوهم لذريق ومعه خيار العجم واهلا كهاوفرسانها وقلوبهم عليه فالافوافيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من اتباعنا ولسنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا وهؤلاء القوم الذين طرقوا لاحاجة لهم فى ايطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنم ثم يخرجوا عنا فهلم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلهم يكمونه امره فاذا هم انصرفوا عنا أقعدنا فى ملكنا من يستحقه فاجمعوا على ذلك اه ❊ وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوطيين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق مانصه وكانت لهم خطوة وراء البحر فى هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذى هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملتهم وموسى بن نصير أمير العرب اذذاك عامل على افريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأثخن فى جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليثى واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلة فعلها زعموا بابنته الناشئة فى داره على عادتهم فى بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق وأخذ ابنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقا فيها الفرصة فانتهزها لوقته وأجاز البحر سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير فى نحو ثلثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهما عسكرين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعى ونزل بمكان مدينة طريف فسمى به وأداروا الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى لذريق فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم واهل ملة النصرانية فى زهاء اربعين ألفا وزحفوا اليه فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه ويأمره ان لايتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب بن منده الفهرى ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة فى عسكر ضخم من وجوه العرب الموالى وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق مابين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانقاد واتبع وأتم موسى الفتح وتوغل فى الاندلس الى برشلونة فى جهة الشرق وأربونة فى الجوف وصنم قادس فى الغرب ودوخ اقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه مابينهما من أمم الاعاجم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ماهم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع وكتب له بذلك عهده ففت ذلك فى عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل

جبل دباوند بين بلاد الرى وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه فى الجو ويرتفع فى اعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه خالية اعاليه منها ويخرج من اسفله نهر كثير الماء نهر اصفر كبريتى ذهبى اللون مسافة الصعود عليه فى نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار فى قلته وجد مساحة رأس القلة نحو ألف ذراع فى مثل ذلك وهى ترى فى رأى العين من أسفل نحو القبة المخروطة وان فى هذه المساحة فى أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه القبة لايلحقها شئ من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسموها فى الهواء وشدة البرد وان فى أعاليه نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتى العظيم ويخرج مع ذلك دوى عظيم كأشد مايكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كانه الذهب ينتفع فى أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ماحوله من الجبال الشامخة كانها روابى وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان فى المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لجت فى هذا البحر غاب عنها جبل دباوند ولم يره أحد فاذا صاروا فى هذا البحر على

المرابطة والحامية بها وردها وانزل ابنه عبد العزيز بها وجعلها وجه عدوه وأوابدة رضيه فاتخذها دار امارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر يقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي وولى على أفريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثار عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته وكان خير فاضلا وافتتح في ولايته مدائن كثيرة * وولى من بعده أيوب ابن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى بن نصير تولى سياستها اشهرا ثم تعاقبت ولاة العرب على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله بالقيروان وأثخنوا في امم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وانقرضت امم القوط وأوى الجلالقة ومن بقي من أمم العجم الى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجاز عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا البسائط وراءها وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصفت ريح الاسلام بأمم الكفر من كل جهة وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد للعدو بعض الكرة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة من لدن فتحها واستمر الامر على ذلك وكان محمد ابن يزيد عامل افريقية لسليمان بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية أشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز الى الاندلس السمح بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة وأمره أن يخمس أرض الاندلس فخمسها وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة ثنتين ومائة فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل افريقية فقدمها في صفر سنة ثلاث ومائة فاستقام أمر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغل في بلادهم واستشهد سنة سبع ومائة لاربع سنين وأربعة أشهر ثم تتابعت ولاة الاندلس من قبل أمراء افريقية فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي أنفذه بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية لما استدعى منه أهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة سبع وأقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز وقدم اليها عثمان بن أبي نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الاحوص العبسي فوافاها سنة عشر وعزل قريبا يقال لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان ثم ولي بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم في المحرم سنة احدى عشرة وغزا أرض مقوشة فافتتحها وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله الاشجعي فولي شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ثم ولي عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في

نحو من مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل وكلما ... بوا من ... احال ظهوره وهذا دليل على ... والماء من كرية ... البحر وانه مستدير الشكل وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلد انطاكية والبلاد فيه وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن ابصارهم في المراكب ولا يخفى عليهم في البحر في الموضع الذي يرى منه وقد ذكر جماعة ... بردمن هذا الكتاب جبل دباوند وما قال الفرس في ذلك قال الضحاك ذو الافواه وما من اعاليه بالحديد ... النار التي في أعالي هذا الجبل أطم عظيمة من آطام الارض وعجائبها وقد تكلم الناس في بعد الارض فذكر الاكثر ان من مركز الارض الى ما ينتهي اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربعين مرة والارض كلها نصف عشر عشر من الشمس وعشر

مقدار سنة أربع عشرة فولي ستين وقال الواقدي أربع سنين وكان ظلوما جائرا في حكومته وغزا أرض الفرنجة سنة خمس عشرة ومائة فأوقع بهم وغنم ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة وولي عقبة بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحبحاب فأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة احدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال اخرجه من الاندلس وولي مكانه الى أن دخل بلج بن بشر باهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولي الاندلس سنة أو نحوها وقال الرازي ثار أهل الاندلس بأميرهم عقبة في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة ستة أعوام وأربعة اشهر وتوفي بقرقشونة في صفر سنة ثلاث وعشرين واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القشيري بجند الشام ناجيا من وقعة كلثوم بن عياض مع البربر بطنجة فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن سبعين سنة واستوسق له الامر بعد مقتل عبد الملك وانحاز الفهريون الى جانب فاستجمعوا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم من انكر فعلته بابن قطن وقام بامرهم قطن وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على الفهريين وهلك بلج من الجراح التي نالته في حربهم وذلك سنة اربع وعشرين لسنة أو نحوها من امارته ثم ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج واختاره الشاميون فلم يطيعوه وولي سنتين اظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة اشهر الى ان دالت بدالة العصبية في يمانيته ففسد أمره وهاجت الفتنة وقدم أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبي نسعة وابنا عبد الملك فلقيهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما ذا رأي وحزم وكثر أهل الشام عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص وأهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الاردن رية ومالقة وسماهما الاردن وأهل فلسطين شذونة وهي شريش وسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وسماها مصر وقفل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية وأسخط قيسا وأمر في بعض الايام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن ورأس على المضرية فأقيم من مجلسه وتقنع فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا أبا الجوشن فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها فسار الصميل بن حاتم اميرهم يومئذ وزعيمهم وألب عليه قومه واستعان بالمنحرفين عنه من اليمانية فخلعوا أبا الخطار سنة ثمان وعشرين لاربع سنين وتسعة اشهر من ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس مستهل رجب سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بامره الصميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة من

ولايته

الارض اثنان وأربعون ألف ميل والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل ونصف ميل والمشتري مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر ميلا وزحل أعظم من الارض تسعا وتسعين مرة ونصفا وقطره اثنان وثلاثون ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلا وأما أجرام الكواكب الثابتة التي في المشرق الاول وهي خمسة عشر كوكبا فكل كوكب منها أعظم من الارض بأربع وتسعين مرة ونصف مرة وأما بعدها من الارض فان أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل وأبعد بعده من الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل وأبعد بعد عطارد من الارض سبعمائة ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل وأبعد بعد الزهرة من الارض أربعة آلاف ومائة وسبعة عشر ألف ميل وستمائة ميل وابعد بعد الشمس من الارض أربعة آلاف ألف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفا ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستمائة ميل وثنيئ وأبعد بعد المشتري من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الاشيأ وأبعد بعد زحل

ولايته. ووقع الخلاف بافريقية وانتقاض أمر بني أمية بالمشرق وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج وعظم أمر المسوّدة بقي اهل الاندلس فوضى ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن ابن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية وادالتها بين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين واستتم سنته ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وقفت اليمانية لميعاد دالتهم وثقفين بمكان عهدهم وتراضيهم. وانعاد تهم فبيتهم يوسف بمكانهم من شقندة في قرى قرطبة بمالأة من الصميل بن حاتم والقيسية وسائر المضرية فاستلحموهم، وثار أبو الخطار فقاتله الصميل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنية على أمرهم فاستكانوا لغلبه وتربصوا الدوائر الى أن جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولى الصميل سرقسطة فلما ظهر أمر المسوّدة بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده رجاء هلاكه لما كان يغص به وأمدته القيسية وأفرج عنه الحباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الصميل على طليطلة الى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولي الدين بن خلدون ببعض اختصار (وقال بعض المؤرخين) ان عبد الله بن مروان أخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد الخليفة يأمره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة ٨٧ للهجرة فامتثل أمره. ثم قال الحميدي في جذوة المقتبس ان موسى بن نصير ولي افريقية والمغرب سنة ٧٧ فقدمها ومعه جماعة من الجند فبلغه أن بأطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة الف رأس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة أخرى فأتاه بمائة الف رأس : وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين ألف رأس وقال الصدفي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن افريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألفا من البربر بالاسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عنده خلقا يسيرا من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر خلا اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢

من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشيا و بعد الكواكب الثابتة ١١١ ... الارض ... وذلك فيما ذكرنا من القدماء ولاختلافات قايس استدركت الموالعات وبها استخرجوا الالات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا باب ان شرعنا في ايراد المعض منه كثر واتسع الكلام وانما ذكرنا نبذا من هذه الفنون لتدل على مالم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كهنتهم يسمى رأس كمر وزعم بعضهم أن النصارى رتبت كهنتها في كنائسها على ما تقدمت به الصابئة في مذهبها وتسمي النصارى هذه المراتب الدرجات فأولها الساعاط والثاني اغنسط والثالث يودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس يودوط والسابع حرر العينطس وهو الذي يدف الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرك وتفسيره ابو الآباء من تقدم ذكرهم من اصحاب المراتب وغيرهم من الاداني وعوامهم هذا عند خواص النصارى فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرناه وهوان ملكا ظهر واظهر امورا يذكرونها الاحاجة.

وذكر عن طارق أنه كان نائماً في المركب وقت التعدية فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخره وعلم أن طارقاً ان فتح شيأ نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقاً فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلاً شجاعاً كريماً تقياً لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن أشركك بكفري من هو أولى بشكري منك فقال من هو فقال الله عز وجل فأطرق ملياً ثم قال أستغفر الله ورضي عنه *(رجع الى حديث طارق): قال بعض المؤرخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تدمير واليه تنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء هم أم من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض أعدائه رجع عوده في سبعين ألف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقاً دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت واني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا انني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون

بنا الى وصفها وذا ترتيب الملكية وهم عمد النصرانية وقطبها الان المشارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة من هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما احدث انفرادهم جملا من هذه المراتب على ما ذكرنا من الطائفة وأما القسيس والشماس وغير ذلك من السياسة الا النصف درس والسماع وكان ما حدث بعد مضي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من ذلك ابن ديصان ومرقيون والى ماني أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك الردية وغيرها ممن سلك طريقة هؤلاء حب الاثنين وقد تقدم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط جمل من نوادر هذه المذاهب وما أوردوه من الخبر عن المرتضى والشبه المزوقة عنه وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وما ذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب الابانة في أصول الديانة واعلم أنا ذكرنا في هذه الابواب ما يتنوع الكلام اليه ويتعلق هذا الوصف نحوه وورد منها على طريق الخبر والحكاية للمذهب لا على طريق النظر والجدل اذ لا يخلو كتاب من هذا مما تدعو الحاجة فلما

فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب وأصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غاية من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق فى أصحابه عليهم الزرد من فوق رؤسهم العمائم البيض وبايديهم القسى العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق خاف وقال ان هذه الصور هى التى رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم الرعب ولما رأى طارق لذريق قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ الى جليقية وهى ساحل البحر المحيط انتهى *(وقال الحافظ الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس) ان موسى بن نصير نقم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام انتهى * وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رأيناها فى بيت الحكمة اشارة به الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذ ذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولم تك عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخس أجزاء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى كان الاشتغال بها عندهم من اهم الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنان والكروم وشيدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما راى بهجتها ان الطائر الذى صورت هذه العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله فى ذنبه (وحكى) ان الرشيد هرون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض اهل

اليه والى ذكره والله أعلم *(ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجل من أخبار الانهار ابكار) * ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وأن جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كانها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل بسبب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها أعنى البحار واحد وذلك من

البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر أوقيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق

المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المؤمنين وانه طاوس فضحك امير المؤمنين الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره (رجع) قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتم اغتباط واتخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا هو انه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم العامرة فعزموا على ان يتخذوا لهذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية البحر ويردون عليهم منهم طوائف محرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا واكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة حتى نبت ذلك فى طباعهم وصار بعضهم مركبا فى غرائزهم فلما علم البربر بعداوة أهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجد أندلسيا الا مبغضا بربريا وبالعكس الا أن البربر أحوج الى أهل الاندلس لوجود بعض الاشياء عندهم وفقدها ببلاد البربر وكان بنواحى غرب الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبوها وخشى أبوها ان زوجها من واحد أسخط الباقين فتحير وأحضر ابنته وكانت الحكمة مركبة فى طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة اعضاء من أهل الارض أدمغة اليونان وايدى اهل الصين وألسنة العرب فقال لها يا بنية انى أصبحت على حيرة فى أمرك ممن يخطبك من الملوك وما أرضيت واحدا الا أسخطت الباقين فقالت له اجعل الامر الى تخلص فقال وما تقترحين فقالت أن يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب فى اجوبة الملوك الخطاب انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان فى الملوك الخاطبين حكيمان فكتب كل واحد منهما أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال لها يا بنية بقى الامر على اشكال وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيت اسخطت الآخر فقالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتى به فأيهما سبق الى الفراغ مما التمست كنت زوجته قال وما الذى تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون الى أرحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ لى طلسما تحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف أبوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنته فأجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد منهما فى عمل ما أسند اليه من ذلك فأما صاحب الرحى فانه عمد الى أشكال اتخذها من الحجارة نضد بعضها الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفرج التى بين الحجارة بما اقتضت حكمته واوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبتة والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أى القولين أصح غير أن الشائع الى الآن

فى البدن وقال آخرون حق الماء أن يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالى والهابط انحاز الماء الى أعماق الارض فاذا انحصرت المياه فى اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ لعله الارض وضغطها اياها من أسفل فينشق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد فى باطن الارض من الهواء الكائن هناك وان الماء ليس بناقص وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا فى ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار وبسطنا ذلك فى غير كتاب من كتبنا وأما مبادى الانهار الكبار ومصارحها ومقدار جريانها فنهر مهران السند وجيحس وهو نهر عظيم بأرض الهند ونهر سامط وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذى يصب الى نهر نيضش وغيرها مما كبر من الانهار قد تكلم الناس فى مقدار جريانها على وجه الارض فرأيت فى جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحرين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهى جزيرة عامرة فيها قوم

عند الناس هو الثانى فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال فى البر الكبير وسلطه من ساقية محكمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية * وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار رصد الموافق لعمله غير أنه عمل أمره واحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى وله لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة فى رأسه لجعودتها وهو متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه فى رجله نعل وهو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ستين أو سبعين ذراعا وهو محدودب الاعلى الى ان ينتهى ما سعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابض عليه مشيرا الى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم يرقط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرالا سقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذ بالسبق يستحق زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ أولا لكنه أخفى امره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم لتحظى المرأة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى أعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من اعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وجعلوا الطلسمات فى اوقات اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذريق المذكور آنفا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد اريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته واهل الراى منهم قد وقع فى نفسى من امر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شئ واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت انه لم يصنع عبثا ولم يقفل سدى والراى والمصلحة أن تلقى انت ايضا عليه قفلا اسوة بمن تقدمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال لهم ان نفسى نازعنى الى فتحه ولا بد لى منه فقالوا له ان كنت تظن ان فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه

من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من ١٥ , الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدا الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى اثارة الزيادة فيه السموسار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد

ولم يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على اشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وهم متقلدون السيوف المحلاة معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك من فيها من أيديهم وبطلت حكمتهم فلما سمع لذريق ما فى الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتح بلاد الاندلس انتهى * فهذا هو بيت الحكمة الذى أشار اليه لذريق والله أعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على أن فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات مؤرخى الاندلس وغيرهم فى شأن المائدة وغيرها وما ذكر فى هذه القصة من جلب الماء من بر العدوة انخ فيه بعد عندى لان بلاد الاندلس أكثر بلاد الله مياها وأنهارا فأنى تحتاج الى جلب الماء اليها من العدوة الاخرى الا أن يقال ان المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك أو اختبار حكمته حتى فعل هذا الامر الغريب وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل ذى علم عليم ومنتهى العلم الى الله الحكيم (وقال ابن حيان فى المقتبس) ذكروا أن لذريق لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب فى القوط وأنه انما نال الملك من طريق الغصب والتسور عندما مات غيطشة الملك الذى كان قبله وكان أثيرا لديه مكينا فاستصغر أولاده لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاد غيطشة واستبقاهم وكانوا هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند ملاقى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم فى أن يودى ويخلص اليهم ملك أبيهم فالتقوا بموضع يدعى وادى لكة من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلى مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين من الهجرة فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب ومصداق موعد نبيهم صلى الله عليه وسلم الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى اليه أنجزه لهم بفتح الاندلس ولله القوة قال وقام بأمر العرب بالاندلس منذ فتحت الامراء المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالمشرق طوال دولة بنى أمية رضى الله تعالى عنهم الى أن طرأ اليها فلهم عند غلبة بنى العباس عليهم ودخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها وأعاد اليها الدولة الاموية التى أورثها عقبه حقبة فكانت عدة هؤلاء الامراء من لدن أولهم طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى عشرين عاملا وعدة سنيهم بالشمسى خمس وأربعون سنة وبالقمرى سبع وأربعون سنة غير أشهر انتهى (وقال فى موضع آخر) نقلا عن الرازى وافتتحت الاندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملة الحنيفية وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه متهمما بها معتنيا بشأنها وقد حولها عن نظر والى افريقية وجرد اليها عاملا من قبله اختاره لها دلالة على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن أمره وبفضل رأيه انتهى (وفى

الكتاب

السند من أرض القنوج الى مملكة بووره وأرض قشمير والقندهار والطافر حتى ينتهى الى بلاد المولتان ومن هناك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارث من قديم الزمان من صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى أجواف هذا البحر وفى خليج سيدابون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الزابج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاعباب وفى عب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى الماء العذب وما ذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذى ذكره الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها

الكتاب الخزائني وغيره) سياقة فتح الاندلس على أتم الوجوه فلنذكر ملخصه قالوا استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز ابن مروان ويقال بل هو بكري وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في عين التمر فادعوا انهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فأعتقه فمن هنا يختلف فيه وقيل انه لخمي وعقد له على افريقية وما خلفها في سنة ثمان وثمانين فخرج الى ذلك الوجه في نفر قليل من المطوّعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وأتى افريقية فعمله فأخرج من أهلها معه ذوي القوّة والجلد وصير على مقدّمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل البربر ويفض جموعهم ويفتتح بلادهم ومدائنهم حتى بلغ طنجة وهي قصبة ملك البربر وأم مدائنهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تكن افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتجعت فأسلم أهلها ونطاق البربر وانا للمسلمين ثم ساروا الى مدائن على شط البحر بها عمال لصاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ورأس تلك المدائن سبتة وعليها علج يسمى يليان قاتله موسى فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يطقه فرجع الى مدينة طنجة فأقام بمن معه وأخذ في الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل ملكها غيطشة فهم يذبون عن حريمهم ذبا شديدا ويحمون بلادهم حماية تامة الى أن هلك غيطشة ملك الاندلس وترك أولادا لم يرضهم أهلها للملك فاضطرب حبل أهل الاندلس ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب شجاع بطل ليس من بيت أهل الملك الا أنه من قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم وكانت طليطلة دار الملك بالاندلس حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامي الفتح على الايام عليه عدة من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح وقد عهد الاول في ذلك الى الآخر فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه على ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدّمه فلما قعد لذريق هذا وكان متهمما يقظا ذاهمة أتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب فقال لهم لا أفعل أو أعلم ما فيه ولا بدلي من فتحه فقالوا له أيها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفت اليهم ومشى الى البيت فأعظمت ذلك العجم وضرع اليه أكابرهم في الكف فلم يفعل وظن انه بيت مال ففض الاقفال عنه ودخل فأصابه فارغا لاشئ فيه الا تابوتا عليه قفل فأمر بفتحه يحسب أن مضمونه يقنعه نفاسة فألفاه أيضا فارغا ليس فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات على الرماح وفي أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية فقرئت فاذا فيها اذا كسرت الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فان هذه الامة المصورة في هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم غمه وغم العجم بذلك وأمر برد الاقفال واقرار الحراس على حالهم وأخذ في تدبير الملك وذهل عما أنذر به وقد كان من سير أكابر العجم بالاندلس وقوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاد الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا

ولاسبيل الى جريان السفن فيه هنالك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون ونهر الاهواز من بلاد الفيوم وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في مائها ثم يمضي جاريا فتنقسمه خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية كل يصب الى البحر الرومي وقد أحدث فيه بحيرات في هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادها في هذه السنة وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الى وأنا بمدينة انطاكية من الثغر الشامي ان النيل زاد في هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدري أفي هذه الزيادة دخل خليج الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن الفيلفوس المقدوني بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط ذا في نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض برقة من بلاد المغرب

بأدبه وينالون كرامته حتى اذا بلغوا أنكح بعضهم بعضا استئلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم
وتولى تجهيز اناثهم الى أزواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكانت
تونشد في يد صاحب الاندلس وأهلها على النصرانية ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال
تكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فأعجبته وأحبها حبا شديدا ولم يملك
نفسه حتى استكرهها وافتضها فاحتالت حتى أعلمت أباها بذلك سرا بمكاتبة خفية فأحفظه
شأنها جدا واشتدت حميته وقال ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ولأحفرن تحت قدميه
فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس بالذي سبق من قدر الله تعالى
ثم ان يليان ركب بحر الزقاق من سبتة في أصعب الاوقات في صنبر قلب الشتاء فصار
بالاندلس وأقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله
عما لديه وما جاء فيه ولم جاء في مثل وقته فذكر خيرا واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى
رؤية بنتها التي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها عليه في احضارها وأنه أحب
اسعافها ورجا بلوغها أمنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل
وأجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وأفضل على أبيها فانقلب عنه وذكروا أنه لما
ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات التي لم تزل تطرفنا بها فانها
أثر جوارح الدنيا فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل
عليك مثلها قط عرض له بالذي أضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن
فلم يتهنه يليان عندما استقر بسبتة عمله أن تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه
بافريقية وكلمه في غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من أشتات المنافع
وأنواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك
حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هنالك وأخذ بالحزم فيما
دعاه اليه يليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل
ملته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يليان
ذلك وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار
وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا
بيليان واطمأنوا اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين فكتب موسى بن نصير الى أمير المؤمنين
الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه اليه يليان من أمر الاندلس ويستأذنه في اقتحامها
فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد
الاهوال فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان
كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من
البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زرعة في أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم في أربع مراكب
فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم معبر سفائنهم ودار
صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التام اليه أصحابه ثم مضى
حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وأمتعة

وكانت السفن تجري في النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط أرض نيلها في المدينة بالرخام والمرمر فانقطع
الماء لعوارض سدت خلجانها
وسدت الماء من دخوله
وقيل لعلل غير ذلك منعت
من ...ه وردت الماء الى
كنه لا يحملها كما
هذا الاستعمال فيه
الاختصار ...
الآثار وصار النيل على نحو
يوم منها وسنذكر فيما يرد
من هذا الكتاب في باب
ذكر الاخبار الاسكندرية
جملا من أخبارها وأخبار
بانيها وما ذكر من أنباء
الجاري الى بحر ارتج فما
هو آخذ من معالي مصب
ارتج ودرق بين بلاد ارتج
وبين أقاصي بلاد احماس
الاحابش ولولا ذلك الحبي
ومفاوز من رمل ودهاس
لم يكن للحبشة مقام في ديارهم
من أنواع الترك لكثرتهم
وبسطها (وأما نهر بلخ)
الذي يسمى جيحون فانه
يخرج من أعين تجري حتى
تأتي بلاد خوارزم وقد
اختار قبل ذلك بلاد الربد
واسراتيل وغيرهما من بلاد
خراسان فاذا ورد الى بلاد
خوارزم يفرق في مواضع
هنالك ويمضي باقيه
فيصب في البحيرة التي
عليها القرية المعروفة
بالجرجانية اسفل خوارزم
وليس في ذلك الصقع أكبر
من هذه البحيرة ويقال انه ليس في العمران بحيرة أكبر منها لان طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض تجري

وذلك

وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الدخول ودخل طريف فى ألف رجل فأصاب غنائم وسبيا ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة وليس بطريف فى ألف رجل منهم أيضا فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنها فضرموا عامتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال الرازى هو أبو زرعة طريف بن مالك المغافرى الاسم طبق الكنية فالوائم عاود يليان القدوم على موسى بن نصير محركا فى الاقدام على أهل الاندلس وحدثه بما كان منه ومن طريف وأبى زرعه وما نالوه من أهلها وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستعزم فى اقحام المسلمين فيها فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا همدانيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم وبعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة فعقد له موسى وبعثه فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالى وليس فيهم عرب الا قليل ووجه معه يليان فهيأ له يليان المراكب فركب فى أربع سفن لا صناعة له غيرها وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة اثنتين وتسعين فى شهر أغسطس ثم صرف المراكب الى من خلفه من أصحابه فركب من بقى من الناس ولم تزل السفائن تختلف اليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى اثنى عشر ألفا غير ستة عشر رجلا من البرابرة ولم يكن فيهم من العرب الا يسير أجازهم يليان الى ساحل الاندلس فى مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم أولا أولا وركب أميرهم طارق آخرهم قيل وأصاب طارق عجوزا من أهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل الى بلدهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنها أن فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه* وذكر عن طارق أنه كان نائما فى المركب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة أصحابه عليه الصلاة والسلام يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ثقة ببشراه فقويت نفسه ولم يشك فى الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلاد شانا للغارة فالوا ووقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب ساحل الاندلس وتوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وان يليان السبب فيها وكان يومئذ غائبا بأرض بنبلونة فى غزاة له الى البشكنس لامر كان استصعب عليه بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذى منه أتى وأقبل مبادرا الفتق فى جموعه حتى احتل بمدينة قرطبة من المتوسطة ونزل القصر المدعو بها ببلاط لذريق المنسوب اليه وليس لانه بناه أو اخترعه وهو بناء من تقدمه من الملوك اتخذوه منزلة فى قرطبة اذا أتوها

فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش يمر ببلاد العادات وبمدينة جبسه وتجرى فيه السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع الغزية وهم بوادى الترك وحضرهم أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم أصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم أشد الترك بأسا وأصغرهم وأصغرهم عيانا فى الترك أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والتاسعة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغرانيق وسنذكر جملا من أخبار أجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا أو مفترقا وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر أعمالها وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم أوجاروبت وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم الغار لم ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر الغار زعم قوم من أهل الخبرة انه مبتدأ نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبتدا نهر الترك وهو الغار وقيل اربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكر انهر

الا أن العرب لما غلبوا لذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذ لم يعرفوا من بناه ويزعم
العجم أن الذي بناه ملك منهم كان ساكنا بحصن المدور أسفل قرطبة وخرج يوما يتصيد حتى
انتهى الى مكان قرطبة وهي يومئذ خراب وكان في موضع قصرها غيضة عليق ملتفة أشبة
فأرسل الملك بازياله يكرم عليه على حجلة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى أبي عبيدة
فنشبت في ذلك العليق وولج البازي في الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على
مكانه ليخرجه وأمر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنا منه به فقطعت وبدا له تحتها أساس قصر عظيم
راقه رصفه وقد كان داخمة فأمر بالكشف عنه وتقصى حدوده طولا وعرضا وتتبع أسه
واصله فوجده مبنيا من وجه الماء بضخم الحجارة فوق رزجون وضع بينها وبين الماء باحكم
صناعة فقال هذا أثر ملك كريم وأنا أولى من جدده فأمر باعادته الى هيئته واتخاذه منزلا من
منازل راحاته فكان اذا طاف بعمله أو مضى في متصيده نزل فيه وصار السبب في بناء قرطبة
الحديثة ونزل الناس فيها وتوارث الملوك قصرها من بعده ونزله لذريق في زحفه الى العرب
أياما والحشود من أعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شذونة يبغي لقاءهم في حشوده
الكثيرة وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلقتهم العرب غيطشة وانه هلك عن أولاد
ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضمنت أمهم عليهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف لذريق قائد
الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق
واستفز اليه اجناد أهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل
واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذرهم من القعود عنه
ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدا وحشدوا وقدموا عليه
بقرطبة فنزلوا اكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنوا الى الدخول على
لذريق أخذا بالحزم الى أن استتب جهاز لذريق وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم
مرصدون لمكر وهو والاصح والله أعلم ما سبق ان ملك القوط اجتمع للذريق واختلف في
اسمه فقيل رذريق بالراء أوله وقيل باللام لذريق وهو الاشهر وقيل ان أصله من اصبهان
ويسمى الاشبان والله اعلم قالوا وعسكر لذريق في نحو مائة ألف ذوي عدد وعدة فكتب
طارق الى موسى يستمده ويعرفه ان فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس وملك المجاز اليها
واستولى على اعمالها الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا أن يشاء الله وكان
موسى منذ وجه طارقا لوجهه قد أخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل
الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مددا كملت بهم عدة من معه اثني عشر ألفا أقوياء
على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم في رجاله واهل عمله يدلهم على
العورات ويتجسس الاخبار وأقبل نحوهم لذريق في جموع العجم وملوكها وفرسانها
فلاذوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من
أهله وانما كان من أتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالا في أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون
لا حاجة لهم في استيطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤوا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم
فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا اقعدنا في ملكنا

رت الاسود ولا نهر رت الابيض الذي يكون عليه مملكة كيمان وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ وهو
جيحون وعلى هذين النهرين
الغدرية من الترك وشذين
احجار لم يخط بها لمدائنهما
على وجه الارض فنذكر
ذلك (وكذلك مجرى نهر
الهند) بدؤه من جبل من
أعالي أرض الهند مما يلي
الصين من بحر بلاد
الصغد من البرك ومقدار
جريانه الى ان يصب في
البحر الحبشي مما يلي جبل
الهند اربعمائة فرسخ
(واما الفرات) فبدؤه من
بلاد قاليقلا من ثغور
ارمينية من جبل هناك
يدعى افردخس على نحو
يوم من قاليقلا ومقدار
جريانه من بلاد الروم الى
أن أتى بلاد منضبة وأخبرني
بعض اخواننا من المسلمين
ممن كان أسيرا في أرض
بلاد النصرانية ان الفرات
اذا توسط أرض الروم
تنصب اليه مياه كثيرة
من نهر يخرج مما يلي بحيرة
نادرسون وليس في أرض
الروم بحيرة أكبر منها وهي
نحو من شهر وقيل أكثر
من ذلك طولا وعرضا تجري
فيها السفن وتنتهي الى
الفرات الى جسر منبج وقد
اجتاز تحت قلعة سميساط
وهي قلعة الطين ثم ينتهي
الى مالس وهي نصفان
موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهي الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار من

ون يستعتقه فأجمعوا على ذلك والقضاء يبرم ما ارتأوه وكان لذريق ولى ميمنته احد ابنى
غيطشة وميسرته الآخر فكانا رأسى الذين أداروا عليه الهزيمة وأداهما الى ذلك طمع
رجوع ملك والدهما اليهما * وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق
وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه
وأنهم غير تاركى حقهم لديه و يسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن
يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى
التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد
فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك أقوى أسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من
كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصرا لا كفاء له ورمى لذريق
نفسه فى وادى لكة وقد أثقلته الجراح فلم يعلم له خبر ولم يوجد * وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا
من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجه لذريق علجا من أصحابه قد عرف نجدته
ووثق بباسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم و يعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك
العلج حتى طلع على العسكر ثم شذ فى وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفا
راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق أتتك الصور التى كشف لك عنها التابوت
فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم
اياسا لانفسهم من التعلق بها وصفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات اذ ليس لهم
فى أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا
الى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما ابنا غيطشة وثبت القلب بعدهما قليلا
وفيه لذريق فعذر أهله بشئ من قتال ثم انهزموا ولذريق أمامهم فاستمرت هزيمتهم وأذرع
المسلمون القتل فيهم وخفى أثر لذريق فلا يدرى أمره الا أن المسلمين وجدوا فرسه الاشهب
الذى فقدوه وراكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد
خفيه وكان من ذهب مكلل بالدر والياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق
العلج فثبت أحد خفيه فى الطين فاخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيا ولا ميتا
والله أعلم بشأنه (وقال الرازى) كانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان
فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال بعده تتمة ثمانية أيام ثم هزم الله
المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الارض
قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم
الذهب يجدونها فى أصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضة ويميزون عبيدهم بخواتم
النحاس فجمع طارق الفئ وخمسه ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد
والاتباع وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها
فأقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا
بطارق وارتفع أهل الاندلس حينئذ الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا
بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشد الحصر عليهم حتى نهكهم

مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة و ينتهى الفرات ١٢١ الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة
والجامع بين واجداباذ
والفرس والطفوف ثم
تنتهى غايته الى البطيحة
التى بين البصرة وواسط
فيكون مقدار جريانه على
وجه الارض نحوا من
خمسمائة فرسخ وقد قيل
أكثر من ذلك وقد كان
الفرات الاكثر من مائه
ينتهى الى بلاد الحيرة ونهر
هاتين الى هذا الوقت
فيصب فى البحر الحبشى
حينئذ فى الموضع المعروف
بالنجف فى هذا الوقت
وكانت تتقدم هنالك سفن
الصين والهند ترد الى ملوك
الحيرة وقد ذكرنا عبد
المسيح بن عمرو بن نفيلة
الغسانى حين خاطب خالد
ابن الوليد فى أيام أبى بكر بن
أبى قحافة رضى الله عنه حين
قال له ما تذكر قال اذكر سفن
الصين وراء هذه الحصون
فلما انقطع الماء عن ذلك
الموضع انتقل البحر وصار
من البحر فى هذا الوقت على
مسيرة أيام كثيرة ومن رأى
النجف وأشرف عليه تبين
له ما وصفنا وكثر ملح دجلة
العوراء فصار بينها وبين
الدجلة فى هذا الوقت مسافة
بعيدة وصارت تدعى ببطن
جوخى وذلك من جهة مدينة
فارس من أعمال واسط الى
١٦ ط ل دقوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية

وأضرمتم فتهيأ له فتحها عنوة فحاز منها غنائم ثم مضى منها الى مدور ثم عطف على قرمونة فر بعينه المنسوبة اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل استجة وهم فى قوة ومعهم فل عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها وأقاموا على الامتناع الى أن ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغترا سيئ التدبير فخرج الى النهر لبعض حاجاته وحده فصادف طارقا هنالك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه طارق فى الماء فأخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله فوفى بما عاهد عليه وقذف الله الرعب فى قلوب الكفرة لما رأوا طارقا يوغل فى البلاد وكانوا يحسبونه راغبا فى المغنم عاملا على القفول فسقط فى أيديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم الى دار مملكتهم طليطلة قيل وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله أن تقدم الى أصحابه فى تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم وطبخها فى القدور يرونهم أنهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدثون من وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا قالوا وقال يليان لطارق قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاصمد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابى مهرة ففرق جيوشك معهم فى جهات البلاد واعمد أنت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر فى أمرهم والاجتماع الى أولى رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجة فبعث مغيثا الرومى مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم فى سبعمائة فارس لان المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو فى معظم الناس الى كورة جيان يريد طليطلة وقد قيل ان الذى سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فكمنوا بعدوتهم شقندة فى غيضة أرز شامخة وارسلت الادلاء فأمسكوا راعى غنم فسئل عن قرطبة فقال رحل عنها عظماء اهلها الى طليطلة وبقى فيها أميرها فى أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء اهلها وسئل عن سورها فأخبر انه حصين عال فوق أرضها الا أنه فيه ثغرة ووصفها لهم فلما اجنهم الليل اقبلوا نحو المدينة ووطأ الله لهم أسباب الفتح بان أرسل السماء بردا أخفى دقدقة حوافر الخيل وأقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد أغفل حرس المدينة احتراس السور فلم يظهروا عليه ضيقا بالذى نالهم من المطر والبرد فترجل القوم حتى عبروا النهر وليس بين النهر والسور الا مقدار ثلاثين ذراعا أو أقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقا ورجعوا الى الراعى فى دلالتهم على الثغرة التى ذكرها فأراهم اياها فاذا بها غير متسهلة التسنم الا أنه كانت فى اسفلها شجرة تين مكنت افنانها من التعلق بها فصعد رجل من اشداء المسلمين فى أعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوة فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلاؤه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادر بالفرار

وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربى من الضياع التى كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة بالبسرى والموضع المعروف بالعمر وغير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقى ممن ملك رقة الشماسية فى أيام المقتدر بحضرة الوزير أبى الحسن على بن عيسى وما أجاب به أهل العلم فى ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء فى نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا فى قدره فى سنة فاذا سار اليهم أربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء سبيلا منخفضا وانصبابا أوسع بالحركة وشدة الجرية انغمسه فاقتلع المواضع من الارض من أبعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملأه فى طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ما وصفنا عن مرام ذى فكر ولنبدأ بذكر (دجلة ومبدأ جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد خلاط من أرمينية ويصب اليها نهر سريط وسائر ما يخرج من بلاد أردن وميافارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دوما والخابور الخارج من بلاد ارمينية

عن

عن البلاد في أصحابه وهم زهاء أربعمائة وخرج الى كنيسة بغربي المدينة وتحصن بها وكان الماء يأتيها تحت الارض من عين في سفح جبل ودافعوا عن أنفسهم وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح وأقام على محاصرة العلج بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدم الى أسود من عبيده اسمه رباح وكان ذا بأس ونجدة بالكمون في جنان الى جانب الكنيسة ملتفة الاشجار لعله أن يظفر له بعلج يقف به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعف عقله الى أن صعد في بعض تلك الاشجار وذلك أيام الثمر ليجني ما يأكله فبصر به أهل الكنيسة وشدوا عليه فأخذوه فلكوه وهم في ذلك هائبون له منكرون لخلقه اذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه مصبوغ أو مطلي ببعض الاشياء التي تسود فجردوه وبطحوا عليهم وأدنوه الى القناة التي منها كان يأتيهم الماء وأخذوا في غسله وتدليكه بالحبال الخرش حتى أدموه وأعنتوه فاستغاثهم وأشار الى أن الذي به خلقة من بارئهم عز وجل ففهموا اشارته وكفوا عنه وعن غسله واشتد فزعهم منه ومكث في اسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمع عليه والنظر اليه الى أن يسر الله له الخلاص ليلا فقر وأتى الامير مغيثا فخبره بشأنه وعرفه بالذي اطلع عليه من شأنهم وموضع الماء الذي ينتابونه ومن أي ناحية يأتيهم فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التي أشار اليها الاسود حتى أصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدوا منافذها فأيقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام أو الجزية فأبوا عليه فأوقد النار عليهم حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرقى والنصارى تعظمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدة البلاء غير أن العلج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عندما أيقن الهلاك ففر عنهم وحده وقد استغفلهم ورام اللحاق بطليطلة فبلغ خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلحقه بقرب قرية تطليرة هاربا وحده وتحته فرس أصفر ذريع الخطو وحرك مغيث خلفه فالتفت العلج ودهش لما رأى مغيثا قد رهقه وزاد في حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندق عنقه فقعد على ترسه مستأسرا قد هاضته السقطة فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحه وحبسه عنده ليقدم به على أمير المؤمنين الوليد ولم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استأمن وبعضهم هرب الى جليقية وفي رواية ان مغيثا استنزل أهل الكنيسة بعد أسره ملكهم فضرب أعناقهم جميعا فمن أجل ذلك عرفت بكنيسة الاسرى وان مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم الى مدينتها استنامة اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه * وأما من وجه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضي معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صنعوا عند فتح كورة رية التي منها مالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت به واسم قصبتها

ومصبه في دجلة من بلاد ماسورين وسيلون من بلاد قردي وبازندي وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني حمدان وفي قردي وبازندي يقول الشاعر

بقردي وبازندي مصيف ومربع
وعذب يحاكي السلسبيل برود
وبغداد ما بغداد اما ترابها
فحمى واما حرها فشديد

وليس هذا الخابور بخابور النهر الذي يخرج من مدينة راس العين من اعينها ويصب في الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية (وهو الزاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حديثته ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتي من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهي الى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهي الانهار التي ذكرنا أنها تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالي ونهر بين والنهروان مما يلي بلاد جرجرايا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار هنالك أخر الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودي ومامي والمصب الذي ينتهي الى

اربولة ولها ثأر في المنية وكان ملكها عاجلا داهية وفاتهم مصحيا ثم استمرت عليه الهزيمة في حصرها فبلغ السيف في أهلها مبلغا عظيما أفنى أكثرهم ولجأ العلج الى اربولة في يسير من أصحابه لا يغنون شيئا فأقام النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور في زي القتال متشبهات بالرجال وتصدّر قدامهن في بقية أصحابه يغالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على السور وعرضوا عليه الصلح فأظهر الميل اليه وتنكر زيه فنزل اليهم بأمان على انه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثق منهم فلما تم له من ذلك ما أراد عرّفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرية فندموا على الذى اعطوه من الامان واستر بحوه فيما احتال به ومضوا الى الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير من معرة المسلمين بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى أميرهم طارق بالفتح وخلفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى معظمهم الى أميرهم لفتح طليطلة قال ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فألفاها خالية قد فر عنها أهلها ولجؤا الى مدينة بها خلف الجبل فضمّ اليهود الى طليطلة وخلف بها رجالا من أصحابه ومضى خلف من فرّ من أهل طليطلة فسلك وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمي به بعد فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهي المنسوبة لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهي خضراء من زبرجد حافاتها منها وارجلها وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلا فاحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل فأصاب بها حليا ومالا ورجع ولم يتجاوزها الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقة فدوّخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله أعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير فالله أعلم قال بعضهم وكانت اقامته في الفتوح وتدويخ البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير سنة وكان ماسيذكر وأنشد في المسهب وابن اليسع في المغرب لطارق من قصيدة قالها في الفتح

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا * عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا واهلا بجنة * اذا ما اشتهينا الشئ فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا * اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها انتهى * واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا سبب الفتح حسبما تقدم قالوا لطارق أنت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على رأسي امير وفوق ذلك الامير أمير عظيم فاستأذنوه في اللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكدوا سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ووقف على ماخاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم فأنفذهم الى امير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفه به طارق من جليل أثرهم فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذلهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل

فرسخ وقيل اربعمائة وقد اعرضنا عن كثير من ذكر انهار الاماكن كبرها واشتهارها كنا قد اتينا على ذكر ذلك على الاتساع في الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك في الكتاب الاوسط ونذكر في هذا الكتاب لمعا مما سمينا من الانهار ومعالم نسميه وللبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمر وكذلك ببلاد الاهواز وما بينها وبين بلاد البصرة اعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالحدارة وهي دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن اجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الحدارة انحدرت الاخشاب في فم البحر مما يلي الابلة وعبادان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع في تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

لهم أن لا يقوموا الداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا اضياع والدهم اجمع واقتسموها
على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم المنذر ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها
اشبيلية مقتربا منها وصار لارطباش ألف ضيعة وهو تلوه في السن ونباعه في وسط
الاندلس فسكن من أجلها قرطبة وصار لثالثهم وثلة ألف ضيعة في شرقي الاندلس وجهة
الثغر فسكن من أجلها مدينة طليطلة فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية الى أن
هلك المنذر كبيرهم وخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش
على ضياعهم وضمها الى ضياعه وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فأنشأت
سارة بنت المنذر مركبا باشبيلية حصينا كامل العدة وركبت فيه مع اخويها الصغيرين تريد
الشام حتى نزلت بعسقلان من سواحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق فأنهت
خبرها وشكت ظلامتها من عمها وتعديه عليها واحتجت بالعهد المنعقد لابيها واخوته على
الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها وكتب الى حنظلة
ابن صفوان عامله بافريقية بانصافهما من عمهما ارطباش وامضائها واخويها على سنة الميراث
فيما كان في يد والدهما قاسم فيه اخوته فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالاندلس
أبي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وانكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام
ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارطباش عن ضياعها فقام بها بنعمة عظيمة وولد له
منها ولداه ابراهيم واسحق فادركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة
الى أمهما سارة القوطية وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن
ابن معاوية الداخل بعد الى الاندلس وعرفها فتوسلت اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه
فاعترف بذمامها واكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها
ولا يحجب عياله منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الاندلس
فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد وكان لها ولابيها المنذر وعمها ارطباش في صدر الدولة
العربية بالاندلس أخبار ملوكية فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد
ارطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن الطفيل وابو عبدة
وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على اثرهم ميمون العابد جد بني حزم
وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش
قام اليه دونهم اعظاما ورقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبسا صفائح الذهب
وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل
عليه قبلهم فقال له يا سيدي ما الذي جاء بك الى مثلي فقال له ما تسمعه انا قدمنا الى هذا البلد
غزاة نحسب ان مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العدة ثم حدثت بعدنا على
موالينا في اجنادنا ما قد ايسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسع الله عليك فأحب أن
تدفع الى ضياعا من ضياعك اعتمره ابيدي وأؤدي اليك الحق منها وآخذ الفضل لي طيبا
أتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمساهمة بل اهب لك هبة مسوغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلم
اليه المجشر الذي لنا على وادي شوش بما فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه

قد زاد بحر الهند وهو
الحبشي حتى امتد طوله من
المغرب الى المشرق من أقصى
الحبش الى اقصى الهند
والصين وصار ثمانية
آلاف ميل وعرضه الفان
وتسعمائة ميل وعرضه في
مواضع اخر الف وتسعمائة
ميل وقد يتقارب في ذلك
العرض في موضع دون
موضع ويكثر كذلك وقد
قيل في طوله وعرضه غير
ما وصفنا من الكثرة
واعرضنا عن ذكره لعدم
قيام الدلالة على صحته عند
اهل هذه الصناعة وليس
في المعمور اعظم من هذا
البحر وله خليج متصل
بارض الحبشة يمتد الى ناحية
بربرى من بلاد الزنج والحبشة
ويسمى الخليج البربري
طوله خمسمائة ميل وعرض
طرفيه مائة ميل وليست
هذه بربرى التي ينسب اليها
البرابرة الذين ببلاد المغرب
من ارض افريقية لان هذا
موضع آخر يدعى بهذا
الاسم واهل المراكب
من العمانيين يقطعون هذا
الخليج الى جزيرة قنبلو من
بحر الزنج وفي هذه الجزيرة
مسلمون من الاكابر من
الزنج والعمانيون الذين
ذكرنا من أرباب المراكب
يزعمون ان هذا الخليج المعروف
بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربرى وبلاد جفونى أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه

الضيعة التي بجيان فتسلم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نسبت قلعة حزم فشكره ميمون وأثنى عليه وقام عنه وقد أنف الصميل من قيامه اليه فأقبل على ارطباش وقال له كنت أظنك أرجح وزنا أدخل عليك وأنا سيد العرب بالاندلس في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالي فلا تزيدنا من الكرامة على الاقعاد على أعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت فقال له يا أبا جوشن ان أهل دينك يخبروننا ان أدبهم لم يرهقك ولو كان لم تنكر علي ما فعلته انكم أكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما أكرمته لله تعالى فقد روينا عن المسيح عليه السلام أنه قال من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه فكأنما ألقمه حجرا وكان الصميل أميا فلذلك عرض به فقال له القوم دعنا من هذا وانظر فيما قصدناك له فاحتجنا حاجة الرجل الذي قصدك فأكرمته فانظر في شأننا فقال له أنتم ملوك الناس وليس يرضيكم الا الكثير وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم انتهى * قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد وما أتيح له من الفتوح حسده وتهيأ للسير الى الاندلس فعسكر وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر فكان دخوله الى الاندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتنكب الجبل الذي حله طارق ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتل الجزيرة الخضراء قال ما كنت لاسلك طريق طارق ولا اقفو أثره فقال له العلوج الادلاء أصحاب يليان نحن نسلك بك طريقا هو أشرف من طريقه ونذلك على مدائن هي أعظم خطرا وأعظم خطبا وأوسع غنما من مدائنه لم تفتح بعد يفتحها الله عليك ان شاء الله تعالى فملئ سرورا وكان شغوف طارق قد غمه فساروا به في جانب ساحل شذونة فافتتحها عنوة وألقوا بايديهم اليه ثم سار الى مدينة قرمونة وليس بالاندلس أحصن منها ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال فدخلها بحيلة توجهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كأنهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم الباب وأوقعوا بالاحراس فملكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهي أعظم مدائن الاندلس شأنا وأعجبها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطان الى طليطلة وبقي رؤساء الدين فيها أعني اشبيلية فامتنعت أشهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى القنت الى مدينة ماردة وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس في سالف الدهر وهي ذات عز ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها أيضا وكان في أهلها منعة شديدة وبأس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبابة دب المسلمون تحتها الى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه فلما فلعوا الصخر أفضوا بعده الى العمل المدعو بلسان العجم الاشه ماسه فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء

موج أعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كانخفاض ما يكون من الاودية لا يتكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون

بربري وجفوني
وموجك المجنون
جفوني وبربري
وموجها كما ترى

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو وعلى ما ذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق من أقاصي أرض الزنج والاسافل من نحوهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ومن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب مثل محمد بن الزيدوم السيرافي وجوهر ابن أحمد وهو المعروف بابن نسوة وفي هذا البحر تلف ومن كان معه في مركبه وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي بمكان وفيه غرقا في مركبهما وجميع من كان معهما

ثم.

ثم دعا القوم الى السلم فترسل اليه في تقريره قوم من أماثلهم أعطاهم الامان واحتال في
توهيمهم في نفسه فدخلوا عليه أول يوم فاذا هو أبيض الرأس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق
لهم معه أمر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا هو قد قنى لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج
فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سوّد لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا
لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاؤا
ويتصوّرون في كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى أن نقاربه ونعطيه
ما يسأله فما لنا به طاقة فأذعنوا عند ذلك وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى
يوم الكمين وأموال الهارب الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم فتحوا له
المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا
من مدينتي باجة ولبلة اليهم فأوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا وأتى فلهم الامير
موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى في جيش اليهم ففتح اشبيلية
وقتل أهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيما هنالك وعلا الاسلام وأقام عبد
العزيز باشبيلية وتوجه الامير موسى من ماردة في عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة
وبلغ طارقا فأخبره فاستقبله في وجوه الناس فلقيه في موضع من كورة طلبيرة وقيل ان موسى
تقدم من ماردة فدخل جليقية من فج نسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب
مقدمته بمدينة استرقة فغض منه علانية وأظهر ما بنفسه عليه من حقد والله أعلم وقيل لما
وقعت عينه عليه نزل اليه اعظاما له فقنعه موسى بالسوط ووبخه على استبداده عليه
ومخالفته لرأيه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك
واستعجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلا وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال
لا علم لى به وهكذا أصبتها فأمر موسى فجعل لها رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها
يظهر عليه العمل ولم يقدر على أحسن منه فأخل بها* وقال ابن الفرضي موسى بن نصير
صاحب فتح الاندلس لخمي يكنى أبا عبد الرحمن روى عن تميم الداري وروى عنه يزيد بن
مسروق اليحصبي وقيل غزا موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر
على الاندلس فأدخلها لا يأتي على مدينة الا افتتحها ونزل أهلها على حكمه وسار الى قرطبة ثم
قفل على الاندلس سنة أربع وتسعين فأتى افريقية وسار عنها سنة خمس وتسعين الى الشام
يؤم الوليد بن عبد الملك بجرّ الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها
على العجل والظهر ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك
وولى سليمان فنكب موسى نكبا اداه الى المتربة وهلك في نكبته تلك بوادي القرى سنة
سبع وتسعين (قال ابن حيان) وهذه المائدة المنوه باسمها المنسوبة الى سليمان النبي عليه
الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما أصلها ان العجم في أيام ملكهم كان
أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال
صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشباهها من الذهب والفضة تحمل
الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أبرزت في أيام المناسك ويضعونها على

والروم والخزر والقلزم
واليمن وأصابني فيها من
الاهوال ما لا أحصيه كثرة
فلم أشاهد أهول من بحر
السند الذي قدمنا ذكره
وفيه السمك المعروف بالافال
طول السمكة نحو من
اربعمائة ذراع بالذراع
العمرية وهي ذراع ذلك
البحر والاغلب من هذا
السمك طوله مائة باع
وربما يهز البحر فيظهر شيأ
من جناحه فيكون كالقلع
العظيم وهو الشراع وربما
يظهر رأسه وينفخ الصعداء
بالماء فيذهب الماء في الجو
أكثر من ممر السهم
والمراكب تفزع منه في
الليل والنهار وتضرب له
بالدبادب والخشب لينفر
من ذلك ويحشر بأجنحته
وذنبه السمك الى فيه وقد
تقدّ فاه وذلك السمك
يهوى الى جوفه جرمه فاذا
بغت هذه السمكة بعث الله
عليها سمكة نحو الذراع تدعى
السل فتلصق بأصل أذنها
فلا يكون لها منها خلاص
فتطلب قعر البحر وتضرب
بنفسها حتى تموت فتطفو
فوق الماء فتكون كالجبل
العظيم وربما تلتصق هذه
السمكة المعروفة بالسل
بالمراكب فلا يدنو الافال
مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفته وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون

امذابح في الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذه السبيل وتأنقت الاملاك في تفخيمها يزيد الآخر منهم على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد لم تر الاعين مثلها وبولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة وانه لا ينبغي أن تكون بموضع آلة جمال اومتاع مباهاة الادون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هنالك وطار النبأ الفخم عنها وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعله من غيرته على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأه عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الاثر في جهادهما ما هو مشهور انتهى * وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكلها مكللة بالجواهر انتهى * وما ذكره ابن حيان من ان الذي نكب موسى بن نصير هو سليمان ابن عبد الملك صواب وأمّا ما حكاه ابن خلكان من ان المنكب له الوليد فليس بصحيح والله أعلم * (رجع الى كلام ابن حيان) قالوا ان موسى اصطلح مع طارق وأظهر الرضا عنه وأقره على مقدمته على رسمه وأمره بالتقدم امامه في اصحابه وسار موسى خلفه في جيوشه فارتقى الى الثغر الاعلى وافتتح سرقسطة واعمالها واوغل في البلاد وطارق امامه لا يمران بموضع الا فتح عليهما وغنمهما الله تعالى ما فيه وقد القى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما احد الا بطلب صلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطأمن نفوس من اقام على سلمه ووطأ الاقدام المسلمين في الحلول به اقام لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا واوغلوا حتى انتهوا الى وادي ردونة وكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العجم وقد دوخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتي برشلونة واربونة وصخرة اينيون وحصن لودون على وادي ردونة فبعدوا عن الساحل الذي منه دخلوا جدا وذكر ان مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ثلثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخا وقيل ثلثمائة فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارله ملك الافرنجة بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع عظيم فلما انتهى الى حصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه وأقبل حتى انتهى الى صخرة اينيون فلم يجد بها أحدا وقد عسكر المسلمون قدّامه فيما بين الاجبل المجاور لمدينة أربونة وهم بحال غرة لا عيون لهم ولا طلائع فما شعروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله فاقتطعهم عن اللجا الى مدينة اربونة وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها أياما اصيب له فيها رجال وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصونا على وادي ردونة شكها بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس (وقال الحجاري في المسهب) ان موسى

في ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لادبر له وما يأكله يكون في بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء كالقيحوى والحصاني وغير ذلك من أنواع الطيور وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما ظهر في جوفه من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه فتدب الى حلقه وتصير في جوفه فيخبط بنفسه في الارض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحوا من ذراع على صورة ابن عرس ولها قوائم ومخالب وفي بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ولولا ان النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار وما فيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب الماء واليابس فلنرجع الآن الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله في البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يمتد من هذا البحر الحبشي فينتهي الى مدينة القلزم من أعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل

ابن نصير نصره الله نصرا ما عليه مزيد وأجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب
الاندلس الذي في الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها
الاعظم قارله وهذه سمة لملكهم فقالت له ما هذا الخزي الباقي في الاعقاب كنا نسمع بالعرب
ومخافتهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها
من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه الرأي
عندي ان لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في اقبال
أمرهم ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى
تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض
فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر فكان والله كذلك بالفتنة التي طرأت بين الشاميين
والبلديين والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض
عن ثبورهم من الاعداء انتهى وقيل ان موسى بن نصير أخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير
ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل وقيل انما خاصمه ابنه وكان ملكها
من عيف الرأي قليل الحنكة كان يخرج الى جسان له بجانب المدينة طالبا للراحة من همه
الدهر من غير تحسين ولا تدبير طليعة وعرف عبد الاعلى بأمره فاكمن له في جنبات الجنة
التي كان يتنابها ليلا ونهارا وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم ارصدوا له ليلا فدمروا به وملكوه
وأحد المسلمون البلد عنوة وملؤوا ايديهم غنيمة وقيل كانت نفس موسى بن نصير في ذلك
كله تنزع الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل في ذلك ويحدث به اذ اتاه مغيث
الرومي رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يأمره بالخروج عن الاندلس والانصراف عن
الوغول فيها وباخذه بالقفول اليه فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن في الاندلس بلد لم
يدخله العرب الا وقد دانت غير جليقية فكان شديد الحرص على اقتحامها فلاطف موسى
مغيثا رسول الخليفة وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه في الدخول اليها والمسير معه في البلاد ايابا
ويكون شريكه في الاجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو وحصن
لك فأقام هنالك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الاخضر فلم يبق كنيسة
الا هدمت ولا ناقوس الا كسر ودانت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب
المفاوز وكان العرب والبربر كلما مروا بموضع استحسنوه حصوا به ونزلوه فاستذن فاتسع
نطاق الاسلام بأرض الاندلس وخذل الشرك وبينما موسى كذلك اشتداد الظهور وقوة
الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثا لما استبطأ
موسى في القفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج والزم رسوا ازعاجه فاتقلع حينئذ
من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفا
من الثغر الاعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول وأقام من
آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معه الرسولان مغيث
وأبو نصر حتى احتلوا اشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس وانزله
بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر ونظر القرب من مكاره المجاز وركب موسى البحر الى المشرق

وبلاد الهند من غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العيذاب من أرض مصر أرض البجه ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى أن يتصل ذلك بأقاصي أرض الزنج وأسافلها ثم يتصل الى بلاد سفالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهي الى بلاد الابلة والخشبات وعبادان من أرض البصرة وعرضه في الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه الى بلاد الابلة وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهربان ومدينة حسان واليها تضاف الثياب الحسانية ومدينة أجمرة ببلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهي أرض الخوارج الشراة ويحدها أرض تحز ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهنالك مدينة الديبل ثم يكون برا متصلا

 بساحل الهند الى بلاد بروص واليها يضاف الساج البروصي برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا

بذى الحجة سنة خمس وتسعين وطرق معه وكان مقدم طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنة
و بعد دخوله سنتين وار بعة اشهر وحمل موسى الغنائم والسبي وهو ثلاثون الف رأس
والمائدة متزودا بها اومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة مالا يقدر قدره وهو مع ذلك
متلهف على الجهاد الذي فاته آسف على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمل ان يخترق ما بقى
عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ
بجنرته بتلك الارض طريقا مهيعا يسلكه اهل الاندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق
واليه على البر لا يركبون بحرا وقيل انه اوغل فى ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة
وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة
عربية قرئت فاذا هى يا بنى اسمعيل انتهيتم فارجعوا فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى
كبير فتشاور اصحابه فى الاعراض عنه وجوازه الى ماوراءه فاختلفوا عليه فأخذ برأى
جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية (وحكى الرازى) ان
موسى خرج من افريقية الى الاندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين واستخلف على افريقية
ابن ولده عبدالله بن موسى وكان موسى فى عشرة آلاف قال وكان عبدالملك بن مروان هو
الذى أغزى موسى المغرب فى خلافته ففتح له فى اهله البرابرة فتوحا كبارا حتى لقد بعث الى
عبدالملك فى الخمس بعشرين الف سبية ثم أردفها بعشرين الفا أخرى كل ذلك من البربر فعجب
عبدالملك يومئذ من كثرة ذلك * وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر
الصحابة وهو المنيذر قال ودخلها من التابعين ثلاثة موسى الامير وعلى بن رباح اللخمى
وحيوة بن رجاء التميمى وقيل ان ثالثهم انما هو حنش بن عبدالله الصنعانى صنعاء الشام
وانهم ممن اعنها بقول موسى واهل سرقسطة يزعمون أن حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق
وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه فالله اعلم * وقيل ان التابعين اربعة
أبى عبد الرحمن الحبلى الانصارى واسمه عبدالله بن يزيد والله اعلم وخمسهم بعضهم بحيان بن
ابى جبلة مولى بنى عبد الدار وكان فى ديوان مصر فبعثه عمر بن عبد العزيز الى
افريقية فى جماعة من الفقهاء ليفقهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس
وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس
وانتهى معه الى حصن من حصون العدو يقال له قرقشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفى
بها بعد العشرين ومائة وقال بعضهم ان بين قرقشونة هذه وبين برشلونة مسافة خمسة
وعشرين يوما وفيها الكنيسة المعظمة عند الافرنج المسماة شنت مريه وقد حكى ابن حيان ان
فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحيط الانسان بذراعيه على واحدة منها
مع طول مفرط * وحنش الصنعانى المذكور تابعى جليل كان مع على رضى الله عنه بالكوفة
وقدم مصر بعد قتله فصار عداده فى المصريين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبدالملك بن
مروان فعفا عنه وكفى الاندلس شرفا دخوله لها * وعلى بن رباح بصرى تابعى يكنى اباعبدالله
وهو لخمى ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة قال ابن معين اهل مصر يقولون بفتح العين
واهل العراق يقولونه بضمها وروى الليث عن ابنه موسى بن على وكانت لعلى بن رباح عند

و يقابل بلاد كرمان من عبدان الى كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطر ووسط بنى خزيمة و بلاد عمان وارض
مهرة الى رأس الجمجمة
الى أرض الشحر والاحقاف
وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة
خارك وهى بلاد حبابة
لان خارك مسافة الى حبابة
و بينها وبين البر اثنا عشر فرسخا فيها
مغاص اللؤلؤ المعروف
بالخاركى وجزيرة اولى فيها
بنو معن وابو محار وخلق
كثيرة من العرب بينها و بين
مدن ساحل البحر نحو يوم
بل اقل من ذلك وفى ذلك
الساحل مدينة البراة
والعقل والقطيف من
ساحل هجر ثم بعد جزيرة
اولى جزائر كثيرة منها جزيرة
لافت وتدعى جزيرة بنى
كلوان وقد كان افتتحها
عمرو بن العاص وهى
ممتدة الى هذه الغاية وفيها
خلق من الناس وقرى
وعمارة متصلة وتقرب هذه
الجزيرة الى جزيرة هنيان
ومنها تستقى ارباب المراكب
الماء ثم الجبال المعروفة
بكسير وعوير وثالث
لامر فيه خير ثم الدردور
المعروف بدردور مسندم
وتسميه البحريون بابى
جهرة وهذه مواضع من
البحر وجبال سود ذاهبة فى
الهواء لانبات عليها ولا
حيوان تحيط بها مياه من
البحر عظيمة تغرة وامواج
متلاطمة تجزع منها النفوس اذا اشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لابد للمراكب من الجواز

عبد

عبد العزيز بن مروان مكانه وهو الذي زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد ثم عتب عليه عبد
العزيز فأغزاه أفريقية * وأما المنيذر الصحابي فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد البر في
الصحابة وقال انه المنيذر الافريقي وروى عنه أبو عبد الرحمن الجيلي قال حدثنا المنيذر
الافريقي وكان سكن أفريقية وكان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمعه صلى الله
عليه وسلم يقول من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا
الزعيم له فلآخذن بيده فلأدخلنه الجنة ورواه عنه ابن عبد البر بسنده اليه وسيأتي ان شاء
الله تعالى في حق المنيذر مزيد بيان * ولما قفل موسى بن نصير الى المشرق وأصحابه سأل مغيثا أن
يسلم اليه العلج صاحب قرطبة الذي كان في اساره فامتنع عليه وقال لا يؤديه للخليفة سواي
وكان يدل بولائه من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرت به حيا ادعاه
مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرب عنقه ففعل فاضطغنها عليه مغيث وسار البامع
طارق الساعي عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد
كان كما مر استخلف بافريقية أكبر أولاده عبد الله فصار جميع الاندلس والمغرب بيد أولاده
وابنه عبد الله الذي خلفه بافريقية هو الذي افتتح جزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام
واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد أو بعده فمن يقول بالثاني قال قدم على
سليمان حين استخلف وكان منحرفا عليه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية منه ورمياه بالخيانه
وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب قرطبة وقالا انه تنخل جوهرا أعظم
القدر أصابه ولم تحو الملوك من بعد فتح فارس مثله فلما وافى سليمان وجده متغيبا عليه فأغلظ
له واستقبله بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر له ببعض العذر وسأله عن المائدة فأحضرها فقال له
زعم طارق انه الذي أصابها دونك قال لا ومارآها قط الا عندي فقال طارق فليسأله أمير
المؤمنين عن الرجل التي تنقصها فسأله فقال هكذا أصبتها وعوضتها رجلا صنعتها لها فحول
طارق يده الى قبائه فأخرج الرجل فعلم سليمان صدقه وكذب موسى فحنق جميع ما رمي به
عنده وعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأمر بتقصي حسابه فأغرمه غرما عظيما كشفه
فيه حتى اضطر الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لخما حملت عنه في أعطياتها تسعين ألفا
ذهبا وقيل حمله سليمان غرم مائتي ألف فأدى مائة ألف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلب أسير
سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية (وقال الرازي)
ان الذي أزعج موسى عن الاندلس أبو نصر رسول الوليد فنهض على عنانه وثناه فافلا وقفل
معه من أحب المشرق وكان أكثر الناس تضنوا ببلاد الاندلس لديها فأقاموا فيها: وذهب
جماعة من أهل التاريخ الى أن موسى انما قدم على الوليد وأن سليمان ولي العهد لما سمع
بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب أي سليمان الى موسى يأمره
بالتربص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان في أول خلافته
بتلك الغنائم الكثيرة التي ما رئي ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فأبى
موسى من ذلك ومنعه دينه منه وجد في السير حتى قدم والوليد حي فسلم له الاخماس والمغانم
والتحف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفي واستخلف سليمان فحقد

عليها والدخول في وسطها مخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسي على ما وصفنا من البحرين
وفارس والبصرة وعمان
الى رأس الجمجمة وما بين
هذا الخليج وخليج القلزم
ايلة والحجاز واليمن ويكون
بين الخليجين من المسافة
ألف وخمسمائة ميل وهي
داخلة من البر في البحر والبحر
يطيف بها من أكثر جهاتها
على ما وصفنا فهذا بحر الصين
والهند وفارس وعمان
والبصرة والبحرين واليمن
والحجاز والقلزم والزنج والسند
ومن في جزائره ومن قد احاط
به من الامم الكثيرة التي
لا يعلمون فهم ولا عددهم
الا من خلقهم سبحانه وتعالى
ولكل قطعة منه اسم يفردها
من غيرها والماء واحد
متصل غير منفصل وفي هذا
البحر مغاصات الدر والياقوت
وفيه العقيق والباديج
وهو نوع من البجادي وانواع
الياقوت والماس والسنباذج
وفيه معادن ذهب وفضة
نحو بلاد كلة وسرنديب وحوله
معادن حديد مما يلي بلاد
كرمان ونحاس بأرض عمان
وفيه انواع الطيب والافاويه
والعنبر والساج والخشب
المعروف بالرداسيجي والقنا
والخيزران وسنذكر بعد
هذا الموضع تفصيل مواضع
فيه ادركناها وكل ما ذكرنا
من الجواهر والطيب والنبات
فيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحرا

عليه ونبذه وأمر باقامته فى الشمس حتى كاد يهلك وأغرمه أموالا عظيمة ودس الى أهل الاندلس بقتل ابنه الذى استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولى الاندلس بعد تفرق أبيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة مما كان تدبق على أبيه موسى منها وكان من خير الولاة الا ان مدته لم تطل لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقب سنة خمس وتسعين فى خلافة سليمان المولع بابنه موسى لاشياء نقموها عليه منها زعموا تزوجه لزوجة لذريق المكناة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح وباءت بالجزية وأقامت على دينها فى ظل نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها فى كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق زوجها الاول أهل مملكته فقال لها ان هذا حرام فى ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزرى بقدره عندها فاتخذ بابا صغيرا لبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وأفهمها ان ذلك الفعل منهم تحية له فرضيت بذلك فنمى الخبر الى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان لهم فى قتله فقتلوه سامحه الله تعالى * وذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا فى الحجر بعد ما تقدم من الكتابة التى هى ارجعوا يا بنى اسمعيل الخ ما معناه وان لم ترجعوا فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى (قال ابن حيان) وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال فى فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب فى غزوها نظما وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعدد الامراء عليها وأسماءهم فأجاد وتقصى وهى بايدى الناس موجودة انتهى وقد عرفت بما سبق تفصيل ما اجمله ابن خلدون والروايات فى فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية وأشرنا الى بعض الاختلاف فى ذلك ولو بسطنا العبارة فى الفتح لكان وحده فى مجلد أو اكثر ولم يمنا ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قبل بنى مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين أجمعين قبل تفرقهم الى ان انقرضت دولتهم العظيمة التى هى ألف شهر فاقتطع الاندلس عن بنى العباس الدائلين على بنى مروان الناسخين لهم فل المروانيين عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان واقتعدها دار مملكة مستقلة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بنى أمية ومواليهم وأورثها بنيه حقبة من الدهر بعد ان قاسى فى ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذريته من بعده اهل الاندلس اجمعون رضا بهم دون بنى العباس بعد ان حاول بنو العباس تملكها بان ولوا بعض رؤساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بنى مروان فلم يتيسر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب فى ذلك وقتل منهم آلافا وذلك فى مدة المنصور كما سيأتى ان شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل فى موضع آخر ونذكر ههنا ولاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق فى كلام ابن خلدون * وقال بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وأجل السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى * وقال الحجارى فى المسهب يحكى ان موسى بن نصير اتى بنفسه على يزيدين المهلب

كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر القلزم وبحر الحبشة وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الرانج وبحر الصين فمختلفة فمنها ما يثور من قعر البحر يتفجر فيثور ويعظم موجه كالقدر تغور مما يلحقها من مواد حرارة النار ومنها ما يكون والبحر فيه من قعره ولا يسمو بل يكون مهبه من النسيم دون ما يتفجر من قعره وما ينبعث من قعره من الرياح نفسات من الارض تتفجر الى قعره تتفجر فى سطحه والله عز وجل اعلم بكيفية ذلك ولكل من يركب هذه البحر من الناس أرياح يعرفونها فى اوقات يكون فيها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه واحوال ركوده وثورانه والروم والمسافرون فى البحر الرومى سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتى بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب اوصافها واخبارها ان شاء الله تعالى

(ذكر تنازع الناس فى المد والجزر وجوامع مما قيل فى ذلك)

والمد مضى الماء فى فيئته وسيحته وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف ما مضى عليه فى هيئته وذلك كبحر

لمهلب لما كان من امرائهم بين سليمان بن عبد الملك وطلب منه ان يكلمه في ان يخفف عنه فقال له يزيد اريد ان اسألك فاسمع الي قال سل عما بدا لك فقال له لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقل لي كيف حصلت في يد هذا الرجل بعد ما ملكت الاندلس والقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلادا انت اخترتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك ثم انك علمت ان سليمان ولي عهد وانه المولى بعد اخيه وقد أشرف على الهلاك لا محالة وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى التهلكة وأحقدت مالكك ومملوكك قال يعني سليمان وطارقا وما رضيت هذا الرجل عنك الا بعد ولكن لا آلو جهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد اما سمعت اذا جاء الحين غطى على العين فقال ما قصدت بما قلت لك تعديدا ولا تبكيتا انما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأي وان أرى ما عندك فقال موسى اما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بعد ويقع في الفخ وهو بمرأى عينيه ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد اشتمل رأسه على ما يمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والابشار على سلاح يعلوه الا السيف ولكن فدونك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غلّ من مال الله قال وآلت حاله الى ان كان يطاف به ليسأل من احياء العرب ما يفك به نفسه وفي تلك الحال مات وهو من أفقر الناس وأذلهم بوادي القرى سائلا من كان نازلا به وقال احد غلمانه ممن وفي له في حال الفقر والخمول لقد رأيتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على احياء العرب فواحد يعطينا وآخر يحتجب عنا ولربما دفع البنا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه الى الموكلين به فيخففون عنه من العذاب ولقد رأيتنا أيام الفتوح العظام بالاندلس نأخذ السلوب من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغير ذلك ونرمي به ولا نأخذ الا الدر الفاخر فسبحان الذي بيده العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفي له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على ان يسلمه وهو بوادي القرى في اسوإ حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان اتسلمني في هذه الحالة فقال له المولى من شدة ما كان فيه من الضجر قد اسلمك خالقك فما اسلمك الذي هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء فاستجاب الله دعاءه في تلك الليلة الا عن قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يترحم عليه وان فعل سليمان به وبولده وكونه طرح راس ابنه عبد العزيز الذي تركه نائبا عنه بالاندلس وقد جيء به من اقصى المغرب بين يديه من وصماته التي تعد عليه طول الدهر لا جرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه ❊ وذكر ابن حيان ان موسى كان عربيا فصيحا وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ويكفي منها ما ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنها الحشر وقال الحجاري ان منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن اسيد بحضرة عبد الملك بن

الحبشي الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس المتقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان الجزر على ثلاثة انواع منها ما يتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها ما لا جزر ولا مد كالبحار التي لا يكون بها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهي على ثلاثة اصناف فاولها ما يتبين الماء فيه زمانا فيغلظ وتقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة وينقص في الصيف ويزيد في الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثاني الذي يبعد عن مدار القمر ومسامتته فانه بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على ارضها التخلخل لانه اذا كانت ارضها متخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلخل وانسدت الرياح الكائنة في ارضها اولا وغلبت الرياح عليها واكثر ما يكون هذا في ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس في علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه فيبسطه وشبهوا ذلك بالنار اذا سخنت ما في القدر وأغلته وان الماء يكون فيها على قدر النصف او الثلثين وكلما انبسط في القدر ارتفع

مروان بجانبه الى ان قال شعر امنه

حاربت غير مرسوم فى مطاولة ٭ لونازع الحقل لم ينزع الى حضر

ومن تقدم ذكره غير واحد كابن حيان ان موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا ذكره الحجارى وشهد مع ام البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى مكانته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهر ما كان فى صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وستجرى ذكرهما فى كتابنا هذا بما اقتضاه الاختيار وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف فى ان موسى هل هو لخمى صريح او بالولاء وبربرى او مولى لعبد العزيز بن مروان منصوريه وكان فى عقبه نباهة فى السلطنة ولى ابنه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة افريقية وذكر الحجارى ان اصله من وادى القرى بالحجاز وانه خدم بنى مروان بدمشق وتنبه شأنه وسر قوه فى ممالكهم الى ان ولى افريقية وماوراءها من المغرب فى زمن الوليد بن عبد الملك فدوخ اقاصى المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوخ بلاد الاندلس ثم اوفده الوليد الى الشام فوافق مرضه ثم موته وخلافة اخيه سليمان فعذبه واستصفى امواله وآل امره الى ان وجهه الى قومه بوادى القرى لعلهم يعطفون عليه ويؤدون عنه فمات بها وقد نص ابن بشكوال على انه مات بوادى القرى ٭ امامعارفه السلطانية فيكفيه ولاية ماخلف مصر الى البحر المحيط بين برى البر والاندلس ٭ واما الادبية فقد جاءت عنه بلاغة فى النثر والنظم تدخله مع نزارتها فى اصحاب درر الكلام وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الدارى وذكره فى كتب الائمة من المصنفين ابيه واوجب من ان يخصص بذكره واحدا منهم وهو غرة التواريخ الاندلسية وذكره الى الآن جديد فى ألسن الخاصة والعامة من أهلها ٭ ومن مسهب الحجارى كان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه به على ما بنى له من المجد المشيد والذكر الشهير المخلد الذى لا يبليه الليل والنهار ولا يعفى جديده بلى الاعصار الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا تخلو من ذلك وأنشد بعض الرؤساء ٭ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا ٭ فقابله الرئيس وقال من يترك الحقدا ثم قال ان السيد اذا ترك اضمار الخير والشر والمجازاة عليهما اجترئ عليه ونسب للضعف والغفلة وهل رأيت صفقة أخسر من غفلة رئيس احقده غيره فسى ذلك او تناساه وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه عنده الا الراحة منه وهو فى واد آخر عنه ولله در القائل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا ٭ مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ولكن الاصوب أن يكون الرأى ميزانا لا يزن الوافى لناقص ولا يزن الناقص لواف ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ويقدر فيه حسن العاقبة ٭ ونص ابن بشكوال على ان موسى بن نصير مات بوادى القرى سنة سبع وتسعين وغزا الاندلس سنة احدى وتسعين ودخلها سنة ثلاث وتسعين وقفل عنها الى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين وذكر ان ولايته على الاندلس بالمباشرة منذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة

وتدافع حتى يغور فيتضاعف عن كميته ١٣٤ فى الحس وينقص فى الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة ان تجمعها وذلك ان قعر البحار يحمى فيتولد فى ارضه سخونة وتستحيل وتحمى كما فى البلاليع والآبار فيحمى ذلك الماء الذى ورد وازداد ازديادا مع تدافع كرجرمه فطفا على سطحه وبان عن قعره واحتاج الى اكثر من هذيه وان القمر اذا امتلأ حمى الجو حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فسمى ذلك المد الشهرى وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب بدور الكواكب المنيرة عليه مع الشامية من الكواكب الشامية اذا كانت المنيرة فى القدر ومثل الميل على محاذاته واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعله فيه مرة الى آخره فى كل يوم وليلة وهى مع ذلك فى الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون فى النهر الذى يعرف فيه المد من اطرافه وما ينصب اليه من سائر المياه وقالت طائفة اخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار اذا أسخنت الماء الذى فى القدر وبسطته فطلب اوسع منها فيفيض حتى اذا خلا تعرده الماء طلب الماء بعد خروجه منها قعر الارض لطفيه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلى من الماء فى المرجل والتمقمم انتهى

انتهى وقد تقدم شيء من ذلك * وذكر ابن بشكوال أيضاً أن ابن حبيب قال عن ونبه عن الناس كلهم يوم فتح الأندلس الا أربعة نفر فقط كانوا من التابعين حنش الصنعاني وأبو عبد الرحمن الحبلي وابن شماسة وعياض بن عقبة انتهى * قال ابن سعيد وممن دخل الأندلس من غير هؤلاء الأربعة من التابعين علي بن رباح اللخمي وموسى بن نصير فاتح الأندلس وحبان ابن أبي جبلة القرشي مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب الأندلس المذكور في سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري وزيد بن قاصد السكسكي والمغيرة بن أبي بردة الكناني وعبد الله بن المغيرة الكناني وحيوة بن رجاء التميمي وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامة وعلي بن عثمان بن خطاب * وذكر ابن حبيب أن عدة من دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلا وفي كتاب ابن بشكوال أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلا وهم أسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة وحكى الحجاري في المسهب هؤلاء المتقدمين * وذكر ابن سعيد أنه لم يذكر المواضع التي تختص بهؤلاء التابعين من بلاد الأندلس مع جزمه بأنهم دخلوا الأندلس وسكنوا بها وسيأتي ذكر التابعين الداخلين الأندلس بما هو أتم من هذا وقد تقدم غلول من عد التابعين من الغنائم * وقال الليث بن سعد بعد ذكره أن طارقا لما فتح الأندلس غنم كثيرة من الذهب والفضة ان كانت الطنافس لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضربون به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها والآخر النصف الآخر لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشغولون بغير ذلك * وعن يحيى بن سعيد لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم فغلوا منها غلولا كثيرا فحملوه في المراكب وركبوا البحر فسمعوا مناديا يقول اللهم غرق بهم وتقلدوا المصاحف وما شدوا أسنمتهم ... وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت وغرق بهم وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا وانما هم أهل سردانية فالله أعلم بحقيقة الحال * ورأيت في بعض كتب التاريخ أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر والأموال ما لا يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها ألف سيف ملوكي ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ومن أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ومائدة سليمان وكانت فيما يذكر من زمردة خضراء وزعم بعض العجم أنها لم تكن لسليمان وانما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال له قدر صاغوا منه الآلات من الموائد المجنبة والكراسي من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الأناجيل في أيام المناسك ويضعونها في الأعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذا السبيل وتأنق الملوك في تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الأول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد وقيل انها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها

اذا فاض وسابت أجزاء الماء عليه بالحمى لكان في الشمس أشد ... ه ولو كانت الشمس علة مده لكان يمتد مع بدء طلوع الشمس ويجزر مع غيبتها فزعم هؤلاء ان علة الجزر والمد في الابحر تتولد من الابخرة التي تتولد من بطن الارض فانها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ مياه هذا البحر لكثافتها فلا تزال كذلك حتى ينقص مواد هذا البخار فاذا انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك والمد بالليل والنهار وشتاء وصيفا وفي غيبة القمر وفي طلوعه وكذلك في غيبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المد ولا ينقضي آخر المد حتى يبتدى أول الجزر لانه لا يتعطل تولد تلك البخارات حتى اذا خرجت ذلك نشرها مكانها يدلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان ما تحصل منها من الارض بمائه وكلما غارت تولدت وكلما فاض ... وذهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيه قياس فهو فعل الاله يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته وليس للمد والجزر علة في الطبيعة ولا قياس وقال آخرون ماهية أن البحر

وكان له ... وخمس وستون رجلا وكانت توضع فى كنيسة طليطلة فأخذها طارق ... ووجد كرباقيه ... عن ابن حيان ما فيه نظيره داود كرباقيه مضى من أمر المائدة ... بعض ... وبادلك الا لانا نقل كلام المؤرخين وان خالف بعضهم بعضا ... فائدة ... فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلاف فى صفتها وجنسها وعدد أرجلها وهى من أجل ما غنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوعة الاجناس التى ذكرها الى الآن شائع بين الناس فاعلم أنه لما استقر قدم أهل الاسلام بالاندلس ... انصرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها فنزل بها من جراثيم العرب ... جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من امرهم ما كان فأما العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب فى فرحة الانفس بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الاندلس بعد انتثار سلك بنى أمية وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الآن بالقرشيين وانما عموا انسابهم الى أمية فى الآخر لما انحرف الناس عنهم وذكروا افعالهم فى الحسين بن على ... وأما بنو زهرة فمنهم بإشبيلية أعيان ... وأما المخزوميون فمنهم ابو بكر المخزومى الأعمى الشاعر المشهور ومن اهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل فى النظم والنثر ابو بكر بن زيدون ووالده الذى هو اعظم ... ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بنى عباد قال ابن غالب ومن الاندلس من ينسب الى جمح والى بنى عبد الدار وكثير من قريش المعروفين بالفهريين من بنى محارب بن فهر ومن قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنوا ... الاعيان العلماء ومن بنى محارب ابن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سلطان الاندلس الذى غلبه عليها عبد الرحمن الاموى الداخل وجده ... بن نافع الفهرى صاحب الحروب ... قال ابن حزم ولهم بالاندلس عدد وثروة وأما المنتسبون الى عمومة ... فى طليطلة واعمالها ولهم ... ون الكنانيون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضى ابو الوليد والوزير ابو جعفر ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه فى محله واما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة اربولة من كورة تدمير واما تميم ابن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزومية واما ضبة بن أد بن طابخة فذكر انهم قليلون بالاندلس فهؤلاء عدد من العدنانية واماقيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية ... الاندلس كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمى الفقيه صاحب الامام مالك رضى الله عنه وكالقاضى أبى حفص بن عمر قاضى قرطبة ومنهم من ينتسب الى هوازن بن منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن هوازن قال ابن غالب ولهم منزل بجوف بلنسية على ثلاثة اميال منها وباشبيلية وغيرها منهم

حتى يعرد وقد تبت طائفة أخرى الى ابتداء ... وصف ... وتحو ... الهواء ... يستحيل ... عظم ... يحرو ... ذلك واذا ... المتدع ... الى ... وهو ... مترادف ... الماء ... والهواء ... ونواو ... يكون ذلك ... لا ... اكثر لان ... الى الهواء ... تحمل وامتد ... القمر ... لكثرة المد ... لا ... يكون ... والمد ... فارس يكونان ... مصاعا ... والاسلاف من الاوقات وقد ذهب كثير من ... البحر وهم ارباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ... هذا البحر ... الى عمارة من الامم التى فى جزائره ... الى ان المد والجزر يكون فى معظم هذا البحر ... فى السنة مرتين ... شهور ... الشمال ستة اشهر فاذا ... ذلك علا الماء فى منازل البحر والجزر بالصين ومادون ذلك ... شهور الشتاء ... الجنوب ستة أشهر فاذا

حاق كثير ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذي منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهري وهو فارسي الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب انهم بغرناطة كثيرا كبني جودي وقد رأس بعض بني جودي ومنهم من ينتسب الى سلول امرأة نسب اليها ابنوها وابوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى نمير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب وهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بلج بن بشر صاحب الاندلس وآله وبنو رشيق ومنهم من ينتسب الى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى اشجع بن ريث بن غطفان ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الاشجعي سلطان الاندلس وفي ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها ايادية وان ثقيفا هو قسي ابن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة واليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الاندلس وقيل انها من بقايا ثمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر ❊ وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب الى أسد بن ربيعة بن نزار قال في فرحة الانفس ان اقليم هؤلاء المشهور باسمهم بحوز مدينة وادي آش انتهى ولا اشهر بالنسبة الى أسد أبدا بنو أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى محارب بن عمرو بن وديعة ابن بكير بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة قال ابن غالب في فرحة الانفس ومنهم بنو عطية اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد كبني عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر ومنهم من ينتسب الى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبني حمديس أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أونبة وشلطيش الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف انتهت ربيعة ❊ وأما اياد بن نزار وقد يقال انه ابن معد والصحيح الاول فينتسب اليهم بنو زهرة المشهورون باشبيلية وغيرهم انتهت العدنانية وهم الصريح من ولد اسمعيل عليه السلام واختلف في القحطانية هل هم من ولد اسمعيل أو من ولد هود على ما هو معروف وظاهر صنيع البخاري الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بني أمية فان القرشية قدمتهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميزون بالمعاشر والقبائل والبطون والافخاذ الى ان قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع اتحادهم وتعصبهم في الاعتزاء وقدم القواد على الاجناد فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس الا ما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب اليمن من جرم بن كهلان وحمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان ابن الهميسع بن تيمان بن نابت بن اسمعيل وقيل قحطان ابن هود بن عبد الله بن رباح بن جارف.

كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت في الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف فهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه في جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب في جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فتقل المياه في الجهات الجنوبية منه ويتنقل ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهتي الشمال والجنوب فسمي جزرا ومدا شتويا وذلك ان مد الجنوب جزره الشمال ومد الشمال جزره الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين زائدا وفي الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس (قال المسعودي) فهذا رأى يعقوب بن اسحق الكندي واحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد كنباية من أرض الهند وهي المدينة التي تضاف اليها النعال الكنبانية الصرارة وفيها نعمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسرنديو وكان دخولي اليها في سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهرا

ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام والخلف في ذلك مشهور فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان واليهم ينتسب محمد ابن هانئ الشاعر المشهور الالبيري وهو من بني المهلب ومن الازد من ينتسب الى غسان وهم بنو مازن بن الازد وغسان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بني القسيمي من أعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجم الغفير بالاندلس * قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجده بالاندلس في اكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه الا شيخا من الخزرج وعجوزا من الاوس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس في شرقها ومغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر ومن أهل الاندلس من ينتسب الى الاوس أخي الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عك بن عدنان بن ازان بن الازد وقد يقال عك بن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب واكثر جهات شقورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى همدان وهو اوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى ومن كهلان من ينتسب الى مذحج ومذحج اسم اكمة حمراء باليمن وقيل اسم أم مالك وطيء ابن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب بنو سراج الاعيان من أهل قرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طيء بقبلي مرسية ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن ادد وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن غالب وأعرف بمراد منهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عنس بن مالك بن ادد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب وقلعة بني سعيد مشهورة في مملكة غرناطة ومن مذحج من ينتسب الى زبيد قال ابن غالب وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهي امرأة من قضاعة ولدت للحرث بن عدي بن الحرث مرة بن أدد فغلب ولدها منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قضاعة ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مرة وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة بن منهم المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدي بن الحرث بن مرة منهم بنو عباد أصحاب أشبيلية وغيرها وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجي اعيان اشبيلية وبنو وافد

صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والنارجيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذي يأخذ منه هذا الخليج يومان وأقل من ذلك فيجزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذي ينضب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد أقبل المد من نهاية الجزر كالخيل في الحلبة فربما أحس الكلب بذلك فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذي لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز في الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوي وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مرزق من أرض فارس والله أعلم

*(ذكر بحر الروم ووصف ما قيل في طوله وابتدائه وانتهائه) * اما بحر الروم وطرسوس وادنة والمصيصة واطاكية واللاذقية

الاعيان ومنهم من ينتسب الى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الاندلس وبنى هود ملوك شرق الاندلس ومنهم المتوكل بن هود الذى صحت له سلطنة الاندلس بعد الموحدين ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام عامر واسم لخم مالك وهما ابنا عدى ومن كهلان من ينتسب الى كندة وهو ثور بن عفير بن عدى بن مرة بن ادد ومنهم يوسف بن هرون الرمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تجيب وهى امرأة اشرس بن السكون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى خثعم بن أنمار ابن اراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبى نسعة سلطان الاندلس وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد بن عدنان انتهت كهلان ❊ وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب الى ذى رعين قال ابن غالب وذو رعين هم ولد عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير قال ومنهم أبو عبد الله الحناط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين عريم ابن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أصبح قال ابن حزم هو ذو أصبح بن مالك بن زيد من ولد سبا الاصغر ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحازمى أن ذا أصبح من كهلان وأخبر أن منهم مالك بن أنس الامام والمشهور أنهم من حمير والاصبحيون من أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يحصب قال ابن حزم انه أخو ذى أصبح وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من أجلهم فى التواريخ الاندلسية بقلعة يحصب ومنهم من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان اشبيلية ❊ ومنهم من ينتسب الى قضاعة بن مالك بن حمير وقد قيل انه قضاعة بن معد بن عدنان وليس بمرضى ومن قضاعة من ينتسب الى مهرة كالوزير أبى بكر بن عمار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خشين بن تنوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن عمر ابن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة ومنهم من ينتسب الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البلويون الاشبيلية ❊ ومنهم من ينتسب الى جهينة بن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة منهم جماعة ❊ ومنهم من ينتسب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبى عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها ❊ ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن زيد ابن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ❊ ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة ومن أهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بالجيم ابن قطن بن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهميسع بن حمير كذا نسق النسب الحازمى ❊ ومن أهل الاندلس من ينتسب الى سلامان ومنهم الوزير لسان

وطرابلس وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من اصحاب الزيجات فى كتبهم منهم محمد بن جابر البتانى وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل واقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ومبدا هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اوقيانوس واضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف بنيطاء وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة اميال وهذا الموضع هو المعبر لمن اراد العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين اعنى بحر الروم وبحر اوقيانوس المنارة النحاس والحجارة التى بناها هرقل الجبار على اعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها ان لا طريق ورائى لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحرا لا تجرى فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدرى غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر أصل ماء البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ومن نجا منهم

الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله * وقد رأيت أن أسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملوك بني أمية وان تقدم ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول طارق ابن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمي وسريره قرطبة وكل من يأتي بعده فسريره قرطبة والزهراء والزاهرة بجانبيها الى ان انقضت دولة بني مروان على ماينبه عليه ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي ثم السمح بن مالك الخولاني ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ثم عنبسة بن سحيم الكلبي ثم عذرة بن عبد الله الفهري ثم يحيى ابن سلمة الكلبي ثم عثمان بن أبي نسعة الخثعمي ثم حذيفة بن الاحوص القيسي ثم الهيثم بن عبيد الكلابي ثم محمد بن عبد الله الاشجعي ثم عبد الملك بن قطن الفهري ثم بلج ثم بشر بن عياض القشيري ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبي ثم ثوابة بن سلامة الجذامي ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري وههنا انتهى الولاة الذين ملكوا الاندلس من غير موارثة أفرادا عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدوا في السمة لفظ الامير * قال ابن حيان مدتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الاندلس النصراني وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ست وأربعون سنة وخمسة أيام انتهى * ثم كانت دولة بني امية أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفي أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبي عامر الزاهرة ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن الناصر وهو أول خلفاء الفتنة وهدمت في أيامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم تخللت دولة بني حمود العلويين وأولهم الناصر علي بن حمود العلوي الادريسي ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود ثم كانت دولة بني أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ثم المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خلع اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثم من بر العدوة وفتك في ملوك الطوائف وبعد ذلك ماخلصت له ولا لولده علي بن يوسف لان بني هود نازعوه في شرقها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذي كان ينازعه في شرق الاندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مراكش وكانت ولاتهم تتردد على الاندلس ومما لكها ولم يولوا

ومن تلف وما شاهدوانه . وقد رأوا بين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة في طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجري في بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب الغرب قرية يقال لها سبتة وهي وطيئة من ساحل واحد ومقابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من عدوة الى الظهر وفي هذا الخليج موج عظيم والماء من هنالك يخرج من بحر اوقيانوس ويصب الى البحر الرومي وفي هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس في مقابلة الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقليه وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع فقد ذكرنا بجبل البركان الذي تظهر منه النار فيها اجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندي وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي في طول هذا البحر وعرضه

يولوا على جميعها شخصا واحدا العظم ممالكها الى ان انقرضت مهاد واتهم بالمتوكل محمد بن
هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم
السلطان ولم ينازعه فيها الا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة في
طبيرة من غرب الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته ولما قتله وزيره ابن الرميمي
بالمرية زاد الامر الى أن ملك بنو الاحمر وكان غرب أهل الاندلس في المائة السابعة
يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص
ثم تناقصت تلك الظلال ودخل الجزيرة الانحلال الى ان استولى عليها حزب الضلال والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * (وقد ذكرت) في هذا الكتاب جملة من أخبار
ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما سرحت طرف القلم في بعضهم و بنو جهور المشار
اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين ثم انه لما انتثر سلك الخلافة تدبر قرطبة الوزير أبو
الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة * قال في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد
ابن جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة وأبو الحزم أمجدهم في
المكرمات وأنجدهم في الملمات ركب متون الفتون فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها
منبسط غير منكمش لا طائش اللسان ولا رعش وقد كان وزر في الدولة العامرية
فشرفت بجلاله واعترفت باستقلاله فلما انقرضت وعاقت الفتن واعترضت تحيز عن
التدبير مدتها وخلى للخلافة أبناء الخلافة وشدتها وجعل يتقبل مع اولئك الوزراء ويدبر
ويدبر الامر معهم ويدبر غير مظهر للانفراد ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد الى أن بلغت
الفتنة مداها وسوغت ماشاءت رداها وذهب من كان يجد في الرياسة ويخب ويسعى في
الفتنة ويدب ولما ارتفع الوبال وأدبر ذلك الاقبال رأى أهل الهوى مستبدا بهم
ومعتمدا على بعضهم تحيلا منه وتمويها وتداهيا على أهل الخلافة وذويها وعرض عليهم
تقديم المعتمد هشام وأومض منه لاهل قرطبة برق خلب بشام بعد سرعة انتثاثها وتعجيل
انتكاثها فأنابوا الى الاجابة وأجابوا الى استرعائه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك
الامام وألموا بقرطبة أحسن المام فدخلوها بعد فتن كثيرة واضطرابات مستثيرة والبلد
متقفر والجلد مسفر فلم يبق غير يسير حتى حيد واضطرب أمره وخلع واختطف من الملك
وانتزع وانقرضت الدولة الاموية وارتفعت الدولة العلوية واستولى على قرطبة عند
ذلك أبو الحزم ودبر أمرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا أمن خائفها ورفع طارق الك
الفتنة وطائفها وخلاله الجو فطار وقضى اللبانات والاوطار فعادت له قرطبة الى أكمل
حالتها وانجلى بنور جلالتها ولم تزل به مشرقة وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفي
(سنة ٤٣٥) فانتقل الامر الى ابنه أبي الوليد واشتمل منه على طارف وتليد وكان لابي
الحزم أدب ووقار وحلم سارت به الامثال وعدم فيها المثال وقد أثبت من شعره ماهو
لائق وفي سماء الحسن رائق وذلك قوله في تفضيل الورد

الورد أحسن مارأت عيني وأز * كى ماسقي ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه * فتذللت تنقاد وهي شوارد

غير ماذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التأليف وترتيب
من التصنيف ان شاء الله
تعالى
*(ذكر بحر نيطش وبحر
مانطش وخليج القسطنطينية)
فاما بحر نيطش فانه يمتد من
بلاد ملزقة الى القسطنطينية
بطول النهر العظيم المعروف
ببطنانس وقد قدمنا ذكره
ومبدأ هذا النهر من الشمال
وعليه كثير من ولد يافث
وخروجه من بحيرة عظيمة
في الشمال من أعين وجبال
ويكون مقدار جريانه على
وجه الارض نحو ثلثمائة
فرسخ عمائر متصلة بولد
يافث ويسمى بحر مانطش
فيما زعم قوم من اهل
العناية بهذا الشأن حتى
يصب في بحر نيطش وهذا
البحر عظيم فيه انواع من
الاحجار والحشائش والعقاقير
قد ذكرها جماعة ممن تقدم
من الفلاسفة ومن الناس
من يسمي بحر مانطش بحيرة
ويجعل طوله ثلثمائة ميل
وعرضه مائة ميل ومنه
ينفجر خليج القسطنطينية
الذي يصب الى بحر الروم
وطوله ثلثمائة ميل
وعرضه نحو من خمسين ميلا
وعليه القسطنطينية
والماء يمر من أوله الى آخره
والقسطنطينية من الجانب
الغربي من هذا الخليج
وهو متصل برومية والاندلس وغيرهما فيصب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم في بحر الباطن

واذا تبدّى الغصن في أغصانه * يزهو فذا ميت وهذا حاسد
واذا أتى وفد الربيع مبشرا * بطلوع وفدته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه * خبر عليه من النبوة شاهد
واذا تعدّى الورد من أوراقه * بقيت عوارفه فهن خوالد

انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الابيات في تفضيل الورد قول ابن الرومي في تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الحقيقة حائد

وهي مشهورة ورد على ابن الرومي بعضهم بقوله

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك فاسد الخ

وهي أيضا مشهورة * (رجع الى ما كنا فيه) وكانت لاهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع في الكفار شفت الصدور من أمراضها ووفت النفوس باغراضها واستولت على ما كان لله الكفر من جواهرها وأعراضها ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعيا العلاج حكماء الرجال فصار أهل الاندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق ومن بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق * وما أحسن ما أعرب الامام الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة عما يشمل هذا المعنى وغيره في كتاب بعث به الى الشيخ أبي جعفر بن أمية حين حل الرزء ببلنسية وهو

ألا أيها القلب المصرح بالوجد * أمالك من بادي الصبابة من بدّ
وهل من سلوّ يرتجى لمتيم * لدلوعة الصادي ورعة ذي الصدّ
يحن الى نجد وهيهات حرّمت * صروف الليالي ان يعود الى نجد
فيا جبل الريان لا ريّ بعدما * عدت غير الايام عن ذلك الورد
ويا أهل ودي والحوادث تقتضي * خلوّى عن أهل يضاف الى الود
ألا متعة يوما بعاريه المنى * فانا نراها كل حين الى الرد
امن بعد رزء في بلنسية ثوى * باحشائنا كالنار مضمرة الوقد
يرجي اناس جنة من مصائب * تطاعن فيهم بالمثقفة الملد
ألا ليت شعري هل لها من مطالع * معادا الى ما كان فيها من السعد
وهل أذنب الابناء ذنب أبيهم * فصاروا الى الاخراج من جنة الخلد

مرحبا بالسجاعة وما أعارت افقي من الاضاءة وردت تسحر النهى وتسحب ذيلا على السها وتهز من المسرة أعطافا وترد من نجوم المجردة نطافا عامت من الظلمة في موجها ثم غلبت الشهب على أوجهها فقلب العقرب يجب وسهيل بداره يحتجب والطرف غضيض وجناح الطائر بهيض وصاحب الاخبية يقرض والذابح عن ذبيحته يعرض ورامح السماكين تخونه السلاح وواقع النسر ين يود لو أنه يخفيه الصباح بلاغة تفتن كل لبيب وترعى روض كل أديب وتغض على رغم العدو من حبيب ان من

في ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

(ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار)

وأما بحر الاعاجم الذي عليه دورها وما كنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجبل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك ويتم في احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذي هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الادرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وعاينه الى ساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحمص المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب نهر البردان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر برداز وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالي

البيان لسحرا ويا أيها الجواد وجدناك بحرا أدريت أي ترى بريت وبأي قمر
اهتديت ليلة سريت افتتحت بأبياتك الحسان ونظمتها انظم الجمان فعوذت سنها
بالسبع وعرفت منها براعة ذلك الطبع ثم نثرت على القرطاس شذور المنثور بل من
جواهر النحور ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ورايتك استمددت ولك الباع
الامد وأعرت محاسنك والعارية ترد وجئت باللآلاء تروق أربعها وتحرس بها
قعقعة الاشعار وجعجعتها فأدت من حسنها ما يسر واجتمع لمن روى النطعتين ما نظم فيهما
وهو الدر واجريت خبر الحادثة التى محقت بدر التمام وذهبت بنضارة الايام فيا من
حضر يوم البطشة وعزى فى أنسه بعد تلك الوحشة احقا انه دكت الارض ونزف المعين
والبرض وصوح روض المنى وصرح الخطب وما كنى أبن لى كيف فقدت رجاحة الاحلام
وعقدت مناحة الاسلام وجاء اليوم العسر وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر حلم
ما ترى بل ما رأى ذا عالم طوفان يقال عنده لا عاصم من ينصفنا من الزمان الظالم الله بما يلقى
الفوائد عالم بالله اى نحو تنحو ومسطور تثبت وتمحو وقد حذف الاصلى والزائد وذهب
الصلة والعائد وباب التعجب طال وحال البائس لا تخشى الانتقال وذهبت علامة الرفع
وفقدت سلامة الجمع والمعتل اعدى الصحيح والمثلث اردى الفصيح وامتنعت العجمة
من الصرف وامنت زيادتها من الحذف ومالت قواعد الملة وصرنا الى جمع القلة
وللشرك صيال وتخمط ولقرنه فى شركه تخبط وقد عاد الدين الى غربته وشرق الاسلام
بكربته كأن لم يسمع بنصر بن نصير وطرق طارق بكل خير ونهشات حنش وكيف
اعيت الرقى واذالت بذيل السليم يوم الملتقى ولم تخبر عن المروانية وصوائفها وفى معافر
وتعفيره للاوثان وطوائفها لله ذلك السلف لقد طال الاسى عليهم والاسف وبقى الحكم
العدل والرب الذى قوله الفصل وبيده الفضل ربنا ارتفعت صيننا ونهيت فما انتهينا
وما كان ذلك جزاء احسانك الينا انت العليم بما اعلنا وما اخفينا والمحيط بما لم نأت وما
اتينا لو أننا فيك احببنا وقلينا لم ترنا من الفرقة ما أريتنا ولم تسلط عدوك وعدونا علينا
لكن انت أرحم من أن تؤخذنا بما جنينا واكرم من ان لا تهب حقوقك الينا واشرت ايها
الاخ الكريم الى استراحة الحى ونسيم عالدى لتبرد كما زعمت حر نفس وتقدح زناد نبس
وهيهات صلد الزند وذوى العرار والرند واقشع الشؤبوب وركد ما كان يظن به الهبوب
فالقلم فين لا يحشر وميت لا ينشر والطبع قد نكص القهقرى وقل منزله ان يدعى له
النقرى فهاه ولا يملك مبينا ولا يجد لقلمه تبينا وانت ابقاك الله عز وجل بمقتبل
الآداب طائر هيعة الشباب وابن سن السمو من سن الانحطاط ووقت الكسل من
وقت النشاط وقد راجعتك لا داخلا فى حلبتك بل قاضيا حق رغبتك والله تعالى يجعلك
بوسيلة العلم مترقيا ولجنة الطاعة متوقيا ولهاء الانفس مستقبلا ومتلقيا بمنه والسلام
انتهى * (وكتب) رحمه الله الى سلطان افريقية الوارث ملك بنى عبد المؤمن بتلك النواحى
المستولى على البلدان والضواحى وقد كان لاهل الاندلس امل فى أخذه بثارهم وضم
انتشارهم ماصورته

من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلي مدينة مكمنة الى قريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية
ونهرها العظيم الذى يصب
فى هذا البحر ثم حصون
الروم الى خليج القسطنطينية
وقد أعرضنا عن ذكر انهار
كثيرة بارض الروم وما
يصب الى هذا البحر كنهر
البارد ونهر العسل وغيرهما
من الانهار والعمارة على
هذا البحر من المضيق
الذى قدمنا ذكره وهو
الخليج الذى عليه طنجة
متصلة بساحل المغرب
وبلاد أفريقية والسوس
ورشيد والسويس ودمياط
وساحل الشام وساحل الثغور
الشامية ثم ساحل الروم مارا
متصلا الى بلاد رومية الى ان
يتصل بساحل الاندلس
الى ان ينتهى الى ساحل
الخليج الضيق المقابل
لطنجة على ما ذكرنا لا تنقطع
من هذا البحر كله العمائر
التى وصفناها من الاسلام
والروم الى الانهار الجارية
الى البحر وخليج القسطنطينية
وعرضه نحو ستين ميل
وخلجانات أخر داخلة فى البر
لا منفذ لها فجميع ما ذكرنا
على شاطئ هذا البحر الرومى
متصلو الديار غير منفصلين
لا يقطعهم أو يمنعهم الا
ما ذكرنا من الانهار وخليج
القسطنطينية ومثال هذا
البحر الرومى ومثال ما ذكرنا
من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اوقيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة

ثاقب غب الحيا الوارد * بارق هاج غرام الماجد
صدق وعد التلاقي ثم ما * طرفا الا بخلف الواعد
وكلا الزورين من طيف ومن * وافد تحت الدياجي وارد
لم يكن بعد السرى مستمتع * فيه للرائي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم * يشتكيه عند ربع هامد
بالامير المرتضى عز الهدى * وثنى عطف المنى الواجد
وبه أصحب ما كان يرى * جامحا لأنف الابى الشارد
انما الفخر لمولانا أبى * زكرياء بن عبد الواحد
ملك لولا حلاه العلم * يجر بالحمد لسان الحامد
ولو ان العذب أبدى رغبة * عنه لم يشف غليل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل * لسنى الشمس يرى من جاحد
قهر البغى بحد صادع * ماتعداه وجد صاعد
انما آل أبي حفص هدى * للورى من غائب أوشاهد
صعدوا فوق النجوم الزهر عن * همم تنهض عزم القاعد
وعن الاسلام ذادوا عندما * فل طول العهد غرب الذائد
أى فخر عمرى المنتمى * ورثوه ماجدا عن ماجد
ما الفتوح الغر الا هم * بين ماض بادئ أو عائد
نحيا اللاحق من سابق * وعلى المولود سيما الوالد
ولدى راجح الحلم الذى * ترك الطود بعطف مائد
عقد أحسابهم تم به * مثل ماتم حساب العاقد
أيها الجامع ما قد أحرزوا * جمع من همته فى الرائد
هذه الامة قد أوسعتها * نظرا يكلأ ليل الراقد
لم نزل منك بخير طارف * ربشه نال ندا مى تالد
ولهم منك ليوم حاضر * وغد رأى البصير الناقد
أرشد الله لاولى نظر * بالورى رأى الامام الراشد
وتولاه بتوفيق الأُلى * سعدوا من عاقد أو عاهد
وله فى الله أوفى كافل * بالذى يبغى وأزكى عاضد

نصر الله تعالى مولانا وأيده وشد ملكه وشيده وأبقى للفضل أيامه وللفصل أحكامه وأظفر بأعناق الاشقياء حسامه ووفر من اسباق الدم والا لا حظوظه وأقسامه والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الامة آمنا ووهج الفتنة ساكنا وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف الاوصاد لا أوآذنا وتلافى فل الاسلام منه بفيأته التى منها يستنارون الكر وبها يوعدون الفتح الاعز والنصر الاغر فهم بين جد قد قبضوها وعدة رضوها وارتقاب للفتح أكبر همهم منه درك النار وانتصاف لاهل الجنة من أهل النار فأما

فساحل الاندلس شمال الدرب وهو صفة الخليج والدرب على صفة البحر الا انه ليس بمدور الشكل لما ذكرناه طوله ولسن يعرف التنين فى البحر الحبشى ولا فى شئ من جهاته من حيث وصفنا فى نهايته وا كثر ما يظهر مما يلى بحر اقيانوس وتنازعت الناس فى التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون فى قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحب كزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت فى الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس انها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تتكون فى قعر البحر فتعظم وتؤذى دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمر بمدينة الا أتت على ما تقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أوجبل وربما تتنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها فى سد ياجوج ومأجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتتل ذلك الذين هم فيتغذى ياجوج ومأجوج وهذا قول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم فى التنين غير ما ذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذى صعد فى الجبل فأدرك غايته

الاوطان فقد استلتهم عنها جهة تنبت العز فيما تنبته وتنفي من الضيم ما تلك تشتته وما
ذكر الساخط على المحل الساقط منازل عادت على مبانيها اطلالا ومعانيها امحالا وللعبد
حال يستقبل بها من النظر الكريم أدامه الله تعالى ما أعين الآمال اليه صور ورجاء
الجميع عليه مقصور انتهى * والغاية في هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب
بعض ذوي الالباب ونص محل الحاجة منه نخص الجهة البعيدة الصيت والاسم الشهيرة
العمل والعلم درة تاجنا وضوء سراجنا ونكتة احتجاجنا أبقاها الله تعالى في أعيننا
منارا ولاندلسنا فخارا على انه وان بقيت المفاخر فقد أودى الفاخر وان أضاء الطالع
فقد درجت المطالع وغلب عليها عداة زووا عنها وجوهنا وأروا فيها مكروهنا حتى انى
أنبت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار فقلت

زدنا على النائين عن اوطانهم * وان اشتركنا في الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استقوا لها * من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا * مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا * لعدونا أفيستقيم لها الهوى انتهى

(قلت) وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الابيات في معناها العالية في مبناها فان فيها الاشارة
الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم
فيه اختيار مع ادماج حبه لها الذي لا يشك فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن التي هي
بغية الرائد ونجعة المنتاب ولكل أجل كتاب واذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب (ومما
يستولي على الخواطر ويروي رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر قوله رحمه الله
تعالى يخاطب أبا الحسن الرعيني سنة ٦٣٤)

ياصاحبي والدهر لولا كرة * منه على حفظ الذمام ذميم
أمنازعي أنت الحديث فانه * ما فيه لا لغو ولا تأثيم
ومروض مرعى مناي فنبته * من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما * داء الزمان كما علمت قديم
مجفو حظ لا ينادي ثم لا * ينفك عنه الحذف والترخيم
وأرى امالته تدوم وقصره * فعلام يلغى المد والتفخيم
وعلام أدعو والجواب كأنما * فيه بنص قد أتى التحريم
لم ألق الا مقعدا غير الاسى * وندى منه مقعد ومقيم
وشرابي الهم المعتق خالصا * فتى يساعدني عليه نديم
غارات أيام على جوارح * فعديها في طبعه التحكيم
ولواعج يحتاج صالي حرها * امرا به قد خص ابراهيم
ولقد أقول لصاحب هو بالذي * أدركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست * يوما قلوب الخلق فهو رحيم

ويهزني ويستفزني ما كتبه رحمه الله تعالى من رسالة * كتبته الى سيدي وهو السيد

وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها وهي دابة يجرّ منها على الارض شبر من قوائمها تغادي قرن
الشمس من مبدا طلوعها
الى حال غروبها فعبر على
ماوصفنا من تعلقه بشعرها
البحر ودار بدورانها طالبا
لعين الشمس حتى صار الى
ذلك الجانب فرأى النيل
منحدرا من قصور الذهب من
الجنة وأعطاه الملك العنقود
العنب وأنه أتى الرجل الذي
رآه في ذهابه ووصف له
كيف يفعل في وصوله الى
مبدا النيل فوجده ميتا
وخبر ابليس معه والعنقود
العنب وغير ذلك من خرافات
حشوية عن أصحاب الحديث
ومنها ما روي أن قبة من
الذهب وأنواع الجوهر في
وسط البحر الاخضر على
أربعة أركان من الياقوت
الاحمر يتحدر من كل ركن
من هذه الاركان ماء عظيم
من رشده فيقسم الى جهات
أربع في ذلك البحر الاخضر
غير مخالط له ولا مماس به
ثم ينتهي الى جهات من
البر من سواحل ذلك
البحر أحدها النيل والثاني
سيحان والثالث جيحان
والرابع الفرات ومنها
أن الملك الموكل بالبحار
يضع عقبه في أقصى بحر
الصين فيفور منه البحر
فيكون منه المد ثم يرفع
عقبه من البحر فيرجع الماء
الى مركزه ويطلب قعره فيكون الجزر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء في مقدار

حقيقة وأخي وقد كتب الدهر بذلك وثيقه أبقى الله تعالى جلاله محروسا وربع وفائه لايخشى دروسا من رباط الفتح وأنا بحقه عليم وعلى عهده مقيم وشأني توقيره وتعظيم وحب فيه خالص كريم ووصلني خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رأى الهلال والهائم عاين ماء الزلال علق ليس يوازيه علق وسحر لكنه حلال طلق ونظم لفكر الذائق طاو وصنعة لم يرها ولم يروها راء ولا راو رمت ابن الرومي بالخمول وبشرت اسم بشار من الفعول وحكمت باب النمري في غرة الهوان مدرج والسري عن سراوة الاحسان مخرج فاما النثر فهيل لايجاوبه الرغاء وطراز لايحسنه البلغاء ونقد تزيف معه النقود ومدى تنقطع دونه الضمر القود غادر الصابي وصباه غير ذات هبوب والصاحب وهو من العجز مع شره محجوب والميكالي وميكاله مرفوض والحريري وحريره في سوق الكساد معروض فأما بحر رئيس أرجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأبقاه في ضحضاح بل تركه يمشي باذرح ضاح فمن ذا يجاري فارس الصفين وامام الصنفين أبلغ من خط بقلم وأشهر من نار على علم وماذا يقال في أنامل تطرز بها الصحف وخمائل تفغر بها الروضة الانف واسم في شرق البلاد وغرب بها ظاهر ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبني وهب وآل طاهر فالزمان يأثر ماينثر ويعظم ماينظم ولوأب الازمنة قبله غمرت المحاضر بكل ناجم ونشرت المقابر عن الصنوبري وكشاجم وجاءت بالكتاب من كل جيل والشعراء رعيلا بعد رعيل لطال هذا العصر بواحده آلافها وأنسى بخلفه أسلافها انتهى * وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له في معنى ما ألمعنا به آنفا ما صورته

تحية منكما أتتني * طابت كما طاب مرسلاها
ويالها اذ كرت عهودا * قلبي والله ماسلاها
حللتما في البلاد أرضا * ريح صباها عني سلاها
لم يصب قلبي الى سواها * يوما ولم يسل في سلاها

كتابي أيها الاخوان اللذان بودهما أقول وعن عهدهما لا أحول أنزلكما الله تعالى خير منزل وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل من رباط الفتح ولي قديما ملكتما رقه وقلبي تعلما وتعليما عرفتما صدقه كيف حالكما من سفر طويتما ذبره حين تجشمتما غرره وكيف سمحت نفوسكما بأم الحصون وذات الظلال والعيون تربة الآباء ومنزلة الجميين النجباء حتى صرمتما حبلها وهجرتما حزنها وسهلها وخضتما غبر الفجاج وخضر الامواج وماذاك الا لتغلب الحادث النكر وتألب المعشر الغدر ومن أجل الداهية النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد أزعجتكم حين أزعجتنا وأخرجتكم كما أخرجتنا وطوحت بنا طوائحها واجتاحت ثمرنا وشجرنا جوائحها فنشكر الله تعالى على قضائه ونضرع اليه فيما نرفعه من دعائه وهنيأ لنا ولكم معشر الشرداء المنطوين من الشجن على شرداء ذلك الطود الذي اليه أويتما وفي ظله ثويتما وعن رأيه تريان وبسعيه تسعيان فوجهه المبارك لا يعدم رأيه نجحا ولا يعدو لصبحه اذا دجا ليل الهم صبحا انتهى وكان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء

النصف منه فيضع الانسان يده أو رجله فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى أن المد يضع ابهامه من كفه الا يمنى في البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وماذكرنا فغير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل في حيز الممكن والجائز لان طريقه في النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر في النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ماذكرنا فقد وصفنا آنفا ماقال الناس في ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب انا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره مما كتبنا ولم يعزب عنا فهم ماقاله الناس في سائر ماذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة في المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشي ثم الرومي ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزري ثم أوقيانوس الذي لايعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل وصدر

وصدر الجلة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ونكتة البلاغة التي قد
أحرزها وأودعها وشمسها التي أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها مبدع البدائع التي
لم يحظ بها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة
وروية بدرر العلم فصيحة ذلت له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم وهو الذي أوتي جوامع الكلم في يديه الاقلام وأصل سلفه من جزيرة
شقر وولد بمدينة بلنسية وروى عن أبي الخطاب بن واجب وأبي الربيع بن سالم وابن نوح
والشلوبين النحوي وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ وأجازه من أهل المشرق
جماعة وكان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ
أهله ثم تفنن في العلوم ونظر في المعقولات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة عد فيها
من مجيدي النظم فأما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجارى وصاحب عينها الذي لا يبارى
وله وعظ على طريقة ابن الجوزي ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين
والحفصيين وله تأليف في كائنة ميورقة وتغلب الروم عليها نحا في الخبر عنها منحى
الامام الاصبهاني في الفتح القدسي وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازي في كتاب المعالم
وله كتاب رد به على كمال الدين الانصاري في كتابه المسمى بالتبيان في علم البيان المطلع على
اعجاز القرآن وسماه بالتنبيهات على ما في البيان من التمويهات وله اختصار نبيل من
تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك* وورد رحمه الله حضرة الامامة مراكش بصحبة أمير
المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة
وقلده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد
سبتة وأخذ ماله في قافلة بني مرين ثم توجه الى بلاد افريقية ووصف حاله في رسالة خاطب بها
ابن السلطان أبا زكريا الحفصي وهو أبو زكريا ابن السلطان أبي زكريا وكان صاحب
بجاية لابيه ولم يزل رحمه الله تعالى مذ فارق الاندلس متطلعا لسكنى افريقية معمور القلب
بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمان ثم
استقضى بالاريس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر
بالله الحفصي وأحضره مجالس أنسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره
ومولده بجزائر شقر في شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ وتوفي ليلة الجمعة الموفية عشرين من
ذي الحجة سنة ٦٥٨ ألحفه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه* قال ابن الابار في تحفة القادم
في حق أبي المطرف المذكور وفائدة هذه المائة والواحد يفي بالمائة الذي اعترف باتحاده
الجميع واتصف بالابداع فاذا بته فبه البديع ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم لماله
من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الياقوت والجوهر تحلت به الصحائف
والمهارق وما تخلت عنه المغارب والمشارق فحسبي أن أجهد في أوصافه ثم أشهد بعدم
انصافه هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره وتناوب المنثور والمنظوم على شكره
ثم أورد له جملة منها قوله

وأجلت فكري في وشاحك فانثنى * شوقا اليك يجول في جوال

بحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ماذكرنا والرومي بدؤه من
بحر اوقيانوس الاخضر فيجب
على هذا القياس أن يكون
ماوصفنا بحرا واحد الاتصال
مياهها وليست هذه المياه
ولا شيء منها والله أعلم متصلة
بشيء من بحر الحبش فبحر
نيطش وبحر مانطش يجب
أن يكونا أيضا بحرا واحدا
وان تضايق البحر في بعض
المواضع بينهما أو صار بين
الماءين كالخليج وليست
تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه
بمانطش وما ضاق منه
وقل ماؤه بنيطش ينبغي أن
تجمعهما في اسم مانطش
أو نيطش فاذا عبرنا بعد
هذا الموضع في مبسوط هذا
الكتاب فقلنا مانطش أو
نيطش فانما نريد به هذا
المعنى فيما اتسع من البحر
وضاق (قال المسعودي)
وقد غلط قوم زعموا ان
البحر الخزري يتصل ببحر
مانطش ولم أر فيمن دخل
بلاد الخزر ومن اتصل اليها
بحر من هذه البحار أو بشيء
من مائها ومن خلجانها الا
من نهر الخزر وسنذكر
ذلك عند ذكرنا الجبل القبخ
ومدينة الباب والابواب
ومملكة الخزر وكيف دخل
الروس في المراكب الى
بحر الخزر وذلك بعد
الثلثمائة ورأيت أكثر من
معترض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون في كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدري

وسمت اليه نواظرهم واشترك فيه باديهم وحاضرهم فجناب أملهم فسيح ومتجر خدمتهم ربيح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبسنى النظر العلى اهتداؤهم وفى الباب الكريم رجاؤهم وبصدق العبودية اعتزازهم واليها اعتزاؤهم والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ويحملهم على المناهج السويه ووصل الكتاب الكريم متدليا برواء الحق ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق فلا بيان أعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان أو تادى خبره فى أخبار الزمان نشرت فيه الخلع العباسية فى اعلى الصور وبرزمنها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه فى ذيل الحصر ويهدى سواده سواد القلب والبصر فيالمشهد ما اعجب ما كان ومرآها الذى راع الكفر وراق الايمان وأشبه يومه بالاندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان وكفى بهذا الفخار الايحتاج ثابته مثبتا أن باشرت بردا باشر البدن الذى طاب حيا وميتا فهو علو فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى وفخار ضلت عن مثله العصور الخوالى وجلت بهجته أن تخلق جدتها الايام والليالى ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد وخير الاوصاف ما صدقه الموصوف والكريم النسب نسبته يباهى بها الدين وتزهى السيوف

فان نحن سميناك خلنا سيوفنا * من التيه فى أغمادها تتبسم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه فانها تضمنت صفة لله عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب أهل السنة فى خلق الله عز وجل الاعمال وأشعرتنا مبشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدى المتوكلى أحسن الله تعالى اليه حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانه لما شايعه بعزيمة مساعدة ونية فى مشارع الصفاء والاخلاص واردة ألهم زيادة فى العلامة شاركت الامامة فى صفة واحدة فهذه كرامة فى العلامة هى علامة الكرامة وهبة من مواهب الكشف يجدها من امتثل قوله فاستقم كما أمرت فكان من أهل الاستقامة وتضمن الكتاب الكريم بيعة اهل جيان ومامعها وان هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا الاصل الصحيح وأقيسة من هذا النص الصريح بادلة الخلاف قد استقلت وشبهة الخلاف قد بطلت واضمحلت والحمد لله على أن منح جزيل النعماء وشرح باليقين صدور الاولياء وشرف هذه الامة بامامة نجل الائمة الخلفاء وابن عم سيد الرسل وخاتم الانبياء والعبيد يهنؤن بهذه النعم التى لا يستقل بذكرها قلم ولا يقطع علم من وصفها الابد اعلم وبهم من الاشواق الى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العلية ما اكده نو الدار وجدده ما تجدد للمقام العالى المتوكلى من نعم الله تعالى الجليلة المقدار والشاهدة له باسعاد الايام واسعاف الاقدار فلو أمكنهم الاقدام لأقدموا ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا وهم يستلمون البساط الاشرف توهما ومن أملهم انهم فى الحقيقة قد استلموا انتهى وبه تعلم ان الدولة العباسية خطب لها ببلاد الاندلس أعادها الله للاسلام ولا يخفاك أن ما جلبناه من ذلك وغيره مناسب للمقام فلا انتقاد ولا ملام (وقد رأيت) أن اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله

ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل يعود بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما ناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن اهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مضاض من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة والاذان فى الماء من اجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن اجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دابها وعادتها ثم يعود ذلك الماء ماكان الى الارض اذن كانت بعضه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع للطيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الاندية سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى اعماق الارض حتى تصير الى ذلك الهور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كنجنون غرف من نهر وصب الى

صاحب الاندلس الى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من احوال الاندلس ونصها الابواب التى تفتح لنصرها أبواب السماء وتستدر من آفاقها سحاب النعماء وتجلى بانوار سعدها دياجى الظلماء وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء ويحتزأ من صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالايماء وتحمل لها التحية ذوات الدسر والالواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر الاوحد الاسعد الاصعد الامجد الاعلى العادل العالم الفاضل الكامل سلطان الاسلام والمسلمين عماد الدنيا والدين رافع ظلال العدل على العالمين جمال الاسلام علم الاعلام فخر الليالى والايام ملك البرين والبحرين امام الحرمين مؤمن الامصار والاقطار عاصب تاج الفخار هازم الفرنج والترك والتتار الملك المنصور ابن الامير الرفيع الجادة الكريم الولادة الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم الممجد الاسمى الموقر الاعلى فخر الجلة سيف الملة تاج الامارة عز الاسلام مستظل الانام قمر الميدان أسد الحرب العوان المقدس الطاهر الامير احمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة الله على العالمين وولى المؤمنين سلطان الجهاد والحج ومقيم رسم العج والثج محيي معالم الدين قامع المعتدين قاهر الخوارج والمتمردين ناصر السنة محيي الملة ملك البرين والبحرين سلطان الحرمين الملك العادل العالم العامل المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل المجاهد المرابط المغازى الممجد المكمل الطاهر الكبير الشهير المقدس الملك الناصر أبى عبد الله محمد بن قلاوون الصالحى جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح وحركات عزمه مبنية على الفتح ومجمل سعادته غنيا عن الشرح وجياد أوصافه متبارية فى ميدان المدح وزناد رأيه وارية على القدح من موجب حقه ووجوب الشعائر الخمس المرحب لاجل أفقه الشرقية بوفادة الشمس المجدد فى اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالامس أمير المسلمين بالاندلس عبد الله الغنى بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجه زهر الادواح ويحاسن طرر الوجوه الملاح يخص أبوتكم التى رتب العز فصولها وعضدت نصوص النصر نصولها ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعله فاتحة القرآن وخاتمة دعاء أهل الجنان وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان ملكتى القلب واللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الاكوان وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان الذى أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان وغطى بدينه الحق على الاديان وزويت له الارض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان والرضا عمن له من الاصحاب والاحباب والاعمام والاخوال والاخوان صلاة يجددها الجديدان ويمليها الملوان وتتزاحم على تربته المقدسة مع الاحيان ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الافنان والتفتت

حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة فى غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول مرا زائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود ما كل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقر نفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولا سيما ان صعدت مرتين وأسخنت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وأنه اذا أخذ شئ من الشمع فعمل منه اناء ثم سد رأسه وصير فى ماء مالح وجد ذلك الماء الذى وصل الى الاناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكل ما يجرى فهو نهر

عيون المعاني ما بين أجفان البيان والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم
بها وظيفتي الحجابة والاستئذان وضرب بدعوتها التي هي لذة الاقامة والاذان على الآذان
واستخدم بروج الفلك الدوّار في أمرها العزيز استخدام الانصار والاعوان حتى يعلم
ما في المدافعة عن حماها مخالب السرحان وفي الاشادة بعدلها كفتي الميزان ويهدي لها
من الزهرة كرة الميدان ومن الهلال عوض الصولجان وأبقى في عواملها ضمير الامر
والشان الى يوم تعنو وجوه الملوك الى الملك الديان فانا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله
لعتبتها النصرة الداخلة كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة وجعل مفارق مناصلها
المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة من دار ملك
الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها وشد بأيدي
اليقين عرا أملها في الله ورجائها حيث المصاف المعقود وثمن النفوس المنقود ونار
الحرب ذات الوقود حيث الافق قد تردى بالقتام وتعمم والسيف قد تجرد وتيمم وغبار
الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير
والثمرة من أوسق العير حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها والابطال يملؤن التكبير
مسمع ندائها حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها وان ذا القطر
الذي مهدت لسياسته اكوار مطاياه وجعلت بسيدنا والمنة لله عياب عطاياه قطر مستقل
بنفسه حرب يومه في البر على امسه زكي المنابت عذب المشارب متمم المآمل مكمل
المآرب فاره الحيوان معتدل السحن والالوان وسيطة في الاقاليم السبعة شاهدة لله
باحكام الصنعة أما خيله ففارهة والى الركض شارهة وأما سيوفه فلمواطن الغمود
كارهة وأما اسله فتداركة الخطف وأما عوامله فبينة الحذف وأما نباله فمحذورة القذف
الا أن الاسلام به في سفط مع الحيات وذريعة للمنيات الوحيات وهدف للنبال واكلة
للشبال تنوشهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة وتجوس خلالهم العيون
المراقبة وتريب من أشكال مختطهم الا أن يتفضل الله بحسن العاقبة فليس الا الصبر
والضرب الهبر والهمز والنبر والمقابلة والجبر وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملتهم
وأساة علتهم يقومون بهذا الفرض عن أهل الارض ويقرضون ملك يوم العرض أحسن
القرض فلولا بعد المدى وغول الردى ولغط العدا وما عدا مما بدا لسمعتم تكبير الحملات
وزئير تلك الفلات ودوي الحوافر وصليل السيوف من فوق المغافر وصراخ الثكالى
وارتفاع الادعية الى الله تعالى ولو ارتفع هذا المكان وهو للاولياء مثلكم من حيز
الامكان لقلتم مقل الاسنة الزرق حالة من أطراف قصب الرماح محال الورق وأبصرتم
القنا الخطار قد عاد أخلة والسيوف قد صارت فوق بدور الخود أهلة وعقود الشهادة
عند قاضي السعادة مستقلة وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور الفتح وآخر
ولاء ذلك المنح عرض على الفاروق فاحتاط وأغرى به من بعده فاستشاط وسرحت
خيل ابن أبي سرح في خبر يدعو الى شرح حتى اذا اولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت
وقضوا ما انحجت ورثة الحق وشوت ويدهم على الامر احتوت وفازت منه بما نوت

وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودي) وقد تكلم الناس في المياه واشباهها
واكثروا وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة في ملوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولاية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الامور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لا غاية له وفي مواضع منه شاهدت ارباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة وهم النواتي وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوي المكنى بأبي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت
عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

نفل ولأنده الوليد وجاب له الطريف والتليد وطرقت خيل طارف وضاقت عن اخباره المهارق وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التى منها المائدة ثم استرسل المهب ونصر الرب ويكثر الطيرحين ينثر الحب وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خيره وطارت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ففتحت الاقفال ونفلت الانفال ونجح الفال ووسمت الاغفال وافتتحت البلاد الشهيرة وانتقيت العذارى الخيرة واقتنيت الذخيرة وتجاوز الاسلام الدروب وتخطى وخضد الارطى واركب وأمطى واستوثق واستوطا وتثاءب وتمطى حتى تعددت مراحل البريد وسخنت عين الشيطان المريد واستوسق للاسلام ملك ضخم السرادق مرهوب البوارق رفيع العمد بعيد الامد تشهد بذلك الآثار والاخبار والوقائع الكبار والاوداق والامطار وهل يخفى النهار ولكل هبوب ركود والدهر حسود لمن يسود فراجعت الفرنج كرتها واستدركت معرتها فدوخت جوارحها وحلقت وأومضت بوارقها وتألقت وتشبثت وتعلقت وأرسلت الاعنة وأطلقت وراجعت العقائل التى طلقت حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية ولا من الليل الا الناشية وسقطت الغاشية وأخلدت الفئة المتلاشية وتقلصت الظلال الفاشية الا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا أثبتوا فى مستنقع الحرب أقدامهم وأخلصوا الله بأسهم واقدامهم ووصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز واشتد بالمدافعة وتميز وعادت الحروب سجالا وعلم الروم أن لله رجالا وقد أوفد جدنا رضى الله عنه على ابواب سلفكم من وقائعه فى العدو كل مبشرة ووجوديه منتشرة ضحكت لها ثغور الثغور وسرت بها فى الاعطاف حميا السرور وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور وتمائم فى درر النحور وخفرا فى وجوه البدور فان ذمام الاسلام موصول وفروعه تجمعها فى الله أصول وما أقرب الحزن ممن داره صول والملة والمنة لله واحدة والنفوس لا منكرة للحق ولا جاحدة والاقدار معروفة والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة فاذا لم يكن الاستدعاء أمكن الدعاء والخواطر فعالة والكل على الله عالة والدين غريب والغريب يحن الى أهله والمرء كثير بأخيه على بعد محله انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الثالث)

فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامى العماد والقهر للعدو فى الرواح والغدو والتحرك والهدو والارتياح البالغ غاية الآماد واعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد فى الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المستلة من الاغماد

(اقول) قد قدمنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجىء الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية كما نسرده هنا ان شاء الله تعالى (وذكر غير واحد) منهم ابن حزم ان دولة بنى أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام وانكاها فى العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه كما

انظر منه فى البحر الرومى ولا آنس منه وايس فى بركته من أصحاب المراكب ممن الحربية والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقرله بالنصر والحذق مع ماهو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم فى علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى فى المواضع التى فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن اراد الحفر وان ما عدا ذلك فعلى البعد ووجدت فى كتاب الفلاحة ان من اراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحفر فى الارض ثلاثة أذرع او أربعة ثم يأخذ قدرا من نحاس أو سحابية خذف فيدهنها بشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها فى أسفل ذلك القدر الذى قد دهنته بدهن او بشحم ثم ألقها فى أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه و يصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب

ستري بعضه (واصل هذه الدولة) كما قال ابن خلدون وغير واحد أن بني أمية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن على مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتتبع بني مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يأثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمغيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له في الاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافق قدومه ماكان من الاحن بين اليمنية والمضرية فاصفقت اليمنية على أمره لكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب وأتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم الى شدونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مورور فبايعه ابن الصباح ونهض الى قرطبة فاجتمعت اليه اليمنية ونمى خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازيا بجليقية فانفض عسكره ورجع الى قرطبة وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف له والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما أراده وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها ثم برندة ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافت اليه جنود الامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة ثم أقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة احدى واربعين ومائة ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين ألفا من البربر وقدم الامير عبد الرحمن لقتاله عبد الملك بن عمر المرواني وكان وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة اربعين فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان فكانت الدائرة على يوسف وأبعد المفر واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وثبت قدمه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثلها

قدر ذراعين او ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملتزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر متفرقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس في ذلك الموضع ماء فلا تتعن في حفره ووجدت في بعض النسخ من كتب الفلاحة هذا المعنى ان من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشي فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشي لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثاني ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من أخبار البحار وغيرها فلنقل في أخبار

الملك

الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز وجدد ماطمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلحم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسد المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى انه فعل بالاندلس ما فعل وما ركب اليها من الاخطار وانه نهد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب أهلها على أمرهم وتناول الملك من ايديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره وأورثه عقبه *وكان يسمى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بامير المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بني أمية بالاندلس فتسمى بأمير المؤمنين على ما سنذكره لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد (قال ابن حيان) وكان لبني عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعندما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوى أمر الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم فملك مدينة لك وبرتقال وسمورة وقشتالة وشقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابي عامر آخر الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها حسبما يذكره الله سبحانه الامر اه وخاطب عبد الرحمن فارله ملك الافرنج وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة قال ابن حيان ولما ألفى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية وآخذهم بالآداب فاكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة وبدأ فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض الاعطية وعقد الالوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فاقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث أن دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها فلذلك ما ظل عدوه ابو جعفر المنصور بصدق حسه وبعد غوره وسعة احاطته يسترجح عبد الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة اسبابه فالشان في أمر فتى قريش الاحوذي الفذ في جميع شؤونه وعدمه لاهله ونشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرة شاسعة المحل نائية المطمع عصبية الجند ضرب بين جندها بخصوصيته وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهرا لاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ان ذلك لهو الفتى كل الفتى

ملوك الصين وغيرها وأدلها وغير ذلك مما لحق به ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور وأخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما تسم فالغ بن عابور بن ارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة في الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع السكريم واللان والخزر والابخاز والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة في ذلك الصقع والارمن الى بلاد طرابزندة الى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويمم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار فمنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسية والصغد وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واسبيجاب وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي فمنهم الترك الخرلخ والطغزغز ومنهم أصحاب مدينة كوشان وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين

لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبد الرحمن هذا لابي جعفر المنصور في الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة فان أم كل واحد منهما بربرية وكان الداخل يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل اليه من أراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقة وكان من عادته ان يأكل معه من أصحابه من أدرك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه * (وفي كتاب ابن زيدون) انه كان أصهب خفيف العارضين بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور أخشم والاخشم الذي لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر وأقام ملكا قد أدبر وحده ولما ذكر الحجاري انه أعور قال ما أنشد فيه الا قول امرئ القيس

لكن عوير وفي بذمته * لا عور شانه ولا قصر

(وقال ابن خلدون) وفي سنة ست وأربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبي من افريقية الى الاندلس ونزل بباجة الاندلس داعيا لابي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ولقيه بنواحي اشبيلية فقاتله أياما ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من أصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثير منهم الى القيروان ومكة فألقيت في أسواقها سرا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ما هذا الا شيطان والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر أو كلاما هذا معناه وقد مر ذكر ذلك وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ولقي منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واستراب في آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنس ومن وراءهم ورجع بالظفر وكان في نيته ان يجدد دولة بني مروان بالمشرق فمات دون ذلك الامل وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر اذ دخل الاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات سنة اثنتين وسبعين وقيل احدى وسبعين ومائة في خلافة الرشيد وأمه أم ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعليا من تدمير ومات أبوه في أيام ابيه هشام سنة ثمان عشرة عن احدى وعشرين سنة وكفله واخوته جدهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميع الاخماس التي اجتمعت للخلفاء بالاندلس وأقطعه اياها ووجه بحيازتها من الشام سعيد بن أبي ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة بدر مولى أبيه وأبو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا لحقه ولم يخرج معه فالله أعلم وخلف من الولد عشرين منهم احد عشر رجلا وتسع اناث * (وحكى غير واحد) انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدا الاندلس نزل بمغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى أبا قرة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدر مولى أبيه بجوهر وذهب أنفذته أخته اليه فلما دخل الاندلس واستتب أمره به سار اليه أبو قرة وانسوس البربري فأحسن اليه وحظي عنده وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها عند ما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله في الاندلس لقد عذبتني بريح ابطيك

وليس في أجناس الترك وأنواعهم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم باسا ولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازجان ومذهبهم مذهب المانية وليس في الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرسخانية والبدية والجفوبية واشدهم باسا الجفوبية وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخزلجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركي الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانه) ولخاقان الترك في وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمات وهي في مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بألوان الهند ولهم حضر وبواد وسكن فريق منهم ببلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ما قدمنا وسمى اهل التبت مليكهم خاقان

يا نكفات على ما كان بى من الخوف وسطعتنى بأنتن من ريح الجيف فكان جوابها له مسرعة
بل ذلك كان والله يا سيدى منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك فاستظرف جوابها
وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح * ومن محاسنه انه أدار السور
بقرطبة رحمه الله (وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه اليه) وأمه أم ولد اسمها حلل وأفضى
اليه الملك وهو بماردة وال عليها وكان أبوه يوليه فى صباه ويرشحه للامر وكان الداخل كثيرا
ما يسأل عن ابنيه سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا احضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا
وذكر الامور الحرب ومواقف الابطال وما أشبه ذلك واذا احضر سليمان مجلسا امتلأ سخفا
وهذيانا فيكبر هشام فى عينه بمقدار ما يصغر سليمان وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا مع بر ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال له يا سيدى لامرئ القيس ملك كندة وكأنه قاله فى الامير أعزه الله فضمه اليه استحسانا
بما سمع منه وأمر له باحسان كثير وزاد فى عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر
وأنشده البيتين فقال لعلهما لاحد أجلاف العرب أمالى شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب
فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية * ولما ولى هشام أشخص المنجم
المعروف بالضبى من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان فى علم النجوم والمعرفة بالحركات
العلوية بطليموس زمانه حذقا واصابة فلما أتاه خلا به وقال له يا ضبى لست أشك انه قد عنالك
من أمرنا اذ بلغك ما لم ندع تجديدا النظر فيه فانشدك الله الا ما أنبأتنا بما ظهر لك فيه فلجلج
وقال اعفنى أيها الامير فانى ألممت به ولم أحقق النظر فيه لجلالته فى نفسى فقال له قد أجلتك
لذلك فتفرغ للنظر فيما بقى عليك منه ثم أحضره بعد أيام فقال ان الذى سألتك عنه حدثنى
مع أنى والله ما أثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذى استأثر به ولكنى أحب أن أسمع
ما عندك فيه فالنفس طلعة وألزمه الصلة أو العقوبة فقال اعلم أيها الامير انه سوف يستقر
ملكك سعيدا جدك قاهرا لمن عاداك الا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية
أعوام أو نحوها فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ضبى ما أخوفنى ان يكون النذير كلمنى
بلسانك والله لو أن هذه المدة كانت فى سجدة لله تعالى لقلت طاعة له ووصله وخلع عليه وزهد
فى الدنيا ولزم افعال الخير والبر (ومن حكاياته فى الجود) انه كان قاعدا لراحته فى علية على
النهر فى حياة والده فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيان قد اقبل بوضع السير
فى الهاجرة فانكر ذلك وقدر شرا وقع به من قبل اخيه سليمان وكان واليا على جيان فأمر بادخاله
عليه فقال له مهيم يا كنانى فلأمر ما وما احسبك الا مزعجا لشئ دهمك فقال نعم يا سيدى قتل
رجل من قومى رجلا خطأ فحملت الدية على العاقلة فأخذ بها من كنانة عامة وحملنا على من
بينهم خاصة وقصدنى أخوك بالاعتداء اذ عرف مكانى منك فمد هشام يده الى جارية كانت
وراء الستر وقطع قلادة عقد نفيس كان فى نحرها وقال له دونك هذا العقد يا كنانى وشراؤه
على ثلاثة آلاف دينار فلا تخدعن عنه وبعه وأدعن نفسك وعن قومك ولا تمكن الرجل
من اهتضامك فقال يا سيدى لم آتك مستجديا ولا لضيق المال عما حملته ولكنى لما اعتمدت

تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى قاهيه من بلاد الصين فتفرقوا فى
تلك البقاع والبلاد وقطنوا
الديار وكوروا الكور
ومصروا المدن واتخذوا
لملكتهم مدينة عظيمة
وسموها انموا وبينها و بين
ساحل البحر الحبشى وهو
بحر الصين مسافة ثلاثة
أشهر مدن وعمائر متصلة وكان
أول ملك تملك عليهم فى هذه
الديار وهى انموا (اسطرماس)
ابن فاعور بن بريج بن
عابور بن يافث بن نوح
فكان ملكه ثلثمائة سنة
ونيفا وفرق أهله فى تلك
الديار وشق الانهار وقتل
السباع وغرس الاشجار
وأطعم الثمار وهلك فملك
ولده يقال له (عرون)
فجعل جسد أبيه فى تمثال
من الذهب الاحمر جزعا عليه
وتعظيما له وأجلسه على
سرير من الذهب الاحمر
مرصع بالجواهر وجعل
مجلسه دونه وأقبل يسجد
لابيه وهو فى جوف تلك
الصورة هو وأهل مملكته
فى طرفى النهار اجلالا له
وعاش مائتى سنة وخمسين
سنة وهلك فملك ولده
يقال له (عبرور) فجعل
جسد أبيه عرون فى تمثال
من الذهب الاحمر وجعله
دون مرتبة جده على سرير
من الذهب ورصعه بانواع
الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وساواهم فى جميع امورهم

ظلم صراح أحببت ان يظهر على عز نصرك وأثر ذنبك وامتعاضك فاتمهد بذلك عند من
يحسدني على الانتماء اليك فقال هشام فما واجه ذلك فقال ان تكاتب الى أخيك في الامساك
عني والقيام بذمتك لي فقال امسك العقد وركب من حينه الى والده الداخل واستأذن عليه
في وقت أنكره فانزعج وقال ما اتى بأبي الوليد في هذا الوقت الا امر مقلق ائذنوا له فلما دخل سلم
عليه ومثل قائما بين يديه فقال له اجلس ياهشام فقال اصلح الله الامير سيدي وكيف
جلوسي بهم وذل مزعج وحق لمن قام مقامي أن لايجلس الا مطمئنا ولن يقعدني الا طيب
نفسي باسعاف الامير لحاجتي والا رجعت على عقبي فقال له حاشاك من انقلابك خائبا
فاقعد مجابا مشفعا فجلس فقال له أبوه فما الحدث المقلق فأعلمه فأمر بحمل الدية عنه وعن
عشيرته من بيت المال فسر هشام واطنب في الشكر وكتب الامير الى ولده سليمان في ترك
التعرض لهذا الكناني بما لم يدر في خلده * ولما دخل الكناني لوداع هشام قال له ياسيدي
قد تجاوزت بك حد الامنية وبلغت غاية النعم وقد اغنى الله عن العقد المبذول بين يدي
العناية الكريمة فتعيده الى صاحبته فأبى من ذلك وقال لاسبيل الى رجوعه الينا * وكان
هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور
فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع
به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال
نسأل الله تعالى ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي أيامه فتحت أربونة الشهيرة واشترط على
المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة
المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت
منه فضلة بقيت مكومة وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة
له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد ألبة والقلاع فلقي العدو وظفر بهم وفتح الله عليه
سنة خمس وسبعين وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بخية فلقي ملكها ابن منده وهزمه
وأثخن في العدو وفي سنة ست وسبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة
العدو فبلغ ألبة والقلاع فاثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين الى
أربونة وجريدة فاثخن فيها ووطئ أرض برطانية وتوغل عبد الملك في بلاد الكفار وهزمهم
ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع سنة ثمان وسبعين ومع
أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى استرقة فجمع له ملك الجلالقة
واستمد بملك البشكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجه واتبعه عبد الملك وكان هشام
قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فالتقوا بعبد الملك واثخنوا في البلاد واعترضتهم سيل
الفرنج فنالوا منهم بعض الشيء ثم خرجوا سالمين ظافرين * ومن محاسنه انه جدد القنطرة التي
يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السمح الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه فاحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لأحد وزرائه ما يقول أهل قرطبة فقال
يقولون ما بناها الامير الا ليمضي عليها الى صيده وقنصه فآلى هشام على نفسه أن لا يسلك
عليها فلم يمر عليها بعد ووفى بما حلف عليه ثم توفي سنة ثمانين ومائة لسبع سنين

ولده (عيلبان) فجعل اباه
في تمثال من الذهب الاحمر
وجرى على ما سلف من
افعالهم في السجود والتعظيم
وطال ملكه واتصلت بلاده
ببلاد الترك من بني عمه
فعاش اربعمائة سنة
واتخذ في ايامه كثير من
المهن مما لطف في الدور من
الصنائع وملك بعده ولد
(حرامان) فأحدث الفلك
وحمل فيها الرجال وحمل الطرائف
بلاد الصين وصيرها نحو بلاد
السند والهند الى اقليم بابل
والى سائر الممالك مما قرب
منها وأبعد في البحر وأهدى
الهدايا العجيبة والرغائب
النفيسة الى الملوك وأمرهم
ان يجلبوا اليه ما في كل بلد
من الطرائف والتحف من
المآكل والمشارب والملابس
وسائر الفرش وان يعرفوا
سياسة كل ملك وكل أمة
وشرائعهم ومذاهبها التي هي
عليه وان يرغبوا الناس
فيما في بلدانهم من الجواهر
والطيب والآلات فتفرقت
المراكب في البلاد ووردوا
الممالك لما أمروا به فلم يردوا
على اهل مملكة الا وأعجبوا
بهم واستظرفوا ما أوردوه
من ارضهم فبنت الملوك
المطيفة بالبحار المراكب
وجهزت نحوهم السفن
وحملوا اليهم ما ليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت وتسعة

وتسعة أشهر من امارته وقيل لثمان وكان من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد
ومن محاسنه أيضا كمال بناء الجامع بقرطبة وكان أبوه شرع فيه * ومن محاسنه انه
أخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر
وولد في شوال سنة ١٣٧ (وولي بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه) فاستكثر من المماليك
وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشر الامور بنفسه وفي خلال فتنة كانت بينه وبين
عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين وقصد برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين
وتأخرت عساكر المسلمين الى مادونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن
مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخنوا فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع على التعبية
وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع أهل الربض من
قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل
يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطا عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به
وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا بقصره
فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة
وبالاسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن
طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى
أن ملكها الافرنج من أيديهم بعد مدة * وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار
المخالفين له من أهل طليطلة وغيرهم (وفي سنة ثنتين وتسعين) جمع لذريق بن قارله ملك
الفرنج جموعه وسار الى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه
وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا ولما كثر عيث الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم
بالخارجين عليه سار بنفسه الى الفرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرب
النواحي وأثخن في القتل والسبي والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا * (وفي سنة مائتين) بعث
العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الفرنج فخرب وهدم عدة حصون وأقبل عليه أليط ملك
الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل
وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين
ظاهرين وهو أول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان أفحل بني أمية بالاندلس وأشدهم
اقداما ونجدة وكان يشبه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد
الدولة وقمع الاعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده وقد غضب فيه
على خادم له لايصاله اليه كتابا كره وصوله فأمر بقطع يده فقال له زياد أصلح الله الامير فان
مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا
وايمانا يوم القيامة فأمر أن يمسك عن الخادم ويعفى عنه فسكن غضبه وقال آلله ان مالكا
حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثني بهذا وكانت المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين
ومائة فاكثر فيها مواساة أهل الحاجات وفي ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه

نسكد الزمان فآمنت ايامه * من أن يكون بعصره عسر

له الامور فكان عمره نحوا من مائتي سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى
الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله في فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (ثومامان) واستقامت له الامور واحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة في الاحسان مع الزيادة في العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس في رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا يبني فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا بالنبات حسن الاعتمام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها مخارج للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب في أعلاها تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع
الشمل وتساوي النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية

خلع الزمان بأزمة جلت له * تلك السكر يهة جوده الغمر

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم وبه يعتصم * وذكور ولده عشرون واناثهم عشرون وامه جارية اسمها زخرف وكان أسمر طوالا أشم نحيفا ومدة ملكه ست وعشرون سنة سامحه الله * وقال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أبهة واستعبد المماليك حتى بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ * وقال ابن خلدون وغير واحد انه أول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وحكى في عدتهم ما تقدم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى وكان له فيما حكى غير واحد ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلي قصره يجمعها داران وهو القاتل لما قتل أهل الربض وهدم ديارهم وحرثها

رأبت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة * أبادرها مستنضي السيف دارعا
تنبيك أني لم أكن في قراعهم * بوان وقدما كنت بالسيف قارعا
وهل زدت اذ وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا
فهذي بلادي انني قد تركتها * مهادا ولم أترك عليها منازعا

وقال ابن حزم في حقه انه كان من المجاهرين بالمعاصي السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غير واحد انه تنصل أخيرا وتاب سامحه الله ومن نظمه قوله متغزلا

قضب من البان ماست فوق كثبان * ولين عني وقد أزمعن هجراني

ومنها

من لي بمغتضبات الروح من بدني * يغصبنني في الهوى عزي وسلطاني

وقيل انه كان يمسك أولاد الناس ويخصيهم ونقلت عنه أمور ولعله تاب منها كما قدمنا والله أعلم بحقيقة أمره * (ومن بديع أخبار الحكم) أن العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التي أولها

تململت في وادي الحجارة مسهدا * اراعي نجوما ما يرون تغيرا
اليك أبا العاصي نضيت مطيتي * تسير بهم سار يا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي أغارت من اي ارض العدو كانت فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية وأثخن فيها وفتح

الحصون

وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا في الانفس والأعضاء ومستملات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقرب بالمعبود هم منها ايماء لا ركوع فيها ولا سجود في أوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود في أوقات من السنين في شهور محدودة ورسم لهم أعيادا وجعل على الزناة منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستبحن النكاح في وقت من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فللأمهات ويلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير وأحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه في تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا اسقفه سبعة الوان

الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فأمر باحضار المراة وجميع من أسرله احد فى تلك البلاد فاحضر فامر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعباس اهاهل أغاثها الحكم فقالت المراة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدو واغاث الملهوف فاغاثه الله واعز نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تر يا عباس انى اجبتها * على البعد أقتاد الخميس المظفرا

فادركت اوطارا وبردت غلة * ونفست مكروبا واغنيت معسرا

فقال عباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده * (ومما عيب به) انه قتل الفقيه ابا زكريا يحيى بن مطر الغسانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفيان ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدثنا يحيى بن مطر عن سفيان الثورى ان الطلح المنضود هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم * (وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهد منه اليه ثم لاخيه المغيرة بعده) فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وابعد واطال المغيب واثخن فى أمم النصرانية هنالك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين زرياب المغنى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلم ابراهيم الموصلى واسمه على بن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ماحكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولادا خلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته * وفى سنة ثمان أغزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا * وفى سنة أربع وعشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو ألبة والقلاع فساروا ولقى العدو فهزمهم وأكثر القتل والسبى ثم خرج لذريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل والسبى فى العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه أهل ألبة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال فى أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم * وفى سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة وانتهوا الى أرض برطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو فصبر حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود * وفى سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمدا بالعساكر وتقدم الى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها وهو من أكبر ملوك النصارى وفى أيامه ظهر المجوس ودخلوا اشبيلية فأرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ورحل المجوس الى شدونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشئ ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فأقلع المجوس الى لبلة وأغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم اشبونة ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن باصلاح

من الجوهر على انواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب واكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انموا وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر واكثر من ذلك على حسب ماقدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من ارضهم مغرب الشمس يقال لها مدو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت واهل المدسجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة واحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجىء الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات والبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل

ماخربوه من البلاد واكتنف حاميتها * (وفى سنة احدى وثلاثين بعث العساكر الى جليقية فدوّخوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وهرب أهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون مافيها وأحرقوه وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم فى العساكر الى بلاد برشلونة فعاث فى نواحيها وأجاز الدروب التى تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلا وأسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث فى نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية من وراءهم توفلس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته ويرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من أجل ماضيق به المأمون والمعتصم حتى انه ذكرهما له فى كتابه وعبر عنهما بابنى مراجل وماردة فكافأه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فأحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند مناغيه من بنى العباس ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر ثم توفى عبد الرحمن الاوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة فى شعبان سنة ست وسبعين ومائة وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدوء وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لقصره مصنعا اتخذه الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت فى أيامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة رواقين ومات قبل أن يستتمه فأتمه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة * وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من الاناث ونقش خاتمه عابد الرحمن بقضاء الله راض * وفى ذلك قيل

خاتم للملك أضحى * حكمه فى الناس ماضى
عابد الرحمن فيه * بقضاء الله راضى

وهو أول من أحدث هذا النقش وبقى وراثة لمن بعده من ولده (قال ابن سعيد) وفى أيامه انتهى مال الجباية الى ألف ألف دينار فى السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة ألف وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ما يخالف هذا فليراجع والله أعلم ومن توقيعاته من لم يعرف وجه مطلبه فالحرمان أولى به ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض أوجه لاوامر * فيقوده التوفيق نحو صوابها
والشيخ ان يحو النهى بتجارب * فشباب رأى القوم عند شبابها

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى

بنيت لله خير بيت * يخرس عن وصفه الانام
حج اليه بكل أوب * كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما * حف به الركن والمقام

وقال آخر

منهم ومن لا علم له يشرك الاصنام بالاهية الخالق ويعتقدهما جميعا وان عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارى لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغرغز على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال

بنى مسجد الله لم يك مثله * ولا مثله لله فى الارض مسجد
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى * بناه نبى المسلمين محمد
له عمد حمر وخضر كأنما * تلوح يواقيت بها وزبرجد
ألا يا أمين الله لازلت سالما * ولازلت فى كل الامور تسدد
فياليتنا نفديك من كل حادث * وأنك للدنيا وللدين تخلد

وكان كثير الميل للنساء وولع بجاريته طروب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها الباب بيدرا المال حين تجنت عليه وأعطاها حليا قيمته مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا واكرم جوهرا وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لى شمس النهار * رطالعة ذكرتنى طروبا
انا ابن الميامين من غالب * أشب حروبا واطفى حروبا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبته فكتب اليها

عدانى عنك مزار العدا * وقودى اليهم سهاما مصيبا
فكم قد تخطيت من سبسب * ولاقيت بعد دروب دروبا
ألاقى بوجهى سموم الهجير * اذ كاد منه الحصى أن يذوبا
تدارك بى الله دين الهدى * فأحييته وأمت الصليبا
وسرت الى الشرك فى جحفل * ملأت الحزون به والسهوبا

(وساق) بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور أغضبها فهجرته وصدت عنه وأبت أن تأتيه ولزمت مقصورتها فاشتد والهه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك فأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول اليه فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلت أن لا تخرج اليهم طائعة ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه وأعلموه بقولها واستأذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سد به الباب فأجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فاكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا يرد شيأ مما تبرمه * واحب اخرى اسمها مدثرة فاعتقها وتزوجها واخرى كذلك اسمها الشفاء وأما جاريته قلم فكانت أديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسماع مؤثرا له على جميع لذاته وله اخبار كثيرة رحمه الله (ولما مات ولى مكانه ابنه محمد) فبعث لاول ولايته عسكرا مع موسى بن موسى صاحب طليطلة فعاث فى نواحى ألبة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عسكرا أخرى الى نواحى برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا * ولما استمد أهل طليطلة المخالفون من أهل بلاد الامير محمد عليه بملكى جليقية والبشكنس لقيهم الامير محمد على وادى سليطة وقد أكمن لهم فأوقع بهم وبلغت عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين

والبله والمجانين وان البارى جل وعز عن ايلامهم وارسم ان ... فى سير
الفاضل فى فعله وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ابرخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافى المذهب كان الامر بينهم بتنافى الملل مشاعا وملوك الصين ذوو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة او من ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير او من حمير فلا يتزوج فى كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه اصح للبقاء واتم للعمر
واسباب يذكرونها نحو ما ذكرنا فلم تزل امور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة اربع

عشرين ألفا * (وفي سنة خمس وأربعين) ظهرت مراكب المجوس وعاثوا في الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين * (وفي سنة سبع وأربعين) أغزى محمد الى نواحي بنبلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن ونقة وكان يظاهر اردن بن أدفنش فعاث في نواحي بنبلونة ورجع وقد دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقي أسيرا بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة احدى وخمسين أخاه المنذر في العساكر الى نواحي ألبة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم واثخن المسلمون في المشركين بالقتل والاسر بما كان فتحا لا كفاء له * ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد جلالقة فأثخن وخرب * وفي سنة ثلاث وستين اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفي السنة التي بعدها الى بلاد بنبلونة فدوخها ورجع * وفي سنة ثمان وستين أغزاه أيضا الى دار الحرب فعاث في نواحيها وفتح حصونا * وفي أيام الامير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبق لها أثر * وذكر بعضهم انه رأى بالمشرق هذه الابيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

ويل لماردة التي مردت * وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لهم بها زهر * خلت من الزهرات كالقفر
فالويل ثم الويح حين غزا * بجميعهم من صاحب الامر

ثم توفي الامير محمد في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين لخمس وثلاثين سنة من امارته ومولده سنة سبع ومائتين * وولي بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته وأقام في الملك سنتين الا نصف شهر وتوفي منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وفيه قيل

بالمنذر بن محمد * صلحت بلاد الاندلس

ثم ولي أخوه عبد الله قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار ومائة ألف للجيوش ومائة ألف للنفقة في النوائب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووفر فأنفق الوفر حين اضطربت عليه نواحي الاندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين وقل الخراج انتهى

ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجة المشتاق ما أوجعك * ويا أسير الحب ما أخشعك
ويا رسول العين من لحظها * بالرد والتبليغ ما أسرعك
تذهب بالسر فتأتي به * في مجلس يخفى على من معك
كم حاجة أنجزت ابرازها * تبارك الرحمن ما أطوعك

وهذه الابيات عنوان فضله وبراعة استهلال نبله * وكان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة في بطاقة فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه في امر في ورقة فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي فكتب

انت يا نضر آبده * ليس ترجى لفائده
انما انت عندة * لكنيف ومائده

وتوفي الامير عبد الله سنة ثلثمائة ومدة تملكه نحو من خمس وعشرين سنة * (وولي حافده

وستين ومائتين فانه حدث في الملك امر زال ١٦٤ به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان بابغانبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه اهل الدعارة والشر فلحق الملك وارباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع اهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة خانفو وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم اكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة ايام او سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانفو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانفو

عنوة وقتل من اهلها خلق لا يحصون كثرة وأحصي من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق عبد

عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف) وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان واستقامت له الاندلس فى سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بنى أمية بتلك الناحية وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بأمير المؤمنين عندما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبد موالى الترك على بنى العباس وبلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين ومحص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الطوائف فى كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج مالم يطؤه قبل فى أيام سلفه ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن فى مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة ونقل الفرضة من أيدى اهلها سنة سبع عشرة وثلثمائة وأطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر وأجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخباره وبدأ امره اول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون وفيه يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدى * ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر * فانت للدهر عيد

واراد بأول الابيات انه ولى مستهل ربيع الاول كما علم * وما أشار اليه ابن خلدون فى غزوة الخندق فصله المسعودى فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة أمية بن اسحق على الناصر ودخوله أرض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما لخصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة دار الجلالقة وكان عبد الرحمن فى مائة الف ويزيدون وكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد ان حوصروا والجئوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين الفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان فى عسكر المسلمين من الاموال والعدة والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان امية استأمن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير وقبله عبد الرحمن أحسن قبول * وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة فكانت لهم بهم عدة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى

خوف السيف فكان مائتى ألف وانما أحصى ما ذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها فى دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذى يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصينى وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حمدان وهى دار الملك فتحصن بها فى مائتى ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وامعن الخارجى فى طلبه فانحاز الملك الى مدينة فى اطراف ارضه واستولى الخارجى على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات فى سائر العمارات وافتتح المدن وعلم أن لا قوام له بالملك اذ كان ليس من اهله فامعن فى خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب

ملك الصين من المدينة التي انحاز ٦٦ اليها المتاخمة لبلاد التبت وهي مدينة مذ المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده واعلمه مانزل به واعلمه مايلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن ٣ بياض بالاصل خاقان بولد له بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من اصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الاخص لملوك الصين والذي يخاطبون به جميعا (حجان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدوني لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك

هذه الغاية وورد مير ملك الجلالقة الى هذا الوقت) ٣ وهو سنة ٣٢٦ انتهى * وقال في موضع آخر ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة سمورة وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة وبين الاسوار فصلات وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثابوا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه ٣ وممن غرق أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودي *(رجع الى أخبار الناصر) فنقول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لايضر الصغير حداثة سن * انما الشان في سعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغنم * لم تنله بالركض كف مغير

هكذا ألفيت البيتين منسوبين اليه بخط بعض الاكابر ثم كتب باثره ما نصه الصحيح أنهما لغيره والله أعلم انتهى وكان الناصر رحمه الله قد استحجب موسى بن محمد بن حدير واستوزر عبد الملك بن جهور وأحمد بن عبد الملك بن شهيد وأهدى له ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين قال ابن خلدون وهي مما يدل على ضخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهي هدية عظيمة الشان اشتهر ذكرها الى الآن واتفق على انه لم يهادا احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا وأقروا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها من ضربة عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها فاستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار اندلسية وبلغ معروفه الى ألف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من تسمى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بني العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه في البيت وتقديم اسمه في دفتر الاورتزاق اول التسمية فعظم مقداره في الدولة جدا وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على مايغسر خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين وأربعمائة رطل من التبر ومصارفة خمسة وأربعون ألف دينار من سبائك الفضة في مائتي بدرة واقتصر ابن الفرضي على خمسمائة ألف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندي الذي يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المتخير ومائة رطل من العود الشبه المنتقى هكذا ذكره ابن خلدون وقال ابن الفرضي مستندا الى الكتاب الذي وجهه ابن شهيد مع الهدية ان العود العالي من ذلك أربعمائة رطل منها قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا * وقال ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه انتهى * وقال ابن الفرضي نقلا عن الكتاب المصحوب مع الهدية ان المسك مائتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الاشهب الباقي على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية منها قطعة عجيبة ململمة الشكل وزن

٣ قوله وهو سنة ٣٢٦ لعله سنة ٣٢٩ اذ تاريخ الوقعة الاولى كان سنة ٣٢٧ وليحرر اهـ مصححه

مائة

مائة أوقية هكذا في تاريخ ابن خلدون وفي ابن الفرضي ان الكل مائة أوقية وان هذه
القطعة أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقي الذكي ثلثمائة أوقية * قال ابن خلدون
ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان
والصنائع وعشرة افرية من عالي جلود الفنك الخراسانية * وخالفه ابن الفرضي اذ قال
ومن انواع الثياب ثلاثون شقة وخبيج خاصية للباسه بيضاء وملونة وخمس ظهائر شعيبية
خاصية له وعشر فراء من عالي الفنك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملونة وستة مطارف
عراقية خاصية له وثمان وأربعون ملحفة زهرية لكسوته ومائة ملحفة زهرية لرفاده ولم
يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضي أعرف لاسيما وقد استند الى كتاب المهدي
وصاحب البيت أدرى * قال ابن خلدن وعشرة قناطير شد فيها مائة جلد سمور وقاله ابن
الفرضي ايضا وزاد ابن خلدون وستة من السرادقات العراقية وثمانية وأربعون من
الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثم قالا معا وأربعة آلاف رطل من
الحرير المغزول وألف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون
شقة من الفربون لسروج الهبات وزاد ابن الفرضي في الحرير المذكور قيل انه قبضه منه
صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية وانما دفعه لصاحب الطراز وأثبته في الدفتر قالا
وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا وقال
ابن خلدون منتقاة مختلفة الالوان قالا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة
زاد ابن الفرضي الصناعات من جنس البسط قالا وخمسة عشر نوحا من عمل الخز المقطوع
شطرها قال ابن الفرضي وسائرها من جنس البسط قال ابن خلدون ومن السلاح
والعدة ثمانمائة من التجافيف المزينة أيام البروز والمواكب وقال ابن الفرضي مائة
تجفاف بأبدع الصناعات وأغربها وأكملها قالا وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم زاد
ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا من
الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضي ومن الخيل مائة
فرس منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس من عرض هذه الخيل
مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقي وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء
والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات
وقال ابن الفرضي وخمسة أبغل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال
الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية مجالس سروجها خز جعفري عراقي قال ومن
الرقيق اربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال
ابن خلدون في الجواري متخيرات بكسوتهن وزينتهن وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف
...ية تغل آلافا من امداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه في عام واحد ثمانون ألف
دينار وعشرون ألف عود من الخشب من أجل الخشب واصيله واقومه قيمتها خمسون الف
دينار انتهى وقال ابن الفرضي نقلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية عند ما ذكر
الرقيق ماصورته وكان قدارى ايده الله بابتياعهم من مال الاخماس فابتعتهم من نعمته عندي

ولم يتوجه منه المسير الى سائر اعماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال
اليه فتاركهم مسالمهم وعدا
كل فريق منهم على ما يليه
على حسب قوته وتمكنه
فعدم انتظام الملك واستقامته
على حسب ما سلف من
ملوكهم وقد كان لمن سلف
من ملوكهم سير وسياسات
للملك وانقياد للعدل على
حسب ما توجبه قضية
العقل (وحكى) ان رجلا من
التجار من أهل مدينة سمرقند
من بلاد خراسان خرج من
بلاده ومعه متاع كثير حتى
انتهى الى العراق فحمل
من جهازه وانحدر الى
البصرة وركب البحر حتى
أتى الى بلاد عمان وركب الى
بلاد كلة وهي النصف من
طريق الصين أو نحو ذلك
واليها تنتهي مراكب
الاسلام من السيرافيين
والعمانيين في هذا الوقت
فيجتمعون مع من يرد من
أرض الصين في مراكبهم
وقد كانوا في بدء الزمان
بخلاف ذلك وذلك ان
مراكب الصين كانت تأتي
بلاد عمان وسيراف من
ساحل فارس وساحل البحرين
والابلة والبصرة فلذلك كانت
المراكب تختلف في المواضع
التي ذكرنا الى ماهنالك ولما
عدم العدل وفسدت النيات
وكان من امر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا في هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة في مراكب

الصينيين الى مدينة خانقو وهي مرسى المراكب على حسب ما ذكرنا آنفا وبلغ ملك الهند من خبر المراكب وما فيها من الجهاز والامتعة فسرح خصيانا من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه وذلك ان أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم في الخراج وغيره من العمالات والمهمات وفيهم من يخصي ولده طالبا للرياسة واعتناد النعمة فسار الخصي حتى أتى مدينة خانقو فاحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له فسأل الخراساني ان يحضره اياه فاحضره وجرت بينهم محادثة ودار الامر بينهم في التثمين للمتاع فأمر الخصي بحبس الخراساني واكراهه وذلك انه راده ثقة منه بعدل الملك فمضى الخراساني من فوره حتى أتى الى مدينة انموا وهي دار الملك فوقف موقف المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع قد تقمص نوعا من الحرير الاحمر ووقف موضعا قد رسم للظلامة وقد رتب بعض الملوك ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ويقف ذلك الموقف فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كنت

وصيرتهم من بعض ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزد لاستحقاق فيه * وفي آخر الكتاب ولما علمت تطلع مولاي أيده الله تعالى الى قرية كذا بالقينانية المنقطعة الغرس شرفها وترداده أيده الله تعالى لذكرها لم اهنأ بعيش حتى اعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها واكتتبت وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت في قرية شيرة من نظر جيان عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه اليها فما زلت اتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية وصار في يده له ابقاه الله سبحانه وارجو انه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله تعالى ولما علمت نافذ عزمه ابقاه الله تعالى في البنيان وكلفه به وفكرت في عدد الاماكن التي تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره في بنيانها مد الله تعالى في عمره وأوفى بها على اقصى أمله علمت ان اسه وقوامه الصخر والاستكثار منه فأثار لي همتي ونصيحتي حكمة حيلة احكمها سعدك وجدك اللذان يعثان ما لا يتوهم عليه حيلة اقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاما وينتهي تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين الفا أعجل شانه في عام سوى التوفير العظيم الذي يسد به العيان قبل ان شاء الله تعالى وكذلك ما ثاب الي في أمر الخشب لهذه المنية المكرمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج اليه ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود على انه لا يدخل منه في السنة الا نحو الالفي عود فصح لي سعدك رأيا اقيم له بتمامه جميع هذا الخشب في العام على كماله بورود الجلبة لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا والستين ألفا انتهى * ومن غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور انه أراد الفصد فقعد بالبهو في المجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو اذ أطل زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقا * بأمير المؤمنينا
انما تفصد عرقا * فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبرى مرجانة ام ولده ولي عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ثلاثين ألف دينار * وذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك الوزير أهدى له غلاما من النصارى لم تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد أنى لك هذا فقال هو من عند الله فقال له الناصر تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل في هدية بعثها مع الغلام وقال يا بني كن مع جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه بهذه الابيات

أمولاي هذا البدر سار لأفقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أر قبلي من بمهجته يرضى

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده منزلته ثم انه بعد ذلك اهديت اليه

اليه جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينتهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة العلام فاحتفل فى هدية اعظم من الاولى وبعثها معها وكتب له

أمولاى هذى الشمس والبدر اولا * تقدم كيما يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة قد أتى * فدم منهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث * ومالك فى ملك البرية ثانى

فتضاعفت مكانته عنده ثم ان احد الوشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشى لا تحرك به لسانك والا طار راسك وأعمل الناصر حيلة فى أن كتب على لسان العلام رقعة منها يا مولاى تعلم انك كنت لى على انفرادى ولم أزل معك فى نعيم وانى وان كنت عند الخليفة مشاركك فى المنزلة محاذر ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه وبعثها مع علام صغير السن وأوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان فى نفسه من العلام وما تكلم به فى مجالس المدام فكتب على ظهر الرقعة ولم يرد جوابا

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدى سقوط الطير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب قلبه * ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك فقال لان عقلى بالهوى غير مشترك فأنعم عليه وزادت محبته عنده وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور فى منازل السرور * واخبار الناصر طويلة جدا وقد مع الظفر على الثوار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفاله الوقت وكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء فمن غزواته انه غزا سنة ثمان وثلثمائه الى جليقية وملكها اردون بن ادفونش فاستنجد بالبشكنس والافرنجة وظاهرشانجة بن غرسية صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثنتى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وأفسد العمائر وجال فيها وتوغل فى فاصيتها والعدو يحاذيه فى الجبال والاوعار ولم يظفر منه بشئ ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه وكان استمد بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى أهل ألبة وفتح ثلاثين من حصونهم وبلغه ان تاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها فى بنبلونة ودوخ أرضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقية فانهزم وأصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردد البعوث والطوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطاعت له ملوك البربر وانتشر ذكره كما سبق ولما هلك شانجة بن غرسية ملك البشكنس قام بأمرهم بعده أمه طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحى بنبلونة وردد عليها عساكر الغزوات وكان قبل ذلك

صادقا فيما تخبر والا فانا نقتلك ونردك قتيلا من حيث جئت وكان هذا حضانه لمن تظلم فان رآه قد جزع وشرع فى القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ما هو عليه حمل الى حضرة الملك واوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراسانى فى المطالبة والظلامة ورآه شديدا غير ضرع ولا لجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان ادى الترجمان اليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع واحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فامرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة فى كل ناحية فكتبوا الى اصحابهم يخاطبونهم أن يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها فى سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مسرجة محذوة الا لات للاخبار والحرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه

سنة ثنتين وعشرين غزا الى خشتمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها
غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألبة و بسائطها فدوخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية
وملكها يومئذ ردمير بن أردون فخام عن لقائه ودخل خشتمة فنازله الناصر فيها وهدم
برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق
السابقة وهابته أمم النصرانية ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية
وهديته وهو يومئذ قسططين واحتفل الناصر لقدومهم في يوم مشهود قال ابن خلدون
وركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة وزين القصر الخلافي بانواع الزينة
واصناف الستور وجمل السرير الخلافي بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة
ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم
وأمر يومئذ الاعلام ان يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا من أمر الاسلام والخلافة ويشكروا
نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا
وشرعوا في القول فارتج عليهم وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق كان في جملة
الحكم ولي العهد وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من
غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد بشيء من ذلك فخطب واستحضر وجلى في ذلك القصد
وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه
أكثر من كل ما وقع وأعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات العالم وأخباره
مشهورة وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان وغيره ثم انصرف هؤلاء
الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع
بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك
الصقالبة وهو يومئذ دوقوة ورسول آخر من ملك الالمان ورسول آخر من ملك الافرنجة
وراء البرت وهو يومئذ اوفة ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة
واحتفل الناصر لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعا الاسقف الى ملكهم دوقوة
ورجع بعد سنتين * (وفي سنة أربع وأربعين) جاء رسول أردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث
في سنة خمس وأربعين يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك وأدخل
في عهده وكان غرسية بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة ثم انتقض
عليه أهل جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال الى اردون بن ردمير
وكان غرسية بن شانجة حافد الطوطة ملكة البشكنس فامتعضت لحافدها غرسية ووفدت
على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير الملك
واعانة حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء الملكان معها فاحتفل
الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجة وامه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فرد
عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة أردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب
الى الامم في النواحي بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكثه ووثوبه ويعيره
بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى أن هلك ولما وصل رسول كلدة ملك

سلبه ما كان انعم به عليه ثم قال نعمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك
واجتاز ملوكا في بر وبحر فلم
يتعرض لها يؤمل الوصول
الى مملكتي ثقة منه بعدلي
ففعلت به ما فعلت وكان
ينصرف عن ملكي ويقبح
الاحدوثة عن سيرتي أما
لولا تقديم حرمتك بنا لقتلتك
لكن أعاقبك بعقوبة ان
عقلت فانها اكبر من القتل
وهو ان اوليك مقابر الموتى
من الملوك السالفة أن عجزت
عن تدبير الاحياء والقيام
بما اليه ندبت واحسن الى
التاجر وحمله الى خانقو
وقال له ان سمحت نفسك
ان تبيع منا ما اختير من
متاعك بالثمن الجزيل والا
فانت المحكم في مالك اقم
اذا شئت وبع كيف شئت
وانصرف راشدا حيث
شئت وصرف الخادم الى
مقابر الملوك (قال المسعودي)
ومن طرائف اخبار ملوك
الصين ان رجلا من قريش
من ولد هبار بن الاسود لما
كان من امر صاحب الزنج
بالبصرة ما كان واشتهر
خرج هذا الرجل الى مدينة
سيراف وكان من ارباب
البصيرة وارباب النعم بها
وذوي الاحوال الحسنة ثم
ركب منها في بعض مراكب
بلاد الهند ولم يزل من مركب
الى مركب ومن بلد الى بلد
يخترق ممالك الهند الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته

الافرنجة بالشرف كما تقدم ووصل معه رسول ملك برشلونة وطركونة راغبا فى الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولنفصل بعض ما أجمله فنقول ذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك الناصر بالاندلس كان فى غاية الفخامة ورفعة الشان وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب فى موادعته وكان وصول ارساله فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وتقدم فى كلام ابن خلدون انها ست وثلاثون فالله أعلم أيهما أصح وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه وأحسن قبول وأكرمه وأخرج الى لقائهم بجاية يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج الى لقائهم القواد فى العدد والعدة والتعبية فتلقوهم قائدا بعد قائد وكمل اختصاصهم بعد ذلك بأن اخرج اليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا وتماما بلاغا فى الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسط الناصر واكرامه لان الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة لانهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطانى وأنزلوا بمنية ولى العهد الحكم المنسوبة الى نصير بعدوة قرطبة فى الربض ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرا ورتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالى ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلا لاربع دول لكل دولة أربعة منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة المذكورة فى بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه ولى العهد من بنيه الحكم ثم عبد الله ثم عبد العزيز ثم الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتخلف عبد الملك لانه كان عليلا لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بسط صحن الدار اجمع بعتاق البسط وكرائم الدرانك وظللت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو فى رق مصبوغ لونا سماويا مكتوب بالذهب بالخط الاغريقى وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضا مكتوبة بفضة بخط اغريقى أيضا فيها وصف هديته التى ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه قسطنطين ورومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفى سطر آخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف

الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهى من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من أهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة عما يحتاج اليه من جميع أموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه واذن له فى الوصول اليه ووصله بمال واسع واعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبر أنه لما وصل اليه ورأى ماهو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على اجل الممالك وأنفسها واوسعها ريعا وأكثرها أموالا واعقلها رجالا واهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالى بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذى يملك العراق لانه فى وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك أسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك

الدسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته وتقدم الى الامير الحكم ابنه وولي عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه أمام نشيد الشعراء فأمر الحكم صنيعه الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني بالتأهب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره وحضر المجلس السلطاني فلما قام يحاول التكلم بهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يهتد الى لفظة بل غشي عليه وسقط الى الارض فقيل لابي علي البغدادي اسمعيل بن القاسم القالي صاحب الامالي والنوادر وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة قم فارقع هذا الوهي فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولا والمعد لذلك ونحوه في المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالي فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به الى ذكر ما أريد منه وقال في المطمح ان أبا علي القالي انقطع وبهت وما وصل الا قطع ووقف ساكتا متفكرا لا ناسيا ولا متذكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبي علي لاول خطبته بكلام عجيب ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب يسحه سحا كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة وبدأ من المكان الذي انتهى اليه أبو علي البغدادي فقال أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال واني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فاصغوا الى معشر الملا بأسماعكم وأتقنوا عني بأفئدتكم ان من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت وان الجليل تعالى في سمائه وتقدس بصفاته واسمائه أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة واني أذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم وأمنت سربكم ورفعت قوتكم بعد أن كنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاه الله رعايتكم وأسند اليه امامتكم ايام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء أنشدكم بالله معاشر الملا ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فأمنها والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ألم تكن البلاد خرابا فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان باسكم بينكم فانشدكم الله ألم تكن خلافته

السباع وهو ملك الترك الذي بابنا وهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لانه اصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان اره صاحبه فرأيت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألني فقلت أصلي على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان خبركم صحيحا وعن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم

فقل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ألم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها ولم يكل ذلك الى القواد والاجناد حتى باشره بالقوة والمهجة والاولاد واعتزل النسوان وهجر الاوطان ورفض الدعة وهى محبوبة وترك الركون الى الراحة وهى مطلوبة بطوية صحيحة وعزيمة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثاقبة وريح هابة غالبة ونصرة من الله واقعة واجبة وسلطان قاهر وجند ظاهر وسيف منصور تحت عدل مشهور متحملا للنصب مستقلا لما ناله فى جانب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها غارب الاجبه ولا لاهلها قرن الاجذه فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلم أمير المؤمنين لشعثكم على اعدائه أعوانا حتى تواترت لديكم الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليه واليكم يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولن يخلف الله وعده ولهذا الامر ما بعده وتلك أسباب ظاهرة بادية تدل على امور باطنة خافية دليلها قائم وجفنها غير نائم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل نبا مستقر ولكل أجل كتاب فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه واسألوه المزيد من نعمائه فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد وألهمه خالص التوفيق الى سبيل الرشاد أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا وأعزهم قرارا وأمنعهم دارا وأكثفهم جمعا وأجملهم صنعا لاتهاجون ولاتذادون وأنتم بحمد الله على اعدائكم ظاهرون فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فان من نزع يدا من الطاعة وسعى فى تفريق الجماعة ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم أن فى التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الاموال وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء وأن بقوام الطاعة تقام الحدود وتوفى العهود وبها وصلت الارحام ووضحت الاحكام وبها سد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الاكناف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار واطمأنت بكم الدار فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية وقد علمتم ما أحاط بكم فى جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين فى شق عصاكم وتفريق ملاكم الآخذين فى مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين أقول قولى هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين مستغفرا الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين * وساق ابن سعيد فى المغرب هذه الحكاية فقال ما صورته منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة خطيب مقتدر وله كتب مؤلفة فى القرآن والسنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع شاعر بليغ ولد سنة خمس وستين ومائتين واول سببه فى التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول

لا يعرف ماذكرتم ولا تقل البناء الا فناء او صفتم وماذكرت من ركوب الماء الارض فهاون الكواثل العظام التى تفزع النفوس الى حفظه وتداوله الامم ما قاله قال القرشى فبهت الرجل له واقامة الحجة العلمى بعد ذلك ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على ذلك البلد الذى كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهرا شيأ يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء مما قد فسرت على ذكر بعضه ويزعم هذا القرشى وهو المعروف بابن وهب انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد زيد فيها ذكر انسابهم ومواضع بلدانهم ومقادير اعمارهم واسباب نبواتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به فى ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفى اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه اجل الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه ورأيت صور انبياء كثيرة منهم من قد اشار بيده جامعا بين

رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ووصف ماتهيأ له من توطيد الخلافة ورمي ملوك الامم بسهام بأسه ونجدته وتقدم الى الامير الحكم ابنه وولي عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه أمام انشاد الشعراء فتقدم الحكم الى ابي علي البغدادي ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فما وصل ولا قطع ووقف ساكتا مفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجة من مرقاة أبي علي ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة ثم ذكر الخطبة كما سبق وقال بعد ايرادها ما صورته فصلب العلج وغلب على قلبه وقال هذا كبير القوم أو كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر اشدهم تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال والله لقد احسن ماشاء ولئن اخرني الله بعد لارفعن من ذكره فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكرني بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة واقره على الصلاة بالزهراء ✽ ومن شعره في هذه الواقعة قوله

مقالي كحد السيف وسط المحافل ✽ فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتمي جمراته ✽ كبارق رعد عند رعش الانامل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي ✽ ولا طاش عقلي يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولي عيون احالها ✽ كمثل سهام اثبتت في المقاتل
لخير امام كان او هو كائن ✽ لمقتبل اوفي العصور الاوائل
ترى الناس افواجا يؤمون بابه ✽ وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه ✽ مخافة باس او رجاء لنائل
فعش سالما اقصى حياة مؤملا ✽ فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب ✽ الى درب قسطنطين او ارض بابل

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون ان المأمور بالخطبة هو القالي وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ماشاء فلئن كان حبر خطبته هذه واعدها مخافة ان يدور ما دار فيتلافى الوهي فانه لبديع من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لاعجب واغرب قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

هذا المقام الذي ما عابه فند ✽ لكن قائله ازرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا ✽ لكنني منهم فاغتالني النكد

و يروى بدل هذا الشطر ✽ ولا دهاني لهم بغي ولا حسد ✽

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها ✽ ما كنت أرضى بارض ما بها أحد

انتهى قلت كأنه عرض بابي علي القالي وتقديمهم اياه في هذا المقام والله أعلم ومن

سبابته وابهامه كالحلقة كأنه يعرف ان الخليقة في مقدار الحلقة ومنهم من قد اشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلمها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره ايضا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فزللت فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحديد أما زعمت انكم تختلفون في ذلك فانكم انما اختلفتم في قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عني لطول المدة ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ومنسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك أيها الملك لما بلغني من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فأحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع عنها الى بلادي وملك ابن عمي و مخبر بما شاهدت من جلالة هذا نظم

نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوض وكلنا نرد ✻ لم ينج مما يخافه أحد
فلا تكن مغرما برزق غد ✻ فلست تدرى بما يجىء غد
وخذ من الدهر ما أتاك به ✻ ويسلم الروح منك والجسد
والخير والشر لا تذعه فما ✻ فى الناس الا التشنيع والحسد

وله وقد آذاه شخص يخاطبه بالكنية فقيل له ايؤذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا من أنى كنيته ✻ من بعد ما قد سبنا وأذانا
فالله قد كنى أبا لهب وما ✻ كناه الا خزية وهوانا

وقال فى المطمح منذر بن سعيد البلوطى آية حركة وسكون وبركة لم تكن معدة ولا تكون وآية سفاهة فى تحلم وجهامة وورع فى طى تبسم اذا جد وجد واذا هزل نزل وفى كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرقب ولا اكتسب اثما ولا احتقب ولى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر ومن جور قبض ومن حق رفع ومن باطل خفض وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله فى استخراج حق ورفع ظلم واستمر فى القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فأقره وفى خلافته استعفى مرارا فما أعفى وتوفى بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه فى حكومته زلة وكان غزير العلم كثير الادب متكلما بالحق متدينا بالصدق له كتب مؤلفة فى السنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفى سنة ٣٥٥ ومن شعره فى الزهد قوله

كم تصابى وقد علاك المشيب ✻ وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير ✻ أن سيأتى الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل ✻ بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها ✻ لا يداوى اذا أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهينا ✻ ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم ✻ فاعملن جاهدا لها يا اريب
وتذكر يوما تحاسب فيه ✻ ان من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا ✻ للمنايا بها عليك رقيب

ولعلنا نذكر شيأ من أحوال منذر فى غير هذا الموضع (رجع لاخبار الناصر لدين الله) حكى أنه لما عذر لاولاد ابنه أبى مروان عبد الله اتخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن ينذر لشهوده الفقهاء المشاور ون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتقدم من بينهم المشاور أبو ابراهيم وافتقد مكانه لارتفاع منزلته فسال فى ذلك الخليفة الناصر اذ أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على أبى ابراهيم وأمر ابنه ولى العهد الحكم بالكتاب اليه

الملك وسعة هذه البلاد وشيمك أيها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن واثنى بكل جميل فسره ذلك وامر لى بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملى على البريد الى مدينة خانفو وكتب الى ملكها باكرامى وقدومى على من فى ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجى عنه فكنت فى اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين (قال المسعودى) واخبرنى ابو زيد الحسن ابن يزيد السيرافى بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك فى سنة ثلاث وثلثمائه وابو زيد هذا هو ابن عم بن زيد بن محمد بن مرد بن ساسياد السيرافى وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز انه سأل ابن وهبان القرشى عن مدينة حمدان التى بها الملك ووصفها وكبر سعتها وكثرة اهلها وانها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه فى الشق الايمن منه مما يلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامه وليس فيه شئ من الاسواق بل انهار فى سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفى الشق الايسر مما يلى المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رايت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان

وا ... ليه الحكم رقعة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولاك وسددك ورعاك ... أمير المؤمنين مولاى وسيدى أبقاه الله الاولياء الذين يستعذبهم وجدك ... في الولاية من أحوالى الصلة على انه قد أدرك أبقاه الله خصوص المشاركة فى السرور الذى كان عنده لا أعدمه الله توالى المسرة ثم امتدت من قبل ابلاغا فى التكرمة فكان منك على ذلك ... من التخلف ما نافت عليك فيه المعذرة واستبلاغ أمير المؤمنين فى انكاره وما تبسك عليه فأعيت عليك عنك الحجة وعرفنى أكرمك الله ما العذر الذى أوجب توقفك عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور الذى سره وبرغب المشاركة فيه لنعرفه أبقاه الله بذلك ... ان شاء الله تعالى فأجابه أبو ابراهيم سلام على الامير سيدى ورحمة الله ... أبقى الله الامير سيدى هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفى لنفسى انما كان لامير المؤمنين سيدنا ما أبقى الله سلطانه لعلمى بمذهبه وسكونى الى تقواه واقتفائه لاثر سلفه الطيب ... رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض منها او يطرق الى تنقيصها يستعدون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن بعد عليهم من اعدائهم ولهذا تخلفت ولعلمى بمذهبه توقفت ان شاء الله تعالى فلما أقرأ الحكم اياه الناصر لدين الله جواب أبى ابراهيم اسحق أعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه وكان الفقيه أبو ابراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم وحق لهما ان يعظماه وقد حكى الفقيه ابو القاسم بن مفرج قال كنت اختلف الى الفقيه أبى ابراهيم رحمه الله تعالى فيمن يختلف اليه للفقه والرواية فانى لعنده فى بعض الايام فى مجلسه بالمسجد المنسوب لابى عثمان الذى كان يصلى به قرب داره بحوز قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك بين الصلاتين اذ دخل عليه خصى من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلم وقال له يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك وقد أمرت بأعجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لامير المؤمنين ولا عجلة فارجع اليه وعرفه وفقه الله عنى انك وجدتنى فى بيت من بيوت الله تعالى معى طلاب العلم أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عنى وليس يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم فى رضا الله وطاعته فذلك أوكد من مسيرى اليه الساعة فاذا انقضى أمر من اجتمع الى من هؤلاء المحتسبين فى ذات الله الساعين لمرضاته مشيت اليه ان شاء الله تعالى ثم أقبل على شأنه ومضى الخصى بهم منتقد احجامى توقعه فلم يك الا ريثما أدى جوابه وانصرف سريعا كن الطيش فقال له يا فقيه أنهيت قولك على نصه الى أمير المؤمنين أبقاه الله فأصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين وأمتعهم بك واذا أنت أوعبت فامض اليه راشدا ان شاء الله تعالى وقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقضى شغلك وتمضى معى فقال له حسن جميل ولكنى أضعف عن المشى الى باب السدة وصعب على ركوب دابة لشيخوختى وضعف أعضائى وباب الصناعة الذى يقرب الى من أبواب القصر المكرم أحوط لى وأقرب وأرفق بى فان رأى أمير المؤمنين أيده الله تعالى أن يأمر بفتحه لادخل اليه منه هون على المشى وودع جسمى وأحب أن تعود وتنهى اليه

ورواية ... السوق الذى فيه العامة والتجار فأخذوا بضائعهم وحوائجهم ثم انصرفوا اليه ... وواحدهم لى هذا السوق الآتى اليوم الثانى وان هذه ... نزهة ... مطرده لا الدخل ... معدوم ... واهل الصنع ... له ... وكل عمل لا ... احد من سائر الامم وان جعل ... صح ... غيره ... باب الملك ... على لطيف ... الملك ... ذلك الى ... احد فيه ... وادخله فى جمعه ... ولم يجره وان رجلا منهم سورس ... عصفور فى ثوب ... ينتبه الناظر الا ... عصفورة فى الثوب مدة وانه احتال به احد ... العمل فادخل الى الملك وأحضر صاحب العمل وسأل الاحدب ... المعارف ... انه لا يقع عصفور على سنبلة الا أماله ... هذا ... فأغلقت لاميل ... منتصبا فاخطأ وصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ

ذلك

ذلك عني حتى تعرف رأيه فيه وكذلك تعود الى فاني أراك في شديدا فكن على الخير
معينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه قد أجابك أمير المؤمنين الى ما سألت
وأمر بتهيء باب الصناعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت اليك وأمرني بملازمتك مذكرا بالنهوض
عند فراغك وقال افعل راشدا وجلس الخصي جانبا حتى أكمل أبو ابراهيم مجلسه بأكمل
وأفسح ما جرت به عادته غير منزعج ولا قلق فلما انفض صناعة قام الى داره فاصلح من شأنه ثم
مضى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك
الباب فأعيد اغلاقه على اثر خروجه قال مفرج ولقد تعمدنا في تلك العشية اثر قيامنا عن
الشيخ ابي ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود اغلاقه بدبر القصر الذي تجشم الخليفة له
فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصي وقد حفته الخدم والاعوان منزعجين ما بين كناس وفراش
متأهبين لانتظار أبي ابراهيم فاشتد عجبنا لذلك وطال حديثنا عنه انتهى فهكذا تكون
العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء قدس الله تلك الارواح * ثم توفي الناصر لدين الله ثاني
او ثالث شهر رمضان من عام خمسين وثلاثمائة اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الاسلام بملكه
(قال ابن خلدون) خلف الناصر في بيوت الاموال خمسة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات
انتهى وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت
جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف
دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم
العظيمة فلا يحصيها ديوان وحكى انه وجد بخط الناصر رحمه الله أيام السرور التي صفت له
دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدت تلك الايام فكانت
أربعة عشر يوما فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الاحوال
لاوليائها هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والسعود
ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف له الا اربعة عشر يوما فسبحان
ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا هو ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه
الحكم قوله

ما كل شيء فقدت الا * عوضني الله منه شيئا
اني اذا ما منعت خيري * تباعد الخير من يديا
من كان لي نعمة عليه * فانها نعمة عليا

وممن ازدان الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد قال في المطمح أحمد بن
عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة وزين تلك الخلافة وصاحب الناصر عبد الرحمن
وحامل الوزارتين على سموها في ذلك الزمان استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف
شاء على حذر نظرها والتفات مقلها فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة النظراء وكانت
امارة عبد الرحمن اسعد امارة بعدتها كل نفس بالسوء أمارة فلم يطرقها صرف ولم يرمقها
محذور بطرف فقرع الناس فيها هضاب الاماني ورباها ورعت ظباؤها في ظلال ظباها
وهو اسد على براثنه رابض وبطل ابدا على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس

واحد منهم بيده ولاهل
الصين أخبار عظيمة عجيبة
ولبلادهم اخبار ظريفة
سنوردها فيما يرد من هذا
الكتاب جملا وان كنا قد
أتينا على سائر الاخبار من
ذلك في كتابينا اخبار
الزمان في الامم الماضية
والممالك الداثرة وذكرنا
في الكتاب الاوسط جملا
لم نتعرض لذكرها في كتاب
أخبار الزمان وذكرنا في
هذا الكتاب ما لم يتقدم
ذكره في ذينك الكتابين
والله اعلم

*(ذكر جمل من الاخبار عن
البحار وما فيها وما حولها من
العجائب والامم ومراتب
الملوك واخبار الاندلس
وغير ذلك ومعادن الطيب
وأصوله وعدد أنواعه):

قد ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب جملا من ترتيب
البحار المتصلة والمنفصلة
فلنذكر الآن في هذا
الباب جملا من اخبار
ما اتصل بما من البحر
الحبشي والممالك والملوك
وجملا من ترتيبها وغير ذلك
من انواع العجائب فنقول
ان بحر الصين والهند
وفارس واليمن متصلة
مياهها غير منفصلة على
ما ذكرنا الا أن هيجانها
وركودها يختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب

خلال تلك الديار حيه ويروى بل يحسم كل آونة سيفه وابن شهيد ينتج الآراء ويلقحها ويعدد تلك الانحاء ويصححها والدولة مشتملة بغنائه متجملة بثنائه وكرمه منتشر على الآمال ريكسو الاولياء بذلك الاجمال وكان له ادب تزهر لجه وتبهر حججه وشعره رقيق لا ينتقد ويكاد من اللطافة يعتقد فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعا فكأنما * يجول وشاحاها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى * ومفعمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاء لم يرحلن فوق رواحل * ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
ولا أبرزتهن المدام لنشوة * وشدو كما شدو القيان على الشرب

وكان بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولى الامر معه ومشاركه فى التدبير اذا حضر مجتمعه منافسة لم تنفصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة وكلاهما يتربص بصاحبه دائرة السوء ويغص فيه غصص الافق بالنوء فاجتاز يوما الى ربضه ومال الى زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تأخر خروج الاذن اليه فثنى عنانه حنقا من حجابه وضجرا من احتجابه وكتب اليه معرضا وكان يلقب بالحمار

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * فكيف تلاقى برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور يعرض منه بما كان يشيع عنه بان جده أبا هشام كان بيطارا بالشام بقوله

حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو فى ثياب صديق
وما كان بيطار الشآم بموضع * يباشر فيه برنا بحليق

ومن شعره دون يتغزل

حلفت بمن رمى فأصاب قلبى * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبى * ولست أشك أن النفس تودى
فقيد وهو موجود بقلبى * فوا عجبا لموجود فقيد انتهى

وقد تقدم الكلام على هدية ابن شهيد وبعض أخباره رحمة الله عليه ولما توفى الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولى عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يفقد من ترتيبه الا شخصه وولى حجابته جعفر الصقلبى وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ذكره ابن حيان فى المقتبس وهى مائة مملوك من الافرنج ناشبة على خيول صافنة كاملو الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندية وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خودة كذلك ومائة بيضة هندية وخمسون هندية حشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطشطانه وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهبة وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس انتهى * قال ابن خلدون ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه وافتتح بلد فرذلند بن غندشلب فنازل شنت اشتبين وفتحها عنوة واستباحها ونفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقية

وسار

عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه وقد يبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفى ولا يزال فى كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فأشد ما يكون ذلك فى آخر الخريف عند كون الشمس فى القوس ثم يلين الى أن تعود الشمس الى السنبلة وآخر ما يكون ذلك فى آخر الربيع عند كون الشمس فى الجوزاء وبحر الهند لا يزال كذلك الى أن تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ ما يكون عند كون الشمس فى القوس وبحر فارس يركب فى سائر السنة من عمان الى سيراف وهو ستون ومائة فرسخ ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ولا يتجاوز فى ركوبه غير ما ذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يصح من عمان بحر الهند فى انتهائه الا مركب معز ورجوع أهله يسيرة سيما

وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب بجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباح معهم وأوطأ العساكر بلد فردلند ودوّخها وكان شانجة بن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فاغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها وقفل ثم أغزى الحكم أحمد بن يعلى ويحيي بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة وعاثت العساكر في نواحيها وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد ألبة فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقوّاد الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتح قلهرية من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبية على يد قائد وشقة وغنم فيه من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى (وفي سنة أربع وخمسين) سار غالب الى بلد ألبة ومعه يحيي بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فافتتح حصن غرماج ودوّخ بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا بسائط اشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم وأخرج الحكم القوّاد لاحتراس السواحل وأمر قائد البحر عبد الرحمن رماحس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وفادة اردون بن أدفونش ملك الجلالقة وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو الملك من قبل اردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوّه وخلع عليه وكتب بوصوله ملتجيا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس واعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات والحملات له ولاصحابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير ببيعته وطاعته مع وامد من أهل جليقية وسمورة واساقفتهم يرغب في قبول وبيعته كما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين ثم بعث ملكا برشلونة وطركونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشرة أدرع صقلبية ومائتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على ان يهدموا الحصون التي تضر بالثغور وان لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد أن كان توقف وأظهر المكر فعقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا ثم وفدت على الحكم أم لذريق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية وهو القومس الاكبر فأخرج الحكم لتلقيها أهل دولته واحتفل لقدومها في يوم مشهود مشهور فوصلت وأسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودفع لها مالا تقسمه بين وفدها دون ما وصلت به هي

المراكب التي بعمان فانها اذا قطعت الى ارض الهند تحتاج الى النباهة بذلك ببلاد الهند في هذا الوقت الذي تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى اقاصي هذا البحر ومن شتى في صيفنا بأرض الهند قيل فلان شتى في أرض الهند أي شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس انما يكون في أول نيسان الى آخر أيلول وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص في هذا البحر اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وقطن وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكونه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى أن ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحار والمعروف بالبلبل واللحم في الصدف والشحم وهو حيوان يفزع على ما فيه من اللؤلؤ والدر خوف العاصفة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر

وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم الى داع تعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت ثم اوطأ عساكره أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها فى اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بنى الخزر وبنى أبى العافية وأجزل صلاتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بنى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف وأجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية * وكان محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب فى انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال أبو محمد بن حزم اخبرنى تليد الخصى وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى مروان ان عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة وفى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غير وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليه بضائعه من كل قطر * قال أبو محمد بن خلدون ولما وفد على ابيه أبو على القالى صاحب كتاب الامالى من بغداد أكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث فى شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنفه أبى الفرج الاصفهانى وكان نسبه فى بنى أمية وارسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الابهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك وجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التجليد واوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسى بن المستضئ ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع اكثرها فى حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالى المنصور بن أبى عامر ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار * (ولنبسط الكلام على الحكم فنقول) ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثانى يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعباء الملك اتم قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما اخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر لجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه فى الميل دون هؤلاء الاكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة اهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض فى أخيه شقيقه أبى مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض ايضا عن أبى الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى فمضى اليهما كل واحد منهما فى قطيع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء وعند

كيفية الغوص وأن الغاصة لا يكادون يتناولون شيأ الا السمك من الحيتان والتمر لا غيرهما من الاقوات وما يلحقهم وذكر شق أصول آذانهم لخروج النفس من هنالك بدلا من المنخرين يجعل عليهما شئ من الذبل أو من قشر يضمهما كالمقاص لا من الخشب ومما يجعل فى آذانهم من القطن فيه شئ من الدهن فيعصر من ذلك الدهن اليسير فى الماء فى قعره يضئ لهم بذلك فى البحر ضياء بينا وما يطلون به أقدامهم وسوقهم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد وصياح الغاصة فى البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه اخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته واثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فاول هذا البحر مما يلى البصرة والابلة والبحرين من خشاب البصرة ثم بحر لاروى وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتانه وسندان وكنبايه وغيرها من السند والهند ثم بحر هركند ثم بحر كلاه بار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كردنج ثم بحر الصنف واليه يضاف العود الصنفى الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صنجى وليس بعده بحر فاول بحار فارس على ما ذكرنا خشاب غيرهما

غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لاتيان غيرهم من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء فى الليل فنزلوا فى مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا فى المجلسين الشرقى والغربى وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البهو الاوسط من الابهاء المذهبة القبلية التى فى السطح الممرد فاوّل من وصل اليه الاخوة فبايعوه وأنصتوا الصحيفة البيعة والتزموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الا عيسى بن فطيس فانه كان قائما بأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف فى المجلس الذى قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره فى المنزلة عليهم الظهائر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين فى السطح وفى الفصلان المتصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين فى الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة وقامت التعبية فى دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والاقبية البيض وعلى رؤسهم البيضات الصقلبية وبأيديهم التراس الملونة والاسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدّة الاعظم البوّابون وأعوانهم ومن خارج باب السدّة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكبا اثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الله الى قصر قرطبة للدفن هنالك فى تربة الخلفاء (وفى ذى الحجة من سنة خمسين) تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فوصلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جمع الوزراء والقاضى منذر بن سعيد والملأ فأخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات فى نسخها (وفى آخر صفر من سنة احدى وخمسين) اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمد او زياد ابنى أفلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى الذى خرجوا اليه صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث فى الدولة المتملك على طوائف من الامم الجلالقة والمنازع لابن عمه المملك قبله شانجة بن ردمير وتبرع هذا اللعين اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذن ولا مستظهر بعهد وذلك عندما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه وأخذه فى التأهب له فاحتال فى تاميل المستنصر بالله والارتماء عليه وخرج قبل أمان يعقد له أو ذمة تعصمه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه تكنفهم غالب الناصرى الذى خرجوا اليه فجاءبه نحو مولاه الحكم وتلقاهما ابنا أفلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر بالله اليهم هشاما المصحفى فى جيش عظيم كامل

البصرة والموضع المعروف بالكلاء وهى علامات منصوبة من خشب فى البحر مغروسة علامات للراكب الى عمان مسافة ثلثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها مزون الى المسقط وهى قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هنالك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتى وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل ممتد تحت البحر لايدرى أين تنتهى غايته فى الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثانى وهو المعروف بلاورى لايدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما يقطع فى الشهرين والثلاثة وفى الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس فى هذه البحار أعنى ما احتوى عليه البحر الحبشى أكبر من هذا البحر بحر لاورى ولا أشد وفى عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة

التعبية وتقدموا الى باب قرطبة فروا ابواب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدة
وباب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فاشير الى ما يوازي موضعه من داخل
القصر في الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم رد قلنسوته الى رأسه وأمر
المستنصر بانزال أردون في دار الناعورة وقد كان تقدم في فرشها بضروب الغطاء والوطاء
وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسع له في الكرامة ولاصحابه فاقام بها الخميس والجمعة فلما
كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية
الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك
في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفا في
المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد والحكام والفقهاء فاتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك
اردون واصحابه وعليه لبوسه ثوب ديباج رومي أبيض وبليوان من جنسه وفي لونه وعلى رأسه
قلنسوة رومية منظومة بجوهر وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالاندلس يؤنسونه
ويبصرونه فيهم وليد بن خيزون قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة
وغيرهما فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف ويجيل الفكر في كثرتها
وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم وتأملوا ناكسي
رؤسهم غاضين من اجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الاقباء أول باب قصر
الزهراء فترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدم الملك اردون وخاصة قوامه على دوابهم
حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشي على الاقدام فترجلوا ودخل
الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طملس فانزل في بطن البهو الاوسط من الابهاء القبلية
التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الاوصال بالفضة وفي هذا المكان بعينه نزل قبله
عدوه وسميه شانجه بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى فقعد اردون على
الكرسي وقعد أصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول
عليه فتقدم يمشي وأصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح فلما قابل المجلس الشرقي الذي
فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسرا اعظاما لما بان له من الدنو
الى السرير واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى
الى باب البهو فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قائما ثم نهض خطوات وعاد الى
السجود ووالى ذلك مرارا الى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله اياها وكر راجعا
متقهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع
من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه وانهض خلفه من استدنى من قوامسه واتباعه فدنوا
ممتثلين في تكرير الخضوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على رأس
ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزون قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن
الملك اردون ذلك اليوم فأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثر قعوده أمامه
وقتا كيما يفرخ روعه فلما رأى أن قد خفض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرك اقبالك
ويغبطك تأميلك فلدينا لك من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما

وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا اهل لش
ولهم تحارف لغة العرب
فيما قبلي وقالت لش
ان تجعلي [illegible]
الذى [illegible] بذلك
فيه [illegible] قلنسوة ان
تجعلي الذى [illegible]
معك [illegible] من خدامهم
ونوادر كلامهم وهم
[illegible] عجب
[illegible] تعرف
[illegible] في
البحر [illegible] ساوية
بل عند جماعة انها أمواج
[illegible] يرون عنبرا على
[illegible]
[illegible] بالعنبر
قد قذفه البحر ركبت عليه
[illegible] لذلك واعتقدته
[illegible] اكب وأجود
العنبر [illegible] في هذه الناحية
والى جزائر الزنج وساحله
وهو المدور والازرق
البارز كبيض النعام أو
دون ذلك ومنه ما يبلعه
الحوت المعروف بالاوال
المتقدم ذكره وذلك أن
البحر اذا اشتد قذف من
قعره العنبر كقطع الجبال
وأصغر على ما وصفنا فاذا
ابتلع هذا الحوت العنبر
قتله فيطفو فوق الماء
ولذلك أناس يرصدونه في
القوارب من الزنج وغيرهم
فيطرحون فيه الكلاليب
والحبال فيشقون بطنه ويستخرجون العنبر منه فما اخرج من بطنه يكون سهكا ويعرفه العطارون بالعراق

ترجم

ترجمه كلامه اياه تطاول وجه اردون وانحط عن رتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير المؤمنين مولاى المتورك على فضله القاصد الى مجده المحكم فى نفسه ورجاله حيث وضعنى من فضله وعوضنى من خدمته رجوت ان اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا اياك على أهل ملتك ما يغبطك وتتعرف به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظل سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شانجة ابن عمى تقدم الى الخليفة الماضى مستجيرا به منى فكان من اعزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم واملهم وكان قصده قصد مضطر قد شنأته رعيته وأنكرت سيرته واختارت مكانه من غير سعى منى علم الله ذلك ولا دعاء اليه خلعته واخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا وتطول عليه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه وقوى سلطانه وأعز نصره ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التى اسديت اليه وقصر فى أداء المفروض عليه وحقه وحق مولاى أمير المؤمنين من بعده وانا قد قصدت باب امير المؤمنين لغير ضرورة من قرار وة سلطانى وموضع احكامى محكما له فى نفسى ورجالى ومعاقلى ومن تحوزه من رعيتى فشتان ما بيننا بقوة الثقة ومطرح الهمة فقال الخليفة قد سمعنا قولك ووهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شأنه ويترادف من احساننا اليك اضعاف ما كان من أبينا رضى الله تعالى عنه الى نديدك وان كان له فضل التقدم بالجنوح الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يؤخرك عنه ولا ينقصك مما أملناك وسنصرفك مغبوطا الى بلدك ونشد واخى ملكك ونملكك جميع ما انحاش اليك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ونقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرفه من البلاد الى يدك وسيترادف عليك من افضالنا فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر أردون الخضوع وأسهب فى الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولى الخليفة ظهره وقد تكنفه الفتيان من جلة الفتيان وأخرجوه الى المجلس الغربى فى السطح وقد علاه البهر وأدهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى البهو الذى يحوى هذا المجلس فاجلس هنالك على وساد مثقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر فلما بصر به قام اليه وخضع له وأومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فغبطه ووعده من انجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره ثم أمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التى أمر له بها الخليفة وكانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنس مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العلج تحلة فخر ساجدا وأعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب اصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم وكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم وخرج جميعهم خاضعين شاكرين ثم انطلق الملك اردون واصحابه وقدم لركابه فى أقصى البهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج محلى ولجام محلى مفرغ وانصرف مع ابن طملس الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أعد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون واستمر

وفارس والهند وما بقى على ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه فى بطن الحوت وبين البحر الثالث وهو المعروف بكند والبحر الثانى وهو لاروى على ما ذكرنا جزائر كثيرة وهى فرق بين هذين البحرين ويقال انها نحو من الفى جزيرة وفى قول المحقق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس ومالكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم فى قديم الزمان لا يملكهم رجل والعنبر يوجد فى هذه الجزائر أيضا يقذفه البحر ويوجد فى بحرها كأكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرنى غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت فى قعر هذا البحر ويتكون كما تتكون أنواع العطر من الابيض والاسود والكمأة والمغاريد وبنات أوبر ونحوها فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر منفقون وكلمتهم واحدة لا يحصر هم العدد لكثرتهم ولا يحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم النارجيل لا يتفقد من النخل الا التمر وقد زعم اناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل

أسحب به فيها لا كما أمن سعة التصحيف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه ما أفاضوا من التبجح به والتحدث عنه أياما وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة متان يطول القول في اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول

ملك الخليفة آية الاقبال * وسعوده موصولة بنوال

والمسلمون بعزة وبرفعة * والمشركون بذلة وسفال

ألقت بأيديها الاعاجم نحوه * متوقعين لصولة الرئبال

هذا أميرهم أتاه آخذا * منه أواصر ذمة وحبال

متواضعا لجلاله متخشعا * متبرعا لما يرع بقتال

سينال بالتأميل للملك الرضا * عزا يعم عداه بالاذلال

لا يوم أعظم للولاة مسرة * وأشد غيظا على الاقيال

من يوم اردون الذي اقباله * أمل المدى ونهاية الاقبال

ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها * والى الرعاة الى الاعاجم والى

ان كان جاء ضرورة فلقد أتى * عن عز مملكة وطوع رجال

فالحمد لله المنيل امامنا * حط الملوك بقدره المتعالي

هو يوم حشر الناس الا انهم * لم يسألوا فيه عن الاعمال

أضحى الفضاء مخيما بجيوشه * والافق أقتم أغبر السربال

لا يهتدي الساري لليل قتامه * الا بضوء صوارم وعوالي

وكأن اجسام الكماة تسربلت * مذعريت عنه جسوم ضلال

وكأنما العقبان عقبان العلا * منفضة لتخطف الضلال

وكأن مقتضب القنا بهزة * اشطان نازحة بعيدة جال

وكأنما قيل التجافيفا كنست * نارا توججها بلا اشعال

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن فتاه تليد صاحب خزانته العلمية فيما حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة * وقال بعض المؤرخين في حق الحكم انه كان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان عالما نبيها صافي السريرة وسمع من قاسم بن أصبغ وأحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب وأكثر عنه وأجازله ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوذيا نسيج وحده وكان ثقة فيما

حين غرس فيها قصار ورجلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا

وانما أثرت ذلك تربه أفضت المترجم بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهو تهائم ونجود من الماء فقير وغيرهم مما تؤثر البقاع في الناس من النبات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلك في جمالهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وابيض وبرها وأرض يأجوج ومأجوج في صورهم وغير ذلك مما اذا تبينه ذوو المعرفة في مكان الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرناه ليس يوجد في جزائر البحر الطف صنعة من هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع في الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه المملكة الودع وذلك ان هذا الودع فيه نوع من الحيوان واذا قل ماؤها أمر أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل ثم وصله ويطرحوه على وجه الماء فيتراكب عليه ذلك الحيوان فيجمع ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فتملأ من ذلك بيوت الاموال وهذه الجزائر تعرف جميعها بالدبيجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل

ينقله بهذا وصفه ابن الابار و باضعافه وقال عجبا لابن الفرضي وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في أي فن كان و يكتب فيه نسب المؤلف ومولده و وفاته و يأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن ومما ينسب اليه من النظم قوله

الى الله أشكو من شمائل مسرف ✽ عن ظلوم لا بذبن بعادتى
نأت عنه داري فاستزادت دوده ✽ واني على وجدي القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ ✽ من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وقوله

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت ✽ وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي
فيا مقلتي العبرا عليها اسكبي دما ✽ ويا كبدي الحرا عليها تقطعي

وتوفي رحمه الله تعالى بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه الله تعالى وكان قد شدد في ابطال الخمر في مملكته تشديدا عظيما (وولي بعده ابنه) هشام صغيرا ابن تسع سنين ولا ينافيه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ونقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل قال ابن خلدون وترقت حال ابن أبي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتئذ المغيرة أخو الحكم المرشح للأمر تناول الفتك به محمد بن أبي عامر هذا بمالأة من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤساؤهم فائق وجودر فقتل ابن أبي عامر المغيرة بمالأة من ذكرو تمت البيعة لهشام ثم سما لابن أبي عامر أمل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنية من معافر دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما في قومه وكان له في الفتح أثر وعظم ابن أبي عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون وأرضخ للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصلهم وفرق جموعهم وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوح ابن هانئ بالفائية المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم أول الدولة بمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفرا بممالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من

وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر وهي ألف درمح تعرف بالراميني معمورة وبها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة وبها بلاد قيف ورواليها ضاف الكافور العيسوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا نقص ذلك كان نقصانا في وجوده وأكثر ماذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب وفيلها كثيرة ومنها أناس يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالنجبوس وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في الزوارب عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل يتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لي جماعة من الناس انهم رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علاه البحر وارتفعت منه زوابع شديدة

رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة
وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ
الدنيا وهو في جوف بيته من تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو
والجهاد وقدم رجال البرابرة وزناتة وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من
الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن
الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور
ونفذت الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء
للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على
المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز وأغفل ديوانه عما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك
واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاول اليها من العلية فظفر
من ذلك بما أراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا ستا وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه
لم تنتكس له فيها راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره
الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت
له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس
من آل خزر ولما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه ما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض
من منصبه والتأفف بحجر الخليفة هشام أوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها
وعقد لملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها وشرد زيري بن عطية الى
تاهرت فابعد المفر وهلك في مفره ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على
المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا وأشد استيلاء سنة أربع وتسعين وثلثمائة بمدينة
سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه انتهى
كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا باس ان نزيد عليه فنقول مما حكي انه
مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله * أبدا ولا يحمي الثغور سواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى أذفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب
على قبر المنصور بن أبي عامر سريره وامرأته متكئة الى جانبه فقال لي يا شجاع أما تراني قد ملكت
بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني الغيرة أن قلت له لو تنفس صاحب هذا
القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت امرأته بيني
وبينه وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا * وهذا تلخيص ترجمة المنصور من
كلام ابن سعيد قال رحمه الله ترجمة الملك الاعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر
ابن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من ذرية تركش وعبد الملك جده هو
الوافد على الاندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وأما المنصور فقد ذكره ابن حيان في
كتابه المخصوص بالدولة العامرية والفتح في المطمح والحجاري في المسهب والشقندي في الطرف

لا يزرو بقعة منها بشئ الا اتلفه ويمطرون عقيب ذلك مطرا سهكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر
الرابع) فهو كلاهار على
حسب ما ذكرنا وتفسير
ذلك بحر كله وهو كثير قليل
الماء واذا قل ماء البحر
كان أكثر آفة وأشد خبثا
وهو كثير الجزائر
والصراوي واحدها صرو
ورأيت أهل المراكب
يسمون بحر الخليج اذا
كثر بينهم فيه الصرو
وفي هذا البحر أنواع من
الجزائر والجبال عجيبة
واعتراضنا التلويح بلمع
من الاخبار عنها لا البسط
وكذلك (البحر الخامس)
المعروف بكردنج فيه كثير
الجبال والجزائر وفيه
الكافور وهو قليل الماء
كثير المطر لا يكاد يخلو منه
وفيه أجناس من الامم
منهم جنس يقال له الفنجب
شعورهم مفلفلة وصورهم
ومناظرهم عجيبة
يتعرضون في قوارب لهم
الى المراكب اذا
اجتازت بهم ويرمون بنوع
من السهام عجيبة قد
سقيت السم وبين هذه الامة
وبين بلاد كله جبال معادن
الرصاص الابيض وجبال
من الفضة وفيها أيضا
معادن من الذهب ورصاص
لا يكاد يتميز منه ثم يليه
(بحر الصنف) على
ماوصفناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر ومملكته لا ينضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد وذكر

وذكر الحميدي أن أصله من قرية تركش وأنه رحل إلى قرطبة وتأدب بها ثم اقعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان إلى أن طلبت السيدة صبح أم المؤيد من يكتب عنها فعرفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر فترقى إلى أن كتب عنها فاستحسنته ونبهت عليه الحكم ورغبت في تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى إلى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكن في قلب السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة بما لم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك في خدمة المصحفي الحاجب إلى أن توفي الحكم وولي ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتي عشرة سنة فخاشت الروم فجهز المصحفي ابن أبي عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفي على الصقالبة ثم تغلب على المصحفي وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن أبي عامر ابنته اسماء وكان أعظم عرس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسي ممدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبي على جعفر وله في الحزم والكيد والجلد ما أفرد له ابن حيان تأليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم يهزم له راية وقبره بمدينة سالم في أقصى شرق الاندلس ومن شعره

رميت بنفسي هول كل عظيمة * وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي إلا جنان مشيع * وأسمر خطي وأبيض باتر
فسدت بنفسي أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا العوالي بالعوالي مثلها * وأورثناها في القديم معافر

وجوده مع صاعد البغدادي اللغوي مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك ابن شهيد وكان قد تخلف عنه

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا * يا بنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم في الفي * لمن لم يخب فيه المطايا

فبعث اليه بثلاث جوار من أجمل السبي وكتب معهن وكانت واحدة أجملهن قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار * في ثلاث من المها أبكار
وامتحنا بعذرة البكر ان كنت نرجي بوادر الاعذار
فاجتهد وابتدر فانك شيخ * قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها * فمن العار كلة المسمار

فافتضهن من ليلته وكتب له بكرة

قد فضضنا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من النجيع الجاري
وصبرنا على دفاع وحرب * فلعبنا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذي مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذه خلا على الكفار

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح في النهر وترك الكيس وكان

من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين وقد حاز هذا الملك أنواع الافاويه والطيب وليس لأحد من الملوك ما له وجما يحمل من بلاده ومما يخرج من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين وفي أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع المراس مطرقة يجزون شعورهم كما تجز الشعر من الرق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع

أحمر إلى أن بلغ خربة هي حدأة في مخالبها تجري تابعا لها وقد دهل فتغلغلت في البساتين وانقطعت عن عينه ورجع متحيرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صف حالك لابن أبي عامر متلطفا في وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله تعالى في شأنك وجعل يستدعي أصحاب تلك البساتين ويسأل حدامها عمن ظهر عليه تبدل حال فاخبروه ان شخصا من ضعفاء الرجال اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فأمر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أحضر الكيس الاحمر فتملك الرعب قلبه وارتعش وقال دعني آتي به من منزلي فوكل به من جاء له الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح في مسرة صاحبه بخبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لا حدثن في مشارق الارض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على الطيور وينصف منها والتفت ابن أبي عامر الى الزبال فقال له لو اتيت به أغنيناك لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا وتوفي رحمه الله في غزاته للافرنج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وحمل في سريره على أعناق الرجال وعسكره يحف به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء واخرى في الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون *وقال الفتح في المطمح في حق المحقق الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ما صورته تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى ووصل الى المنتهى وحصل على ما اشتهى دون مجد تفرع من دوحته ولا فخر أبين مغداه وروحته فسما دون سابقة ورمى الى رتبة لم تكن لها مطابقة فبلغ بنفسه ونزع عن جنسه ولم يزل يستقل ويطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى التاح في افق الخلافة وارتاح اليه معظمها كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه قد كان يسمع وبه يبصر وحجب الامام وأسكب برأيه ذلك الغمام فادرك لذلك ما أدرك ونصب لامانيه الحبائل والشرك فاقتنى اقتناء مدخر وأزرى بمن سواه وسخر واستعطفه ابن أبي عامر ونجمه عاثر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف وأقام في تدبير الاندلس ما أقام وبرهانه مستقيم ومن الفتن عقيم وهو يجري من السعد في ميدان رحب ويباع من العز في مشرب عذب وينفض ختام السرور وينهض من الملك على ابنه مرور وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فمن محاسنه التي بهرها بناس دهره واسعاده وقاله حين ألمته سلماه وسعاده قوله

لعينيك في قلبي عليك شجون ... وبين ضلوعي للشجون فنون

نصيبي من الدنيا هواك وانه ... عذابي ولكني عليه ضنين

وستأتي هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة ونقصان في الباب الرابع *وقال في المطمح في حق ابن أبي عامر انه غرس ببلاد الشرك أعظم غرس وشامن طواغيتها كل تعرف وتعطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وتد بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وسدد الى أكبادهم سهام الفجائع وأغص بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ومن أوضح الامور هنالك وأصح الاخبار في ذلك أن أحد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب فسار في بعض مسيراته الى غرسية

مركة المهراج جزيرة سريرة ومسافتها في البحر نحو من أربعمائة فرسخ متصلة بها جزيرة الرامي وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه وهو صاحب (البحر السادس) وهو بحر الصين ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفا ويعرف ببحر صنجي وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر وعما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة لا بد للمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فعمانى ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهدوا المعانى منهم في أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره في البحر الحبشي الدولي وتسميه الرجال في البحر الرومي الصاري) شيأ

صاحب البشكنس ووالى في اكرامه وتناهى في بره واحترامه فطالت مدته ولا متنزه الا مرّ عليه متفرجا ولا منزل الا سار عليه معرجا فحل في ذلك أكثر الكنائس هنالك فبينما هو يجول في ساحتها ويجيل العين في مساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر نوية على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها وأعلمته وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بوسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نفضت لبوسها وزعمت أن لها مدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسة وناشدته الله في انهاء قصتها وابراء غصتها واستحلفته بأغلظ الايمان وأخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به وأعلمه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور وهل وقفت هنالك على أمر أنكرته أم لم تقف على غير ما ذكرته فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه وبالمواثيق التي أخذت عليه فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ثم أخذ للجهاد من فوره وعرض من أجناد في نجده وغوره وأصبح غازيا على سرجه مباهيا مروان يوم مرجه حتى وافى ابن شنجة في جمعه فأخذت مهابته ببصره وسمعه فبادر بالكتاب اليه يتعرف ما الجلية ويحلف له بأعظم ألية انه ما جنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة جنبا فعنف ارساله وقال لهم كان قد عاقدني أن لا يبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور ولو حملته في حواصلها النسور وقد بلغني بعد بقاء فلانة المسلمة في تلك الكنيسة ووالله لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها فأرسل اليه المرأة في اثنتين معها وأقسم انه ما أبصرهن ولا سمع بهن وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها قد بالغ في هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه في الأخذ فيه بطوله فاستحيا منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة الى نفسه وألحق توحشها بأنسه وغير من حالها وعاد بسوابغ نعماه على جدبها وامحالها وحملها الى قومها وكحلها بما كان شرد من نومها انتهى ٭ وقال في المطمح أيضا في حقه ما نصه فزدنا به على من تقدمه وصوته واخترمه فانه كان أمضاهم سنانا وأذكاهم جنانا وأتمهم جلالا وأعظمهم استقلالا فآل أمره الى ما آل وأوهم العقول بذلك المآل فانه كان آية الله في اتفاق سعده وقربه من الملك بعد بعده بهر برفعة القدر واستظهر بالأناة وسعة الصدر وتحرك فلاح نجم الهدى وتملك فخفق بأرضه لواء عدو بعد خمول كابد منه غصصا وشرقا وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وأرقا حتى أنجز له الموعود وفرخت أمام تلك السعود فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها أنافة وساس الأمور أحسن سياسة وداس الخطوب بأخشن دياسة فانتظمت له الممالك وانتحت به المسالك وانتشر الأمن في كل طريق واستشعر اليمن بكل فريق وملك الأندلس بضعا وعشرين حجة لم تدحض له فيها حجة ولم تزحزحه مكروه بها لجة لبست فيه البلاد الاشراق وتنفست عن مثل أنفاس العراق وكانت أيامه أحمد أيام وسهام بأسه أشد سهام غزا الروم شاتيا وصائفا ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا فما رام غير سنيح ولا فاز الا بالمعلى لا بالمنيح فتوغل في تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب ومشى تحت ألويته صيد القبائل واستجرت في ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل وهو يقتضي الارواح بغير سوم ويقتضي الصفاح على

على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ولا ادراكه كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم ان ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكرنا تنازع فيه عند أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم ممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا في مقدور البارئ جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفي هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية وتدخل تلك الحجارة في اكحال العين وأدويتها وأمره مستفيض أيضا ولبحر الصين أيضا وهو السابع المعروف بصنجي أخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من أخباره وأخبار ما اتصل به من البحار فيما سلف من كتبنا وأسلفنا من تصنيفنا في هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملا من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء

كروم ويتلف من ينساق للخلافة وينقاد ويختطف منهم كل كوكب وقاد حتى استبد بالامر وأنس ايسه من الطاعة ما نفر وشرد وانتظمت له الاندلس بالعدوة واجتمعت فى ملكه اجتماع قريش بدار الندوة ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة ولم يدع السمع لخليفته والاجابة ظاهر بخالفه الباطن واسم تنفره مواقع الحكم والمواطن وأذل قبائل الاندلس باجازة البرابر واخمل بهم أولئك الاعلام الاكابر فانه قاومهم بأضدادهم واستكثر من اعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذى اعاد أكثر الاندلس قفرا يبابا وملأها وحشا وذئابا واعراها من الامان برهة من الزمان وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الاندلس وحد السرور بهما والتأنس وغزواته فيها شائعة الاثر رائعة كالسيف ذى الاثر وحسبه وافر ونسبه معافر ولذا قال بعقر رميت نفسى الابيات وزاد هنا بعد قوله وابيض باتر بيتا وهو

وانى لزجاء الجيوش الى الوغى * اسود تلاقيها اسود خوادر

وكانت امه تميمية فحاز الشرف بطرفيه والتحف بطرفيه ولذا قال القسطلى فيه

تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلالا فى العلا وبدور

من الحميريين الذين اكفهم * سحائب تهمى بالندى وبحور

وتصرف قبل ولايته فى شتى الولايات وجاء من التحدث بمنتهى أمره بآيات حتى صح زجره وجاء بصحة خبره تؤثر عنه فى ذلك أخبار فيها عجب واعتبار وكان أديبا محسنا وعالما متفننا من ذلك قوله يمنى نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعى صدور تلك الاعجاز

منع العين ان تذوق المناما * حبها أن ترى الصفا والمقاما

لى ديون بالشرق عند اناس * قد احلوا بالمشعرين الحراما

ان قضوها نالوا الامانى والا * جعلوا دونها رقابا وهاما

عن قريب ترى خيول هشام * يبلغ النيل خطوها والشآما

انتهى ما نقله من المطمح * وفى المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرخى المغرب مازجا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن عثمان فقال بعده ما صورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادى هل من مبارز فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف له فيها ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط فى حرب شهدها وما توجهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الاعداء وواجه من الامم وانها لخاصة ما احسب احدا من الملوك الاسلامية شاركه فيها ومن أعظم ما اعين به مع قوة سعده وتمكن جده سعة جوده وكثرة بذله فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق وانتشر عليه لواء السعد وخفق حط صاحبه المصحفى وأثار له كامن حقده الحنق حتى اصاره للهموم لبيسا وفى غيابات السجن حبيسا فكتب اليه يستعطفه بقوله

هبنى أسأت فاين العفو والكرم * اذ قادنى نحوك الاذعان والندم

أحد من العراق ولا غيره خرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأهلها موادعون لاهل الصين وملوكها والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع وقد قيل انهم من عمر ابن ولد عابر و ...وا غنالك على حسب ما ذكر ممن سكن أهل الصين فى بلادهم ولا صين انهار كبار مثل دجلة والفرات تجرى من بلاد الترك والتبت والصغد وهى بين بخارى وسمرقند وهنالك جبل النوشادر فاذا كان فى الصيف رؤيت فى الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ وبالنهار يظهر منها الدخان على شعاع الشمس وضوء النهار ومن هنالك يحمل النوشادر فاذا كان فى أول الشتاء من أراد من بلاد خراسان ان يسلك الى بلاد الصين صار الى ما هنالك وهنالك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلا أو خمسون فيأتى الى أناس هنالك على فم الوادى فيرغبهم فى الاجرة النفيسة فيحملون ما معه على اكتافهم وبأيديهم العصى يضربون جنبيه خوف أن يقف فيموت من كرب الوادى وهوله حتى يخرجون الى ذلك الرأس من الوادى وهنالك غابات ومستنقعات لماء فيطرحون أنفسهم فى ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك

با

ياخير من مدت الايدي اليه أما * ترثى لشيخ رماه عندك القلم
بالغت في الحط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فازاده ذلك الا حنقا وحقدا وما أفادته الابيات الا تضرما ووقدا فراجعه بما أيأسه وأرام مسه وأطبق عليه محبسه وضيق تروحه من المحنة وتنفسه

الآن ياجاهلا زلت بك القدم * تبغي التكرم لما فاتك الكرم
أغريت بي ملكا لولا تثبته * ما جاز لي عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت في طبق * ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا
نفسي اذا سخطت ليست براضية * ولو تشفع فيك العرب والعجم

وكان من أخباره الداخلة في أبواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع الى أن قال ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وفرغ منها في النصف من سنة تسع وسبعين وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا في مناقبه الجليلة وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فأمر المنصور أمناءه بارضائه فيها لحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وأن المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهبا كانت عنده أقصى الامنية وشرطها صحاحا فاغتنم الامناء غفلته ونقدوه الثمن وأشهدوا عليه ثم أخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وأنف من غبنه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد أن يخرج من عقله وأن يجن عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا في شكر المنصور وصارت قصته خبرا سائرا (ومن ذلك أيضا) بناء قنطرة على نهر أستجة وهو نهر شنيل وتجشم لها أعظم مؤونة وسهل الطريق الوعرة والشعاب الصعبة (ومن ذلك أيضا) انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في أسفاره وغزواته يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره في حنوطه وكان يحملها حيث سار معه كأنه توقع الحلول منيته وقد كان اتخذ الاكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد فكان كذلك وكان متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ولم يزل متنزها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين وكان عدله في الخاصة والعامة وبسط الحق على الاقرب فالاقرب من خاصته وحاشيته أمرا مضروبا به المثل * (ومن عدله) انه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه فنادى يا ناصر الحق ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوته الى الحاكم فلم يأت فقال له المنصور أو عبد الرحمن بن فطيس بهذا العجز والمهانة وكنا نظنه أمضى من ذلك اذكر مظلمتك يا هذا فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما

الطريق شيء من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا في الصيف فلا يسلك ذلك الوادي داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع في ذلك المرضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي والبهائم لا صبر لها على ما ذكرنا من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب بالخشب والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذي ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفي غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا أن ذلك في خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جميلا ذا رأي وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين ببلاد خراسان والسند يلي بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس في أنسابهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى في نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب

منه بها من غير نصف فقال المنصور ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلي وقد ذهل عقله فقال له ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاص به خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفت أنت اذهب لسبيلك وبقي انتصافي أنا ممن تهاون بعزائي فتناول الصقلي بأنواع من المذلة وأبعده عن الخدمة * (ومن ذلك) قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقي مع التاجر المغربي فانهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور وهو يومئذ أكبر خدم المنصور واليه أمر داره وحرمه فدافع الحاكم وظن أن جاهه يمنع من احلافه فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلما من الفتى فوكل به في الوقت من حمله الى الحاكم فأنصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه *(ومن ذلك) قصة محمد فصاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه فان المنصور احتاج يوما الى الفصد وكان كثير التعهد له فأنفذ رسوله الى محمد فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته قدر أن سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته أمر باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه الى أن يفرغ من عمله عنده ثم يرده الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضي وهو في عدله ولو أخذني بالحق ما أطقت الامتناع منه عد الى محبسك واعترف بالحق فهو الذي يطلقك فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبعث قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد القاضي شدة في أحكامه * وقال ابن حيان انه كان جالسا في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا بأحد الفرسان وقال له انهض الآن الى فج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه الي قال فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى أين تريد يا شيخ فقال وراء حطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فماذا عسى أن يريد المنصور منه قال فتركته فسار عني قليلا ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال له وماذا عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله أن تتركني أذهب لطلب معيشتي فقال له الفارس لا أفعل ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك فقال المنصور للصقالبة فتشوه ففتشوه فلم يجدوا معه شيأ فقال فتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى ليقدموا ويميلوا الى احدى النواحي الموطومة فلما انبلج الصبح أمر باخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت أعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم ثم ذكر هذا المؤرخ قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا رأينا اعادتها بلفظ هذا المؤرخ لانه أتم سياقا اذ قال عطفا على ما ذاته ومن ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك ان رجلا

التابعة على حسب ما ذكرناه من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب وذلك عليهم حمير وفيهم بعض موجود في أخبار التبابعة ولهم حصون وبطون وأمرهم ترك لا تقدر لكثرة ولا يحاويهم أحد من ... الترك وهم ... أجناس الترك لأن الملك كأنهم في ديارهم ... أجناس الترك أن الملك ... ويرجع ... بلاد لبلاد خواص عجيبة في هوائها وسهلها ... وجبلها ولا ... الأسباب أبدا بها ... ولا يعرض له الآخر ولا ... بالأفكار ولا يحصى عجائب ثمرها وزهرها ووجهارها وهوائها وأنهارها وهي بلاد تقري ... على ... الضوء وغيره ولا يكاد يرى في هذا الملك ... ولا يجوز ... السيوف والدهون والثياب ولا حدثان عام وفيه ... وبشاشة وأرضه ... تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع ... الرقص حتى ان البيت ... لا يكاد يدخل أهله عليه كثير من الحزن مما لحق ... من سائر الناس ... أو ... مطلوب ... من كثير من بعضهم على بعض والتمييز ... كذلك في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى ... ثبت فيها ورتب جوهريا

جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهري صرته وكانت قطعة يمانية فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها واليوم قائظ وعرقه منصب دعته نفسه الى التبرد في النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط فمرت حدأة فاختطفت الصرة تحسبها لحما وصاعدت في الافق بها ذاهبة فقطعت الافق الذي ينظر اليه منه التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة فأسر الحزن في نفسه ولحقه لاجل ذلك علة اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه واستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عهده من النشاط وشدة العارضة فسأله المنصور عن شانه فاعلمه بقصته فقال له هلا أتيت الينا بحدثان وقوع الامر فكنا نستظهر على الحيلة هل هديت الى الناحية التي أخذ الطائر اليها قال مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك يعني الرملة فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة فمضى وجاء بهم سريعا فأمرهم بالبحث عمن غير حال الاقلال منهم سريعا وانتقل عن الاضاقة دون تدريج فتناظروا في ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بايديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجزا عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة فامر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به قال هو ذا يا مولاي وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صف لي حديثها فقال بينا أنا أعمل في جناني تحت نخلة اذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاحترزت بها ودعتني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلت أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك وانظرها واصدقني عن عددها ففعل وقال وحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا ننغص عليك فرحك ولولا جمعه بين الاضرار والاقرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجناني بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لاوسعناه جزاء قال وأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال والله لأبثن في الاقطار عظيم ملكك ولأبينن أنك تملك طير أعمالك كما تملك أنسها فلا تعتصم منك ولا تمتنع ولا تؤدي جارك فضحك المنصور وقال اقصد في قولك يغفر الله لك وعجب الناس من تلطف المنصور في أمره وحيلته في تفريج كربه ؛ (ومن ذلك) غزوة المنصور لمدينة شنت ياقب[٣] قاصية غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحواري أحد الاثني عشر وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمونه

ورد الشاعر دعبل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند
وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب أخبار ملوك اليمن طرفا من أخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمن يسمون ملوكهم تبعا لاتباع اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر صرف ضروبه فغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الامم وسموا ملوكهم خاقان وفي بلادهم الارض التي بها ظباء المسك التبتي الذي يفضل على الصيني بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من أنواع حشائش الطيب التي ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان اهل التبت لا يتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ما هو به واهل الصين يخرجونه عن النوافج

٢٥ ط ل

[٣] قوله ياقب الذي في تقويم البلدان لابي الفداء ياقو اهـ مصححه

اخاه للزومه اياه و ... يسمونه يعقوب وكان أسقفا ببيت المقدس فجعل بسبه قرى الارضين داعيا الى ... فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى أرض الشام فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية فاحتمل أصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره ولم يطمع أحد من ملوك الاسلام في قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها خرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وهي غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة في رجالهم وعلى أتم احتفالهم فصاروا في عسكر المسلمين وركبوا في المغاورة سبيلهم وكان المنصور تقدم في انشاء اسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجالة البحر وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج بموضع برتقال على نهر دويرة فدخل في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذا الاسطول جسر بقرب الحصن الذي هنالك ووجه المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا في التزود منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع أرضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبر وابعده وادي منية وانبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتح واحصن شنت بلايه وغنموه وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا في معبرين أرشد الادلاء اليهما ثم نهر أيلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل يقصده ... من أقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تغن بالامس وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير أهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقب وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله فجعل في طريقه القصد على عمل برمند بن اردون يستقريه عائثا ومفسدا حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين في عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى

ويلحقه الغش بالدم ونسبره من وكثرة الادواء واختلاف الاهوية وان عدم من اهل الصين الغش في نسائهم وأودع براني الرماح واحكم وأوردالي بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وسيرها من الامصار كان كالبتي واجود المسك وصيه ماخرج من الظباء بعد بلوغه النهاية في النضج وذلك انه لا فرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك في الصورة والشكل واللون والقرن وانما تتباين تلك بأنياب لها كأنياب الفيلة لكل ظبي نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان نحو الشبر واقل وأكثر فتنصب لها في بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم في سررها خام لم ينضج وطري لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها في شجرها واستحكام موادها فيه وخير المسك ما نضج في وعائه وأدرك في سرره واستحكم في حيوانه وتمام مواده في ذلك أن

خرج على حصن بليقية من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بحملتهم على أقدارهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكساءين عبريين وأحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريشا وسبعة أنماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفروي فنك ووافى جميع العسكر قرطبة غانما وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فأمر بالكف عنه قال وحدث شعلة قال قلت للمنصور ليلة اطال سهره فيها قد أفرط مولانا في السهر وبدنه يحتاج الى أكثر من هذا النوم وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب فقال يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعية ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور * وقد رأيت أن أذكر هنا أخبارا انتقيتها من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة (قال في الزهرة التاسعة والعشرين) تقدم الى المنصور واترمار بن أبي بكر البربري والى أحد جنود المغاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاص بالناس فقال له بكلام يضحك الثكلى يا مولاي مالي ولك أسكني فاني في الغحص فقال وما دارك يا واترمار وأين دارك الواسعة الاقطار فقال أخرجتني عنها والله نعمتك اعطيتني من الضياع ما انصب على منها من الاطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها وأنا بربري مجوّع حديث عهد بالبؤس اترانى أبعد القمح عني ليس ذلك من رأيي فتطلق المنصور وقال لله درك من فذعيي لعيك في شكر النعمة ابلغ عندنا وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبليغ متفنن وأقبل على من حوله من أهل الاندلس فقال يا أصحابنا هكذا فلتشكر الايادي وتستدام النعم لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكي المبرح وأمر له بأفضل المنازل الخالية (وفي الموفية ثلاثين) ما نصه أصبح المنصور صبيحة أحد وكان يوم راحة للخدمة الذي أعفوا فيه من قصد الخدمة في مطر وابل غب أيام مثله فقال هذا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة للواظبين لقصدنا في مكابدته فليت شعري هل شذ أحد منهم عن التقرير فاغرب في البكور اخرج وتأمل يقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاي على الباب ثلاثة من البرابرة أبو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البلل انما توصف بالمشاهدة فقال أوصلهم الي وعجل فدخلوا عليه في حال الملاح بلا وبداوة فضحك اليهم وادنى مجلسهم وقال خبروني كيف جئتم وعلى أي حال وصلتم وقد استكان كل ذي روح في كنه ولاذ كل طائر بوكره فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كل التجار قعد عن سوقه واذا عذر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أعذر بادرا كنا بالبدر ومن غير رؤس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على أقدامهم ويذيلون في قصدها ثيابهم ونحن نأتيك على خيلك ونذيل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل في قصدك مضمونا اذ جعله أولئك طمعا ورجاء فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكسا والصلات فدفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم * (وفي الزهرة الرابعة والاربعين) ما نصه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فتى من أهل الادب قد رقت

الطبيعة تدفع مواد الدم الى السر فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيتحكك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ ما في نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم وتجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وأنضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها معدة معهم فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار في النادر من بلادهم والتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر في الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وانهم قدماء وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا

حتى تبين له الطلب وتعلق بكتاب العمر واختلف الى الخزانة مدة حتى تقلد بعض الاعمال فاستهلك كثيرا من المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى المنصور فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه ولزم الاقرار بما ابرز عليه قال له يا فاسق ما الذي جرأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاء غالب الرأي وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لاجعلنك نكالا لغيرك ليحضر كبل وحداد فاحضر فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وأمر الضابط بامتحانه والشدة عليه فلما قام أنشأ يقول

اواه أواه وكم ذا ارى * أكثر من تكرار أواه
ما لامرئ حول ولا قوة * الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أتمثلت أم قلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبله فلما حل عنه أنشأ يقول

أما ترى عفو أبي عامر * لا بد ان تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

وأمر باطلاقه وسوّغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه *(وفي الخامسة والاربعين) عرض على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه وكان شديد الحقد عليه فوقع على اسمه بأن لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بامه الهاويه وعرف الرجل بتوقيعه فاهتم واغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة فأرق المنصور اثر ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص عنيف الاخذ يأمره باطلاق الرجل ويتوعده على حبسه فاستدفع شأنه مرارا الى أن علم انه نذير من ربه فانقاد لامره ودعا بالدواة في مرقده فكتب باطلاقه وقال في كتابه هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر وتحدث الناس زمانا بما كان منه *(وفي السادسة والاربعين) ما نصه انتهت هيبة المنصور بن ابي عامر وضبطه للجند واستخدامه لذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصل اليها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال علي بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني أشرت به الى صاحبي مغمدا فذلق من غمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه *(وفي السابعة والاربعين) ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج الى الكي فأمر الذي يكويه بذلك وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويفري الفري في أمور ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة اللحم فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث *(وأخباره رحمه الله تعالى) تحتمل مجلدات فلنمسك العنان على أنا ذكرنا في الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره رحمه الله تعالى فلتراجع الى آخره *(وفي الثامنة والاربعين) وكان مما أعين به المنصور على الملك ميل الوزراء اليه وايثارهم اياه عليه وسعيهم في

أوتت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته في العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم تلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عندهم لا كابر ان الحكمة من الهند بدؤها ثم تلوه في المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلوه ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس في ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استشلاء منه على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته برزخ بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم ايرخان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى ملك الا انه ليس فيها من يداني ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس في ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية بأخبار

ترقيه وأخذهم بالعصبية فيه فانها وان لم تكن حمية أعرابية فقد كانت سلفية ظاهرة يقتفي القوم فيها سبيل سلفهم ويحفلون بها ابتذال شرفهم غادروها سيرة وتخذوها عادة أثيرة تشاح الخلف فيها تشاح سلفهم أهل الديانة وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة ورأوا ان أحدا الا يلحق فيها غاية ولا يتعاقد لها راية فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من أثرته حيث وضعه وهو نزيع بينهم ونابح فيهم حسدوه وذموه وخصوه بالمطالبة وعموه وكان أسرع صنف الناس فيه من أعالى الوزراء وأعاظم الدولة على معاودة المنصور عليه والانحراف عنه آل أبى عبيدة وآل شهيد وآل فطيس من الخلفاء وأصحاب السدانة من أولى الشرف والامانة وكانوا فى الوقت ازمة الملك وقوام الخدمة ومصابيح الامة وأغير الخلق على جاه وحرمة فأحظوا محمد بن أبى عامر متابعة و ببعض أسبابه الجامعة متابعة وشادوا بناءه وقادوا الى عنصره سناءه حتى بلغ الامل والحتف بناءوا كتحل وعند التئام هذه الامور لابن أبى عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثة وأيقن بالنكبة وزوال الحال وانتقال الرتبة وكف عن اعتراض محمد وشركته فى التدبير وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير وانثالوا على ابن أبى عامر فخف موكبه وغار من سماء العز كوكبه وتوالى عليه سعى ابن أبى عامر وطلبه الى أن صار يغدو الى قرطبة ويروح ولبس بيده من الحجابة الا مجرد اسمها وابن ابى عامر مشتمل على رسمها حتى محاه وهتك ظله وأضحاه قال ابن اسمعيل رأيته يساق الى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فأقبل يدرم وجوارحه باللواعج تضطرم وواثق الحلائه ينهره والزمع يتهره والنفس قد هاضته وقصر اخضاه فسمعته يقول رفقا بى فستدرك ما تحبه وتشتهيه وترى ما كنت ترتجيه ويا ليت أن الموت يباع فأغلى سومه حتى يرده من اطال عليه حومه

لا تأمنن من الزمان تقلبا ❊ ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أرانى والليوث تخافنى ❊ فأخافنى من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ومهانة ❊ أن لا يزال الى لئيم يطلب

فلما بلغ المجلس جلس فى آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ اليه بعين أو يد فلما أخذ مجلسه تسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنفه واستجهله وأنكر عليه ترك السلام وجعفر معرض عنه الى أن كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت المبرة فاستجهلت معلمها وكفرت النعم فقصدت بالاذى ولم ترهب معدمها ولو أتيت نكرا لكان غيرك أدرى وقد وقعت فى أمر ما أظنك تخلص منه ولا يسعك السكوت عنه ونسيت الايادى الجميلة والمبرات الجليلة فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه وأى أياديك الغر التى منتت بها وعيبت اداء واجبها أيد كذا أم يد كذا وعين أشياء أنكرها منه أيام امارته وتصرف الدهر طوع اشارته فقال جعفر هذا ما لا يعرف والحق الذى لا يرد ولا يصرف رفعى القطع عن يمناك وتبليغى لك الى مناك فأصر محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أنشد الله من له علم بما أذكره الا اعترف به فلا ينكره وأنا أحوج الى السكوت ولا تحجب دعوتى فيه عن الملكوت فقال الوزير أحمد بن عباس قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن

اندار دار ان ايوان وعمدان والملك ملكان ساسان وقحطان

والارض فارس والاقليم بابل والاسلام مكة والدنيا خراسان

والجانبان العليان اللذ حسنا منها بخارى وبلخ الشاه اران

والبيتقان وطبرستان مادرها والصين سروانها والجيل جيلان

قد رتب الناس فى ماقى مراتبهم

مرزبان وبطريق وطرخان للفرس كسرى والروم القيصر والحبش النجاشى والاتراك خاقان

وصاحب صقليه وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لرذريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسبان وهم أمة من ولد يافث بن نوح واتصلت هنالك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين أن لرذريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لرذريق الذى كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت

وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك فقال أحوجني الرحل فتكلمت وأحوجني الى ما به أعلمت فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال أسأت الى الحاجب وتوجهت عليه غير الواجب أوما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لأنه ان وعن ألزمهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فان فعلوا طاف بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لأنه تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف وان تركوا الرد أسخطوا الله فصار الامساك أحسن ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن فانكسر ابن حفص وخجل مما أتى به من النقص وبلغه أن قوما وجعوا له وتفجعوا مما وصله فكتب اليهم

أحن الى أنفاسكم فأظنها * بواعث أنفاس الحياة الى نفسي
وان زمانا صرت فيه مقيدا * لأثقل من رضوى وأضيق من أمس

انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر ولنرجع فنقول ولما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه أعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا الى أن مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكاتبه المعز بن زيري ملك مغراوة بعد أن استرجع فاسا والمغرب اثر موت أبيه فكتب اليه العهد على المغرب وثارت الطوائف في ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم (قال ابن خلدون) ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل بالمأمون وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا وكتب عهده من انشاء أبي حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الامة علما تأوي اليه وملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن أداء الحق اليها ونقص عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند هذا الامر اليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحري للحق والزلفى الى الله جل جلاله بما يرضيه وبعد أن قطع الاواصر وأسخط الاقارب فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب الناصح الجيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه الله اذ كان أمير المؤمنين أيده الله تعالى قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعا في الخيرات سابقا في الحلبات مستوليا على الغايات جامعا للمأثرات ومن كان المنصور

قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى ناحة يخرج من بلاد الجلالقة والوسقيد وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ويسمى هذا النهر في الجزيرة [illegible] وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عجيبة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهي من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سنجة من الثغر الجزري مما يلي سميساط من بلاد سرحة ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها أسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للامويين اليها فافتتحها بعد الخمس عشرة وثلثمائة عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثيرا من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو

اباه

أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوى من خلال الخير ماحواه مع أن امير المؤمنين أيده الله بما اطلع من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر يرى أن يكون ولى عهده القحطانى الذى حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصى وأبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختبار وتقابلت عنده فيه الآثار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته وفوّض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنجزه وأنفذه ولم يشرط فيه مثنوية ولا خيارا واعطى على الوفاء به فى سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه أن لا يبدّل ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا وأشهد وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بمحضر من ولى عهده المأمون أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى وقبوله ماقلده والزامه نفسه ماألزمه وذلك فى شهر ربيع الاوّل سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم وتسمى بعدها بولى العهد * ونقم عليه أهل الدولة ذلك فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهة لذلك الامويين والقرشيين فغصوا بامره واسفوا من تحويل الامر جملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم وتمشت من بعض الى بعض رجالاتهم واجمعوا أمرهم فى غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة فى غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وخلعوا هشاما المؤيد * وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن امير المؤمنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء ولقبوه المهدى بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلل عنه الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدى القائم بالامر وأغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهترا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدى والى الجماعة وذهبت دولة العامريين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور

وفى المهدى يقول بعضهم

قد قام مهديا ولكن * بمله الفسق والمجون
وشارك الناس فى حريم * لولاه مازال بالمصون
من كان من قبل ذا أجا * فاليوم قد صار ذا قرون

وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدى لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض أمره وكانت الاموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا مالهم من العصبية لاستأصلهم الناس ولفظت ألسنة الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وأمر المهدى أن لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم فى بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم وشكا

من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلافة ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بامير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن ابن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس فى سنة سبع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام ابن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم على ماذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت وقاه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سموره عليها سبعة اسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الاسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء

بعث بهم الى المهدى ما أصابهم واعتذر وقتل من اتهم من العامة فى أمرهم وهو مع ذلك مظهر لبغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وأسروا نجواهم وتشوروا فى تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر وفشا فى الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وأزعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام وأخيه أبى بكر واحضرا بين يدى المهدى فضرب أعناقهما ولحق سليمان ابن أخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوامروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض فى جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدى فى كافة أهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة ولحق المهدى بطليطلة واستجاش بابن أدفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة أعنى المهدى وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرقوا فى البسائط ينهبون ولا يبقون على أحد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدى ومعه ابن أدفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدى وابن ادفونش ومن معهم من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فأخرج المهدى هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بأمر حجابته ظنا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصرهم المستعين والبربر فخشى أهل قرطبة من افتحامهم عليهم فاغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدى وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العامرى فقتلوا المهدى واجتمع الكافة على المؤيد وقام واضح بحجابته واستمر الحصار ولم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيأ الى أن هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق وجهدهم الحصار وبعث المستعين الى أهل ادفونش يستعديهم لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التى كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرتهم عزم ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة وقتل هشام سرا ولحق بيوتات قرطبة معرة فى نسائهم وابنائهم وظن المستعين أن قد استحكم امره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة مثل باديس بن حبوس فى غرناطة والبرزالى فى قرمونة واليفرنى فى رندة وهرزون فى شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف فى آخرين من اهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذى النون بطليطلة وابن أبى عامر ببلنسية وابن هود بسرقسطة ومجاهد العامرى بدانية والجزائر قال ابن خلدون وكان ما تلا البنى حمود يعنى سليمان المستعين

لا رحم الله سليمانكم ❊ فانه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها ❊ وحل هذا كل شيطان
فباسمه ساحت على أرضنا ❊ لهلك سكان واوطان

ومن عرف أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للبلالقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بايدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى لاوبجة مدينة أربونة خرجت من أيدى المسلمين مع ثغرانة الاندلس وثغورها سنة ... وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا الى الشمال افراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم يلعى من هذه الثغور أنها التى الى فرنجة وهى أضيق مواضع الاندلس وقد كان قبل الثلثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر ما نطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانس غيرهم وقد أصيب فى البحر الرومى فيما

(وكان

*(وكان من أعظم الاسباب) فى فساد دولة المستعين أنه قال هذه الابيات مسترجحا بها الى خواصه وهى قوله

حلفت بمن صلى وصام وكبرا * لاغمدها فيمن طغى وتجبرا
وأبصر دين الله تحيا رسومه * فيبدل ماقد كان منه وغيرا
فواعجبا من عبشمى مملك * برغم العوالى والمعالى تبربرا
فلو أن أمرى بالخيار نبذتهم * وحاشتهم للسيف حكما محررا
فماحياة تستلذ بفقدهم * واماحمام لاترى فيه مأررا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المروانى فقال

قد بلغ البربر فينا بنا * ماأفسد الاحوال والنضما
كالسهم للطائر لولا الذى * فيه من الريش لماأصمى
قوموا بنا فى شأنهم قومة * تزيل عنا العار والرغما
اما بها تملك أولاترى * ما ترجع الطرف به أعمى

وكان على بن حمود الحسنى واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وبانيها قد أجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصوصب عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحوا ملك بنى أمية واتصل ذلك فى خلفهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بنى أمية وكان المستعين المذكور أديبا بليغا ومن شعره يعارض هرون الرشيد فى قوله *ملك الثلاث الآنسات عنانى* الابيات قوله

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان *
واقارع الاهوال لامتهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظرى * من فوق أغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الهوى * فقضى بسلطان على سلطانى
هذى الهلال وتلك بنت المشترى * حسنا وهذى اخت غصن البان
فأبحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عزملكى كالاسير العانى
لاتعذلوا ملكا تذلل فى الهوى * ذل الهوى عز وملك ثانى
ماضر أنى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى * كلفا بهن فلست من مروان

(وولى) الامر بعده ابن حمود الحسنى تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى أخا المهدى ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلى بن حمود نحو عامين الى أن قتلته صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة فولى مكانه أخوه القاسم وتلقب بالمأمون ونازعه الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ثنتى عشرة وأربعمائة وتلقب المعتلى وفر عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له

بين جزيرة اقريطش الواح المراكب الساج المثقبة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الامواج فى مياه البحار وهذا لايكون الا فى البحر الحبشى لان مراكب البحر الرومى والغربى تسمر بالمسامير ومراكب الحبشى لايثبت فيها الحديد لان ماء البحر يذيب الحديد فتدق المسامير فى الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة وهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وأن البحر مما يلى الصين وبلاد السيلى يدور على بلاد الترك ويفضى الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر يقذف به البحر وهذا من المستنكر فى البحر الرومى الذى لم يعهد فيه فى قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ماذكرناه من الواح مراكب البحر الصينى والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وماقرب منه من عمائر السودان وأقاصى أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية باخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض

لقى بنى ابن عباد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة وملكها ثم لحق المعتلى بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المأمون يعتدها حصنا لنفسه وفيها ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج فحاصرهم فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه اليه وضبطوا البلد واستبد ابن عباد بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيى المعتلى ابن اخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف الى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه ادريس بمالقة الى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين وقيل انه خنق كما يأتى واستقل المعتلى بالامر واعتقل بنى عمه القاسم وكان المستكفى من الامويين استولى على قرطبة فى هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبة المستكفى الاموى سنة ست عشرة وصاروا الى طاعة المعتلى واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله ثم نقضوا سنة سبع عشرة وصرفوا عاملهم وبايعوا المعتلى الاموى أخا المرتضى وبقى المعتلى يردد الحصار عليهم العساكر الى ان اتفقت الكلمة على اسلام الحصون والمدائن له فعلا سلطانه واشتد أمره الى أن هلك سنة تسع وعشرين اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر باشبيلية فاستدعى أصحابه أخاه ادريس بن على من سبتة وملكوه ولقبوه المتأيد وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابى القاسم اسمعيل بن عباد والد المعتضد بن عباد فجاؤه برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة احدى وثلاثين وبويع ابنه يحيى ولم يتم له أمر وبويع حسن المستنصر بن المعتلى وفر يحيى الى قمارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين ويقال انه قتله نجا وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه ادريس ثأرت منه بأخيها وكان ادريس بن يحيى المعتلى معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها فأطاعته غرناطة وقرمونة ولقب العالى وهو الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التى قالها فيه ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا الفنداقى الاشبونى من شعراء الذخيرة وهى

البرق لائح من أندرين * ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت أسيافه عارية * كمخاريق بأيدى اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين * ولقلبى زفرات وانين
وأناجى فى الدجى عاذلتى * ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتنى بسقام وضنى * ان هذين لدين العاشقين
قد بدا لى وضح الصبح المبين * فاسقنيها قبل تكبير الاذين
اسقنيها مرة مشمولة * لبثت فى دنها بضع سنين
ثم المزج على مفرقها * درر اعامت فعادت كالبرين
مع فتيان كرام نجب * يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا * نور الورد به والياسمين
وجلت آياته عامرة * سبج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه * ضمة اللام على عطفة نون

العراق بآخر بلاد ولد ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ابن أبى طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهى بلاد تنس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو الفى ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عامر متصل الى أن تتصل بوادى الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التى فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التى سار اليها موسى بن نصير فى أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك فى كتاب يتداوله الناس وقد قيل أن ذلك فى مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهى الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسى وهو أباضى المذهب وهو الذى انشأ فى ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس فى الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفى هذا الصقع

فترى غصناً على دعص نقا * وترى ليلاً على صبح مبين
وسيسقون إذا ما شربوا * بأباريق وكأس من معين
ومصابيح الدجى قد طفئت * في بقايا من سواد الليل جون
وكأن الطل مسك في الثرى * وكأن الطل در في الغصون
والندى يقطر من نرجسه * كدموع أسكبتهن الجفون
والثريا قد هوت من أفقها * كقضيب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى عن صبحه * كغراب طار عن بيض كنين
وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه إدريس بن يحيى بن علي * بن حمود أمير المؤمنين
ملك ذو هيبة لكنه * خاشع لله رب العالمين
خط بالمسك على أبوابه * ادخلوها بسلام آمنين
فإذا ما رفعت راياته * خفقت بين جناحي جبرئين
وإذا أشكل خطب معضل * صدع الشك بمصباح اليقين
فيساره يسار المعسرين * وبيمناه لواء السابقين
يا بني أحمد يا خير الورى * لأبيكم كان وفد المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبى * في الدجا فوقهم الروح الأمين
خلقوا من ماء عدل وتقى * وجميع الناس من ماء وطين
انظرونا نقتبس من نوركم * إنه من نور رب العالمين

قيل إنه أنشده إياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بني العباس فلما بلغ إلى قوله انظرونا نقتبس من نوركم * إنه من نور رب العالمين أمر حاجبه أن يرفع الحجاب وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له بإحسان جزيل فكان هذا من أنبل ما يحكى عنه وخلع العالي سنة ثمان وثلاثين وولي ابن عمه محمد بن إدريس بن علي ولقب بالمهدي وتوفي سنة أربع وأربعين وبويع إدريس بن يحيى بن إدريس ولقب الموفق ولم يخطب له بالخلافة وزحف العالي إدريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش فدخل عليه مالقة وأطلق أيدي عبيده عليها بحقده عليهم ففر كثير منهم وتوفي العالي سنة ست أو سبع وأربعين وبويع محمد بن إدريس ولقب المستعلي ثم سار إليه باديس بن حيوس سنة تسع وأربعين وأربعمائة فتغلب على مالقة وسار محمد إلى المرية مخلوعاً ثم استدعاه أهل المغرب إلى مليلة وبايعوه سنة ست وخمسين وتوفي سنة ستين وكان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فر من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتصم إلى أن هلك سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق إلى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس مزاحماً لابن عباد وانقرضت دولة الأشراف الحموديين من الأندلس بعد أن كانوا ادعوا الخلافة وأما قرطبة فإن أهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد سبع سنين من ملكهم وزحف

من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة بدعية وفيها معدن كبير من فضة وهو مما يلي الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الإباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الأغلب التميمي وتوليته المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد أفريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره في أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد أفريقية وغيرها إلى أن انتهى الأمر إلى أبي منصور زيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم ابن محمد بن الأغلب بن سالم بن سوادة فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ومسيره إلى الرافقة والرقة وكان هذا المحتسب من مدينة رام هرمز من كور الأهواز ونعود إلى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداج ملك الحيرة من بني نصير النعمانية

اليه القاسم بن حمود فى البر برفهزمهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على رد الامر لبنى أمية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ومن شعره قوله

طال عمر الليل عندى * قد تولعت بصدى
يا غزالا نقض العهـ * ـد ولم يوف بوعد
انسيت العهد اذبتنا * على مفرش ورد
واجتمعنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تحكى * ذهبا فى لازورد

قال الحجارى لو قال لؤلؤا فى لازورد لكان أحسن تشبيها وأنشد متمثلا

اما عصابتك الالى * كما نكاند ما تكابد
هذا أوان غنائك الـ * ـنعمى وانجاز المواعد

وكان حسن بن أبى عبيدة من وزراء المستظهر ولما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب اليه بقوله

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

يشير الى قول الاول

ويقضى الامر حين يغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وعاتبه أيضا بقوله

اذا كان مثلى لا يجازى بصبره * فمن ذا الذى بعدى يجازى على الصبر
وكم مشهد جاريت فيه عدوكم * وأملت فى حربى له راحة الدهر
أخوض الى أعدائكم لجج الوغى * واسرى اليهم حيث لا احد يسرى
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشى * أكول الى الممسى نؤم الى الظهر
فما بال هذا الامر أصبح ضائعا * وأنت أمين الله تحكم فى الامر

وسيأتى ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره وهنالك نذكر تحلية الفتح له ثم ثار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله فبايعه الغوغاء وقتل المستظهر وتلقب بالمستكفى واستقل بأمر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة ولادة ولعلنا نلم ببعض أخبارها ان شاء الله تعالى فيما بعد وكان أبو عبد الرحمن قتله المنصور بن أبى عامر لسعيه فى الخلافة ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعة المستكفى رجع الامر الى المعتلى يحيى بن على بن حمود سنة ست عشرة وخلع أهل قرطبة المستكفى وولى عليهم المعتلى من قبله وفر المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى فرة ثم بدا لاهل قرطبة فخلعوا المعتلى بن حمود سنة سبع عشرة وبايع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود وذلك سنة ثمان عشرة وتلقب المعتمد بالله وأقام مترددا فى الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء

والمنادرة ملك جبال طبرستان كان يدعى ٢٠٤ فارز والجبل معروف به وبولده فى هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج
من ملوك السند فوروزة وهو اسم يلد باسم ملوكهم وقد صارت اليوم فى حيز الاسلام وهى من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التى اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) لدى زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفروزة هذا الذى هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك الهند ومن ملوك السند وجبالها ويدعى ججع وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (بزايد) وهو احد الانهار الخمسة التى منها مهران السند واقندهار ببلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل) ويجتاز ببلاد الدهبوط وهى بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهى تخوم الهند مما يلى بلاد بسينة وعرس ونفس والرخج وبلاد الداوار مما يلى بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير وملك قشمير يعرف بالراى هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وقشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوى ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين ألفا

الطوائف واتفقوا على أن تنزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ونزل آخر
سنة عشرين وأقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة اثنتين وعشرين وفر الى لاردة فهلك بها سنة
ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام
الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي
بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل
أمرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم وأقاموا على
ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف
ابن تاشفين اللمتوني فخلعهم وأخلى منهم الارض فمن أشهرهم بنو عباد ملوك اشبيلية في غرب
الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفي السحرة والقلائد
من أخباره ما هو كاف شاف ومنهم بنو جهور كانوا بقرطبة في صورة الوزارة حتى استولى
عليهم المعتمد بن عباد وأخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب
وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل أمره بغرب الاندلس وعلت يده على من
هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح
بالمرية وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون في مرضاته وكلهم يدارون الطاغية ويتقونه
بالجزى الى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعلقت آمال الاندلس باعانته
وضايقهم الطاغية في طلب الجزية فقتل المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية
للطاغية بسبب كلمة قالها أسفه بها ثم أجاز البحر صريخا الى يوسف بن تاشفين فأجاز
معه البحر والتقوا مع الطاغية في الزلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله
تعالى الاسلام نصرا لا كفاء له حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصارى ثلثمائة
ألف ولم ينج منهم الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين
الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين
رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتثال حتى
اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد ثم أجاز اليهم
وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميع بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس
وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الاندلس في قبضته أسيرا بعد حروب
ونقله الى أغمات قرب مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى ان مات
سنة ثمان وثمانين وسلم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لما زار قبره وللمعتمد
هذا أخبار مأثورة خصوصا مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روى أنها
رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين
فقالت له يا سيدي أشتهي ان أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك
والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا في القصر وجعل لها قربا وحبالا من ابريسم وخرجت
هي وجواريها تخوض في ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة تجري بينهما
ما يجري بين الزوجين فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها

الى سبعين ألفا لاسبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد
لان ذلك في جبال شوامخ
منيعة لاسبيل للرجال
أن يتسلقوا عليها ولا للوحش
أن يلحق بعلوها ولا يلحقها
الا الطير وما الاجبل فيه
أودية وغرة وأشجار
وغياض وأنهار ذات
منعة من شدة الانصباب
والجريان وما ذكرنا من
منعة ذلك البلد مشهور
في أرض خراسان وغيرها
من البلاد وذلك أحد
عجائب الدنيا فأما ملك فوزرة
وهو ملك القنوج فان
مساحة مملكته تكون نحوا
من عشرين ومائه فرسخ
في مثلها فراسخ سندية
الفرسخ ثمانية أميال بهذا
الميل وهو الملك الذي قدمنا
في ذكره فيما سلف أن له
من الجيوش أربعة على
مهاب الرياح الاربع كل
جيش منها سبعمائة ألف
وقيل تسعمائة ألف وقيل
تسعة آلاف ألف فيحارب
بجيش الشمال صاحب
المولتان ومن معه في تلك
الثغور من المسلمين
ويحارب بجيش الجنوب
البلهرا ملك المانكير
وبالجيوش الباقية من
يلقاه في كل وجه من الملوك
ويقال ان مدنه يحيط
في مقدار ما ذكرناه من
المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر

بهذا اليوم اندى أبادفيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله تعالى فاستحييت وسكتت وولى بعده غير من تقدم بنو رزين أصحاب السهلة و بنوا الفهرى أصحاب البونت وتغلب عليهما أخيرا يوسف بن تاشفين * ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا فى البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذى يقال له الاعذار الدنونى وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق والمأمون من بنى ذى النون هو صاحب ذلك وهو الذى عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكان بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو وغلب أيضا على بلنسية وأخذها من يد بنى ابن أبى عامر * وفى أيام حافد المامون وهو القادر بن ذى النون كان الطاغية بن أذفونش قد استفحل أمره لما خلا الجو من مكانة الدولة الخلافية وخف ما كان على كاهله من أصر العرب فاكتسح البسائط وضيق ابن ذى النون حتى أخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ثمانين وسبعين وأربعمائة كما سبق وشرط عليه أن يظاهره على أهل بلنسية فقبل شرطه وتسلمها الفونش ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم زحف على الموالى العامريين مثل خيران وزهير وأشباههما وأخبار الجميع تطول * ومن ملوك الطوائف بالاندلس بنو هود ملوك سرقسطة وما اليها ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وكان المؤتمن قائما على الامور الرياضية وله فيها تآليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر وولى بعده ابنه المستعين أحمد سنة أخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة وكان زحف سنة تسع وثمانين فى آلاف لا تحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصر الها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف وهلك هو شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية اليها وولى ابنه عبد الملك عماد الدولة وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتى عشرة وتولى ابنه سيف الدولة وبالغ فى النكاية بالطاغية ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه * ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله فى مبانيه

قصر السرور ومجلس الذهب * بكما بلغت نهاية الارب

لو لم يحز ملكى خلافكما * كانت لدى كفاية الطلب

ومن مشاهير ملوك بنى الافطس أصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم هو صاحب التأليف المسمى بالمظفرى فى نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهى من غرر القصائد الاندلسية وأزالوا ملوك الطوائف منها وبقيت عمالهم تتردد اليها وبنوهم حتى فشلت ريحهم وهبت ريح الموحدين أعنى عبد المؤمن بن على وبنيه فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم جازوا البحر الى الاندلس وملكوا أكثر بلاد الاندلس وملك بنو مردنيش شرق الاندلس * وملخص ذلك أن الاندلس كان ملكها بجموع لمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة فى العدوة بحرب الموحدين

وجبال ومروج وهو قليل الفيلة من بين الملوك ورسمه الفاقيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل اذا كان فارها ماهرا سائسا صاعا وكان راكبه فارسا وفى خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت بسائر جسده من القرن والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأفناها اذا كان معه خمسمائة رجل كر فى خمسة آلاف فارس ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم فيلتها فى سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤى ابن غالب وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعدد وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصى بلاده بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القمارى الخالص الذى يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر فى الشمع وغير ذلك

اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشئ ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد الرحمن وقتلهم أبرح قتلة واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش * وولى الامر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف وأجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو * وولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن أعظمها غزوة الارك التي تضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد والارك موضع بنواحي بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره وكان عدة من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة وأربعين ألفا وعدة الاسارى ثلاثين ألفا وعدة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة والخيل ثمانين ألفا والبغال مائة ألف والحمير أربعمائة ألف جاء بها الكفار لحمل أثقالهم لانهم لا ابل لهم وأما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجى الفنش ملك النصارى الى طليطلة في أسوأ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة وعاد الى قرطبة فأقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وأمن الناس مدته وفيه يقول بعض شعراء عصره

أهل بأن يسعى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بأمير المؤمنين فلم يجبه الى ما طلبه وكل ذلك في سنة ٥٨٧ ومدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلا فبلغتها * وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدتها أربعون بيتا فأعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيناك لفضلك ولبيتك وكان

من العجائب التي تحمل اليه واذا انزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فيرحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولي الى بلاد المولتان بعد الثلثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه ابن أسد القرشي وكذلك كان دخولي الى بلاد المنصورة في هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم من ولد عمر ابن علي ولد محمد بن علي وبين ملوك المنصورة وبين أبي الشوارب القاضي قرابة ووصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك بهم في وقتنا هذا من ولد هبار ابن الاسود ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي فاذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الروذ من غربيها وهي من أعمال المنصورة تسمى ما هنالك مهران ثم ينقسم قسمين

عنوان الكتاب الذي أرسله صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجرى من أجرى على يده النافلة والفرض وزين سماء الملة بدراري الدراري التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل أمله فيه أن يقطع عنه مادة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هدية حقيرة وأما ابن منقذ فانه أحسن اليه وأغناه لا لاجل صلاح الدين بل لبيته وفضله كما مر وما وقع من يعقوب في صلاح الدين انما هو لاجل انه لم يوفه حقه في الخطاب * (رجع) ولما استفحل أمر الموحدين بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها بينهم ولهم مواقف في جهاد العدو مذكورة وكان صاحب الامر بمراكش يأتي الاندلس للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمة الشنعاء وأجاز ابنه الناصر الوالي بعده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستمائة ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب انه اجتمع معه من أهل الاندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقصاره وأما الاندلس فبطلب العدو عليها لانه لما التاث أمر الموحدين بعد الناصر ابن المنصور انبرى السادة بنواحي الاندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمراكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه في ذلك فمشت رجالات الاندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الاموية وأجمعوا على اخراجهم فثاروا به لحين واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالاندلس وابن مردنيش وثوار آخرون * وقال ابن خلدون ثم خرج على ابن هود في دولته من اعقاب دولة العرب أيضا وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمد هذا بالشيخ فخاذبه الحبل وكانت لكل واحد منهما دولة أورثها بنيه انتهى * وكان ابن هود يخطب للعباسي صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود وأعقابه حروب وخطوب الى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل فصار فيه الفنش والرشلوني فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلم مرسية منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فأوقع به النصارى في طريقه ثم رجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى ان ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين وستمائة وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقي فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود والله وارث الارض ومن عليها (رجع) الى ذكر دولة اولاد الاحمر لان لسان الدين وزير أحدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره وقيل ان لهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف من أبناء الجند ويعرفون ببني نصر وينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين نصر بن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت له وجاهة في ناحيتهم * ولما فشلت ريح

الهندي وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من الملتان الى المنصورة نحو عشرين فرسخا على ما ذكرنا والفرسخ ثمانية أميال وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم الميد وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك الملتان من ثغور السند وما أضيف اليهما من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بني أمية وملك المنصورة فيله حربية وهي ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وانه يحارب الوفا من الخيل على ما ذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والنجدة والاقدام على فل الجيوش كان اسم أحدهما (منغرفلس) والآخر (حيدرة) وللمنغرفلس هذا اخبار عجيبة وأفعال حسنة وهي مشهورة في تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب يبدي الحنين ويظهر

الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس وأعطى السادة حصونهم للطاغيه واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فتصدى الشيخ هذا للثورة عليه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ودعا لابي زكريا صاحب افريقية وأطاعه جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها واستظهر على أمره بقرابته من بني نصر وأصهاره بني اشقيلولة ثم بايع لبني هود سنة احدى وثلاثين عندما بلغوا خطاب الخليفة من بغداد ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين ثم فتك بابن الباجي فقتله وتناول البطش به على بن اشقيلولة ثم راجع أهل اشبيلية بعد شهر دعوة ابن هود واخرج ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين عندما جاءه أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ووصلته بيعتها وبجيان وقدم اليها على بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزوله ثم تغلب على مالقة ثم تناول المرية من يد ابن الرميمي وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهارا على أمره فعضده وأعطاه ابن هود ثلاثين حصنا في كف عربه بسبب ابن الاحمر وليعينه على ملك قرطبة فتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أعادها الله ثم نازل اشبيلية سنة ست وأربعين وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحا وملك أعمالها ثم ملك مرسية سنة خمس وستين ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة كورة وثغرا ثغرا الى أن ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من المغرب الى شرق الاندلس نحو عشر مراحل ثم سخط ابن الاحمر وطمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة آلاف منهم فأجاروا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا ثم تناسلوا اليه بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة وولي بعده ابنه محمد الفقيه وأوصاه باستصراخ بني مرين ملوك المغرب بعد الموحدين ان طرقه أمر أن يعتضد بهم فأجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة ثنتين وسبعين فاجاب صريخه وأرسل ابنه وعساكره معه ثم أجاز على اثره وتسلم الجزيرة الخضراء من ثغر كان بها وخطها ركابا للجهاده ونزل اليه ابن الاحمر عن طريف وسار الى امام الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيم النصرانية دننة وفرق جمعه وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبث سراياه وبعوثه في أرض النصرانية ثم خاف ابن الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصا وثبتت عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين وبعد مدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة وجاءها الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا وكان من خبر هذه الوقعة أن الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له الباب وسجد له وتضرع وطلب منه

ذات يوم من حائرة وهي دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقي الثمانين تتبع لهما فاتى منعر فلس في سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة ففاجأ في مسيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشف عنها أطمارها في وسط الطريق فلما رأى ذلك منعر فلس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجسمه الاثمن من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عادت اليها روحها فاستقام الفيل في طريقه واتبعه الفيلة وللفيلة أخبار عجيبة الحربية منها والعمالة لان منها ما لا يحارب فيجر العجل ويحمل عليه الاثقال ويستعمل في دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر في البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها في بلادها وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج وهي وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك

٢٧ ط ل السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهي دار مملكة البلهرا أكثرها

استئصال ما بقى من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فعلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالمرينى أبى سعيد صاحب فاس وأنفذوا اليه رسلا فلم يجح ذلك الدواء فرجعوا الى أعظم الادوية وهو الالتجاء الى الله تعالى والاخلاص النيات وأقبل الافرنج فى جموع لا تحصى وعدى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهودا وكان السلطان اذ ذاك بالاندلس الغالب بالله أبو الوليد اسمعيل بن الرئيس أبى سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر ورغب أن يحصن البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك طلبوا الى طليطلة وعزموا على استئصال المسلمين وبلادهم وتأهبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات فى المراكب ووصل العدو الى غرناطة وامتلأت الارض بهم فتقدم السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العلم أبى سعيد عثمان بن أبى العلاء المرينى بالخروج الى لقائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين لربيع الاول ولما كان ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم وكان هذا أول النصر ولما كان يوم الاحد ركب الشيخ أبو سعيد لقتال العدو فى خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الافرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم فانهزم الافرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة فجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى فى هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمر البيع فى الاسرى والاسباب والدواب ستة أشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة أنفس وقيل كان عسكر الاسلام نحو ألف وخمسمائة فارس والرجالة نحوا من أربعة آلاف راجل وقيل دون ذلك وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقى معلقا سنوات وطلبت النصارى المهادنة فعقدت لهم وبعد أن ملكوا جبل الفتح الذى كان من أعمال فاس والمغرب وهو جبل طارق لم يزل بأيديهم الى أن ارتجعه أمير المسلمين أبو الحسن المرينى صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين واهتم

مضافة الى البحر الذى بهم عليه وهو لاروى وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ويمر بهذا الساحل أنهر منها نهر يجرى من الجنوب الى الشمال من أنهار العالم وليس فى أنهار العالم ما يجرى من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجرى من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة فى ذلك وما قاله الناس فى هذا المعنى فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس فى ملوك السند والهند من يعز المسلمين فى مملكته الا البلهرا فالاسلام فى مملكته عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون أنه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم وله دراهم طاطرية وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف

ببنائه وتحصينه وأنفق عليه اجمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامعه ودوره ومحاريبه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو براً وبحراً فصبر لملك المسلمين وخيب الله سعى الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بجموعه احاطة الهالة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان أبو عنان ولما اجاز السلطان أبو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع عليه ابن الاحمر وقاتلهم الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيض الله من بنى الاحمر الغنى بالله محمد الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملة بلاد كجيان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتدت مملكته حتى حادوا سلاطين فاس مما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما ستقف عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين رحمه الله فى مواضع من هذا الكتاب وسعد هذا الغنى بالله من العجائب وبقى ملك الاندلس فى عقبه الى أن اخذ ما بقى من الاندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للاسلام كما نبين ذلك ان شاء الله وخلت جزيرة الاندلس من اهل الاسلام فأبدلت من النور بالظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والاحكام والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال ابن خلدون واتفق بنو الاحمر سلاطين غرناطة ان يجعلوا مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم أول من ولى الاندلس عند استيلاء بنى عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة فمنها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء لتستدل عند ذلك على ما ذكرناه بحمد الله تعالى هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال والكماة واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام صاحب الكتائب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعاد واسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار مصادما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره فى الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طى أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده اتحفه الله تعالى رحمة من عنده

من احدى جهات مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الاصاحب اقليم بابل وهو الاقليم الرابع وذلك ان هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الميرة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه معادن الذهب والفضة ومبايعاتهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطافى موادع لمن حوله من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الخلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل البحر يتنافسون فى شرائهن يعرفن بالطافيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة لملوكهم وهو الاعم من أسمائهم ويقاتلهم ملك الخزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى يحارب البلهرا أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن ملك الطافى واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حروبه الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثرمن الناس يغلو بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره

تخبرت الاحداث فى الذى بحجه من عام ثلاثين وسبعمائه انتهى * ومنها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب رحمه الله فى تولية على بن بدر الدين مشيخة الغزاة ونصه هذا شيخ الغزاة الذى فتح على الاسلام أبواب السراء وراق طرازا مذهبا على عاتق الدولة الغراء واعمل عوامل الجهاد فى طاعة رب العباد شارعة لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاعراء أمر به فلان صدر صدور اوداثه وحسامه المشهور على اعدائه ووليه الذى خبر صدق وفائه وجلى فى مضمار الخلوص له مغيرا فى وجوه اكفائه شيخ شيوخ المجاهدين وقائد كتائبه المنصورة الى غزو الكافرين والمعتدين وعترته التى يدافع بها عن الدين وسابق وده المبرور فى الميادين الشيخ الاجل الى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله والله ولى التوفيق

(الباب الرابع)

فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموى ذى البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرة الملك الناصرية الناصرة والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة *قال ابن سعيد رحمه الله مملكة قرطبة فى الاقليم الرابع وبابته للشمس وفى هذه المملكة معدن الفضة الخالصة فى قرية كرتش ومعدن الزئبق والزنجفر فى بلد بسطائسة ولاجزائها خواص من كورة فى متفرقاتها وأرضها أرض كريمة النبات انتهى وقدم رحمه الله فى المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الاندلس وقال انما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسية لكون سلاطين الاندلس الاول اتخذوها سرير السلطنة الاندلس ولم يعدلوا عن حضرتها ثم سلاطين بنى أمية وخلفاؤهم ولم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلبوا منها فى ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتخذوها لهذا الشان لما رأوها لذلك أهلا وقرطبة أعظم علماء وأكثر فضلا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة المذهبة فى حلى ممالك قرطبة بالنظر الى الكور الى أحد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلى الذهبية فى حلى الكورة القرطبية الكتاب الثانى كتاب الدرر المصونة فى حلى كورة بلكونة الكتاب الثالث كتاب محادثة السير فى حلى كورة القصير الكتاب الرابع كتاب الوشى المصوّر فى حلى كورة المدوّر الكتاب الخامس كتاب نيل المراد فى حلى كورة مراد الكتاب السادس كتاب المزنة فى حلى كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدر النافق فى حلى كورة غافق الكتاب الثامن كتاب النفحة الارجة فى حلى كورة استجة الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدرية فى حلى الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة المحبة فى حلى كورة استبة الكتاب الحادى عشر كتاب الوسانة فى حلى كورة البسانة انتهى قال رحمه الله تعالى ان العمارة اتصلت فى مبانى قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشى فيها بضوء السرج الممتدة عشرة أميال حسبما ذكره الشقندى فى رسالته ثم قال ولكل

من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمى تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست لغيره وتفود فيه ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذى يتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة فوق الخدم على رؤس الملوك فى مجالسها وفى بلده الحيوان المعروف بالنسيان المعلم وهو الذى تسميه العوام الكركدن وله فى مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل فى الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس فى أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل فى قوائمه ولا يبرك فى نوم انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من فى بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بارض السند والهند كثيرة وهذا النوع من النسيان يكون فى أكثر غابات الهند الا أنه فى مملكة رهمى أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفى وسطه صورة سوداء فى ذلك البياض اما صورة

مدينة

مدينة من مدن قرطبة وأعمالها ذكر مختص به ثم ذكر المسافات التي بين عمالات قرطبة المذكورة فقال بين المدور وقرطبة ستة عشر ميلا وبين قرطبة وبر ادخسة وعشرون ميلا وبين قرطبة والقصير ثمانية عشر ميلا وبين قرطبة وغافق مرحلتان وبين قرطبة واستجة ستة وثلاثون ميلا وبين قرطبة وملكونة مرحلتان وبين قرطبة وابانة أربعون ميلا وبين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلا وبين قرطبة وبيانة مرحلتان وبين قرطبة واستجة ثلاثون ميلا وكورة رندة كانت في القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهي أقرب وأدخل في المملكة الاشبيلية انتهى (ثم قسم رحمه الله كتاب الحلل الذهبية في حلى الكورة القرطبية الى خمسة كتب)* الكتاب الاول كتاب النعم المطربة في حلى حضرة قرطبة الكتاب الثاني كتاب الصبحة الغراء في حلى حضرة الزهراء الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة في حلى حضرة الزاهرة الكتاب الرابع كتاب الوردة في حلى مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب الجرعة السيغة في حلى كورة رزينة قال رحمه الله تعالى في كتاب النعم المطربة في حلى حضرة قرطبة ان حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفي اصطلاح الكتاب ان العروس الكاملة الزينة مختصة وهي مختصة بما يعلق بذكر المدينة في نفسها وتاجها وهو مختص بالابالة السلطانية وسلكها وهو مختص بأصحاب درر الكلام من النثار والنظام وحلتها وهي مختصة بأعلام العلماء المصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم وأهدابها وهي مختصة بأصحاب فنون الهزل وما يحو منحاه انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تعددت منه الاجزاء وقد لخصت منه هنا بعض ما ذكر ثم أردفته بكلام غيره فأقول قال في كتاب اخبار قرطبة بالتاء المعجمة ومعناه أجرسا كنها اي عربت بالطاء ثم قال ودور مدينة قرطبة ثلاثون ألف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التي دار السور عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف ألف وسبعمائة ذراع واتصلت العمارة بها أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال أربعة وعشرون في الطول والعرض ستة وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الاسلامي الى سنة أربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها في ثاني وعشري شوال سنة ستمائة وثلاث وعشرين ثم قال هذا القائل ودور قرطبة المسورة دون الارباض ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ودور قصر امارتها ألف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد أرباضها احد وعشرون في كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القالس منهم على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال بلدهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة أيام ابن أبي عامر الى ثلاثة آلاف ألف دينار بالانصاف

انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته في نفسه أو صورة ٢١٣ غيرتم من الحيوان مما يوجد في تلك الاحجار ينشر هذا القرن ويعمل منه المناطق والسيور على صور الحلية من الذهب والفضة يتلبسها ملوك الصين ووجوهها يتنافسون في لبسها ويغالون في أثمانها حتى يبلغ ثمن المنطقة ألفي دينار الى أربعة آلاف دينار فيجعلونها في الذهب وتكون في نهاية الحسن والاتقان وربما ترصع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب ووجوه تلك الصور ملتئمة سواد في بياض وربما يوجد في قرونه بياض في سواد وليس في كل بلد يوجد في قرون الكركدن ما ذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها وهذا القول أورده في كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثني هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار فكل يتعجب من قولي اذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه ويخبرونني أن حمله ووضعه كالبقر والجواميس ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقله أو مخبر خبره

ودر كر في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا فالله أعلم وما أحسن قول بعضهم

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين

فما على الارض قط مثل قرطبة * وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

(قرطبة) قصبة قاعدة الاندلس ودار الملك التي يجبى لها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية واسطة بين الكور موفية على النهر زاهرة مشرقة أحدقت بها المنى بحسن مرآها ومنابتها وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب أما قرطبة فانها لفظ يحوالى لفظ اليونانيين وتأويله القلوب المشككة وقال ابو عبيد البكري انها في لغة القوط بالطاء المعجمة وقال الحجاري الضبط فيها باهمال الطاء وضمها وقد يكسرها المشرقيون في الضبط كما يجمعها آخرون انتهى (وقال بعض العلماء) أما قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها وقطب الاعظم وأم مدائنها ومساكنها ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومستقر السنة والجماعة نزلها جماعة من التابعين وتابع التابعين ويقال نزلها بعض الصحابة وفيه كلام * وهي مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب وبها الحرث العظيم الذي ليس له في بلاد الاندلس نظير ولا أعظم منه بركة * وقال الرازي قرطبة أم المدائن وسرة الاندلس وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها أعظم أنهار الاندلس وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنعة والاحكام والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام أكبر منه * وقال بعضهم هي أعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة أهل وسعة محل وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم من أهلها انها كاحد جانبي بغداد وان لم تكن كاحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها وأكثر أبواب القصر السلطاني من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه بائنة عن مساكن ارباضها ظاهرة ودرت بها في غير يوم في قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا * وقال وكانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع علماء الانام الاعلام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ولم تبرح ساحاتها مجر عوالي ومجرى سوابق ومحط معالي وحمى حقائق وهي من بلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده فلا يزال مسرحا وهو من تردد النظر طليح * وقال الحجاري حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة وهي كانت الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة أولي الفضل والتقى ووطن اولي العلم والنهى وقلب الاقاليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر

بعد ذلك في مملكته بر الاكراد لهم حيل وابل وخيل وجمال وحسن وجمال الرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك الهند ويم واد مرو بحر وهو على ... البرني البحر ... كثير وفي بلده فيل ... وهو ... كثيرة ... دو ... وبحر وبحره أكثر ... ثم يلي ... المرجه ... بيض دور حسن وجانبه ... الاذان ... كثيرة وعدد منيعة والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ... فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الامة تشبه بأهل الصين في ... وبلادهم منيعة ... لا يعلم بأرض السند والهند ولا في ... من هذه الممالك ... أطول ... ولا أمنع ومساكنهم موصوف مصاف في بلدهم يتعارفه البحريون ممن عني بحمل ذلك وتجهيزه وهو المسك المعروف بالمرجهي ثم يلي ملك الموجه مملكة المابد ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان في عمالات بلدانهم من

المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم

وفرسان

فرسان النظم والنثر وبها أنشئت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقهم القرطبى لم يشتمل قط الا على البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى * (وقال على بن سعيد) أخبرنى والدى أن السلطان الاعظم أبا يعقوب بن عبد المؤمن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك فى قرطبة قال فقلت له ما كان لى أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتسعة والمبانى الفخمة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج النضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها * قال فقلت ما أبقى لى أمير المؤمنين ما أقول * ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدى فى شأنها هى من أحسن بلاد الاندلس مبانى وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهرا وباطنا وتفضل اشبيلية بسلامتها فى فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سمة العلم وارثة فيهم الا أن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشنيعا وتشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد أبا يحيى بن يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدت أهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان أثقلته به صاح ما ندرى أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنتجنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندى ولاية وانى ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين * (قال والدى) ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم أهلها لجامعها الاعظم وكسر أوانى الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها والتستر بأنواع المنكرات والتفاخر باصالة البيت وبالجندية وبالعلم وهى أكثر بلاد الاندلس كتبا وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لأن يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به * (قال الحضرمى) أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد فى ثمنه فيرجع الى المنادى بالزيادة على الى أن بلغ فوق حده فقلت له يا هذا أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوى قال فأرانى شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده قال فقال لى لست بفقيه ولا أدرى ما فيه ولكنى أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين أعيان البلد وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمى فأحرجنى وحملنى على أن قلت له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطى الجوز من لا له أسنان وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب واطلب

والماند مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والماند ذوو عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك الماند مملكة الصين يخبرون ملك الصين بهم ويتحرزون ينتشرون فى بلادهم خوفا أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم (٢) الماند فى نفوسهم ولمن ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون فى اظهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم ان حبسها داء يؤذى وان ارسالها شفاء يشفى وان فى ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه دواء للسقم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا الخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة

الاستمتاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلته ما بيدي بيني وبينه * (قال ابن سعيد) وجرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه ما أدري ما تقول غير أنه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت الى اشبيلية * (وسئل ابن بشكوال) عن قصر قرطبة فقال هو قصر أولي تداولته ملوك الامم من لدن عهد موسى النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه من المباني الاولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها في قصرها البدائع الحسان وأثروا فيه الآثار العجيبة والرياض الانيقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وتمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها الى القصر الكريم وأجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها الى المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه الى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا القصر القصاب العالية السمو المنيفة العلو التي لم ير الراؤن مثلها في مشارق الارض ومغاربها * (قال) ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع (قال) ومن أبوابه التي فتحها الله لنصر المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له في الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد أثبتت في قواعدها وقد صورت صورة انسان فتحت فيه وهي حلق باب مدينة أربونة من بلد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلي أيضا وهو المعروف بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضي يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادي وله باب بشماليه يعرف بباب قورية وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدد أبوابا بعد هذا طمست أيام فتنة المهدي بن عبد الجبار * (وذكر ابن بشكوال رحمه الله) أن أبواب قرطبة سبعة أبواب باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادي وبباب جزيرة الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة أرصفة التي تشق دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة سائرة في الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو أيضا باب ليون ثم باب عامر القرشي وقدامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الحديد ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى وذكر أيضا أن عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسع والعمارة احد وعشرون ربضا منها القبلية بعدوة النهر ربض شقندة وربض منية عجب وأما الغربية فتسعة ربض حوانيت

قولي في ذلك في كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ما ذكر في الارجوزة المعروفة بذات الحلل وهي قصيدة ذو العلم الفصيح الهندي مقالة يذكر بها عندي لا تحبس الفضول المحصورة داخلها واقذفها ما استفرغت من أدواء الانسان كما والروح والراحة في اخراجها والقيء في السعال والاخلاط والنشوء في اسهال لا اضرار اما الحشا ففساد صاعد وتمنه على الفساد زائد وأن الريح والسدد في الجوف دائما تختلف أسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب نحو العلو يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يسمى الصفعة واللطمة لا أن اللطمة في الوجه والصفعة في مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق اذا كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض بحبس الداء في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر

الريحانى وربض الرقاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد الشفاء وربض حمام الالبيرى وربض مسجد السرور وربض مسجد الروضة وربض السجن القديم وأما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد أم سلمة وربض الرصافة وأما الشرقية فسبعة ربض سبلار وربض فرن بربل وربض البرج وربض منية عبد الله وربض منية المغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال وبوسط هذه الارباض قصبة قرطبة التى تختص بالسور دونها وكانت هذه الارباض بدون سور فلما كانت أيام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع * (وذكر ابن غالب) انه كان دور هذا الحائط أربعة وعشرين ميلا وشقندة معدودة فى المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة * (قال ابن سعيد) فى المغرب ولنذكر الآن من متنزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة فى الالسن نظما ونثرا ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل فى غير المشهور منها والاهم ونوشى ذلك بجميع ما يحضرنى من مختار النظم فى قرطبة وما يحتوى عليه نطاقها المذكور فأوّل ما نذكر من المتنزهات متنزهات الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة فنقول كان هذا القصر مما ابتناه عبد الرحمن ابن معاوية فى أوّل ايامه لتنزهه وسكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التى اتخذها بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا ودحا جنانا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة حتى نمت بيمن الجدّ وحسن التربية فى المدة القريبة أشجارا معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بارض الاندلس فاعترف بفضلها على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بارض الشام الاثيرة لديه ولميله فى اختيار هذه وكلفه بها وكثرة تردده عليها وسكناها أكثر أوقاته بها طار لها الذكر فى أيامه واتصل من بعده فى ايثارها قال وكلهم فضلها وزاد فى عمارتها وانبرى أوصاف الشعراء لها فتنازعوا فى ذلك فيما هو الى الآن مشهور مأثور عنهم مستعاد منهم * وقال ابن سعيد والرمان السفرى الذى فاض على أرجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيان شأنه وأفرد له فصلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ودقة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام فى توصيل اخته منها الى الاندلس قد جلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان فيمن حضره منهم سفر ابن زيد الكلاعى من جند الاردن ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدى الخلفاء من بنى أمية فاعطاه من ذلك الرمان جزأ فراقه حسنه وخبره فسار به الى قرية بكورة رية فعالج عجمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجره أثمر وأينع فنزع الى عرقه وأغرب فى حسنه فجاء به عما قليل الى عبد الرحمن فاذا هو أشبه شئ بذلك الرصافى فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همته وشكر صنعه وأجزل صلته واغترس منه بمنية الرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوعه واستوسع الناس فى غراسه ولزمه النسب اليه فصار

ما يعرض ويثور من الادواء فى أجوافها وعدم احتباسها فى وعائها وأن الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورث وسقراط ورواحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرون حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته ويؤل اليه من متعقباته وان ذلك يجده فى نفسه كل ذى حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك فى عاداتهم (قال المسعودى) وقد أتينا على أخبارهم وما احكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قمار وما جرى لملك قمار مع المهراج وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندرى وهى بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الزانج وغيرها وكل ملك يملك بلاد مندرى يسمى القاندى وسنأتى بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين

(ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم)

أما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفي هذا الجبل اثنان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى انوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا في أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهي ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعي ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من أنواع الكفار وجبل الفتح يكون في المسافة علوا وطولا وعرضا واتخذوه

يعرف الى الآن بالرمان السفري قال وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر في أبيات كتب بها الى بعض من أهداه له فقال

وناهـدة صدر أجمرا * أتتك وقد ملئت جوهرا
كانك فاتح حق لطيف * تضمن مرجانه الاحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب * رضابا اذا شئت أومنظرا
وللسفر تعزى وما سافرت * فتشكو النوى أو تقاسي السرى
بلى فارقت أيكها ناعما * رطيبا وأغصانها نضرا
وجاءتك معتاضة اذ أتتك * با كرم من عودها عنصرا
بعود ترى فيه ماء الندى * ويورق من قبل أن يثمرا
هدية من لو غدت نفسه * هدية ظنه قصرا

(وقال ابن سعيد) وأخبرني والدي قال أخبرني الوشاح المبرزا لحسن أبو الحسن المريني قال بينما أنا أشرب مع ندماني بازاء الرصافة اذ بانسان رث الهيئة محقوق الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ماهذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة فقال لا تعجلوا على ثم فكر قليلا ورفع رأسه فانشدنا

اسقنيها ازاء قصر الرصافه * واعتبر في ما آل أمر الخلافه
وانظر الافق كيف بدل أرضا * كي يطيل اللبيب فيه اعترافه
ويرى أن كل ماهو فيه * من نعيم وعز أمر سخافه
كل شئ رأيته غير شئ * ماخلا لذة الهوى والسلافه

قال المريني فقبلت رأسه وقلت له بالله من تكون فقال قاسم بن عبود الرياحي الذي يزعم الناس انه موسوس أحمق قال فقلت له ماهذا شعر أحمق وان العقلاء لتعجز عنه فبالله الا ماتممت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك ومناشدة طرف أشعارك فنادم وأنشد ومازلنا معه في طيبة عيش الى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ويقول اللهم غفرا انتهى (قال) ومن قصور خارج قرطبة قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس ونسل للسيد كيف تانقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقي في رؤسهم من الخلافة المروانية فاحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر اذكر به على رغمهم * قال ابن سعيد وأخبرني والدي أن ناهض بن ادريس شاعر وادي آش في عصره أنشد لنفسه في هذا القصر

ألا حبذا القصر الذي ارتفعت به * على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذي انف الثرى * و رفعه عن لثمه المجد والناس
فأركب متن النهر عزا ورفعة * وفي موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمور الجناب وبابه * يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

وقال الفتح في قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى في اتقانه الى غير أمد وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه

واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم وحكوا به قصرهم بالشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندى * عنبر أشهب ومسك أحم

وهى منسوبة للحاجب ابى عثمان جعفر بن عثمان المصحفى *وذكر الحجارى فى المسهب أن الرئيس أبابكر محمد بن أحمد بن جعفر المصحفى اجتاز بالمنية المصحفية التى كانت لجده أيام حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل اليه حال جده مع المنصور بن أبى عامر واستيلائه على ملكه وأملاكه فقال

قف قليلا بالمصحفية واندب * مقلة أصبحت بلا انسان
واسألنها عن جعفر وسطاه * ونداه فى سالف الازمان
جعفر مثل جعفر حكم الدهـر عليه بعزة وهوان
والكم حذر الردى فصمنا * لا أمان لصاحب السلطان
بينما يعتلى غدا خافضا منـه اكتئاب ككفة الميزان

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير ابن عم المأثم ملك قرطبة (قال ابن سعيد) أخبرنى والدى عن أبيه قال خرج معى الى هذه المنيه فى زمان فتح النوار ابو بكر بن بقى الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز قد نورت فقال ابن بقى

سطر من اللوز فى البستان قابلنى * مازاد شئ على شئ ولا انتقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا

ثم قال شعرا منه

عجبت لمن ابقى على خردنه * غداة رأى لون الحديقة نورا

ولا اذكر بقية الابيات قال جدى ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة فذكرته باجتماعه فى منية الزبير فتنهد وفكر ساعة وقال اكتبوا عنى فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام فى * ذراه مسيل النهر ماغنت الورق
فكائن لنا من نعمة فى جنابه * كبرته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهى على كل موضع * أماظله ضاف أماماؤه دفق
أهيم به فى حالة القرب والنوى * وحق له منى التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده * بقلبى ماغيبت عن وجهه خفق

قال فقلت له جمع الله بينك و بينه على الحالة التى تشتهى قال ذلك لك قلت وكيف ذلك قال تدفع لى هذا السيف الذى تقلدت به أتزود به اليه وأنفق الباقى فيه على ماتعلم قال فقلت له هذا السيف شرفنى به السلطان أبو زكريا ابن غانية ومالعطائه سبيل ولكن اعطيك قيمته فخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره فى عينه فنيز يدفى قيمته ثم قبض ماقدر به وأنشد ارتجالا

يلى الباب والابواب على ماذكرناومن شعابه مايلى بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذى ينتهى اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهى مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق فى السنة يأتى اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والارمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور فى البر والبحر والجبل أسكن هناك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان فمن رتب أنوشروان من الملوك فى بعض هذه البقاع والمواضع ممايلى الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل ملك يلى هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رسمها له

أنوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور

أطال الله عمر فتى سعيد * وبقاه ورقته السعود
غدا الى جوده سببا لعودى * الى وطنى فها أنا ذا أعود
وألثم كفه شكرا ويتلو * طريفى آى نعماه النشيد
حبانى من ذخائره بسيف * به لم يبق للاحزان جيد

والقصر الفارسى من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير أبو الوليد ابن زيدون فى قصيد ضمنه من متنزهات قرطبة ما تقف عليه وكان قد فر من قرطبة أيام بنى جهور وحضره فى فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الانسية مع ولادة التى كان يهواها ويتغزل فيها فقال

خليلى لافطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

وستأتى هذه القصيدة فى هذا الباب كما ستأتى قصيدة أبى القاسم بن هشام القرطبى التى أولها * ياهبة باكرت من نحو دارين * وفيها كثير من متنزهات قرطبة * قال ابن سعيد كان والدى كثيرا ما يأمرنى بقراءتها عليه ويقول والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل قال وكان أبو يحيى الحضرمى يحفظها ويزين بها مجالسه ويحلف أن لا ينشدها بحضر جاهل لا يفهم وحاسد لا ينصف فى الاهتزاز لها وانه لجدير بذلك وانها لمن كنوز الادب ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز اخبرنى والدى انه حضر فى زمان الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى والمسن ابن دويدة المشهور بخفة الروح قال فسبحت أمامنا أوز وجعلت تمرح وتنشر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد أحدق به الوادى والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لى أبو الحسين بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا أصفه أو تصفه أنت ولا بد من ذلك فافكر كل منا على انفراد بعدما ذكرنا ما نصف نثرا فقال أبو الحسين الوقشى

لله يوم بمرج الخز طاب لنا * فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللاوز على أرجائه لعب * اذا جرت بددت ما بيننا الدرر
والشمس تجنح نحو البين مائلة * كأن عاشقها فى الغرب ينتظر
والكاس جائلة باللب حائرة * وكلنا غفلات الدهر يبتدر

قال فقلت

الا حبذا يوم ظفرنا بطيبه * بأكناف مرج الخز والنهر يبسم
وقد مرحت فيه الاوز وأرسلت * على سندس درا به يتنظم
ومديه للشمس فهو كأنه * لثام لها ملقى من النور معصم
ادرنا عليها كؤسا بعثت به * من الانس ميتا عاد وهو يكلم
غدونا اليه صامتين سكينة * فرحنا وكل بالهوى يترنم

فأظهر كل منا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطا وتتميما للمسرة ثم قلنا للمسن ما عندك أنت تعارض به هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقة فرفعت منها أرجاؤه فقال له أبو الحسين ما هذا يا شيخ السوء فقال الطلاق يلزمه ان لم تكن أوزن من شعركما وأطيب رائحة

لاخلاف فى نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور وكذلك صاحب خراسان فى هذا الوقت المؤرخ من ولد اسمعيل بن أحمد واسمعيل من ولد بهرام جور لاخلاف فيه اذ كرنا من شهرة انساب من ذكرنا وقد غلب محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك ابن هشام وكان رجلا من الانصار وكان عبد بابرة الباب والابواب وقد كانوا تصيروا اليها بعد دخولها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل الفتح يقال لها الاران وملكها يدعى الاران شاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموفانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لاتحصى كثرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار طريفة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب ويحتاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره واحجاره وغلب هذا الرجل المعروف

واغن صوتا واطرب معنى فضحكنا منه أشد ضحك وجعلنا نهتز غاية الاهتزاز لموقع نادرته فقال والدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر مما طربتم من شعركم * ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس أخبرني والدي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبج بالنوار فلما حركنا حسن المكان وتشوقنا الى الاركان قال الشريف لقد ذكرني هذا البسيط بسيط فحص السرادق فقلت له فهل ثار في خاطرك نظم فيه قال نعم ثم أنشد

ألا فدعوا ذكر العذيب وبارق * ولا تسأموا من ذكر فحص السرادق
مجر ذيول السكر من كل مترف * ومجرى الكؤوس المترعات السوابق
قصرت عليه اللحظ مادمت حاضرا * وفكري في غيب لمرآه شائق
أيا طيب أيام تقضت بروضة * على لمع غدران وشم حدائق
اذا غردت فيها حمائم دوحها * تخيلتها الكتاب بين المهارق
ومابا ختيار الطرف فارقت حسنها * ولكن بكيد من زمان منافق

قال أبو جعفر لما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار وحركني ذلك الى أن قلت في حور مؤمل سيد منتزهات غرناطة ولم يذكرها ما قاله فيه وذكره في موضع آخر لم يحضرني الآن حتى أورده هنا والله أعلم ومن منتزهات قرطبة السد قال ابن سعيد أخبرني والدي ان الشاعر المبرز أبا شهاب المالقي أنشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد

ويوم لنا بالسد لو رد عيشه * بعيشة أيام الزمان رددناه
بكرنا والشمس في خدر شرقها * الى أن اجابت اذ دعا الغرب دعواه
قطعناه شدوا واغتباقا ونشوة * ورجع حديث لو رقى الميت أحياه
على مثله من منزه تبتغى المنى * فلله ما احلى وابدع مرآه
شدتنا به الارحاء وألقت نثارها * علينا فأصغينا له وقبلناه
لئن بان أنا بالانين لفقده * وبالدمع في اثر الفراق حكيناه

وأنشدني والدي موشحة لابي الحسن المريني معاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السد وهي

(مطلع)

في نغمة العود والسلافه * والروض والنهر والنديم
اطال من لامني خلافه * فظل في نحسه مليم

(دور)

دعني على منهج التصابي * ماقام لي العذر بالشباب
ولا تطل في المنى عتابي * فلست اصغي الى عتاب
لاترج ردي الى جواب * والكاس تفتر عن حباب
والغصن يبدي لنا انعطافه * اذا هفا فوقه النسيم
والروض أهدى لنا قطافه * واختال في برده الرقيم

محمد بن يزيد الى مملكته منها خراسان شاه وإيران شاه ومنذ كر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الاران هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلي مملكة شروان في جبل القبق مملكة طبرستان وملكها في هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب وهي أول الامم المتصلة بالباب والابواب ويسادي أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة في جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في بدء الزمان افتتحها سليمان ابن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب في بحر مانطش وهذه المدينة جانبان وفي وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسطها هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة

(دور)

ياحبذا عهدي القديم * ومن به همت مسعدي
ريم عن الوصل لا يريم * مولع بالتودد
ماتم الا به النعيم * طوعا على رغم حسدي
معتدل القد ذو نحافه * اسقمني طرفه السقيم
ورام طرفي به انتصافه * نخد في خده الكليم

(دور)

غصن الصبا عاطر المقبل * أحلى من الامن والامل
ظامي الحشا مفعم المخلخل * حلو اللمى ساحر المقل
لكل من رامه توصل * لم يخش ردا بما فعل
اشكو فيبدي لي اعترافه * ان حاد عن نهجه القويم
لا أعدم الدهر فيه رافه * فحق لي فيه أن أهيم

(دور)

لله عصرلنا تقضى * بالسد والمنبر البهيج
أرى ادكاري اليه فرضا * وشوقه دائما يهيج
فكم خلعنا عليه غمضا * وللصبا مسرح أريج
وردأطال المنى ارتشافه * حتى انقضى شربه الكريم
لله ما أسرع انحرافه * وهكذا الدهر لا يديم

(دور)

يامن يحث المطي غربا * عرج على حضرة الملوك
وانثر بها ان سفحت غربا * من مدمع عاطل سلوك
واسمع الى من أقام صبا * واحلك صداه لا فض فوك
بلغ سلامي قصر الرصافه * وذكره عهدي القديم
وحي عني دار الخلافه * وقف بها وقفة الغريم

قال ابن سعيد والمنبر المذكور في هذه الموشحة من منتزهات قرطبة والسد هو الارحاء التي ذكرها في زجله قاسم بن عبود الرياحي روينه عن والدي عن قائله وهو

(مطلع)

بالله أي نصيب * من ليس لي فيه نصيب
محبوبا مخالف * ومعو رقيب

(دور)

حين نقصد مكانو * يقم في المقام
و يبخل علينا * برد السلام
أدخلت يا قلبي * روحك في زحام

الخزر في خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان في ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم وهو أرمنوس ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرض الخزر على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم في احدى جانبي هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودواب ميتهم وآلاته والحلي واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفا الا أن الهند

سلامتك عندى * هى شئ عجيب
وكيف بالله يسلم * من هو فى لهيب

(دور)

با لله يا حبيبى * اترك ذا النفار
واعمد أن نطيب * فى هذا النهار
واخرج معى للوادى * لشرب العقار
تتمم نهارنا * فى لذة وطيب
فى الا رحا و الا * فى المرج الخصيب

(دور)

أو عند النواعير * والروض الشريق
أو قصر الرصافه * أو وادى العقيق
حق والله دونك * هو عندى الحريق
وفى حبك امسيت * فى أهلى غريب
وما الموت عندى * الا حين تغيب

(دور)

اتكل على الله * و كن فظ جسور
وان ريت فضولى * فقل أى غرور
كش عنى وجهك * فان رآك نفور
يهرب عنك خائف * ويبقى مريب
وامش انت موقر * كانك خطيب

(دور)

ما اعجب حديثى * ايش هذا الجنون
نطلب وندبر * امرا لا يكون
وكم ذا نهون * شيأ لا يهون
وايش مقدار ما نصبر * لبعد الحبيب
رب اجمعنى معو * عاجلا قريب

قال ابن سعيد وأما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها فى نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازى قرطبة قال ونهرها الساكن فى جريه اللين فى انصبابه الذى تؤمن مغبة ضرره فى جله وقال هذا الا انه يعظم عند اشبيلية فاذا حان جله فى ايام الامطار أشفقت اشبيلية على الغرق وتوقع اهلها الهلاك والقنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها اقواسها سبعة عشرة قوسا وبانيها على ما ذكره ابن حيان وغيره السمح بن مالك الخولانى صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد

ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة والغالب فى هذا البلد المسلمون لأنهم جند الملك وهم يعرفون فى هذا البلاد باللارسية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو باس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه وأقاموا فى بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت نحو سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهى قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل

العز برضى الله عنه وشيدها بنو أمية بعد ذلك وحسنوها اول ابن حيان وقيل انه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنة أثرت فيها الزمن بمكابدة المد حتى سقطت حناياها ومحيت أعاليها وبقيت أرجلها وأسافلها وعليها بنى السمح فى سنة احدى ومائة انتهى وقال فى مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى أعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى وطولها ثمانمائة ذراع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حناياها ثمان عشرة حنية وعدد أبراجها تسعة عشر برجا انتهى *(رجع الى قرطبة)* ذكر ابن حيان والرازى والحجارى أن التنبان ثانى قياصرة الروم الذى ملك أكثر الدنيا وصفع نهر رومية بالصفر فأرخت الروم من ذلك العهد وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة أمر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت فى مدته قرطبة واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجارى بأن التنبان المذكور وجه أربعة من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى ولاه عليها وسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت أسماء لاولئك الملوك وغير الحجارى جعل أن هذه المدن مشتقة مما تقتضيه اوضاعها كما مر وذكروا انه قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الاندلس الى أن اخذها منهم المسلمون ولم تكن فى الجاهلية سرير السلطنة الاندلس بل كرسيا لخاص مملكتها وسعدت فى الاسلام فصارت سرير السلطنة العظمى الشاملة وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعا لها بعدما كان الامر بالعكس والله يفعل ما يشاء بيده الملك والتدبير وهو على كل شئ قدير لا اله الا هو العلى الكبير وقال صاحب نشق الازهار عندما تعرض لذكر قرطبة هى مدينة مشهورة دار خلافة واهلها أعيان ناس فى العلم والفضل وبها جامع ليس فى الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب فى سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها فى دخولهم مع سليمان المستعين الاموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمان على بن حمود من بنى على بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم أجمعين وجده ادريس هرب من هرون الرشيد الى البربر فقبر بروله وبنى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على أن دولة بنى امية تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من اكبر أمرائهم على بن حمود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطرى يحدثنى أن هذا الرجل يقتلنى يعنى سليمان فان فعل فخذ بثارى وكان هذا الامر هو الذى قوى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد أحد من اخذ بثاره بعد موته وتولى بعد ذلك على بن حمود وبويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قتل فيه سليمان المستعين واخذ الناس بالارهاب والسطوة واذل رؤس البربر وبرقت للعدل فى ايامه بارقة خلب لم تكد

نعضام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ماتوجبه شريعة الاسلام وليس فى ملوك الشرق فى هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسم هؤلاء القوم الارسية والروس والصقالبة الذين ذكرنا انهم جند الملك وعبيده وفى بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير الارسية فى طرف باسمه لعدله وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد أخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودى) وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان بل ذلك ان للخزر ملكا يقال له خاقان وسمه أن يكون فى يدى ملك آخر وهو غيره فخاقان فى جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه ومعه حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا بخاقان يكون عنده فى دار مملكته ومعه فى حيزه واذا أجدبت ارض الخزر أونابت بلادهم نائبة أوتوجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أوفاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى

تقدحتى خبت وجلس للظالم وقدمت له جماعة من البربر فى اجرام فضرب رقابهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما الى باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حمل عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل وطيف به فى البلد واستمر على هذا مع اهل قرطبة فى أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر حتى بلغه قيام الاندلسيين بالمرتضى المروانى فى شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم على اخلاء قرطبة وابادة أهلها فلا يعود لا ثمتهم بها سلطان آخر الدهر وأعطى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع أهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من أعيانهم وألزمهم عمال فلما غرموه سرحهم فلما جيء اليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب وتركهم ينزلون الى منازلهم على أرجلهم وكان منهم أبو الحزم الذى ملك قرطبة بعد وصارت دولته بوراثة ولده معدودة فى دول الطوائف فانجمعت عن على النفوس وتوالى عليه الدعاء فقتله صبيان أغمار من صقالبة بنى مروان فى الحمام وكان قتله غرة ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا فى اماكن يعرفونها وصح عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كلها نحو عامين وحققها بعض فقال أحد وعشرون شهرا وستة أيام وكان الناصر على بن حمود على عجمته وبعده من الفضائل يصغى الى الامداح ويثيب عليها ويظهر فى ذلك آثار النسب العربى والكرم الهاشمى ومن شعرائه المختصين به ابن الخياط القرطبى ومن شعره قوله

راحت تذكر بالنسيم الراحا * وطفاء تكسر للجنوح جناحا
أخفى مسالكها الظلام فأوقدت * من برقها كى تهتدى مصباحا

وعبادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

أبوكم على كان بالشرق بدعما * ورثتم وذا بالغرب أيضا سميه
فصلوا عليه أجمعون وسلموا * له الامر اذ ولاه فيكم وليه

ومدحه ابن دراج القسطلى بقوله

لعلك يا شمس عند الاصيل * شجيت لشجو الغريب الذليل
فكونى شفيعى لابن الشفيع * وكونى رسولى لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن حمود أكبر منه بعشر سنين وامهما واحدة وهى علوية ولما قتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن على واليا على سبتة فاختلف هؤلاء البربر فمال أكثرهم الى القاسم لكونه غين أولا وقدم عليه أخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر فلما وصلت رسلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون حيلة من أخيه عليه فتقهقر الى أن اتضح له الحق فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ستة أيام من قتل أخيه واحسن السيرة وأحس من البربر الميل الى يحيى ابن أخيه على صاحب سبتة فتمالك فى اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقودهم على أعماله فأنفت البربر من ذلك والنحرفوا عنه وفى سنة تسع وأربعمائة قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن من اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صعب عليهم ملك بنى حمود العلويين بسبب البربر فأرادوا

ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا به فاقتله أو سلمه اليه فأقتله فربما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له فدافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه هذا رسم الخزر فى هذا الوقت فلست أدرى فى قديم الزمان كان ذلك أم حدث وانما ينسب خاقان هذا لاهل بيت واعيانهم ارى ان الملك كان فيهم قديما والله اعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار فى نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من اعاليها يقال له برطاس عليه امم من الترك حاضرة داخلة فى جملة ممالك الخزر وعمائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس امة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك من السود والحمر اخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو اغلى عندهم من السمور والفنك وما شاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتعذر فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود وفى اعالى

رجوع الامامة الى بنى مروان واجتمع له أكثر ملوك الطوائف وكان معه حين أقبل لقرطبة منذر التجيبى صاحب سرقسطة وخيران العامرى الصقلبى صاحب المرية وانضاف اليهم جمع من الافرنج وتأهب القاسم والبرابرة للقائهم فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران على المرتضى وقالا أرانا فى الاول وجها ليس بالوجه الذى نراه حين اجتمع اليه الجمع لغيبه وهذا ما كرغيره الى النية فكتب خيران الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب على غرناطة وهو داهية البربر وصمم له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذل عن نصرته الموالى العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فأصغى ابن زيرى الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيرى يدعوه لطاعته فقلب الكتاب وكتب فى ظهره قل يا أيها الكافرون السورة فأرسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه جئتك بجميع أبطال الاندلس وبالافرنج فاذا تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منا أشر بخير * أولا فأيقن بكل شر

فلم الكاتب ان حوّل الكتاب وكتب فى ظهره ألهاكم التكاثر السورة فازداد حنقه وحمله الغيظ الى أن ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى أن يصطلمه فى ساعة من نهار ودامت الحرب أياما وأرسل ابن زيرى الى خيران يستنجزه وعده فأجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ولو كنا نواطئنا معك لأثبت جمعك لنا ونحن ننهزم عنه ونخذله فى غد ولما كان من الغد رأى اعلام خيران واعلام منذر وأصحاب الثغور قد ولت عنه فسقط فى يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحر القتل وصرع كثير من أصحابه ولما خاف القبض عليه ولى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادى آش وقد جاوز بلاد البربر وأمن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاؤا برأسه الى المرية وقد حل بها خيران ومنذر فتحدث الناس انهما اصطبحا عليه سرورا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن أهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب القاسم ابن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تتقطع حسرات وأنشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التى أولها

لك الخير خيران مضى لسبيله * وأصبح أمر الله فى ابن رسوله

وتمكنت امور القاسم وولى وعزل وقال وفعل الى أن كشف وجهه فى خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن على وكتب من سبتة الى أكابر البرابر بقرطبة ان عمى أخذ ميراثى من أبى ثم انه قدم فى ولاياتكم التى أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان وأنا اطلب ميراثى وأوليكم مناصبكم واجعل العبيد والسودان كما هو عند الناس فأجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب وأعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب الى خيران صاحب المرية مذكرا بما أسلفه فى اعانة أبيه وأكد المودة فقال له اخوه ادريس ان خيران رجل خداع فقال يحيى ونحن نخدعه فيما لا يضرنا ثم ان يحيى أقبل الى قرطبة واتفق ان البرابر معه ففر القاسم الى اشبيلية فى خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ وحل يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم

نهر الخزر مصب متصل من سواحلهم وهى امة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى ملك بلغر والروس فى ارضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذى بجبل بنجهير من أرض خراسان ومدينة البلغر على ساحل بحر نيطش وأرى انهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من ارض خراسان ومن خوارزم اليهم الا أن ذلك بين بوادى غيرهم من الترك والقوافل بخفرة منهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه للمقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية فى نحو ألف فارس فصاعدا فشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر من البحر الرومى لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد حرفيديه وأتاهم فى البحر جماعة من البلغر يحدونهم وأخبروهم أن ملكهم بالقرب وهذا يدل على ما خليج من بحر اقريطش وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم وهو على ساحل

السبت مستهل جمادى الآخرة وكان يحيى من الجبناء واسمه قطيفة وانما كانت آفته العجب واصطناع السفلة واشتط أكابر البرابر عليه وطلبوا امارة عدهم من استقدم مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال وفر السودان الى عمه باشبيلية ومن البرابر ومن جند الاندلس من احتجب عنهم يحيى وتكبر عليهم ولم يمل اليه ملوك الطوائف وبقي منهم كثير على الخطبة لعمه القاسم الى أن اختلت الحال بحضرة قرطبة وأيقن يحيى انه متى أقام بها قبض عليه وكان قد ولى على سبتة أخاه ادريس وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا اخيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفر يحيى في خواصه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فراره ركب من اشبيلية الى قرطبة فخطب له بها يوم الثلاثاء ١٢ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ ولم يصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هوى السودان معه وهوى كثير من البرابرة مع يحيى وهوى أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره ولا يظهرون وكثر الارجاف بذلك ووقع الطلب على بني أمية فتفرقوا في البلاد ودخلوا في أغمار الناس وأخفوا ربهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر وأهل قرطبة وتكاثر البلديون وأخرجوا القاسم وبرابرته فضرب خيمة بغربيها وقاتلهم مدة خمسين يوما قتالا شديدا وبني القرطبيون أبواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى أن طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصبروا ففتحهم الله تعالى الظفر وفر السودان مع القاسم الى اشبيلية وفر البرابرة الى شي وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس ١٢ ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد ابن القاسم واليا على اشبيلية وثقته المدبر لامره محمد بن زيري من أكابر البرابرة وقاضيها محمد ابن عباد فعمل القاضي لنفسه وهو جد المعتمد بن عباد وأطمع ابن زيري في التملك فأغلق الابواب في وجه مصطنعه وحاربه فقتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس القاسم وقنع أن يخرجوا اليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم فاخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش وعندما استقر بها وصل اليه يحيى ابن أخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره في المدينة عشرين يوما كان فيها حروب صعاب وقتل من الفريقين خلق كثير وانجلت الحرب عن تهور يحيى لعمه واسلام أهل شريش له وفر سودانه وحصل القاسم وابنه في يد يحيى وكان قد أقسم أنه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلي الامامة بقرطبة مرة ثالثة فرأى التربص في قتله حتى يرى رأيه فيه فحدث عنه بعض أصحابه انه حمله مقيدا الى مالقة وحبسه عنده وكان كلما سكر وأراد قتله رغبه ندماؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على الخلاص وكان كلما نام رأى والده عليا في النوم ينهاه عن قتله ويقول له أخي أكبر مني وكان محسنا الي في صغري ومسلما الي عند ما ربي الله فيه وامتدت الحال على ذلك الى أن قتله خنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه قد كان حبسه في حصن من حصون مالقة فنمي اليه أنه قد تحدث مع أهل الحصن في القيام والعصيان فقال أو بقي في رأسه حديث بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبقي أهل قرطبة بعد فرار القاسم نيفا عن عشرين يرون رأيهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أحضر المستظهر وسليمان بن المرتضى وأمري

وحدثنا أن البلغر تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الترسوسيين وأتوا بهم الى بلاد ترسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد لها من جاورها من الامم والفارس ممن قد أسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم الا الاسوار وكذلك من في هذا الصقع لا يمتنع منهم الا بالحصون والجدران والليل في بلاد البلغر في نهاية من القصر في بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك الوجه من الفلك وعلة الموضع الذي يكون الليل فيه ستة أشهر لا نهار فيه والنهار ستة اشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو ما قد ذكر أصحاب الزيجات في النجوم علة ذلك من الوجه الفلكي والروس امم كثيرة وانواع شتى ومنهم من يقال لهم اللودعانة وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل بنهر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية

آخر سنة فبايعا المستظهر وتبلايده بعدما كان قبل البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما أرتضاه الاماثل فبشر اسمه وكتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنى عمه المذكور بن لحبسهما وكان قد رفع جماعة من الاتباع ذهب بهم العجب كل مذهب كأبى عامر بن شهيد المنهمك فى بطالته وأبى محمد بن حزم المشهور بالرد على العلماء فى مقالته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف فى حالته فأحقد بذلك مشايخ الوزراء والاكابر وبادر المستظهر باصطناع البرابر وأكرم مثواهم وأحسن مأواهم واشتغل مع ابن شهيد وابنى حزم بالمباحثة فى الآداب ونظم الشعر والتمسك بتلك الاهداب والناس فى ذلك الوقت أجهل ما يكون وكان جماعة من أهل الشر فى السجون يتعين أن لا يخرج منهم انسان فأخرج منهم شخصا يقال له أبو عمران وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فأخرجه وخالفه فى ذلك ولم يقبل النصيحة وفعل ما أداه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس على افساد دولته وابدال فرحه بالبوس لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس وسعوا فى خلعه مع البرابر وقتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمس الدابر بعد سبعة وأربعين يوما من يوم بويع بالخلافة واذا أراد الله أمرا فلا يقدر أحد أن يأبى خلافه وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة ومن شعر المستظهر المذكور وهو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور

طال عمر الليل عندى * مذ تولعت بصدى
يا غزالا نقض العهـ * ـد ولم يوف بوعدى
أنسيت العهد اذ بتـ * ـنا على مفرش ورد
واعتنقنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تسرى * ذهبا فى لازورد

وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط السطر مبشور وفيه بشارة ببقاء الامام الفاضل المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه * وكذا يكون به طوال الاعصر

فأجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بشر الكتاب * لما أحكمت فى فصل الخطاب

وقد قدمنا فى الباب الثالث شيأ من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى أن تولى الامر ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد حسبما ذكر فى أخباره ثم آل الامر بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثمين والموحدين على قرطبة الى أن تسلمها النصارى أعادها الله تعالى للاسلام كما يذكر فى الباب الثامن * وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخصه فأما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة من البلاد الخطيرة فمنها قرطبة وكانت مقر الملك ودار الامارة وأم ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك الى أن خرجت عن أيديهم وتنقلت فى أيدى ملوك المسلمين الى أن وصلت الى الناصر عبد الرحمن فبنى فى تجاهها مدينة سماها الزهراء يجرى بينهما نهر عظيم انتهى * واعلم أن المبانى دالة على عظم قدر بانيها كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له

يصعدون من بر من ذلك البحر ومن بر من ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر وتتصل بنهر نيطش وذلك أن بوادى الغزاة ترد الى ذلك الماء وتشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج نيطش فتعبر الغزاة عليه بخيولها وهو ماء عظيم لا يخسف من تحتهم لشدة استحجاره وتغير على بلاد الخزر وربما خرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر على أن يجتازوا البلاد وينحدروا فى نهره فيدخلوا بحر الخزر الذى هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هنالك من الامم على ذلك البحر فأباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه وصاروا مصعدين فى تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس فى هذا البحر وطرحت سراياها الى الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهى بلاد ساحل جرجان وبلاد

من الزهراء مجانيها ولم يزل البلغاء يصفون المباني باحسن الالفاظ والمعاني ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك زيادة فى توسيع المسالك فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلي فى دار بناها المعتمد على الله

وياحبذا دار قضى الله أنها * يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه * مشى قدما فى أرضها خلع النعلا
وماهى الا خطة الملك الذى * يحط اليه كل ذى أمل رحلا
اذا فتحت أبوابها خلت انها * تقول بترحيب لداخلها أهلا
وقد نقلت صناعها من صفاته * اليها أفانينا فأحسنت النقلا
فمن صدره رحبا ومن نوره سنى * ومن صيته فرعا ومن حلمه أصلا
فأعلت به فى رتبة الملك ناديا * وقل له فوق السماكين أن يعلى
نسيت به ايوان كسرى لانني * أراه له مولى من الحسن لا مثلا
كأن سليمان بن داود لم يبح * مخافته للجن فى صنعه مهلا
ترى الشمس فيه ليقة تستمدها * أكف أقامت من تصاويرها شكلا
لها حركات أودعت فى سكونها * فما تبعت فى نقلهن يد رجلا
ولما عشينا من توقد نورها * تخذنا سناه فى نواظرنا كحلا

وقال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس بجاية

أعمر بقصر الملك ناديك الذى * أضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره * اعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه * فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسى الصبيح مع الفصيح بذكره * وسما ففاق خورنقا وسديرا
لو أن بالايوان قوبل حسنه * ما كان شيأ عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى * رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا * لملوكهم شبهاله ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا * غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم * ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت * حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا أنه * حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظر * ثم انثنيت بناظرى محسورا
فظننت أنى حالم فى جنة * لما رأيت الملك فيه كبيرا
واذا الولائد فتحت أبوابه * جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم * فغرت بها أفواهها تكبيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها * من لم يكن بدخولها مأمورا
تجرى الخواطر مطلقات أعنة * فيه فتكبو عن مداه قصورا

النفاطة ونحو بلاد اذربيجان وذلك أن من مدينة أردشير من بلاد أدربيجان الى هذا البحر نحو من ثلاثة ايام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات وأخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون فى قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجيل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل بردعة واران والسفلان وأدربيجان مع قائد لابن أبى الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوى وكانت الروس تأوى عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ على بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا فى القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألف وأقام الروس شهورا كثيرة فى البحر على ما وصفنا لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس مهتابون لهم حذرون منهم لانهم بحر غامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا إليه

يرحم الساحاب يحسب أنه * فرش المها وتوشح الكافورا

ويحسب بالدر يحسب تربه * مسكاته وتوع نشره وعبيرا

تختلف الابصار منه اذا اتى * صبحا على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركة فيها عليها أشجار من ذهب وفضة ترمى فروعها المياه وتمن فذ كراسو داعلى حافتها قاذفة المياه أيضا فقال

وضراغم سكنت عرين رياسة * تركت خرير الماء فيه زئيرا

فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب فى أفواهها البلورا

أسد كأن سكونها متحرك * فى النفس لو وجدت هناك مثيرا

وتذكرت فتكاتها فكأنما * أقعت على أدبارها لتثورا

وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا والسنتها اللواحس نورا

فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا

وكأنما نسج النسيم لمائه * درعا فقدر سردها تقديرا

وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناى بحر عجائب مسجورا

شجرية ذهبية نزعت الى * سحر يؤثر فى النهى تأثيرا

قد سرحت أغصانها فكأنما * قبضت بهن من الفضاء طيورا

وكأنما تأبى لوقع طيرها * أن تستقل بنهضها وتطيرا

من كل واقعة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين نميرا

خرس تعد من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا

وكأنما فى كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا

وتريك فى الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا

ضحكت محاسنه اليك كأنما * جعلت لها زهر النجوم ثغورا

ومصفح الابواب تبرا نضروا * بالنقش فوق شكوله تنظيرا

تبدو مسامير النضار كأنما * تلك النهود من الجنان صدورا

خلعت عليه غلائلا ورسية * شمس ترد الطرف عنه حسيرا

واذا نظرت الى غرائب سقفه * أبصرت روضا فى السماء نضيرا

وعجبت من خطاف عسجده التى * حامت لتبنى فى ذراه وكورا

وضعت به صناعها أقلامها * فأرتك كل طريدة تصويرا

وكأنما للشمس فيه ليقة * مشقوا بها التزويق والتشجيرا

وكأنما اللازورد مخرم * بالخط فى ورق السماء سطورا

وكأنما وشوا عليه ملاءة * تركوا مكان وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذى أضحى له * ملك السماء على العداة نصيرا

كم من قصور للملوك تقدمت * واستوجبت بقصورك التأخيرا

من ثلاثين ألفا ولم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ماذكرنا (قال المسعودى) واعاد ذكرنا فعمرتها

فعمرتها وملكت كل رياسة * منها ودمرت العداة تدميرا

قلت لم أر لهذه القصيدة من نظير في معناها البارع النضير ولفظها العذب النمير الذى شمر فيه قائلها عن ساعد الاجادة أى تشمير غير أن فيها عندى بيتا واحدا وهو وختمها لعف التدمير وعلى كل حال فالحسن والاحسان يتعادان فى أرسان لعبد الجبار بن حمديس المذكور ذى المقاصد الحسان وخصوصا فى وصف المبانى والبرك فما أبى نسواه فى ذلك حسنا ولا ترك *(ومن ذلك) قوله فى وصف بركة تجرى اليها الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود وكل ذلك فى قصر أطنب فى وصفه فى قصيدة طويلة

والماء منه سبائك من فضة * ذابت على درجات شاذروان
وكأنما سيف هناك مشطب * ألقته يوم الحرب كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا * من دوحة نبتت من العقيان
عجبا لها تسقى الرياض ينابعا * نبعت من الثمرات والاغصان
خصت بطائرة على فنن لها * حسنت فأفرد حسنها من ثانى
قس الطيور الخاشعات بلاغة * وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت * بخرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعة * فخراجسادبها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكأنها * منها على العجب العجاب روانى
فكأنها ظنت حلاوة مائها * شهدا فذاقته بكل لسان
وزرافة فى الجوف من أنبوبها * ماء يريك الجرى فى الطيران
مركوزة كالرمح حيث ترى له * من طعنة الحلو اعتناق سنان
وكأنها ترمى السماء ببندق * مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت * فى الجو منه قميص كل عنان
فى بركة قامت على حافاتها * أسد تدل لعزة السلطان
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها * فلذاك انتزعت من الابدان
وكأن برد الماء منها مطفئ * نارا مضرمة من العدوان
وكأنما الحيات من أفواهها * يطرحن أنفسهن فى الغدران
وكأنما الحيتان اذ لم تخشها * أخذت من المنصور عقد أمان

وهاتان القصيدتان لابن حمديس كما فى المناهج مع طولهما تدلان على الابداع الذى ابتكره والاختراع الذى ساوغ سمع أحد من الفضلاء الا شكره لما أسكره وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى يصف قصرا بمصر يسمى منزل العز بناه حسن بن على بن تميم بن المعز العبيدى

منزل العز كاسمه معناه * لاعدا العز من به سماه
منزل ودت المنازل فى اعلى دراه لو صيرت اياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر * أى حسن دون القصور حواه

هذه القصة دفعا القول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر مانطش وخليج القسطنطينية ولو كان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية [illegible] مانطش [illegible] كان [illegible] ولاخلاف [illegible] فى ان بحر الاعاجم له متصل [illegible] لانه [illegible] [illegible] على هذا البحر [illegible] مدينة [illegible] مرسى [illegible] مدينة آمل [illegible] الانهار [illegible] مما يلى هذا البحر [illegible] ثلاثة أيام [illegible] هذا البحر [illegible] وتختلف المراكب بالتجارات [illegible] آمل [illegible] اليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات مع المواضع التى سميناها من ساحله الى باكوى وهى معدن النفط الابيض [illegible]

سال في سقفه النضار ولكن * جمدت لى قراره الامواه
وبأرجائه مجال طراد * ليس تنفك من وغى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه * ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنز * ع بعيدا من قرنه مرماه
وصفوفا من الوحوش وطير الـجـوّ كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات * واختلاف كأنه أشباه
كحيا الحبيب حرفا بحرف * ما تعدى صفاته اذ حكاه
ورده وجنتاه نرجسه القتان عيناه آسه عارضاه
وكأن الكافور والمسك في الطيب وفي اللون صبحه ومساه
منظر يبعث السرور ومرأى * يذكر المرء طيب عصر صباه

وقال أبو الصلت أمية الاندلسي المذكور يذكر بناء بناه على بن تميم بن المعز العبيدي

لله مجلسك المنيف قبابه * بموطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقي * فيه الجواري بالجواري الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه * عطف الاهلة والحواجب والقسى
واستشرفت عمد الرخام وظوهرت * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل قيد أهيف * وقراره من كل خد أملس
فلك تحير فيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مهندس
فبد اللحظ العين أحسن منظر * وغدا الطيب العيش طيب معرس
فطلع به قمرا اذا ما أطلعت * شمس الخدور عليك شمس الاكؤس
فالناس أجمع دون قدرك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس

ويعجبني من قول أبي الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منها اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
اذا زاد يحكي الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذي بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التي قد اشتملت * من كل شئ حلا في جانب الوادي
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادي

وهو ماخوذ من قول الاول يصف قصر أنس بالبصرة

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له ند يشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادي
تلقى به السفن والظلمان حاضرة * والضب والنون والملاح والحادي

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرمين

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا * على طول ما عاينت من هرمي مصر

وليس في الدنيا والله أعلم نفط أبيض الا في هذا الموضع وهي على ساحل مملكة شروان وفي هذه النفاطة أطمة وهي عين من عيون الباب لا تهدأ على سائر الاوقات تضرم الصعداء ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة فيظهر منها نار تذهب في الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية تضيء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الاطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد أفريقية من أرض المغرب وليس في آطام الارض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا أكثر تلهبا من الاطمة التي في أعمال المهراج وبعدها أطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد سبا وحضرموت من بلاد الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا يهوي الى قعرها وحولها والجمر الذي يظهر منها حجارة وقد احمرت بما قد أحاله من سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران في الارض وما سبب موادها في كتابنا أخبار الزمان وفي هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها

أناقا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وسيأتى ترجمته ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس * وعلى ذكر الانهار والبرك فما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف بركة عليها عدة فوارات

غضبت مجاريها فأظهر غيظها * ما فى حشاها من خفى مضمر
وكأن نبع الماء من جنباتها * والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فرعها * لما انتهت باللؤلؤ المتحدر

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بازرقة واصفا يجرى على الصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وما أحسن قول بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر يكسو غلالة فضة * فاذا جرى سال فثوب نضار
واذا استقام رأيت صفحة منصل * واذا استدار رأيت عطف سوار

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء

ومطرد الامواج يصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح باطراف الحصى كلما جرى * عليها شكا أوجاعه بخريره

وهذا النهج متسع ولم نطل السير فى هذه المهامه وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليتنبه به منتقصهم من سنه أوهامه ولان فى أمرها عبرة لمن عقل اذ أصدأ مرآة حسنها ولطالما كان لمثلها صقل وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا وهو والحق بذكر المنازل التى راق منظرها وفاق مخبرها وارتفع بناؤها واتسع فناؤها طرفا من الكلام على ماعفاه الدهر من رسومها ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها وصف أعرابى محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثر ارتحلت عنها ربات الخدور وأقامت بها أثافى القدور ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم والعهد قريب واللقاء بعيد وقال عمر بن أبى ربيعة فأحسن

يا دار امسى دارسا رسمها * وحشا قفارا ما بها أهل
قد جرت الريح بها ذيلها * واستن فى أطلالها الوابل

ومن كلام الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع وأطال به التوجع والقصور تختال فى أدواحها والازاهر تحيى ميت الصبابة شذا أرواحها وأطيار الرياض كثكالى ينحن على خرابها وانقراض أترابها والوهى بمشيدها لاعب وعلى كل جدار منها غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها ولطالما أشرقت بالخلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث فى آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فأصبحت ولها تلهف واعتبار ولم يبق

نوع من البزاة البيض أسرع اجابة وأقلها معاشرة الآن فى هذا النوع من البزاة شيأ من الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما واجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السمو فى الجو وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وان اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء الى العصاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فنزلت دواب تسكن هناك فتغتذيها

٣٠ ط ل فى أوكارها من تلك الدواب أضراها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأ وساكن وعن بليناس انه قال

من آثارها الانوى وأحجار قدهوت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد * وقال ابو صخر القرطبي يذكر ذلك من أبيات ينعاهم بها

دياراعليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا * برودا وحلاها من النور جوهرا
تسرك طورا ثم تشجيك تارة * فترتاح تأنيسا وتشجى تذكرا

(ومن كلام أبي الحسن القاشاني) يصف نادي رئيس خلا من ازدحام الملا وعوضه الزمان عن تواصل أحبابه هجرا وبلا قد كان منزله مألف الاضياف ومأنس الاشراف ومنتجع الركب ومقصد الوفد فاستبدل بالانس وحشة وبالضياء ظلمة واعتاض من تزاحم المواكب تلاطم النوادب ومن ضجيج النداء والصهيل عجيج البكاء والعويل *(ومن رسالة لابن الاثير الجزري يصف دمنة لعبت بها أيدي الزمن وفرقت بين المسكن والسكن كانت مقاصير جنة فأصبحت وهي ملاعب جنة وقد عميت اخبار قطانها وآثار أوطانها حتى شابهت احداهما في الخفاء الاخرى في العفاء وكنت أظن انها لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فأجرى بها هوامع دموعه والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه) * وقد لمع في بعض كلامه قول الشريف من أبيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل النعمان ابن المنذر

مازلت أطرق للمنازل باللوى * حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت * شم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها * ويبين بالبنيان فضل الباني
ماينفع الماضين أن بقيت لهم * خطط معمرة بعمرفاني

يقول فيها

ولقد رأيت بدير هند منزلا * ألما من الضراء والحدثان
يغضي كمستمع الهوان تغيبت * أنصاره وخلا من الاعوان
بالي المعالم أطرقت شرفاته * اطراق منجذب القرينة عاني
أمقاصر الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مرابض الغزلان
وملاعب الانس الجميع طوى الردى * منهم فصرت ملاعب الجنان

ومنها

مسكية النفحات تحسب تربها * بردالخليع معطر الاردان
وكأنما نسي التجار لطيمة * جرت الرياح بها على العقيان
ماء كجيب الدرع يصقله الصبا * ويقي بدوحته النسيم الواني
زفر الزمان عليهم فتفرقوا * وجلوا عن الاقطار والاوطان

وقال أبو اسحق الصابي وتوارد مع الشريف الرضي في المعنى والقافية يصف قصر روح بالبصرة

الهواء والنار خلق وساكن وجدت في بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده بازأبيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيأ فهوى به يشبه الحية والسمكة وله ريش كأجنحة السمك فأمر الرشيد فوضع في طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم هل تعلمون للهواء سكانا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله ابن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان أدربها منادواب يبض في الهواء تفرخ فيه يرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ في هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بارمينية فأخرج الطست اليهم فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بعمرو غيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجو حيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنهار بما تقع على

الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يتولد من

أحب الى بقصر روح منزلا * شهدت بنيته بفضل البانى
سور علا وتمنعت شرفاته * فكأن احداهن هضب أبان
وكأنما يشكو الى زواره * بين الخليط وفرقة الجيران
وكأنما يبدى لهم من نفسه * اطراق محزون الحشا حران

ولأحمد بن فرج الاليبرى من أبيات

سألت بها فما ردت جوابا * عليك وكيف تخبرك الطلول
ومن سفه سؤالك رسم دار * مضى لعفائه زمن طويل
فان تك أصبحت قفرا خلاء * لعينك فى مغانيها همول
فقدما قد نعمت قرير عين * بها وبربعها الرشأ الكحيل

وقال أبو عبد الله بن الخياط الاندلسى الاعمى

لو كنت تعلم ما بالقلب من نار * لم توقد النار بالمندى والغار
يادار علوة قد هيجت لى شجنا * وزدتنى حرقا حييت من دار
ثم بت فيك على اللذات معتكفا * والليل مدرع ثوبا من القار
كأنه راهب فى المسح ملتحف * شد الحداد له وسطا بزنار
يدير فيه كؤس الراح ذو حور * يدير من لحظه ألحاظ سحار

ولابد فى التفجع على الديار والتوجع للدمن والآثار على قول البحترى من قصيدة رثى بها المتوكل

محل على القاطول أخلق داثره * وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره
كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت * تراوحه أذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده * ترق حواشيه ويونق ناضره
تغير حسن الجعفرى وأنسه * وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة * فعادت سواء دوره ومقاصره
اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى * وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه * واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستائره
وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة * بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها * وبهجتها والعيش غض مكاسره
فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت * بهيبتها أبوابه ومقاصره
وأين عميد الناس فى كل نوبة * تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وعلى قول أبى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبع حططت الرحل فيه * بحيث الظل والماء القراح
تخرم حسن منظره مليك * تخرم ملكه القدر المتاح

لاعلم له وغيره من النسوان هذا صوت ساحرة تطير ذات أجنحة من قصب وللناس كلام كثير فيما ذكر واستدلالهم على هذا انما هو عبث يحدث فى استقص الماء من الحيوان وانه تحب على هذه القصة أن يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودى) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت فى الوصف وأطنبت فى المدح فقال خاقان ملك الترك البازى شجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازى رقيق يحسن الاشارة لا يؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازى ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك من البازى نزعه فى المطالب والرزق فى السمو اذا طالت قوادمه وبعدما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لسرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد فى غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازى لقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخر ذلك حتى تشتد نفسه ولا تؤتى الجوارح الا من قصر القوادم الا ترى الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسطاطاليس البازى طير عارى الجناب وما

خـربه ماجـد واه بكاء ÷ علـيه وشـدو طائره نواح

وهـذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على مافعلت بها أيدى الزمن كثير جدا لا يعرف الباحث عنه له حدا وذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها وحنينها الى أماكنها التى هى مواضع امرائها ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة وجعلناه انبعة يشفى المشوق بها غليله وقد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم انه لا يجدى ولا يدفع عادية الدهر الخون ولا يعدى ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب المجرع لصاحبه الصاب والاوصاب قال أبو عمر بن عبد البر

عفت المنازل غير أرسم دمنة * حييتها من دمنة ورسوم

كم ذا الوقوف ولم تقف فى منسك * كم ذا الطواف ولم تطف بحريم

فكل الديار الى الحمائم والصبا * ودع النهار لى الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار *(رجع الى قرطبة فنقول) وقد ألم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة وبعض أوصافها فى كتاب له كتبه على لسان سلطانه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملته فى الباب الخامس من القسم الثانى فليراجع ثمة ونص محل الحاجة منه هنا ثم كان الغزو الى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة التى على عمل أهلها فى القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسى الذى بعصاه رعى الهمل والمصر المعمور الذى فى خطة الناقة والجمل والافق الذى هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل تخم الاسلام فى عفرتها المستباحة وأجاز نهرها المغنى عن السباحة وعم دوحها الاشب بوارا وادار اعلاتب بسورها سوارا وأخذ بمخنقها حصارا وأعمل النصر بشجرة أصلها اجتناء ما شاء واهتصارا وجدل من ابطالها من لم يرض انحجارا واعمل الى المسلمين اصحارا حتى قرع بعض جهاتها غلابا جهارا ورفعت الاعلام اعلاما بعز الاسلام واظهارا فلولا استهلال الغوادى وان آتى الوادى لافضت الى فتح الفتوح تلك المبادى ولقضى تفثه العاكف والبادى انتهى *(ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى فى وصف هذه الغزوة لسلطان بنى مرين على لسان صاحب الاندلس ما صورته) * المقام الذى نطالعه بأخبار الجهاد ونهدى اليه عوالى العوالى صحيحة الاسناد ونبشره بأخبار فتح البعيد لا آماد ونسأل الله تعالى دوام الاسعاد والامداد ونرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد وامتعاضا يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح باقاليد السيوف الحداد وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والاجداد مقام محل اخينا الذى نستفتح له بالفتح الظهور ونهدى الى مجده لما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ونستظهر على ملكه المؤيد المؤمل ونجده المشهور ونتوعد منهما العدو والحبيب المدخور والولى المنصور السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى عالى القدر قرير العين منشرح الصدر ولا زال حديث فخره سائرا مسير الشمس والبدر عظم سلطانه الحليق بالتعظيم الواثق منه بالدحر الكريم المثنى على مجده الصميم وفضله العميم امير المسلمين عبد الله

يقوبه فى كسوره يزيد فى أجنحته ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير فى الجزء الذى فيه من الحرارة التى ليست فى شئ منها ووجد باصعده ربما منسوجة بالعصب لا لحم عليها وفى الحيوس مرباة سادهب ابيه أرسطاطاليس ان البازى لا تتخذ وكرا الا فى شجرة بعلى منشبكه بالشوك مختلفة الجرون بين شجر عبى ظل تكن ودفعا لاذى الحر والبرد فاذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مضرة ولا ثلج ماشم فاعلى نفسه وفراخه من البرد وذكر الادهم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندى وهو ابن كندة وانه وقف يوما بقانص وقد نصب حبالة للعصافير فانقض أكدر على عصفور منها قد علق وعاقه الاكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الاجدل يحمل العصفور وقد علق ويجل الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به فى كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى لحما نهض الى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فطعم على اليد وكانوا يتباهون بحمله اذ رأى يوما حمامة فطار اليها من يد حامله فعلقها فامر الملك باتخاذها والتصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ

الغنى بالله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم برعميم يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد وملهم ارشاد ومكيف الاسعاف والاسعاد الولى النصير الذى نلقى الى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ونمد الى انجاده وامداده أيدى الاعتداد ونرفع اليه أكف الاستمداد ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد فنعرف عوارف الفضل المزداد ونجتنى ثمار النصر من أغصان القنا المناد ونجتلى وجوه الصنع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد ونظفر بالنعيم العاجل فى الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الاشهاد ونتفيأ ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبى الهاد رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ونبى الرحمة الهامية العهاد أكرم الخلق بين الرائح والغاد ذى اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة فى يوم التناد الذى بجاهه نجدع انوف الآساد يوم الجلاد وببركته ننال أقصى الامل والمراد وفى مرضاته نصل أسباب الوداد فنعود بالتجر الرابح من مرضاة رب العباد ونستولى فى ميدان السعادة المعادة على الآماد والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الامجاد دعائم الدين من بعده وهداة العباد انجاد الانجاد وآساد الاساد الذين ظاهروه فى حياته بالحلوم الراجحة الاطواد والبسالة التى لم تنل باعدد فى سبيل الله والاعداد حتى بوؤا الاسلام فى القواعد الشهيرة والبلاد وأرغموا أنوف اهل الجحود والالحاد فأصبح الدين رفيع العماد منصور العساكر والاجناد مستصحب العز فى الاصدار والايراد والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذى يغنى عن اختيار الطوالع وتقويم المملاد والنصر الذى تشرق انباؤه فى جنح ليل المداد والصنع الذى تشرع له أبواب التوفيق والسداد من حمراء غرناطة حرسها الله واليسر ندوطأ المهاد والخير واضح الاشهاد والحمد لله فى المبدا والمعاد والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ومقامكم الذخر الكافى العتاد والمرد المتكفل بالانجاد والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ووالى نصركم وعضدكم وعددكم وعددكم وبلغكم من فضله العميم أملكم وقصدكم فاننا نؤثر تعريفكم بنافعة المتزيدات ونورد عليكم اشتات الاحوال المتجددات اقامة لرسم الخلوص فى التعريف بعائل ومودة خالصة فى الله عز وجل فكيف اذا كان التعريف بما تهتز له منابر الاسلام ارتياحا لوروده وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده والمكيفات البديعة الصفات فى وجوده وهو أننا قدمنا اعلامكم بمانويناه من غزو مدينة قرطبة ام البلاد الكافرة ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة والقطر الذى عهده بالمام الاسلام متقادم والركن الذى لا يتوقع صدمة صادم وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب على كل رئيس بئيس وهزبر خيس وذى مكيدة وتلبيس ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه وأتباع على المنشط والمكروه تطيعه فاستدعينا المسلمين من أقاصى البلاد واذعنا فى الجهات نفير الجهاد وتقدمنا الى الناس بسعة الازواد وأعطينا الحركة التى يخلف المساوون فيها وراءهم جمهور الكفر من الاقطار والاعداد حقها من الاستعداد واقتضينا العطاء والاستلحاق والاستركاب فى أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد فخشر الخلق فى صعيد

نفحت أرنب فطار الصقر اليها فأخذها فطلب بها الطير فقتلها واتخذها العرب بعده حتى استفاضت فى أيدى الناس فأما الشواهين فان ارجداس الحكيم ذكر فى كتاب كان وجهه الى المهدى حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه المنش أن ملكا من ملوك الروم يقال له سنان نظر يوما الى شاهين يهوى منحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو متعاليا فى الهواء حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة انحدار على الطير فى الماء انه يسارويد لما سرعة انحداره وارتفاعه فى جو السماء على انه طير ألى ألوف فلما رأى حسن طيرانه أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد ابن عفرعن هشام بن خديج قال خرج قسطنطين ملك عمورية متصيدا بالمراة حتى انتهى الى خليج يصب الجارى الى بحر الروم وبحر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد فنظر الى شاهين ينكفأ على طير الماء فعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ولم يدر الحيلة فى صيده فأمر أن يصطاد له فضراه وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروشا بالوان الزهر فقال هذا موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك

وابدوا لاهبة والزينة في عيد سعيد وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعيد
اورجل او فضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل وخيمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى
الناس آربهم واستكملوا أسرابهم ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد
ونماه وأبعد في التماس ما عنده من الاجر منتماها وعندما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون
بغرة مزمل نصرنا وانجادنا ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ومقتضى دين كدحه باعانتنا
اياه وانجادنا قد نزل بظاهرها في محلات ممن استقر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله
حكم جماعته فكان لقاؤنا اياه على حال اقرت عيون المسلمين وتكفلت باعزاز الدين ومجملها
يغني عن التعيين والشرح والتبيين ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم وأشك
في حال اليقظة خيالهم من جموع تسد الفضا وأبطال تقارع أسد الغضى وكتائب منصورة
ورايات منشورة وأمم محشورة تفضل عن مرأى العين وتردي العدو في مهاوي الحين فاعترفوا
بما لم يكن في حسابهم واعتبر في عزة الله سبحانه أولو ألبابهم واذا كثر الله تعالى العدد
عما ورد كما وازاح العلل ما اعتذر عاذر ولاشكا وسالت من الغد الاباطح بالاعتراف
وسمت الهوادي الى الاستشراف وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهادية والاطراف
وأحكمت التعبية التي لا ترى العين فيها خللا ولا يجد الاعتبار عندها دخلا وكان النزول
على فرسخ من عدوة النهر الاعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعده ردها وأعادها
الى عهدها في الاسلام وشعارها ومحا ظلام الكفر من آفاقها بمله الاسلام وأنوارها وقد
برزت من حاميتها شوكة سابغة الدروع وافرة الجموع واستجمعت من اسوار القنطرة
العظمى بحمى لا يخفر وأخذ عقابها من الحماة والكماة العدد الاوفر فبادر اليهم سرعان
خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع والمصال والمصاع وخالطوهم هبرا بالسيوف
ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيدا واذاقوهم وبالا شديدا وجدلوا منهم جملة وافرة
وأمة كافرة وملكوا بعض تلك الاسوار فرفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عزماتهم
الصادقة واقتحم المسلمون الوادي سيما في غمره واستهانة في سبيل الله بأمره وخالطوا
حامية العدو في ضفته فاقتلعوها وتعلقوا باوائل الاسوار ففرعوها فلو كنا في ذلك اليوم
على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل البلد وملك الاهل والولد
لكن أجار الكفار من الليل كافر وفقد هلك منهم عدد وافر ورجع المسلمون الى محلاتهم
ونصر الله سافر والعزم ظافر ومن الغد خضنا البحر الذي جعلنا العزم فيه سفينا والتوكل
على الله للبلاغ ضمينا ونزلنا من صفة القوي العزيز منزلا عزيزا مكينا بحيث يجاوز سورها
طنب القباب وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب وبرزت حاميتها على متعددات
الابواب مقيمة أسواق الطعان والضراب فأثبت بصفقة الخسر والتباب ولما شرعنا في
قتالها ورتبنا اشتات النكايات لنكالها وان كنا لم نبق على مطاولة نزالها أنزل الله المطر
الذي قدم بعهاده العهد وساوى النجد من طوفانه الوهد وعظم به الجهد ووقع
الابقاء على السلاح والكف بالضرورة عن الكفاح وبلغ المقام عليها والاخذ بمخنقها
والثواء لديها خمسة أيام لم تخل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب من دفاع عليها وقراع

وما كان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ماذكر
اروم سنين بن هلال في هذا
من السبب ابتداء بناء
القسطنطينية وقد ذكر ابن عمر
بن أبي زيد الجوهري انه
كان من رسم ملوك الاندلس
الارارقة انه اذا ركب
الملك منهم صارت الشواهين
في الهواء تظله الى ان يترجل
على مركبه [illegible]
وترتفع أخرى معه قدر ثلث
[illegible] في حال
[illegible] حوله
الى ان ركب يوما ملك منهم
وصارت الشواهين معه على
موضعها فثارت طائرا
فنهض عليه شاهين واحده
فتعجب من ذلك الملك وصيرها
على الصيد فكان أول من
تصيد بها بالمغرب وبلاد
الاندلس (المسعودي)
وكذلك ذكر جماعة من
أهل العلم بهذا الشان انه
كان أول من لعب بالعقبان
أهل المغرب لما نظر الروم
الى شدة شرها وادراك
سلاحها وان حكمتها هذه
التي لا يقوم غيرها بشرها
وذكر ان قيصر أهدى الى
كسرى عقابا وكتب اليه
يعلمه انها تعمل أكثر من
عمل الصقر الذي أعجبه
صيده فامر بها كسرى
فرسلت على ظبي عرض
فدققته فعجبه ما رأى منها
فتصرف مسرورا وجوعها
لتصيد بها فوثبت على صبي له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر في أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى وانفذ

وأنفذت مقاتل السنائر أنقابا وارتقب الفتح الموعود ارتقابا وفشت في أهلها الجراح والعيث الصراح وساءهم المساء بعزة الله والصباح ولولا عائق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتاح وصرفت الوجوه الى تخريب العمران وتسليط النيران وعقر الاشجار وتعفية الآثار وأتى منها العفاء على المسرا الشهير في الامصار وتركت زروعها المائحة عبرة للابصار ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حدادا ونكس من طغاتها الحيادا فاعتادت الذل اعتيادا وألفت الهون قيادا وكادت ان نستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعادا وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها ممن يبارز ويناضح ويماسي بالناس ويصابح على عدد جم اخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم ونبهت علاماتهم على نباهاتهم وظهر اقدام المسلمين في المعتركات وبروزهم بالحدود المشتركات وتنفيلهم الاسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب وكان القفول وقد شمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول وراع الكفر العز الذي يهول والاقدام الذي شهدت به الرماح والخيول وخاض المسلمون من ذرع الطرق التي ركبوها والمنازل التي استباحوها وانتهبوها بحورا بعدمنها الساحل وفلاحة موركة تتعدد فيها المراحل فصيروها اصرما وسلطوا عليها الاغريا وحلوا بظاهر حصن اندجر وقد أصبح مالف ادمار عير أوشاب ووكر طير نشاب فلم بلونام اسه صعبا وابراجه ملئت حرسا شديدا وشهبا ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه فسلطنا العفاء على ساحه وأغرينا الغارات باستيعاب ما بأحوازه واكتساحه وسلطنا النار على حرثه وبطاحه والصقنا بالرغام ذوائب أدواحه وانصرفنا بفضل الله والمناصل دامية والاجور نامية وقد وطئنا المواطئ التي كانت على الملوك قبلنا بسلا ولم نترك بها حرفا برفد ولا نسلا ولا ضرعا برسل رسلا والحمد لله الذي يتم النعم بحمده ونسأله حلة النصر فما النصر الا من عنده عرفناكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات والصنائع الروائع التي بعد العهد بمثلها في هذه الاوقات علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات فانكم سلالة الجهاد المقبول والرفد المبذول ووعد النصر المفعول ونرجو الله عز وجل أن يتنفل خيالكم للمعاهد الجهادية الى المعاينة ونصر الملة المحمدية وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة الاصنام ويتم النعمة على الانام وودنا لكم ما علمتم يزيد على ممر الايام والله يجعله في ذاته لكم متصل الدوام مبلغا الى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندكم والسلام الكريم يحييكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن هذا المنحى) ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ونصه المقام الذي أحاديث سعادته لا تمل على الاعادة والتكرار وسبيل مجادته الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار وأخبار صنائع الله لملكه ونظم فرائد الآمال في سلكه تخلدها أقلام الاقدار بمداد الليل في قرطاس النهار وترسمها بتذهيب الاسفار في صفحات الاقمار وتجعلها هجيرى حملة الاسفار وحداة القطار في مسالك الاقطار مقام محل اخينا الذي نلتذ بإعادة هنائه مع الاعادة ونتلقى أنباء علائه بالاذاعة والاشادة ونطرز بأعلام ثنائه صحائف المجادة ونشكر الله أن

قيصر غرا وكتب انه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش وكتب ما صنعت العقاب فأعجب قيصر حسن النمر وطابق صفته وصف من العهد وعمل عنه تماثيل بعض فنائه نصب حذاء كسرى فان كان قد حصل فلا بأس هذا وقد تعلق بنا الكلام عند ذكرنا جرجان وجزائره الى الكلام في انواع الجوارح واشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يليه من الامم وجبل القبخ وقد قلنا ان شر الملوك ممن جاورها من الامم مملكة حيزان وملكهم رجل مسلم يزعم انه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وليس في مملكته مسلم غيره وولده واهله وارى ان هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة حيزان وبين الباب والابواب اناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية في آجام هناك وغياض واودية وانهار كبار من قرى قد سكنوها واقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك البلاد ممن طرأ من وادي العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيزان الا انهم ممتنعون بتلك الاشجار والانهار وهم على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والابواب واهل

وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة ما رجح فى ميزان الاعتبار أخوة الولادة وعرفنا
بيمن ولايته عوارف السعادة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
أبقاه الله تعالى فى أعلام الملك السعيد بيت القصيد وو سطى القلادة ومحلى الكمال الذى
بارى عيدار بأسه وجوده حدث الابادة والافادة ولازالت آماله القاصية تمتثل طوع
الارادة ويمن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح والعز الممنوح بين الحسنى والزيادة معظم
سلطانه العالى المثنى على مجده المرفوع اساده فى عوالى المعالى المسرور بما يسنيه الله له
من الصنع المتوالى والفتح المقدم والتالى أمير المسلمين عبد الله الغنى بالله محمد بن أمير
المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر أيد الله أمره وأسعد نصره
سلام كريم يتأرج فى الآفاق شذا طيبه وتسجع فى ذروة الود بلاغة خطيبه ويتضمن نوره
سواد المداد عند مراسلة الوداد فيكاد يذهب بعبوسة المجهول وتقطيبه ورحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله فاتح الابواب بمقاليد الاسباب مهما استصعبت وميسر الامور بحكم المقدور
اذا أجهدت الحيل وأتعبت مخمد نيران الفتن مما التهبت وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت
وتشعبت ومسكن رجفان الارض بعدما اضطربت ومحييها بمهاد الرحمة مهما اهتزت
وربت اللطيف الخبير الذى قدرت حكمته الامور ورتبت منهى كل نفس الى ما خطت
الاقلام عليها وكتبت ونفت وأوجبت وشاءت وأبت ومجازيها يوم العرض بما كسبت
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما تألفت وتألبت وجالب
الحتف اليها عندما أجلبت رسول الملحمة اذا الليوث وثبت ونبى الرحمة التى هيأت النجاة
وسببت وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت ومداوى القلوب المريضة وقد
انكبت وانقلبت بلطائفه التى راضت وهذبت وقادت الى الجنة العليا واستجلبت وادت
عن الله وأدبت الذى بجاهه نستكشف الغماء اذا اطنبت ونستوكف النعماء اذا
أخلفت البروق وكذبت ونتحاب فى طاعته ابتغاء الوسيلة الى شفاعته فنقول وجبت حسبما
ثبت والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه التى استحقت المزية المرضية واستوجبت
لما انتمت الى كرمه وانتسبت وببذل نفوسها فى الله ومرضاته تقربت والى نصرته حيانه
انتدبت والمناصل قد رويت من دماء الاعداء وأخصبت وخلفته فى أمته بعد مماته بالهمم
التى عن صدق اليقين اعربت فتداعت لمجاهدة الكفار وانتدبت وابعدت المغار
وادربت حتى بلغ ملك أمته أقاصى البلاد التى نبت فكسرت الصلب التى نصبت ونعلت
التيجان التى عصبت ما همت السحب وانسحبت وطلعت الشمس وغربت والدعاء
لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت الكتائب وتكتبت والفتح المبين كلما ركبت
عقائل المواعد اذا خطبت والصنائع التى مهما حدقت فيها العيون تعجبت أوجالت فى
نتائجها الافكار واستطابت مذاق الشكر واستعذبت حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد
اقتربت فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم أغيا ما سألت الالسن السائلة واستوعبت من
حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وجنود الله بفضل الله تعالى ونعمته قد غلبت وفتحت
وسلبت وأسود جهاده قد أردت الاعداء بعدما كلبت ومراعى الآمل قد اخصبت

الباب يحذرونهم واهل مملكة حيزان مما يلى جبل الفتح والسور ولهم ملك يقال له مدرمان مسلم ويعرف
بلده بالكرخ وهم اصحاب
الاعمدة وكل ملك يلى هذه
المملكة يدعى مدرمان
ثم يلى مملكة مدرمان مملكة
يقال لها غميق واهلها اناس
نصارى لا ينقادون لى
ملك ولهم رؤساء وهم
مهادنون لمملكة اللان
ثم يليهم مما يلى السور
والجبل مملكة يقال لها
زريكران وتفسير ذلك عمال
الزرد لان أكثرهم يعمل
الزرد والركب واللجم والسيوف
وغير ذلك من أنواع الحديد
وهم ذوو ديانات مختلفة
مسلمون ويهود ونصارى
وبلدهم بلد خشن قد
امتنعوا لخشونته على من
جاورهم من الامم ثم يلى هؤلاء
مملكة السرير وملكها يدعى
فيلان شاه يدين بدين
النصرانية وقد ذكرنا فيما
سلف من هذا الكتاب انه
من ولد بهرام جور ويسمى
صاحب السرير لان يزدجرد
وهو الآخر من ملوك ساسان
حين ولى منهزما قدم سرير
الذهب وخزائنه وأمواله
مع رجل من ولد بهرام
ليسير بها الى هذه المملكة
فيحرزها هناك الى وقت
موافاته ومضى يزدجرد الى
خراسان فقتل هناك وذلك
فى خلافة عمر رضى الله عنه
على ما ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا فقطن ذلك الرجل فى هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك والحمد

ى عقبه قسمى، صاحب السرير ودار مملكته تعرف بخرج وله اثنا عشر الف

والحمد لله حمدا يجلو وجوه الرضا بعدما احتجبت ويفتح أبواب المزيد كلما استقبلها الامل رحبت والشكر لله شكرا قيد شوارد النعم مما أبقت وما هربت والى هذا وصل الله لمقامكم أسباب الظهور والاعتلاء وعرفكم عوارف الآلاء على الولاء فانه لما ورد علينا كتابكم البر الوفادة الجم الافادة الجامع بين الحسنى والزيادة جالى غرة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة وواهب المنن المتاحة وواصف النعم المعادة فأوفى ما سرته المشور على تحف سنية وأمانى هنية وعطاف للنصر جنية ضمنت سكون البلاد وقرارها وأن الله قد أذهب الفتن وأوارها وأخمد نارها ونضح عن وجه الاسلام عارها وجمع الاهواء على من هو بيته السعادة بعد أن أجهد اختيارها فاصبح الشتيت مجتمعا وجمع الجماح مرتفعا والجبل المخالف خاشعا منصدعا وأصحب فى القياد من كان ممتنعا واسترثقت الطاعة ونجحت السنة والجماعة وارتفعت الشناعة وعسكت البلاد المكرهة بأذيال وليها لما رأته وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعدما أنكرته أجلنا جياد الاقلام فى ملعب الهناء وميدانه لاول أوقات امكانه على بعد مكانه وأجهدنا عبارة الكلام فى اجلال هذا الصنع وتعظيم شانه وأغرينا الثناء بشيم مجدكم فى شرحه لما وبيانه رأينا أن لا نكل ذلك الى اليراع ونفرده فيه بالاجتماع وما يتعاطاه من مد الذراع وأن نشد برده من المشافهه أزره ونقصد تبيين من اللسان أمره فعينا لذلك من يقوم مقامنا أخمل ونهد المقصد المعمل حتى يجمع بين اغراض البر والعلن منه والسر ويقيم شتى الادلة على الوداد المستمر ووجهنا فى عرض الرسالة به اليكم ولختم بالشرحه بين يديكم حظيب الودود وبركة المشايخ فى هذا المقام المحمود الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج وصل الله حفظه وأجزل من الحمد واللطف حظه وهو البطل الذى لا يعلم الاجالة فى الميدان ولا يضربوطا ئف ذلك الشان ومراد نا منه أن يطيل ويطنب ويسهل فى وصف محاسنكم اللسان الرطب ويقرر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذى قام على الحب المتوارث أساسه واطراد حكمه وانتج قياسه ولنجعل تلو مقصد الهناء مجلسكم الباهر السناء الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والغناء وجه الهمم والاعتناء على مر الآناء مجددا لدينا من الانباء فى جهاد الاعداء وان كان رسولكم أعزه الله تعالى قد شارك فى السرى والسير وبين الطير وأغنى فى الحكاية عن العير ولاسرف فى الخير وهو أنا لما سرنا من منازلة قرطبة نظر المحشود التى نفذت معدات أزوادها وشابت بهشيم العلة المستغلة مفارق بلادها واشفاقا لنفاد أقواتها بفوات أوقاتها رحلنا عنها وقد انطوينا من اعفاء أكثر تلك الزروع الماثلة الفروع الهائلة الروع على هم مض وأسف للمضاجع مقض اذ كان عادل المطر يكف السنة النار عن المبالغة فى التهابها وحلاق اهابها ونفض أنوارها ونهب شوارها واذاعة أسرارها وهى البحور المتلاطمة اذا خطمتها الرياح الحاطمة واللجج الزاخرة اذا حركتها السوافى الساحرة تود العيون أن تحدى حدودها القاصية ولا تطيق والركائب الراكضة أن تشرف على غاياتها فيفصل عن مراحلها الطريق قد جللها الربيع أرزاقا نغص بها الحزائن والاطباق وحبونا معضله

فرنه يستعبد منهم من شاء وله بلد حشر ميخ كثيرته وهو شعب من جبل الفتح وهو يعير على الخزر ستنصر عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم تلى هذه المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكذلك فيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة ينتقل فى السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما أخت الآخر وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانيه وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانيه وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم وبين ملك اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس

٣١ ط ل الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب ورتب فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان من الوصول

لا يروؤها الانجاد والانفاق ولو اعتصمت على انتسافها الآيات نخفها في سبيل الله لتعقيب غزو تلك الاقطار الخائفة بمحق الصائفة واعانة تلك الطائفة بكلوم الجماع الحائفة حنوفا لم نقنع فيه بالاستنابة حرصا على استئصال الصبابة وأعفينا الرجل من اتصال الكد وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد وأطللنا على قرطبة بمحلاتنا ننسف الجبال نسفا ونعم الارض زلزالا وخسفا ونستقرى مواقع البذر احتراقا ونخترق أجوابها المخترقة بحب الحصيد اختراقا ونسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مدت من الشواظ أعناقا ونوسع القرى الواسعة دكا واستغراقا وندبر على مستديرها كؤس الحتوف دهاقا وأحدث النيران وادیها الاعظم من كلا جانبيه حتى كأن العيون أجمت ببكيه فسالت واذابت صفيحته فسالت وأتت الكفار بما أوهم بالدخان المبين ودارت الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منقبة الحيا معصبة الجبين وخضنا أحشاء الغريرة بم أنشأت النعم انتسافا وأقوات أهلها اتلافا وآمال سكانها اخلافا وقد بهتوا لسرعة الرجوع ودهشوا لوقوع الجوع وتسبيب تخريب الربوع فمن المنكر البعيد أن يتأتى بعد عمرانها المعهود وقد اصطلم الزرع واجتث العود وصار الى العدم منها الوجود ورأوا من عزائم الاسلام خوارق تشذ عن نطاق العوائد وعجائب تستريب فيها عين المشاهد اذ اشتمل هذا العام المتعرف فيه من الله تعالى الانعام على غزوات أربع دمرت فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مرافيها الاذان عزا جهيرا وضويقت كراسي الملك تضييقا كبيرا وأذيقت وبالا مبيرا ورياح الادالة ان شاء الله تعالى تستأنف هبوبها وبأسا مشبوبا والثقة بالله قد ملأت نفوسا مؤمنة وقلوبا والله سبحانه المسؤل أن يوزع شكر هذه النعم التى أثقلت الاكتاد وأبهظت الطوق المعتاد وابهجت المشيم والمرتاد فبالشكر يستدر فريدها ويتوالى تجديدها وقطعنا في مجموعه تلك العمالة المستبحرة العمارة والفلج المعى وصفها عن الشرح والعبارة مراحل ختمنا بالتعريج على حرب جيان حربها ففللنا ثانية غربها وجددنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها ونظمنا البلاد في سلك البلاء وحتثنا في أنجادها وأغوارها ركائب الاستيلاء فلم نترك بها ما لقط طير فضلا عن معاف عير ولا أسأرنا لعلها المحروب بالة خير وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى التى منها الكياد بالمدد والعدة والعدد وفيها الخصام واللدد قد لبست الحداد حريقا وسلكت الى الخلاء والجلاء طريقا ولم نترك لها مضغة تخالط ريقا ولا نعمة تصون من الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله تعالى من عنصرى النار والهواء بجنود كونه الواسع ومدركه البعيد الشاسع لتولى الايدى البشرية تغريبها ولا ترزأ كثيرها الا التمتاع بالاعتراف غديرها بل لله القدرة جميعا فقدرته لا تحامى ربعا ولا تحمى مربعا مبعا وعدنا والعود فى مثله أحمد وقد بعد من شفاء النفوس الامد ونسخ بالسرور الكمد ورفعت من عز الاسلام العمد والحمد لله حمد الشاكرين ومنه نلتمس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين عرفناكم به ليسر دينكم المتين ومحدكم الذى راق منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويبلغكم أملكم من فضله وقصدكم

ثم الاعلى هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل

الى جبل الفتح ولا طريق الى فتحها والوصول اليها الا باذن من فيها وفى هذه القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تنبع فى وسطها من اعلى هذه الصخرة وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد ذكرتها الفرس فى اشعارها وما كان لاسفنديار بن كشتاسب فى بنائها ولاسفنديار فى الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الامم وهو السائر الى بلاد الترك فخرب مدينة الصفر وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذى لا يرام وبها ضربت الفرس الامثال وما كان من أفعال اسفنديار وما وصفنا فقد ذكر فى الكتاب المعروف بكتاب السيكس نقله ابن المقفع الى لسان العرب وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل الى هذا الصقع ووطئ اهله أسكن فى هذه القلعة أناسا من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع وربما يحمل اليهم الرزق والقوات من البر من ثغر تفليس وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام كبار ولو كان رجل واحد فى هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادى وصاحب

بذه

عنه وطوله والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (رجع الى ما كنا بسبيله) من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها البديع الاتقان والوصف فنقول قد شاع وذاع على ألسنة الجم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلثمائة ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وهذا شئ لم أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له لانه من أعجب ما يسطر مع أنهم ذكروا ما هو دونه فالله أعلم بحقيقة الحال في ذلك وستأتي في الباب الرابع رسالة الشقندي الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الطم والرم وقد ذكرنا في الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فأغنى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندي تكرر فيها بعض ما ذكرناه لانا لم نرد أن نحل منها بحرف فأتينا بها بلفظها وان تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح للمنصف المغضي والله نسأل سلوك السبيل الذي يرضى بمنه وكرمه * وقال صاحب نشق الازهار ان في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وفيه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون قيل أوحكم عمله في سبع سنين وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققي المؤرخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلة اطلاعي وهو عندي بعيد لانه لو كان لذكره الائمة * وقد حكى عياض في الشفاء أشياء وجد بها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هذا ويبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره والله تعالى اعلم بحقيقة الامر * وقال في موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وهي على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامي وبها الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن الشاذنج وهو حجر من شأنه أن يقطع الدم وكان يجلب منها البغال التي تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوها الزائد انتهى * (رجع الى أخبار البنيان) ولا خفاء أنه يدل على عظم قدر بانيه ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المرواني باني الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعضهم ينسبهما لغيره وسيأتيان في ترجمة نور الدين بن علي منسوبين

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين مما يكتب على أبراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت الكبير الحي والميت القاضي عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقي وضمنها بيتي الناصر المذكورين

زر مجلسا أضحى أعز مكان * ومحل أهل العلم والعرفان
المجد خيم في ذرى أبراجه * والسعد عبد الباب طول زمان

اللان يركب في ثلاثين ألف فارس وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين الملوك ومملكته عمائرها متصلة غير منفصلة اذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العمائر واتصالها ثم يلي مملكة اللان أمة يقال لها كشك وهم بين جبل الفتح وبحر الروم وهي أمة مطيعة منقادة الى دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم في هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا ولا أحسن نساء ولا أقوم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وأردافا ولا أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبأرضهم أنواع من الثياب يصنع من السب منها نوع يقال له الطلي أرق من الدبيقي وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما بينهم من الاسلام وقد تحمل هذه الثياب عن جاورهم من الامم الا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع في البحر الذي هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر نيطش الا أنهم يقربون في البحر من بلاد

كأنما قدم فوق البناء وأرضه * مفروشة بالدر والعقيان
بيت به فخر البيوت لانه * بيت القصيد ومنزل الضيفان
معنى فسيح فيه معنى مفصح * عن قدر بانيه بغير لسان
قد قال بعض ذوى الفضائل قبلنا * قولا بديعا واضح التبيان
همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان
قد شاده من ساد أهل زمانه * بالاصل والافضال والرجحان
ورث السيادة كابرا عن كابر * وسما برفعته على كيوان
قاضى القضاة ومفخر العصر الذى * قد جاء فيه سابق الاقران
فى العلم بحر لاينال قراره * فى الحكم مثل مهند وسنان
يروى عطاء عن يديه قد اقتفى * آثار آباء ذوى احسان
لازال يبقى شائدا بيت العلا * وعدوه فى الوهن والنقصان
ياأيها المولى الذى يجرى مع الاقبال والاسعاد طلق عنان
دم شامخ المقدار مرتفع البنا * والناس تحت رضاك كالغلمان
متمتعا بنيك سادات الورى * فى عز رب دائم السلطان
مارجع القمرى فى تغريده * فى الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضى عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالى الهمة تضيق يده عما يريد فلذلك كان كثيرا ما يبث شكواه فى الطروس والدفاتر ويعتب على الزمان الذى أخنى على أهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر ويرحم الله القائل

هذا زمان در يهمى لاغيره * فدع الدفاتر للزمان الفاتر

ومن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا وأدمج شكوى الزمان الذى كان من شماتة الاعداء به حذرا

ابطأت فى ذا الجزء ياسيدى * كتابة من جور دهر بغيض
صابرته فالجسم منى لقى * تجلدا والقلب منى مريض
فاذا أبى الاتلاف وقد * أحلنى منه محل النقيض
واقتادنى قسرا الى مصرع * قد رق منه اللحم والعظم هيض
سلمت للاقدار مستسرعا * لباب مولى ذى عطاء عريض
جوم صبر كنت أسطو به * على رزايا الدهر بالمسم غيض
ولاتلم ياصاح من بعد ذا * اذا تمثلت بحال الجريض

ورأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبه جده القطب الخيضرى الحافظ لابراهيم بن نصر الحموى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه

يازمانا كلما حا * ولت امرا يمتنع
ان تعصبت فانى * باصطبارى أقتنع

منها فى المراكب وتجهز من قبلهم أيضا والعلة فى ضعفهم عن اللان تركهم دار بندة والعادة تتصل أن يملكوا عليهم ملكا يجمع كلمتهم ولو اجتمعت كلمتهم لم يطقهم اللان ولا غيرها من الامم وتفسير هذا الاسم وهو فارسى الى العربية القف وذلك أن الفرس اذا كان الانسان ناتها اما قالوا تشك وتلى هذه الامة التى على هذا البحر امة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان وهى أمة كثيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ولا نمى الى خبرها فى دينها وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلادكشك نهر عظيم كالفرات يصب الى بحر الروم وقيل الى بحر مانطش ويقال لدار مملكة هذه الامة ارم ذات العماد وهم ذوو خلق عجيب وآراؤها جاهلية ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك أن سمكة عظيمة تاتيهم فى كل سنة فيتناولون منها ثم توجد نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها وقد عاد اللحم على الموضع الذى أخذ منه اولا وخبر هذه الامة مستفيض فى تلك الديار من الكفار ويلى هذه الامة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب فى الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء فى وسط تلك الصحراء دارة مدورة كأنها قد خطت

وهذه تورية بديعة للغاية في التعصب والتقنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن والله سبحانه يروح تلك الارواح في الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان ويكفينا شجون دهر جرى بنا طلق العنان (رجع الى ما كنا فيه) وكنت وقفت في كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى أمير المؤمنين الناصر المرواني رحمه الله تعالى قالهما في الزهراء التي بناها وسيأتي ذكرها قريبا وقال الشيخ سيدي محيي الدين بن العربي في المسامرات قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها ماوى الطير والوحش وبناؤها عجيب في بلاد الاندلس وهي قريبة من قرطبة ابياتا تذكر العاقل وتنبه الغافل وهي

ديار بأكناف الملاعب تلمع * وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب * فيصمت احيانا وحينا يرجع
فخاطبت منها طائرا متغردا * له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي * فقال على دهر مضى ليس يرجع

(ثم قال) وأخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر ماتت له سرية وتركت مالا كثيرا فأمر أن يفك بذلك المال اسرى المسلمين وطلب في بلاد الافرنج أسيرا فلم يوجد فشكر الله تعالى على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبها حبا شديدا اشتهيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال أو نحو ذلك واتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها متنزها ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء في مجلسها نظرت الى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الاسود فقالت يا سيدي الا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر ذلك الزنجي فأمر بزوال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه أعيذ أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه لو اجتمع الخلق ما ازالوه حفرا ولا قطعا ولا يزيله الا من خلقه فأمر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر أحسن منها ولا سيما في زمان الازهار وتفتح الاشجار وهي بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار وقال ابن خلكان في ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته الزهراء بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء بعدها همزة ممدودة وهي من عجائب أبنية الدنيا انشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق المستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا واعظمه شانا

ببيكار وشكل دائرتها خسفة مجوفة في حجر صلد منخسف كما تدور الدائرة استدارة تلك الخسفة نحو خمس ميل لا يطلع قديم يرى سفلا كما انه يبنى من سفل الى علو يكون قعره على نحو ميل طريق لا سبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة وبالنهار يرى فيها قرى وعمائر وانهار تجرى من تلك القرى وناس وبهائم الا انهم يرون لطاف الاجسام لبعد محل الموضع لا ندرى من أي الامم هم ولا سبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الارمنية على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر بها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا انهم ذوو شعور وربما وقع في النادر القرد منهم اذا احتيل في اصطياده فيكون في نهاية الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالاشارة وربما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هنالك فيعلم القيام على رؤسها بالمذاب على موائدها ويلقى الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم انه مسموم فحذر منه وكذلك الاكثرين

ـ ذكر ذلك كله ابن بشكوال فى تاريخ الاندلس انتهى كلامه * وحكى فى المطمح أن الوزير الكبير الشهير بالحزم بن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين التى تقوضت أبنيتها وعوضت من أنيسها بالوحش اوقيتها

قلت يوما لدار قوم تفانوا * أين سكانك العزاز علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا * ثم ساروا ولست أعلم أينا

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس وعرشت بسرور واشتناس وبرع النواقيس يبهج سمعه وبرق الحميا يسرع لمعه والقس قد برز فى عبده المسيح متوشحا بالزنار أبدع توشيح قد هجروا الافراح واطرحوا النعم كل اطراح لا يعمدون الى مء بابله الا اغترافا من العدران بالراح وأقام يومهم يعملها حميا كأنما يرشف من كاسها شفتيا وهى تنفح له بأطيب عرف كما رشفها أعذب رشف ثم ارتحل بعد ما ارتحل فقال

وليلة حان قد شهدت بدوره * خمر الصبا مرجت بصرف عصيره
فى فتية جعلوا السرور شعارهم * متصاغرين تخشعا لكبيره
والقس مما شاء طول مقامنا * يدعو بعود حولنا بزبوره
يهدى لنا بالراح كل مصفر * كالخشف خفره التماح خفيره
يتناول الظرفاء فيه وشربهم * لسلافهم والاكل من خنزيره

انتهى * (رجع الى أنباء الزهراء) قال بعض من أرخ الاندلس كان يتصرف فى عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل انتهى وسيأتى فى الزهراء مزيد كلام وقال ابن حيان ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب ألفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة ألف ذراع وسبعون ألف ذراع كذا نقله بعضهم وللنظر فيه مجال قال وكان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومؤنة حملها وجلب اليها الرخام الابيض من المرية والمجزع من رية والوردى والاخضر من افريقية من اسفاقس وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان وليس له قيمة وانما جلبه أحمد الفيلسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه فى وسط المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثنى عشر تمثالا وبنى فى قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافى لونه المتلونة أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت فى وسطه اليتيمة التى اتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس فى وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان فى كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام

من القرد فى مواضع سلوكهم به عند الطعام وقد ذكر ناخبر القرود بالبمن والنوح الحديد الذى لم يعمل بها ابن داود بهذا القرود بالسيرة كثيرة من أمرهم مع عامل معاوية وكتب به فى أمره ووصف القرد العظيم الذى كان فى رقبته اللوح الحديد وليس فى قرود العالم أحسن من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون فى بقاع الارض الحارة منها أرض النوبة وأعلى بلاد الاحابش مما يلى أعالى مصب النيل القرود المعروفة بالنوبية وهى صغيرة القد صغيرة الوجوه ذات سواد كثير حالك كأنه نوبى وهو الذى يكون مع القرادين ويصعد على رمح قصير حتى أعلاه ومنها ما يكون فى ناحية الشام فى آجام وغياض نحو أرض الصقالبة وغيرها من هنالك من الامم كذلك وما وصفنا من هذا النوع من القرود وقرب شكله من صورة الانسان ومنها بخلجانات بلاد الزانج وبحر الصين فى مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن مملكته يوازى ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين وهذه القرود مشهورة فى الصقع معروفة

بالكثرة في هذه الحمامات وهي ذات صور نامية وقد كان حمل الى المقتدر منها

الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار وكان الناصر اذا اراد أن يفزع أحدا من أهل مجلسه أومأ الى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس ان المحل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم وكان بناء الزهراء في غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعمد كثير وأجرى فيها المياه وأحدق بها البساتين وفيها يقول الشاعر السميسر

وقفت بالزهراء مستعبرا ... معتبرا أندب أشتاتا

فقلت يا زهرا ألا فارجعي ... قالت وهل يرجع من ماتا

فلم أزل أبكي وأبكي بها ... هيهات يغني الدمع هيهاتا

كأنما آثار من قد مضى ... نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا وسأذكر ما يوافقه ويخالفه والله سبحانه أعلم بالامر كله وربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد في بعض الاخبار تكرارا فيحمل ذلك على الغفلة وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعباراتهم والافادة بالمقصود لا تحصل الا بمثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من أجل ما ذكر والله أعلم وذكر بعضهم ان مجلس الناصر هذا نظير واحد مما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طليطلة المأمون ابن ذي النون بها وذلك أنه أنفق عليه الى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة وصنع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة اذ سمع منشدا ينشد

أتبني بناء الخالدين وانما ... مقامك فيها لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية ... لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فنغص عليه حاله وقال انا لله وانا اليه راجعون أظن أن الاجل قد قرب فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفي ولم يجلس في تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٢ تجاوز الله تعالى عنه هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب وقد ذكرت في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة لفظ ابن بدرون شارح العبدونية فليراجع وتذكرت هنا قول أبي محمد المصري في صفة قصر ظاهره

قصر يقصر عن مداه الفرقد ... عذبت مصادره وطاب المورد

نشر الصباح عليه ثوب مكارم ... فعليه ألوية السعادة تعقد

وكأنما المأمون في أرجائه ... بدر تمام قابلته أسعد

وكأنما الاقداح في راحاته ... درج ذاب فيه العسجد

وجاءت في ... [illegible] ... عصام
وكان في البرود ووجه
و ... [illegible] ... أنواع من
الهدايا ... [illegible]
حمل ذلك أحمد بن أبي هلال
أمير عمان يوسف ... [illegible]
البرود وأمرها ... [illegible]
... [illegible] ... أهل ... [illegible]
وكان من ... [illegible]
... [illegible] وكرى ... [illegible]
بالحمله ... [illegible]
حوف الماء على أن الحا ... [illegible]
... [illegible] ... [illegible]
لا يكون الا ... [illegible] مصر
... [illegible]
... [illegible]
الكتاب ... [illegible] ذلك
رأيت ... [illegible]
... [illegible] فاما ... [illegible]
بين ... [illegible] البرود
... [illegible]
لا ... [illegible]
وادي ... [illegible]
... [illegible]
أميرها في هذا الوقت وهو
... [illegible]
ابراهيم بن زياد صاحب
الجرملي وبين هذا الرأس
وبين زبيد يوم ومن الجند
يوم أو أكثر من ذلك وهذا
الوادي كثير العمارة
ومصاب المياه اليه كثيرة
وشجر الموز فيه كثير
والبرود فيه كثير وهو
بين جبلين والبرود قطعتين

كل قطعة منها ... [illegible] ... كالمحل العظيم ... [illegible] البردة في بطن واحد ... [illegible]

وله فى صفة البركة والقبة عليها

شمسية الانساب بدرية * بحار فى تشبيهها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى * وهى عليه الفلك الدائر

وكان ملوك الاندلس فى غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيرى رحمه الله تعالى فى وصف مجلس للمنصور بن أبى عامر ما يشهد لذلك وهو قوله

وتوسطتها الجنة فى قعرها * ثبت السلاحف ماتزال تنقنق
تنساب من فلكى هزبران يكن * ثبت الجنان فانفاه أخرق
صاعده من بدو خلق صفحتى * هاديه محض الدر فهو مخلق
للياسمين تطلع فى عرشه * مثل المليك غداة وهو مطوق
ونضائد من نرجس وبنفسج * وجنى خيرى وو رديعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من * طرب اليك بلا لسان تنطق
وعلى يمينك سوسنات أطلعت * زهر الربيع فهن حسنا تشرق
فكأنما هى فى اختلاف رقومها * رايات نصرك يوم باسك تخفق
فى مجلس جمع السرور لأهله * ملك اذا جمعت قناه يفرق
حازت بدولته المغارب رفعة * فغدا يحسدها عليه المشرق

ومن هذه القصيدة

أما الغمام فشاهد لك انه * لاشك صنوك أو أخوك الاوثق
وافى الصنيع فحين تم تمامه * فى الصحو انشا ودقه يتدفق
وأظنه يحكيك جودا اذرأى * فى اليوم بحرك زاخرا يتفهق

وكان السبب فى هذه الابيات أن المنصور صنع فى ذلك الاوان صنيع التطهير لابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق الى دينارين فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمت الافق ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر المنصور بن أبى عامر فقال الجزيرى بديهة أما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامرية

حييتك يا قمر العلا والمجلس * أزكى تحيتها عيون النرجس
زهر تريك بحسنها وبلونها * زهر النجوم الجاريات الكنس
ملكن افئدة الندامى كلما * دارت بمجلسهم مدار الاكؤس
ملك الهمام العامرى محمد * للمكرمات وللنهى والانفس

قال ابن بسام ومن شعر الجزيرى ما اندرج له أثناء مدحه الذى ملح فيه مخاطبة المنصور على ألسنة اسماء كرائمه بزهر رياضه فمن ذلك عن بهار العامرية

حدق الحسان تقر لى وتغار * وتضل فى صفتى النهى وتحار
طلعت على قضبى عيون تمائمى * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بى اذا شبهتنى * درر تنطق سلكها دينار

العشرة والاثنى عشر كما تلد الخنزير ٢٤٨ خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ويحمل الذكر الباقين ولهن مجالس يجتمع فيها حلق منهن فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار المورقة بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس فى جميع البقاع التى تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح وهم جم للذكور والاناث قد سرحت سود كاسود ما يكون من الشعر واذا طلعوا تجلسوا مراتب دون مرتبة الرئيس ويتشبهون فى سائر اعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء رقلعة كحلان ما يكون فى برار وجبال هنالك كانها السحر فى تلك البرارى والجبال لكثرتها وكحلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن فى هذا الوقت محتجب عن الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف مرتزقة يقبضون الرزق فى كل شهر ويدعى وقت القبض البركة

أهدى

أهدى له قضب الزمرد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حتى ابهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقل بهار

ومن أخرى عن بنفسج العامرية اذا تدافعت الخصوم أيد الله مولانا المنصور في مذاهبها وتعاقرت في مفاخرها فاليه مفزعها وهو المقنع في فصل القضية بينهما لاستيلائه على المفاخر بأسرها وعلمه سرها وجهرها وقد ذهب البهار والنرجس في وصف محاسنها والفخر بمناقبها كل مذهب وما منهما الا ذو فضيلة غير ان فضلى عليهما أوضح من الشمس التى تعلوها وأعذب من الغمام الذى يسقينا وان كانا قد تشبها في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهى من الموات الصامت فانى أتشبه بأحسن ما زين الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع انى أعطر منهما عطرا وأحمد خبرا وأكرم امتاعا شاهدا وغائبا ويانعا وذابلا وكلاهما لا يمتع الا ريثما يبدع ثم اذا ذبل تستكره النفوس شمه وتستدفع الاكف ضمه وأنا أمتع يابسا ورطبا وتدخرنى الملوك في خزائنها وسائر الاطباء وأصرف في منافع الاعضاء فان فخرا بأن قامتهما على ساق هى أقوى من ساقى فلا غرو وأن الوشى ضعيف والهوى لطيف والمسك خفيف وليس الحديد كذلك بانصراع وقد أودعت أيد الله مولانا فوافى الشعر من وصف مشابهى ما أودعاه وحضرت بنفسى لئلا أغيب عن حضرتهما بتقدمة فضل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الفضل للمتقدم ما حضر لوقته وأشعر الناس من أنصت لشعره ولمولانا أتم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل وأقول

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه
لمشابه الشعر الاثيم أعاره الـ * ـقمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جمع الدموع من الطلى * من صارم المتصور يوم قراعه
حكاه غير مخالف في لونه * لا في روائحه وطيب طباعه
ملك جهلنا قبله سبل العلا * حتى وضحن بنهجه وشراعه
في سيفه قصر لطول نجاده * وعمام ساعده وفسحة باعه
ذو همة كالبرق في اسراعه * وعزيمة كالحين في ايقاعه
تلقى الزمان له مطيعا سامعا * وترى الملوك الشم من أتباعه

وما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرة أثوابها * في قدها للطير كل مغرد
نادمت فيها فتية صححابهم * مثل البدور تسير بين الاسعد
والجدول الفضى يضحك ماؤه * فكانه في العين صفح مهند
واذا تجعد بالنسيم حسبته * لما نراه مشبها للمبرد
وتناثرت نقط على حافاته * كالعقد بين مجمع ومبدد
وتدحرجت للناظرين كأنها * در نثير فى بساط زبرجد

وكان بحمام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل ووصفها بعض أهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر تزهو بجيد * تناهى فى التورد والبياض

فيجتمعون هنالك ويتحذرون ويتحدرون من تلك المحاليف والمحاليف القلاع وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب المديخرة وهو على ابن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلى باليمن شان عظيم حين قتل وتوطأ باليمن هذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة وكذلك في سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الارض وأخبار النسناس في كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العرابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيه رجفرا واحدها عربد وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل جبير بن اسحق ان يأتى له بحمل اشخاص من النسناس والعربد فلم يسلم منهم الى سر من راى الا اثنان من النسناس ولم يأت له الحيات في حمل العربد من اليمامة وذلك أن العربد هذا اذا اخرج عن اليمامة وصار الى موضع مهامه معروف المسافة عدم من الوعاء الذى حمل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقارب وسائر الهوام كمنفعة أهل سجستان بالسافة ولذلك كان في عهد سجستان العديم لا يعتل ... بلدهم لانه بلد كثير

لهـا ولدولم تعـرف حليـلا * ولا ألمت بأو جاع المخاص

وبعـلم أنها خمـر ولـكن * تقمصنا بالحائط مـراص

وكان بين يديه في القصر المسمى بدار السرور بمجلس الذهب أحد قصور المقتدر بن هود وفيه يقول ذو الوزارتين بن عبد شلب يهجو وزيرا كان يتبرز بحقوق

صح من قصون بيت الذهب * ودعا بما به وأحـر بي

رب طهر لي فقد دنسني * عارة تقون ألوف الدسب

(وكتب) بعض كبرا الاندلس الى اخوانه كان في هذا من وادي الزيتون ونحن فيه نحتلفون فصولا كثيرة من السندس الاخضر وتحلت بانواع الزهر وتحليت بأنهار تخللها واشجار تظللها تحجب أدواحها الشمس لالتفافها وتأذن للنسيم فلا من أعطافها فبيننا نشتم من محاسن تروق ونجتني واطيار تتجاوب بالحان تلهي وتطرب في مثلها يعود الزمان كله صبا وتجري الحياة على الامل والمنى وأنا فيها أتقاكم الله سبحانه بحال من طاب غذاؤه وحسن استمراؤه وصحا من جنون العقار واستراح من مصص الخمار وزال ثقله وأوسه وحات من الخائط هواجسه ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف الخمار والدعاء الى العقار * فراجعه أبو الفضل بن حسداي بروقعة قال في صدرها الى سيدنا الذي ألزمنا امتنانه الشكر وكبيرنا الذي علمنا بيانه السحر وعميدنا الذي عقدنا بحرمه الحلي ورمانا بدائه والنسل أبقاك الله تعالى لتوبة نصوح عمرها وعين محوس تبرها وردا بهالك الله تعالى كتابك الذي اهديته من معرسك بوادي الزيتون ووقفنا على ما اقتضت في أوصافه من ختمة المجون واعتنائك بالسلاف بخمره ودنانه واهتزازك بلطيف بواكره وروحانه وسرورك به وهو جو تلاعه مزرودة هذابه وأجراعه وكل المشارب ماحلاه دميم ومدة الدهر حضور لياء جنتهم وتلك عادة تلونك وسجية تحصرمك وشاكلة ملالك وسآمتك واشعر الناس عندك من أنت في شعره واحب البلاد اليك ما أنت في عمره وأين منك بساتين جلق وجنانه ورياضه المونقة وحانه وبنانه البيض في حدائقه الخضر وجون العضر في حبابه النضر وما تبسمه حبابه وتعقبه أكباده وعطايه من أمهات الراح التي هجرتها عمك وموردالشمول التي طلقتها عمك وهيهات فوالله ما فارقتك تلك الاجارع والمجاني ولا شاقتك تلك المنازل والمغاني الا تذكرا لما لديها من طيب المعاهد وحنينا الى المعاهد وأين من مشتاق عنقاء مغرب * ثم ذكر كلاما في جواب ما مر من الخمار لم يتعلق لي به عرض * (وما أحلى) قوله ما كتبه ابو الحسن بن حاجه من رسالة في ذكر مترة وما أكب الغمام كبابا لم اجد منه انابا واتصل المطر اتصالا لم الف منه انفصالا الا اذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته وينشر صحيفته فتقشعت ارث السحاب كما طوى السجل الكتاب وطفقت السماء تخلع جلبابها والشمس تميط نقابها وطلعة الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت وقد ذهبت في لمة من الاخوان نستقري الى الراحة ركضا ونطوي المرج أرضا فلا أندفع الا الى غدير نمير قداستدار منه في كل قرارة سماء سحابة عماء واقتاب في تلعته حباب

فترددنا

الرمال به ذو القرنين في الافاعي والحيات بهذا ولولا كثرة الفوائد لانف من هذا المنشأ من الناس وكذلك في مصر في صعيدها بعيرة في دونه يقال له العرس أكبر من الخر وتعرف بابن عرس وتمر الى ... لولا هذه الدوبه لكان اهل مصر الثعابين وهي نوع من الحيات عظيمة ... طوى الثعبان على الدويبة وتلتف بها فتزحف عليه فتقطع الثعبان من رحمها هذه خاصية هذه الدابة وفي الشرق أنواع من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته وجمده وكذلك في المغرب واليمن وهو الجنوب والجربي وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع في ذكره في هذا الباب خروج عن الغرض الذي نحن نحوه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا من الامم المحيطة بالباب والابواب والسور وجبل القبخ والارض الخزر واللان وما وصلها الى بلاد الخزر فيما بينهم وبين المغرب أمم ترك ترجع الى أب واحد وهو ذو أنسابهم حضر وبدو ذوو منعة وبأس شديد لكل امة منهم ملك

مياه وحوله جبال كثيرة من الرمل فدسكرب بالخشب والقصب والبلد كثير

مساهم ملك امام ... بعضها في ... ونصل مما راءها عدية نرومه

فتردد ما بتلك الاباطح تهادى تهادي أعطافه وتتضاحك بضاحك أقحوانها وللنسيم
أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل مشي على بساط وشي فاذا مر بغدير نسجه درعا وأحكمه
صنعا وان عثر بجدول شطب منه نصلا وأخلصه صقلا فلا ترى الا بطاحا مملوءة سلاحا
كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بالسنة من درع مصقول ونصل مسلول ومن
فصل منها فاحتللنا قبة خضراء ممدودة اشطان الاغصان سندسية رواق الاوراق وما
زلنا نلتقط منها برد ظل ظليل ونشتمل عليه برداء نسيم عليل ونجيل الطرف في نهر صقيل
مافي لجين الماء كأنه مجرة السماء مؤتلق جوهر الحباب كأنه ثغور الاحباب وقد حضرنا
مسمع يجري مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها وهواها ويغني لها مقترحها ومناها فتستمع
لسان الشعر يشفي من الوقر كأنه كاتب حاسب يمشق بيمناه ويعقد بيسراه

يحرك حين يشدو ساكنات * وتنبعث الطبائع للسكون

انتهى * (وكانت) بين أبي اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق أن ولي ذلك الصديق
حصة فخاطبه أبو اسحق برقعة منها أطال الله بقاء سيدي النبيه أوصافه الرفيعة عن
الاستثناء المرفوعة أمارته الكريمة تبالابتداء ما انحذفت يا يرمي للجزم واعتلت
واو يغزو لموضع الضم كتبت عن ود قديم هو الحال لم تلحقها التنقل وعهد كريم
هو الفعل لم يدخله الاعتلال والله يجعل هاتيك من الاحوال الثابتة اللازمة ويعصم
هذا بعد من الحروف الجازمة وانما استنهض طولك الى تجديد عهدك بمطالعة ألف
الوصل وتعديه فعل الفصل وعدولك عن باب ألف القطع الى باب الوصل والجمع
حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الانفعال حال الصمت فلا تعتقد أعزك
الله ان رسم اخائك عندي دوحة قد درس عفاء ولا أن صدري دار مية أمسى من وده خلاء
وانما أنا فعل اذا تثنى ظهر من ضمير ودك ما بطن وبدا منه ما كمن وهنيئا أعزك الله أن
فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير وأن فعل سيفك ماض ماله للعوامل تأثير وأنت
بمجدك جامع أبواب الظرف تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف
العطف وتدخل لام التبرئة على ماحدث من عتبك وتوجب بعد النفي ماسلف من عهدك
وتدع ألف الالفة أن تكون بعد من حروف اللين وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين
وتسوم ساكن الوداد أن يتحرك ومعتل الاخاء أن يصح وكتابي هذا حرف صلة فلا تحذفه
حتى تعود الحال الاولى حسنة وتصير هذه النكرة معرفة فأنت أعزك الله مصدر فعل
السرور والنبل ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل وان كان تأخر العصر بك كالفاعل
وقع مؤخرا وحدوثك وان تكبر كالكميت لم يقع الا مصغرا وللايام حال تبسط وتقبض
وعوامل ترفع وتخفض فلا دخل عروضك قبض ولا عاقب رفعك خفض ولا زلت منبسطا
بالفصل شرطك وجزاؤك جاريا على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى يخفض الفعل
وتبنى على الكسر قبل ان شاء الله * وكتب رحمه الله تعالى يستدعي عود غناء * انتظم
من اخوانك أعزك الله تعالى عقد شرب يتساقون في ودك ويتعاطون ريحانة شكرك
وحمدك وسامهم الاشرة المسامع الى رنة حمامة ناد لا حمامة بطن واد والطول لك في

وبما يلي بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ما هنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة وكذلك
يتصل بملك اللان وديارهم
تتصل ببلاد الخزر وقبائل
ان واحدا منهم يقال له بجني
ثم تليها أمة ثانية يقال لها
جعرد ثم تليها أمة يقال
لها البجناك وهي أشد هذه
الامم الاربعة بأسا ثم تليها
أمة ثانية يقال لها نوكرده
وملوكهم بدو وكان
لهم حروب مع الروم بعد
العشرين والثلثمائة أو
قبلها وقد كان للروم في
تخوم أرضهم مما يلي من
ذكرنا من هذه الاجناس
الاربعة مدينة عظيمة
يونانية يقال لها ولندر فيها
خلق من الناس ومنعة بين
الجبال والبحر فكل من
فيها مانع لمن ذكرنا من الامم
ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل
الى أرض الروم لمنع
الجبال والبحر اياهم
ومن في هذه المدينة وكان
بين هؤلاء الاجناس حروب
بخلاف وقع بينهم على رأس
رجل مسلم تاجر من أرض
اردبيل كان نازلا على
أرض بعضهم فاستضافه
ناس من الجيل الآخر
فاختلفت الكلمة وأغار
من في ولندر من الروم على
ديارهم وهم عنها خلوف
فسبوا كثيرا من الذرية
وساقوا كثيرا من
الاموال وبلغ ذلك الترك وهم مشاغيل في حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد القوم جميعا و

ولم أنتبه إذ ناطق قد استعار من بنان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجمانا وهو على الاساءة والاحسان لا ينفك من ايقاع به من غير ابتغاع له فان هفا عركت أذنه وأدب وان تأبى واستوى بجع بضنه وضرب لازلت منتظم الجذل ملتئم الأمل انتهى * (ومن نظمه رحمه الله تعالى يتفجع ويتوجع)

شراب الامانى لو علمت سراب * وعتبى الليالى لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
يخب بها فى كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يفيض الدمع أو يبرد الحشا * وقد باد أقران وفات شباب
أواب طرفى لا أرى غير ليله * وقد حط عن وجه الصباح نقاب
كأنى وقد طار الصباح حمامة * يمد جناحيه على غراب
دعا بهم داعى الردى فكأنما * تبارت بهم خيل هناك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما * جنا بينهم طعن لهم وضراب
همو ودو لا غير التراب حشية * لجنب ولا غير القبور قباب
ولست بناس صاحبا من ربيعة * اذا نسيت رسم الوفاء صحاب
ومما شجانى أن نضى حتف أنفه * وما اندق رمح دونه وكعاب
وأنا تجارينا ثلاثين حقبة * ففات سباقا والحمام قصاب
كأن لم يبت فى منزل التصف ليلة * يجيب بها داعى الصبا ويجاب
اذا قام منا قائم هز عطفه * شباب أرقناه بها وشراب
ولما تراءت للمشيب بريقة * وأقشع من ظل الشباب سحاب
نهضنا بأعباء الليالى جلالة * وأرست بها فى النائبات هضاب
فيا ظاعنا قد حط فى ساحة البلى * بمنزل بين ليس عنه مآب
كفى حزنا أن لم يرونى على النوى * رسول ولم ينفذ اليك كتاب
وأنى اذا يممت قبرك زائرا * وقفت ودونى للتراب حجاب
ولو أن حيا كان حاور ميتا * لطال كلام بيننا وخطاب
وأعرب عما عنده من جلية * فأقشع عن شمس هناك ضباب

وقد أبعدنا عما كنا بصدده من ذكر قرطبة أعادها الله للاسلام فنقول * قال بعض من أرخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل الى اربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتى ذكره * وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأم المدائن ودار الملك وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلثمائة وكانت عدة الدور فى القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت فى السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار حاشا دور الوزراء وأكابر الناس والبياض * ورأيت فى بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين قال وكانت ديار أهل الدولة اذ ذاك ستة آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد أرباضها ثمانية

وعشرون

مدينة وليدر فساروا اليها فى نحو ستين ألف فارس وذلك على غير احتفال منهم ولا تجمع ولو كان ذلك لكانوا فى نحو ستمائة ألف فارس فلما نمى خبرهم الى أرمنوس ملك الروم فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سير اليهم اثنى عشر ألف فارس من المتنصرة على الخيل بالرماح فى زى العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر فى ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفى هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا فى أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض الاسلام وأبوا ذلك وتواقف الفريقان فى ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا

وعشرون وقيل أحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام وقيل ثلثمائة حمام وقال ابن حيان ان عدة المساجد عندنا هيهنا في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد والحمامات تسعمائة حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما وماثة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا وربما نصف العدد أو أكثر لارباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المغرب وهو أعلم بما يأتي ويذر رحمه الله تعالى * وقال بعض المؤرخين بعد ذكره نحو ما تقدم ووسط الارباض قبة قرطبة التي تحيط بالسور دونها وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى ونحوه لابن الفرضي وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد وأحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دور قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع * وتفسيرها باللسان القوطي القلوب المختلفة وهي بالقوطية بالظاء المشالة وقيل ان معنى قرطبة أجر ساكنها قال وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور جليلة * وكانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار وعشرين دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح أربعة آلاف مدي وستمائة مدي ومن الشعير سبعة آلاف مدي وستمائة مدي وسبعة وأربعين مديا وقال بعض العلماء أحصيت دور قرطبة التي بها وأرباضها أيام ابن أبي عامر فكان مائتي ألف دار وسبعة وسبعين دارا وهذه دور الرعية وأما دور الاكابر والوزراء والكتاب والاجناد وخاصة الملك فستون ألف دار وثلثمائة دار سوى مصاري الكراء والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمائة وخمسة وخمسون ولما كانت الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ومحيت آثار تلك القرى والبلدان انتهى ملخصا * وسيأتي في رسالة الشقندي ما هو أشمل من هذا * ولما رثت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين بمراكش قال وذكر المنتزهات القرطبية

يا هبة باكرت من نحو دارين * وافت الى على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة * جناحها بين خيري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما * خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر أرضكم * ما أصبحت من أليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة * من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله * لما تبسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا * وظل ينشرني طورا ويطويني
خلت الشمال شمالا اذ سكرت بها * سكرا بما لست أرجوه يمنيني

الكثرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة تعالوا فهم ثبت بحبال قادوني السدبير في غداة غدا فأجمعوا على ذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك في جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة واتصل الرمي واتصلت الكراديس كالرحا والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها في ألف ألف وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدي فيرمي في جناح ميسرة الروم ويمر بين يديهم فيرمي وينتهي الى القلب وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينتهي الى الميسرة فيرمي وينتهي الى القلب فيرمي فيكون ما بقي الكراديس في القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم وصادفوا صفوف الترك ثابتة فاخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعبيهم

من اليمين والشمال وتحدد النعوم السيف و ... ود الامن وكر صد الجبل ... من ... نسر ... المساحين كان بعد الى سور المدينة على جنبهم ... ذت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أيا ما ... الملهب وخرج ... ها الى بعد ثلاث يوم في القسطنطينية ثم نو ... الغنائم والمروج والسباع ... وأسراوسبا حتى نزلوا على ... القسطنطينية فأقاموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة منهم ... منهم بالخرقة ... الثوب من ديباج ... ومروا السيف فلم يبقوا على أحد منهم ... والرجال ... الغارات في ... الديار فاتصلت غاراتهم ... التي ... و ... لاتصلت غاراتهم الى ... بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ... كرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وسـ كرنا من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والباب والابواب اذ كنا قد ذكرنا جملة الامن

أهدت الى أرجاس شمائلكم * ففات قربي من كان يقصدني
وحلت من طمع أن اللقاء على * اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
مطلت ألثم من تعظيم حقكم * مجرد باالهاوالو جد يغريني
مسارج كم بها سرحت من كبد * قلبي وطرفي ولا سلوان ينثني
بين المصلى الى وادي العقيق وما * يزال مثل العمان بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النضير فوا * دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لباب عدسقته السحب وابلها * فلم يزل بكؤس الانس يسقيني
لا أبعد الله عيني عن منازهه * ولا يقرب لها أبواب جيرون
حاشا لها من محلات مفارقة * من شيق دونها في الغرب محزون
أين المسير ور زق الله أدركه * من دون جهد وتأميل يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي * كم ذا تحاول سلا عنه عني
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة * من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
بطرفيه ونهر ما به كدر * حفت شطيه ألفاف البساتين
باليت لي هرنو ح في اقامتها * وأن مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت أقيه على نشوا * ت الراح نهاو وصل الحور والعين
وإعما أسفي أني أهيم بها * وأن حظي منها حظ مغبون
أرى بعيني ما لا أستطيل يدي * له وقد حازه من قدره دوني
وأنكد الناس عيشا من تكون له * نفس الملوك وحالات المساكين
بعض طرف التصابي حين يهته * قضبان نعمان في كثبان يبرين
فانوا السكان مقيم فلت ذاك لمن * لا يستخف الى بيت الزراجين
ولا يبليه هب الصبا سحرا * ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بنفاح الخدود ورمان الصدور وترجيع التلاحين
لا تحتي راحة الاعلى تعب * ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر * واعنا الصحو فيها للمجانين
يا آمري أن أحث العيس عن وطني * لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
بحث المكان لي ما ليا بازعني * فلو نزحلت عنه حل دوني
لا أزمن وطني طورا طاوعني * تودا الاماني وطورا فيه تعصيني
مذللا بين عرفاني وأضرب عن * سير لارض بها من ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع * وذا الحسين أريد البر يجفوني
اليك عني آمالي فبعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
بالحظ كل غزال لست أملكه * يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة دير لا ألم به * لولاكما كان ما أعطيت يكفيني
لا صبرن على ما كان من كدر * لمن عطاياه بين الكاف والنون

أن ... ارالامم النابتة من هذا الصقع ومن ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين

وتسمى

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الاندلس كنز الادب وقد أشرنا في الفصل الاول الى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى الى الاسلام فاغنى عن اعادته وان كان ذكره هنا أنسب لان ما تقدم انما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وأنشد أبو العاصي غالب بن أمية المروزي لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهة

يا قصر كم حويت من نعم * عادت لنا بعوارض الفلك
يا قصر كم حويت من ملك * دارت عليه دوائر الفلك
ما شئت فابق فكل متخذ * يوما يعود بحال منترك

وقال القاضي أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

أقول وقد جد ارتحالي وغردت * حداتي وزمت للفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي * وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم يبق الا وقفة يستحثها * وداعي للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وجاد رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق المحيا مستلان الجوانب
أاخواننا بالله فيها تذكروا * مودة جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفالهم * كأني في أهلي وبين أقاربي

(وأما) مسجد قرطبة فشهرته تغني عن كثرة الكلام فيه ولكن نذكر من أوصافه ونشر من أحواله ما لا بد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس في بلاد الاسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سوار كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد في أعلاه وأسفله انتهى وكان الذي ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل في زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بني أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذي ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء * وقال بعض المؤرخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره وعظم بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار وبنى بقرطبة الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض انه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار واشترى موضعه اذ كان كنيسة بمائة ألف دينار فالله تعالى أعلم * وقال بعض المؤرخين في ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى وكانت أخته أم الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذي أرسلته اليه من دمشق الشام كما مر وسيأتي كلام ابن سعيد ما هو أتم من هذا * ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبي عامر في جامع

القرنين وكانت الاخبار والجزية تؤدي الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون في أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره على من هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على نهر تفليس وأقام عليها حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسمعيل لان اسحق بن اسمعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني بأخبار العالم وأراه رجلا من قريش من بني أمية أو مولى لاحقا فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذوو قوة وبأس شديد وان كان ما ذكرنا من الممالك محيطا بهم

قرطبة قال ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية اعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها وهم كانوا ينصرفون في البنيان عوضا من رجالة المسلمين اذلالا للشرك وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور التي نقل أصحابها عنها بنفسه وكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التي لك يا هذا أريد أن ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم وفيئهم لأزيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب ما شئت فاذا ذكر أقصى الثمن أمر ان يضاعف له وأن تشترى له بعد ذلك دار عوضا منها حتى أتى على امرأة لها دار بصحن الجامع وبها نخلة فقالت لا أقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ في الثمن وحكى ذلك ابن حيان أيضا * وقيل ان انفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة ألف وواحدا وستين ألف دينار ونيفا وكله من الاخماس * وقال صاحب كتاب مجموع المفترق وكان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسا وعشرين ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم في طوله مائة ذراع وخمسة أذرع فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراع وزاد محمد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتي ذراع وثلاثين ذراعا وكان عدد بلاطه أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ستة عشر ذراعا وعرض كل واحد من اللذين يليانه غربا والذين يليانه شرقا أربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية احدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة أذرع وكان العمل في زيادة المنصور سنتين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس أذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد أبوابه تسعة ثلاثة في صحنه غربا وشرقا وجوفا وأربعة في بلاطاته اثنان شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليوم وهي من بناء عبد الرحمن ابن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى أعلى القبة المفتحة التي يستدير بها المؤذن وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزج وهي احدى غرائب الارض * وكان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خطه بيده وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب (رجع الى المنارة) وارتفاع المنارة الى مجلس الاذان أربع وخمسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارض ثماني عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة

يقال لها الصحيحية نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ثم تلي مملكة

ثم تلي مملكة حران مملكة
هؤلاء الصحيحية بين ثغر
تفليس وقلعة باب اللان
المقدم ذكرها مملكة يقال
لها الصنارية وملكهم
يقال له كرسكوس هذا
الاسم الاعم لسائر ملوكهم
وينقادون الى دين النصرانية
وهؤلاء الصنارية يزعمون
أنهم من العرب من نزار
ابن معد بن مضر وانهم فخذ
من عقيل سكنوا هنالك
في قديم الزمان وهم هنالك
مستظهرون على كثير من
الامم ورأيت بسلاح مأرب
من أرض اليمن أناسا من
عقيل محالفة لمذحج
لافرق بينهم وبين أحلافهم
لاستقامة كانهم فيهم خيل
كثيرة ومنعة وليس في
اليمن كلها أخيل من نزار
ابن معد غير هذا الفخذ
من عقيل الاماد كرمن
ولد أنمار بن نزار بن معد
ودخولهم في اليمن بسبب
مورده الخبر وما كان
من خبر جرير بن عبد الله
البجلي مع النبي صلى الله
عليه وسلم وما كان من خبر
بجيلة والصنارية يزعمون
أنهم انفردوا في قديم الزمان
وهم من سمينا من عقيل
بلاد مأرب في خبر طويل
ثم تلي مملكة الصنارية
مملكة سكين وهم نصارى

وفيهم خلق من المسلمين من الجبر ومن بعد ذلك وبعمال الملك بهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا

لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقرب بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى آخره وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ماعدا زيادة الحكم وأول ما عمله ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه وهو أعني ابن أبي عامر هو الذي رتب احراق الشمع بالجامع زيادة للزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة ببنائه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤس سبعة آلاف كاس وأربعمائة كاس وخمسة وعشرون كاسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤس ورصاص الكؤس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسة مائة ربع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاث قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقصور لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي توقد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها ليلة الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر وينصرف فيه من أئمة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصا ويوقد من البخور ليلة الختمة أربعة أواق من العنبر الاشهب وثمان أواق من العود الرطب انتهى * وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل ليلة جمعة رطل عود ورطل عنبر يبخر به انتهى * وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ثلثمائة وثلاثون ذراعا الصحن المكشوف منه ثمانون ذراعا وغير ذلك مسقف وعرضه من الغرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد أبهائه هذا كمالها بالزيادة التي زادها المنصور بن أبي عامر بعده ذات تسعة عشر بهوا وتسمى البلاطات وعدد أبوابه الكبار والصغار أحد وعشرون بابا الجانب الغربي تسعة أبواب منها واحد كبير للنساء يشرع الى مقاصيرهن وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها لدخول الرجال ثمانية أبواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر

آرزن بيه بن مهاجر ثم تليه مملكة قبله وما حوت المدينة من أمور وما حولها من العمائر والضياع نصارى ويقال للملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدعار ثم تلي هذه المملكة مملكة الموقان وهي التي قدمنا ذكرها واسمها مستعلية عليها وانها مضافة الى مملكة شروان شاه ورئيس هذا البلد المعروف بالموقان به هر الذي على ساحل بحر الخزر وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك الاران ومن سلف من آبائه وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم فلما هلك غلب محمد بن شروان شاه على حسب ما ذكرنا بعد أن قتل عمومته واحتوى على ما ذكرنا من الممالك وله قلعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبق يقال انها في الموضع المعروف بالسعط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التي بناها في بلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أنبأنا عن ذلك فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر يبتدئ من بلاد خزران من مملكة جرجير ويمر ببلاد الخان حتى يأتي

الى الجامع المشهود الجمعة وجميع هذه الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة وعدد
وارى هذا المسجد الجامع الكامل لسماته واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من
أجمله بين كبار وصغار ألف وأربعمائة سارية وتسع سوار منها داخل المقصورة مائة
وتسع عشرة سارية ويذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال
انه حظر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكمية وأطلق حدها فيها على الستة الباقية ثلاثة
من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار الخشب
الى جدار المسجد بالقبلة اثنين وعشرين ذراعا وارتفاعها في السماء الى منتهى شرافاتها ثمان أذرع
وارتفاع كل شرافة ثلاثة أشبار ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش
شارعة الى الجامع شرقي وغربي وشمالي ثم قال وذرع المحراب في الطول من القبلة الى
الجوف ثمان أذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع أذرع ونصف وارتفاع قبوه
في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف من أعواد كرام الخشب ما بين آبنوس
وصندل وبقم وشوحط وما أشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار
وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درجه تسع درجات صنعة
الحكم المستنصر رحمه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل
البلاطات خاصة سوى ما منها على الأبواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون
مختلفة الصنعة منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاط الأوسط أكبرها الضخمة المعلقة
في القبة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة وفيها من السرج فيما زعموا ألف وأربعمائة
وأربعة وخمسون سرجا وهذه الثريات الضخام في العشر الأخير من شهر رمضان تسقى كل ثريا
منها سبعة أرباع في الليلة وكان مبلغ ما يعمل من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في
السنة أيام عام ووجوده في مدة ابن أبي عامر مكملة بالزيادة المنسوبة ألف ربع منها في شهر رمضان
ستمائة وخمسون ربعا قال وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع
بقرطبة في زمن الخلفاء وفي زمن ابن أبي عامر ثلاثمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم ذكر
بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال والمعرفة ابن سعيد بمثل هذا
وتحريه فيه أكثر من غيره والله سبحانه أعلم وقال ألف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان
خمسمائة ربع وفي الثريات التي من الفضة وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية
عشر في ليلة وقدها وقال في المنبر انه ركب من ستة وثلاثين ألف وصل قام كل واحد
منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير الذهب والفضة وفي بعضها نفيس الأحجار واتصل
العمل فيه سبع سنين قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا وتحتوي على ألف كاس وأربعة
وثمانين كأسا وشأنها بالذهب الى غير ذلك من العجائب ؛ وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد
ابراهيم بن صاحب الصلاة الوليدي صفة جامع قرطبة مخاطبة عمره الله سبحانه بشمول السعادة
وسنى ملك ووفر من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت سحائب الانعام تهمي عليك ثرة
وتأمل الأيام تهدي اليك كل مسرة انه كان أعزك الله طريق الوداد بيننا عامرا وسبيل
الخدمة عامرا أوجب أن نعض حتمه ونروض كامه لا سيما فيما بدر أحد الأفاضل ويهز

عن طفليس ويسير في وسطه ويجري في بلاد السلورية حتى ينتهي على ثمانية أميال من بردعة
ويجري الى وادي ثم يصب
فيه من ماء الصنارة نهر
الرس ويشهر من أناحي
بلاد الروم من نحو مدينة
طرابزندة حتى يجيء الى
الكر فيصيران نهرا
واحدا يصب في بحر الخزر
وبحر الخزر ... بلاد ...
وهي بلاد بابك الخرمي
من أرض أذربيجان
وجبل البذ ... من بلاد
الران ويمر ببلاد ورثان
وينتهي الى حد الشوطة
وقد أتينا على وصف هذه
الانهار وأيضا نهر أسبيد
رود وجريانه في أرض الديلم
نحو طرم السلام وهو ابن
سوار بعض ملوك الديلم
ويمر هذا النهر من الديلم
الى الجيل فيصب فيه نهر
آخر في بلاد الديلم يقال له
شاهان رود ويمضي فيصب
الجميع الى بحر الجيل وهو
بحر الديلم والخزر وغيرهم
على ما ذكرنا وعلى هذا
النهر كثير من دور الاعاجم
ومن هنالك من ملوكهم
في هذا الوقت وهو سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة
منهم أحوم داوان صاحب
مدينة الري وطبرستان
وغيرهم من الجيل لم نذكر
الآن ملوك السريانيين
وهم أول من بعد في كتب
ار بجاب والنجوم والادوار الدعة من ملوك العالم ثم ملوك الموصل ... ثم ملوك بابل وهم النبط
اصناف

أعطاف الشمائل وانى شخصت الى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى مشرح الصدر لحضور ليلة القدر والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكانه وثبت أساسه وأركانه قد كسي ببردة الازدهاء وحل فى معرض البهاء كأن شرفاته فلول سنان أو أشرف أسنان وكأنما ضربت على سمائه كلل أو خلعت على أرجائه حلل وكأن الشمس حلفت ضياءها وسحبت على أقطاره أفياءها فترى نهارا قد أحدق به ليل كما أحدق بربوة سيل ليل دامس ونهار شامس وللذبال تألق كنضنضة الحيات أو اشارة السبابات فى التحيات قد أترعت من السليط كؤسها ووصلت بها من الحديد رؤسها وعظت بسلاسل كأنها ذوائب العقائق أو كالثعابين العائقة عصبت بها تفاح من الصفر كالامام الصفر تولع فى حملها أو جذبتها حتى يهرب بجسمها ولا لانها كأنما جليت بالذهب وأشربت ماء الذهب ان زرتها طولا رأيت منها سبائك عسجد أو قلائد زبرجد وان أتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى وتبسط شعاعها بسط الاديم حين يفرى والشمع قد رفعت على المنار وقع السود وعرضت عليها عرض الجنود ليجلى طلاقة روائها القريب والبعيد ويستوى فى هدايتها الشقى والسعيد وقد قوبل منها ببيض مخمر وعورض مخضر عضمر تحملك سكانها وتبكى بنحكها وتهلك بحياتها وتحيا بهلكها والطيب تعم أمواجه وتتسم أرواحه وتنام الالحوح والند يسترجع من روح الحياة ما ند وكلما تصاعد وهو خاسر أطال من العمر ما كان تقاصر فى صفوف محام ككعوب مقام وظهور القيام مؤللة وبطونها مهللة كأنها تيجان رصع فيها ياقوت ومرجان قد قوس محرابها أحكم تقويس ووشى مثل ريش الطواويس حتى كأنه ناحرة مقرطق وبقوس قزح ممنطق وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه سقف من قوادم الحمام أو كسف من ظلال الغمام والناس أخياف فى دواعيهم وأوزاع فى اغراضهم ومراميهم بين ركع وسجد ويقاظ وهجد ومزدحم على الرقاب يتخطاها ومعتمد على الظهور يتمطاها كأنهم يردون زلال قطر أو يحرزون فى عرض سطر حتى اذا قرعت أسماعهم روعة التسليم بادروا بالتكلم وتجاذبوا بالاثواب وتساقطوا بالاكواب كأنهم حضور طال عليهم غياب أو سفر أتيح لهم اياب وصحبتك مع اخوان صدق بمسكب العلوم بينهما سكاب الودق فى مكان كوكر العصفور أو بقعر الله أو ككناس اليعفور كأن اقليدس قد قسم بينها احكامه بالموازين وارسطاطاليس البادى بالعرارين حتى صار عندنا لا يحل وحدنا لا يقل بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى ونطلع نور التفسير كيف تجلى والعومة والينابيع يجهدون فى دفع الضرر ويعمدون الى قرع العمد بالدرر فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين وسرت نحوهم سرى القين وتوهموا انها الى أعطافهم واصلة وفى اقفافهم حاصلة يفروا بين الاساطين كما تفر من النجوم الشياطين كلما ضربهم ابو جهم بعصاه أو حصبهم عين بن صاف بحصاه فاكرم بها من مساع سوق الى جنة الخلد وتهون فى السعى اليها الطوارف والتلد تعظيما لشعائر الله وتنبيها لكل ساه ولاه حكمة تشهد لله تعالى بالربوبية وطاعة تدل بها كل نفس ابية فلم أر أدام الله سبحانه عزك منظرا منها

عمروا الارض وشقوا الانهار وغرسوا الاشجار وطعموا الثمار وأوعروا وسهلوا الطريق ثم تبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالحداد الى أفريدون ثم الاسكان الى دارا بن دارا وهم السكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيين ثم الروم ونذكر من تلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفى النبط من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة لولد ماش بن نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوان وكان اول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا فى الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولد له يقال له برندس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك مماسير بن اول سبع سنين ثم ملك بعده اهريمور عشر سنين فخط الخطوط وكور الكور ووجد فى امره واتقان ملكه وعمارة ارضه ما لم اسمع علامه له

انتهى ولا خيرا أشهى واذا لم تتأمله عيانا فتقبله بيانا وان كان حظ منطقى من الكلام حظ المحب من الالزام لكن ما بيننا من مودة أكدنا وسائلها وذمة تقلدنا حمائلها يوجب القول اتباعا في سبيل وغناء وابس الظافي جديدا وورثا لا زلت لزناد النبل مور يا والى آماد الفضل مجريا والتحية العبقة الريا المشرقة المحيا عليك ما طلع فجر وابتسم ثغر ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (وذكر ابن بشكوال) ان الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التى كانت بفناء الجامع الذى يستسقى لها الماء من بئر السانية وبنى موضعها أربع ميضآت فى كل جانب من جانبى المسجد الشرقى والغربى منها ميضأتان كبرى للرجال وصغرى للنساء اجرى فى جميعها الماء من قناة اجلبها من سفح جبل قرطبة الى أن صبت ماءها فى احواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار واجرى فضل هذا الماء العذب الى سقايات اتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية اجراها هنالك الى ثلاث جوابى من رخام استقطعها اقتطاع المستنير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والعلماء الرخاميون هنالك واحتفروا واجروا فيها اعتناء هم فى المدة الطويلة حتى استوت فى صورها البديعة لا عين الناس فخم ذلك من شأنها وأسلن من أقباطها الى اماكن نصبها أكما فى المسجد الجامع وأمد الله تعالى على ذلك بعونه فجيء بها حمل الواحدة منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على قلل موثقة بالحديد المتقن محوفة بوثاق الجبال قرن لجرها ستة عشر دابة من أشد الدواب وسهلت قدامها الطرق والمسالك وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة فى مدة اثنى عشر يوما ونصبت فى الاماكن المعقودة لها فاق وابتنى المستنصر فى غربى الجامع دار الصدقة واتخذها معهد التفريق صدقاته المتوالية وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربى انتهى واعلم انه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى انهم يعنون فى الاحكام هذا ما جرى به عمل قرطبة وفى هذه المسئلة نزاع كثير ولا بأس أن نذكر مثالا نحوه من ذلك قال الامام ابن عرفة رحمه الله تعالى فى اشتراط الامام على القاضى الحكم بمذهب معين وان خالف معتقد المشترط اجتهادا او تقليدا ثلاثة أقوال الصحة للباجى ولعمل أهل قرطبة ولظاهر شرطهم يسجنون على مذهب من ولاه الحكم بمذهب أهل المدينة قال المازرى مع احتمال كون الرجل مجتهدا الثانى البطلان للطرطوشى اذ قال فى شرط أهل قرطبة هذا جهل عظيم الثالث تصح التولية ويبطل الشرط تخريجا على أحد الاقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا قال ابن غازى ان ابن عرفة نسب للطرطوشى البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له التفصيل انتهى ولما ذكر مولاى الجد الامام قاضى القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب بفاس سيدى أبو عبد الله المقرى التلمسانى فى كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور وقال بعده ما نصه وعلى هذا الشرط ترتب عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فبينما نحن ننازع الناس فى عمل المدينة ونصحح أهل الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الامة كعلى وابن مسعود ومن كان معهما

ليس التكحل فى العينين كالكحل ٭ سخ لى بعض الجود ومعدن التقليد
الله أخرمدنى وتأخرت ٭ حتى رأيت من الزمان عجائبا

الاحوال وانتظم له الملك ... لع بعض ملوك الهند ماعابه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة وانهم يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند غالبا على ما حوله من عمالك الهند ونفاذه الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان مملكته كان مما يلى السند والهند فسار نحو بلاد ط وغزين ونمير وبلاد الداور وعلى النهر المعروف بنهر ميد وهو نهر سجستان يدنى جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه اهل سجستان ودنياهم ونخلهم وجبالهم ومنتزهاتهم وهذا النهر يعرف بنهر سط ويجرى فيه السفن من هنالك الى سجستان فيها الاقوات وغير ذلك ومن سط الى سجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال وهى البلد الموصوف بان الريح به تدير الارحية وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوزع فى مبدا هذا النهر المعروف بنهر ميد من الناس من رأى ان مبدأه من مبدا نهر الكنك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر حاد الانصباب والجريان عليه بعد با كثر الهند أهلها الحديد ونعرتها زهدا فى هذا العالم ورغبة فى النقلة

يالله وللمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها ولم يبرح من الناس جهلها مادالك الا الان الشيطان يسعى في محو الحق فينسيه والباطل لازال يلقنه ويلقيه الاترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتمثيل والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك وأسماؤها كالعتمة ويثرب وكذا التنابز بالالقاب وغيره مما نهي عنه وحذر منه كيف لم تزل من أهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسر امرها حتى كانهم لا يرفعون بالدين رأسا بل يجعلون العادات القديمة أسا وكذلك محبة الشعر والتلحين والنسب وما انخرط في هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرع فينا منذ سبعمائة وسبع وستين سنة لا نحفظه الا قولا ولا نحمله الا كلا انتهى * وقال الحافظ ابن غازي بعد ذكر كلام مولاي الجد ما نصه وحدثني ثقة ممن لقيت انه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وأمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما القاه اليهم مشرع المشترى هذا فبالغوا في انكاره وردوا انه لا معدل عما عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالمتيطي من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن في معناهم انتهى * (وقال بعض المؤرخين) حين ذكر قرطبة ما ملخصه هي قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس في حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها اعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاد الغزاة وأنجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفي أهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد وهي سفح جبل مطل عليها وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين وفيه من السوارى الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قاقلي ويذكر في تاريخ بني أمية انه احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثماني وللجامع عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر ويبهرهم وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربانية

عنه وذلك انهم يقصدون موضعا في أعالي هذا النهر المعروف بالكنك وهناك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون في تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويسيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكرناه موصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهناك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب مما به فيظهر من الارض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستتم في الجو كابعد ما يكون من طوال النخل ثم ينثني جميع ذلك منعكسا فيعود في الارض مندسا ويهوي في قعرها سفلا على المقدار الذي ارتفع به في الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا في الاول فتذهب صعدا ثم تنتثر معكسة ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت

واما ... دراى بسرجسه فهى بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدة ... ة عشر دو ساسعة كل قوس منها خمسون شبرا و بين كل قوسين خمسون شبرا و بالجملة ... من ... مة افضل انخاس وأعظم من أن نحيطها وصفا انتهى ملخصا وهو وان تكرر بعضه مع ... فيه فائدة زائدة والله الموفق ❊ وما ذكره فى طول المسجد وعرضه مخالف لما مر يمكن الجواب بان هذا الذراع أكبر من ذلك كما أشار اليه هو فى أمر الصومعة وكذا ما ذكره فى عدد السوارى الا أن يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذى ذكره هنا انما هو للكبار وسط كما صرح به والله تعالى أعلم ❊ وأما الثريات فقد خالف فى عدها ما تقدم مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخى الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت طرقه ... ونقله ... فى المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه اعتمدت فيما نقلته فى هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشان أتم اعتناء واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره عن الرازى انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأى عمر رضى الله تعالى عنه من مشاطرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التى كانت داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها بشنت بنجنت وابتنوا فى ذلك الشطر مسجدا جامعا وبقى الشطر الثانى بأيدى النصارى وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واقنع المسلمون بما فى أيديهم الى أن كثروا وتزيدت عمارة قرطبة ونزلها أمراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس ينالون فى الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها وتطامن سقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض ولم يزل المسجد على هذه الصفة الى أن دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المروانى الى الاندلس واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وعمرت به ففكر فى أمر الجامع وذهب الى توسعته واتقان بنيانه فاحضر أعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقى بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذى صولحوا عليه فأبوا من بيع ما بأيديهم وسألوا بعد الجهد بهم أن يباحوا ابتناء كنيستهم التى هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يسلموا اليه ما بقى من هذا الشطر الذى طولبوا به فتم الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان وستين ... وبنى عبد الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها الاحاجة الى ذكر الزيادة ... وانما ... فى ... ه اكماله وفى بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوى من قصيدة

وأنفق فى دين الاله ووجهه ❊ ثمانين ألفا من لجين وعسجد

وتوزعها فى مسجد اسه التقى ❊ ومنهجه دين النبى محمد

ترى الذهب النارى فوق سموكه ❊ يلوح كبرق العارض المتوقد

قال وكمل سنة سبعين ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضا وما جدده فيه وانه بناه من خمس فى اربونة ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل أن يتم الزخرفة واتمها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رم المنذر بن محمد ما وهى منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه

انترى فلولا أن الهند فقد على ... البلاد ولعدى تلك الارض بهذا النوع من الادم ... ذكرها ... الى ... وآهالو عن اليه ... نعد ... بانواع العـ ... من سوق الاعم ... التاجر ... مستعمل موجلا لا ... بغير ... من تعذيب ... الدار معجلا ... من يسير الى باب الملك ... فى احرانه ... وفى الاسواق ... عليها من ... بايقادها ... فى ... وقدامه الطبول والصنوج وعلى ... أنواع من خرق الحرير ... على نفسه وحوله اهله ... وعلى رأسه اكليل من الريحان وقد تشر ... الكبريت ... وهو ... الطبول وحب ... بلادهم ... كا ... ... الانرج بجمع هذا الورق بالورقة المطلوبة ... الفوفل وهو الذى يذهب على أهل مكة و ... من بقية أهل الحجاز واليمن فى هذا الوقت ... بدلا من الطيب

للصومعة

للصومعة الاولى وبداية للصومعة العظيمة قال ولما ولى الحكم المستنصر من الناصر ... واتسع نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيئا على النظر في الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع ... حين ... الى ... عنه وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة الى نحو المشرق ... قبلة جامع الزهراء لان أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو ... فقال له الفقيه أبو ابراهيم يا أمير المؤمنين انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الامة من ... الائمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ ... الاندلس الى هذا الوقت ... من ... من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعاني وأمثالهم رحمهم الله تعالى و ... الاتباع وهلك من هلك بالابتداع فأخذ الخليفة برأيه وقال نعم ما قلت ... قال ابن بشكوال وتعلق من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في ... الزيادة ... بلغت الى مائتي ألف دينار واحد وستين ألف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين دينارا ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة ... ابن بشكوال فقال أمر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ وقام هذه الصومعة البديعة فحفر في أساسها حتى بلغ الماء ... ثلاثة وأربعين يوما ... ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد درجيها ونزل من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين فصل بينهما البناء فلا يلتقي الراقون فيها الا بأعلاها تزيد مراقي كل مطلع منهما على مائة تسعا ؛ قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الارض وليس في مساجد المسلمين صومعة تعدلها . قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم ير صومعة مراكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما الاعظم والاطول لانه ذكر أن طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن أربعة وسبعون ذراعا والى اعلى الرمانة الاخيرة بأعلى البرج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل ربع ثمانية عشر ذراعا وذلك اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشرة اذرع ... وذكر أن صومعة قرطبة بنيت بالحجارة العظيمة ... عاية ... وفي على ذروتها ثلاث شمسات يسمونها رمانة ملصقة في السفود البارز في اعلاها من النحاس ... منها ذهب ... والثالثة منها وسطى بينهما من فضة ... كبيرة وفوقها سوسنة من ذهب ... وفوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف البرج البارز بأعلى الجو . وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا . وذكر ابن بشكوال في روايته ان موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها اهل قرطبة قماماتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم عليهما ودخل قرطبة قال للجن اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما أمرهم به وبني فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن عجائبه أن الدارات المائة في برانيه سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء الى غيره بأحكم صنعة انتهى ؛ وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن وقال هو مصحف امير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه بخط يمينه وله عند أهل الاندلس شأن عظيم ... وقد ذكر

واردنا ... الاثمد ... يمور الا ... السكهة وازال ارط ... المودية وشهى الطعام وبعث على الباه ... الاسنان حتى يكون ... مما يكون من حب ... ما ... أحد ... أ ... وقرى ... واثمر ... الكهربا ... وا ... وسوا ... أ ... من لا يصح ... ها ... الاسواق ... الى ... النار وهو ... ولا ... مهيب ... من أمر على ... صار ... العظم تساوى ... وبادي الحرمي ... لسد حضرة ... صيمور من بلاد الهند من اللازم مملكة ... ودلك في سنة أربع وثلثمائة والملك يومئذ على صيمور المعروف بجاب ... وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الامصار ... ممن ...

وطن بتلك البلاد ... من وجوه التجار ... موسى ... على ... وم ... قبل ... وى

فيه زيادة على هذا ابهو أما الزهراء فهى مدينة الملك التى اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره وهى من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضى وغيره كان يعمل فى جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع فاستتم بنيانه واتقانه فى مدة من ثمانية وأربعين يوما وجاء فى غاية الاتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من أبهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشرة ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثنا عشرة ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب احدى وأربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخمرى وفى وسطه فوارة يجرى فيها الماء وطول هذا المسجد أجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وطول صومعته فى الهواء أربعون ذراعا وعرضها عشرة أذرع فى مثلها وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع فى نهاية من الحسن ووضع فى مكانه منه وحظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر فى مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة قال وفى صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربى قرطبة فى المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك فى غابر الدهر مطلى بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجه فى تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منه وكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذى يصب فيها من أعظم آثار الملوك فى غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو أبراجها التى يرقى الماء منها ويتصوب من أعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى أن وصلت أعنى القناة الى هذه البركة أربعة عشر شهرا وكان انفاق الماء فى هذه البركة الانطلاق الذى اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخيرة من السنة وكانت للناصر فى هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته ووصل المهندسين والقوام بالعمل بصلات حسنة جليلة جزيلة وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من أربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضى أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة وأول من خطب به القاضى المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة والفخامة أطبق الناس على انه لم يبن مثله فى الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد

أحكامهم مصروفة اليه ومعنى قولنا البيامرة يراد به من ولد من المسلمين بأرض الهند يدعون بهذا الاسم وأحدهم بيسر وجمعهم بياسرة فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا فى أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر ووضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه فى النار واذا مات الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلانجرية واحدهم بلانجرى وتفسير ذلك الصادق أى يموت فيموتون بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تعجز من سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التى نالم عن ذكرها الابدان ويقصر عن ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان فلنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان وقصده

عاملكة السرنديب ونعدل عن الحديث فى أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال ورسول

وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة الا ان كلهم قطع انه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى انه كان أعجب ما يؤمله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا تتسع جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدي الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها واختراعها من أجزاء الارض المنحلة ليري الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعده لاهل السعادة في دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرم لا اله الا هو المتفرد بالكرم (وذكر المؤرخ) أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مباني الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف على ثلثمائة سارية وستة عشر فمنها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية وان مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه والله سبحانه أعلم فانها كانت من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا وأعظمه شانا انتهى قلت نقص بعضهم ذلك النيف في كلامه بثلاث عشرة والله أعلم (وقال بعض مؤرخي الاندلس) كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم كل يوم حاشا أنواع الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة انتهى وبين ان عدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل بعض مكان الخمسين سبعة وثمانين (وقال آخر) ستة آلاف صقلبي وسبعة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم وينقع لها من الحمص الاسود ستة أقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل تقسم من عشرة أرطال للشخص الى ما دون سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى (وقال ابن حيان) ألفيت بخط ابن دحون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الصخر المصرف في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دواب الاكرية الراتبة للخدمة ألف بغل لكل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الايام ألف ومائة حمل وكان فيها حمامان واحدة للقصر وثانية للعامة * وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء انه قدر النفقة فيها في كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها لانه توفي سنة خمسين فحصل جميع

اذ زنبيل وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما دونه وسار اليه بعض ملوك العرب فأتى دونه وملك العراق وردملك السريانيين الى ملكهم رجلا منهم يقال له (سيرا) وكان ولد المقتول وكان ملكه الى أن هلك ثمانين سنة ثم ملك بعده (أهربوس) وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له (هوربا) فزاد في العمارة وأحسن في ارعايه وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (سارث) واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده (أزور) و(حلحاس) ويقال انهما كانا أخوين فأحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ويقال ان أحدهذين الملكين كان بالساذان يوم اذ نظر في أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هنالك واذا هو يضرب بجناحه ويصيح وتأمل الملك ذلك

فنظر الى حية منساب الى الوكر تريد أكل الفراخ فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها ولم

ان ان ا ... ان مبلغه خمسة عشر بيت مال ؛ قال وجلب اليها الرخام من قرطاجنة وا ... ية وتونس وكان الذين حاولوه عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن وعلي بن جعفر ... الاسكندراني وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنانير انتهى وقال بعض ... المؤرخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية ثمانية دنانير قيل وكان عدد السواري المجلوبة من افريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية ومن بلاد الافرنج ... عشر ... واهدى اليه ملك الروم مائة وأربعين سارية وسائرها من مقاطع الاندلس ... والاندلس ... والوردي والاحمر ... واما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة ... احمد ... من الشام ... والمطبق ... مع ... العادم من ابلياء وأما الحوض الصغير الاخضر المنقوش ... الانسان ... من الشام وقيل من المدينة ... وقالوا انه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله وحمل من مكان الى مكان حتى وصل في البحر ... الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس العالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل وفي الجنبتين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم ... كل ... الناصر على أسس ... وكان يجري في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبعه ؛ وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان وقد سبق هذا كله وانما كررناه لقول بعضهم اثر حكايته له ما صورته وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة في الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مديا وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا فسبحان الباقي بعد فناء الخلق لا اله الا هو انتهى (وقال ابن البديع الهمداني رحمه الله في المطمح) كان الناصر كلفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط مجاهلها واستجلاب أهلها من أبعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فأفضى به الاغراق في ذلك الى ان ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره الذائع المنتشر صيته في الارض واستفرغ جهده في تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فاراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير بالانابة والرجوع فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون الى قوله من الواعظين ثم وصله بقوله

مكان في بقاره وخلا ... ه والملك ... وتوقع الحب ... فأنشدهم ... لطائر ... الي الآية ... الا ... ل ... عرف ... ادنه ... نصر الى ... المدن في الحب فيها الملك ... ان يودع الارحام لارض ... كه ... في العادة ... تحرزه ... بالاكرام ... ومراعاته ... رزع ... والبيت ... واشعر ... وهم ... والملك ... الى ان انتهى في الملوك وهم لا يجدون على ذوقه ذوقا ان يكون ... الملك بعد ... وان يودع في ... وتركه على حاله ... في ... وقت الرشد وقامت له ... الملك على ... ذلك في ايامه ... وحظرا ... الشيخ ... الارض

فضرب ورفع غيره يغني فسأل الملك هذا الشراب يذهب بالعقل وأخاف

متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والاسراف في الانفاق عليه بكلام جزل وقول فصل جرى فيه طلق فانتزع فيه قوله تعالى أفمن أسس بنيانه الى آخر الآية وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجأته والدعاء الى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والندب الى الاعراض عنها والاقصار عن طلب اللذات ونهي النفس عن اتباع هواها فأسهب في ذلك كله وأضاف اليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله حتى أذكر من حضره من الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا وضجوا ودعوا وأعلنوا التضرع الى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما سلف من فرطه واستعاذ بالله من سخطه الا انه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري فأسرف علي وأفرط في تقريعي ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غيظا عليه فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره وانتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لارضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون واني لأستحيي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه ولكنه أحرجني فأقسمت ولوددت اني أجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا وقيل ان الحكم اعتذر عما قال منذر وقال يا أمير المؤمنين انه رجل صالح وما أراد الا خيرا ولو رأى ما انفقت وحسن تلك البنية لعذرك فأمر حينئذ الناصر بالقصور ففرشت وفرش ذلك الخلاء بأصناف فرش الديباج وأمر بالأطعمة وقد أحضر العلماء وغص بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فأومأ اليه الناصر أن يقعد بقربه فقال يا أمير المؤمنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ثم تكلم الناصر بعد هذا كلاما من كلام المجدد يأتي ... وتوسط الناس آخر حينئذ الناصر فقام القاضي منذر ... بالمرور الى ... بالناس ... وصام بين يديه ... وانابة ورهبة وأخذ معه الناس في مصلى الربض بقرطبة بارزا الى الله تعالى في جمع ... وبعث اليه ... مصابه في القصر ليشارف الناس ويشاركهم في الخروج الى الله تعالى والضراعة له فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم ماشيا متخشعا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بدار الناس الى ارتقابه واستكانتهم من خيفة الله واخباتهم له وابتهالهم اليه رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح خطبته بأن قال يا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم الى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع تاليا قوله تعالى كتب

أن يكون فاتر الامر الى ... كيف عارف بحال السكر ... سلطان الندم وخمرة الشباب شراب الملك فهو يريد سكر الشيخ فقام فسأل الملك هل ... الشيخ أفاق وطلب ... من الشراب وقال ... رتبته ويكشف عن العموم وأراد أن ساحبي الأحزان والهموم وما أراد الطار ... هذا الشراب الشريف فسأل الملك ... أشرف شراب أهل أرض وذلك انه رأى ... حسن وقوى ... وشرب في حال ... الحزن و... الدائم ... النوم ... أن ... فقال هذا شراب الملوك وأما ... فقد كان لا يشربه غيري فاستعمله الملك ... ثم ... أيدي الناس ... قبل أن ... من زرعها ... ذكره ... الملبس ... السفينة واستوى على الجودي في كتاب المبتدأ وغيره من الكتب

(ذكر ملوك الموصل ونينوى ولمع من أخبارهم)

نينوى هي مقابلة الموصل و... وهي ... كور الموصل ونينوى ... وهو ...

ربكم على نفسه الرحمة الى قوله رحيم ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وتزلفوا بالاعمال الصالحة لديه قال الحاكي فضج الناس بالبكاء وجاروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه وانبعث الاخلاص بتذكيره فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن الازل والله لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه أن قال يوما وقد سرح طرفه في ملا الناس عندما شخصوا اليه بابصارهم فهتف بهم كالمنادي يا أيها الناس وكررها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء الى الله الى بعز يز فاشتد وجد الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى في خطبته وقيل ان الخليفة الناصر خرج مرة للاستسقاء وأسرع عزمه عليه تسابق الناس للصلى فقال للرسول وكان من خواص الناس ليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة يومنا فقال له ما رأيناه قط أخشع منه في يومنا هذا انه متبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخس الثياب مفترش التراب وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته و بكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني قال الحاكي فتهلل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله وقال يا غلام احمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته وقوة الحكومة والقيام بالحق في جميع ما يجري على يده لا يهاب في ذلك الامير الاعظم فمن دونه (وقال ابن الحسن النباهي) وأصله في المطمح وغيره ومن اخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر في انكاره عليه الاسراف في البناء ان الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما وقرمد سقفها به و جعل سقفها صفراء فاقعة الى بيضاء ناصعة تستلب الابصار باشعة نورها وجلس فيها اثر تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة هل رأيتم او سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله يا امير المؤمنين وانك لاوحد في شأنك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى الينا خبره فابهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكس الرأس فلما اخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره على ابداعه فاقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن يمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلني منزلتهم قال نعم أليس الله تعالى يقول ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الآية فوجم الخليفة وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر وقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر

الله

اثنتين وثلاثين وثلثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لاهلها والى أهلها ارسل يونس بن متى وآثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ويأوي الى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسورها ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ويقال له سينوس بن بالوس فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محاربا لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال ان ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سميرم فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل وما يليها من شاطئ دجلة الى بلاد ارمينية ومن بلاد اذربيجان الى حد الجزيرة والجودي وجبل الثيل الى بلاد الزوزان وغيرها من أرمينية وكان أهل نينوى ممن سمينا نبيطا وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم والمقتلة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسبس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه نحوا

الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاده برمكاترابا على صفة غيرها انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهى واذ كر هذه الحكاية وغيرها وان خالف السياق ما سبق وهذا منقول من كلام الحجارى فى المسهب فى أخبار المغرب فانه أتم فائدة اذ قال رحمه الله دخل منذر بن سعيد يوما على الناصر بانى الزهراء وهو منكب على الاشتغال بالبنيان فوعظه فأنشده عبد الرحمن الناصر

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

قال فما أدرى أهذا شعره أم تمثل به فان كان شعره فقد بلغ به غاية الاحسان وان كان تمثل به فقد أحسن بالتمثل به فى هذا المكان وكان منذر يكثر تعنيفه على البنيان ودخل عليه مرة وهو فى قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالا ظن أن أحدا من الملوك لم يصل اليه فقام خطيبا والمجلس قد غص بأرباب الدولة فتلا قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية وأتبعها بما يليق بذلك فوجم الملك وأظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال لمنذر بن سعيد لعظم قدره فى علمه ودينه * وحضر معه يوما فى الزهراء فقام الرئيس أبو عثمان بن ادريس فانشد للناصر قصيدة منها

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن * مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتقى * وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا

يا بانى الزهراء مستغرقا * أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقا * لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر اذا هب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى فقال منذر اللهم اشهد أنى قد بثثت ما عندى ولم آل نصحا انتهى ولقد صدق القاضى منذر رحمه الله تعالى فيما قال فانها ذبلت بعد ذلك فى الفتنة وقلما كان مدتها من مدة مختصر وذلك عندما ولى الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر الملقب بشنجول وتصرف فى الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور ساء التدبير ولم يعبر من القتل والسير ودس الى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه سطوته حتى ولاه عهده كما نص العهد فيما سبق فاطبق الخاصة والعامة على بغضه واضمار السوء له وذلك سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدى وخلع المؤيد وحبسه وأسلمت الجيوش شنجول فأخذ وأسر وقتل (قال ابن الرقيق) ومن أعجب ما روى انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الاخيرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع خليفة وهو المؤيد وولى خليفة وهو المهدى وزالت دولة بنى عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن عسلاجة وأصيبت جيوش من

سن أربعين سنة ورجعت اليه الارمن وقد كانت الحروب بينهم سجالا فى ١٥٠ سنة ثم غلبوا على أهل نينوى وكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدى الضريبة الى ملك أرمينية وهؤلاء الملوك أخبارهم وحروب قد أتينا على جمعها فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط

(ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم)

ذكر جماعة من أهل التنجيم والحشوية ممن عنى بأخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وان الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمرود) الجبار وكان ملكه نحوا من ستين سنة وهو الذى احتفر أنهارا بالعراق آخذة من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى بالعراق بين طريق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد لا خفاء بخبره وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق عند ذكرنا لملوك الفرس الاولى والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض فى هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من

[illegible] بعده (اندلس) نحوا من [illegible] بعين سنة وكان عظيم البطش متجبرا فى الارض وكانت فى أيامه حروب ثم

انتهى وقد كان خلق من الوزراء وولى الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال خبازين وجزارين وزبالين وهم جند المهدى انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدى هذا وقيل لما قام على الدولة

قد قام مهدينا ولكن * بملة الفسق والمجون
وشارك الناس فى حريم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجما * فاليوم قد صار ذا قرون

ومن شعر المهدى هذا وقد حياه فى مجلس شرابه غلام بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المياس * غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما يحكيه فى الانفاس

وقد ذكرنا فيما سبق فى الفصل الثالث خبر المهدى هذا وقتله ولقد كان قيامه مشؤما على الدين والدنيا فانه فتح أبواب الفتنة بالاندلس ومحى معالمها حتى تفرقت الدولة وانتثر السلك وكسر الرؤساء وتطاول العدو اليها وأخذها شيأ فشيأ حتى محى اسم الاسلام منها أعاده الله تعالى وقد ألم الولى بن خلدون فى تاريخه بذكر الزهراء فى جملة مبانى الناصر فقال ما صورته ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمبانى وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط وجده الحكم قد احتفلوا فى ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتقان والضخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ فى بناء المتنزهات فاتخذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها لنزله وكرسيا لملكه وأنشأ فيها من المبانى والقصور والبساتين ما عفا على مبانيهم الاولى واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك واتخذ فيها دور الصناعة آلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فهى من مبانى المنصور محمد بن أبى عامر (قال ابن خلدون) أثناء كلامه على المنصور ما صورته وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة انتهى (وقال غيره) وأظنه صاحب المطمح وفى سنة ثمان وستين وثلثمائة أمر المنصور بن أبى عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما استفحل أمره واتقد جمره وظهر استبداده وكثر حساده وأضداده وأنداده وخاف على نفسه فى الدخول الى قصر السلطان وخشى أن يقع فى أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما ستر عنه فى أمسه من الاعتزاز عليه ورفع الاستناد اليه وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله بأهله وذويه ويضم اليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه فتيانه وغلمانه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم

ثم ملك بعده ([illegible]موس) نحوا من مائة سنة [illegible] فى الارض [illegible] أهلها [illegible] بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] أكثر من ذلك ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده (ايلاوس) خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (طرس) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (كاوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا وأربعين سنة [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا [illegible] ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] (أسبرطوس) نحوا [illegible] سنة ثم ملك بعده (العداس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده (أسيرنوس) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو عشر [illegible] ثم ملك بعده (فارسوس) نحوا [illegible] وأربعين سنة ثم ملك بعده ([illegible]ادريوس) نحو

وشرع

وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والفعلة وجلب إليها الآلات الجليلة وسربلها بهاء يرد الأعين كليلة وتوسع في اختطاطها وتولع بانتشارها في البسيطة وانبساطها وبالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية أنجادها وأغوارها فاتسعت هذه المدينة في المدة القريبة وصار بناؤها من الأنباء الغريبة وبني معظمها في عامين * وفي سنة سبعين وثلثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ بها الدواوين والأعمال وعمل في داخلها الأهراء وأطلق بساحتها الأرحاء ثم أقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه فاتسعت بهم أقطارها وتمت بها الدور وجليلات القصور واتخذت بها الغلات المستغلة والمنازه المقصودة وقامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرفاق وتنافس الناس في النزول بأكنافها والحلول بأطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهى الغلو في البناء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة واستقرت في بحبوحتها الإمارة وأفرد الخليفة من كل شيء إلا من الاسم الخلافي وصير ذلك هو الرسم العافي ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس أمرائه وندب إليها كل ذي خطة بخطته ونصب ببابها كرسي شرطته وأجلس عليها واليًا على رسم كرسي الخليفة وفي صفة تلك المرتبة المنيفة وكتب إلى الأقطار بالأندلس والعدوة بأن تحمل إلى مدينته تلك أموال الجبايات ويقصدها أصحاب الولايات وينتابها طلاب الحوائج وحذر أن يعوج عنها إلى دار الخليفة عائج فاقتضيت لديها اللبانات والأوطار وانثال الناس إليها من جميع الأقطار وتم لمحمد بن أبي عامر ما أراد وانتظمت بأمانيه المراد وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه وسد باب قصره عليه وجد في خبر لا يصل إليه وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهي والأمر ويشرف منه على كل داخل ويمنع ما يحذره من الدواخل ورتب عليه الحراس والبوابين والسمار والمنتابين يلازمون حراسة من فيه ليلًا ونهارًا ويراقبون حركاته سرًا وجهارًا وقد حجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملك قبيل أو دبير وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء محجوز الغناء خفي الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الأحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف منه بأس ولا يرجى منه إنعام ولا يعهد فيه إلا الاسم السلطاني في السكة والدعوة وقد نسخه ولبس أبهته وطمس بهجته وأغنى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه واشتد ملك محمد ابن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الأيام في تشييد مبانيها حتى كملت أحسن كمال وجاءت في نهاية الجمال نقاوة بناء وسعة فناء واعتدال هواء يرق أديمه وصقالة رواء يروق نسيمه ونضرة بستان وبهجة للنفوس بها افتتان وفيها يقول صاعد اللغوي

يا أيها الملك المنصور من يمن * والمنتمي نسبًا للسادة النجبا
بعروة في قلوب الشرك رائعة * بين المنايا تناغي السمر والقضبا
أما ترى العين تجري فوق مرمرها * زهوًا فتجري على أحفافها الطربا
أجريتها فطما الزاهي بجريتها * كما طموت فسدت العجم والعربا

ثم ملك بعده (بطارس) [illegible] سنة ثم ملك بعده (ماطرس) نحو أربعين سنة ثم ملك بعده (افقورس) [illegible] أربعين سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحو [illegible] [illegible] بعده ([illegible]) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده (فروطاورس) [illegible] عشر سنين ثم ملك بعده (اذريفرس) نحو ستين سنة ثم ملك بعده ([illegible]طوروس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده (دولاس) [illegible] سنة ثم ملك بعده (سعلس) [illegible] [illegible] [illegible] من ملوك [illegible] [illegible] العدة ثم ملك بعده (سيجوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (مردوخ) أربعين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] وهو الذي [illegible] المقدس ثم ملك بعده ([illegible]) ثلاثين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (بختنصر) الجبار [illegible] أربعين سنة ثم ملك بعده (قرمودون) نحو [illegible] [illegible] ثم ملك بعده [illegible]

ملك بعده (بيطسعر) نحوًا من سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (مسمون) نحو [illegible]

تخال فيه جنود الماء راقلة * مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفه من صنوف الايك زاهره * قد اورقت فضة اد أورقت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها * يتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر أن ينشى لها مثلا * ولو تعنت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية والروض قد تفتحت أنواره وتوشحت أنجاده وأغواره وتصرف فيها الدهر متواضعا ووقف بها السعد خاضعا فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الما والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس بالحمل

وما زالت هذه المنية رائقة والسعود بلبتها متناسقة تراوحها الفتوح وتغاديها ويحاب اليها من كسرة أعاديها لا يرجع عنها راية الا الى فتح ولا يصدر عنها تدبير الا الى نجح الى أن حان يومها العصيب وفيض لها من المكروه أوفر نصيب فتولت فقدة حلت من تحتها كل عقيدة انتهى (وقد حكى الحميدي في جذوة المقتبس) هذه الحكاية الواقعة لابن أبي الحباب بزيادة فقال بعد ان ذكر هذه المنية العامرية وهي الى جانب الزهراء ان أبا المطرف بن أبي الحباب الشاعر دخل الى المنصور في هذه المنية ووقف على روضة فيها ثلاث سوسنات ثنتان منها مفتحتا وواحدة لم تفتح فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس في الحمل
كأنما غرست في ساحتها و بدا السوسان من بينها فيها على عجل
أيدت ثلاثا من السوسان مائلة * أعناقهن من الاعياء والكسل
فبعض نوارها للبعض منفتح * والبعض منغلق عنهن في شغل
كأنها راحة ضمت أناملها * من بعد ما ملئت من جودك الخضل
واخرها بسطت منها أناملها * ترجو نداك كما عودتها فصل

وذكر ابن سعيد ان ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد اللغوي البغدادي فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من أبيات

فالعامرية تزهى * على جميع المباني
وأنت فيها كسيف * قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقضاله فقال أسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانه هذا الشعر الذي قد أعده وتروى فيه أقدر أن أقول أحسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دعواك فجعل يقول من غير فكرة كثيرة

يا أيها الحاجب المعتلي على كيوان

(كيمرحوس) عشرين سنة ثم ملك بعده (فخنصت) احدى وأربعين سنة ثم ملك بعده (احرنت) ثلاث سنين وقيل ستين وثلاثين ثم ملك بعده (شعبا) سنة وقيل سنة أشهر ثم ملك بعده (ارنوس) عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (أطعسس) سبعاو عشرين سنة ثم ملك بعده (دار التسع) خمس عشرة سنة وقيل عشرين سنين (قال المسعودي) فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم وأيامهم وقد عداهم وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الخيل والمكايد وتصوروا في الحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاجنحة وجعلوا ذلك مثالا لاعضاء جسد الانسان وودوا لكل جزء عاملا

ومن به قد تناهى * فخار كل يمان
العامرية أضحت * بحسنه الزمان
فريدة لفريد * ما بين أهل الزمان

ثم مر في الشعر الى ان قال في وصفها

انظر الى النهر فيها * ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا * على ذرا الاغصان
والقضب تلتف سكرا * على [illegible] الغدران
والروض يفتر زهوا * عن مبسم الاقحوان
والنرجس الغض يرنو * بوجنة النعمان
وراحة الريح تهدي * روائح الريحان
فدم مدى الدهر فيها * في غبطة وأمان

فأعجب المنصور ارتجاله وقال لابن العريف ما لك فائدة في أفصح من هذا ارتجالا فكيف يكون رد به على ابن العريف فاعتاظه ودبت عليه المآخذ احسانك فقال له صاعد ويخرج من هذا ان تلك احسانه لك اسكت لك وبعدت عليك المآخذ فضحك المنصور وقال غيره هذه المنزعة اليق أدبكما (قلت) وقد ذكر مؤرخو الاندلس منى كثيرة بها منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة (قال أبو الحسن) بن سعيد حدثني أبي عن أبيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان نوار اللوز أبو بكر بن بقي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نوّر فقال ابن بقي

سطر من اللوز في البستان قابلني * ما زاد شيء على شيء ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى أعطافه رقصا

ثم قال

عجبت لمن أبقى على خمر دنه * غداة رأى لوزا تفتح نورا [illegible]

(وذكر) بعض مؤرخي الاندلس أن المنصور بن أبي عامر كان يزرع كل سنة ألف مدي من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به وانه كان اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحب الابنية للوقوف على ما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره قال وكان له راتبة كل يوم اثني عشر ألف رطل من اللحم ما عدا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع في كل عام اثني عشر ألف ترس عامرية لقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق المائدة والمخاضة مدينة العامرية بدان المدرور والمرجات المخترقة بكنيفة السرو وغيرها من منتشئة المدينة [illegible] ومن الصنع ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الايغال وغنم بها من عظماء الروم من عال وجل من أرضهم ما لم يطرق وراع منهم ما لم يرع ووصل ذروة من أسمائه على كل حسناء عقيلة وجلابه كل صفحة للحسن صقيلة ودخل قرطبة ولم يعهد وشهدله

وجعلوا في الاخذ صور ما اتخذ من السباع كالاسد والذئب وجعلوا صور أعلام الكيمياء في صور الحيات والعقبان وما حكي وعدله من هوام الارض وجعلوا الرايات على نوع منها من السواد والابيض والاحمر والاخضر والالوان السماوية وقد ذكروا ان الالوان ثمانية على حسب موضع المستدير وقد منعوا أن تكون الحمرة شرب [illegible] أمر تلك الا ما انتقف من أجزائها داخلا في جملة الا كثر من أجزاء الحيوان من تلك الاعلام وزعموا ان قضية القياس توجب أن تكون [illegible] أعلام الحمرة [illegible] اذ كانت الالوان أشكل بلون الدم وأ [illegible] كان [illegible] لكن منع من ذلك استعمالها في حال [illegible] ولطرب وأوقات السرور واستعمال الالوان والصبيان [illegible] العروس بها وأوجب ترك ذلك وأن حسن الاصفر منها كلون الحمرة اذ كان من شأنه انه اذا ادركها البصر نوره في ادراكها وادا ودع البصر على اللون الاسود اجتمع نور ولم ينبسط في ادراكه

 انبساطه في الحمرة وأن البصر الراجع من بصر الناظر بين لون الحمرة والاخضر [illegible]

وبيانوم مشهد لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده وحداة منعه وراقده وابن شهيد هذا احد حجاب الناصر وله على ابن أبى عامر أياد محكمه الاواصر وهو الذى نهض به أول انبعاثه وشفى أمره زمن التياثه وخاصم المصحفى عنه بلسان من الحماية لد وتوجاه باحسان قلده من الرعاية ما قلد واسمى رتبته وحلى باعظام جاهه لبته وكان كثيرا ما يتحفه ويصله ويلاطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقفل نسى ناحيته ونفل بكتب اليه ابن شهيد

أبا عامر هل غير جدواك واكف ❊ وهل غير من عاداك فى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة ❊ وأعجب ما يلقاه عندك واصف

كذا في الأصل — Actually printed:

أبا شيخ والشيخ يهوى الصبايا ❊ بنفسى أقيك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم فى الفي ❊ لمن لم يجب فيه المطايا
فاجعلنى فديت اذكرهمو ❊ فذلك وابعث بها عذاب الثنايا

وبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كأنهن نجوم سوار وكتب اليه

قد بعثنا بها كشمس النهار ❊ فى ثلاث من المها أبكار
فاتئد واجتهد فانك شيخ ❊ سلخ الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها ❊ فمن العار كلة المسمار

فكتب اليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار ❊ واصطبغنا من النجيع الجارى
ونعمنا فى ظل أنعم ليل ❊ ولهونا بالبدر ثم الدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ❊ ذى مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا ❊ واتخذه سيفا على الكفار انتهى

وقد قدمنا هذه الحكاية فى أخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا أعدناها بلفظ المطمح لما فيه من العدو به والفائدة الزائدة ❊ وممن كان فى أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيرى قال فى المطمح علم من الاعلام فريد الرسائل وعين من أعيان البيان باهر الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحبير أيام المنصور والانشاء وأشعر بدولته الافراح والانتشاء ولبس العزة مدة ضافية البرود ووردها النعمة صافية الورود وامتطى من جياد التوجيه وأعلى من لاحق والوجيه وعادى طائفة ولا أدى لجمعه الى أيام المظفر وشى على سننه وتمادى السعد يترنم على فننه الى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع وكان أبو مروان نديم الاصطناع له والانقطاع فاتهم معه وكاد أن يذوق حمامه ومصرعه الا أن احسانه شفع وبيانه نفع ودفع خطب تلك الريب وحمل الى طرطوشة على القتب وبقى هنالك معتقلا فى برج من أبراجها نائى المنتهى كالماء يناجى السها قد بعد سا كنه عن الانس وقعد من الحسن بمنزلة الجليس نمر الطيور دونه ولا تجوزه ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه وبقى فيه دهرا لا يرتقى اليه راق ولا يرجى لنشوة راق الى أن أخرج منه الى ثراه واستراح مما عراه فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل الذى كان اعتقل

بين نور البصر ونور السواد ومراتب الانوار وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نوريه حس البصر وبين لون الحمرة والبصر والصفة المباينة بين السواد وبين نور البصر دون الالوان من الخضرة والحمرة والصفرة والبياض وعلل القوم فى هذه المعانى الى غير ذلك من الاجسام الجسمية من السيرين والحمسه واختلافها فى أنواعها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية وقد أتينا على ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وآرائهم واختلافهم فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرؤس بعضهم بعضا من ملوك الفرس ممن كان مقيما بالبلخ والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما نرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار الفرس وأنسابهم

(ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم)

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها فى ديارها والرقعة أنه ما ليس حفظ أنسابها ينقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير ان (أول

يأوي اليه كل أعور ناعق * وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرتق اليه مرة * من عمره يشكو انقطاع الابهر

ودخل ليلة على المنصور والمنصور قد اتكأ وارتفق وتحلى بمجلسه ذلك الافق حكم امانيا بعلمه ذلك مسوقة وأحاديث الاماني به منسوقة والبدر ما الرول عنده منزل في جملة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب في السحاب والافق دونه أغبر ثم يعود مبهما والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما وأبو مروان قد انتشى وجال في ميدان الانس ومشى وبرد خاطره قد دبجه السرور ووشى فاقلقه ذلك المغيب والالتياح واتصه ذلك السرور والارتياح فقال

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا
مقال لو نمى عندي اليه * لراجعني بتصديق جوابا

وله في مدة اعتقاله وتردده في قبله وقاله

شحط المزار فلا مزار ونافرت * عيني الهجوع ولا خيال يعتري
أزرى بصبري وهو مشدود العرى * والآن عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كله وتلذذي * بالعيش طي صحيفة لم تنشر
ها انما ألقى الحبيب توهما * بضمير تذكاري وعين تفكري
عجبا لقلبي يوم راعتني النوى * ودنا وداع كيف لم يتفطر

(رجع الى المنصور) وكان المنصور اذا اراد امرا مهما شاور ارباب الدولة والاكابر من خدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذي عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه بخلاف فهم الى المنهج الذي استدته فيتضمنون في انفسهم بالهلاك في الطريق الذي سلكه والمهيع الذي اخترعه فيسفر العاقبة عن السلامة التامة التي اقتضاها سعده فيكثرون التعجب من موارد أموره ومصادرها * وقيل له مرة ان فلانا مشؤم فلا تستخدمه فقال انا لسعدنا لا يعنى على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذي جرت به العادة شيء * وحكى عنه انه كان في قصره الذي بالزاهرة فتأمل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة وانصت لاطياره المغردة وملأ عينه من الذي حواه من حسن وجمال والتفت في الزاهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه وتجهم وقال ويل لك يا زاهرة فليت شعري من الخائن الذي يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض خاصته ما هذا الكلام الذي ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردي الذي لا يليق بمثله شغل البال فقال والله لترون ما قلت وكاني بمحاسن الزاهرة قد نهبت ورسومها قد غيرت ومبانيها قد هدمت ومحيت وخزائنها قد نهبت وساحاتها قد أضرمت بنار الفتنة والهبت (قال الحاكي) فلم يكن الا ان توفي المنصور وتولى المظفر فلم تطل مدته فقام بالامر أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول فقام عليه المهدي والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة آل عامر ولم يبق منهم آمر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

ملوكهم كيومرث) ثم تنازعوا فيه ومنهم من زعم انه ابن آدم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم الاقلون عددا انه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو اميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وانه أول من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا في مسكن واحد والله أعلم بذلك وكان كيومرث اكبر أهل عصره والمقدم فيهم وكان اول ملك نصب في الارض فيما زعمون وكان السبب الذي دعا اهل ذلك العصر الى اقامة ملك ونصب رئيس لهم رأوا اكثر الناس قد جبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا أحوال الخليقة وتدبير أن الجسم يوجد من الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم في بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدي الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما يورده اليه من احلائها ثم مدار كها وهو معنى في القلب فراوا اصلاح الجسم بتدبيره وانه متى فسد تدبيره فسد سائره ولم تظهر افعاله المتقنة المحكمة فلما راوا هذا العالم الصغير

وخربت الزاهرة ومضت كأمس الدابر وحلت منها الدسوت الملوكية والدساكر واستولى النهب على ما فيهما من العدة والذخائر والسلاح وتلاشى أمرها فلم يرج لفسادها صلاح وصارت قاعاً صفصفاً وتبدلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا (ويروى) أن بعض من تأمل ذلك الزمان من بها ونظر الى مصانعها السامية الفائقة ومبانيها العالية الرائقة قال يا دار فيك من كل دار فجعل الله منك فى كل دار (قال الحاكى) فلم تكن بعد دعوة ذلك الرجل الا أيام يسيرة حتى نهبت ذخائرها وعم بالخراب سائرها فلم تبق دار فى الاندلس الا ودخلها من ذخائرها حصة كثيرة أو قليلة وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل الذى همته فجرت به حيلته (ولقد حكى) أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضى ملكه لا اله الا هو (وتذكرت) هنا ما رآه فى المنام بعض أهل المغرب بالبلدة التى انقرض فيها ملك الموحدين أن شخصا ينشده

ملك بنى مؤمن تولى ... وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا واسمعوا وقولوا ... سبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو

وكان المهدى المتقدم على العامريين ماجنا فاتكا قال وقد حياه فى مجلس شرابه غلام بغصن آس

أهديت شبه قوامك المياس ... غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما يحكيك فى حركاته ... وكأنما يحكيه فى الانفاس

وكان المنصور بن أبى عامر حين تغلب على ملك الامويين غير مكترث بمثل المهدى المذكور وسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه وأخرب كل ما قدمه ولم ينفع فى ذلك احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء فلا تكن متعرضا وقد قدمنا شيئا من أخبار المنصور ولا بأس أن نلم هنا ببعضها وان حصل منه نوع تكرار فى بعضها لارتباط الكلام بعضه ببعض (قال بعض المحققين من المؤرخين) حجر المنصور ابن أبى عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولى الحجابة وربما أركبه بعض سنين وجعل عليه برنسا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يعرف منهن ويأمر من ينحى الناس من طريقه حتى ينتهى المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود غير أنه أركبه بالتماسه فى بعض الايام لغرض له كما أعلمناه فيما سبق وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك وكان هذا من فعله سبب الانقطاع ملك بنى أمية من الاندلس وأخذ مع ذلك فى قتل من يخشى منه من بنى أمية خوفا من ثورانه ويظهر أنه فعل ذلك شفقة على المؤيد حتى أفنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم فى البلاد وأدخلهم زوايا الخمول عاريين من الطارف والتلاد وربما سكن بعضهم البادية وترك مجالس الابهة وناديه حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة

بنى أمية أين أقمار الدجى ... منكم وأين نجومها والكوكب
غابت أسود منكم عن غابها ... فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

مع أن للمنصور مآثر لديها الاوائل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الذهاب

بنفسه

الذى هو حد الانسان المرتقى لا يستقيم اموره ولا تنتظم احواله الا باستعانة الرئيس الذى قدمنا ذكره علموا ان الناس لا يستقيمون الا بشخص يقيمهم ويوجه العدل عليهم وينفذ الاحكام على موجبه فعملوا بمقتضى ذلك فبادروا الى كيومرث بن آدم وعرضوا حاجتهم الى منصبه وقالوا أنت أفضلنا وشيخنا وكبيرنا وبقية أسلافنا وليس فى العصر من يوازيك فتفرد بأمر الملك وكن القائم فينا فانا قد تحت طاعتك والممتثلون لما تراه فأجابهم الى ما دعوه اليه واستوثق منهم بالعهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع التاج على رأسه وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الارض قال ان النعم لا تدوم الا بالشكر وانا نحمد الله ونشكره على نعمه ونرغب اليه فى مزيده ونسأله المعونة على ما دفعنا اليه ونحسن الهداية الى العدل الذى به تجتمع الالفة ويصفو العيش فثقوا بالعدل منا وأنصفونا من أنفسكم بوروده الى أفضل ما فى همتكم والسلام لم يزل كيومرث قائما بالامر حسن السيرة فى الناس والخلق آمنة والامة ساكنة الى ان مات ولهم فى وضع التاج على الرأس اسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فى كتابنا

بنفسه فى الرواح والغدو وله مع المصحفى وغيره أخبار مرت ويأتى بعضها ولا بأس أن نلخص ترجمة المصحفى فنقول (قال الفتح فى المطمح) الحاجب جعفر المصحفى تجرد للعليا وتمرد فى طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى فسما دون سابقة وارتمى الى رتبة لم تكن لمثله بطابقة والتاح فى آفاق الخلافه وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه كان يسمع وبه يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لاعاديه الحبائل والشرك واقتنى وادخر وزرى بمن سواه وسخر واستعطفه المنصور بن ابى عامر وخدمه بعد عاثر لم يقله وسره مكتوم لم يبح به فما عطف ولا حنى وروضه دنياه ولا قطف فقام فى تدبير الاندلس ما قام والاندلس متغيرة والاذهان فى تكييف سعده نيام هائلك بن خالد ومن فخر تقلد ومن صعب راض وجناح تنفذ فاص ولم يزل بتدبير تلك الخلافة مستقلا وفى مطالعها متنقلا الى ان توفى الحكم فانتقض عقد الحكم وانبرت اليه النوائب وتسددت اليه سهام سوائب واتصل الى المنصور ذلك الامر واحتوى به كما مال بيزيد اخوه الغمر وأناف فى تلك الخلافة كالشيب قبل اليوم عن طوقه عمرو وانتدب للمصحفى بصدر كان أوغره وساءه وصغره فاقتص من تلك الاساءة وأغص حلقه بأى اشاعة فاجتهر نكبه وأرجله عما كان الدهر أركبه وألهب جوارحه حربا ونهب له مدخرا ومخترنا ونشر عليه ما كان طوى وأحاط به من مكروهه ما أحاط ونثر ... فى مهوى تلك النكبه وجرى فى تلك الكربة يصحبه المنصور معه فى غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق ولهواته الى أن تكورت شمسه وفاظت بين أثناء المحن نفسه ومن بديع ما حفظ له فى نكبته قوله يسترحم من كربته

صبرت على الايام لما تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فمن محاسن نظامه وانشاده التى بعثها ايناس دهره باسعاده قوله

لعينيك فى قلبى على عيون * وبين ضلوعى للشجون فنون
لئن كان جسمى مخلقا فى يد الهوى * فحبك عندى فى الفؤاد مصون

(وله) وقد أصبح عاكفا على حمياه هاتفا باجابة دنياه مرتشفا ثغر الانس متنسما رياه والملك يغازله بطرف كليل والسعد قد عقد عليه منه اكليل يصف لون مدامه وما تعرف له منه دون ندامة

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

ومن شعره الذى قاله فى السفرجل مشبها وغدا به لمأثم البديع منبها قوله يصف سفرجلة

اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وذكروا ان كيومرث اول من امر بالسكوت عند الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بما يرد اليه من الغذاء وتسكن النفس عند ذلك فتدبر كل عضو من الاعضاء تدبيرا يؤدى الى ما فيه صلاحه من اخذ صفو الطعام فيكون الذى يرد الى الكبد وغيره من الاعضاء القابلة للغذاء ما ينتفع به وما فيه صلاحها فان الانسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التدبير الى حيث انصرفت الهمة وتوزع الى ... فأضر ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الانسانية واذا كان ذلك ادى الى معارضة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئى وفى ذلك تركه وخروج عن الصواب ولهم فى هذا الباب سرائر من أسرار السبب الذى بين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد أتينا على ذكره فى الكتاب المترجم بسر الحياة وفى كتاب الزلف عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والخيالية والنزاعية وما قال الناس فى ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع فى مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة وقيل دون ذلك والمجوس فى كيومرث هذا خطب طويل فى أنه بدء النسل

وله يصف الحديقة

ومصفرة تختال في ثوب نرجس * وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ريح محبوب ... قلبه * ولون محب حلة السقم مكتسي
... * وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤنسي
وكان لها ثوب ... الزغب أغبر * على جسم مصفر من التبر أملس
فلما استتمت في القضيب شبابها * وحاكت لها الأوراق أثواب سندس
مددت يدي باللطف أبغي اجتناءها * لأجعلها ريحانتي وسط مجلسي
فمرت يدي عنها لها ثوب جسمها * وأعريتها باللطف من كل ملبس
ولما تعرت في يدي من برودها * ولم تبق الا في غلالة نرجس
ذكرت بها من لا أبوح بذكره * فأذبلها في الكف حر التنفس

وله ... المنصور الى ... واستحق ... وبعث ... باستعطافه

أحذى إرسال على حاله * مجاراة نفسي لانفاسها
... شمها * توارت به دون جلاسها
وان عكفت نكبة للزمان * عطفت بنفسي على راسها

ومما ... له في استعطافه ... المنصور واستلطافه قوله

عفا الله عنك ألا رحمة * تجود بعفوك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمده * فأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

(عود وانعطاف الى أخبار المنصور بن أبي عامر) رحمه الله تعالى وجاره عن جهاده افضل الجزاء ... وكرمه وفضله وطوله فنقول وكان له في كل غزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفخر من المفاخر الاسلامية ... أن بعض الاجناد ... رايته مركوزة على جبل ... احدى مدائن الروم وأقامت عدة ايام لا يعرف الروم ... عادة رحيل العساكر ... اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشرب قلوبهم خوف ... المنصور وحربه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجئوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع (ومن مفاخر المنصور) في بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين في طريق عرض بريد بوسط بلاد الافرنج فلما جاوز ذلك المدخل وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى انه ... ايام ثم عاد ووجد الافرنج قد استجاشوا من ورائه ... ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار ... بلادهم ... بعسكره من العساكر وتقدم بنباء

كان من ... مع ابليس ... وكذا ... اصطلح ... (...) ... ومنها ... وكان ... رأى ... آدم ... ولد ... الماضي ... نوح ... وكان ... (...) ... المعاني اشرف الكامل ... الحياة في ... السقف ... العالم ... ... وطهور ...

و ... الا كبر ... مما يخرج ... من حد الاختصار والايجاز

الدوروا المنازل وجمع آلات الحرث ونحوها وبث سراياه فسبت وغنمت فاسترق الصغار وضرب أعناق الكبار وألقى جثثهم حتى سد بها المدخل الذي من جهته وصارت سراياه تخرج فلا تجد الا بلدا خرابا ولما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه في طلب الصلح وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم يزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم ان أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا انا لا نكاد نصل بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عدنا فلا زال الأمر [illegible] عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وان [illegible] الى بلاده وان يزيحوا جيف القتلى عن طريقه [illegible] ففعلوا ذلك [illegible] لعز ما وراءه مطمح ونصر لا يكاد أن يوجد مثله و [illegible] من الطريق [illegible] وغصصهم في شرب ذلك الريق ومن مآثره التي [illegible] دهره قرة انه لما ختن أولاده ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ومن أولاد الضعفاء عدد لا يحصر فبلغت النفقة عليهم في هذا الاعذار خمسمائة ألف دينار وهذه مكرمة مخلدة ومنقبة مقلدة فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء ويجعل للمسلمين في فقد مثله أحسن العزاء ومن مناقبه التي لم تتفق لغيره من الملوك في غالب الظن أن أكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين وذلك غاية الفتح من الله وله ومن أخباره الدالة على اقبال أمره وخيبة عدوه وادباره انه ما عاد قط من غزوة الا استعد لاخرى ولم تهزم له راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذلك فخرا ومما اتفق له في بعض غزواته امرأة تعرضت عليه بلوعة ماء وشهوانه وقالت له يا منصور استمع ندائي انت في طيب عيشك وأنا في بكائي فسألها عن مصيبتها التي عمتها وغمتها فذكرت له أن لها ابنا أسيرا في بلاد سمتها وأنها لا تهنأ عيشها لفقده ولا يخمد ضرام قلبها لهيام وجده وأنشدت [illegible] حالها الدال الملك العلي وبث الشجي من الحلي فرحب المنصور بها وأظهر الرقة لها وخرج من القابلة الى تلك المدينة التي فيها ابنها وجاس أقطارها وتخللها حتى دوخها وأناخ عليها بكلكله وذللها وأعراها من حماتها وبنود الاسلام المنصورة عليها وخلص جميع من فيها من الأسرى وجلبت عوامله الى قلوب الكفر كسرا وأعلنت ألسن الأعداء حسرى وتلا لسان حال المرأة فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وهكذا تكون الهمة السلطانية والنخوة الايمانية فالله سبحانه يروح تلك الأرواح في الجنان ويرقي درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان وقد تذكرت هنا والحديث شجون وبذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون كتابا كتبه الاديب الكاتب أبو محمد ابن الامام الحافظ محدث الاندلس أبي عمر بن عبد البر النمري الى المظفر بن أبي عامر وهو ابن المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في أخباره يمت اليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من آبائه بتعظيم قدرهم وإكبارهم وهو عمر الله ببقاء سيدي ذكرى السامعين [illegible] أوطانه وملكه عنان زمانه ومد عليه ظلال أمانه ان أبي عبد الله المالك الكريم والسيد الرحيم لما أضاءت لأهله معالمكم في سماء الفخار وأشرقت شموس مكارمكم على مفارق الاحرار وأسرت

لحرابين [illegible] وهذا [illegible] الى [illegible] واسط والسمرة من [illegible] العراق [illegible] ابن انو جهان [illegible] كان في [illegible] المعروف بالسمرة [illegible] الرجل [illegible] كسرى [illegible] الى ان هلك ستمائة [illegible] وقبل [illegible] اشهر [illegible] في الارض [illegible] ولا [illegible] بعده بيوراسب [illegible] وان بيوراسب بن طاج بن [illegible] ابن ساهردس بن كيومرث [illegible]

من العرب الضحاك وسماه قوم بهراسب وليس هو كذلك وانما اسمه على ما وصفنا بيوراسب ودخل [illegible]

شم تنث لرهر بهدى اليك من الهمم محامدها ومحاسنك الغر توقظ للشمس الآمال رواهدها ايمت أنه تحوا عادت لك القلوب تاتها وبهادت اليك النفوس بازمتها ابيت أن لا ألم الا بحماك ولا أحط رحلا الا بفنائك علما بأنك ثمرة الفخر وغرة الدهر ممت ساريا في ساطع نورك ميمما سمي طائرك محققا للربح موقنا بالفلح والنجح حتى حللت في دوحة المجد وأنخت بدولة السعد واستشعرت لبسة الشكر والحمد وجعلت أنظم من جواهر الكلام ما يربى على جواهر النظام وأنثر من عطر الثناء ما يزري بأرج المسك والعنبر وحاشا اللهم أن يعصل إلي من أفعالك أو يحلى أوفى من أنوارك فأراني مرطابي ... بك ومحطا الى غير ملكه لاجرم انه من استضاء بالهلال غني عن الذبال ومن استمطر أصبح الى ... وبالله ما هززت الا ... الى دوانها الى سوالك ولا حدت أو صاري ركابها الى من عداك ليكون في أثر الرسمي في المحل وعلى جمال الحلي على العاطل اسياد ملك السنة ورياستك الاولية التي عدم عنها ... افصاحي وبعيا في بعض ما اساني وإيضاحي فلمر أطنبن عمدت مناقبك تهي والاقلام في رسم ما ترك تحي وما أمل الخدب في ... الخصب ولا جذل المدنب برضا المعتب كأملي في التعرد ... وبلك ولجمل تحملتك والترمع تخدمك فالسعيد من ثنأى دولتك وطهرني ... واسيصاء بعرفك لقد فاز بالسبق من لحظه عين رعايتك وكنفه حوزة حمايتك وتار أمنت بعدله نوائب الايام وقويت بسلطانه دعائم الاسلام تختال بك المعالي احتيال العروس وتخضع لجلالك أعزة النفوس ساعقا شهر من الفخر وحط أنور من الدر وهمه أقدم من الدهر

لعمري لقد أضحى بكم متمسكا ٭ يشد على تأميل عزكم يدا
... سمر الفجر لعام لكم ٭ وغيرك لا أرضه الا تجلدا
ويم لواء الدين لارأس بيننا ٭ ما رأيكم في ظلمة الخطب مهتدى
... مخصت نليد ... ٭ أعار ... في البلاد وأخمدا

ومثله أبقاه الله ... تزاراته ... ومطر ... لا يساوى ... أحدهما احسان أو تالك الطاهر ... والعها أعام أكابرك الاخيار الطيبين ... بمولاك وامثالك ... واجمالك من اصله ثابت في أهل محبتكم وشرعه ما ثبت في حاصتكم

ومالي في ... ٭ ولكنها في معشر أستفيده
فكل نوال كان أو هو كائن ٭ فلحظه طرف منك عندي عده
... في اصطناعي ... ٭ ... تقريب الجواد وسده
اذا كنت في شك من السيف فابله ٭ فاما ... واما تعده
وما الصارم الهندي الا كغيره ٭ اذا لم يفارقه الحداد وغمده

ولا بأس أن يقول مولاي ... أركى البرب ووضع الماء موضع النوب والله سبحانه ... مولاي ... الفخر ... مالكا لاعنه الدهر وصنع الله

كان الف سنه وبقي في الارض وللفرس فيه حديث ... وانه ... ساوند بن الرى وطبرستان وقد ذكر ه شعراء العرب ممن ... وقد ... اردوان ... وكان ... وكان ... الوحش في ... (ثم ... بعده ... يدون) ... المماليك لاقاليم الارض ... وأسس ... ساوند على ... وقد ذكر ... من الفرس ومن ... هذا اليوم الذي ... لهر ... المهرجان على حسب ما نور ... هذا الموضع من هذا الكتاب وما قيل في ... وكانت دار مملكته ... وهذا لاقليم ... يقال لها بابل على شاطئ نهر ... نهار الفرات أرض العرب ... المدينة المعروفة ... وبهر ... العراق

سبحانه لسيدى أتم الصنع وأجمله وأفضله وأكمله بمنه لا رب سواه انتهى (رجع الى أخبار المنصور الكبير) محمد بن أبى عامر رحمه الله وكما قدذكرنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان أحد أتباعه (قال) صاحب كتاب روضة الازهار وبهجة النفوس ونزهة الابصار ولما أمر المنصور بن أبى عامر بسجن المصحفى فى المطبق بالزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفرقة وقال لهم لستم تروننى بعدها حيا فقد أتى وقت اجابة الدعوة وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك انى أشركت فى سفك دم رجل فى عهد الناصر وما أطلقته الا رؤيا رأيتها بأن قيل لى أطلق فلما بعد أحدث ذلك دعوته فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته على فقال دعوت على من شاركك فى أمرى أن يميته الله فى أضيق السجون فقلت انها قد أجيبت فانى كنت ممن شاركك فى أمرك وندمت حين لا ينفع الندم ويروى انه كتب للمنصور بن أبى عامر بهذه الابيات

هبنى أسأت فأين العفو والكرم ❊ اذ قادنى نحوك الاذعان والندم

ياخير من مدت الايدى اليه أما ❊ ترثى لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدر ❊ ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيرى

ياجاهلا بعد ما زالت به القدم ❊ تبغى الكرم لما ينك الكرم

ندمت اذ لم تعد منى بطائلة ❊ وقلما ينفع الاذعان والندم

نفسى اذا جمحت ليست براجعة ❊ ولو تشفع فيك العرب والعجم

وبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم انتهى وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادة حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل فان هذه الابيات للمنصور وهذا المورخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيرى وقد يقال لامنافاة بينهما فان المنصور أجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامر أعم فيتبين هنا والله أعلم (وقال بعض مؤرخى المغرب) ان الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن أبى عامر يطلب منه أن يقعد فى دهليزه معلما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحذقه ان هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه خادما ومعظما فكيف يرونه الآن فى دهليزى معلما وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصحفى فى ليلة من ليالى المنصور وفيها الناس عن ايقاد النيران تعمية على العدو الكافر وهو ينفخ فحما فى كانون صغير يخفيه تحت ثيابه أو كما قال فسبحان مديل الدول لا اله الا هو وقال هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظم والتحكم فى الدولة المدة المديدة أمرا لا مزيد عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولقد ذكر بعض علماء المغاربة) ان من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ولم يزل أعداء المنصور بن أبى عامر يتربصون به الدوائر فغلب سعده الذى هو المثل السائر وربما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جملة فقال

اقترب الوعد وحان الهلاك ❊ وكل ما تحذره قد أتاك

عصبة من ولد نمرود بن كنعان وقد صارت كانها الى وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران فى القرآن على حسب ما نص الله تعالى من خبرهما وهذه القرية بابل وكان ملك افريدون خمسمائة سنة وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام يذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا فى دهرنا ❊ قسمة اللحم على ظهر الوضم
وجعلنا الشام والروم الى ❊ مغرب الشمس الى الغطريف سلم
وأطوج جعل الترك له ❊ فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة ❊ فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وأن بلاد بابل أضيفت الى ولد افريدون وهو ايرج وقتله أخواه فى حياة افريدون وهلك ولم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايرج واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منه فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعده ابن نمرود

خليفة يلعب في مكتب * أمه حبلى وقاض ينك

يعني بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا وأمه صبح البشكنية كان الاعداء يتهمون بها المنصور وذلك بهتان وزور وأفظع منه رميهم القاضي بالفجور والله عالم بسرائر الامور ونعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين لا يراعون الا ولا ذمة ويطلقون ألسنتهم في العلماء والائمة وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب جدير بأن لا يدرك ما يؤمل ويتطلب لانه يعترض على الله سبحانه في أحكامه نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن شر كل ذي شر بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه وقد قدمنا أن المنصور بن أبي عامر كان يخدم أولا جعفر بن عثمان المصحفي مدبر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وأنه ما زال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصحفي ينفرها ببخله وسوء خلقه الى أن كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفي وفي ذلك يقول المصحفي

غرست قضيبا خلته عود كرمة * وكنت عليه في الحوادث قيما

واكرمه دهري فيزداد خبثه * ولو كان من أصل كريم تكرما

ولما يئس المصحفي من عفو المنصور قال

لي مدة لا بد أبلغها * فاذا انقضت أيامها مت

لو قابلتني الاسد ضارية * والموت لم يقرب لما خفت

فانظر الي وكن على حذر * في مثل حالك أمس قد كنت

ومن أحسن ما نحى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت

وكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأت صبري على الذل ذلت

فقلت لها يا نفس موتي كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وأنشد له الفتح في المطمح ونسبهما غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلمتني فقلت در سقيط * فتأملت عقدها هل تناثر

فازدهاها تبسم فأرتني * نظم در من التبسم آخر

وله في الخمر

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل لادغ

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

وله

يا ذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني

لم اجره بعدك في خاطري * كأنه ما مر في اذني

وأنشد له صاحب بدائع التشبيهات

سألت نجوم الليل هل ينقضي الدجى * فخطت جوابا بالثريا كخط لا

منوجهر) بن ايران بن أفريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل ببابل وقد قيل انه في زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا أباه وهما أطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعده منوجهر سهم ابن ابان) بن أثقبان ابن بود بن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) ابن أطوج بن ياسر بن رامي ابن آرس بن بورك بن ساساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن أفريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره فزعم انه تركي وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثني عشر سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتي عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن بساست بن كيجهور بن عداست بن دايريج بن راع بن ماسر بن بود بن منوجهر الملك فهزمه وقتل أصحابه وكنت

وكنت أرى انى ما آخرليتى * وأطرف حتى خلته عاد أولا
وماعن هوى سامرتها غيرانى * أنافسها المجرى الى طرق العلا

انتهى (رجع) وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثمانى وهو متداول بين أهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحدين ثم الى بنى مرين قال الخطيب بن مرزوق فى كتاب المسند الصحيح الحسن ماملخصه وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر موضعا الا ومعه المصحف الكريم العثمانى وله عند أهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا وقد قيل ان ابن بشكوال اخرج هذا المصحف منها أى قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت ١١ شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائه فى أيام أبى محمد عبد المؤمن بن على وبامره وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمان رضى الله تعالى عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمان بعيد وان يكن أحدها فلعله الشامى قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبى السبتى أما الشامى فهو باق بمقصورة جامع بنى أمية بدمشق المحروسة وعاينته هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينت المكى بقبة اليهودية وهى قبة التراب قلت عاينتهما مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها قال النخعى لعله الكوفى أو البصرى وأقول اختبرت الذى بالمدينة والذى نقل من الاندلس فالفيت خطهما سواء وما توهموه انه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدنى ونص ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصى وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المؤمن بن على ولم يزل الموحدون يحملونه فى أسفارهم متبركين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد على بن المأمون أبى العلاء ادريس ابن المنصور حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقتل قريبا من تلمسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب فى الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ونهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه فى خزانة ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف فى الخزانة الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى أن أصيب فى وقعة طريف وحصل فى بلاد برتقال وأعمل الحيلة فى استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمور واستمر بقاؤه فى الخزانة انتهى باختصار واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء كما ذكره ابن رشيد فى رحلته ولا بأس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة فى شأن المصحف لما فيها من الفائدة ونص محل الحاجة منه أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برطله من لفظه وكتبته من خطه قال انشدنى الشيخ الفقيه القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبى عبد الله بن عياش لابيه رحمهما الله تعالى مما نظمه وقد أمر امير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف

وتنقلته من كل ملك ذخيرة * كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فان ورث الاملاك شرقا ومغربا * فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشا جعلته * أمام قناه فى الوغى وقواضبه

بعد حروب كثيرة وغيرها ما خربه فراسياب وقد تنوزع فى المقدار الذى مات فيه عيل ثلاث سنين وقيل اكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويل فى قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم ابن دستان هذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وخبر اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب وقتل رستم ابن دستان وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار رستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى وأخبارها وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان أول من نزل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاوس وقد كان سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق نمرد على الله و بنيان بناه لحرب السماء وكان ملك اليمن الذى سار اليه كيكاوس فى ذلك الوقت شمر بن فريقس فخرج اليه شمر فأسره وحبسه فى أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه فى خفية من أبيها الى

وألبسته الياقوت والدرحلية * وغيرك قد رواه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الامر في وصوله الى الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن وما أبدى في ذلك من الامور الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر حسبما أطرفنا به الوزير الاجل ابو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي حفظه الله تعالى وشكره مما استفاده وافاده لما لم نسمع به قبل عن كتاب جده الوزير ابي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور بما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم قمرا الاندلس النيران واميراها المتخيران السيدان الاجلان ابو سعيد وابو يعقوب ايدهما الله وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف وما زال ينقله خلف عن سلف وقد حفظ شخصه على كثرة المتداولين وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين وله من غرائب الانباء ومتقدم الاشعار بما آل اليه امره من الاخبار ماملئت به الطروس وتحفظه من أهل الاندلس الرائس والمرؤس فتلقى عند وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وعكف عليه اطول العكوف والتزم أشد الالتزام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ماهو معتبر لاولي الالباب وبلاغ في الاغراب والاعجاب وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المؤمنين أدام الله له عوائد النصر والتمكين كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره في خاطره الكريم وحركته اليه دواعي خلقه العظيم وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية وسجاياه الحسنة الرضية في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ووطنه الموصل بحرمته المتقدم فتوقع ان يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا لفقدان اضاءته في أفقهم واشراقه فوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه فاوصله الله اليه تحفة سنية وهدية هنية وتحية من عنده مباركة زكية دون ان يكدرها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقه والتبرع به الى القائم الى الله تعالى بحقه ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سواكب ودقه وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى أمره الذي هو أمر الله مردودا وجمع عنده ذلك بحضرة مراكش حرسها الله تعالى سائر الابناء الكرام والسادة الاعلام بدور الآفاق وكواكب الاشراق وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة والاستحقاق فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا الى اجتماع هذه الدراري الزاهرة والتئام خطوطها على مركز الدائرة ووصول المتقدم ذكره المشهور في جميع المعمور امره وهو هذا

درارى من نور الهدى تتوقد * مطالعها فوق المجرة أسعد
وانهار جود كلما امسك الحيا * عذبها طامي الغوارب مزبد
وآساد حرب غابها شجر القنا * ولا لبد الا العجاج الملبد
مساعير في الهيجا مساعير للندى * بايديهم يحمى المجير ويرد

من معه من أصحابه ومكث في محبسه أربع سنين حتى اسر رستم بن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاوس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه واغرته بولده سياوخش حتى كان من امره مع فراسياب التركي واستئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى جاءت منه بكيخسرو ما كان من قتل فراسياب بن اوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى واخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجود الترك وعند الفرس على ما في كتاب السكيكين ان كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم من هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك في لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون لغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من اعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن (صار الملك الى جماى ابنة بهمن) بن أسفنديار بن كشتاسب بن لهراسب فانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب) بن قنوح بن كمس بن كيناسس بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة تشب

تشب بهم نار ان الحرب والقرى * ويجري بهم سيلان جيش وعسجد
ويستمطرون البرق والبرق عندهم * سيوف على افق العداة تجرد
اذا من سجف السائرات مضاؤها * فماذا الذي يغني الحديد الممرد
ويسترشدون النجم والنجم عندهم * نصول الى حب القلوب تسدد
تزاحم في جو السماء كأنما * عواملها في الافق صرح ممرد
تجاوز ألحاظ الكواكب دونها * ويفرق منها المرزمان وفرقد
ألم ترها في الافق خافقة الحشا * كما طرف العينان والقلب يرأد
ولبس احمرار القمر من أثر السنى * ولكنه ذاك النجيع المورد
وما انبسطت كف الثريا فاقتعت * ولكنها في الحرب شلو مبدد
وحط سهيلا ذعره عن سميه * فاضحى على افق البسيطة يرعد
ولما رأى نسر وقوع أليفه * تطاير من خوف فما زال يجهد
مواقع أمر الله في كل حالة * يكاد لها رأس الثرى يتميد
اهاب بأقصى الخافقين فنظمت * وهيب جميع المحقين بددوا
واضفى على الدنيا ملابس رحمة * نضارتها في كل حين تجدد
وأخضل أرجاء الربا فكأنما * عليها من النبت النضير زبرجد
فمن طرب ما اصبح البرق باسما * ومن فرح ما اصبحت المزن ترعد
وغنى على أفنان كل اراكة * غذاها حيا النعما حمام مغرد
وكبر دون نطق وسبح صامت * وكاد به المعدوم يحيا ويوجد
وابرز للاذهان ما كان غائبا * فبان فيها مطلق ومقيد
سلام على المهدي أما اضاؤه * فجم وأما أمره فمؤكد
امام الورى عم البسيطة عدله * على حين وجه الارض بالجور اربد
بصير رأى الدنيا بعين جلية * فلم يعنه الا المقام المعبد
ولما مضى والامر لله وحده * وبلغ مأمول وأنجز موعد
تردى امير المؤمنين رداءه * وقام بامر الله والناس هجد
بعزمة شجعان الفؤاد مصمم * يقوم به اقصى الوجود ويقعد
مشيئته ما شاءه الله انه * اذا هم فالحكم الالهي يسعد
كتائبه مشفوعة بملائك * تزاد بها في كل حال وترفد
وما ذاك الا انه خلصت له * فليس له فيما سوى الله مقصد
اذا خطبت راياته وسط محفل * ترى هام الاعداء في الترب تسجد
وان نطقت بالفصل فيهم سيوفه * اقر بامر الله من كان يجحد
معيد علوم الدين بعد ارتفاعها * ومبدي علوم لم تكن قبل تعهد
وباسط انوار الهداية في الورى * وقد ضم قرص الشمس في الغرب ملحد
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها * يغار بها كناف الضلال و يغمد

أقاصيص يطول ذكرها وذكر في بعض الروايات من أخبار الفرس انه بنى بلخ الحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر جمعة له مع الترك وما كان منهم في حصاره وقد اخذ بثاره بعد ذلك له في كتب قدماء الفرس وقد ذكر كثير من أخبار الفرس أن بختنصر مرزبان العراق والمغرب كان من قبل هذا الملك وهو الذي وطئ الشأم وفتح بيت المقدس وسبى بني اسرائيل وكان من أمره بالشأم والمغرب ما قد اشتهر والعامة تسميه بخت ناصر وأكثر الاخبار يين والقصاص يغالون في أخباره ويبالغون في وصفه والمنجمون في زيجاتهم وأهل التواريخ في كتبهم يجعلونه ملكا وانما كان مرزبان على ماوصفنا للملوك ممن ذكرنا وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة وصاحب ناحية وواليها وقد كان حمل سبايا بني اسرائيل الى الشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها دينارد فكانت سبب رد بني اسرائيل

الى بيت المقدس وقيل ان دينارد أولدها لهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان جماعة من نسل بني اسرائيل

فإن يجلوا من مطالعها الهدى * ويبرزها بيضاء والجو أسود
جزى الله عن هذا الإمام خليفة * به شربوا ماء الحياة فخلدوا
وما زالت محاسن ذكره * على مدرج الأيام تتلى وتنشد
لمصحف عثمان الشهيد وجمعه * تبين أن الحق بالحق يعضد
تحامته أيدي الروم بعد انتسابه * وقد كاد لولا سعده يتبدد
فها هو الآن مترس صارخ * بدعوته العليا حصين الممدد
وحاولي الثار يرقب نصره * فلما مضى عزمه المتجرد
رأى أثر المسفوح في صفحاته * فقام لأخذ الثار منه مؤيد
وشاهده بالصدر قبل حسوده * فلله شاهده الشرع يشهد
زمان رفاع العلم كان حسوده * وقد عاد بالمهدي والعود أحمد
أتتك أمير المؤمنين ألوكة * من الحرم الأقصى لأمرك تشهد
سيوف بني عبلان قامت شهيرة * لدعوتك العلياء تهدي وترشد
وساقت منت الله فيك شوقه * إليك ولي منه حجر ومسجد
وحج إليك الركن والمروة والصفا * فأنت لذاك الحج حج ومقصد
... ها الأجسام والأرواح أمركم * ومنكم لها رهن المقام المخلد
فلله فتح ... ذروه * أتى الأمر لم يرحك بالعرب مشهد
ولله ... هنيت * بهامته الإسلام قدما وتسعد
إذا لم يكن الأولى ... عصمه * فماذا الذي يرجو النصي المبعد
فدم للورى فينا وعزا ووجهه * فتبرك في الدار بين منبج ومسعد
وزادت بك الأعياد حسنا وبهجة * كأنك للأعياد زي مجدد
ولا زالت الأيام ملك حب يدها * وتحرك في ريعانه ليس ينفد

ثم إنهم أدام الله سبحانه تأييدهم ووصل سعودهم لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزيز شرعوا في انتخاب كسوته وأخذوا في اختيار حليته وتأنقوا في استعمال أحفظته وبالغوا في استجادة أصونته فحشروا الصناع المهرة ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والقصية فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والصانعين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة لا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة وأشكال مبتدعة وضمنوها من غرائب الحركات وخفي إمداد الأسباب للمسببات ما بلغوا به منتهى طاقتهم واستفرغوا فيه جهد قوتهم والهمة العلية أدام الله سموها تترقى فوق معارجهم وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء مدارجهم وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مداركهم فسلكوا من عمل هذه الأمثلة كل شعب وأبوا من منتشرها

يصح ... بعقب بعده
بالخصر وقيل في الخصر
[illegible]
هذا الموضع ...
[illegible]
[illegible]
وقد أوح ...
[illegible]
[illegible]
بزمان الغير ... بابون
[illegible] كتاب القانون
... من ملحمة
... من ابنش
المدين (ثم مات ...)
[illegible]
وقيل ابن زراد ...
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
دومر من ... الملك
وكان من أهل ...
والأ...
[illegible]
وهو من أول ... ابنهم
ما كتاب المعروف بالرحمة
... عراء ...
[illegible]
وزاد شرحهم بالمجرات
... وأخبر
عن الكائنات من المغيبات
قبل حدوثها من الكليات

والجزئيات والكليات هي الأشياء العامة والجزئيات هي الأشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا وعمرو

كل شعب وأشرفوا عند تحقيقها وابرازدقيقها على كل صعب فكانت منهم وقفة كادت لها النفس تيأس عن مطلبها والخواطر تكر راجعة عن خفي مذهبها حتى أطلع الله خليفته في خلقه وأمينه المرتضى لاقامة حقه على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها وتخلصت اشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها القواذلك ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته ويسره الى المهندسين والصناع فقبلوه احسن القبول وتصوروه بأذهانهم فراوه على مطابقة المأمول دوقفهم حسن تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم و... الى عدد ... اره الى تفصيل تلك الحركات المستغربة والاشكال المونقة المعجبة ان شاء الله تعالى ... للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة والاحفظة العجيبة انه كسى كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا ... من الوان الزجاج الرومي مالم يعهد له في العصر الاول مثال ولا عمر تبه بشبهه حظر ولا بال وله مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه وتلتئم وتتناسق عندها عجائبه وتنتظم ... اميات للحرك أعطافها واحكم انشاؤها على البغية وانعطافها وتم على صحيفه وجوانبه من فاخر اليواقيت ونفيس الدر وعظيم الزمرد مالم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في ايراده وتتوارثه على مرور الزمن وترداده وتضن العز الاقعس والملك الانفس في ادخاره واعداده وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في حسنه وانفراده فانتظم عليه منها ماشا كله زهر الكواكب في تلألئه واتقاده واشبه الروض المزخرف غب سماء ... عن امداده واتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر آخذ بمجامع القلب والبصر مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور يدهش العقول بهاء ويحير الالباب رواء ويكاد يعشى الناظر تألقا وضياء فحين تمت خصاله واستركبت اوصاله وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله رأوا ادام الله تأييدهم واعلى كلمتهم مما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات والاشراف على جميع النيات ان يتلطف في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبذلا وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس في الاستبصار تختلف وكل له مقام اليه ينتهى وعنده يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا المقصد وتلطف في تتميم هذا الغرض المعتمد وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر ذى حلية عظيمة خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر ورتب ترتيبا يأتى معه أن يكسى بالصوان الاكبر فيلتئم به التئاما يغطى على العين من هذا الاثر وكمل ذلك كله على اجمل الصفات واحسنها وابدع المذاهب وأتقنها وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة ذو مفاصل ينبو عن دقتها الادراك ويشهد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك مغشى كله بضروب من الترصيع وفنون من النقش البديع في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع لم تعمل قط في زمان من الازمان ولا انتهت قط الى ايسره نواقد الاذهان مدار بصفائح قد أجريت في صفائح الذهب وامتدت امتداد ذوائب الشهب وصنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند

فلان في وقت كذا وولد لفلان في وقت كذا وأشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب بـ..ور... ... حروف احرف المعجم وليس في سائر اللغات أكثر حروفا من هذه اللغة خطب طويل ... أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وأتى زرادشت بكتابهم ... هذه اللغة يعجزون عن ايراد مثلها ولا يدركون ... ما ... ذكر ... الموضع من هذا الكتاب ... زرادشت ... الصحف ... والكتاب ... في اثنى عشر الف مجلد بالذهب ... وعد ووعيد وأمر ونهى ... من الشرائع والعبادات لم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب الى عهد الاسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا فاحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد ملوك الطوائف الى أردشير بن بابك فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها استاد فالمجوس في هذا الوقت لا يعرفون غيرها من الكتاب الاول نسباه ثم عمل زرادشت تفسيرا عند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زند ثم عمل للتفسير تفسيرا وسماه بازند ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيرا لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير بارده والمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم ...

آلا سـتقلال و بشارته فى أكثر الاحوال موضع مثـل ترصيعه الغريب ومشاكلة فى جودة التقسيم وحسن الترتيب وصنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواء المشكاة على أنوارها والصدور على محفوظ أسرارها مكعب الشكل سام فى الطول حسن الجملة والتفصيل بالغ ما شاء من التتميم فى اوصاله والتكميل جار مجرى المحمل فى التزيين والتجميل وله فى أحد جوانبه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتجاجهما و يسر بعد الابهام انفراجهما ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسى من تلقائه وتركب المحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية وتلقيت التنبيهات القدسية وانتظمت العجائب المعنوية والحسية والتأمت الدخائر النفيسة والنفسية وذلك أن باسفل هاتين الدفتين فيما يليه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه وادبرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسى من ذاته بما عليه الى أقصى غايته وفى خلال خروج الكرسى يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتى بها من مؤخر الكرسى زحفا الى مقدمه فاذا كمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما احد وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شئ آخر فاذا أدير المفتاح الى خلف الجهة التى ادير اليها اولا انفتح اولا الباب وأخذ الكرسى فى الدخول والمحمل فى التأخر عن مقدم الكرسى الى مؤخره فاذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه كل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذى كان فى حال خروجه وصنعة هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات غائبة عن الحس فى باطن الكرسى وهى مما يدق وصفها و يصعب ذكرها لظهورها ببركات هذا الامر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله تعالى أمرهم وأعز نصرهم وفى خلال الاشتغال بهذه الاعمال التى هى غرر الدهر وفرائد العمر أمرنا أدام الله تعالى تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى فبدئ ببنائه وتأسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والنجارة وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة مالو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف فى هذا الامد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهضوا أدام الله سبحانه تأييدهم عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة والروضة المعظمة بمدينة تينملل أدام الله رفعها فأقاموا بها بقيه شعبان المكرم وأكثر شهر رمضان المعظم وحملوا فى صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدى المعلوم رضى الله تعالى عنه فى التابوت الموصوف اذ كان قد صنع له غروه فى أعلاه وأحكمت فيه احكاما كمل به معناه واجتمع فى مشكاته فعاد النور الى مبتداه وختم القرآن العزيز فى مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد ايراد ما تقدم ما صورته نجزت الرسالة فى المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى محل

فصار عاد وثمود وادم بهم احد حد. [illegible] اعلم ان هذا الكتاب وار باعا واثلاثا فيبتدئ كل واحد [illegible] من جزء فيتلوه ويبتدئ الثانى منه فيتلو جزأ آخر والثالث كذلك الى أن ياتى الجميع على [illegible] الواحد [illegible] على الكمال [illegible] ان [illegible] بعد المائة [illegible] يحفظ هذا [illegible] على الكمال وكان ملك كشتاسب الى أن [illegible] عشرين ومائة سنة وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمسة وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة ولما هلك زرادشت (ولى [illegible] جاماسب العالم) وكان من اهل اذربيجان وهذا اول موبد قام فيهم بعد زرادشت [illegible] كشتاسب الملك ثم ملك بعده بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكان له حروب كثيرة مع [illegible] سجستان الى أن [illegible] والده دستان وقيل ان أم بهمن كانت من بنى اسرائيل من ولد طالوت الملك وانه هو الذى بعث بالاسم نصر مرزبان العراق الى بنى اسرائيل وكان من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن الى أن هلك مائه واثنى عشرة سنة وقيل انه فى ملكه رد [illegible] بنى اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى

الحاجة

الحاجة منه * وما أحسن قول الشيخ الامام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة

أستودع الله أهل قرطبة * حيث وجدت الحياء والكرما
والجامع الاعظم العتيق ولا * زال مدى الدهر مامنا حرما

وقال أبو الربيع بن سالم حدثني بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري قال أنشدني أبو محمد بن عطية لنفسه فذكرهما بعد أن قال انه لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وأنشدني البيتين انتهى * وقال ابن عطية أيضا رحمه الله تعالى

بأربع فاقت الامصار قرطبة * وهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم أكبر شيء وهو رابعها

وقد تقدم انشادنا لهذين البيتين من غير نسبتهما لأحد * ومما يدخل في أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم قال نادمت يوما المنصور ابن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير وهي جامعة بين روضة وغدير فلما تضمخ النهار بزعفران العشي ورفرف غراب الليل الدجوجي وأسبل الليل جنحه وتقلد السماك رمحه وهم النسر بالطيران وعام في الافق زورق الزبرقان أوقدنا مصابيح الراح واشتملنا ملاءة الارتياح وللشجن فوقنا رواق مضروب تغنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب وقالت

قدم الليل عند سير النهار * وبدا البدر مثل نصف السوار
فكأن النهار صفحة خد * وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤوس جامد ماء * وكأن المدام ذائب نار
نظري قد جنى على ذنوبا * كيف مما جنته عيني اعتذاري
يا لقومي تعجبوا من غزال * جائر في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي اليه سبيل * فأقضي من الهوى أوطاري

قال فلما أكملت الغناء أحسست بالمعنى فقلت

كيف كيف الوصول للأقمار * بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق * لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام همو بشيء * خاطروا بالنفوس في الاخطار

قال فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ في كلامه وقال لها قولي واصدقي الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت الا نظرة ولدت في القلب فكرة فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد أو طل تساقط من ورد وأنشدت

أذنبت ذنبا عظيما * فكيف منه اعتذاري
والله قدر هذا * ولم يكن باختياري

بيت المقدس سبعين سنة وذلك في أيام كورس الفارسي المملك على العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بني اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثا وعشرين سنة وفي وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لامر قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما في كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الازمان الى أن تنقضي الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور من الحوادث ودلائل ذلك في الافلاك ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت خماي) بنت بهمن بن اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بأمها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك

والعفو أحسن شئ * يكون عند اقتدار

قال فمنذ ذلك صرف المنصور وجه الغضب الى وسل سيف السخط على فقلت أبدك الله تعالى انه كانت هفوة جرها الفكر وصبوة أبدها النظر وليس للمرء الا ما قدرله لا ما اختاره وأمله فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وفعم وتجاوز عنا وسمع وخلى سبيلي فسكن وجيب قلبي وغليلي ووهب الجارية لي فبتنا بأنعم ليلة وسحبنا فيها للصبا ذيله فلما شمر الليل غدائره وسل الصباح بواتره وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان في أعالي الاغصان انصرفت بالجارية الى منزلي وتكامل سروري * قال بعضهم ذكرتني حكاية أبي المغيرة هذه حكاية قرأتها في النوادر لابي علي القالي البغدادي حذت في الظرف حذوها وزهت في الاغراب زهوها وهي ما أسنده عن منصور البرمكي انه كانت للرشيد جارية علامية وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك أمرد فوقفت تصب على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون خلف الرشيد فأشار اليها يقبلها فأنكرت ذلك بعينها وأبطأت في الصب على قدر نظرها للمأمون واشارتها اليه فقال الرشيد ما هذا ضعي الابريق من يدك ففعلت فقال لها والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك فقالت ياسيدي أشار الي كأنه يقبلني فأنكرت ذلك عليه فالتفت الى المأمون فنظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل فرحمه وضمه اليه وقال يا عبد الله أتحبها قال نعم يا أمير المؤمنين قال هي لك فادخل بها في تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلت في هذا الامر شيئا فقال نعم ياسيدي وأنشد

ظبي كنيت بطرفي * من الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء اللحظ يعرب عن اللفظ (وقال آخر) رب كناية تغني عن ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا * دقائق لحظ هن أمضى من السحر
فأعرف منها الوصل في لين لحظها * وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

(وفي هذا قال بعض الحكماء) العين باب القلب فما في القلب يظهر في العين (وقال الشاعر)

العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى (وأبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه) الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه مجد وحسب وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد لا ينعت ولا يحد وهو فارس المضمار حامي ذلك الذمار وبطل الرعيل وأسد ذلك الغيل نسق المعجزات وسبق في المعضلات الموجزات اذا كتب وشي المهارق ودبج وركب من بحر البلاغة الثبج وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء وحليفي وفاء لا ينفصلان في رواد ولا مقيل ولا يفترقان كمالك وعقيل وكانا بقرطبة رافعي ألوية الصبوة وعامري

بن دارا) بن دارا بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذي قتله الاسكندر بن فيلبس المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر أن منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى أخوين) وقيل بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب احدهما (بهماست) بن كبجهر بن دوزدف بن هوست بن دابدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) ابن غار بن طهماسب بن آسك بن آيرنس بن أدج ابن دوس بن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر هو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرهما في

اندية السلوة الى أن اتخذ أبو عامر فى حبالة الردى وعلق وغدا رهنه فيها وغلق فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان واسترد من سبقه ما فاته منذ زمان فلم تذكر له مع أبى عامر حسنة ولا سرت له فقرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشفوف أبى عامر وامتداد باعه وأما شعر أبى المغيرة فمرتبط بنثره ومختلط زهره ببدره وقد أثبت له منه فنونا تجن بها الافهام جنونا فمن ذلك قوله

ظعنت وفى أحداجها من شكلها * عين فضحن بحسنهن العينا
ما أنصفت فى جنب توضح اذ قرت * ضيف الوداد بلابلا وشجونا
أضحى الغرام قطين ربع فؤاده * اذ لم يجد بالرقمتين قطينا

(وله)

لما رأيت الهلال منطويا * فى غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لى * بصولجان انثنى لضرب كره

انتهى (وأبو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقه ما صورته) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد الاشجعى عالم باقسام البلاغة ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه أحد من أهل زمانه ولا ينسق ما نسق من در البيان وجمانه توغل فى شعاب البلاغة وطرقها وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف الا من بحر مع انطباع مشى فى طريقه بأمد باع وله الحسب المشهور والمكان الذى لم يعده ظهور وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والاوضاح والضحاك صاحب يوم المرج وراكب ذلك المرج وأبو عامر حفيده هذا من ذلك النسب ونبع لا براش الا من ذلك الزغب وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ولنور المحاسن ماحق (فمن ذلك) قوله

ان الكريم اذا نابته مخمصة * أبدى الى الناس ريا وهو ظمآن
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمر بماء البشر ريان

وهو مأخوذ من قول الرضى

ما ان رأيت كمعشر صبروا * عزا على الازلات والازم
بسطوا الوجوه وبين اضلعهم * حر الجوى ومآلم الكلم

(وله أيضا)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
كلا الندى والهوى قدما ولعت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

(وأخبرنى) الوزير أبو الحسن بن سراج الدين وهو بمنزلة ابن شهيد وكان من البلاغة فى مدى غاية البيان ومن الفصاحة فى أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا نغيب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ولا يخليه من نثر دروه وازهاره فقعد فيه ليلة ٢٧ من رمضان فى لمة من اخوانه وأئمة سلوانه وقد حفوا به ليقطعوا انحت ادبه وهو يخلط لهم الجد بهزل ولا يفرط فى انبساط مشتهر ولا انقباض جزل واذا بجارية من أعيان اهل قرطبة معها من جواريها من يسترها ويواريها وهى ترتاد

هذا الكتاب الخارجين من بلد أرمينية الصابين فى دجلة الاكبر بين الموصل والحديثة والآخر ببلاد الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طساسيم من الضياع والعمائر وأسماها الزوابى وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية وان مملكتها كانت ثلاث سنين وان كيخسرو ابن سياخوش بن كيكاووس ابن كنيفة بن كيقباذ لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن سيمك ابن تدت بن ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد لسث بن ريسب بن أطوح بن أفريدون وقد قدمنا وجها من الرواية فى نسبه فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو فى البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسماها كنكدر وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنز ولهم اغوى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كنكدر هى اغوى بعينها وقد قيل ان كيكاووس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بارض السند وان سياخوش بنى فى حياة أبيه كيكاووس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ولمن ذكرنا من هؤلاء

وضع المجاهر بها وتبتغي منزلا لا تستعمار دنبها وهي متنقبة خائفة ممن يرقبها مترقبة وأمامها طفل لها كأنه غصن آس أوظبي يمرح في كناس فلما وقعت عينها على ابي عامر ولت سريعة وتولت مروعة خيفة أن يشبب بها أو يشهرها باسمها فلما نظرها قال قولا فضحها به وشهرها

وناظرة تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعي غزالا بروض البقاع
وجالت بموضعنا جولة * فحل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تخطر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع
وريعت حذارا على طفلها * فناديت ياهذه لا تراعي
غزالك تفرق منه الليوث * وتفزع منه كماة المصاع
فولت وللمسك في ذيلها * على الارض خط كظهر الشجاع

انتهى المقصود منه (رجع) ومما ينخرط في سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح في ترجمة المعتمد ابن عباد قال واخبرني الوزير احمد بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يصرفه بصرف أرحت به المسرات عهدها وأبرزت له الاماني خدها ونهدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون بجني وهصر ويتنقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ماقضوا من تلك الآثار أوطارا ووقروا بالاعتبار فطارا فحلوا منها في درانك ربيع محفوفة بالازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في اكف ارواحها وآثار الديار قد اشرفت عليهم كالثكالى ينحن على خرابها وانقراض اترابها واطرابها والوهي بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها واخجلوا الغيوث في انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الا نؤي وأحجار قد وهت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها أنسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد فيه اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ما عراهم نوم ولا عداهم

الملوك أخبار وسير قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع نبني بها على ما سلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ما وانوه فيها ووصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانه

(ذكر ملوك الطوائف)

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عني بأخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فيلبش دارا بن دارا غلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم الاسكندر وفيهم فرس ونبط وعرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشغانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمذان وماسبذان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشغان فقيل لسائر ملوك الطوائف عن

عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى امله وكان روم أمرها أشهى عمله ومازال
يخطبها بمداخلة اهليها ومواصلة واليها اذ لم يكن في منازلتها فائد ولم يكن لها الا حيل
ومكايد لاستمالتهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها وحين
اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل في قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها
قال

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الاول

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فاصبحت في سرى الحلى والحلل

عرس الملوك لنا في قصرها عرس * كل الملوك لها في مأتم الوجل

فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت في سلكه واتسمت بملكه اعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها
فاناض فيها نداه وزاد على امده ومداه وجلها بكثرة حبائه واستقل باعبائها على فتائه
ولم يزل فيها آمرا وناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن باهلها اعتقده واغترارا بهم ماوراه
ولا انتقده وهيهات كم من ملك كفنوه في دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش ثلوه وكم
من عز برمك أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجر اليها رجلا وويلا فبرز الظافر
منفردا عن كماته عاريا من حماته وسيفه في يمينه وهاديه في الظلماء نور جبينه فانه كان
غلاما قد بلله الشباب بانداته والحفه الحسن برداته فدافعهم اكثر ليله وقد منع منه
تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقال منها ولا سعى فترك
ملتحفا في الظلماء تحت نجوم السماء معفرا في وسط الكاء تحرسه الكواكب بعد
المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمر بمصرعه سحرا احد أئمة الجامع المغلسين
فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه
ونضاه وستره به سترا أقنع المجد وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف
فشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الحزن لوعته رفع بالعويل
نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح
وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بالم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة
والانصار رموا أسلحتهم وسووا للفرار اجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاءه ومنهم
من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع
ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية
ولا كلمة للوعته شافية الا اشارته اليه في تأبين اخويه المأمون والراضي المقتولين في أول
النائرة والفتنة الثائرة انتهى (وقد رأيت) ان ازيد على ما تقدم مما قصدت جلبه في هذا
الموضع نبذة من كلام الفتح في ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس ووصف
مجالس الانس التي كانت بها مما تنشرح له الانفس ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لهما تبعا
ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل في اللهو مصيفا ومرتبعا ثم طواه الدهر طي السجل ومحا

الاشغانيون اضافة لهم الى ملك هذا الصقع لانقيادهم اليه وقد حكى محمد بن هشام الكلبي عن أبيه
وغيره من علماء العرب
انهم قالوا أول ملوك الدنيا
الكينيان وهم من سمينا
من ملوك من سلف من
الفرس الاولى الى دارا بن
دارا ثم الاردوان وهم
ملوك النبط وكانوا من
ملوك الطوائف وكانوا
بارض العراق مما يلي قصر
ابن هبيرة وسقي الفرات
والجامعين وسورا واحمد
آباد والبرس الى جبلا وتل
فاخر والطفوف وسائر ذلك
الصقع وكانت ملوك العرب
من مضر بن نزار بن معد
وربيعة بن نزار واياد بن
نزار والنصرية من بني
نصر من اليمن وغيرهم
من قحطان لهم ملوك وقد
نصبت كل طائفة لها ملكا
لعدم ملك يجمع كلمتهم
وذلك أن الاسكندر أشار عليه
معلمه وهو ارسطاطاليس
في بعض رسائله اليه
بذلك وكاتب الاسكندر
ملك كل ناحية وملكه
على ناحيته وتوجه وحباه
فاستبد كل واحد منهم
بناحية فصار ملكه من
بعده في عقبه ممانعا عما في
يده وطالبا للازدياد من
غيره وكان ملك الطوائف
عند كثير من الناس ممن
عني باخبار الماضين
ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب

آثاره التي كانت تسمو وتجل وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الاخبار لا الحث على الحرام وتسهيل القصد اليه والمرام والاعمال بالنيات والله سبحانه كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيات وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات بالنعم الباقيات السنيات * (قال الفتح رحمه الله تعالى) في ترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون ما صورته وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى انه في وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت لعينيه تلك الظباء الاوانس والآرام وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى أعفاه فلما عاده منهما ما عاد وأعياه ذلك النكه المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها في العيد ويتفرج بها مع اولئك العيد فقال

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل * أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفي الرصافة مسعري * دواعي بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسي صبابة * لقلبي لا يألو زناد الاسى قدحا
وليس ذميما عهد مجلس ناصح * فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأني لم أشهد لدى عين شهدة * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فان لم يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو في مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سجحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى في الاماني بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبة نازح * تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصر ملك أشرقت جنباتها * فخلنا العشايا الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها الى الوهم جهرة * فقبتها فالكوكب الجون فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هنالك الجمام الزرق تبدي خفافها * طلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شرق القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا
ومن حملي الكاس المفدى مديرها * تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلي فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلي بيانة فالبطحا

وهذه معاهد بني أمية قطعوا بها ليالي وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يبدو من نقاب ونعموا بجوفي الرصافة وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وابعدوا نصح الناصح وحمدوا انس مجلس ناصح وعموا بالزهراء وصموا عن نبا صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم عنها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكباء وغدت تلك المعاهد تصافحها

على ملوك الطوائف وقتل اردوان الملك بالعراق و وضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله مبادرة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم يعد مدة ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف وتمهدت له البلاد واستقامت دعائم المملكة ومن ملوك الطوائف من قتله أردشير بن بابك ومنهم من قاده الى ملكه وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى من سمينا وبين الفرس الثانية وهي الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وحضهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) ابن أسك بن أردوان بن أشغان بن آعر الجبار بن ساوس بن كيكاوس الملك عشرين سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفي احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايلياء ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن ادراو بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك

ايدى

أيدى الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للبوم وملعبا للصدى يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب وما لها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود انتهى *(وقال الفتح بعد كلام ما صورته) ولما عضته ناب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومرحه بين الصفا والعقيق وحن الى سعد زرت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد فقال

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد من ظلوم
ماترى البدر ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

(وقال الفتح أيضا فى شان ابن زيدون ما صورته) ولما تعذر انفكاكه وعمر فرقده وسماكه وعادته الاوهام والفكر وخانه من أبى الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع سعده وغروبه ويشكى لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى بانحناء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على ارقه وسهده

ماجال بعدك لحظى فى سنى القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
فى نشوة من شباب الوصل موهقة * الامسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
يا للرزايا لقد شافهت منهلها * غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتنزل

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى * تكذيب ما كنت تدعيه

المسيح بأربعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرب ثم ملك بعده نيرو بن سابور (ابنه جودر) بن نيرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده أخوه (هرمز) بن نيرو عشرين سنة ثم ملك (أرداوان) بن مرداوان أربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) بن ايلاووس بن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن أرداوان ابن ايلاووس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودى) فهذا وجه آخر غير ما قدمنا وقد قيل فى تاريخ سنى ملوك الطوائف غير ما وصفنا وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول أشهر وأصح فى مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضاد ما فيها غير أن الذى حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا يتقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

(ذكر أنساب فارس وما قاله الناس فى ذلك) تنازع الناس فى الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسود

من قبل أن يهزم التسلي * ويغلب الشوق ما يليه   انتهى

وما أحسن قول ابن زيدون المذكور في قصيدته النونية الشهيرة

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون وهي

غدا منادينا محكما فينا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

بحر الهوى يغرق * من فيه جهده عام
ونار ه تحرق * من هم أو قد هام
ورب ما تقلق * فتى عليه نام

قد غير الاجسام وصير الايام سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

يا صاحب النجوى * قف واستمع مني
اياك أن تهوى * ان الهوى يضني
لا تقرب البلوى * اسمع وقل عني

بحاره مره خضنا على غره حينا فقام بها للنعي ناعينا

من هام بالغيد * لاقى بهم هما
بذلت مجهودي * لأحور ألمى
يهم بالجود * وورد ما هما

وعندما قد جاد بالوصل أو قد كاد أضحى التنائي بديلا من تدانينا

بحق ما بيني * وبينكم الا
أقررتم عيني * فتجمعوا الشملا
فالعين بالبين * بفقدكم ابلى

جديد ما قد كان بالاهل والاخوان وموردا للهوى صاف من تصافينا

يا جيرة بانت * عن مغرم صب
لعهده خانت * من غير ما ذنب
ما هكذا كانت * عوائد العرب

لا تحسبوا البعد يغير العهد اذ طالما غير النأي المحبينا

يا نازلا بالبان * بالشفع والوتر
والنمل والفرقان * والليل اذا يسر
وسورة الرحمن * والنحل والحجر

هل حل في الاديان أن يقتل الظمآن من كان صرف الهوى والود يسقينا

يا سائل القطر * عرج على الوادي
من ساكني بدر * وقف بهم نادي
عسى صبا تسري * لمغرم صادي

ان شئت تحيينا بلغ تحيينا من لو على البعد حيا كان يحيينا

ان سام بن نوح وكذلك النبط ولد نبيط بن ناسور بن سام بن نوح وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد ارم بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي

وبنا سمي الفوارس فرسا * نا ومنا مناجب الفرسان
وكهول طواهم الركض والكر * كمثل الكران يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنتيه وهي دعوى ولاصحاب التواريخ في هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان ابن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذي ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة في العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان ذار الراهب * ثم تلقى راحة النوائب

ومنهم من رأى أن الفرس من ولد ايران بن افريدون وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب أخبار ولد افريدون حين وافت

وافت لنا أيام * كأنها أعوام
وكان لى أعوام * كأنها أيام
عمر كالاحلام * بالوصل لى نودام
والكاس مترعه حثت مشعشعه فيها الشمول وغنانا مغنينا

*(رجع الى ما يتعلق بقرطبة) قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة يخاطب الوزير أبا الحسن ابن سراج و يذكر له اخوانه بقرطبة

يا سيدى وأبى هوى وجلالة * ورسول ودى ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة ولذ بجنابها * بابى الحسين وناده تعويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شكرى وشوقى مجملا * ولو استطعت سردته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كانما * جرت على زهر الرياض ذيولا
واشمم منها المصحفى على النوى * نفسا يذكى السوس المبلولا
والى أبى مروان منه نفحة * تهدى له نورا لا ناما مطلولا
واذا لقيت الاخطبى فسقه * من صفو ودى قرقفا وشمولا
واقرا على سق منهار بعه * مسكا عليه غمامة محلولا
واذكر لهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولى ومولى نعمة وكرامة * وأحا اخاء مخلصا وخليلا
بالحير ما عبست هناك غمامة * الا تضاحك اذخرا وجليلا
يوما وليلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

قال أبو نصر الحير الذى ذكرناه هو حير الزجالى خارج باب اليهود بقرطبة الذى يقول فيه ابو عامر بن شهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهو * د شمسا الى الحير ان تكسفا
تراه اليهود على بابها * اسيرا فتحسبه يوسفا

وهذا الحير من ابدع المواضع واجملها واعمها حسنا واكملها ضحنه مرمر صافى البياض يخترقه جدول كالحية النضناض بجانبه كل جنبة بها قبة قد رصعت بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وارجاؤه والروض قد اعتدلت اسطاره وابتسمت من كمائمها ازهاره ومنع الشمس ان ترمق ثراه وعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالى واياما كانما تصورت من لحظات الاحباب اوقدت من صفحات ايام الشباب وكانت لابى عامر بن شهيد به فرج وراحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليفى صبوة وحليفى نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا فى الممات تجاورهما فى الحياة وتقلدت عنهما اوراقات تلك الفيآت والى

قسم الارض بينهم وما قاله الشاعر فى ذلك من قوله ولا يران جعلنا عنوة * فارس الروم وزابلا العجم
فأضيف الفرس الى ذلك وايران تسميه الفرس ايراج اذ عربوا اسمه ولا تنا كر بين الفرس جميعا فى أنهم من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايراج بن افريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر اجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولا خلاف بين الفرس فى ان الجميع منهم من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر و كيومرث هو قيل ايراج بن افريدون وايراج ابن افريدون هو الذى ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانية وهم الساسانيه دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى أن منوجهر هو ابن منشجر بن أفريرس بن ونزك وونزك هو اسحق بن ابراهيم الخليل وسار منشجر الى ارض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده وملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية ودثرت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية والعرب العاديه (قال المسعودى) وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا و يعمل عليه فى بدء النسب و بنعاد الـه

ذلك العهد أشار ابن شهيد وبه عرض وبشوقه صحّ ومرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه أن يدفن بازائه ويكتب على قبره

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر في أمرك العبيد

انتهى

ثم قال بعد كلام وركب أبو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبي الحكم بن حزم غلاما كأنما عق تمائمه وهو يروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه فارتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذاك ما ليس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذا أشب على الطوق

انتهى

وكان بنو القبطرنة بالاندلس أشهر من نار على علم وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المشكورة ولذا قال أبو نصر في حقهم ما صورته هم للمجد كالاثافي وما منهم الا موفور القوادم والخوافي ان ظهروا ازهروا وان تجمعوا تضوعوا وان نطقوا اصدقوا ما أوهم صمو وكل منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم ارواحها ونفوسها ولهم النظام الصافي الزجاجة المضمحل الحجاجة انتهى ثم قال وبات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بأفنانه ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويوقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره ويدير حمياه على صفحة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه اخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود السرور وما نضوها حتى صرعتهم العقار وسلبتهم تلك الاوقار فلما همّ رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح أن يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال

يا شقيقي وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم * لست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال

يا أخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا
في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل الخليلا

كثير من الفرس ولا ينكرونه وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس وانها من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال في ذلك اسحق بن سويد العدوي عدي قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد * أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحق عمنا * وصاروا لنا غرما الى الدهر أعبدا
فان كان منهم تبع وابن تبع * فاملاكهم كانوا الاملاك أيدا
ويجمعنا والغر ابناء سارة * أب لا نبالي بعده من تفردا
هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم * وهم منحوا هم بعد ذلك سوددا

وفي ذلك أيضا يقول جرير ابن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بأن الفرس والروم من أولاد اسحق والانبياء من ولد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا

ثم

ثم استيقظ اخوهما أبو الحسن وقد هب من غفلة الوسن فقال

ياصاحبي ذرا لومي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خير ماذخروا

وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وساق صاحب البدائع هذه القصة فقال وذكر أبو الفتح ماهذا معناه انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بالطل عيون ازهاره وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وانمحت مثل الحوادث عنه سطرته خيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت عن الارض العيون فما تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن الافطس يعده غاية الارب مشهد الطرب ومدفع الكرب فما توافيه لياتهم يدبرون لمع لهب يمنون فيه الخلود ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما في بطونهم والجلود حتى تركتهم اشنة الخابية كانهم أعجاز نخل خاوية فلما هزم روم الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حي على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وانشد مرتجلا ياشقيقي الخ فانتبه اخوه ابو بكر لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وأنبه اخاهما أبا الحسن وهو يرتجل ياأخي قم ترى النسيم الى آخره فانتبه أخوه لكلامه دائما ذ منامه للذة قيامه وارتجل ياصاحبي ذرا الخ انتهى (قال الفتح) ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين بن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع القائد والمشي اليه والنزول عليه تنويها بمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فصارا الى بابه فوجداه مقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهما عجلا ومشى بين أيديهما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلال السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهما منه فكتبا اليه

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف

وصدقنا ولم نقطع * وكذبنا ولم ننف

وأنعبنا لاجلالك عن اكرومة الظرف

ولم ننصف وقد جئنا * لك مانهض من نصف

وكان الحكم ان تحمل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها

أياأسفي على حالي * سلبت بها من الطرف

ويالهفي على جهل * بصف كان من نصف

انتهى

ولاهل الاندلس في معاني الانس الحسان مالا يفي به لسان وقال الفتح في ترجمة الوزير أبي الفضل بن حسداى بعد كلام ماصورته فمنها هذه القطعة التي أطلعها نيرة وترك الالباب

ومنهم سليمان النبي الذى دعا * أعطى تبيانا وملكا مسدرا * أبونا أبو اسحق يجمع بيننا * أب كان مهديا ونبيا معمرا

وموسى وعيسى والذى خرساجدا

وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا

ويعقوب منهم زاده الله حكمة

وكان أبو يعقوب نبيا مطهرا

ويجمعنا والغر أبناء فارس

أب لا يبالي بعده من تأخرا

أبونا خليل الله والله ربنا

رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وفي ذلك يقول بشار بن برد

عنى الكرام بنو فارس

قريش وقومي قريش العجم

وقال أحد شعراء الفرس

يذكر أنه من ولد اسحق

وأن اسحق هو المسمى

وترك على حسب ماقدمنا

قبل من كلمة له

أبونا وترك وبه أحاجي

اذا فخر المفاخر بالولاده

أبونا وترك عبد رسول

له شرف الرسالة والزهاده

ومن مثلي اذا افتخرت قروم

وبيتي مثل واسطة القلاده

ومن الفرس من يزعم أن

وترك هو ابن أبريك وابن

أبريك ابن سبع نسوة تولدن

من غير ذكر الى أن يلدن

نسبهن بايراج بن أفريدون

وهذا مما يدفعه العقل ويأباه

الحس ويخرج عن العادة

وتنبو عنه المشاهدة الا ماخص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدي آياته ودلائله الخارجة عن العادة

بها مخمرة في يوم كان عند المقتدر بالله مع عليه قد اتخذوا المجد حليه والامل قد سفر لهم عن محياه وعبق لهم عرف رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الافراح والملك ينشر فضله وينثر وابله وطله يسدى العلاء ويهب الغنى والغناء فصدحت الغوانى وافصحت المثالث والمثانى بما استنزل من مرقب الوقار وسرى فى النفوس مسرى العقار

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كانما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ماتركنا الماء يقتلها * الالتحيا بها منا حشاشات
قد كان فى كاسها من قبلها ثقل * نخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد للبنى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها اللبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفى الاوهام راحات
تمضى عدات اذا هب الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعلل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت فى النفس حاجات
لعل عتب الليالى أن يعود الى * عتبى فنبلغ أوطار ولذات
حتى يفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

ولما اعرس المستعين بالله ببنت الوزير الاجل أبى بكر عبد العزيز احتفل ابو المؤتمن فى ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع بذكائه دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدير تلك الآراء ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه فى ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها * فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظاهر أبا عبد الله بن طاهر محلك أعزك الله فى طى الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك فى احناء الضلوع باد وان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بنظر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك بالطروق الى ما يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وانا أعزك الله على شرف سوددك حاكم وعلى مشرع سنائك حائم وحسبي ما تحققه من تراعى وتشوقى وتتيقنه من تطلعى وتتوقى وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعترض الاقتراح باستحباب الصلة وانت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للمؤانسة عهدا وتورى بالمكارمة زندا وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لا زلت مضيئا بالسعود المقتبلة مسوغا اجتلاء غرر الامانى المتهللة بمنه انتهى (ثم قال) بعد هذا بيسير ما نصه وركب المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادا للذته وارتيادا لنزهته واقتاد احد حصونه المنتظمة بلبته

وعـدّ كرباه من المشاهدات وبى وطء أفريدون لابنت ابراج ووطئه بنت البنت الى انسبع منزرو وقد كان بين ملك منوجهر بن منوجهر ابن افريرس بن دترك على ماذكرنا وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك تحترب كان باقليم بابل وعدم ذى همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحق فان هذان ما ذكرناه هو المعوّل عليه من قول هذه الطائفة يجب على ما يوجبه الحساب أن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحق ألفا وتسعمائة واثنين وعشرين سنة كذلك وجدت فى كتب تواريخ هذه الطائفة بارض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودى) وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده اسحق بن ابراهيم الخليل على ولد اسمعيل بان الذبيح كان اسحق دون اسمعيل فقال من كلمة له قل لبنى هاجر ماينت لكم ماهذه الكبرياء والعظمه ألم تكن فى القديم أمكم لامنا سارة الجمال امه والملك فينا والانبياء لنا ان تنكروا ذاك توجدوا ظلمه

واجتمع له من أصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الا فراجهم سا الكا انهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك واجناسه ماراق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تثيرها المكايد وتغوص اليها المصايد فتبرزمنها اللعين قضبان در أو سبائك لجين والراح لا يطمس لها المع ولا يحس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من نكره معروفه فقال

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تصاد من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كاريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في مدح مولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

انتهى (وقال) في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي شارح أدب الكاتب وسقط الزند وغيرهما ما صورته أخبرني انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها الاماني ومرآها هو المقترح والمتمنى والمأمون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كالشمس في أفقه والبدر في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد رشته أنداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت * فيه اللآلى فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ * ـمأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد
كأنما البست حدائقه * ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد
لازال في رفعة مضاعفة * متمم الوفد واري الزند

(وقال) في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي أفرده لترجمة ابن السيد ما صورته في

اسحق كان الذبيح قد أجمع الناس عليه الا ادعاءله حتى اذا ما محمد أظهر الدين وجلى بنوره الظلمه

نلتم قريش الاحساب مفخرة أصل لنا ان كنتم بنوه فه اما بنو يعرب فليسوا كمن أسكنه الله آمنا حرمه ولا كأبناء فارس وهم في الارض مثل الاسود في الاجمه

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله ابن المعتز وكان قائل هذه القصيدة في عصره وعمر الى أن مضت الثلثمائة بثلاثة في أبيات منها من ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا من ذا الشقي الذي أباح دمه
حاش لاسحق أن يكون لكم أبا وان كنتم بنوه فمه
قولا لكلب يرى لبضته قد قعد الليث للفراس فمه

والفرس لا تنقاد الى القول بان الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون في عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما له ولجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير بن بابك

ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذي النون بمجلس الناعورة بطليطلة في المنية المتناهية البهاء والاشراق المباهية لزوراء العراق التي ينفح شذاها العطر ويكاد من الغضارة يقطر والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتداه وحكم العقار في جوده ونداه والمجلس يشرق كالشمس في الحمل ومن حواه يبتهج كالنفس عند منال الامل والزهر عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر حوار الى آخر ما سبق (وقال الفتح) في وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورته حضر الاستاذ أبو محمد بن السيد عند المأمون ابن ذي النون في بعض متنزهاته في وقت طاب نعيمه وسرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه راقمه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقمه وثم بركة مملوة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا فكأنها آساد عين ادلعت ألسنة من لجين وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلي الحباب بعدما تنثر فامره بوصف ذلك الموضع الذي تحدى اليه ركائب القلوب وتوضع فقال بديها يا منظرا الخ انتهى (ثم قال الفتح) في هذا التصنيف بعد كلام في المذكور ما نصه وما أبدع قوله في وصف الراح والحض على النبذ للهموم والاطراح بمعاطاة كاسها وموالاة ايناسها ومعاقرة دنانها واهتصار ثمار الفتوة من افنانها والاعراض عن الايام وأنكادها والجري في ميدان الصبوة الى أبعد آمادها

سل الهموم اذا نبا زمن * بمدامة صفراء كالذهب
مزجت فمن در على ذهب * طاف ومن حبب على لهب
وكأن ساقيها يشير شذى * مسك لدى الاقوام منتهب

ولله هو فقد ندب الى المندوب وذهب الى مداواة القلوب من الندوب وابرائها من الآلام واهدائها كل تحية وسلام وابهاجها بآصال وبكر وعلاجها من هموم وفكر في زمن حلي عاطله وجلي في أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه وسماءه واستحالاته فليثه كاسد وذئبه مستاسد واضغانه تنسر وبغاثه قد استنسر فلا استراحة الا في معاطاة حميا ومواخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه وفضضه بالابداع وذهبه حين دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا وصلا وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا فاقبل على راحه يتعاطاها وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نقموا منه اقترانه العقار وجالت ألسنتهم في توبيخه مجال ذي الفقار فقال

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى راح وليس فتى مجد
ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى * سواي ومن اعطى كثيرا ولم يكد
فديتكموا لم تفهموا السر انما * قليتكم جهدي فابعدتكم جهدي

ودعي ابن السيد ليلة الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب وقرع السرور نبعه بالغرب ولاحت نجوم أكواسه وفاح نسيم رنده وآسه وأبدت صدور اباريقه اسرارها وضمت عليه المجالس أزرارها والراح يديرها أهيف أوطف والاماني تجنى وتقطف فقال

الى العباس بن عبد المطلب ولم يزل الفرس الثانية أحد الامن ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

ومازلنا نحج البيت قدما * ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى * أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر * لاسمعيل تروي الشاربينا

وكانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالا في صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه في زمزم وقد ذهب قوم من مصنفي الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم

يارب ليل قد هتكت حجابه * بمدامة وقادة كالكوكب
يسعى بها أحوى الجفون كانها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر غارب * فانعم برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كانها * حول المجرة ربرب في مشرب
والليل منهزم يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

(ثم قال الفتح) بعد كلام كثير ما صورته ودخل يحيى ابن السيد سرقسطة أيام المستعين وهي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملك عمر البشاشة كثير المشاشة وملك أبهج الفناء أرج الارجاء بروق المجتلى ويروق النجم المعتلى وحضيرة مفساة الماء منجابة السماء يبسم زهرها ويساب نهرها وتتفتح خمائلها وتتضوع صباها وشمائلها والحوادث لا تعترضها والكوارث لا تفترضها وبارها من عرس الى موسم وآملها متصل بالاماني ومتسم فنزل منها في مثل الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يخف على المستعين احتلاله ولم تخف لديه خلاله فذكره معلما به ومعرفا وأحضره منوها به ومشرفا وقد كان زمن ابن رزين دار السرور ومن نفس الحزن وخلص من اعتقاله خلوص السيف من صقاله فقال يمدحه

هموسلبوني حسن صبري اذبانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة اظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها مزن من الدمع هتان
أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان
ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤادي الى القيامة الدهر حيران
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب الوان
أناخت بنا في أرض شنتمرية * هواجس ظنون والظن خوان
وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت * نواظرنا دهرا ولم يهم هتان
فسرنا وما نلوى على متعذر * اذا وطن أقصانا آوتنا أوطان
ولاذاد الاماتنشته من الصبا * أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الحمد منها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا البيت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حزب والمقادير أعوان
حقتنا بلاجرم كان مودة * ثنى نحونا منها الاعنة شنآن
ولولم تفدنا سوى الشعر وحده * لحسن لنا برعليه واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا * فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
ولانحن ممن يرتضى الشعر خطة * وان قصرت عن شأونا فيه أعيان
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه * فثم مجال للمقال وميدان

وغيرها مما أودع في زمزم والناس في الاسباب تنازع في بدئها وتبعها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفي ذو المعرفة بالاشراف بها عن كثير من ذلك وطلبها

(ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم) *

كان اول من تنسب اليه ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهافريد بن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ولا خلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذي حصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما آتاه ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه الاوانا ساعون في اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة ورد ما انخرم في سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فاني أعم بالعدل القوي والضعيف والدنيء والشريف وأجعل العدل سنة

حليلي من بعدي على زمن له * اذا ما قضى حيف على وعدوان
وهل ري من قبلي غريق مدامع * يفيض بعينيه الحيا وهو حران
وهل طرفت عين لمجد ولم يكن * لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد في برديه بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان
من الغر الشم الذين أكفهم * غيوث وألسن الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى * هزبر به مناه من السم ثعبان
وهل دون ما قد شاد مقتد لهم * ومن عمس بالله لقياه ايمان
ألا لبس فخر في الورى غير فخرهم * والا فان الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستغاثا لمن نبا * به وطن يوما وعضته أزمان
كسوتك من تظمي قلادة مفخر * يباهى بها جيد المعالي ويزدان
وان قصرت عما التست فربما * تحاور در في النظام ومرجان
معان حكت غنج الحسان كأنني * بهن حبيب أو بطليوس بغدان
اذا غرست كفاك غرس مكارم * بأرضي أجتنك الثنا منه أغصان

(وقال) في وصف مجلس لأبي عيسى بن لبون أحضر اليه ابن السيد منوّها بقدره ماصورته وأحضره الى مجلس نام عنه الدهر وغفل وقام لفرط أنسه واحتفل قد بات صروفه ودت من الزائر قطوفه وقال هلم بنا الى الاجتماع بمذهبك والاستمتاع بمشاهدة من براعة أدبك فأقاموا يعملون كاسهم ويصلون ايناسهم وباتوا ليلتهم ما طرفهم نوم ولا عداهم عن طيب اللذات سوم ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذي النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها وخلعت عليه اضواءها وزفت اليه المسرات أبكارها وفارقت اليه الضير أوكارها فقال يصف

لم تر عيني مثله ولا ترى * أنفس في نفسي وأبهى منظرا
اذا تردى وشيه المصورا * من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا * خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الابريق حين قرقرا * قد أم لثم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تناغي جؤذرا * ترضعه الدرّ ويرنو حذرا
كأنما مج عقيقا أحمرا * أوفت من رياه مسكا أذفرا
أو عابد الرحمن يوما ذكرا * فنم مسكا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذي من ظفرا * بقرب نال العلاء الاكبرا
لو أن كسرى راءه أو قيصرا * هلل اكباراله وكبرا
تبدى سماء الملك منه قمرا * اذا حجاب المجد عنه سفرا
يا أيها المضني المطايا بالسرى * تبغي غمام المكرمات الممطرا

انتهى (وقال الفتح) في ترجمة الاديب أبي القاسم بن العطار ماصورته هو أحد أدباء اشبيلية ونحاتها

(قال المسعودي) واردشير ابن بابك المتقدم في ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى ان ذلك من السياسة وعمايدعم عمود الرياسة فكانت طبقات خاصته ثلاثا * الاولى الاساورة وأبناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة أذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهيذية ممن كانت مملكة الكون في أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مأوف ولا مرمي بأبنة ولا ابن ذي صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا وكان أردشير يقول ما شئ أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة

ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصله راحاته ونعطيل بكره وروحاته وموالاته للفرج ومعالاته فى عرف الانس والارج لا يعرج الا على صفة نهر ولا يبتهج الا بقطفة زهر لم يحفل بلام ولم يشتغل الا فى طاعة غلام ماهيك من رجل مخلوع العنان فى ميدان الصبابة مغرم بالحسان غرام يزيد بجبابه لا تراه الا ردمه انهماك ولا تلقاه الا فى لمة انهتاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لا يقمر فؤاده من كلف ولا يبيت الا رهن لف أكثر خلق الله تعالى علاقه وأحضرهم لمشهد حلاقة مع جراءة تحرك السكون وتضحك الطير فى الوكون وقد أثبت له ما ارتجله فى أوقات أنسه وساعاته وصب به أثناء دراته وولوعاته فمن ذلك ما قاله فى يوم ركب فيه النهر على عادات انكماشه وارتضاعه لنعو الالذات وارتشافه

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله فيه

مررنا بشاطى النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله

هبت الريح بالعشى فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدء فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقوله

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وله

لا كالعشية فى رواء جمالها * وبلوغ نفسى منى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنى * والشمس قد شدت مطى رحالها
فى حيث تنساب المياه أراقما * وتعيرك الافياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

انتهى (وقال الفتح) فى ترجمة ابن عمار أخبرنى ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز انه حضر معه عند المؤتمن فى يوم حادت فيه السماء بوصلها وأتبعت وبلها طلها وارتقب رعدها برقها وانسكب درا كاودقها والازهار قد تجلت من اكمامها وتحلت بدر غمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها وا كؤس الراح كانها كواكب تتوقد تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذ بفتى من فتيان المؤتمن أخرس لا يفصح ومستعجم لا يبين ولا يوضح متشمر تشمر الليث متشمر كالبطل الفارس عند العيث وقد أفاض على

كذلك تفسد معاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضائلها ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيى به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن حملت نتنا تألم به النفس وأضر بأخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يحدث المعرفة فى نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهرا فساد فيه دهرا وكان اردشير يقول يجب على الملك أن يكون فائض العدل فان العدل جامع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتحرمه وان أول مخايل الادبار فى الملك ذهاب العدل منه وانه متى خفقت رايات الجور فى ديار قوم كافحتها عقاب العدل فردها على العقب وليس أحد من يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف

السالك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مراح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مدار الباقى

نفسه دوعا تضيق بها الاسنة درعا وهو يريد استشارة المؤمن فى التوجه الى موضع بعثه المهم وجهه وكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء آ.. ده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه نماه وأراد أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى والمدير فأمره المؤمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وبدت مراسه بهجة ذلك المحيا واستراله سوره العقار من مرقب الوقار قال

وهو يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بالنفس
يسعى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يرمح فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وأورد هذه القصيدة صاحب البدائع بقوله حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وتحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعتادها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والرياح قد اشرفت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد داب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خدها حسنا فتظلل بعرف حبابه اذ بفتى من فتيان المؤمن قد أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والنجم قد اكتست حبابا وقد جاء يريد استشارة المؤمن فى الخروج الى موضع قد كان عوّل فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وبث سراياه فى ضواحى قلبه جد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عن سهكه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يكون هو الساقى فأمره المؤمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كميت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار وهو يتهاتف الا انه قال اثر قوله اياك بادرة الوغى من فارس ماصورته * يصع السنان على العذار الاملس * انتهى

ولابن عمار الرائية المشهورة فى مدح المعتضد والد المعتمد وهى

أدر المدامة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زها بورد خدوده * خجلا وتاه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا

حسب ما يأتيه من حلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعبر به على شهوته ولا يكون نديما حتى يكون له جمال ... مواه وجماله ونظافته وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأمر ... وكرمه ... أطه الى ... وقار مجالسه ... مع حلاله وجهه فى غير ... حف ولا يستكمل المروءة حتى ... اللذة ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أرواح فأولها الوزراء ثم الموبذان وهو الناظم أمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها الملتزم أمور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للأحكام وجعل الاصبهذين أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الاربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أورد تدبيره من أجزاء المملكة كل واحد منهم ... ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفا هؤلاء الاربعة ورتب أردشير الطبقات الاربعة من أصحاب التدبير

وتنزه ريح الصبا فتخاله * سبقت بن عباد فدعت كرا

عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الأغبرا

ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا

أندى على الأكباد من قطر الندى * وألذ فى الأجفان من سنة الكرى

يختار اذ يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا

قداح زند المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

لا خلق أقرأ من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا

أيقنت أنى من ذراه بجنة * لما سقانى من نداه الكوثرا

وعلمت حقا أن ربعى مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا

من لا توازنه الجبال اذا احتبى * من لا تسابقه الرياح اذا جرى

ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدى الخيل تعثر فى الثرى

فاذا الكتائب كالكواكب فوقهم * من لامهم مثل السحاب كنهورا

من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا

ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا

أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته فى بردتيه مصورا

وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته فى راحتيه مفسرا

فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا

وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا

هصرت يدى غصن الغنى من كفه * وجنت به روض السرور منورا

حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أو أموت فأعذرا

يا أيها الملك الذى حاز العلا * وحباه منه بمثل حمدى أنورا

السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا

ما زلت تغنى من عنا لك راجيا * نيلا وتغنى من عتا وتجبرا

حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا

شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا

أثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا

وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا

واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا

نمقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا

من ذا ينافسنى وذكرك مندل * أوردته من نار فكرى مجمرا

فلئن وجدت نسيم مدحى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا انتهى

*(وقال فى ترجمة عبد الجليل بن وهبون المرسى) ركب باشبيلية زورقا فى نهرها الذى لا تدانيه الصراة ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت فى ظلمتها ولم يبد وضح فى دهمتها

وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طرأ بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر مراتب الاشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنساك والزهاد وطبقات العلماء بحالها ونقل أصحاب المهن المسمية على مراتبها وغير طبقات المغنين ورفع من كان بالطبقة الوسطى الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى وحط المراتب على حسب الاطراب المطرب له منهم وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك فى طبقات الملهين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك حتى ورد كسرى أنوشروان فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك *وقد كانت ملوك الاعاجم تحتجب من عهد أردشير عن الندماء وكان بين الملك وبين أول الطبقات عشرون ذراعا والستارة التى على الملك تكون منه على عشرة أذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء الاساورة يقال له خرم باش فاذا غاب هذا الرجل وكل به آخر من أبناء الاساورة وذوى التحصيل وسمى بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب فى هذه المرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه أمر رجلا أن يرتفع على أعلى

وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة وزاد في تلك البهجة فقال

كأنما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدي

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح وجاريا في ميدان ذلك المراح فأماجاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال

اعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجنى بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهو بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج تحت الماء أضوأ منهما * كالبرق يخفق في غمام سماء

*(وقال الفتح رحمه الله) دعيت يوما الى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية وهي منتهى الجمال ومزدهى الصبا والشمال على وهي بنائها وسكنى الحوادث برهة بفنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازر الذهبية أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم في الطول وضفتاه بالادواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول علي بن أحمد أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزرائها

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
والنهر مثل المجرة حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت ذلك المجلس وفيهم أخدان كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كأن الصبح منها مقدود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجو زهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث الى أن أفضى بنا الى ذكر منتزهنا بالامس وما لقينا فيه من الانس فقال لي ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب وسلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمه عهدي به عندما فرغ من تشييده وتنوهي في تنسيقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في وقت حلت فيه الشمس برج شرفها واكتست فيه الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع به وتغرب وقد حل به قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كأسها درا وعقيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكأن الافلاك منازلنا ووهب المنصور في

مكان في دار الملك فيرفع الستارة ويعرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول يا لسان احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك تعلمهم في يوم جلوس الملك للهو والطرب فيأخذ الندماء مراتبهم مناقفة أصواتها غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس *وكور أردشير ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وتبين عوارها وما هي عليه من الغرور والعناء وقلة المكث وسرعة التغيل منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة بائدة ما عذوذب منها جانب لامرئ وحلا الا امر منها عليه جانب ورأى أن من بني قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عديدا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك

ذلك

لما والعاكف ببيوت النيران والانفراد بعبادة الرحمن والانس بالوحدة ٣٠٩ (فقتب ابنه سابور) المملكة وتوجه

ذلك اليوم ما يزيد على عشرين الفا من صلات متصلات وأقطع ضياعا ثم توجع لذلك العهد وافصح بما بين ضلوعه من الوجد وقال

سقيا المنزلة اللوى و كثيبها * اذ لا أرى زمنا كأزماني بها
انتهى

(وما أحسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك) يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس المونقة وبذكر استضافته فيها بشموس المسرة المشرقة وهو أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة ومحيي الملة الذي حسن بأفيائه العيش وزين بمحياه الجيش وراق باسمه الملك وحزن بسعده الهلك وأنار به الليل الدامس ولاح له الاثر الطامس وجرى لدهر لسطوته خاضعا وغدا السعد بعقوته طائعا والزمان يرود علياه ما تحف والثغور بداه ترتشف ولا زال للمجد بتملكه والسعد يحمله فلكه أما وقد وافقني أيامه أيده الله سبحانه وفاقا ورأيت للبيان عنده نفاقا فلا بد أن أرسل كتائبه أفواجا وأفيض من بحره أمواجا وأصف ما شاهدته من اقداره وعاينته من حسن ايراده واصداره عند ما افصح من شكوى المحزون وأملح من رياض الحزون وقد كنت أيدكم الله تعالى كلفا بالدول وبهاتها لهجا بالبلوغ الى انتهائها لاجد دولة أرتضيها وحظوة علياء أقتضيها فكل ملك فاوضته سرا وجهرا وكل ملك قلبته بطنا وظهرا والنفس تصدعنه صدود الجبان عن الحرب والملائكة الكرام عن الشرب الى أن حصلت لديه ووصلت بين يديه فقلت الآن أمكن من راح البغية الانتشاء ومثلت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وما زلت أسايره حيث سار وآخذ اليمين تارة وتارة اليسار وكل ناحية تسفر لي عن خد روض ازهر وعذار نبت أخضر وتبسم عن ثغر حباب في نهر كالحباب وترفل من الربيع في ملابس سندسيات وتهدي البنا نوافح مسكيات ونرهى ببهجتها بأحسن منظر وتتيه بجلباب أينع من برد الشباب الانضر فجلنا فيها يمينا وشمالا واستخبرنا عن أسرارها صبا وشمالا ثم مال بنا أيده الله تعالى عن هذه المسارح السنية والمنازل البهية الى احدى ضياعه الحالية وبقاعه العالية فحللناها والايام قد عرى من جلبابه واليوم قد اكتهل بعد شبابه فنزلنا في قصور يقصر عنها جعفري جعفر وقصور بني الاصفر تهدي من لبانها بردا محبرا وتندى من شذاها مسكا وعنبرا وقد لاحت من حوانيها نجوم أكواس لو رآها أبو نواس لجعلها شعاره ووقف على نعتها أشعاره ولم يحذ سواها خدينة ولا نبه خماره بعد هجعة فتعاطيناها والسعد لنا خادم ومنير السرور علينا قادم وخدود سقاتها قد اكتست من سناها وقدودهم تميل علينا بجناها ونحن بين سكر وصحو واثبات ومحو واضاحة الى بمٍ وزير والتفاتة الى ملك ووزير الى أن ولى النهار خداما وأقبل الليل المميت فاحيانا فوصلنا لهوا وقصف وعيش يتجاوز كل وصف فكأن يومنا مقيم أو كأن ليلنا من الظلام عقيم ولما سل الفجر حسامه وأبدى لعروس الليل ابتسامه وجاء يختال اختيالا ويغوص بقايا الليل نبالا قمنا نتناديب للسير وكلنا في يد النشوة أسير فسرنا والملك الاجل يقدمنا والايام تخدمنا فلا زالت الايام به زاهية وعن سواه لاهية ما عمر وكر اعقاب وكان للشهور غرر وأعقاب انتهى * (وقال الفتح في ترجمة الراضي

ابن بابك كتاب يعرف بكتاب الكرنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره في الارض وسيره * وكان مما حفظ من وصية أردشير

بنا جه رسلك أنه رآه أرجح ولده حلما وأكثرهم علما وأشدهم بأسا وأجلدهم مراسا فعاش بعد ذلك في حال تزهده وخلوته بربه وكونه في بيوت النيران سنة وقيل شهرا وقيل أكثر مما ذكرنا * وأقام أردشير اثنتي عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف حتى صفا له الملك * ومنهم من يكاتبه منقادا الى المكاتبة من غير حرب ومنهم من يمتنع عليه فيسير الى داره ويأتي عليه وكان آخر من قتل منهم ملكا للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن برنا صاحب قصر ابن هبيرة ثم أردوان الملك وفي هذا اليوم سمي شاهنشاه وهو ملك الملوك * وأم ساسان الاكبر من سبايا بني اسرائيل وهي بنت ساسان * ولاردشير بن بابك أخبار في بدء ملكه مع زاهد من زهادهم وابتداء ملوكهم يقال له تنسر وكان افلاطوني المذهب على رأي سقراط وافلاطون أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط مع ذكر سيره وفتوحه وما كان من أمره * ولاردشير

بابنه أبي خالد يزيد بن المعتمد بن عباد) بعد كلام ما صورته وأخبرني المعتمد بالله أن أبا
المعتد وجهه يعني الراضي الى شلب والياً وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التي عمر
بجرودها غلاما وتذكر عهودها أحلاما وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها

الا حي أوطاني بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبداً شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراف مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد
راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعاً بين بكره وروحاته أيام لم
تحل عنه تمائمه ولا خلت من أزاهير الشباب كمائمه وكان يعتدها مشتهى آماله ومنتهى
أعماله الى ان حصلت بها وطيب نفحاتها وهباتها والتفاف خمائلها وتقلدها بنهرها
مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة

أما علم المعتضد بالله انني * بحضرته في جنة شقها نهر
وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل
المعتمد عليه مشرفاً لاوبته ومعرفاً بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا
وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجداً على الراضي لحالات أحيا أفقه وبحث
غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوه وذكرته بعده فمنع الى دنوه وبين ما استدعى
وأوفى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى وألفاه صريعاً في مبتداه طريحاً في منتهى مداه
فقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعراً أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده

ألا ليس تعود حياة الأمل * ويدنو شفاء فؤاد معل
ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل
فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل
دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل
كما يستطير لحب الوغى * اليها وفيها القنا والاسل
أنا ملك أمره نافذ * فمن شا أعز ومن شا أذل
فلا غرو ان كان منك اغتفار * وان كان منا جميع الزلل
فذلك هو الذي لم يجد * عاد بحلم على من جهل انتهى

(وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الافطس ما صورته) واخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون
أن الارض توالى عليها الجدب بحضرته حتى جفت سدادها واغبرت جوانبها وغرد المكاء
في غير روضه وخاض الياس بالناس أعظم خوضه وابدت الخمائل عبوسها وشكت
الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو
واظهر الخشوع وأكثر السجود والركوع الى ان غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام
وترنمت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجود والاغوار واتفق ان وصل ابو يوسف المغني
والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتتوجت الغيطان والربا وارجت

في سابور عند نصيحة اياه للملك أن قال له يا بني ان الدين والملك أخوان ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين
أس الملك والملك حارسه
وما لم يكن له أس فمهدوم
وما لم يكن له حارس فضائع
وكان ممن حفظته ... به
أنهى أردشير الى خواص
من نزع رعيته وعماله من
أردشير بن بهمن من الملوك
الى الكتاب الذين بهم
تدبير المملكة والفقهاء
الذين هم عماد الدين
والاساورة الذين هم حماة
الحرب والى الحراث الذين
هم عمرة البلاد سلام عليكم
نحن بحمد الله صالحون
وقد رفعنا اتاوتنا عن
رعيتنا بفضل رأفتنا
ورحمتنا ونحن كاتبون
اليكم بوصية فاحفظوها
لا تستشعروا الحقد فيكم
فيدهمكم عدو ولا تحتكروا
فيشملكم القحط
وكونوا لابناء السبيل
مأوى تردوا غدا في المعاد
وتزوجوا في الاقارب فانه
أمس للرحم وأقرب للنسب
ولا تركنوا الى الدنيا فانها
لا تدوم لاحد ولا تهتموا
فيها فلن يكون الا ما شاء الله
ولا ترفضوها مع ذلك فان
الآخرة لا تنال الا بها * وكتب
أردشير الى بعض عماله
بلغني أنك تؤثر اللين على
الغلظة والمودة على الهيبة
والجبن على الجراءة
فلا تشتد أولاً ولا تلين آخراً ولا تخلين قلبك من هيبة ولا تعطله من مودة ولا يبعد عليك ما أقول فانهما تنعقدان

نفحات الصبا والمتوكل مافض أتوبته ختاما ولا قوض عن قلبه منها خياما فكتب اليه

الم ابو يوسف والمطر * فيا ليت شعري ما ينتظر
ولست بآيب وانت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السما * ء بين النجوم وبين القمر
وركضي فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ذلك من نتاج البروق * وفي ظل من نسج الشجر
فحسبي بمن نأى من دنا * ومن غاب كان فدا من حضر

فوصل القبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فاقام معها حيث قال عدي بن زيد فيها منعا

في قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومرلهم من السرور يوم ما مر لذي رعين ولا تصور قبل عيونهم لعين واخبرني انه سايره الى شنترين قاصية أرض الاسلام السامية الذرا والاعلام التي لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقي معورة للراقي متمكنة الرواسي والقواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقتطعت من الجو أكثر من حصتها هروا بانهر قطرسالت به جداوله واحتالت فيه خمائله فما يحول الطرف منه الا في حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مقانا قاضي حضرته وأنزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعندما طعموا اقعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياله منه لا تحول ولا تبرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقي ابن خيرون منتظرا له وقد أعد لحلوله منزله فسار الى مجلس قد نمت نغور زواره وحجات خدود ورده من زواره وأبدت صدور أباريقه أسرارها وصمت عليه المحاسن أزرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وأرجت له رياحينه وجه من رقب المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحشه لا انيسه فأقام رسوله وهو كمكانه لا يريمه قد لازمه كأنه غريمه فما انفصل حتى ظن أن عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل بطبيع راح وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد دجا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها منه رحمه الله تعالى وعفا عنه وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهب حتى نسترد ذاهبا * من انسنا ان استرد ذاهب

وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم وفي كورا ومصر مدنا [illegible] نسب من انكور [illegible] الى آبائه والعرب [illegible] سابور الجنود وفي زمنه ظهر ماني وقال بالاثنين [illegible] ثم رجع سابور الى المجوسية الى مذهب ماني والهرب [illegible] ورد الى الهند [illegible] ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية ولحق ماني بأرض الهند لاسباب أوجبت ذلك بعد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكتب ملك الروم الى سابور بن أردشير أما بعد فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا قط وحاربت للغنى لا للهوى واجتذبت قلوب الناس ثقة بلا كره وخوفا بلا مقت وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا تمكنت رجلا فأس رزقه ونكد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان نفاذ أمره على اهل العذر [illegible]

مركب اليه وتنقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما الا برعيان السهر ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر (ثم قال) بعد كلام وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية انه مرّ في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمام السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم بمنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ونجوم سمائه

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضرا لدينا

(وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ما صورته) وأخبرني الوزير أبو خالد بن بشتغير انه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويلتوي في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كانه أرقم قد جدّ في هربه

فاستبدعوه وتموّهوه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأعرب بما ظهر من بشره وأبداه ثم قال بعد كلام وخرج الى برجة ودلاية وهما منظران لم يجل في مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدى الارج والعرف ومناظر تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيهما أياما يتدرج في مسارحها ويتصرف في منازهها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأنافت عليها أي انافة (وقال في ترجمة ابن رزين ما ملخصه) أخبرني الوزير أبو عامر أنه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافههم وتوافيهم والراح تشعشع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا
فلو تسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقلت لها أنا
فان حالت الايام بيني وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

ولما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول فقال أحد الحاضرين اني لاعجب من قعود ابن عمار عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يعاني قوله وعمله ويرويه ولا يرتجله ويغوله في المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اخلال لادبه واخلال لمنازله في الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو

هصرت لي الآمال طيبة الجنى * وسوغتني الاحوال مقبلة الدنى
وألبستني النعمى أغض من الندى * وأجمل من وشي الربيع وأحسنا

وفي اطلاقه بالتدبير ما أضافه عواقب الامور ثم قفه من أمره على ماله فقدمته ليمنه أماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما رسمت فأوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان خاص عن امرك علقته بجنث واصفت بالعفو بعاتبه يدك والسلام * وعهد سابور الى ولده هرمز ومن بعده من الملوك بعده فقال اجعلوا ساداتكم أحلاءكم كملوك اخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعد سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تدبير الاموال في حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد كربا وكم

وكم ليلة أحظيتني بحضورها * مت سمير الاسماء والسنى
أعلل نفسي بالمكارم والعلا * وأدنى وكي بالع وبالعى
سأدرن بالتمويل دكرك كلما * تعاورت الاسماء عبرك والكنى
لاوسعتني قولا وطولا كلاهما * يطوق أعناقا ويخرس ألسنا
وشرفتني من قصعة الروض بالتي * تناثر بها الطبع ورداوسوسنا
روفيجد الملك عقد امرصعا * ورهو على عطفه بردا مرنما
فدم هكذا يافارس الدست والوغى * لتطعن طورا بالكلام وبالقنا

(وأخبرني الوزير ابن سعدون) أنه اصطبح يوما بحضرته والربادرش والربيع على وجه الارض ترس وقد صار العمام الزهار أدهب ... ها ... فاروى عنها ... ه

... الا ليسيطك النظم والنثر * فات مليك الارض واهل الامر
مريف ائدالك العمر فانهل صوبها * كما سكبت وطفاء أو سكب البحر
وجاءالربيع الطلق يبدي غضارة * تخيلت منه الشمس والروض والزهر

الى أن قال ثم وجه به الى روضة قد أرجت ... اهيا ويدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأوضحت حمامها وجرت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها كاعيون الفواتر وأقاموا يعملون أكوابهم ويشتملون ... فقال دوالرياستين

وروض كساه الطل وشيا مجددا * فاضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص في خضر من العصب ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكتت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا صافي المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء ينسيك الغريض ومعبدا
فلاتعدمون الدهر ماداممعدا * ومدالى ما ... حالك يدا
وخدها هدامامنزال كانه * اذاما ... ي بدوتحمل سرمدا

الى أن قال وأخبرني الوزير ابن سعدون انه كان معه في منية العيون في يوم مطر رالاديم ومجلس معزز النديم والانس يعازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب ... هل عليه من نوع الطعن والضرب ... طلب بمجلس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال دوالرياستين

نفس الدليل تعربالجريال * فيقال الاقران دون قتال
كم من جبان ذي افتخار باطل * بالراح تحسبه من الابطال

*(وقال في ترجمة ابن طاهر ماصورته) وجئته يوما وقد وقفت بباب الحنش ... لى من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لي كنت أخرج اليه في أكثر الليالي مع الوزير الاجل أبي بكر يعني ابن عبد العزيز الى روضته التي ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وعي المسك أن تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام

وقال الرؤ ... اصحابه وفي ايام ... هد ... الزندقة ... الزنادقة ... حين اتاهم ... وقدمنا ... من هذا الكتاب ... المعروف بالسماء الاولى من ... وهو الزند ... ماورد على حسب ما قدمنا وكان الزند التاويل ... المتقدم المنزل وكان ... اورد في شرح ... خلاف المنزل الذي هو المنزل وعدل الى التاويل الذي هو الزند فاضافوه الى التاويل وانه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تاويل هو خلاف التنزيل فلما جاءت العرب اخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة ... وقيل غير ذلك وأدمن في اول ملكه على العصف واللذات والصيد واللهو لا يفكر في ملكه ولا ينظر في

امور رعيته واضاع الضياع لخواصه ومن لا بدبه من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارة

والناس قد انتشروا فى جوانبه وقعدوا على مذانبه وفى سافيته الكبرى دولاب يئن كناقة ترحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته وورواحه ويتناول عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت عليه ليلة والمتنبى الجزيرى واقف وأمامه ظبى آنس تهيم به المكانس وفى أذنيه قرطان كأنهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبى يقول

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالع فى غبش

على القرط على ههه * من عليه آفة العين خشى

فلما رآنى أمسك وتبيح كأنه تنسك *(وقال فى ترجمة ابن عمار وما صورته) وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا من اتقانه الى غاية وأمد وأبدع بناؤه وعقت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار انشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله ابو بكر بن عمار على اثر بوسه وابتسم له دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها وبات فيه معملة من أتباعه ومتفيئى رباعه وكلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل باس فطابت له ليلة بمشيده وأطربه الانس ببسيطه ونشيده فقال

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم

منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم

بت فيه والليل والفجر عندى * عنبر أشهب ومسك أحم انتهى

وعبر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه ورصفوه وأجروه على ارادتهم وصرفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه وروضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع آبنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ انتهى *(وقال فى ترجمة ذى الوزارتين أبى عيسى بن لبون) أخبرنى الوزير ابو عامر بن الطويل انه كان بقصر مربيطر بالمجلس الشرقى منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها احداق نرجس ترنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء وراع أفئدة الندماء فقال

قم يانديم أدر على القرقفا * أوما ترى زهر الرياض مفوفا

وتخال محبوبا مدلا وردها * وتظن نرجسها محبا مدنفا

والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

الى أن قال وشرب مع الوزراء الكتاب ببطحاء لورقة فى عشية تجود بدمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع

لو كنت تشهد ياهذا عشيتنا * والمزن تسكب أحيانا وتحدر

سكنوا الصياع المعمورة فقلت
وزراء خواص الملك وكان
دبير الملك متوضئا الى
وزرائه خربت البلاد
وقلت العمارة وقل ما فى
بيوت الاموال ودفع
القوى من الجنود وهلك
الضعيف منهم فلما كان فى
بعض الايام ركب الملك
الى بعض منتزهاته وصيده
جنة الليل وهو يسير نحو
المدائن وكانت ليلة قمراء
قد دعا بالموبذان لامر حضر
بباله فلحق به وسايره
واقبل على محادثته
مستخبرا له عن سير أسلافه
فتوسطوا فى مسيرهم خرابات
كانت من أمهات الضياع
قد خربت فى مملكته ولا
انيس بها الا البوم واذا
بوم يصيح وآخر يجاوبه
من بعض تلك الخرابات
فقال الملك للموبذان أترى
أحدا من الناس أعطى
فهم منطق هذا الطير المصوت
فى هذا الليل الهادى فقال
له الموبذان انا أيها الملك
ممن قد خصه الله بفهم ذلك
واستفهمه الملك عما قال
وعلمه ان قوله صحيح فقال
له ما يقول هذا الطائر وما
الذى يقول الآخر قال
الموبذان هذا بوم ذكر
يخاطب بومة ويقول لها
أمتعينى من نفسك حتى يخرج
منا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذى

العمارة الا ما قطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بعمايلة

والارض

والارض مصفرة بالشمس كاسية * أبصرت تبر اعليه الدر ينتثر

*(وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي بكر بن رحيم ماصورنه) ووصل هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جمال الحلافة صاحب صقلية الى احدى جنات مرسية فخلوا منها في قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد فأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون في المؤانسة طريقهم اذا بالجناني قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع ومامنها نظرة الا ومعها سهم واقع فاستدعى فحما وكتب في احدى زوايا القبة

فادناودنا اليك فجئنا * بنفوس تفديك من كل بوس

فنزلنا منازلا لبدور * وحللنا مطالعا لشموس

*(وقال في ترجمة الوزير الكاتب أبي محمد بن عبدون ماصورته) حللت بابرة فازلني واليها بقصرها ومكنني من جنى الامانى وهصرها فأوت ليلى أجر على المجرة ذيلى وتطارد في ميدان السرور خيلى فلما كان من الغد باكرني الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبي عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه في كوني لديه ثم انصرف وقد أخذني من يديه فحللت عنده في رحب وهمت على من البراعة ارسحب في مجلس كأن الدراري فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافي وكثر التفاتي الى مابي واستشرافي ركب معي الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فالحنا اليها أبدى عيسنا وتناسينا ما شئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمى وسددت الى غرض الرحلة سهمى أنشدني

سلام يناجي منه زهر الربا عرف * فلا سمع الا ودلو أنه أنف

حنيني الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعي التي أقفو

ثم سرد القصيدة الى أن قال وله رحمه الله تعالى

ستاها الحيا من مغان فساح * فكم لي بها من معان فصاح

وحلى أكاليل تلك الربا * ووشى معاطيف تلك البطاح

فلم أنس لم أنس عهدي بها * وجرى فيها ذيول المراح

ونومي على حبرات الرياض * يجاذب بردي مر الرياح

ولم اعط امر النهى طاعة * ولم أصغ سمعي الى قول لاح

وليل كرجعة طرف المريب * لم ادر له شفقا من صباح

(وقال) في ترجمة الوزير أبي محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده بيتيه البديعين اللذين هما

لاتلمني بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الشان أن تشق القلوب

ماصورته وخرجت باشبيلية مشيعا لاحد زعماء المرابطين فالفيته مع مسايراله في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تعالى تاييده الذي ينزله عند حلوله باشبيلية وهو موضع مستبدع كأن الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كاوشت البرد يد الراقم وزهر يحسد الملك رياه ويتمنى الصبح أن

دعوتني اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل والآجل الا اني أشرط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى مادعوتني اليه من لما الذكر وما تلك الخصال قالت أولها ان أنا بعت نفسي وصرت الى ماتدعوني اليه تضمن لي أن تعيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذي قالت لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك مما خرب من الضياع ألف قرية ما تصنعين بها قالت في اجتماعها ظهور النسل وكثرة الولد فيقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه مني وقدمت لك الوعد وأنا ملي بذلك فهات ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وخلا للناس وخلا بالموبذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفله من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ما هذا الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا وبعثتني على علم ما كنت عنه غائبا قال الموبذان وصادفت من الملك السعيد

ثم قال له الملك أيها الناصح اكشف لي عن هذا الغرض الذي اليه رميت والمعنى الذي له قصدت بترديده والى من قول واو ... أيها الملك ان عيب ... الملك لا عزه الا بالشريعة والقيام لله به عنه والتصرف تحت أمره ونهيه ولا دوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك وقلت أيها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال وقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم فعمدوا الى ما تحصل من غلاتها وتعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فجلوا عن ضياعهم ورحلوا عن ديارهم وأووا الى ما تعذر من الضياع وكانت

بمدة شبابه وقد صف سلام وسيم من بهائه نوره ومد يده الى وهي في كمه فعزم على أن أدنو بثاني وضعه سلب

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفي كمه من راحتي البدر كوكب

قال أبو محمد

يروح لتعذيب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب

ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

(وقال في ترجمة الوزير أبي القاسم بن السعد بعد كلام كثير ما صورته) وحملنا الوزير القاضي أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من أعيان تلك الممالك فحللنا بضيعة لم يحث المحل أثلها ولم ترمق العيون مثلها وحللنا بها في أكناف جنات ألفاف قد ماشت من دوحة أفناء وغصن نضير كعطفي هيفاء ونهر ينساب في جداوله ونهر يضمخ بالمسك راحة متناوله ولما قضينا من تلك الحدائق أربا واقتضينا منها آرابا ملنا الى موضع المقيل ونزلنا بإزاء بركة جديدة مع سالك وسبيل وقد وصل الى من أحد الأصحاب تقصير في المبرة عرض لي منه تكدير لتلك المسرة فأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطجاع والنوم والسحب قد نشأت الأنواء والسماء قد نسخ صحوها وغيم جوها والغمام منهمل والثرى من سقياه ممتل وسقى بقية وأهل بنزول تمه ويوقيه وأنشدني

يوم تجهم فيه الأفق وانتثرت * مدامع الغيث في خد الثرى هملا

رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك في الاخلاق ممتثلا

(وقال في ترجمة الوزير القاضي أبي الحسن بن أضحى ما نصه) وكان لصاحب البلد الذي كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الأفعال والأقوال عليه مقصورة مع ما نشأت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا بقرية على ضفة نهر أحسن من سلك نهر شبهها احداق كالعلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد ويقصر عن بعضه العد وفي أثناء مقامنا الى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتمدته وملام أحددته فلما كان من الغد تأبيت منه اجتنابه ولم أره منه ما عهدته من الانابة وكتبت اليه مداعبا فراجعني بهذه القطعة

أتتني أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف في الخطرات

فأعربت عن وجد كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات

غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن أو عرفات

رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذي فتكات

وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات

تقرب بالنساك في كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

وكانت لهجيان مثوى فأصبحت * صلوعك مثواه لكل ولاة
يعز علينا أن نهيم فتنطوي * كبيرا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس في الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

*(وقال في ترجمة اديب الاندلس وشاعرها أبي اسحق بن خفاجة بعد كلام ماصورته)وقال عند معاهد الشباب و تفجع لوفاة الاخوان والاحباب فقبل أعاد الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا

ألا عرس الاخوان في ساحة البلى * وما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتني في الديار عشية * تلذذت فيها جيئة وذهابا
أكر بطرفي في معاهد فتية * تكلهم بيض الوجوه شبابا
بصال وشوقي يوجد وفرقة * أناديهم وهم لا يحيرون جوابا
وأحوي سبل الصبر طورا وعبرة * أخط بها في صفحتي كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما وترابا
وحسبي شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلى بهذه الديار المندوبة وهي كعهدها في جودة مبناها وعودة سناها في لبنها كحعلها طالما اهتدى وشخوصها بها وسنا كحدا ولم يزل ذلك الانس يبسطه والسمر وينشطه حتى نشر لي ماطواه و بث مكتوم لوعته وجواه وأعلمني بلياليه بهامع اترابه ومامضى بها من أطرابه انتهى ما وقع عليه اختياري من كلام أبي نصر الفتح بن عبيدالله رحمه الله تعالى في وصف بعض منتزهات الاندلس البديعة ورياضها المونقة المريعة وما أحسن رسالة له مختصرة كتبها مهنئا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذي أيده به ونصره وقد جوّد أوصافه واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عمرا الزهراء والرصافة ونصها أدام الله تعالى أيام الامير للارض يملكها و يستدير سعده فلكها وقد استبشر الملك أيدك الله وحق له الاستبشار فقد أومأ اليه السعد وأشار بما خوله من توليتك وحقق عليه من ألويتك فلله عى منك بملك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل ويتكرم اذا شح الوابل ويحمي الحمى كربيعة بن مكدم ويسقي الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس فقد استردت عهد خلفائها واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها فما أن لم تمت أعاصرها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكحا عقائل الروم وما بذلا غير المشرفية مهرا والله سبحانه أسأله اظهار ايامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أجل من عصرهم ونصرك أغرب من نصرهم بمنه وكرمه ويمنه *(وقال رحمه الله تعالى في ترجمة الفقيه القاضي الحافظ أبي محمد عبدالحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ماصورته)ومر رنا في احدى نزهتنا بمكان منفر وعن المحاسن مسفر وفيه بكير بر جس كأنه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا للهام ولا أنس الا ما يتعرض للاوهام فقال

والرعية وطمع في ملك فرس من أصاف بهامن الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم عمارة الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام في موضعه ذلك ثلاثا وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضر الجرائد فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه في كل وقت من الزمان و ينظر في أمر خواصه وعوامه فحسنت أيامه وانتظم ملكه حتى كانت تدعى أيامه أعياد الما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام ابن الملك ابن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسي بن بهرام)على ماذكر نا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز)بن نرسي بن بهرام على ماذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى

نرجس باكرت فيه روضة * لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمرحيا * رقص النبت لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت إبداع الشمس في مشرفه * لهبا يخمد منه في لهب
وبياض الطل في صفرته * نقط الفضة في خط الذهب

انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومنتزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن في كلام غير واحد ممن يجري ذكره في هذا الكتاب وخصوصا أديب زمانه غير مدافع من اعترف له أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالابداع المغرب النور أبو الحسن علي ابن سعيد العنسي فانه لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية الرائقة ووصفها بالقصائد والمقطوعات الفائقة وقد أسلفنا أيضا فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع في محله من هذا الكتاب قلت وماذا عسى أن نذكر من محاسن قرطبة الزاهرة والزهرا ونصف من محاسن الاندلس التي تبسم بكل موضع منها ظلا ضافيا ونهرا وزهرا ورحم الله تعالى اديبها المشهور الذي اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور أبا اسحق بن خفاجة اذ قال

يا أهل أندلس لله دركم * ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم * ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

ويروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت أختار ما مثاله وهذه كنت لو خيرت اختار ومكان لا تختشوا الا تحسبوا وكذا رأيت بخط الحافظ الشمني و الاول رأيته بخط العلامة الوانشريسي رحمهما الله تعالى * وحكي ان الخليل لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب أبي عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني انشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وأنه لو خير لاختارها على ما في الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا أقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك الاطلاق فقال الخليل يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد والنبي صلى الله عليه وسلم الرؤف الودود الرحيم العطوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف فاستحسن منه هذا الكلام ورفع عن قائل الابيات الملام وأجزل صلته ورفع منزلته ولعمري ان هذا الجواب لجدير بالصواب وهكذا ينبغي ان تكون رسل الملوك في الافتنان روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان وأبو اسحق بن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين وقد سبق بعض كلامه ويأتي أيضا منه بعض في أثناء الكتاب ومن ذلك قوله

وكمامة حدر الصباح قناعها * عن صفحة تندى من الازهار
في أبطح رضعت ثغور اقاحه * أخلاف كل غمامة مدرار

عسكر كسرى أن كل من ذكرنا من ملوك ساسان الى هذا الملك وهو هرمز بن نرسي كانوا ينزلون جند يسابور من بلاد خوزستان وقد كان يعقوب ابن الليث الصفار سكن جند يسابور تشبها بمن مضى من ملوك ساسان الى أن مات بها وسنذكر فيما نورده من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه إياها ووفاته فيها (ثم ملك بعد هرمز بن نرسي ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وخلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بأمر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاغر الايادي فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد أساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو

سلام في الصحيفة من لقيط * على من في الجزيرة من اياد
بان الليث يأتيكم دلافا * فلا يحبسكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا *

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم النوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت * حلى الحباب سوالف الانهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك * جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربا * والطل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
وأراكة سجع الهديل بفرعها * والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة الانوار

ودونه

سقيا ليوم قد أنخت بسرحة * ريا تلاعبها الرياح فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني * طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فيرفع للشبيبة راية * فيه ويطلع للبهارة كوكب
والروض وجه أزهر والظل فر * ع أسود والماء ثغر أشنب
في حيث أطربنا الحمام عشية * فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا * وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به * طوق على برد الغمامة مذهب
في فتية سرى فينصدع الدجى * عنها وتنزل بالحديث فيخصب
كرموا فلا غيث السماحة مخلف * يوما ولا برق الطلاقة خلب
من كل أزهر للنعيم بوجهه * ماء يرقرقه الشباب فيسكب

وقال يمدح الامير أبا يحيى بن ابراهيم

سمح الخيال على النوى بمزار * والصبح يمسح عن جبين نهار
فرجعت من ناري لضيف طارق * يعشو واليها من خيال طاري
ركب الدجى أحسن به من مركب * وطوى السرى أحسن به من ساري
وأباح حيث دموع عيني منهل * يروى وحيث حشاي موقد نار
وسقى فأروى غلة من ناهل * أورى بجانحتيه زند أوار
يلوي الضلوع من الولوع بخطرة * من شيم برق أو شميم عرار
والليل قد مسح الندى سرباله * فأهل دمع الطل فوق صدار
مترقب وسل الرياح عشية * بمساقط الانواء والانوار
ومجرذيل غمامة لبست به * وشي الحباب معاطف الانهار
خفقت ظلال الايك فيه ذوائبا * وارتج ردفا مائل التيار
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعا * قد قبلته مباسم النوار
باكرته والغيم قطعة عنبر * مشبوبة والبرق لفحة نار
والريح تلطم فيه أرداف الربا * لعبا وتلثم أوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها * خطباء مفصحة من الاطيار

على السواد فلما تجهز القوم نحوهم أعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم وهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يا دار عبلة من مذكارها الجرعا * هيجت لي الهم والاحزان والوجعا

ألا أبلغ ايادا وخلل في سراتهم * انى أرى الرأي ان لم أعص قد نصعا
الاحشاء ون فوسالا أبا لكم * مشوا اليكم كامثال الدبى سرعا
لو ان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

أو نفع بهم جمعهم القتل حتى أولت منهم الانفر لحقوا بأرض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب فسمى بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق من عمر ليثوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل

ان خبا يرى الصلاح فسادا * أو يرى الغي في الامور رشادا
لقريب من الهلاك كما أهـ * ـلك سابور بالسواد ايادا

وقد كان سابور في مسيره

ن البلاد أتى على بلاد اخر بن وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وفرت بنو تميم وشيختها يومئذ

فى فتية جنبوا العجاجة ليلة * ولربما سفروا عن الاقمار
ثار القتام بهم دخانا وارتمى * زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هياتهم وهباتهم * اشراف أطواد وفيض بحار
من كل منتقب بو ردة حجلة * كرما ومشتمل بثوب وقار
فى عمة خلعت عليه للمة * وذؤابة قرنت بها لعذار
ضافى رداء المجد طماح العلا * طامى عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالى والقنا * حامى الحقيقة والحمى والجار
طرد القميص بكل قيد طريدة * زجل الجناح مورد الاظفار
ملء الاهاب بحسن * مكحولة أجفانه بنضار
ركبته الاصل القصى فينثنى * مخضوب دره الظفر والمنقار
وبكل نائى الشوط أشدق احرر * طاوى الحشى حالى المقلد ضارى
يفترس مثل الصال وانما * يمشى على مثل القنا الخطار
مستقربا أثر القميص على الصفا * والليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه * ترميك جمرته بشعلة نار
ومورس السربال يخلع بده * عن نجم رجم فى سماء غبار
يسمو فى سطر الطريق وقد عفا * قدما فيقرأ أحرف الآثار
عطف الضمور سراته فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
ولرب رواع هنالك أنبط * حلو المسامع أطلس الاطمار
يجرى على حذر فيجمع بسطه * يهوى فيعطف انعطاف سوار
متقدح الشأو يعسل رائعا * فيكاد يفلت أيدى الاقدار
متردد يرمى به جوف الردى * كرة تهاداها أكف قمار
ولرب طيار خفيف قد جرى * فشلا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرعت على ظما بكاس عقار
ولو استعارت منهما تحمى أذى * يحيى لامنها أعز جوار
مستخدم القضاء مراده فكأنما * ملكت يداه أعنة الاقدار
وعنى الزمان لامره فكأنما * اصغى الزمان به الى أمار
وجلا الامارة فى وفيض نضارة * جلت الدجى فى حلة الانوار
فى حيث وشح لبه بقلادة * منها وحلى معصما بسوار
جذلان يملأ منحه وبشاشه * أيدى العفاة وأعين الزوار
أرج الندى بذكره فكأنه * متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه * واستل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله * ماشاء من نار ومن اعصار

عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ
ثلثمائة سنة وكان يعلق
فى عمود البيت فى قفة قد
اتخذت له فاراد اهله
فابى عليهم الا أن يتركوه
فى ديارهم وقال أنا هالك
اليوم أو غد وما بقى لى
من قبيلة العمر واعل الله
ينجيكم من صولة هذا الملك
المسلط على العرب فدلوا
عنه وتركوه على ما كان
عليه وصبحت خيل سابور
الديار فضروا الى أهلها
والديار فخلوا ونظروا الى
زنبيل معلقة فى شجرة وسمع
عمرو صهيل الخيل ووقعها
وهمهمة الرجال فاقبل
يصيح بصوت ضعيف
فاخذوه وجاؤا به الى سابور
فلما وضع بين يديه نظر الى
دلائل الهرم ومرور الايام
عليه ظاهرة فقال له
سابور من أنت أيها الشيخ
الفانى قال أنا عمرو بن تميم
ابن مر وقد بلغت من العمر
ما ترى وقد هرب الناس
منك لاسرافك فى القتل
وشدة عقوبتك اياهم
وآثرت الفناء على يديك
ليبقى من مضى من قومى
ولعل الله ملك السموات
والارض يجرى على يديك
فرجهم ويصرفك عما أنت
بسبيله من قتلهم وأنا
سائلك عن أمر ان أنت اذنت لى فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو ما الذى يحملك على

والشمس

والشمس تخر والحيد عرا س * والجو كاس والسوف عوارى
والخيل تعثر في شا شوك القنا * وصداو سبح في الدم المـوار
والبيض تحي في الطلى وكمما * تلوى عرامنها على أزرار
والنقع يكسر من سنى شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار
صحب الحمام النصر تحت لبطه * في كف صنو به سوار
لو أنه أوفى الـ ... طار * ومالنار ولم يمد ... ثار
وقضى وقد ماكه عمرعره * تحت العجاج بحال اسـ مشار

وقال رحمه الله تعالى

وراكة ضربت بها ... * تبدى وأوله لنا الكوس بدار
... بدوحها جر جدول * ... مها الازهار
وكانها وكأن جدول مائها * ... بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة * تجلى ... والغصون نثار
في روضة ... الدجى ظل بها * وتحت ... الانوار
... يشر ... البرارلى * ... الاعطار
قام ... وقد ... الندى * وجه الثرى و... النوار
والماء في حلى الحباب معلد * زرت عليه جيوبه الاشجار

وقال ملغزا ما لا يلزم

... اليك ... * ... اليك ... السراء
جلت وحسبك ... * ... العروس وجهله العذراء
من كل وارسه القميص كانما * ... الصفراء
... وحدتها * بالاكة الحمراء من حمراء
وأتتك تسفر عن وجوه ... * ... من ... الشعراء
... ها وجه الندى ولربما * ... أوجه السراء
فاستضحكت وجه الدجى معصوبة * جلت ... العذراء

وقال أيضا

وصدر باد ... * ... في ... دا
في ... قد ... * بصله ... ردا
... كونه الذهب جرا * و... الليل ندا
وقد ... أرح نور * ... خالط وردا
كمانمس ثغر * ... يقبل خدا

وقال من قصيدة يصف منترها

يارب وضاح الجبين كانما * رقم العذار بصحنه كتاب
تغرى بطلعته العيون مهابة * وتبيت تعشق عقله الالباب

قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور أقتلهم لما ارتكبوا من أحد بلادي وأهل مملكتي فقال عمرو
فعلوا ذلك ولست تأمنهم
بعد ... والى ما
كانوا عليه من ... ية
قال سابور أقتلهم لانا ملوك
الفرس نجد في ... ون
... وما سلف من أخبار
أوائلنا أن العرب ... دار
... نكون لهم الغلبة
على ما ... هذا
أمر ... أو تظنه قال بل
أتحققه لابد يكون ذلك
قال له عمرو وقال كنت تعلم
ذلك ... الى العرب والله
... على العرب ... جميعا
... لتكون
... الدولة لهم على
قومك ... سائلك وأن ...
... المدة كانوا لك
... الملك البهم
... وعلى قومك
ان كان الامر كما تقول فهو
... الرأى و... في
... وان كان باطلا فلم
... الاثم وتسفك
دماء رعيتك فقال سابور
الامر صحيح وهو كائن لكم
والرأى ما قلت ولقد صدقت
في القول ... في
الخطاب فنادى منادى
سابور بأمان الناس ورفع
السيف والكف عن قتلهم
ويقال ان عمرا بقى في هذا
العالم بعد هذا الوقت
ثمانين سنة و... أقل

٤١ ط ... ل من ذلك والله أعلم ... سابور ... بلاد الشام وافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه

خلعت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السماء نقاب
نكرعت من ماء الصبا في منهل * قد شف عنه من القميص سراب
في حيث للريح الرخاء تنفس * أرج وللماء الفرات عباب
ولرب غض الجسم مذ بحوضه * سبحا كماشق السماء شهاب
ولقد أنخت بشاطئيه يهزني * طرب الشباب راقني وشراب
وبكيت دجلته يضاحكني بها * مرحا حبيب شاقني وحباب
تحلى من الدنيا عروس بيننا * حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللنهار ذؤابة * شدباء تخصب والنهار خضاب
ملوي معاطف الصبابة والصبا * والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مر بنا وهو بدر تم * يسحب من ذيله سحابا
بقامة تنثني قضيبا * وغرة تلتظي شهابا
يقرأ والليل مدلهم * لنور اجلائه كتابا
ورب ليل سهرت فيه * أزجر من جنحه نكابا
حتى اذا الليل مال سكرا * وشق سر بالهو جابا
وحام من سدفه غراب * طالت به سنه فشابا
ازددت من لوعتي خبالا * فخشت من غلتي شرابا
وماخطا فادما فوافى * حتى انثنى نا كصا فآبا
وبين جفني بحر شوق * يعب في وجنتي عبابا
قد شب في وجهه شعاع * وشب عن فاي النهابا
وروضة طلقة حياء * غناء مخضرة جنابا
تجاب عن نورها كمام * تحط عن وجهه نقابا
بات بها مدسم الاقاحي * يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها * ألوية حمرت خضابا
كأنها أغل وراد * تحصر قطر الحيا حسابا

وله

رحلت عنكم ولي فؤاد * تنفض اضلاعه حنينا
أجود فيكم بعلق دمع * كنت به قبلكم ضنينا
يثور في وجنتي جيشا * وكان في جفنه كمينا
كأني بعدكم شمال * قد فارقت منكم يمينا

وقال

فيا لشجا قلب من الصبر فارغ * ويا القذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة * وقلب الى أفق الجزيرة حنان

بالدخول الى أرض الروم متنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل في جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور بصورة له فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأناه من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فأخبره فأمر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني فدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فادرج له في جلد بقرة وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيدهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبحتها فاغفل الموكلون أمر سابور وواحد الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس فخاطبهم ان يحل بعضهم بعضا

تعوضت

تعوّضت من واها لها آه ومن هوى * يهون ومن اخوان صدق بخوان
وما كل بيضاء بروق بشحمة * وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فيا ليت شعري هل لدهري عطفة * فتجمع أوطاري على وأوطاني
ميادين أوطاري ولذة لذتي * ومنشأ أهوائي وملعب غزلاني
كأن لم يصلني بيعهطي يقوم لي * لماه وصدغاه براحي وريحاني
فسقيا لواديها وان كنت ابما * أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بأفقه * نجوم كؤوس بين أقمار ندمان
وللقصب والاطيار ملهى بجرعة * هاشت من رقص على رجع ألحان
وبالحضرة الغراء غير علقته * فأحسن حيا فيه وصيان نعمان
رقيق الحواشي في محاسن وجهه * ومنطقه مسلى قلوب وآذان
اعار لحديه على الورد كلما * بدا ولعطفيه على أغصن البان
وهبني أجني ورد خد بناظري * فمن أين لي منه بتفاح لمنان
يعللني منه بوعد رشفة * خيال له يغرى بمطل وليان
حبيب عليه لجة من صوارم * علاها حباب من أسنة مران
تراءى لنا في مثل صورة يوسف * تراءى لنا في مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة * قرأنا لها من وجهه سطر عنوان
محبته ديني ومثواه كعبتي * ورؤيته حجي وذكراه قرآني

وقال

وليل تعاطينا المدام وبيننا * حديث كما هب النسيم على الورد
نعاوده والكاس يعبق نشره * وأطيب منها ما نعيد وما نبدي
وتغلى أقاح الثغر أو سوسن الطلى * ونرجسة الاجفان أو وردة الخد
الى أن سرت في جسمه الكاس والكرى * ومالا بعطفيه فمال على عضدي
فأقبلت أستهدى لما بين اضلعي * من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وشي برده * فعاينت منه السيف سل من الغمد
ايا نرجس واستقامة قامة * وهز أعطاف ورونق افرند
أغازل منه الغصن في معرس النقا * وألثم وجه الشمس في مطلع السعد
فان لم يكنها أو كأنه فانه * أخوها كما شد الشراك من الجلد
تسامر كلثار أحنى نجمه * فطورا الى حصر وطورا الى نهد
ويهبط من كشعبه كي تهامة * وتصعد من نهديه أخرى الى نجد

وقال أيضا

ورداء ليل بات فيه معانقي * طيف ألم بظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه * وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة * شفقا هناك لوجنة حمراء

المدينة وهم يحاربون على سورها فخاطبهم فعرفوه ورفعوه بالحبال ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم بمن معه نحو مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب النواقيس فاتوه بقيصر اسيرا فاستحياه وابقى عليه وضم اليه من افلت من القتل من رجاله وغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل وبها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وغير ما اخرب في امصار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر في بعض الاخبار ان سابور زين قيصر وقطع اعصاب عقبيه اورده وان الروم ترددوا بها ولا لبس الخفاف المعقبة وفي ذلك يقول الحرث بن جندة المعروف بالمرزبان شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا
وهم ربوا هرقلا بالسواد

وهم قتلوا اباقا بوس غصبا * وهم احدوا البسيطة من اياد وفي فعل سابور هذا برة بنفسه في دخوله الى ارض

دائيل مشط الذوائب كبرة * خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والصبح يسحب فرعه * ويجر من طرب فضول رداء
تندى بفيه اقحوانة أجرع * قد غازلتها الشمس غب سماء
وغيس في اثوابه ريحانة * كرعت على ظما بجدول ماء
تفاحة الانفاس الا انها * حذر الندى خفاقة الافياء
فلويت معطفها اعتناقا حسبما * يعطف القطر الدمع من انواء

انتهى * (وكان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى) * كثيرا ما ينتاب وادى الطلح مع زملته وأولى أنسه وسمره وهو واد بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائل بوادى الطلح ريح الصبا * هل سحرت لى من زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * لن نأمن الرسل ولن نكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فيا عجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا غيرهم مذهبا
يا قاتل الله الذى لم يثب * من غدرهم من بعد ما جربا
والبم لا يعرف ما طعمه * الا الذى وافى لأن يشربا
دعنى من ذكر الوشاة الالى * لم ازل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادى الطلح عهد الغنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخاننى من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكاس وحيابها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذى شئته * يا بدر تم مهدنا كوكبا
لكننى آليت أسقى بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فمج لى فى الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا
وقالها اشمى نقلا ولا * تشم الا عرفى الاطيبا
واقطف بخدى الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أسعفته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهى وذا امرة * حتى تبدى فسلبت الحبا
ولم أصن عرضى فى حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
حتى اذا ما قال لى حاسد * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحرا له * يسر المرغب والمطلبا
وقال عرفه بأنى امرؤ * ساحتال فما أجتنب المكتبا
فزادنى شوقى له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا

ان كان بالروم جاسوسا يجول به
حوم المنية من ذى كبد مكار
فاستأسروه وكانت كبوة عجبا
وزلة بعث من عبر عثار
واصبح الملك الرومى معترضا
أرض العراق على هول واخطار
راحن الفرس بالابواب وافترقوا
كم تحارب أسد الغاب فى الغار
خذ بالسيف ام الروم فاعتقلوا
لله درك من طلاب أوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا
من النخيل وما حفوا بغشار
وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرهما من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرهما من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فى ذلك الوقت صار الديباج التسترى وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين ومكث الى هذه الغاية وقد كان من قبلهم من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بغربى المدائن من ارض العراق فسكن

أمد طرفي ثم أثنيه من * خوف أخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحزن أن يكذبا
أبي ومن صيره بعدما * أياس حظ كاد أن يغضبا
قبلت في الترب ولم أستطع * من حصر الإقبال سوى مرحبا
هنأت ربعي إذ غدا هالة * وقلت يا من لم يسع أشعبا
بالله مما يعتنقا لانحنا * وقل كالغصن ثنته الصبا
فقال لا أرغب قالت إذن * أدرك إذ كانت لي المرغبا
فقلت لا أرغب عن ذكر ما * ترغبه قد كان لي مركبا
وكان ما كان ولله ما * ذكرته دهري أو أغلبا

وستأتي هذه القصيدة بكمالها في جملة من نظم ابن سعيد المذكور وقال يتشوق إلى إشبيلية وهي حمص الأندلس

أن الخليج وغنت الورقاء * هل رجعها إذ هاجت البرحاء
أماسكا أولى بخلقة عاشق * أنى وسعت بي الصعداء
أخشى الوشاة بما أسر بلفظه * والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوق أرض حمص ما جرى * دمعي ولا شمتت بي الأعداء
لم أستطع كتمانه لكنني * ما كان لي كتم ولا إخفاء
والبدر مهما رام كتمان سرى * فيه ينم على سراه ضياء
لدمعتي يخطر له ذكرها * قلبي وخان تصبر وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق نوره * عندي ولا تتبدل الظلماء
كلي به من ذي وفاء لم يخس * عهدي ويسمو بالوداد وفاء
ستراه إذ ما مر ذكرى سائلا * عن حالتي إن قلت الأنباء
يمسي ويصبح في تذكر مدة * يرضى بها الإصباح والإمساء
مع كل مبذول الوصال ممنع * من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبي كالشمس المنيرة كالقنا * كالغصن يثني معطفيه رخاء
يسعى براح كالشهاب براحة * كالبدر والوجه المنير كاء
ما لان تحت الوصل حتى سال منه الهجر وانتهلت به الأهواء
خبر المحبة ما أتت عن قبلي * تدري ببؤس الفاقة النعماء
ما زلت أرقي بالقريض جنونه * حتى استكان وكان منه إباء
فظفرت منه بمدة لو أنها * دامت لدامت لي بها السراء
صفو تكدر بالتحرك ليته * ما زال لكن لا يرد قضاء
إن الفراق هو المنية إنما * أهل النوى ماتوا وهم أحياء
لولا تذكر لذة طابت لنا * بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطرا * وتبددت في الدوحة الأنداء

سابور في الجانب الشرقي من المدائن وبنى هناك الإيوان المعروف بإيوان كسرى إلى هذه الغاية وقد كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الإيوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الإيوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه إلى السماء فأمر الرشيد بعض الأستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره إن الملك نسبة والملوك إخوة وإن الغيرة بعثتني عليه وعلى أدبه لسياسة الملك وما يلحق الملوك بالملوك (وذكر) عن الرشيد بعد السخط على البرامكة أنه بعث إلى يحيى بن خالد بن برمك وهو في أغلاله يشاوره في هدم الإيوان فبعث إليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره في نفسه المجوسية والحنو عليها والمنع من إزالة آثارها فشرع في هدمه ثم نظر فإذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة فأمسك عن ذلك وكتب إلى يحيى يعلمه ذلك فأجابه بأن ينفق في هدمه ما بلغ من الأموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره فبعث إليه يسأله عن ذلك فقال نعم أما ما أشرت به في الأول فإني أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد في الأعصار ويطرأ من الأمم

ما كابدت نفسى ألسيم تفكر * ألوى به عن جفنى الاغفاء
يا نهر حمص لا عدتك مسرة * ماء يسيل لديك أم صهباء
كل النفوس نهش فيك كأنما * جمعت عليك شتاتها الاهواء
ودى اليك مع الزمان مجدد * ما ان يحول تذكر وثناء
ولو اننى لم أحى ذكر الذى * أوليته ما كان فى حياء
ما كنت أطمع فى الحياة لو اننى * أيقنت أن لا يستردلقاء
غيرى اذا مابان حار واعما * أنفى حياتى حين بان رجاء

وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا النمط وغيره مزيد أثناء الكتاب بحسب ما اقتضته المناسبة والله تعالى المرجو فى حسن المآب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب

(الباب الخامس)

فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام ومدح جماعة من أولئك الاعلام ذوى العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وأرباب بيانها ذوى السودد والاحتشام ومخاطباتهم للفقير المؤلف حين حلها سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة وشاهد برق فضلها المبين وشام

*(اعلم جعلنى الله تعالى واياك) ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب الشديد المحال ولو اطلقنا عنان الاقلام فى من عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الاعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤد للاخلال فنقول مستمدين من واهب العقول (منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمى) وقد عرف به القاضى عياض فى المدارك وغير واحد ورأيت فى بعض التواريخ أن تواليفه بلغت ألفا ومن أشهرها كتاب الواضحة فى مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب فى كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ومن نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا * واذكره لا زلت فى التاريخ مذكورا
قال النبى صلاة الله تشمله * قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع فى انفاق موسمه * ان لا يزال بذاك العام ميسورا

وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدى به والله تعالى أعلم
*وقال الفتح فى المطمح الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى اى شرف لاهل الاندلس واى مفخر واى بحر بالعلوم يزخر خلدت منه الاندلس فقيها عالما عاد بمجاهل اهلها معالما واقام فيها للعلوم اسواقا نافقة ونشر منها الوية خافقة وجلا عن الالباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل وتصرف فى فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار أعلم من بها وأفقه ولقى أنجاب مالك وسلك فى مناظرتهم أوعر

فى الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان أمة قهرت أمة هذا بنيانها فازالت رسومها واحتوت على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة وأما وأن الثانى فاخبرت انه قد شرع فى هدمه ثم عجز عنه فان بنى الجد من أهل الاسلام الاليق من وصفت ممن يرى فى الاعصار ان هذه الامة عجزت عن هدم ما بنتها دون علم مع ارشد ذلك من كلامه قال قاتله الله تعالى ما سمعته قال شيأ تظ الا دون فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذى بنى نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده أخوه اردشير بن هرمز) وكان ملكه الى ان خلع أربع سنين سنة (ثم ملك بعده سابور ابن سابور خمس سنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد
على رغم سابور بن سابور أصبحت
قباب اياد حولها الخيل والنعم
ويقال ان هذا الشعر قاله لمرد لكوا بارض الروم حين وقع بهم سابور ذو الاكتاف على ماذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضفوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات فى ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد فى ذلك ماوصفنا وهم

المسالك حتى أجمع عليه الاتفاق ووقع على تفضيله الاصفاق ويقربه الى مالك
آخر عمره وروى عنه عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم كان
يركب الى بيت المقدس فيتغدى به ثم يعود فيتعشى باصطخر وله في الفقه كتاب الواضحة
ومن أحاديثه غرائب قد تحلت بها للزمان نحور وترائب (وقال محمد بن لبابه) فقيه
الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويتها يحيى بن يحيى وكان عبد الملك
قد جمع الى علم الفقه والحديث علم اللغة والاعراب وتصرف في فنون الآداب وكان له
شعر يتكلم به متخيرا سرى سبوية بذلك شعرا وتوفي بالاندلس في رمضان سنة ٢٣٨
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعدما طال في الارض وقطع طولها والعرض وجالت أفكارها
وانتهى الى أطرافها ومن شعره قوله

قد طاح أمري والذي أبتغي * هين على الرحمن في قدرته
ألف من الحمر وأقلل بها * لعالم أربى على بغيته
زرياب قد أعطيها جملة * وحرفتي أشرف من حرفته

وكتب الى الرماني رسالة وصلها بهذه الابيات

كيف يطيق الشعر من أصبحت * حالته اليوم كحال الغرق
والشعر لا يسلس إلا على * فراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر * يرضى من الحظ بأدنى العلق
وصلك قد بان عليه كما * بان لأهل الارض ضوء الشفق
أما ذمام الود مني لكم * فهو من المختوم فيما سبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ويفرق مستقيمه من مختله وكان غرضه
الاجازة وأكثر رواياته غير مستجازة قال ابن وضاح قال لي ابراهيم بن المنذر أتى صاحبكم
الاندلسي يعني عبد الملك هذا بغرارة مملوءة فقال لي هذا علمك تجيزه لي فقلت له نعم ما قرأ علي منه حرفا
ولا قرأته عليه وحكي أنه قال في دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر فازدراه من رآه

لا تنظرن الى جسمي وقلته * وانظر لصدري وما يحوي من السنن
فرب ذي منظر من غير معرفة * ورب من تزدريه العين ذو فطن
ورب لؤلؤة في عين مزبلة * لم يلتفت بال لها الا الى زمن

انتهى ما في المطمح الصغير: قلت أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو مسلم وقد نقل
عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لأهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى
ان في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ
الاندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم: وأما ما ذكره
عنه من الاجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى الاجازة وهو مذهب مستفيض
واعتراض من اعترض عليه انما هو بناء على القول بمنع الاجازة فاعلم ذلك والله سبحانه
الموفق (ومن الراحلين) من الاندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا
عن مالك رضي الله تعالى عنه ويقال ان أصله من برابر مصمودة وذكر أنه لما ارتحل الى مالك

عشر سنين وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور المعروف بالأثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر (ثم ملك بعده) بهرام بن يزدجرد كان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل سبع عشرة سنة ملك وهو ابن عشرين سنة [illegible] هو [illegible] في حومه [illegible] بعض [illegible] على فرس [illegible] عدله [illegible] ورأفته برعيته [illegible] الامور في أيامه وقد كان خرج في أيامه خاقان ملك الترك الى الصغد [illegible] الغارة في بلاده [illegible] أنه أتى الى بلاد الري وان بهرام كتب أجناده وتنكب الطريق في المسير من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان في جنوده وسار نحو العراق برأسه فهابته ملوك الارض وهادنته قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى أرض الهند متنكرا ولأخبارهم معرفا فاتصل بشرمة ملك من ملوك الهند فأبلى بين يديه في حرب من حوله وأمكنه من عدوه وفرق جماعته على أنه من أساورة فارس وكان نشؤه مع العرب بالحيرة وكان يقول

الشعر بالعربية وبكلمة سائر اللغة وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخبار وله أخبار في أخذه

ولازمه فبينما هو عنده في مجلسه مع جماعة من أصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما جئت من الاندلس لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم أكن لانظر الى الفيل فأعجب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راويها ومحدثها وتوفي يحيى بن يحيى سنة ٢٠٤ في رجب ودفن بقرطبة وقيل ان وفاته في السنة التي قبلها والله تعالى أعلم وروايته الموطأ مشهورة حتى ان أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرا مع تعدد رواة الموطا والله أعلم وكان يحيى بن يحيى روى الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها فأثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من سفيان بن عيينة وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقي وسمع منهما وهما من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرياسة بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر رواة الموطا وأحسنهم رواية يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند الامراء مكني عندهم عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء وكان أعلى من القضاة قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده في القضاء وامتناعه قال الحافظ ابن حزم مذهبان انتشرا في مبدإ أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولى القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على أن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى ؛ وذكرنا في غير هذا الموضع قولا آخر في سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر وقال ابن أبي الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ثم ندم أشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة فقال يحيى تكفر بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له لم لم تفته بمذهب مالك بالتخيير وقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على أصعب الامور لئلا يعود وقال بعض المالكية ان يحيى ورى بهذا ورأى أنه لم يملك شيأ اذ هو مستغرق الذمة فلا عتق له ولا اطعام فلم يبق الا الصيام انتهى ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحلة ثانية وألفى مالكا عليلا فأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه

الملك بعد أبيه وتناوله التاج والراية وفد ... بين يديه وأخبار سيرته ... و ... د ذكرها ولا ... عليه ... بهرام جور ... أحد من الرمي بالنشاب في ... الصيد داخل القوس ... على ... ذلك في كتاب اخبار الرمي وكتاب الاوسط ومقالات الفرس والترك في بنية القوس وسهام كيفية على الطبائع الاربع كطبائع الانسان وما هو ... من انواع الرمي وكيفيته ومما حفظ من شعر بهرام جور دولة يوم ظفره بخاقان وله

أقول له لما فضضت جموعه
كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فاني حامي ملك فارس كلها
وما خير ملك لا يكون له حامي

(وقوله أيضا)

لقد علم الانام بكل أرض
بأنهم قد اضحوا لي عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم
عزيزهم المسود والمسودا
فتلك اسود هم تقفى حذاري
وترهب من مخافتي الورودا
وكنت اذا انسارس ملك أرض ؛ سباب له الكتائب والجنودا
فيعطيني المقادة أو أوافي * به يشكو السلاسل والقيودا
من

من مالك هكذا ذكره ابن الفرضي في تاريخه وهو مما يرد الحكاية المشهورة الآتي ذكرها بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التين فقال لا زكاة فيه فقال [illegible] عندنا ويدخر وصل الى الاندلس أن يرسل الى مالك سفينة مملوءة تينا فلما وصل أرسله الى مالك [illegible] انتهى قال ابن الفرضي ولما انصرف يحيى الى الاندلس كان امام وقته وواحد بلده وكان ممن اتهم بالهيج في وقعة الربض المشهورة ففر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم أمانا وانصرف الى قرطبة وقيل لم يعط أحد من أهل الاندلس منذ دخلها الاسلام ما أعطي يحيى من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر وقال ابن بشكوال ان يحيى [illegible] كان مجاب الدعوة وانه أخذ في [illegible] وهيئته وقعوده هيئة مالك ويحكى عنه أنه قال أخذت بركاب الليث بن سعد فأراد غلامه أن [illegible] فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك العلم ولم تزل بك الايام [illegible] (وفي سنة ٢٠٤)

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي وهو ذو ثبات وعلم وعقل وصحة ضبط ونقل كان علم الاندلس وعالمها المدرس وولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها الى المشرق وجمع فيها من الروايات والسماع كل مفترق وجال في آفاق تلك الآفاق لا يستقر في بلد ولا يستوطن في جلد ثم كر الى الاندلس فسمت رتبته وطلب بالاماني لديه وتصرف في ولايات أحمد فيها أمانته واتصلت بها اتصالا خلعه أسبابه وولاه القضاء بقرطبة فولاه سياسة محمودة ورياسة في الدين مبرقة العوى مشهودة [illegible] الصرامة في تنفيذ الحقوق والجزالة في اقامة الحدود والكشف عن البيان في السر والصدع بالحق في الجهر لم يستمله خادع ولم يكده خاتل ولم يهب حرمة ولا داهن ذا مرتبة ولا أغضى لاحد من أرباب السلطان وأهله حتى تحاموا حدة جانبه فلم يجسر أحد منهم عليه وكان له بصر وافر من الادب وحظ من البلاغة اذا نظم أو كتب ومن مليح شعره ما قاله عند اوبته من غربته

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة ۔ اذا كان من بعد الفراق تلاق
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي ، ولم تمر كف الشوق ماء مآقي
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم ، بذات اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى ، وكأس سقاها في الازاهر ساق

وله أيضا

سأدأب كائد من [illegible] على قصب بدار الخلد [illegible]
[illegible] قلب الخلي [illegible] ، في [illegible] في الحب من باس
ذكرته الرس الماضي بقرطبة ، [illegible] في أمن وايناس
هم الصبابة لولاهم [illegible] ، [illegible] قلبه كالجندل القاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق والتعدي [illegible] الآفاق [illegible] خرج الى حضور جنازة بعض قريش ورجل من بني جابر كان بواحيه له منزل فعزم عليه في الميل اليه وعلى أخيه منزل عليه فأحضر لهما طعاما وأمر جارية له بالغناء فغنت

طابت بطيب لثاتك الاقداح ، وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه ، طابت بطيب نسيمك الارواح

طالبا للايجار (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان [illegible] الآن والطين ساحة [illegible] والابواب على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كر الالباب والآداب وجل القدر واحضر يزدجرد بن بهرام رجالا من حكماء عصره كان أقاصي مملكته أحداث [illegible] [illegible] الرأي منهم [illegible] [illegible] فقال له [illegible] [illegible] الحكيم الفاضل [illegible] الملك [illegible] الرعية وأخذ الحق منهم من منعة والتودد اليهم بالعدل وأمن [illegible] وانصاف المظلوم من الظالم قال [illegible] صلاح أمر الملك [illegible] واعوانه فانهم ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد قال يزدجرد ان الناس [illegible] أكثروا في أسباب [illegible] وصف لي ما الذي يثيرها ويسكنها وما الذي [illegible] و [illegible] فقال [illegible] اسبابها جشع الخاصة وولدها استخفاف بخاصة وأكدها انبساط الالسن [illegible] القلوب [illegible]

 معمر ودوله [illegible] مخرم والى [illegible] احد العدماء اشتاف قل ملوله وابشار الحدس لمد

واذا الحنادس ألبست ظلماؤها * وضياء وجهك في الدجى مصباح

وكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والابيات مكتوبة على ظهر كفه وكان رحمه الله تعالى في غاية اللطف حكى بعض أصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى القاضي هابه وأراد الانصراف فخانته رجلاه فاستند الى الحائط وأطرق فلما قرب القاضي رفع رأسه وانشأ يقول

ألا أيها القاضي الذي عم عدله * فأضحى به بين الانام فريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أر فيه للشراب حدودا
فان شئت جلدا لي فدونك منكبا * صبورا على ريب الزمان جليدا
وان شئت أن تعفو تكن لك منة * تروح بها في العالمين حميدا
وان انت تختار الحديد فان لي * لسانا على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشأنه انتهى ملخصا من المطمح * ورأيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع عم أبيه عبد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٣ ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الاعرابي ومعاني الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضي أحمد بن بقي واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجانة ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة ٣٢٤ وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهى منها فاعتل في آخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى وأظن اني نقلته من كتاب ابن الابار الحافظ والله أعلم * (ومنهم) عتيق بن احمد بن عبد الباقي الاندلسي الدمشقي ووفاته يكنى أبا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٦١٤ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا مائة سنة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله * (ومنهم) أبو ابراهيم اسمعيل بن محمد بن يوسف الانصاري الاندلسي الابذي الملقب في البلاد المشرقية ببرهان الدين وأبذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالاندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ بن طبرزذ وأم بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفي سنة ٦٥٦ وأخبر عن بعض الاولياء المجاورين ببيت المقدس انه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس

ان يكن بالشام قل تصبري * ثم خربت واستمر هلوكي
فلقد أثبت الغداة خرابي * سمر العار في حياة الملوك

هكذا رأيته بخط الصفدي في حياة ويحتمل أن يكون في جباه جمع جبهة والله أعلم * (ومنهم) القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من أخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له في

ذلك

الهزل والعمل بالحزم في الغضب والرضا (ثم ملك بعده هرمز) بن يزدجرد فنازعه أخوه فيروز فقتله ٣٣٠ وولي الملك وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز الى ان هلك على يدي ملك الهياطلة بخراسان بمرو والروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة والهياطلة هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاش) بن فيروز الملك وكان ملكه أربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي أيامه ظهر مردك الزنديق واليه تضاف المزدكية وله أخبار مع قباذ وما احدثه في العامة من النواميس والحيل الى ان قتله أنو شروان في ملكه وكان ملك قباذ الى ان هلك ثلاثا وأربعين سنة (ثم ملك بعده ولده أنو شروان) بن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية اشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخ له يقال له جاماسب نحوا من سنتين لامر كان من مردك وأصحابه فظافر أنوشروان بزرجمهر بن بختك حتى اعيد قباذ الى ملكه في خبر طويل ولما ملك أنوشروان وقتل مردك وأتبعه بثمانين الفا من أصحابه وذلك بين حازر والنهروان من أرض العراق فسمي من ذلك اليوم أنوشروان وتفسير ذلك جديد الملوك وجمع أهل مملكته على دين المجوسية

ذلك قصته فى أيتام أخى نجدة وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية وهى ان الخليفة
الناصر احتاج الى شراء دار من قرطبة لحظية من سيآته تكرم عليه فوقع استحسانه على دار
كانت لأولاد زكريا أخى نجدة وكانت بقرب النشارين فى الربض الشرقى متصلة عن دوره
ويتصل بها حمام له علة واسعة وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى فأرسل
الخليفة من قومها له بعدد ما طابت نفسه وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصى الايتام فى بيعها
عليهم فذكر انه لا يجوز الا بامر القاضى اذ لم يجز بيع الاصل الاعن رأيه ومشورته فأرسل
الخليفة الى القاضى منذر فى بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه
منها الحاجة ومنها الوهى الشديد ومنها الغبطة فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الايتام الى البيع
وأما الوهى فليس فيها وأما الغبطة فهذا مكانها فان اعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به
الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد فى شراء الدار طمعا
أن يتوخى رغبته فيها وخاف القاضى ان تنبعث منه عزيمة تلحق الايتام ثورتها فأمر وصى
الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة أكثر مما
قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وامر بتوقيف الوصى على ما احدثه فيها فأحال
الوصى على القاضى انه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضى منذر وقال له أنت أمرت بنقض دار
أخى نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك فقال أخذت فيها بقول الله تعالى أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
مقوموك لم يقوموها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض فى أنقاضها أكثر من ذلك وبقيت
القاعة والحمام فضلا ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك
وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا قالوا وكان على
متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من
دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضارى فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالى
شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول أطعمونى من عشائكم
أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضى ان استجيب لهذا
السائل فيكم فليس يصبح منا أحد وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهنى انه ركب يوما الحيازة أرض
محبسة فى ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤى ونظراؤه قال فسرنا
نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت
القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى فعرض له فى بعض الطريق كلاب مع مستوحمة والكلاب
تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه الينا وقال ترون يا أصحابنا أمر الكلاب بالهن
الذى تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من
هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خلدة له فى بستان الزهراء على بركة ماء طافحة
وسط روضة نافحة فى يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من
وهج الحر الجهد وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يطف
ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس فى وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع

ومنعهم النظر والخلاف والحجاج فى الملل وسار نحو الباب والابواب وجبل
الفتح لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده فبنى السور على أزقاق البحر المنوخة بالصخر واشدد وازرصاص فكلما ارتفع البناء من تلك الازقاق الى ان استقرت فى قرار البحر ونبذ ارتفع السور على الماء وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين الى تلك الازقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الماء فى قرار البحر وهو باق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا الموضع من السور فى البحر القيد مانعا للراكب فى البحر ان ورد من بعض الاعداء ثم مد السور فى البحر ما بين جبل الفتح والبحر وجعل فيه الابواب مما يلى الكفار ثم مد السور على جبل الفتح على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا اخبار جبل الفتح والباب وكان لانوشروان حبر مع ملوك الخزر الى ان أتى له هذا البناء وقيل انه بنى ذلك بالرهبة واذعان من هنالك من الامم وانصرف أنوشروان الى العراق ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك وكان
فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا والطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج فى ميدانه فقال

أن لبيعة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم لا رابع لهم وكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا وأقصر عنه اقصارا وأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا انقياد أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدريج ولم ينبسط في السباحة وجعفر يعرض عمدا ودنوا بانبساطه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم وهو يعجزه في اخلاده الى القعود ويعابثه بالقاء الماء عليه والاشارة بالجذب اليه وهو لا ينبعث معه ولا يفارق موضعه الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتتقبل صنعه من أجلك نزل وسبيلك تبدل فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله تعالى لا هوجل معه واعيا هذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجالا يعني أن الحاجب خصي لا هوجل معه والهوجل الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر وخجل جعفر من قوله وسبب الاشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما * وحكي ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوءا يأكلون أموالهم فقال نعم وان أمكنهم ذلك أمهلتهم لم يعفوا منهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست اجد غيرهم ولكن أحلني على اللؤلؤي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع لاخيرا وقال القاضي منذر أنشدت وأبو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر يملي في اخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول

خليلي هل بالشام عين حزينة * تبكي على نجد لعلي أعينها
قد اسلمها الباكون الا حمامة * مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة * يكاد يدنيها من الارض لينها

فقلت له يا أبا جعفر ماذا أعزك الله تعالى باتا يصنعان فقال لي وكيف تقول انت يا أندلسي فقلت له بانت وبان قرينها فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي أين أنت من أبي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسألته الكتاب فأخرجه الي ثم ندم أبو جعفر لما بلغه اباحة أبي العباس الكتاب الي وعاد الى ما كنت أعرفه منه * قال وكان أبو جعفر لئيم النفس شديد التقتير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم وكان يأبى شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته اهـ وأبو جعفر هذا قال ان تواليفه تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعاني القرآن وشرح أبيات الكتاب وغير ذلك * (رجع) * وقال منذر بن سعيد كتبت الى أبي علي البغدادي أستعير منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ريم مهفهف * وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء * من الغريب المصنف

كان يحتاج هذا المحل ان يكون مربعا فقيل له ان عجوزا لها منزل من جانب الاعوجاج منه وان الملك أرادها على بيعه وارغبها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومي هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء وسار أنو شروان في بلاده ودار في مملكته فاحكم السدود وشيد القلاع والحصون ورتب الرجال وعبر الى الشام وافتتح بها المدن وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وفامية وهي بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها وهي يومئذ أجل لقيصر فافتتحها وفتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل انطاكية رسومها بينة الى هذا العصر وآثارها قائمة تدعى سلوقية وأقبل يفتح المدائن بالشام وأرض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال وبذل السيف وبث عساكره وسراياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية فبعد ذلك مضى ونقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والاحجار والفسيفساء هي شيء يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبني

بعض

فقضى حاجتى وأجاب بقوله

وحق در تألف * بفيك أى تآلف
لأبعثن بما قد * حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسى * اليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة* (وذكر) ابن اصبغ الهمدانى عن منذر انه خطب يوما وأراد التواضع فكان من فصول خطبته أن قال حتى متى والى متى أعظ ولا أتعظ وأزجر ولا أنزجر أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين كلا ان هذا لهو البلاء المبين ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء الآية اللهم فرغنى لما خلقتنى له ولا تشغلنى بما تكفلت لى به ولا تحرمنى وأنا أسألك ولا تعذبنى وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين* وسمع منذر بالاندلس من عبد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاجتمع بعدة أعلام وظهرت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابورى سمع عليه كتابه المؤلف فى اختلاف العلماء المسمى بالاشراف وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبى العباس بن ولاد* وروى عن أبى جعفر بن النحاس وكان منذر متفننا فى ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبى سليمان داود بن على الاصبهانى المعروف بالظاهرى فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به فى نفسه ودونه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك وأصحابه وهو الذى عليه العمل بالاندلس وحمل السلطان أهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى أن توفى رحمه الله تعالى عقب ذى القعدة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة فكانت ولايته للقضاء الجماعة المعبر عنه فى المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور فى قضية ولا قسم بغير سوية ولا ميل لهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله تعالى ورضى عنه ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربى من قرطبة أعادها الله تعالى جوفى مسجد السيدة الكبرى بقرب داره* وله رحمه الله تعالى تواليف مفيدة منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك فى الفقه والكلام فى الرد على أهل المذاهب تغمده الله تعالى برضوانه وكتب بعض الادباء الى القاضى منذر بقوله

مسئلة جئتك مستفتيا * عنها وأنت العالم المستشار
علام تحمر وجوه الظبا * وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله

احمر وجه الظبى اذ لحظه * سيف على العشاق فيه احورار
واصفر وجه الصب لما نأى * والشمس تبقى للمغيب اصفرار

مدينة فحو المدائن وسماها برومية وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من أنواع الاخبار يحكى بذلك أنطاكية وغيرها من المدن فى الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بماذكرنا وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه وهادنه ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وجاءت اليه الهدايا ووفدت اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظيم ملكه ولما يظهر من فعله بالممالك وقتله الملوك وانه اذ ذاك الى العدل وكتب اليه ملك الصين من يعفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور والذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فرسا من در منضد العين الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من نابت منضد بالجوهر وثوب حرير صينيا عشريا فيه صورة الملك جالسا فى ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبأيديهم المذاب صورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورد فى سفط من ذهب تحمله جاريه تغيب فى شعرها تتلألأ جمالا

*(ومن رحل الى المشرق من الاندلس فشهدله بالسبق كل أهل المغرب والشرق) الامام العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما * وهو أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المقرى الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين خطب ببلده شاطبة مع صغر سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفي وابن برى وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى بالقاهرة يوم الاحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم * وحكى ان الامير عز الدين موسك الذى كان والد ابن الحاجب حاجباله بعث الى الشيخ الشاطبي يدعوه الى الحضور عنده فامر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه

قل للامير مقالة * من ناصح فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى * أبوابكم لاخير فيه

ومن نظمه رحمه الله تعالى

حالت أبناء الزمان فلم أجد * من لم أرم منه ارتيادى مخلصى
ردا الشباب وقد مضى لسبيله * أهيا وأمكن من صديق مخلص

وكان رحمه الله تعالى قرأ بشاطبة القرا آت وأتقنها على النفزى ثم انتقل الى بلنسية فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحى وكان اماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع القرين رأسا فى القرا آت حافظا للحديث بصيرا بالعربية واسع العلم وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الامانى وعقيلة اتراب القصائد اللتين فى القرا آت والرسم وحفظهما خلق كثير لايحصون وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أوجز وسهل الصعب * وممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجيب معجب وممن قرأ عليه بالروايات الامام الشهير محمد ابن عمر القرطبي وتصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للاقراء بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع * وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما أرجو قبوله وترك أولادا منهم أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة * وقال السبكى فى حق الامام الشاطبي انه كان قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا يتوقد ذكاء قال السخاوى أقطع انه كان مكاشفا وانه سأل الله كتمان حاله ما كان أحد يعلم أى شئ هو انتهى وترجمته واسعة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين * وقال ابن خلكان انه أبدع فى حرز الامانى وهى عمدة قراء هذا الزمان فى تعلمهم فقل من يشتغل بالقرا آت الا ويقدم حفظها ومعرفتها وهى مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة وما أظنه سبق الى اسلوبها وقد روى عنه انه كان يقول لايقرأ أحد قصيدتى هذه الا وينفعه الله عزوجل لانى نظمتها لله تعالى مخلصا وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرا و بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخارى ومسلم والموطأ يصحح النسخ

وسيرما ذكرنا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك الى أكفائها وكتب اليه ملك الهند من ملوك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر الى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى أنوشروان واهدى اليه الف من من عود هندى يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع ويتبين فيه الكتابة وجاما من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوأ درا وعشرة امنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة اشبار تضرب أشعارها عينيها حدها وكان بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ظفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الموشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكادى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذولون حسن وريح طيب لحاؤه أرق من الورق الصيني يتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محاربا لبعض اعدائه كتاب ملك التبت من خاقان ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه

من حفظه ويملى النكت على المواضع المحتاج اليها وكان أوحد فى علم النحو واللغة عارفا بتعبير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق فى سائر أوقاته الا عند الحاجة ولا يجلس للقراءة الا على طهارة فى هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى ولا يتأوه واذا سئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز فى النعش وهو لابى زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

أتعرف شيأ فى السماء نظيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير
تلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة فى زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان نزيل القاضى الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهره وقيل ان كنيته ابو محمد حسبما وجد فى بعض اجازاته رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس) الامام القاضى أبو بكر بن العربى قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضى الشهير بحر المغرب أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى قاضى قضاة كورة اشبيلية ذكر الحجارى فى المسهب طبق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق باوابده وهو امام فى الاصول والفروع وغير ذلك ومن شعره وقد ركب مع احد أمراء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهز عليه رمحا كان فى يده مداعبا له فقال

يهز على الرمح ظبى مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة فى لباس خشن

لبس الصوف لكى أنكره * وأتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا * جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شئ أنت فيه حسن * لا يبالى حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الابيات ليست له وانما تمثل بها فالله تعالى أعلم * وممن عرف بابن العربى وذكره ابن الامام فى سمط الجمان والشقندى فى الطرف وكان قد صحب المهدى محمد بن تومرت بالمشرق فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده وحكى أنه كتب كتابا وأشار عليه بعض من حضر أن يذر عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتب

لا تشنه بما تذر عليه * فكفاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذى تذر عليه * جدرى بوجنة حسناء

ولقى أبا بكر الطرطوشى وما برح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك فى عيد أضحى فأحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره وخرج الى قرطبة وكان فى أحد أيام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام رومى وضىء قد جاء

المحمود فى السيرة والقدوة ملك المملكة المتوسطة للاقاليم السبعة واهدى اليه أنواعا من العجائب التى تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية ومائة قطعة نحاس ومائة ترس تبتية وأربعة آلاف من من المسك فى نوافج غزلانه وقد كان أنوشروان سار الى ماوراء نهر بلخ وانتهى الى خيلان وقتل اخشوان ملك الهياطلة ثم سار حتى ورد ولاية ملك كابل فوافاه بها الى مملكته وقد كان نقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندى وهو الخضاب الذى لمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سقية كاملة بصبغة سوداء ولا ينصل منه شئ (ويحكى) ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يختضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها هنيئا طعامه من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته واذا أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم أربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلى نقشه التأنى وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه الرجاء ووضع

يحترق الصفوف بشمعة في يده وكتاب معتق فقال

وشمعة تحملها شمعة * يكاد يخفي نورها نارها

لولا هي نفس بهت غيها * لقبلته وأتت عارها

ولما سمعها أبو عمران الزاهد قال إنه لم يكن يفعل ولكنه هزته أريحية الأدب ولو كنت أنا قلت

لولا الحياء وخوف الله يمنعني * وأن يقال صبا موسى على كبره

إذا لمتعت لحظي في نواظره * حتى أوفي جفوني الحق من نظره

(رجع) إلى أخبار ابن العربي فنقول إنه سمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي وبدانية أبا عبد الله الكلاعي وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني وسمع بالإسكندرية من الأنماطي وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره وبدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار وقرأ الأدب على التبريزي وعمل رحمه الله تعالى على مدينة إشبيلية سورا بالحجارة والآجر من ماله وكان كما في الصلة حريصا على آدابها وسيرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه الإمام الحافظ ختام علماء الأندلس رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج في سنة تسع وثمانين وعاد إلى بغداد ثم صدر عنها وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعا إلى مقره سنة ٤٩١ ولما عبر صحب عارضة الأحوذي ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من العلماء ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم إشبيلية بعلم كثير وكان موصوفا بالفضل والكمال وولي القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفي بعقبة بمقربة من مدينة فاس ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصا وما وفى ابن سعيد حافظ الإسلام أبا بكر بن العربي حقه فلنعرج بما حضرنا من التعريف به فنقول إنه لقي ببغداد الشاشي والإمام أبا بكر والإمام أبا حامد الطوسي الغزالي ونقل عنه أنه قال كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي أو كلاما هذا معناه وكان من أهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها متكلما على أنواعها حريصا على نشرها وقام بأمر القضاء أحمد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روي عنه أنه أمر بثقب أشداق زامر ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال بإشبيلية وقال ابن الأبار إن الإمام الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الإشبيلي لازم القاضي ابن العربي نحوا من ثلاثة أشهر ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير في صلته وقال إنه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاما إلى أن قال وقيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام

أنوشروان على العراق وضايع الخراج فأمر كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز نصفا وثلثا ولكل أربع نخلات فارسية درهما وكل ست نخلات دقل درهما وكل ست أصول زيتون درهما والكرم ثمانية دراهم والرطبة سبعة دراهم وهذه سبعة أنواع من الغلات وترك ما عدا ذلك من الغلات والبهائم وكان أنوشروان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء في أشعارها وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي من كلمة

أين كسرى خير الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور

ثم بعد قرب الموت وتولى الملك عنه فبابه مهجور

حين ولوا كأنهم ورق جف * فألوت به الصبا والدبور

وجلس أنوشروان يوما للحكماء يأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم في مجلسه دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي فتكلم كل واحد بما حضره من الرأي وأنوشروان مطرق يتفكر في أقاويلهم حتى انتهى القول إلى بزرجمهر ابن البختكان فقال أيها الملك أنا أجمع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة فقال هاتها فقال أولاهن تقوى الله في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب فاجعله نصب عينيك في ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والعمل والوفاء

على

على أئمة هذا الشان ومات أبوه رحمه الله تعالى بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فانصرف حينئذ الى اشبيلية فسكنها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف فى غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولى القضاء مدة أولها فى رجب من سنة ثمان فنفع الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أوذى فى ذلك بذهاب كتبه وماله فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحا حافظا أديبا شاعرا كثير الملح مليح المجالس ثم قال قال القاضى عياض بعد أن وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه وأخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس الكلام وطعنوا فى حديثه وتوفى منصرفه من مراكش من الوجهة التى توجه فيها مع أهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضى عياض وأبو جعفر بن الباذش وجماعة انتهى ملخصا * ووقع فى عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة بفاس والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك فى أزهار الرياض وقد زرته مرارا وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته وقال انه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبة وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج رحمه الله تعالى ومن بديع نظمه

أتتنى تؤنبنى بالبكاء * فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفى نفسها حسرة * أتبكى بعين ترانى بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت جفونى بتعذيبها

وقال رحمه الله تعالى دخل على الاديب ابن صارة وبين يدى نار علاها رماد فقلت له قل فى هذه فقال

شابت نواصى النار بعد سوادها * وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال لى أجز فقلت

شابت كما شبنا وزال شبابنا * فكأنما كنا على ميعاد

وقد اختلف حذاق الادباء فى قوله ولكنه رمح وثان وثالث ما هو الثانى والثالث فقيل القد واللحظ وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى فى كتابه قانون التأويل ركوبه البحر فى رحلته من افريقية قال وقد سبق فى علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا فى هوله فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بنى كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب ومن العرى فى أقبح زى قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة مسئتها ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمناها أزرا واشتملناها لفافا تمجنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا بأمر حقير ضعيف وفن من العلم طريف وشرحه انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه فعل السامد اللاه فدنوت منه فى تلك الاطمار وسمح لى بياذقته اذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه للاغمار

بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسىء على اساءته والسادسة تعهد أهل السجون بالعرض لهم بالايام نستوثق منهم بالمسىء ونطلق البرىء والسابعة تعهد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية فى الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون فى الثغور ليعلم ما يتخوف فيتخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذى الغش والعجز منهم فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع أنواع السياسات الملوكية وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته انه سئل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الاحتياج اليها فقال معروف أودعته الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من [illegible]

ووقفت بازائهم أنظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في مجالس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعلم من صاحبه فادعونى شزرا وعظمت في أعينهم بعد أن كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدناني فدنوت منه وسألني هل لي بما هم فيه بصر فقلت لي فيه بعض نظر سيبدو لك ويظهر حرك تلك القطعة ففعل كما أشرت وعارضه صاحبه فأمرته ان يحرك أخرى وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا ما أنت بصغير وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدا

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال لعن الله أبا الطيب أو يشك الرب فقلت له في الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما أراد بالرب ههنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله وتقاة لما يقطع به كما قال

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض في طرفي ابرام وانتقاض ما حرك منهم الى جهتي دواعي الانتهاض وأقبلوا يتعجبون مني ويسألوني عن نسبي ويستكشفونني عن سببي فبقرت لهم حديثي وذكرت لهم نجيثي وأعلمت الامير بان أبي معي فاستدعاه وأوينا الثلاثة الى مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه وجاء كل خوان بافنان وألوان ثم قال بعد المبالغة في وصف ما نالهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذي هو الى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذاهم من العطب وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب وسرنا حتى انتهينا الى بادرة مصر انتهى مختصرا والزول العجب ونجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم اذا ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه قالهما الجوهري وذكر رحمه الله تعالى في رحلته عجائب * منها انه حكى في دخوله بدمشق بيوت بعض الاكابر انه رأى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية أخرى فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام في النهر المقبل الينا فأخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا فلما فرغنا ألقى الخدم الاواني وما معها في النهر الراجع فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يقرب الخدم تلك الناحية فعلمت السر وان هذا العجيب انتهى بمعناه وقال في قانون التأويل ورد علينا دانشمند يعني الغزالي فنزل برباط أبي سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا أمنيتنا عليه وقلت له أنت ضالتنا التي كنا ننشد وامامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا ان الذي نقل الينا من ان الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ولو رآه علي بن العباس لما قال

اذا ما مدحت امرأ غائبا * فلا تغل في مدحه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الامد الابعد
فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

انتهى

علمه يتأدب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وأنوشروان الذي يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذي يقول لا تعدن الحر من ... في الامناء ولا الـ ... في الاحرار وقال أنوشروان لوسألني بزرجمهر من يصلح من ولدي لملك فأظهر ... لا أعرف ذلك ولكني أعرف من يصلح لملك أسماهم للمعالي وأطلبهم للادب وأجرأهم على العامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودي) وقد ذكرنا في كتاب الزلف الخصال التي يستحق بها الملك من وجدت فيه وما ذكر ناعن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون وما ذكره في كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر انه قال رأيت من أنوشروان خصلتين متباينتين لم أر مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله فنحاه وزيره فأمر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التي رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ثم رأيته يوما وقد خلوت عنده في سر من تدبير شيء من الممالك وخدمه خلف فرشه وسرير وكنت

وكنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الطاهر الاثواب الباهر الابواب الذى انسى ذكاء اياس. وترك التقليد للقياس وانتج الفرع من الاصل وغدا فى الاسلام أمضى من النصل سقى الله تعالى به الاندلس بعدما أجدبت من المعارف ومد عليها منه ظله الوارف وكساها رونق نبله وسقاها ريق وبله وكان أبوه أبو محمد باشبيلية بدرا فى فلكها وصدرا فى مجلس ملكها واصطفاه معتمد بنى عباد اصطفاء المأمون لابن أبى دواد وولاه الولايات الشريفة وبوأه المراتب المنيفة فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت والقتهم منها وتخلت رحل به الى المشرق وحل فيه محل الخائف الفرق فجال فى اكنافه واجال قداح الرجاء فى استقبال العز واستئنافه فلم يسترد ذاهبا ولم يجد كمعتمده باذلا له وواهبا فعاد الى الرواية والسماع وما استفاد من آمال تلك الاطماع وابو بكر اذ ذاك فى ثرى الذكاء قضيب ما دوح وفى روض الشباب زهر ما صوح فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ولازمه سائقا اليها وحاديا حتى استقرت به مجالسه واطردت له مقايسه فجد فى طلبه واستجد به ابوه متمزق اربه ثم ادركه حمامه ووارته هنالك رجامه وبقى ابو بكر متفردا وللطلب متجردا حتى اصبح فى العلم وحيدا ولم تجد عنه رياسته محيدا فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ولانبائه متسمعة فناهيك من حظوة لقى ومن عزة سقى ومن رفعة سما اليها ورقى وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن انس اثبتها فيها وخلدها وقد اثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا وترده الافهام نطافا فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد ويخاطب فيها أهل الوداد

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر * خيال حبيب قد حوى قصب الفخر
جلا ظلم الظلماء مشرق نوره * ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر
ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا * فسار على الجوزا الى فلك يجرى
وحث مطايا قد مطاها بعزه * فأوطأها قسرا على قنة النسر
فصارت ثقالا بالجلالة فوقها * وسارت عجالا تتقى ألم الزجر
وجرت على ذيل المجرة ذيلها * فمن ثم يبدو ما هنالك لمن يسرى
ومرت على الجوزاء توضع فوقها * فآثار ما مرت به كلف البدر
وساقت أريج الخلد من جنة العلا * فدع عنك رملا بالانيعم يستذرى
فما حذرت قيسا ولا خيل عامر * ولا أضمرت خوفا لقاء بنى ضمر
سقى الله مصرا والعراق وأهلها * وبغداد والشامين منهمل القطر انتهى

ومن تآليف الحافظ أبى بكر بن العربى المذكور كتاب القبس فى شرح موطا مالك بن أنس وكتاب ترتيب المسالك فى شرح موطا مالك وكتاب أنوار الفجر وكتاب أحكام القرآن وكتاب عارضة الاحوذى فى شرح الترمذى والاحوذى بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة وكتاب مراقى الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهى الدواهى وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكلين مشكل الكتاب والسنة وكتاب الناسخ والمنسوخ فى القرآن وكتاب قانون التأويل وكتاب النيرين فى الصحيحين وكتاب

ملك يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحال بين يدى فقال لى لا نجهل قدر الملوك على رعيتنا وخدمنا الملوك على أرواحنا ينالون منا فى خلوتنا ما لا حيلة لنا معه فى التحرز منهم وكان أنوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودى) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه فى مسيره فى سائر اسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة فى الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن أنوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلى الباب والابواب وكان ملكه اثنتى عشرة سنة وكان متحاملا على خواص الناس مائلا الى عوامهم متقويا بهم مؤثرا للرويضة وتوابع العوام مقربا لهم مبعدا لخواص الناس وقيل انه قتل فى مدة

سراج المهتدين و كتاب الأمد الاقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا و كتاب في الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح في تعيين الذبيح وتعديل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافي في أن لا دليل على النافي وكتاب السباعيات وكتاب المسلسلات وكتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصاف في مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب ستر العورة وكتاب المحصول في علم الاصول وكتاب أعيان الاعيان وكتاب ملجأة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصف * ومن فوائد القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قوله قال علماء الحديث ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفي بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة * لألاؤها كتألق البرق
ياليتني معهم فيدركني * ما أدركوه بها من السبق انتهى

(ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى) * فمنها قوله في تصريف المحصنات يقال أحصن الرجل فهو محصن بفتح العين في اسم الفاعل وأسهب في الكلام فهو مسهب اذا أطال البحث فيه وألفج فهو ملفج اذا كان عديما لا رابع لها والله تعالى أعلم انتهى * ومنها قوله سمعت الشيخ فخر الاسلام أبا بكر الشاشي وهو ينتصر لمذهب أبي حنيفة في مجلس النظر يقول يقال في اللغة العربية لا تقرب كذا بفتح الراء أي لا تتلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع وهذا الذي قاله صحيح مسموع انتهى * ومنها شاهدت المائدة بطور زيتا مرارا وأكلت عليها ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا وكان ارتفاعها أشف من القامة بنحو الشبر وكان لها درجان قبلي وجنوبي وكانت صخرة صلداء لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسخ أربابها قردة وخنازير والذي عندي انها كانت صخرة في الاصل قطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من السماء وكل ما حولها حجارة مثلها وكان ما حولها محفوفا بقصور وقد نحتت في ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحنايا ها في جوانبها وبيوت خدمها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب فاذا دخلت في قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثقل ثمن درهم لم يفتحه أهل الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منفرج الباب وقد بار بها قوم بهذه العلة وقد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس ولكني كنت في كل حين أكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيري فيها وقد

وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان أزال أحكام المؤبذان وحرب بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم من ملوك الترك في أربعمائة ألف منزل بحو بلاد هراة وبلاد عيسى و بوشنج من أرض خراسان وسار اليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر في جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الى قم بخيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينهم من الدم وسار لي جبل الفتح وسار بطريق لقيصر في ثمانين ألفا الى الجزيرة وسار الى اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز امره واحضر المؤبذ وذوي الرأي منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جود ابن مرزبان الري وكان بهرام هذا من ولد جرجين بن ميلاد من نسل انوس المعروف بالران فسار

شرحت أمرها فى كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا انتهى ❊ ومنها قوله رحمه الله تعالى تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا أبى بكر الفهرى الطرطوشى حديث ابى ثعلبة المرفوع ان من ورائكم أياما للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لايجدون عليه أعوانا وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتى من الامة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه فى شرح الصحيح وخلاصته أن الصحابة كانت لهم اعمال كثيرة لا يلحقهم فيها احد ولا يدانيهم فيها بشر واعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها فى الاجر من اخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه وقد كان قليلا فى ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفى آخر الزمان أيضا يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتى سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه وقال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى فى الدعاء اليه كان له من الاجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لايجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله يروى برفع الهاء ونصبها فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف ولا ناه عن منكر يقول أخاف الله وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه انتهى وأنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية

امتحن الله بذا خلقه ❊ فالنار والجنة فى قبضته
فهجره أعظم من ناره ❊ ووصله أطيب من جنته

❊(ومن فوائد ابن العربى) رحمه الله تعالى انه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبى منصور بن جهير على رتبة بيناها فى كتاب الرحلة للترغيب فى الملة فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه سلام وكنت فى الصف الثانى من الحلقة بظهر أبى الوفاء بن عقيل امام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزلى الاصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى هذه الآية دليل على رؤية الله فى الآخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا اذا رأته فصرف وجهه أبو الوفاء مسرعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال فى أن الله تعالى لا يرى فى الآخرة فقد قال الله

فى اثنى عشر الفا وشابة فى أربعمائة الف فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب وحيل فى الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمودة بن شابة ولده تحصن فى بعض القلاع من بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برمودة على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام جملا من الغنائم وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان فى خزائن أفراسياب من الاموال والجواهر التى كان أخذها من سياوخش وما كان بأيدى الترك من تركات هوجاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ما وصفنا من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزيره هرمز ازيجسيس وقد نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال انعظم هذه زلة وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم وأغراه به فعصاه بهرام ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار فانفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت فى أيديهم وعلم بها هرمز فلم يشك أن

تعالى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة وقد شرحنا وجه الآية فى المشكلين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه فيحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل فى اعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزاء انتهى * ومنها ما نقله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسى الواعظ أنبانا أبو الفضل الجوهرى سماعا منه كنا فى جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله تعالى فقال لا يقل أحدكم انصرفوا فان الله تعالى قال فى قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال فى قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى * ومنها وقد ذكر الخلاف فى شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال أبلغ من لسان المقال فى بعض الامور وقد تضيف العرب الكلام الى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن أحلاه قول بعضهم قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى ما تركنى ورائى هذا الذى ورائى لكن قوله تعالى بعد ذلك من أهلها فى صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص وأما من قال انه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من أهلها يعطى اختصاصها من جهة القرابة انتهى * ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأى امام يعرف بابن عطاء فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال ياشيخ ياسيدنا فاذن يوسف هم وما تم فقال نعم لأن العناية من ثم فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامى فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه ولذا قال علماؤنا الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة انتهى * ومنها قوله كنت بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرا وكل ماشربته نويت به العلم والايمان ففتح الله تعالى لى بركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ونسيت أن أشربه للعمل وياليتنى شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لى فيهما ولم يقدر فكان صغوى للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته * ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء على بن عقيل يقول انما تبع الولد الام فى المالية وصار بحكمها فى الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبثوثة عليه وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو أن رجلا تمرا فى أرض رجل وسقطت منه نواة فى الارض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الآكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى * ومنها قوله ومن نوادر أبى الفضل الجوهرى ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا أمسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة وارتفعت سائر الاصابع كان شكلها مقروا بقولك الله فكأنها اشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك

ثلاثة فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ولم يعلم أن الحيلة فى ذلك من بهرام ابنه أبرويز بهاطنبا ذهب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان وحبس هرمز خالى أبرويز بسطام وبندويه فاعملا الحيلة فى حبسهما وخرجا فانتصفا منهما حاق من الجيش فدخلا على هرمز وسملا عينيه وأعمياه فلما نمى ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لاذنب له فى ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمى ذلك الى بهرام جوبين فسار فى عساكره يؤم الباب ودار الملك فخرج اليه أبرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتوادعا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز لتخلف أصحابه عنه وسلمهم الى بهرام فنام تحته فرسه المعروف بشبديز وهو المصور فى الجبل وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور هو وأبرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من احدى عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة فى الصخر والفرس تذكر فى أشعارها وغيرها من العرب هذا الفرس المعروف بشبديز وقد كان أبرويز على شبديز فى بعض انتهى

انتهى * ومنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام فيسمع من الطور فلا يقدر أحد أن يصنع شيأ دون قراءته الا الاصغاء اليه انتهى * ومنها قوله في تفسير قوله تعالى في أيام نحسات قيل انها كانت آخر شوّال من الاربعاء الى الاربعاء والناس يكرهون السفر يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى اني لقيت يوما مع خالي الحسن بن أبي حفص رجلا من الكتاب فودعنا بنية السفر فلما فارقنا قال لي خالي انك لاتراه أبدا لانه سافر في يوم أربعاء لايتكرر وكذا كان مات في سفره وهذا مالا أراه لان يوم الاربعاء يوم عجيب بما جاء في الحديث من الخلق والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء النور وروي النون وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الاربعاء التقن وهو كل شئ تتقن به الاشياء يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص واليوم الذي خلق فيه المكروه لاتعافه الناس واليوم الذي خلق فيه النور أو التقن يعافونه ان هذا هو الجهل المبين وفي المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم الاثنين الى يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له وهي ساعة فاضلة فالآثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم فكيف يدعى فيه التحذير والنحس بأحاديث لاأصل لها وقد صوّر قوم أياما من الاشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لايحل لمسلم أن ينظر اليها ولايشغل بالا بها حسبهم الله انتهى * ومنها وكان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الامام دانشمند من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى * ومن شعر ابن العربي مما نسبه له الشيخ أبو حيان قوله

ليت شعري هل دروا * أي قلب ملكوا

وفؤادي لو درى * أي شعب سلكوا

أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا

حار أرباب الهوى * في الهوى وارتبكوا

(ومن فوائده) أخبرني المهرة من السحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سحرنا قال هكذا قالوا والله تعالى أعلم بما نقلوه * وقال رحمه الله تعالى حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبي الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر محمد بن أبي عامر بن حجاج الغافقي الاشبيلي) ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

لم يبق لي سؤل ولامطلب * مذصرت جارا للحبيب الحبيب

لاأبتغي شيأ سوى قربه * وها أنا منه قريب قريب

من غاب عن حضرة محبوبه * فلست عن طيبة ممن يغيب

الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب سروجه وأراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك مابقي سير يحيد به ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجاره ولما ألح هذا الفرس تحت أبرويز وقصر طلب الى النعمان في المعركة أن يحمله على فرسه المعروف باليحموم فأبى عليه وتجاهل به فعدمه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي الى أبرويز وقد حاطته الرجال وأشرف على الهلاك فأعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك انج على فرسي فان حياتك للناس خير من حياتي وأعطاه أبرويز فرسه شديدا فدعا عليه في جملة الناس ومضى أبرويز الى أبيه ففي ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائي

أعطيت كسرى ماأراد ولم أكن
لاتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الضبيب وقد بدت
مسوّمة من خيل ترك وديلم

فكافأه أبرويز بعد ذلك وعرف له ماصنع ولما سار أبرويز من الهزيمة الى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت في مثل هذه الحالة انجدت ففي خطب جرى بينه وبين أبيه فمضى أبرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام وبندويه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام

لا تسأل المغبوط عن حاله * جار كريم ومحل خصيب
العيش والموت هنا طيب * بطيبة لي كل شئ يطيب

وممن روى عنه هذه الابيات الاشرف بن الفاضل (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبي الحسن محمد بن أبي عبد الله بن عيسى بن محمد بن علي بن ذي النون الانصاري المالقي) من أشياخ ابي حيان لقيه ببلبيس من ديار مصر قال وأنشدني لشيخه أبي عبد الله الاستجي من قصيدة

ما للنسيم سرى يهب عليلا * أتراه يشكو لوعة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتي * فأتى يجر من السقام ذيولا

وأنشد رحمه الله تعالى لرضوان المخزومي

ان كنت يوسف حسنا * وكنت عبد العزيز
فان يوسف من قبل كان عبد العزيز

وأخذ ابن ذي النون المذكور عن أبي عبد الله بن صالح وقرأ السبعة على أبي جعفر الفحام وأبي زيد القمارشي وعلى أبي جعفر السهيلي وولد ابن ذي النون سنة ٦١٨ بمالقة ومن تواليفه نفع المسك الاذفر في مدح المنصور بن المظفر وأزهار الخميلة في الآثار الجميلة واستطلاع البشير ومحض اليقين وروض المتقين * (ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون ٣) يكنى أبا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعي وأراده الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفى الرغبة في الدنيا وأرسل الى زياد فأمنه حتى رجع الى داره ويحكى انه لما أراده للقضاء كلمه الوزراء في ذلك عن الامير وعرفوه عزمه عليه فقال لهم اما ان أكرهتموني على القضاء فزوجتي فلانة طالق ثلاثا لئن أتاني مدع في شئ مما في أيديكم لاخرجنه منه ثم أجعلكم مدعين فيه فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه فعملوا عند الامير في معافاته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثي عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل الى مالك ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه الا أبوابا في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفي سنة اربع ومائتين وقيل سنة ١٩٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة ١٩٩ والاول أولى بالقبول والله تعالى أعلم ورحل في ذلك العصر جماعة من امثال شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم ممن رحل الى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان رائد الجماعة في ذلك شبطون وهو أول من أدخل موطأ مالك الى الاندلس مكملا متقنا فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر وهو اذ ذاك صدر في طلاب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك مادام حيا فرحل من عامه وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة الى يحيى ولقي أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقي أيضا عبد الله بن نافع المدني

ونظر في مسيره ذلك اليوم الى خاله وقد تأخر عنه فاستراب بهما وبمن انضاف اليهما ممن كان معهم فسألهما عن السبب فقالا لسنا نأمنين أن يدخل بهرام الى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأس ابنه وان كان أعمى ويصير هو الهرمزان وتفسير ذلك امير الامراء والروم تسمي صاحب هذه المرتبة الدمستق وفي كتاب بهرام عن أبيك هرمز الى قيصر ان ابني ابرويز وجماعة انضافوا اليه وثبوا علي وعملوا عيني فاحمله الي نعمل ما نصير عليه فيأتي عليه بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى أبيك وقتله فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك وأظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما فرجعا من فورهما ومن تسرع معهما الى المدائن وقد صاروا على اميال منها فدخلا على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقتهم خيل بهرام وكانت منهم حيلة في بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل وسار أبرويز في هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شئ خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له

٣ قوله المعروف بشبطون تقدم انه في نسخة بسطون وفي أخرى بشطون فليحرر اه

صاحب

صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلس أيام الحكم فانتشر به وبزياد وبعيسى بن دينار علم مالك بالاندلس رضى الله تعالى عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع فى الباب الثالث (ومنهم سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية) قرطبى حج ودخل البصرة ولقى الاصمعى ونظراءه وانصرف الى الاندلس وأدب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار حج أيضا ولقى أبا حاتم بالبصرة والرياشى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بقى بن مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التى لم يؤلف مثلها فى الاسلام ولقى مائتين وأربعة وثمانين شيخا وكانت له خاصة من الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وستأتى جملة مما يتعلق ببقى بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى الباب السابع وبقى على وزن على رحمه الله تعالى ورضى عنه وقد شرف ببقى بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب النبراس وغيره * (ومنهم قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البيانى) وبيانة من اعمال قرطبة وأصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغير واحد ورحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الاعلى سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلى بن عبد العزيز ودخل العراق فلقى من أهل الكوفة ابراهيم بن أبى العنبس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصار وسمع ببغداد من القاضى اسمعيل وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل والحرث بن أبى اسامة وكتب عن ابن أبى خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم فى آخرين وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمرى ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتى الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير فمال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا فى النحو والغريب والشعر وكان يشاور فى الاحكام وصنف على كتاب السنن لابى داود كتابا فى الحديث وسببه انه لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن وجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا فى السنن على أبواب كتاب أبى داود وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره فى المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وجعله باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسند الفان وأربعمائة وتسعون حديثا فى سبعة أجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وحكى القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ان قاسم بن أصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابى النمار فقال انما هو مجابى الثمار فقلت انما هو مجتابى

والجن والانس تجرى بينها البرد واسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه دخل هرمز فاحتوى على الملك ولحق ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو موريقش مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسئله النصرة على عدوه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من امواله والاحسان الى جنده وانه يؤدى اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط واهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم أقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ ومائدة من العنبر قطرها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بظلفه والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يمانى فاخر قطره شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أرفع ما يكون فحمل اليه مورى قيش ملك الروم الى ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائنى المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس

الثمار هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق فقال لى بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا ثم قال لى قم بنا الى ذلك الشيخ كان فى المسجد فان له بمثل هذا علما فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتنى الثمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم والثمار جمع ثمرة فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه رغم أنفى للحق وانصرف انتهى وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى ورضى عنهما ونفعنا بهما *(ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفى السرقسطى) رحل مع أبيه فسمع بمصر من احمد بن شعيب النسائى وأحمد بن عمر البزار وبمكة من عبد الله بن على بن الجارود ومحمد بن على الجوهرى واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فادخلا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما أول من أدخل كتاب العين الى الاندلس وألف قاسم فى شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية فى الاتقان ومات قبل اكماله فاكمله ابن ثابت بعده وقد روى عن أبى على البغدادى انه كان يقول كتبت كتاب الدلائل وما أعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما فى معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا واريد على القضاء بسرقسطة فأبى ذلك فأراد أبوه اكراهه عليه فسأله أن يتركه ينظر فى امره ثلاثة ايام ويستخير الله تعالى فمات فى هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا لنفسه بالموت وكان مجاب الدعوة توفى سنة ٣٠٢ بسرقسطة رحمه الله تعالى *(ومنهم علم الدين أبو محمد المرسى اللورقى وهو قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر) العلامة المقرى الاصولى النحوى ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبى جعفر الحصار وابى عبد الله المرادى وابى عبد الله بن نوح الغافقى وقدم مصر فقرأ بها على ابى الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندى وسمع ببغداد من ابى محمد بن الاخضر وأخذ العربية عن ابى البقاء ولقى الجزولى بالمغرب وسأله عن مسئلة مشكلة فى مقدمته فاجابه وبرع فى العربية وفى علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ ذلك ويحققه واقرأ بدمشق ودرس وشرح المفصل فى النحو فى اربع مجلدات فاجاد وافاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزة موطأ الاكناف قرأ عليه جماعة وتوفى سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمرا مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاول أصح *(ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار أبو محمد) من اهل قرطبة وجده مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزنى والبرقى والحرث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به وبالمزنى وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل الى مذهب الشافعى ولما قال له ابنه محمد بن القاسم يا ابت اوصنى قال اوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك منه واقرأ منه كل يوم جزأ واجعل ذلك عليك واجبا وان اردت ان تأخذ من هذا الامر بحظ يعنى الفقه فعليك برأى الشافعى فانى رأيته اقل خطأ قال ابو الوليد بن الفرضى ولم يكن بالاندلس مثله فى حسن النظر والبصر بالحجة وقال احمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة ما رأينا افقه من قاسم بن محمد فيمن دخل الاندلس من اهل الرحلة وقال اسلم بن عبد العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا من الاندلس احد أعلم

وغيرهم من الاجناس المجاورة لملك الروم على رؤسهن اكاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية وحملها اليه مع أخيه سدوس واشترط ملك الروم على أبرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تتزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم ولا تزوجها لانهم أحرار وانجاد وللفرس فى هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها فكانوا يقفون عن دلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسى ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد أذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر وانضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جور ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره والتقى الجيشان جميعا فوجهت على بهرام فانكشف فى نفر من أصحابه وانتهى الى أطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى مملكته هو ومن معه من أصحابه وأخته كردية وكانت فى الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول فى كثير من

من

من قاسم بن محمد ولقد عاتبته في حين انصرافه الى الاندلس وقلت له اقم عندنا فانك تعتقد ههنا رياسة ويحتاج الناس اليك فقال لا بد من الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لي احمد بن صالح الكوفي قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرايت رجلا فقيها وألف رحمه الله تعالى كتابا نبيلا في الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبي يدل على علمه وله كتاب في خبر الواحد وكان يلي وثائق الامير محمد طول ايامه روى عنه ابن لبابة وابن أيمن والاعناقي وابنه محمد بن قاسم في آخرين توفي سنة ست او سبع او ثمان وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو بكر الغساني وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود) من اهل المرية قدم الى مصر ولقي بها ابا بكر الطرطوشي ثم عاد الى بلده وشوور واستقضي بمرسيه مدة طويلة ثم صرف وسكن مراكش * قال ابن بشكوال توفي بمراكش في رجب سنه ٦٣٦ وقال ابو جعفر بن الزبير ان له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون) من أهل وادي الحجارة قال ابن الفرضي سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق تردد هنالك نحوا من خمس عشرة سنة وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقي جماعة من اصحاب الامام أحمد بن حنبل منهم عبد الله بن أحمد وسمع بمصر من الخفاف النيسابوري وابراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصيصية والقيروان وكان اماما في الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله أبصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك وممن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد بن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق انسانا لكان ابن حيون وكان يزن بالتشيع لشئ كان يظهر منه في حق معاوية رضي الله تعالى عنه وكان شاعرا وتوفي بقرطبة سنه ٣٠٥ سامحه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن غالب المالقي) قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من أبي الحسن بن المقدسي وكان فاضلا رأيت بخطه اجازة بمصر لبعض المصريين في رجب سنة ٦٠٤ وسمع بمصر شيأ من الخلعيات قال ابن فرتون الفاسي في ذيل تاريخ الاندلس روى بمالقة ورحل الى المشرق وحج ولقي أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي وأخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عمن أجيز له ما فاته من الكتاب من تأليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفي في أقصى بلاد السوس في حدود سنة ٦٤٥ رحمه الله تعالى * (ومنهم اليقوري وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) مصنف كتاب اكمال الاكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب الشهاب القرافي في الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد زرت قبره مرارا قال الحافظ المقريزي واليقوري نسبة الى يقورة بياء آخر الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس انتهى (ومنهم أبو عبد الله الانصاري وهو محمد بن ابراهيم بن موسى ابن عبد السلام) ويعرف بابن شق الليل من أهل طليطلة سمع بمصر أبا الفرج الصوفي وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد بن النحاس وأبا القاسم بن ميسرة وأبا الحسن بن بشر وغيرهم

حربه ومضى كسرى ابرويز الى دار مملكته وأمر لجنوده بالاموال والمراكب والكساوى وكافأهم على ما كان منهم في معونته وحمل اليه الملك ألف دينار وزن ذلك بهدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز في قتل بهرام في أرض الترك فقتل هناك غيلة وذكر أن رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذي كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسي فنصب على باب ابرويز في رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار في الطريق مع ابن خاقان وكاتبها ابرويز في قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد في أخبار بهرام جوبين وما كان من مكائده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جوار بها وعلا بها وقد خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز الغالب عليه والمدبر لامره بزرجمهر

وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة * قال ابن بشكوال وكان فقيها عالما واماما متكلما حافظا للفقه والحديث قائما بهما متقنا لهما الا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان أغلب عليه وكان مليح الخط جيد الضبط من أهل الرواية والدراية والمشاركة في العلوم وكان أديبا شاعرا مجيدا لغويا دينا فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام في تأليفه وله عناية باصول الديانات واظهار الكرامات توفي بطليرة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٠٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولي العارف بالله سيدى أبو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي) شيخ السالكين وامام العارفين وقدوة المحققين قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من اعلام الزهاد وكان يقول صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم باربعة الشيخ أبو الربيع والشيخ أبو الحسن بن طريف والشيخ أبو زيد القرطبي والشيخ أبو العباس الجوزى وسلك على يده جماعة منهم الشيخ أبو العباس القسطلانى فانه أخذ عنه كلامه وجمعه في جزء وخرج سيدى أبو عبد الله القرشي من مصر الى بيت المقدس فأقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذى الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ودفن هنالك وقبره ظاهر يقصد للزيارة زرته أول قدماتي على بيت المقدس سنة ١٠٣٨ ومن كلامه من لم يدخل في الامور بلطف الادب لم يدرك مطلوبه منها وقوله العاقل يأخذ ما صفا ويدع التكلف فانه تعالى يقول وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة وقال سمعت الشيخ أبا اسحق ابراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها لى فانه بلغنى انها فداء كل مؤمن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له ثم حكى عن شيخه أبى زيد القرطبي ما حكاه السنوسى عنه في أواخر شرح صغراه وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كون ماذكر حديثا ولعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف ونحوه والله تعالى أعلم وقال رحمه الله تعالى دخلت على الشيخ أبى محمد عبد الله المغاورى فقال لى أعلمك شيأ تستعين به اذا احتجت لشئ فقل يا واحد يا أحد يا واحد يا جواد انفعنا منك بنفحة خير انك على كل شئ قدير قال فأنا انفق منها منذ سمعتها وقال رحمه الله تعالى ما من حال ذكر في رسالة القشيرى الا وقد شاهدته نفسى وتزوج رحمه الله تعالى بنفساء حدثن عنه بكرامات ومنهن أم القطب القسطلانى وحكت انها خرجت عنه يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده في طبقته حس رجل فتوقفت وتفقدت الباب فوجدته مغلقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحده كما تركته وسألته عن ذلك فقال هو الخضر دخل على وفى يده حية فقال هذه حيتك جئتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك فقلت لا أريد اذهب أنت وحيتك لا حاجة لى بها ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدته بصيرا نقى الجسم من الجذام فلما نظرته قال لها أتريدين أبقى لك هكذا فقالت له يا سيدى كن كيف شئت انما مقصودى خدمتك وبركتك وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشياء واخباره بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال كلى أعين بأى عضو

أردت

من حكماء الفرس وهو برزجمهر بن البختكان فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما ادالك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه برزجمهر أما اذا كان معى الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلى فالآن اذ لا جد معى فقد أنتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر واغرى ابرويز ببرزجمهر فدعا به وامر بكسر انفه وفمه فقال برزجمهر في لأهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم يا عدو الله الخالف فقال لانى كنت اصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك وأقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك مالم تكن عليه اسمع منى يا شر الملوك نفسا واخبثهم فعلا وأسوأهم عشرة لا تقتلنى بالشك وترفع به اليقين الذى قد علمته منى بالتمسك بالشريعة من ذا الذى يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وامر به فضرب عنقه ولبرزجمهر في ايدى الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير في الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بجبرادنوس الوزير الثانى وكانت مرتبته دون مرتبة برزجمهر فلما راى برزجمهر

اردت ان انظر به نظرت وقال هممت ان أدعو برفع الغلاء فقيل لى لاتدع فما نسمع لاحد منكم فى هذا الامر دعاء فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقانى رسول الله الخليل حين وردت عليه فقلت يارسول الله اجعل ضيافتى عندك أهل مصر فدعا لهم ففرج عنهم ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لايفى بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكره البركة وكفارة ماوقع فى هذا الكتاب من الاحماض والله المرجوّ فى العفو * ومن فوائده مانقله عن شيخه أبى الربيع المالقى انه قال ألا اعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال قل يا الله ياأحد ياواحد ياموجود ياجواد ياباسط ياكريم ياوهاب ياذا الطول ياغنى يامغنى يافتاح يارزاق ياعليم ياحى ياقيوم يارحمن يارحيم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحنان يامنان انفحنى منك بنفحة خير تغننى بها عمن سواك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود ياذا العرش المجيد يافعالا لما يريد اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك واحفظنى بما حفظت به الذكر الحكيم وانصرنى بما نصرت به الرسل انك على كل شئ قدير فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لايحتسب ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال دينا بكرمه واحسانه انتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلوى الاندلسى ومن خطه نقلت رحم الله تعالى الجميع ونقله اليافعى كما ذكر رحمه الله تعالى الا انه لم يقل فيه ياودود واتفقا فيما عدا ذلك والله سبحانه أعلم * وقال ابن خلكان فى حقه محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشى الهاشمى العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم يثنى عليه من بركته وذكروا عنه أنه وعد جماعة الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها صحت كلها وكان من السادات الاكابر والصدر الاول وهو مغربى صحب بالمغرب اعلام الزهاد وانتفع بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه او شاهده ثم سافر الى الشام قاصدا زيارة بيت المقدس وأقام بها الى ان مات وصلى عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك * والجزيرة الخضراء فى بلاد الاندلس مدينة تقابل سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير فان انتظار الصحة بطالة انتهى ببعض اختصار *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن أبى الحسين القرطبى) سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد وابن أبى الموال والباوردى وابن السكن فى آخرين وسمع بالرملة وبيت المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولى الشرطة ببلاد المغرب توفى سنة ٣٧٣ *(ومنهم أبو بكر الجيانى محمد بن على بن خلف التجيبى الاشبيلى الحافظ الكاتب) روى عن ابن الجد وغيره وم بمصر حاجا فلقى بمكة أبا حفص الميانشى وأبا الحسن المكناسى ولقى بالاسكندرية السلفى وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقه فقيها جليلا متقدما

قتيلا اسف عليه وعلم انه لاينجو فأغلظ لابرويز فى الكلام فأمر به فقتل واغرق فى دجلة فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وتدبير الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها وحملها على مالم تكن تعهده واوردهم الى مالم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فاقوس فيمن اتبعه على موريقش ملك الروم حموا برويز ومجده فقتلوه وملكوا موادس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش وكانت له فى ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكية فكانت له مع الروم وابرويز اخبار ومكاتبات وحيل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهريار وقدم خزائنه فى البحر فى الف مركب فالقتها الريح الى ساحل انطاكية فغنمها شهريار وحملها الى ابرويز فسميت خزائن الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهريار ومايل شهريار ملك الروم فسير شهريار نحو العراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز فى كتب كتبها مع بعض اساقفة النصرانية ممن كان فى ذمته حتى رده الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قد اتينا

فيه عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ وذلك انه
وشي به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث *(ومنهم أبو بكر الاندلسي
الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري) سافر من بلده ودخل ديار مصر
والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقي أئمتها وتفقه ببخارى حتى تمهر في المذهب
والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدة
وعاد الى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فحج ورجع الى الشام واستوطن حلب
الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا صدوقا حافظا عالما بالحديث وفيه فضل ولد بجيان
سنة ٤٩٢ ومات بحلب سنة ٥٦٣ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان
الغرناطي) كان حسن السمت بارع الخط والخلق والخلق رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود
سنة ست وستمائة فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان عدلا
فاضلا على خير ودين وكان محترفا بالتجارة بغرناطة ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص
بعدما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة رحمه الله
تعالى *(ومنهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الاندلسي
الاشبيلي النحوي ولد سنة ٦١٧ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها
وكان اماما عالما بالنحو بارعا فاضلا كتب عنه أبو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم وناهيك
بهما علما *(ومنهم أبو بكر بن عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن علي بن هذيل البلنسي)
رحل وسمع من السلفي وحج قال أبو الربيع بن سالم هو شيخ صدوق متيقظ سمع اباه وابا الوليد
ابن الدباغ وبابا الحسن بن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة واخذ بمكة سنة ٥٣٩ عن ابي
علي الحسن المقرى وقفل الى الاندلس سنة ٥٤٦ فاخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال ابن
الابار وكان غاية في الصلاح واعمال البر والورع توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٤٨
ومولده سنة سبع او تسع عشرة وخمسمائة وله حظ من علم التعبير واللغة رحمه الله تعالى
*(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي الانصاري ناصر الدين)
روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات
بها سنة ٧٠٣ وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب الظاهرية وانتفع
به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن
يحيى بن علي الشامي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر حاجا وأقام بمكة والمدينة وكان اماما فاضلا
عالما متفننا في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقرآت ونظم ونثر ومع معرفته بمذهب
مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطا بتونس من أبي محمد بن هرون القرطبي
ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن شعره رضي الله تعالى عنه

اذا كنت جار النبي وصحبه * ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني أن فاتني رغد عيشة * وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي

وقوله

نزيل الكرام عزيز الجوار * واني نزيل عليكم وجار

وسلم هذا اول يوم انتصفت
فيه العرب من العجم
ونصرت عليهم بي وكانت
وقعة ذي قار ايام اربعين
من مولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بمكة بعد
ان بعث وقيل بعد ان
هاجر وفي رواية اخرى انها
كانت بعد وقعة بدر باشهر
ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة وكانت هذه
الوقعة بين بكر بن وائل
والهامرز صاحب كسرى
ابرويز وقد اتينا على هذه
الاخبار على الشرح
والايضاح في الكتاب
الاوسط فاغنى ذلك عن
ايراده في هذا الموضع وفي
ايام ابرويز كانت
حوادث تنذر بالنبوة
وتبشر بالرسالة وانفذ
ابرويز عبد المسيح بن بقيلة
الغساني الى سطيح الكاهن
فاخبره برؤيا الموبذان
وارتجاج الايوان وغير
ذلك من اخبار فيض وادي
السماوة وما كان من بحيرة
ساوة وكان لابرويز تسعة
خواتم تدور في امر الملك
منها خاتم فصه ياقوت احمر
نقشه صورة الملك وحوله
مكتوب صفة الملك وحلقته
ماس ذكر يختم به الرسائل
والسجلات والخاتم الثاني
فصه عقيق نقشه خراسان خره حلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس

حلت ذراك وأنت الكريم * ومن حل مثوى كريم يجار

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي) قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها وكان عالما وله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها منها قوله

وطاعة من اليه الامر فالزم * وان جاروا وكانوا مسلمينا
فان كفروا ككفر بني عبيد * فلا تسكن ديار الكافرينا

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة ٤٨٥ ووصفه بالعلم وعمار بالراء *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي الحافظ) روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وأبي جعفر التميمي وأبي محمد الباجي وقدم مصر وحج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام وأفتى بها وافتخر بذلك على أصحابه وقال لقد شوورت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان شواره ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وكان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم عارفا بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء ذاكرا للروايات يحفظ المدونة والنوادر لابن أبي زيد ويوردهما من صدره دون كتاب قال ابن حيان مؤرخ الاندلس توفي الفقيه المشاور الحافظ المستبحر الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع الاول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل في جنازته عظيما وعاين الناس فيها آية من ظهور أشباه الخطاطيف بها تخللت الجمع رائفة فوق النعش لم تفارق نعشه الى ان ووري فتفرقت ومكث مدة ببلنسية معظما عظيم القدر عند السلطان والعامة وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القبسي خبر الطير قال وكان سنه نحو الثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته الاجابة وقال أبو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ودفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العاملين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمروس القرطبي) سمع على ابن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر فأخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحج ودخل العراق وسمع من أبي بكر الابهري والدارقطني وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحتساب بقرطبة فحدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المغافري المعروف بالاعشى القرطبي) رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحا عاقلا سريا جوادا يذهب الى مذهب أهل العراق وتوفي سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد) قال الحميدي في حقه هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ قال ابن الفرضي كان شيخنا نبيلا ضابطا لكتبه ثقة في روايته

الفرح وحلقته ذهب يختم به السترايك والكتب في التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو احسن ما يكون من الحمرة واصفاها واثمنها نقشه حزم وعزم أي بحزم وسعادة حاشاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلي والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشي والخاتم السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب فصه بادزهر والخاتم الثامن فصه جماهن نقشه راس خنزير يختم به اعناق من يؤمر بقتله وما يصدر من الكتب في الدماء والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابرن وكان على مربطه خمسون الف دابة وسروج ذهب مكلله بالدر والجوهر على عدد ما لم كابه من الخيل وكان على مربطه الف فيل منها اشهب اشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثناعشر ذراعا وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه

هذا القدر واكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة أذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ في اثمان ما عظم من الفيلة

ران نعم من الارض وقد يكون من ٥٢ م الوحشية في ارض الزنج ماهو اعظم سمكا مما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ما تحمل

صدوق في حديثه وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات في شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي) من موالي بني أمية سمع من أبيه ومن بقي بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائي ومن أحمد بن حماد زغبة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلا قال أبو محمد الباجي لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما في علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا وسمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزا سنة ٣٢٧ ومات ثالث ذي الحجة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفي سنة ٣٢٨ قاله ابن يونس والحميدي *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشي الفهري) عرف بابن رمان الغرناطي قرأ على أبي جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٢٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ ومن شعره قوله

فديتم خبروني كيف صحت * فريضتها الثلث من غير مين
لزوجة ولها ابن ام * هلكت عنهما الاعيرذين
فزال بعل ما تركته ارثا * وولي غيره صفر اليدين
ولا رق فديت على أخيها * وليس بكافر يرمى بشين
وليس مجللا ارثا بقتل * مخافه أن ينال شقاوتين

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبي) حدث بالقاهرة وتوفي قريبا من سنة ٦٤٠ وهو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يأت تضييع للوقت الذي أنت فيه ولعمري لقد صدق *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سراقة الشاطبي ابن محمد بن ابراهيم ابن الحسين بن سراقة محيي الدين ويكنى ايضا أبا القاسم وأبا بكر الانصاري الشاطبي المالكي) ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبي القاسم بن بقي ورحل في طلب الحديث سمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السهروردي وأبي طالب الغيطي وابي جعفر الدينوري وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة ٦٤٢ و بقي بها الى أن توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا وهو أحد الائمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل وأحد مشايخ الصوفية له في ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعاني الشعر وكان صالح الفكرة في حل التراجم مع ما جبل عليه من كرم الاخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب ومن شعره قوله

نصبت ومثلي للمكارم ينصب * ورمت شروق الشمس وهي تغرب
وحاولت احياء النفوس باسرها * وقد غرغرت يا بعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم يعط الخلق راحة * وغيري ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادي شئ والمقادير غيره * ومن عاند الاقدار لاشك يغلب

وقوله

الى كم أمني النفس مالا تناله * فيذهب عمري والاماني لا تقضي

من قرونها المسماة بالانياب ... وزن الناب خمسون ومائة من الى المائتين والمن رطلان بالبغدادي وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل وقد كان ابرويز خرج في بعض الاعياد وقد صفت له الجيوش والعدد والسلاح وفيما صف له الف فيل وقد أحدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها وبسطها الخراطيم حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية فلما بصر بذلك ابرويز أسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم أجسامها ومعرفتها وحسن طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وان غيرها من الدواب لا يفهم شيأ من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الفصول في اخبار الفيلة وما قالته الهند

وغيرهم في ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسملت عيناه وقتل وقد

وقد مرّ لي خمس وعشرون حجة * ولم أرض فيما عشتني في أرضي
وأعلم أني والثلاثون مدتي * حريّ بأني اللهو أوسعها رفضا
فادا عسى في هذه الخمس أرتجي * ووجدي الى أوبٍ من العشر قد أغضى
فيارب عجّل لي حياة لذيذة * والافبادر بي الى العمل الأرضي

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يمحو * صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجميل مني * كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازي

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره ببالي
لم يحص الا القبيح مني * كأنه كاتب الشمال

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن احمد الفريشي) بكسر الفاء وتشديد الراء المهملة بعدها شين معجمة نسبة الى فريش احدى مدائن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على أبي القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى أبي القاسم بن بشكوال وغيره وسمع بمكة وحدث بمصر وعاد الى الاندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهورا بالصلاح معروفا باجابة الدعاء ورعا ثقة زاهدا فاضلا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون) أندلسي سكن القيروان ورحل الى المشرق واخذ القرا آت بمصر عن محمد بن سعيد الانماطي وغيره كعبد الله بن رجاء وأبي الحسن بن اسمعيل بن يعقوب الازرق المدني ودخل العراق وسمع به من أصحاب علي بن المدني ويحيى بن معين وعاد الى القيروان وسمع بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه أهل القيروان من الآفاق وكان ياخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش وتوفي بشعبان سنة ٣٠٦ وكان رجلا صالحا فاضلا كريم الاخلاق اماما في القرا آت مشهورا بذلك ثقة مأمونا واحد أهل زمانه وأثبتهم في علم القرآن رحمه الله تعالى *(ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسي الاندلسي المالقي) ولد بمالقة سنة ٥٦٢ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد دينا خيرا فاضلا له مشاركة جيدة في عدة علوم توفي شابا بالقاهرة سنة ٦٦٢ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر محمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي) ولد بها سنة ٥٢٩ وقدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره وروى عنه جماعة وكان أحد رجال الكمال علما وادراكا وفصاحة وحفظا للفقه وتفننا في العلوم ومتانة في الادب حافظا للغة والغريب وله شعر رائق ودين متين وأخذ الناس عنه ببلده ومرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة في اجتيازه عليها وبغيرها من البلاد وعلا صيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان أبو الخطاب يثني على علمه ودينه توفي ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق)* القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف

ثمانيا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده) ولده قباذ المعروف بشيرويه القابض على ابيه والجاني عليه والقاتل له والفرس تسميه المشؤم وفي أيامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه ما ئتا الف من الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة اشهر وقيل اقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه شيرويه اخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولي عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع أبرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها آزرمي دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز) وقيل انه ابن لابرويز كان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل في الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا (ثم ملك رجل) من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الاثيم يقال له فيروز خشنس فكان

المشهورة وقال ابن ماكولا في حقه انه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس وصنف الى أن مات وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال غير واحد انه ولد سنة ٤٠٣ وارتحل سنة ٤٢٦ وجاور ثلاثة أعوام ملازما لابي ذر الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد ودمشق ولقي في رحلته غير واحد وتفقه بالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره وقال أبو علي بن سكرة ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي وما رأيت أحدا على هيئته وسمته وتوقير مجلسه ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضي القضاة الشاشي فقلت له أدام الله تعالى عزك هذا ابن شيخ الاندلس فقال لعله ابن الباجي فقلت نعم فأقبل عليه قال القاضي عياض وكثرت القالة في القاضي أبي الوليد لمداخلته الرؤساء وولي قضاء أماكن تصغر عن قدره وكان يبعث الى تلك النواحي خلفاءه وربما أتاها المرة ونحوها وكان في أول أمره مقلا حتى احتاج الى القصد بشعره واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وقد جمع ابنه شعره قال ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا أنه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه في ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره باجازة الكتب على الرسول الامي صلى الله عليه وسلم وانه تكذيب للقرآن فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى اثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما اتى به وتكلم به خطباؤهم في الجمع وقال شاعرهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فصنف ابو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة اذ ليس من عرف ان يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة من الملوك قد ادمنوا على كتابة العلامة وهم اميون والحكم للغالب لا للصور النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انا امة اميون اي اكثرهم كذلك لندور الكتابة في الصحابة وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم انتهى وبعضه بالمعنى وذكر ابن بسام ان ابا الوليد الباجي نشأ وهمته في العلم وانه بدأ بالادب فبرز في ميادينه وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل الرغائب ثم رحل فما حل بلدا الا وجده ملآن بذكره نشوان من فهو في نظمه ونثره فمال الى علم الديانة فمشى بقياس وبنى على اساس حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه ويرتاحون للاخذ عنه ثم كر واستقضي في طريقه بحلب فاقام بها نحوا من عام قال وبلغني عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب الا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسديد الى معرفة التوحيد وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج وكتاب احكام الفصول في أحكام الاصول وكتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان نسخة سماها الاستيفاء ثم انتقى منها فوائد سماها المنتقى في سبع مجلدات وهو احسن كتاب

ملكه شهرين (ثم ملكت ابنة لكسرى) أبرويز يقال لها آزرمي دخت فكان ملكها سنة وأربعة أشهر (ثم ملك فرخزاد خسرو) ابن كسرى ابرويز وهو طفل فكان مدة ملكه شهرا وقيل أشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار) بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية وكان ملكه الى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك في مقدار ملكه وخبر مقتله (قال المسعودي) وذهب الاكثر من الناس ممن عني باخبار الفرس وايامهم الى أن جميع من ملك من آل ساسان بن أردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت في بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الاول وهم الفرس الاول من كيومرث الى دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهي جمانة بنت بهمن واورا سياب التركي وسبعة عشر رجلا الف

الف في مذهب مالك لانه شرح فيه احاديث الموطا وفرع عليها تفريعا حسنا وافرد منه شيأ سماه الايماء وقال بعضهم انه صنف كتاب المعاني في شرح الموطا فجاء عشرين مجلدا عديم النظير وكان ايضا صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء في الفقه خمس مجلدات انتهى ومن تصانيفه مختصر المختصر في مسائل المدونة وله كتاب اختلاف الموطآت وكتاب الاشارة في اصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين وكتاب التفسير لم يتمه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لمسائل المهتدين في اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج في الخلاف ولم يتم وغير ذلك وحج الباجي رحمه الله تعالى أربع حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازما لابي ذر بن احمد الهروي وكان يسافر معه للسروات لان اباذر تزوج من العرب وسكن بها وأبو ذر المذكور هو عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الانصاري المالكي ويعرف بابن السماك سمع بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف قال الخطيب قدم أبو ذر بغداد وأنا غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج في العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال الحسن بن بقي المالقي حدثني شيخ قال قيل لابي ذر من أين تمذهبت بمذهب مالك ورأي الاشعري مع انك هروي فقال قدمت بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطني فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الدارقطني وقبل وجهه وعينيه فلما افترقنا قلت من هذا قال هذا امام المسلمين والذاب عن الدين القاضي أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكررت اليه وتمذهبت بمذهبه انتهى قلت هذا صريح في ان القاضي أبا بكر الباقلاني مالكي وهو الذي جزم به غير واحد ولذا ذكره عياض في المدارك في جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام أبو الحسن الاشعري مالكي المذهب فيما ذكره غير واحد من الأئمة وذكر بعض الشافعية انهما شافعيان والله تعالى أعلم * وقال عبد الغافر في تاريخ نيسابور كان أبو ذر زاهدا ورعا عالما سخيا لا يدخر شيأ وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه في التصوف خرج على الصحيح تخريجا حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفي سنة ٤٣٥ وقال أبو علي بن سكرة توفي عقب شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب في ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين رحمه الله تعالى وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب اما من رواية الباجي عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المذكور واما من رواية أبي علي الصدفي الشهير المعروف بابن سكرة بسنده واعلم أن هراة المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التي وراء النهر نظيرة بلخ وانما هي هراة بني شيبانة بالحجاز وبها كان سكنى أبي ذر والله تعالى أعلم * (رجع الى القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى) ثم انه اعني الباجي قدم بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولقي بها عدة من العلماء كابي الطيب الطبري والامام الشهير أبي اسحق الشيرازي والصيمري وابن عمروس المالكي وأقام بالموصل سنة مع أبي جعفر السمناني يأخذ عنه علم الكلام فبرع في الحديث وعلله ورجاله وفي الفقه وغوامضه وخلافه وفي الكلام ومضايقه وتدبج مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر رضي الله تعالى عنهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف

وعدد ملوك الطوائف الذين قد منا ذكرهم في مقتل دارا بن دارا الى أن ظهر أردشير ٥٠٠٣ بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعر والران ومن أجلهم سمي سابور ملوك الطوائف الاشغان فجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بني آدم على ماذكرت الفرس الى يزدجرد ابن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزدجرد ثمانون ملكا ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة في التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سني الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرث الى انتقال الملك الى منوشهر ألف وتسعمائة واثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة أربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك في الموضع المستحق

وممايعتز به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأحمد بن علي بن غزلون وأبو بكر الطرطوشي وأبو علي بن الحسين السبتي وأبو بحر سفيان بن العاصي وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه وتهيأت الدنيا له وعظم جاهه وأجزلت له الصلات فمات عن مال وافر وترسل للملوك وولي القضاء بمواضع رحمه الله تعالى * وأما ما تقدم عن القاضي أبي الوليد الباجي من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض والصواب خلافه قال القاضي أبو الفضل عياض حدثني محمد بن علي المعروف بابن الصيقل الشاطبي من لفظه قال حدثني أبو الحسن بن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر ممن لازم الباجي وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بيده ثم حديث المقاضاة في الحديبية على ماجاء في ظاهر بعض رواياته ويجب به وكنت أنكر ذلك عليه واما كان بعد مدة أتاني زائرا على عادته وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه فتحدث له قشعريرة وهيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويميد ولايستقر فيعتريه منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينتحله ماليس له باصل أو لعله يفتري عليه فسألني بالله من أين قلت هذا قلت له من قول الله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه الى قوله تعالى ولدا فقال لي الله درك ياسيدي وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويبكي مرة ويضحك أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها شبه ذلك بعقب تأويلك قال انه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا الا أني أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول أنا تائب يارسول الله وأكرر ذلك مرارا وأرى القبر قد عاد الى هيأته أولا وسكن فاستيقظت ثم قال لي وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعليه ألقى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان فاشكره كثيرا انتهى وقال ابن الأبار حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع ابن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور وقراءة عليه عن القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن أبي الحسن طاهر بن مفوز قال كان أبو محمد الى آخرها وهي أتم من هذه انتهى * (رجع الى الباجي) ذكر أبو العرب عبد الوهاب البقشاني بسنده الى القاضي أبي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لنقلتني الذر من الظل الى الشمس أو ماهذا معناه انتهى * (ومن فوائد الباجي) انه حكى ان الطلبة كانوا ينتابون مجلس ابي علي البغدادي واتفق انه كان يوما مطر ووحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال واتيانه في تلك الحال انشده

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم * وعانق المجد من وافى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

انتهى

من هذا الكتاب دون ذكر العباس لانا قد أوردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الامويين والعباسيين ترجمته بذكر التاريخ الثاني وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة أجناس الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال لهم الجداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرث الى افريدون هم كيان من افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشغان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في اخبار الفرس الذي رواه عن كسرى ان الفرس طبقات اربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوستاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباذ الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سميا هم ملوك الاجتماع وهم الساسانية اولهم اردشير بن بابك ثم سابور ثم اردشير هرمز نرسي بن هرمز هرمز بن نرسي

وروى عن القاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله تعالى الخطيب البغدادي قوله رحمه الله تعالى

اذا كنت اعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح لكوننا نقلنا كلامه بلفظه رحمه الله تعالى ورضي عنه وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى ما صورته بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي ينجلي به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذي تقتبس أنواره وتنتجع نجوده وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن في اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بلح طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الا تخاض لجه وبحرا لا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا وبدا بافقه ملتاحا وهنالك ظهرت تواليفه وأوضاعه وبدا وخده في سبل الهدى وايضاعه وكان المقتدر يباهي بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله في مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقف على ذاته ولا يصرف في رفث القول وبذائه (فمن ذلك) قوله في معنى الزهد

اذا كنت أعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

وله يرثي ابنيه وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظري الدهر وساحري النظم والنثر

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها في السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظري وتبوآ * فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقر بعيني أن أزور ثراهما * وألصق مكنون الترائب بالترب
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني * سأنجد من صحب وأسعد من سحب
فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسي الى البارد العذب
أحن ويثني اليأس نفسي عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمدا

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبي محمد * ولرزؤه أدهى لدي وأعظم
فلقد علمت بأنني بك لاحق * من بعد ظني أنني متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطري * متصرفا في صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم

بهرام بن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباذ بن فيروز انوشروان ابن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباذ فيروز خشنس آزرمي دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعد ان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في أعدادهم واسمائهم فاوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين وقد اتينا على اخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في اعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من احوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم وأعداد ملوكهم ولمع من بعض أخبارهم وكذلك ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها في خواصها وعوامها وأنساب أصحاب خيل الملك ومن

وبكل أرض لي من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم
فاذا دعوت سواك حاد عن اسمه * ودعاك باسمك معول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قد سنها * لاولي النهى والحزن قبل متمم انتهى

ولعمري انه لم يوف القاضي أبا الوليد الباجي حقه الواجب المفترض ووددت أنه مد النفس في ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من سلم له ومن اعترض فان ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا وأفصح روية وارتجالا وبالجملة فهو أحد الاعلام بالاندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي وذكره ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان وغير واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وسمع بها واجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى أن فشا علمه وتهيأت له الدنيا وشهرته تغني عن وصفه ومن نظمه قوله

ما طال عهدي بالديار وانما * أنسى معاهدها أسى وتبلد
لو كنت انبأت الديار صبابتي * رق الصفا بفنائها والجلمد

وله في المعتضد عباد والد المعتمد

عباد استعبد البرايا * بانعم تبلغ النعائم
مديحه ضمن كل قلب * حتى تغنت به الحمائم

ومن أشهر نظمه قوله اذا كنت اعلم البيتين وقد سبقا * وممن ذكره ايضا الحجاري في المسهب وابن بشكوال في الصلة وانه حج اربع حجج رحمه الله تعالى وتوفي في المرية لاحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنه اربع وسبعين واربعمائة ومن تواليفه المنتقى في شرح الموطا ذهب فيه مذهب الاجتهاد وايراد الحجج وهو مما يدل على تبحره في العلوم والفنون ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف احزابا مفترقة فمشى بينهم في الصلح وهم يجلونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ويستبردون نزعته ولم يفد شيأ فالله تعالى يجازيه عن نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فافحمه قال عياض قال لي اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفي يده اثر المطرقة الى ان فشا علمه ونوهت الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان في ترسلهم ويقبل جوائزهم وولي القضاء بمواضع من الاندلس * (وابن حزم المذكور) هو ابو محمد بن حزم الظاهري قال ابن حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب وثبت عليه الى أن مات وكان له تعلق

بالادب

كان على حين كل ملك منهم في الحروب وأنساب حكمائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك في أعصارهم وأنساب المرازبة وذكر أولاد الضيعات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب أنسابهم وتفرق أعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التي شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون في أهل السواد الى وقتنا هذا وأشرف السواد هذه الابيات الثلاثة من الشهارجة الذين شرفهم اردشير وجعلهم أشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد الشهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فروال بن سيامك بن مرس بن كيومرث الملك وكان لوهكرت عشرة بنين فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من دهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرناه وله خمس وثلاثون سنة وخلف من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسهاوبرادوز وأكثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوي الدراية كما وصفنا (قال المسعودي)

بالادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفى بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة قال صاعد فى تاريخه كان ابن حزم أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار اخبرنى ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبى قال الذهبى وهو العلامة ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموى مولاهم الفارسى الاصل الاندلسى القرطبى الظاهرى صاحب المصنفات واوّل سماعه سنة ٣٩٩ وكان اليه المنتهى فى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالى رحمه الله تعالى وجدت فى اسماء الله تعالى كتابا لابى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسيج وحده لولا ماوصف به من سوء الاعتقاد والوقوع فى السلف الذى أثار عليه الانتقاد سامحه الله تعالى * وذكر الذهبى أن عمره اثنتان وسبعون سنة وهو لاينافى قول غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر لانه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقى من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب وتوفى ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التأليف ومن جملة تآليفه كتاب الفصل بين أهل الاهواء والنحل وكتاب الصادع والرادع على من كفر اهل التاويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد وكتاب شرح حديث الموطا والكلام على مسائله وكتاب الجامع فى صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها وكتاب التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لانص عليها فى الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة مالايعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة فى سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب أخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب كشف الالتباس مابين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس انتهى * وقال ابن سعيد فى حق ابن حزم ماملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد على ابن الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسى وشهرته تغنى عن وصفه وتوفى منفيا بقرية من بلده لبلة ووصله من ابن عمه أبى المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة وهى سمعت وأطعت لقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وأسلمت وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا ممن تعرض لاذاك اعراضك عنه وأقول

تتبع سواى امرأ يبتغى * سبابك ان هواك السباب
فانى أبيت طلاب السفاه * ونزهت عرضى عما يعاب
وقل مابدالك من بعد ذا * واكثر فان سكوتى خطاب

فاذ قد ذكرنا جوامع من اخبار الفرس وطبقاتهم فلنذكر الآن ملوك اليونانيين ولمعا من أخبارهم وتنازع الناس فى بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولى التوفيق برحمته ورضوانه

(ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وماقاله الناس فى بدء أنسابهم)

(قال المسعودى) تنازع الناس فى فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد أوراس بن ياوان ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم فى الزمان الاوّل واغنا وهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم فى السحية والمذهب فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت فى لغتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص فى اللسان من اليونانيين وأضعف فى ترتيب الكلام الذى عليه منح

وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وانه من ولد عابر بن شالخ وان أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى اقاصي بلاد المغرب فأقام هنالك وانسل في تلك الديار واستعجم لسانه ووارى من كان هنالك في اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كبير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك بأخبار نذكرها في بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا * وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا وان

وأقول

كما اني بذكر الناس لي وما ترى * ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكر

عدوي وأشياعي كثير كذاك من * غدا وهو نفاع المساعي وضائر

واني وان آذيتني وعققتني * لمحتمل ما جاءني منك صابر

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعيتها أنشدتني

تخنع زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

فاردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها بالله لا قطعتها الا بيده فأثبت على ظهرها ما يكون سببا الى صونها فقلت

نعقت ولم تدر كيف الجواب * وأخطأت حتى أتاك الصواب

وأجريت وحدك في حلبة * نأت عنك فيها الجياد العراب

وبت من الجهل مستصحبا * لغير قرى فأتتك الذئاب

فكيف تبينت عقبى الظلوم * اذا ما انقضت بالخميس العقاب

لعمري مالي طباع تذم * ولا شيمة يوم مجد تعاب

أبى لي المنى والظبا سخط * وأعلى الرضا والعوالي غضاب

وأقول

وغاصب حق أوبقته المقادر * يذكرني حاميم والرمح شاجر

غدا يستعير الفخر من خيم خصمه * ويجهل أن الحق أبلج ظاهر

ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني * برغمك ناه منذ عشر وآمر

تدل لي الاملاك حتى نفوسها * وأركب ظهر النسر والنسر طائر

وأبعث في أهل الزمان شواردا * تليهم وهي الصعاب النوافر

فان أتوفى أرض فاني سائر * وان أنأ عن قوم فاني حاضر

وحسبك أن الارض عندك خاتم * وأنك في سطح السلامة عاثر

ولا لوم عندي في استراحتك التي * تنفست عنها والخطوب فواقر

فاني للعلف الذي مرحافظ * وللنزعة الاولى بحاميم ذاكر

هنيئا لك ما لديه فاننا * عطية من تبلى لديه السرائر

(ومن شعر أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير)

أنا الشمس في جو العلوم منيرة * ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع * لجد على ما ضاع من ذكري النهب

ولي نحو آفاق العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب

فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب

فكم قائل أغفلته وهو حاضر * وأطلب ما عنه تجيء به الكتب

هنالك تدري أن للبعد قصة * وأن كساد العلم آفته القرب

فيا عجبا من غاب عنهم تشوفوا * له ودنو المرء من دارهم ذنب

وان مكاناضاق عنى لضيق * على انه فسح مهامهه سهب
وان رجالاضيعونى لضيع * وان زمانا لم أنل خصبه جدب

ومنها فى مدحه لنفسه

ولكن لى فى يوسف خيراسوة * وليس على من بالنبى ائتسى ذنب
يقول مقال الصدق والحق انى * حفيظ عليم ما على صادق عتب

وقوله

لا يشمتن حاسدى ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك
ذوالفضل كالتبر يلقى تحت متربة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية

دعونى من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذى * تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى * وينزل ان أنزل ويدفن فى قبرى

وقوله

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى * فقلبى عند كم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * لذا سأل المعاينة الكليم

وقوله

وذى عذل فيمن سبانى حسنه * يطيل ملامى فى الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم ترغيره * ولم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت فى اللوم فاتئد * فعندى رد لوأشاء طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى * على ما أرى حتى يقوم دليل

وهو أبو محمد على بن أبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبى قال ابنه أبو الفضل رافع اجتمع عندى بخط أبى من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة انتهى وأبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور ابن أبى عامر وتوفى كما قال ابن حيان بذى القعدة سنة اثنتين وأربعمائة وكان منشؤه ومولده بقرية تعرف بالزاوية* وحكى ان الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد فى يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه أبو عامر وأعظم قصده على تلك الحال وقال يا سيدى مثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم فانشده أبو محمد بن حزم بديها

فلو كانت الدنيا دوينك لجة * وفى الجو صعق دائم وحريق
لسهل ودى فيك نحوك مسلكا * ولم يتعذر لى اليك طريق

قال الحافظ ابن حزم أنشدنى الوزير أبى فى بعض وصاياه لى

اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

وهذا كاف فى فضل الفرع والاصل رحم الله الجميع * قال ابن حزم فى طوق الحمامة انه مر يوما هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة اشبيلية فلقيهما

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج يسير فى الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثيناوهى المعروفة بمدينة الحكماء فى ديار المغرب فى صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن ادركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه جريتوس فقال له يا بنى انى قد واشت الاجل وقربت من الحتم الواجب وانى راحل عنك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت احوالكم حسنة النظام بى وكنت كهفا فى الشدائد وعونا على المحن وبجنائب الزمان فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التى عليها بنى العقل فان من ترك رأى الاب وثمرة اعقل تورط فى المهالك ووقع فى مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده جريتوس على مكان أبيه وضم اليه

 أهله وولده وغيرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والنوكبرد وأجناس الامم

شاب حسن الوجه فقال ابو محمد دهذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل ما ستر الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا وذى عذل فيمن سبانى حسنه الابيات المتقدمة ولابن حزم ايضا قوله

لا تلمني لان سبقة لحظ * فات ادراكها ذوى الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث فى العد * وويعلو النخال فوق اللباب

ولابى بكر بن مفوز جزء يرد فيه على أبى محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يا من تعانى امورا لن يعانيها * خل التعانى وأعط القوس باريها
تروى الاحاديث عن كل مسامحة * وانما لمعانيها معانيها

وقيل انه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم *(رجع الى القاضى ابى الوليد الباجى) ومن نظمه قوله من مرثية

احن ويثنى الناس نفسى على الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

ومن جيد نظمه قوله

اسروا على الليل البهيم سراهم * فنمت عليهم فى الشمال شمائل
متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى * بدت للهوى بالمأزمين مخايل
فلله ما ضمت منى وشعابها * وما ضمنت تلك الربا والمنازل
ولما التقينا للجمار وابرزت * اكف لتقبيل الحصى وانامل
اشارت الينا بالغرام محاجر * وباحت به منا جسوم نواحل

وقال الباجى ابو الوليد رحمه الله تعالى

مضى زمن المكارم والكرام * سقاه الله من صوب الغمام
وكان البر فعلا دون قول * فصار البر نطقا بالكلام

وذيله بعضهم بقوله

وزال النطق حتى لست تلقى * فتى يسخو برد للسلام
وزاد الامر حتى ليس الا * سخى بالاذى او بالملام

*(ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى الطرطوشى) صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابى رندقة بالراء المهملة المفتوحة وسكون النون وكنى بسراج الملوك دليلا على فضله ذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى بالاسكندرية فى شعبان وقيل جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وزرت قبره بالاسكندرية وممن اخذ عنه الحافظ القاضى ابو بكر بن العربى وغيره ومن نظم الطرطوشى قوله من رسالة

اقلب طرفى فى السماء ترددا * لعلى أرى النجم الذى انت تنظر
واستعرض الركبان من كل وجهة * لعلى بمن قد شم عرفك اظفر
واستقبل الارواح عند هبوبها * لعل نسيم الريح عنك يخبر
وامشى ومالى فى الطريق مآرب * عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر

الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلفوس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما ان سار البختنصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما ان كان من أمر الاسكندر بن فيلبش وهو الملك الماضى الذى هو أوّل ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارانوس ملك فارس وهو دارا بن دارا بطالب بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن نحوهم من ملوك المشرق فى الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبش بن مصريم بن

والمع من ألقاه من غـير حاجـة * عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون شكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * كؤسا امر من الحنظـل

ومما ينسب اليه وكان كثيرا ما ينشده

اذا كنت فى حاجـة مرسـلا * وانت بانجازها مغـرم
فارسـل باكـمه مرسـلابة * به صمـم اغطش ابـكم
ودع عنـك كل رسول سـوى * رسول يقـال له الدرهـم

كان كثيرا ما ينشد

ان لله عبـادا فطنـا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا * انهـا ليـست لحى وطنـا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمـال فيها سـفنا

رحمه الله تعالى كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد

أخوف ونوم ان ذا لعجيب * ثكلتك من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للاغماض فيك نصيب

أيقظ النـوام وأبكى العيون وكان رحـمه الله تعالى زاهـدا عابدا متورعا متقللا من قوا لا للعق وكان يقول اذا عرض لك أمر دنيا وأخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك أمر او الاخرى وله طريقة فى الخلاف ودخل مرة على الافضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال الامر الذى أصبحت فيـه من الملك اعاصار اليـك بموت من كان قبلك وهـو خارج عن شـل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هـذه الامـة فان الله عزوجـل سائلك عن بر والقطمير والفتيل واعلم ان الله عزوجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحـذافيرها له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء أصاب ورفع عنـه حساب ذلك أجمـع فقـال عزمن قائل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير بفما عـد ذلك نعـمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسـبتموها بل خاف ان يكون واجا من الله عزوجل فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل ـب وانصر المظلوم وكان الى جانب الافضـل رجـل نصرانى فأنشده

ياذا الذى طاعتـه قـربة * وحقه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجـله * يزعم هـذا انه كـاذب

وأشار الى النصرانى فأقامه الافضل من مكانه والطرطوشى بضم الطاءين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله تعالى صحب القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى بسرقسطة وأخذ عنـه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه وقرأ الفرائض عليـه والحساب بوطنـه وقرأ

ابن نوح ونسـبه قوم انه من ولد العيص بن اسحق ابن ابراهـيم ومنهـم من رأى انه الاسكندر بن يونه ابن سرحون بن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى ابن الاصفر بن اليغز بن العيـص بن اسحق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيـه فمنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فمنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجـبل قاف سماه بهـذا الاسم ومنهـم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى انه كان بذؤابتـين من الذهب وهذا قول يعزى الى عـلى بن أبى طالب رضى الله عنـه وقد قيـل غير ذلك وانما نذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقـد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وأن ذا القرنين

وهو الاسكندر من أولئك العرب المتقدمين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد أن ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج

الادب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ودخل بغداد والبصرة فتفقه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي علي التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدي في ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع لي المباح فجمعه وأكله ثلاثة أيام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولي بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ اكراما كثيرا وله ألف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقامه أعني الطرطوشي مشهور وهذه الحكاية تكفي في ولايته ومن تآليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب في تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة تقريبا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله تعالى قبل الباب الاخضر باسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض ممن استجازه فأجازه ولم يلقه وشهرته رضي الله تعالى عنه تغني عن الاطناب فيه * وحكي انه كتب على سراج الملوك الذي أهداه لولي الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم * لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي * يبقى على الايام والدهر

وحكي انه سمع رضي الله تعالى عنه منشدا ينشد للوأواء

فرأتني من غير وعد * في ليلة طرقت بسعد
بات الصباح الى الصبا * ح معانقي خدا بخد
يتنا رفي وناظري * ما شئت من خمر وشهد

فقال أويظن هذا الدمشقي أن أحدا لا يحسن ينظم الكذب غيره لو شئنا الكذب نظمنا مثل هذا ثم أنشد لنفسه يعارضه

فرأتني من غير وعد * حفت شمائله بسعد
قبلته ورشفت ما * في فيه من خمر وشهد
ومزجت من السلسبيل بزنجبيل مستعد
واشتفت من الغرو * ب الى الصباح المستجد
وسكرت من رشفي العقيق على اقاح تحت زند
فنزعت عن فمه فمي * ووضعت خدا فوق خد
وشممت عرف نسيمه الساري على مسك وند
وصحوت من ريا القرنفل بين ريحان وورد
وألذ من وصلي به * شكواه وجدا مثل وجدي

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضا

كأن لساني والمشكلات * سنى الصبح يجلو ليالي بهما

بابنة ملكها دارا بن دارا بعد أن قتله ثم سار الى أرض السند والهند ووطئ ملوكها وحملت اليه الهدايا والخراج وحاربه ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبنى مدنا في سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفسية وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وأبانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة شهرزور اشتدت علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات

وغيره

وغـيري ان رام مارمته * خصي يحاول فرجا عقيما

وقوله أيضا

اعمـل لمعادك يارجل * فالناس لدنياهم عملوا

وادخر لمسيرك زادتقى * فالقوم بلازاد رحـلوا

*(ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي) وفد الى المشرق وذكره العماد في الخريدة وله
الامد العلى بمصر وكان يخضب بسواد الرمان قوله

اخلط العفص فيه يا أحوج النا * س الى العفص حين يعكس عفص

ومنهم القاضي الشهيد أبو على الصيرفي وهو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون ويعرف بابن
كرة وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن
محمد بن اسمعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من أبي العباس العذري وسمع بالمرية من أبي
عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما ورحل الى المشرق أول
المحرم من سنة احدى وثمانين وأربعمائة وحج من عامه ولقي بمكة أبا عبد الله الحسن بن على
الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم سار الى البصرة فلقي بها أبا يعلى المالكي وأبا
العباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي
محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأطال
الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد ومن أبي الحسين
المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي والحميدي وغيرهم وتفقه عند أبي بكر الشاشي
وغيره ثم رحل منها سنة سبع وثمانين فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج
الاسفرايني وغيرهما وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخلعي وأبي العباس أحمد بن ابراهيم
الرازي وأجازله الحبال مسند مصر في وقته ومكثرها وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم
الوراق وشعيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس في صفر من سنة سبعين وأربعمائة
وقصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر
سماعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته وكان
حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا وقيده وكان حافظا لمصنفات الحديث
قائما عليها ذاكرا لمتونها وأسانيدها ورواتها وكتب منها صحيح البخاري في سفر وصحيح مسلم
في سفر وكان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي وكان فاضلا دينا متواضعا
حليما وقورا عالما عاملا واستقضى بمرسية ثم استعفى فأعفي وأقبل على نشر العلم وبثه وقد
ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله الشام قال وبعد أن استقرت به النوى
استمرت افادته بما قيد وروى رفعته ملوك أوانه وشفعته في مطالب اخوانه فأوسعته
حبيا وأحسنت فيه رأيا ومن أبنائهم من جعل يقصده لسماع سنده وعلى وقاره
الذي كان به يعرف ندرله مع بعضهم ما يستطرف وهو أن فتى يسمى يوسف لازم مجلسه
مطرا رائحته ومنظفا ملبسه ثم غاب لمرض قطعه أوشغل منعه ولما فرغ أوابل عاود
ذلك النادي المبارك والمحل وقبل افضائه اليه دل طيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من

الاسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء
الامم وكان يجمعهم
ويسترجع الى كلامهم ولا
يصدر الامور الا عن رأيهم
وجعل بعد أن مات في تابوت
من الذهب ورصع بالجوهر
بعد أن طلى جسمه بالاطلية
الماسكة لاجزائه فقال
عظيم الحكماء والمقدم
فيهم ليتكلم كل واحد
منكم بكلام يكون للخاصة
معزيا وللعامة واعظا
فقام فوضع يده على التابوت
فقال أصبح آسر الاسراء
اسيرا ثم قام حكيم ثان
فقال هذا الاسكندر الذى
كان يخبأ الذهب فصار
الذهب يخبؤه وقال الحكيم
الثالث ما أزهد الناس فى
هذا الجسد وأرغبهم فى
هذا التابوت وقال الحكيم
الرابع من أعجب العجب
أن القوى قد غلب
والضعفاء لاهون مغترون
وقال الخامس ياذا الذى
جعل أجله ضمانا وجعل
أمله عيانا هلا باعدت من
اجلك لتبلغ بعض املك
هلا حققت من املك
الامتناع عن فوت أجلك
وقال السادس أيها الساعى
المنتصب جمعت ما خذلك
عن الاحتياج فغودرت
عليك أوزاره وفارقت
ايامه فغناه لغيرك ووباله
عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن كان له عقل فليعقل ومن كان
له الصدق فى نسخة الصدفى وقوله العذرى فى نسخة العدوى اه

المجون وخلاصه من الفتون انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون وهى من طرف نزاره وجة الله عليه ولما قلد قضاء مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فرالى المرية فأقام بها خمس و بعض سنة ست وخمسمائة وفى سنة ست قبل قضاءها على كره الى ان استعفى آخر سنة سبع فى قصة يطول ايرادها ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بها فلما كانت وقعة كتندة كان ممن حضرها ففقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال القاضى عياض ولقد حدثنى الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الله واذكر أى متن شئت منه أذكر لك سنده أو أى سند شئت اذكر لك متنه انتهى وذكر واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد والله أعلم وهو من أبناء الستين *(ومنهم ابن روح الجزيرى) ومن شعره لما تغرب بالمشرق

أحن الى الخضراء فى كل موطن * حنين مشوق للعناق وللضم
وماذاك الا أن جسمى رضيعها * ولابد من شوق الرضيع الى الام

(ومنهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزنى الحسيب العالم المحدث) وسبب رحلته أنه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم مكة و صحيح البخارى وعنه أخذ أهل الاندلس ورجع وسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله سنة ستين وأربعمائة ومن شعره يحرضه على الجهاد

أعباد حل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للالام المضيع

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين أثناء المحاذر مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد ذلك من غيرك العجز وطبق مضاربها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر لكم لا يستقل * ان نهلتم جاءكم من بعد عل
بدء صعق الارض من رش وطل * ورياح ثم غيم قد أبل
خفضوا فالداء رزء أو أجل * واعمدوا سيفا عليكم قد يسل

وابنه أبو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده بأمر *(ومنهم أبو عمرو عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحية الآتى) كان أسن من أخيه ابن أبى الخطاب وكان حافظا للغة العرب تمامها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التى أنشأها بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم كأخيه وكان موت أبى عمرو بعد أبى الخطاب بسنة رحمهما الله تعالى *(ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم) من أهل وادى الحجارة ويعرف بابن سكنهادة وارتحل الى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتحول ملوكها وخولها فجال فى العراق وقاسى ألم الفراق واجتاز بحلب وأقام بها

اثاسع رب حريص على سكوتك اذا سكت وهو اليوم حريص على كلامك اذا تكلمت وقال العاشر أثيرت هذه النفس التى كانت تموت وحدها وقال الحادى عشر وكان صاحب قدرته كتب الحكمة قد كنت نامرنى ان لاأبعد عنك واليوم لاأقدر على الدنو منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر اعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام المائد والهشيم البائد وقال السادس عشر ايها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع

مقام غريب لم يصف له حلب وقال

أين أقصى الغرب من أرض حلب * أمل في الغرب موصول التعب
حنّ من شوق الى أوطانه * من جفاه صبره لما اغترب
جال في الارض لحاجا حائرا * بين شوق وعناء ونصب
كل من يلقاه لا يعرفه * مستغيثا بين عجم وعرب
لهف نفسي أين هاتيك العلا * واضيعاه ويا غبن الحسب
والذي قد كان ذخراوبه * أرتجى المال وادراك الرتب
صار لي أبخس ما أعددته * بين قوم مادروا طعم الادب
يا احبائي اسمعوا بعض الذي * يتلقاه الطريد المغترب
ولكن زجرالكم عن غربة * يرجع الرأس لديها كالذنب
وأجلوا طعنا وضربا دائما * فهو عندي بين قومي كالضرب
ولئن قاسيت ما قاسيته * فبما أبصر لحظي من عجب
ولقد أخبركم ان ألتقي * بكم حتى تقولوا قد كذب

واجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبتهم تؤول الى حروب

ثم انه ودع الشرق بلا سلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامري في بحبوحة عز لا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها بعد من بلوغ الا مال ما ليس له عليه مزيد وقال

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد * وكم أبصرت عيني وكم سمعت أذني
ولاقيت من دهري وصرف خطوبه * كما جرت النكباء في معطف الغصن
فلا تسألوني عن فراق جهنم * ولكن سلوني عن دخولي الى عدن

(وله من كتاب) وحامل كتابي سلمه الله تعالى وأعانه ممن أخنى عليه الزمان وأدار عليه وما صحا الى الآن كؤس الهوان وقد قصد علي بعد جنابك الرحيب الخصيب قصد الحسن محل الخصيب ويمم جناب ابن طاهر حبيب واني لارجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان ويستعين في شكرك بكل لسان وأنت عليم بأن الثناء هو الخلف وقد قال الاول

أرى الناس أحدوثة * فكوني حديثا حسن

وأنا القائل

فلا تزهدن في الخير قد مات حاتم * وأخباره حتى القيامة تذكر

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذي عجل في العتب قبل البيان وعند سيدي من التصدي للايفاء ما يحقق فيه جميل الرجاء دامت أرجاؤه مؤملة ولا برحت نعمه سابغة مكملة *(ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبدربه المالقي) وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضراء له رحلة الى الديار المصرية صنع فيها

وظل الغمام كيف انجلى وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم ايها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الآن هذا الباقي وقال العشرون هذا الذي دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادي والعشرون ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال الثاني والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون في أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجالس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت تامرني بالجمع والادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل ان أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن

والعشرون هذه الدنيا الطويلة العريضة طويت منها في سبعة أشبار القول التاسع والعشرون قول زوجته روشنك

مقامه يقول فيها

وفي جنبات الروض نهر ودوحة * يروقك منها سندس ونضار

تقول وضوء البدر فيه مغربا * ذراع فتاة دار فيه سوار

ومن شعره

ما كل انسان أخ منصف * ولا الليالي أبدا تسعف

فلا تضع ان أمكنت فرصة * والحر من الاخوان من ينصف

وانتف من الدهر ولو ريشة * فانه ... ماتنتسف

وقوله يرثي السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ملك المغرب والاندلس

مجيد المعالي أي عقد تبددا * وصدر العوالي أي رمح تقصدا

ولما دهت خيل الشقي فجاءة * وسال العدا بحرا من الموت مزبدا

شهدت بوجه كالعزالة مشرقا * وان كان وجه الشمس بالنقع مرمدا

عزائم صدق ليس تصرف هكذا * الى الموت يسعى أو على الموت يعتدي

وكان السيد أبو عمران المرثي قتله الميورقي صاحب فتنة أفريقية في الهزيمة المشهورة على تلوت وجمع ابن عبدربه المذكور شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان ابن عبدربه المذكور كاتبا للسيد أبي الربيع سليمان المذكور ولما أنشد لبعض الشعراء

حاكت يد الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير

فكلما ضعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

أنشد لنفسه

بين الرياض وبين الجو معترك * بيض من البرق أو سمر من السمر

ان أوترت قوسها كف السماء رمت * نبلا من الماء في زغف من الغدر

لاجل ذلك اذا هبت طلائعها * تدرع النهر واهتزت قنا الشجر

واجتمع ابن عبدربه المذكور في رحلته بالسعيد بن سناء الملك وأخذ عنه شيأ من شعره ورواه بالمغرب (ومنهم الشاعر الاديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي) ومن نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى

وفي صهوات المقربات وفي القنا * حصول حمى لا في هضاب المعاقل

ومنها

ولا ملك يأتي كيوسف آخرا * كما لم يجئ مثل له في الاوائل

(ومنهم الحافظ ابو الخطاب بن دحية وهو مجد الدين عمر بن الحسين بن علي بن محمد بن فرح بن خلف الظاهري المذهب الاندلسي) كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله بن تومور وروى بها وأسمع وكان من احفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ الانسان من

بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب ان غالب دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذي سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شرابه فقد خاف الكاس الذي شرب به الجماعة القول الثلاثون ما يحكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه لئن فقدت من ابني أمره فما فقدت من قلبي ذكره وقبض الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وتملكه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك بمقدونية وهي مصر وعهد الى ولي عهده بطليموس بن اذينه ان يحمل تابوته الى والدته بالاسكندرية وأوصاها ان يكتب اليها اذا ناها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادي في مملكتها ان لا يتخلف عنها احد وان لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك ماتم الاسكندر بالسرور خلاف ماتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع التابوت بين يديها نادت في اهل مملكتها على ما به امرها فلم يجب احد دعوتها ولا بادر الى ندائها

اللغة حوشيها الا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها وكان قصده والله تعالى أعلم ان يتفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الادباء حيث تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس وكذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات وكان رحمه الله تعالى اذا كتب اسمه فيما يجيزه او غير ذلك يكتب ابن دحية ودحية معا المتشبه به جبريل وجبرائيل ويذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة في جبريل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا فرع انفرد به عمن عداه من أهل العلم قال صاحب عنوان الدراية رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به وارتحل الى المشرق في دولة بني أيوب فرفعوا شانه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا أقروا له بالتقدم وعرفوا انه من أولى الضبط والاتقان والتفهم وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها ثم ذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية ومثل هذه الحكاية اتفق لابي عمر ابن عات في كتاب مسلم بمراكش بيت الطلبة منها ومن شعر أبي الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن أيوب

مالي اسائل برق بارق عنكم * من بعد ما بعدت دياري منكم
فعلكم قلبي وأنتم بالحشا * لا بالعقيق ولا برامة أنتم
وأنا المقيم على الوفاء بعهدكم * يا مالكين وفيتم أو خنتم

وهي طويلة ومنها

رفعت له الاملاك منه سجية * ملك السماك الرمح وهو محرم

ومنها

لذوي النهى والفهم سر حكومة * قد حار فيها كاهن ومنجم
فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا * والله يكلأ والكواكب نوم
وليهنك الشهر السعيد تصومه * وتفوز فيه بالثواب وتغنم
فلأنت في الدنيا كليلة قدره * قدرا فقدرك في الملوك معظم

فأجابه السلطان مكافأة بنثر ونظم في النظم

وهيجن شوقي للاجارع باللوى * وأين اللوى مني وأين الاجارع
مرابع لو أن المرابع أنجم * لكان نجوم الارض تلك المرابع
رعى الله أياما بها ولو انها * الي وقد ولى الشباب رواجع
ليالي لا ليلى اذا رمت وصلها * يلوح لها من صبح شيبي مواقع

في جملة أبيات (ومن النثر) الحمد لله ولي الحمد وقف ولده على الأبيات التي حسن شعرها وصفا دررها وليس من البديع أن يقذف البحر درا أو ينظم الخليل شعرا وقد أخذت الورقة لاتنزه في معانيها واستفيد بما أودعه فيها فالله تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته وصالح أدعيته والسلام فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الابيات بقوله من قصيدة

شجتني شواج في الغصون سواجع * ففاضت هوام للجفون هوامع

فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي فقالوا لها أنت منعتيهم من ذلك قالت ٣٦٩ و كيف قيل لها أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزاني ولدي أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل في تابوت من المرمر وطلي بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه في ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على احجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد وصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها وفيما في الموضع المستحق له من ذلك في كتابنا ان شاء الله تعالى

(ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند)

(قال المسعودي) لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب

وأكثر فيها من التغزل الى ان قال

ولا حاكم أرضاه بيني وبينها * سوى حاكم دهري له اليوم طائع
يدافع عني الضيم قائم سيفه * اذا عز من للضيم عني يدافع
هو الكامل الاوصاف والملك الذي * تشير اليه بالكمال الاصابع
وبيض أياديه الكريمة في الورى * قلائد في الاعناق وهي الصنائع
وبوماه يوما الاذان هما هما * اذا جمعت غاب الملوك المجامع

ومنها

هما روضة غناء بها مرت الصبا * ونشر شذاها الطيب النشر ذائع
له من شكي الزهر برد مفوّف * انيجه من أرض صنعاء صانع
فراقك منها اخضر الثوب ناضر * وشاقك منها اصفر اللون فاقع
واحمر قان للخدود مورد * وابيض كالثغر المفلج ناصع
بأحسن من توشيع مدحي الذي له * بدائع من وشي البديع وشائع
وما ضائع من نشر شكري الذي به * تأرجت الارجاء عندك ضائع
ولولم يقيدني نداك لكان لي * مجال فسيح في البسيطة واسع
فأنت الذي لي والاعادي كثيرة * فويق مكان النجم في الافق دافع

ومنها

بقيت لعبد جده دحية الذي * يشابه جبريل له ويضارع
وجدته الزهراء بنت محمد * عليه السلام الدائم المتتابع
ولا عدمت منك الممالك مالكا * يقرب للآمال ماهو شاسع
ومنك عيون للمهمات يقظ * وعنك عيون الحادثات هواجع

وقال المعربزي في ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوي وتقدم عنده ابو الخطاب بن دحية وبنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة انتهى وقال ابو الخطاب بن دحية انشدني ابو القاسم السهيلي لنفسه وذكر انه ما سأل الله تعالى بها شيأ الا اعطاه

يامن يرى مافي الضمير ويسمع * انت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب اقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن يقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

ومن نظم السهيلي رضي الله تعالى عنه

واصاف للرعية وانه قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بارض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهر النفس مميتا لصفاته من الشهوة العضبيه وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب زائد فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا اتاك كتابي هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا فرت ملكك والحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له قبله اشياء لا تجتمع عند غيره مثلها الامن صارت اليه عنه من ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأل لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه في علمه وطبيب لاتخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الامايطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت في هذا العالم عرضا

اسائل عن جيرانه من لقيته * واعرض عن ذكراه والحال تنطق

ومالى الى جيرانه من صبابة * ولكن نفسي عن صبوح ترقق

وله

لما اجاب بلا طمعت بوصله * اذ حرف لا حرفان معتنقان

وكذا نعم بنعيم وصل آذنت * فنعم ولا فى اللفظ متفقان

ولد أبو الخطاب بن دحية فى ذى القعدة سنه سبع أو ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره اجل مما ذكروه وقد روى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك فى طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون فى جمع كثير وببغداد من أبى الفرج بن الجوزى وبأصبهان من ابى جعفر الصيدلانى معجم الطبرانى ومن غيره وبنيسابور من ابى سعيد بن الصفار ومنصور بن الفراوى والمؤيد الطوسى وحصل الكتب والاصول وحدث وأفاد وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا منها كتاب التنوير فى مولد السراج المنير صنفه عند قدومه الى اربل سنة اربع وستمائة وهو متوجه الى خراسان لما راى ملك اربل مظفر الدين كوكبرى معتنيا بعمل المولد النبوى فى شهر ربيع الاول كل عام مهتما به غاية الاهتمام وكمله وقرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فاجازه بألف دينار وصنف أيضا العلم المشهور فى فضائل لايام والشهور والآيات البينات فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وكتاب شرح أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس فى أخبار خلفاء بنى العباس وكتاب الاعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين وولى قضاء بلد أصوله دانية مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت اليه فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٥ ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستادبه العادل لولده الكامل وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوى له المداس حين يقوم وهو بلنسى كما قاله ابن خلكان وغيره وبلنسية مشهورة بشرق الاندلس ثلث سنة بالتصحيف * (ومنهم خلف ابن القاسم بن سهل بن الدباغ الحافظ الاندلسى) رحل الى المشرق وكان حافظا فهما عارفا بالرجال حدث حديث مالك وشعبة وأشياء فى الزهد وسمع بمصر أبا الحسن بن الورد البغدادى ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة وسمع بدمشق على بن أبى العقب وأبا الميمون بن راشد وبمكة من بكير الحداد وأبى الحسن الخزاعى والآجرى وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية وتوفى سنة ٣٩٣ * (ومنهم خلف بن سعيد ابن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط الكلبى من ذرية الابرش الكلبى ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبى) رحل الى المشرق مرتين أولاهما سنة ٣٣٣ وهو ابن ثلاث

للآفات والحتوف والبلايا وقدح عندى اذا انا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينتقص منه شئ ولا يزيده الوارد عليه الا دهاقا وانا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندى ونجاة هذا الحكيم من صولتى أحب الى من أن لا تكون عندى ويهلك فانفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين فى عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الى ودعوا الرجل فى موضعه وان تبينتم ان الامر بخلاف ذلك وانه اخبر عن الشئ على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم باحسن لقاء وانزلهم احسن منزل فلما كان فى اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا فى الاولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما اخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها اقبل عليهم مباحثا لهم فى اصول الفلسفة والكلام فى الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب فى المبادى الاول وتشاحوا القوم ونظروا فى موضوعات

وعشرين سنة وسمع أبا سعيد بن الاعرابي وابن الورد وأبا بكر الآجري وروى عنه أبو اسحق بن شنظير وأبو جعفر الزاهري وقال ابن شنظير انه توفي في نحو الاربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم سابق فضلاء زمانه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الاشبيلي) يقال ان عمره ستون سنة منها عشرون في بلده اشبيلية وعشرون في افريقية عند ملوكها الصنهاجيين وعشرون في مصر محبوسا في خزانة الكتب وكان وجهه صاحب المهدية الى ملك مصر فسجنه بها طول تلك المدة في خزانة الكتب فخرج في فنون العلم اماما وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذي لحن الاغاني الافريقية قال ابن سعيد واليه تنسب الى الآن وذكره العماد في الخريدة وله كتاب الحديقة على أسلوب يتيمة الثعالبي وتوفي سنة ٥٢٣ وقيل سنة ٥٢٨ بالمهدية وقيل مستهل السنة بعدها ودفن بها وله فيمن اسمه واصل

يا هاجرا سموه عمدا واصلا * وبضدها تتبين الاشياء

ألغيتني حتى كانك واصل * وكانني من طول هجري الراء

وقوله وهو من بدائعه

لا غرو أن سبقت لهاك مدائحي * وتدفقت جدواك ملء انائها

يكسى القضيب ولم يحن اثماره * وتطوق الورقاء قبل غنائها

وقال في الافضل

تردى بكل فتى اذا شهد الوغى * نثر الرماح على الدروب كعوبا

قد لوحته يد الهواجر فاغتدى * مثل القناة قضافة وشحوبا

تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا * في كل قلب بالطعان قليبا

ومنها

تعطي الذي اعطتكه سمر القنا * أبدا فتغدو سالبا مسلوبا

ومنها

وأنا الغريب مكانه وبيانه * فاجعل صنيعك في الغريب غريبا

وله

ومهفهف شربت محاسن وجهه * ما مجه في الكاس من ابريقه

ففعالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه

أخذه من ابن حيوس وقصر عنه في قوله

ومهفهف يغني بلحظ جفونه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولابي الصلت فيمن اسمه محسن

أيها الظالم المسي * ء سدى دهره بنا

مالهم أخطؤا الصوا * ب فسموك محسنا

وله في لابس قرمزية حمراء

العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهي بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورهم من العلويات ثم اخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من اعضائها اما ظهر فامكنه أن يتعدى ببصره الى غيره وشغله تامل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من ارضه فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وامر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي ومن احضره من فلاسفته وحكمائه فاعجبه ذلك وتامل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي اليها كان أصدرهم واقبل ينظر الى مطاردة الهند في عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها على

أقبل يسعى أبو الفوارس فى * مرأى عجيب ومنظر أنق
أقبل فى قرمزية تجب * قد صبغت لون خده الشرق
كانما جيده وغرته * من دونها اذ يدون فى نسق
عمود فجر من فوقه قمر * دارت به قطعة من الشفق

وله فى ثقيل وقد أجاد

لى جليس عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله
أنا أرعاه مكرها وبقلبى * منه ما يقلق الجبال أقله
فهو مثل المشيب أكره مرآ * ه ولكن اصونه وأجله

أخذه من قول أبى الحسن جعفر بن الحاج الميورقى وهما فى عصر واحد

لى صاحب عميت على شؤونه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلى توهما * فاذا تيقن نازعته ظنونه
انى لاهواه على شرقى به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وأوصى ان يكتب على قبره ابو الصلت المذكور مما نظمه قبل موته

سكنتك يادار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم مافى الامر أنى صائر * الى عادل فى الحكم ليس يجور
فياليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عنى ورحمة * فثم نعيم دائم وسرور

وله

اذا كان اصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين اقاربى
ولا بدلى ان اسأل العيس حاجة * تشق على شم الذرا والغوارب

وقال

دب العذار بخده ثم انثنى * عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لاغرو أن خشى الردى فى لثمه * فالريق سم قاتل للعقرب

وقد ذكروا ان من خواص ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرب

وقال

لاتدعنى ولتدع من شئته * اليك من عجم ومن عرب
فنحن ا كالون للسحت فى * ذراك سماعون للكذب

وقال

لاتسألى عن صنيع جفونها * يوم الوداع وسل بذلك من نجا
لو كنت املك خدها للثمته * حتى اعيد به الشقيق بنفسجا
اوكنت اهجع لاحتضنت خيالها * ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا
و بثثت فى الظلماء كحل جفونها * وعقدت هاتيك الذوائب بالدجا

سانح من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ فلما اورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة فى نفسه لامر مابعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأجال فكره و ... المراد به ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز اطرافها فى السمن وانفذها الى الاسكندر فامر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململة متساوية الاجزاء وامر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتامل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبان يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتامل حسن صورتها فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وامر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وامر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك امر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها فى الطست فوق الماء فطفت فوقه وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر

وقال مهنئا بمولود

يلوح فى المهد على وجهه * تجهم الباس وبشرى الندى
والشمس والبدر اذا استجمعا * لم يلبثا ان يلدا فرقدا
فابق له حتى ترى نجله * وان عرا خطب فنحن الفدا

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من اثقل الشعر ينظر من سماعه وتركه اولى وقال رحمه الله تعالى فى الرصد

وذا غدير وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحادى

(ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى) ذكره العماد الاصبهانى فى الخريدة وذكره السمعانى فى الذيل وانه دخل بغداد فى حدود سنة ست عشرة وخمسمائة ومن شعره

اباشمس انى ان اتتك مدائحى * وهن لآلى نظمت وقلائد
فلست بمن يبغى على الشعر رشوة * ابى ذاك لى جد كريم ووالد
وانى من قوم قديما وحديثا * تباع عليهم بالالوف القصائد

(ومنهم الفقيه المقرى ابو عامر التيارى) من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ على ابى جعفر الدباجى كتابه فى العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القيروان فى العربية ابن القزاز واديبها الحصرى * واخبر عن نفسه انه كان بين يديه تلميذ له وسيم فرّبه ابو جعفر التجانى بسحاءة كتب له فيها وخلاها بين يديه وهو قد غلب النوم عليه

يا نائما متعمدا * ابصار طيف حبيبه
هو جوهر فاتقه ان الطيب فى منقوبه
اواركبنى ظهره * ان لم تقل بركوبه

فلما قرأها علم انها للتجانى فكتب تحتها

يا طالبا اضحى جا * ب دون ما مطلوبه
لو لم يكن فى ذاك اثم لما كن اسخو به
انى اغار عليه من * اثوابه ورقيبه

وأنشد يوما فى حلقته لابن الرومى فى خباز

لم انس لم انس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته اما انه لا يقدر على الزيادة على هذا فقال

فكاد يضرط اعجابا برؤيتها * ومن راى مثل ما ابصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لا أتى بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فعلوا امحوه اوفالعقوه طرى

*(ومنهم الاديب الطيب ابو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلى) مطبوع فى الشعر والتوشيح

قال

الاسكندر الى ذلك امر بتراب ناعم فلثت منه وودها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال انينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يا نفس ما الذى قذف بك فى هذه السدفة وأصارك الى هذه الظلمة ووصلك بهذه الظلمة انسيت وأنت فى النور تسرحين وفى العلوم تمرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلم والمعاندة والغشم والمفاسدة تخطفك الخواطف وتتهرك العواصف قد حرمت علم الغيوب والسكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب وروصت كل مطلوب أين مصادرك الطيبة وراحتك العوبة حللت فى الاجساد وتوى عليك الكون والفساد حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لا تشاهدى الا غافلا ولا ترين الا جاهلا قد زهد فى الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رمح طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال يا على صوته يا لك من نجوم سائرة

قال ابن سعيد اجتمعت به فى القاهرة مرارا بمجلس الامير جمال الدين ابى الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفى غيره وتوفى فى مارستان القاهرة ومن شعره

اما الغراب فانه سبب النوى * لاريب فيه وللنوى اسباب

يدعو الغراب وبعد ذا البعير * جمل وتعوى بعد ذا الذئاب

لاتكذبن فهذه اسبابه * لكن منها بدأة وجواب

*(ومنهم الامام المحدث الحافظ جمال الدين ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسى المعروف بابن مسدى) وهو من الائمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله تعالى أنشدنى رئيس الاندلس واديبها ابو الحسن سهل بن مالك الازدى الغرناطى لنفسه سنة ٦٢٧ فى شوال بداره بغرناطة

منغص العيش لاياوى الى دعة * من كان ذابلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى احد

*(ومنهم الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الازدى الحميدى نسبة لجده حميد الاندلسى) ولد ابوه بقرطبة وولد هو بالجزيرة بليدة بالاندلس قبل العشرين واربعمائة وكان يحمل على الكتف للسماع سنة ٤٢٥ فاول ماسمع من الفقيه ابى القاسم اصبغ قال وكنت أفهم من يقرأ عليه وكان قد لقى ابن أبى زيد وقرأ عليه وتفقه وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقراعى وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته وا كثر من الاخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه الا انه لم يكن يتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادى وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من الزنجانى وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فوائد وخرج تخاريج للخطيب ولغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب اكثر مصنفاته وابن ما كولا وكان اماما من أئمة المسلمين فى حفظه ومعرفته واتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعض الاكابر من الائمة لم ترعيناى مثل أبى عبد الله الحميدى فى فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه فى أهله وكان ورعا ثقة اماما فى علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته محققا فى علم الاصول على مذهب أصحاب الحديث متبحرا فى علم الادب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس فى أخبار علماء الاندلس وكتاب تاريخ الاسلام وكتاب من ادعى الامان من أهل الايمان وكتاب الذهب المسبوك فى وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل الى علم الترسيل وكتاب مخاطبات الاصدقاء فى المكاتبات واللقاء وكتاب ماجاء من النصوص والاخبار فى حفظ الجار وكتاب ذم النميمة وكتاب الامانى الصادقة وغير ذلك من المصنفات والاشعار الحسان فى المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل فى الحر ويجلس فى اجانة ماء يتبرد به ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وذكره الحجارى فى المسهب

اكنافه قاطنة فقد أصبحت عنه ظاعنة ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعنى التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ماشاهد فذهب الاسكندر من ذلك وعلم مراد الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من العلة مما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان فى صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتأمل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال فى نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه ولست أشك ان هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابنى عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس فى وقته أحد يدانيه فى حكمته ولا يلحقه فى علمه وتامل الفيلسوف الاسكندر فادار اصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة انفه واسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه فحياه بتحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك

وقال عنه انه أظهر العلم فى طرق ميورقة بعدما كانت عطلا من هذا الشان وترك لها خزائن بارى به خواص البلدان وهو من علماء أئمة الحديث ولازم أبا محمد بن حزم فى الاندلس واستفاد منه ورحل الى بغداد وبها ألف كتاب الجذوة ومن شعره قوله رضى الله تعالى عنه

ألفت النوى حتى انست بوحشها * وصرت بها لافى الصبابة مولعا
فلم احص كم رافقته من مرافق * ولم احص كم خيمت فى الارض موضعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا * فلابد لى من أن اوافى مصرعا

وقال رحمه الله تعالى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم اواصلاح حال

وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال ابن ماكولا أخبرنا صديقنا ابو عبد الله الحميدى وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ لم ار مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء ان يدفنه عند قبر بشر الحافى فخالف وصيته ودفنه فى مقبرة باب البرز فلما كان مدة رآه مظفر فى النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فنقل فى صفر سنة ٤٩١ الى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر وكان كفنه جديدا وبدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على اهل العلم رحمه الله تعالى ومن مناقبه انه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تعديت بعين الى موضع لم ينظره احد منذ عقلت انتهى ومن شعر الحميدى ايضا قوله

طريق الزهد افضل ما طريق * وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك ودع بنيات الطريق

وقوله

كلام الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا * تكن منها على عين اليقين

*(ومنهم الكمال أبو العباس احمد الشريشى وهو احمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ابن عبد المؤمن القيسى) من اهل شريش روى عن ابى الحسن بن ليال وأبى بكر بن أزهر وأبى عبد الله بن زرقون وأبى الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفاد بها حشد فيها منها شرح الايضاح للفارسى والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبى على القالى قال ابن الابار لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهى الى اشبيلية فى سنة ست عشرة وستمائة وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لى سائره مع رواياته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية انتهى ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق الى الشام

بنورية عقلى وصفاء مزاجى فتبينت فكرتك فى وتاملك لصورتى وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فادرت اصبعى مصداقا لما سمع لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس فى الوجه الا انف واحد دكذلك ليس فى دار مملكة الهند غيرى ولا يلحق احد من الناس بى فى حكمتى فقال له الاسكندر ما احسن ما تاتى لك ماذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين انفذت اليك قدحا مملوا سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الى قال الفيلسوف علمت ايها الملك انك تقول ان قلبى قد امتلأ وعلمى قد انتهى كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمى سيزيد فى علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر فى هذا الاناء قال فاخبرنى ما بالك حين عملت من الابر كرة وانفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت ايها الملك انك تريد ان قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب فى فهم الغايات والعلوم

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما لذ للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا أتت ومضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيرين ضحى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتي التي سلفت * لي منه فهي لعمري منتهى العمر
سقاك يا سفح سفح الدمع منهملا * وقل ذاك اذا ما أعوز المطر

وله رحمه الله تعالى شروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب مالا كفاء له وكان رحمه الله تعالى معجبا بالشام وقال ابن الابار عند ما ذكره انه شرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الادبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة انتهى وتوفي بشريش بلده سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي الملقب بضياء الدين) أحد الائمة المتأخرين في القراآت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك قال القاضي الشمس بن خلكان انه رحل من الاندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقري المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ورأيت في بعض الكتب ان مولده سنة ٤٨٧ والاول أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشيء ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفينا ذلك فقلنا انها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتاب دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى أبي الخير الكاتب الواسطي

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

والحكمة فاخبرتك مجيبا ممثلا بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادي فاخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء جعلتها قد حاقوف الماء طافية ثم رددتها الي قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فاجبت الملك ممثلا اني ساعمل الحيلة في ايراد العلم الكثير في المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه فقال له الاسكندر صدقت فاخبرني ما بالك حين ملأت الاناء ترابا ورددته الي ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتدل الذي هو الارض ودثورها وتفرق اجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي قال الاسكندر صدقت ولاحسنن الى الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

وتوفى القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار *(ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبى الحسن بن عبد ربه وهو من حفداء صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الاجل أبو عبد الله محمد ابن على اليحصبي القرموني رفيقه قال أصطحبت معه فى المركب من المغرب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر وأشفينا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذه الحال منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا فى السلامة فقال لى لابد أن أعمل فى المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذه الحال التى نحن فيها فقال نعم فقلت فاصنع فاطرق ثم عمل بديها

لله درمنار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم * كانه باهت فى دارة الافق
يكسر الموج منه جانبي رجل * مشمر الذيل لايخشى من الغرق
لايبرح الدهر من ورد على سفن * ما بين مصطبح منها ومغتبق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كوقع النوم من أجفان ذى أرق

وتقدمت ترجمة الكاتب أبى عبد الله بن عبد ربه وأظنه هذا فلينتبه له بل أعتقد أنه هو لاغيره والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي) قال فى القدح المعلى بيتهم مشهور بقرطبة لم يزل يتوارث فى العلم والجاه وعلو المرتبة ونشأ أبو عبد الله هذا حافظا للآداب اماما فى علم الحساب مع انه كان أعمى مقعدا مشوه الخلقة ولكنه اذا انطق علم كل منصف حقه ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة حتى غدت بغدادله هالة اجتمعت به بحضرة تونس فرأيت بحرا زاخرا وروضا ناضرا الا انه حاطب ليل وساحب ذيل لايبالى ما أورده ولا يلتفت الى ما أنشده جامعا بين السمين والغث حافظا للمتين والرث وكان يقرئ الادب بمراكش وفاس وتونس وغيرها ومن مشهور حكاياته انه لما قال أبو زيد الغازازى فى أبى على المستنصر قصيدته التى مطلعها * الحزم والعزم منسوبان للعرب * عارضه بقصيدة ثم قال فيه وفى ابن أخيه يحيى بن الناصر الذى نازعه فى ذلك الاوان

وان ينازعك فى المنصور ذو نسب * فنجل نوح ثوى فى تسمة العطب
وان يقل أنا عم فالجواب له * عم النبي بلاشك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء فحرص على قتله وسلمه الله تعالى منه ومات سنة ٦٣٩ ومن شعره قوله

لاتحسب الناس سواء متى * تشابهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنها نار

وقوله

ياطالعا فى جفونى * وغائبا فى ضلوعى
بالغت فى السخط ظلما * وما رحمت خضوعى
اذا نويت انقطاعا * فاحسب حساب الرجوع

أحببت المال لما أردت العلم واستعد أدخل على علمي ما ضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان الغنية توجب الخدمة ولسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذى يصلح النفس الفلسفة وهى صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه واعلم أيها الملك ان بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارئ جل وعز فكذلك حكمته مبراة عن كل ميل وزلل وأشبه الاشياء من أفعال الناس بافعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتانيك فى أمورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك فتحر أن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهى خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت أن تفعل فاحترز من ان تقول تأمن من أن تفعل فالملك السعيد من تمت له رياسة ايامه والملك الشقى من انقطعت عنه فمن تحرى فى سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة (قال المسعودى رحمه الله) وخلا الاسكند عن الفيلسوف لايمكنه المقام معه فلحق بارضه وللاسكندر انتهى

انتهى باختصار يسير * (ومنهم أبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف أبى عمرو بن الكاتب أبى بكر ابن العالم الجليل أبى العلاء بن الجنان الكنانى الشاطبى) قال ابن سعيد توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وأبو الوليد أشعرهم وقد تجدد به فى أقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هناك بفخر الدين ومتصدر فى أئمة النحويين ومرتب فى شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية تلائذ أهل الغرام صحبته بمصر ودمشق وحلب وجريت معه طلق الجموح فى ميادين الادب وأنشدنى بدمشق

أنا من سكرهواهم ثمل * لا أبالى هجروا أم وصلوا
فبشعرى وحديثى فيهم * زمزم الحادى وسار المثل
ان عشاق الحمى تعرفنى * والحمى يعرفنى والطلل
رحلوا عن ربع عينى فلذا * أدمعى عن مقلتى ترتحل
مالها قد فارقت أوطانها * وهى ليست لحماهم تصل
لا تظنوا أننى أسلوهما * مذهبى عن حبكم ينتقل

وقوله رحمه الله تعالى

بالله يا بانة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الشيح والغار
فعانقيها عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار
وعرفيها بأنى فيك مكتئب * فبعض هذى لما بالحب أخبار
وأنتم جيرة الجرعاء من اضم * لى فى حماكم أحاديث وأسمار
وأنتموا أنتمو فى كل آونة * وانما حبكم فى الكون أطوار
و يا نسيما سرى تحدو ركائبه * لى بالغوير لبانات وأوطار

وله

يا رعى الله أنسنا بين روض * حيث ماء السرور فيه يجول
تحسب الزهر عنده يتثنى * وتخال الغصون فيه تميل

وله

هات المدام فقد ناح الحمام على * فقد الظلام وجيش الصبح فى غلب
وأعين الزهر من طول البكا رمدت * فكحلتها عين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة * لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب
كم قلت للافق لما أن بدا صلفا * بشمسه عند ما لاحت من الحجب
ان تهت بالشمس يا أفق السماء فلى * شمسان وجه نديمى وابنة العنب
قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم * والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد * قامت لترثيه الاطيار فى القضب

وله

عليك من ذلك الحمى يا رسول * بشرى علامات الرضا والقبول
جئت وفى عطفيك منهم شذى * يسكر من خمرهواه العذول

كنده ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها فى كتابنا فى أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينتقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما تدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبى البشر عليه السلام بارض سرنديب من بلاد الهند مباركا له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة فى اوائل المعرفة وصنعة الطب وترقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وسبيلا الى الاختصار فى هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذى تدعيه الهند فى صنعة الطب وغيرها وقد كان للاسكندر فى أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم بملاقاته الحكماء مع تنائى ديارهم و بعد

وفنون من البر وما أحدث من الابنية قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سميناه وغير ذلك عما عن وصفها أمسكنا وانما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شئ منه مع ذكرنا لسيره ووفاته وبالله التوفيق

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(ثم ملك بعد الاسكندر الملك الذي يقال له بطلميوس) وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالي لملك الاسكندر حروب مع بني اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم أنه أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب في بعض الايام في طريقه الى بعض متنزهاته فنظر الى بازيطير فرآه اذا علا صعد واذا أسفل خفق واذا أراد ان يستوي درق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح وينبغي أن تتزين به الملوك في مجالسها فأمر أن يجمع منها عدة لتكون في مجالسه سبيل

ومنها

أحبابنا ودعتم ناظري * وأنتم بين ضلوعي نزول
حللتم قلبي وهو الذي * يقول في دين الهوى بالحلول
انا الذي حدث عني الهوى * بأنني عن حبكم لا أحول
فليزد العاذل في عذله * وليقل الواشي لكم ما يقول

انتهى كلام النور بن سعيد * وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥ ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دمث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضي القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفي المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة في علوم كثيرة وله يد في النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوي اللحى * لا يسألون عن السواد المقبل
وبهجتي قوم وأبي منهم * جبلوا على حب الطراز الاول

وله أيضا

قم اسقنيها وليل الهم منهزم * والصبح أعلامه محمرة العذب
والسحب قد نثرت في الارض لؤلؤها * تضمن الشمس في ثوب من الذهب انتهى

وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رحمه الله تعالى في كاتب

ولي كاتب أضمرت في القلب حبه * مخافة حسادي عليه وعذالي
له صنعة في خط لام عذاره * ولكن سها اذ نقط اللام بالخال

(ومنهم أبو محمد القرطبي) قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكأنه لا خبر عنده من الآخرة وقد طال عمره في أكل الاعراض وفساد الاغراض ومما بقي في أذني من شعره قوله

رحم الله من لقيت قديما * فلقد كان بي رؤفا رحيما
أتمنى لقاء حر فقد أعوز حتى كما عدمت الكريما

وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى *(ومنهم علي بن أحمد القادسي الكناني) قال ابن سعيد لقيته ببيت المقدس على زي الفقراء وحصلت منه هذه الابيات وندمت بعد ذلك على ما فات وهي

ذاك العذار المطل * دمي عليه يطل
كأنما الخد ماء * وقد جرى فيه ظل
عقود صبري عليه * مذ حل قلبي تحل
جرت دموعي عليه * فقلت آس وطل

انتهى

(ومنهم أبو عبد الله بن العطار القرطبي) قال ابن سعيد هو حلو المنازع ظريف المقاطع والمطالع مطبوع النوادر موصوف بالادب الشاعر مازجته بالاسكندرية وبهذه الحضرة العلية ومازال يدين بالانفراد والتجول في البلاد حتى قضى مناه والتي بهذه المدينة عصاه لا يخطر الهم له ببال ولا يبيت الا على وعد من وصال وله حين سمع ما رتجلته في السكين بالاسكندرية حين داعبني باختلاسها القاضي زين القضاة بن الربيب وقال مالي اليه

سبيل حتى يحضر مصري نبيل

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستنديه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان بعد الصواب كتاب

فقال

أحاجيك ماشئ اذا ماسرقته * وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على ان فيه القطع والحذ ثابت * ولاحد فيه هكذا حكم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلى فيما أظن ويعني والله سبحانه أعلم بقوله وبهذه الحضرة العلية حضرة تونس اخر وسة فانها كانت محط رحال الافاضل من الاواخر والاوائل حتى ان قاضي القضاة ابن خلدون أقام بها مدة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدي أبو عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى ومنها خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب وساطانه في الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه في ذلك ماقصه المقام الذي نؤكد اليه بر سلفه الوداد ونغري بتخليد فخره وأمره القلم والمداد ونصل به الاستظهار على عدو الله تعالى والاستعداد ونخطب له من الله بهز أعطافه للخير والتوفيق والسداد والاعانة منه والامداد مقام محل أخينا الذي اشتهر فضله ودينه ووضح سعده مثألقة براهينه وحياه الصنع الجميل وبياه مشرقا جبينه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يرعى الذمم ويسلك من الفضائل المنهج الاهم ويغلي البضائع النافقة عند الله تعالى ويعلي الهمم معظم قدره وملتزم بره الحريص على توفير أجره وتخليد فخره فلان أما بعد حمد الله تعالى ناصر الامرة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظها من الاضاعة الى قيام الساعة الذى جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاعة والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة متمم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحياء والشجاعة والرضا عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعه وزرعوا الخير في العاجلة فغازوا في الآجلة بفائدة تلك الزراعة والدعاء لمقامكم الاعلى بصنع يروى فيه عن الاشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة وتأييد لا يرضى فيه القنا بمقام تلك القناعة فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لثنائكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الاذاعة في أيدي النواسم الشواعة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عن خيرها مى السحاب وبشر مفتح الابواب وعز للاسلام يبركة الاعتداد بكم المنصور والاعلام مقتبل الشباب ويمن ضافي الجلباب والحمد لله على تظافر الايدي في ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم الرفيع الامل المنتاب اذا حدت الحداة ذوات الاقتاب ومطمح الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب والى هذا وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه وآلائه دائمة الانسكاب وجعل ما خول لكم من نعمه وآلائه كفيلة بالزلفى وحسن المتاب وألهمكم تقييد شواردها بالشكر قولا وعملا فالشكر مستدعي المزيد كما ورد في الكتاب فان من المنقول الذى اشتهر وراق فضله وبهر قوله اشفعوا تؤجروا وما في معناه من المعتبر في الخبر وتنفيس

زينة تعرض لبازه منها ايم وهو الحية الذكر فوثب عليه البازي فقتله فقال الملك هذا ملك يغضب مما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازي فأفلت الاجريضا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فأكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم ومن بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودي) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والابواب جملا من أخبارها واخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وانشأها على منازلها ودرجاتها وهي أربع اجناس وثلاثة عشر شكلا فاما الاجناس الاربعة فهي البازي والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال

كربة عن مسلم وسماع شكوى من متظلم ولولا أن مقامكم السنى أغنى لجلبنا الكثير من هذا المعنى ولما تحقق ما أنتم عليه من سلوك سبيل الخير واقامة رسوم الدين والاهتداء بهديه بالنور المبين خف علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات ونتجر لكم مع الله بأنفس البضاعات فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرنا كم عليه شريعة وما تأخر أوسعنا كم فيه عذرا بسد ذريعه وعلمنا أن الله تعالى لم يأذن فى تعجيله وسألناه فى تيسيره وتسهيله سواء لدينا فى ذلك ما عاد باعانة عامة وامداد وساهم فى قصد جهاد ومالم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد انما علينا أن نجلب الخير الباقى والاجر الراقى الى بابكم وندل عليه كريم جنابكم بمقتضى وداد صحيح باد وجميل ظن فى دينكم المتين واعتقاد سلم مجمله ومفصله من انتقاد وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الاوحد العلامة سلالة الصالحين وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين وبالهما من مزية دنيا ودين أبا عبد الله بن مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البرة حاله وسنى من مقامكم السنى آماله جرى عليه من المحن وتباريح الاحن ما يعلم كل ذى مروءة وعقل واجتهاد ونقل أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان محسوب والى معقاته منسوب ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا لاستدعت الى تعمدها عفوا كبيرا رعيا لذلك الامام الصالح الذى كبر خلفه وأحرم وتشهد وسلم وأمن عقب دعائه ونصب كفه لمواهب الله تعالى وآلائه وأنصت لخطبته ووعظه وأوجب المزية لسعة حفظه وعذوبة لفظه فأحبط ذلك من أحبط الاعمال الصالحة وعطل المتاجر الرابحة وأسف الملك المذكور بدم ولده واحراق خزائنه وعدده وتغيير رسومه وحدوده واسخاطه واسخاط الله معبوده الى أن طهر سيفكم المليك من عاره وأخذ منه بثاره وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو آثاره والحمد لله على ما خصه من ايثاره وتدارك الاسلام باقالة عثاره وانه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرر من حاله ما يفت الفؤاد ويوجب الامتعاض له والاجتهاد يطلب منا الاعانة بين يديكم والانجاد ويشكو العيلة والاولاد والغربة التى أحلته الاقطار النازحة والبلاد والحوادث التى سلبته الطارف والتلاد وان نذكركم بوسيلته وضعف حيلته فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا من بره ورعى حقه على السنن اللاحب وان كنا نطوقه فى أمرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ولا نشكر الا الله وليا ونصيرا فحقه علينا أوجب فهو الذى لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس منه المذهب وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف الى الله تعالى شفيعا وأحله محلا منيعا رفيعا الى وليه الذى جبر ملكه سريعا وصير جنابه بعد المحول مريعا وجدد رسومه تأصيلا لها وتفريعا ومثلكم من اغتنم بره فى نصر مظلوم وسبر مكلوم واعداء كرم على لوم وهى منا ذكرى تنفع وحرص على أجر من يشفع واسعاف لمن سأل ما يعلى من قدركم ويرفع وتأدية لحق سلفكم الذى توفرت حقوقه وابلاغ نصيحة دينية الى مجدكم الذى لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ومطلبه فى جنب ملككم الكبير حقير وهو به الى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير ومنهلكم الاروى وباعكم فى الخير أطول وساعدكم أقوى وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والله

على طريق الخبر فى الكتاب الماهر فى ذلك (ثم ملك بعد بطليموس هيملوس) وكان رجلا جبارا وفى أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام اشبه دخلت عليهم وانها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه وتدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل اربعين وقد قيل ان الذى ملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثانى محب الاخ وغزا بنى اسرائيل ببلاد فلسطين وايلياء من ارض الشام فسباهم وقتل منهم وطلب العلوم ثم رد بنى اسرائيل الى فلسطين وحمل معهم الجواهر والاموال وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها احدى عجائب العالم فى البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا وعدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجا وجعل عدد شرافاته اربعة وعشرين ألف شرافة وجعل على كل برج من الابراج بتولة بطريق اسكنه اياه برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات والبطريق فى اعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها ابواب حديد وآثار الابواب

عز وجل يسلك بكم المسالك التي تخلد بالجميل ذكركم وتعظم عند الله أجركم فما عند الله خير للابرار والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى* والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وكان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان أبي سالم أخي أبي فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودي وتغلب على الملك ونصب أخا لابي سالم معتوها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلصه الله تعالى منه ثم ان السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فخوطب في شأن ابن مرزوق بما ذكر *(رجع الى ما كنا فيه) من ذكر الراحلين من أعلام الاندلسيين الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى فنقول* (ومنهم أبو الوليد وابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي القرطبي المعروف بابن الفرضي الحافظ المشهور) كان فقيها عالما عارفا بفنون علم الحديث ورجاله بارعا في الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع في بابه وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن في المؤتلف والمختلف وفي مشتبه النسبة وكتاب في أخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٣ فحج وسمع من العلماء وأخذ عنهم وكتب من أماليهم وروى عن شيوخ عدة من أهل المشرق ومن شعره

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى * ومالك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما * يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي * أرجي لاسرافي فاني لتالف

وكان رحمه الله تعالى حسن الشعر والبلاغة ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى

ان الذي أصبحت طوع يمينه * ان لم يكن قمرا فليس بدونه
ذلي له في الحب من سلطانه * وسقام جسمي من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء بمدينة بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقي في داره ثلاثة أيام ودفن متغيرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه الله تعالى وروى عنه انه قال تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله تعالى الشهادة ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه وقد ساق في المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كلفا

واظهر فيها مياها من اعين وغيرها الا سبيل الى قطعها من خارجها وجعل اليها مياها منصبة في قنى محرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها في هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخزف لترادف الصرف بها فيزداد كطبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد في كسره وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب وما شاهدناه حسا ونمى الينا خبره مما يولده ماء انطاكية في أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم وما يحدث في معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد اراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ما ذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم بقاء ريح الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليموس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذي بنى مدينة فامية بين حمص وانطاكية (ثم ملك)

بالرواية رحل في طلبها وتبحر في المعارف بسببها مع حظ من الادب كثير واختصاص نفسه بمن حج وبرع في الزهادة والورع فتعلق باستار الكعبة يسال الله الشهادة ثم ذكر في القتل ومرارته والسيف وحرارته فاراد ان يرجع ويستقيل الله تعالى فاستحيا وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فاصيب في تلك الفتن مكلوما وقتل مظلوما ثم ذكر مثل ما مر ومما قال في طريقه يتشوق الى افريقية

مضت لي شهور مذ غبتم ثلاثة * وما خلتني أبقى اذا غبتم شهرا

ومالي حياة بعدكم أستلذها * ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرّا

ولم يسلني طول التنائي عنكم * بلى زادني وجداً وجدد لي ذكرا

يمثلكم لي طول شوقي اليكم * ويدنيكم حتى أناجيكم سرا

سأستعتب الدهر المفرق بيننا * وهل نافعي أن صرت استعتب الدهرا

أعلل نفسي بالمنى في لقائكم * وأستسهل البر الذي جبت والبحرا

ويؤنسني طي المراحل عنكم * أروح على أرض وأغدو على أخرى

وتالله ما فارقتكم عن قلى لكم * ولكنها الاقدار تجري كما تجري

رعتكم من الرحمن عين بصيرة * ولا كشفت أيدي النوى عنكم سترا

وقد عرف به ابن حيان في المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشايخ كالقطيعي وابن زروبه وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه ثم عاد الى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل الى القدس الشريف فأقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا في البلد فبسبب ذلك ربما يقع في الاذهان الوهم في أمرهما وشارح المقامات أحمد وهذا محمد وقد ترجمنا لصاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس القيسي الاندلسي البلنسي) كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الادب على أبي العلاء صاعد اللغوي صاحب الفصوص وعلى أبي يعقوب يوسف بن خرزاذ بمصر ودخل بغداد واستفاد وأفاد وله شعر حسن فمن ذلك قوله

مريض الجفون بلا علة * ولكن قلبي به ممرض

أعان السهاد على مقلتي * بفيض الدموع فما تغمض

وما زار شوقا ولكن أتى * يعرض لي أنني معرض

وله أشعار كثيرة وتوفي يوم الاربعاء لست بقين من جمادى الاولى سنة ٤٢٧ وقيل سنة ٤٢٩ بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي صاحب التفسير

ملك بطليموس محب الام) خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده بطليموس الصانع) سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس الخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الاسكندراني) اثنتي عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الحديدي ثمان سنين (ثم ملك) بعده بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت) بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة في الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعه أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم وامتحت آثارهم وزالت علومهم الا ما بقي في أيدي حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر ظريف في موتها وقتلها نفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها في ملك مقدونية وهي بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم

التفسير فى مصلى الصدفى ودفن عند أبى اسحق رحمه الله تعالى ومغلس بضم الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة وكانت بينه وبين أبى الطاهر اسمعيل بن خلف صاحب كتاب العنوان معارضات فى قصائد ومن شعر ابن المغلس أيضا قوله فى حمام

ومنزل أقوام اذا ما اغتدوا به * تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه * ويخفى عدو المرء وهو جليسه
يفرج كربى ان تزايد كربه * ويؤنس قلبى ان يعذ أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * عليه مائه أقماره وشموسه

*(ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الاديب المعروف بالمغربى) وهو من أهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد فى الخريدة انه كان طبيب المارستان فى معسكر السلطان السلجوقى حيث حل وخيم وكان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن المرخم الذى صار أقضى القضاة ببغداد فى أيام المقتفى فاصدا وطبيبا فى هذا المارستان وأثنى العماد على أبى الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وان له كتابا سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار وماجريات ظريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رايت فى ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسى كان عند الامراء بنى منقذ بقلعة شيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه و بين ابى الحكم المذكور مداعبات فسأل منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه فكتب ابو الحكم

أبا الحسين اسمع مقال فتى * عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا * للقوم فاهنا به اذا وصلا
واتل عليهم بحسن شرحك ما * انقله من حديثه جملا
وخبر القوم انه رجل * ما ابصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شمائله * لا يبتغى عاقل به بدلا

ومنها

وهو على خفة به ابدا * معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف * واما بغير ذاك فلا
ان انت فاتحته لتخبر ما * يصدر عنه فتحت منه خلا
فنبه ان حل خطة الخسف والهون * ورحب به اذا رحلا
وأسقه السم ان ظفرت به * وامزج له من لسانك العسلا

وله اشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد من جملتها

وكل ملموم فلا بد له * من فرقة لو ألزقوه بالغرا

وله مرثية فى عماد الدين بن يحيى بن آق سنقر الاتابكى شاب فيها الجد بالهزل والغالب على شعره الانطباع وتوفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة سنة ٥٤٩ وقيل فى السنة التى قبلها

الثانى من ملوك الروم ومن بلاد رومية وهو اغسطس وهو أول من سمى قيصر واليه تنسب القياصرة بعده وسنذكر خبره فى ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطره الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره فى دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها و جنودها فطلبت الحية التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهى نوع من الحيات تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من اعضائه قفزت اذرعا كثيرة كالريح فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتى عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات حتف أنفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لما أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحام دوبة بين مدينة دورق و بلاد الباسيان والعندم فى الماء وهى حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون فى الرمل وفى جوف تراب الارض فاذا أحست

بدمشق رحمه الله تعالى * والقاضي ابن المرخم المذكور هو الذي يقول فيه أبو القاسم هبة الله ابن فضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خوف الزمان تراه أم جن الفلك
ان كنت تحكم بالنجوم فربما * أما بشرع محمد من أين لك

وكان أبو الحكم المذكور فاضلا في العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة كثير المداعبة محبا للهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقى ويلعب بالعود ويجلس في دكان بجيرون للطب وسكناه بالبادين وأتى في دواوينه نهج الوضاعة بكل غريب يدل على انه أريب سامحه الله تعالى وغفر له *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق)* من هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند أهل الغرب والشرق الحافظ المقرى الامام الرباني أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموي مولاهم القرطبي صاحب التصانيف التي منها المقنع والتيسير وعرف بالداني لسكناه دانية وولد سنة ٣٧١ وابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان أربعة أشهر ودخل مصر في شوالها فمكث بها سنة وحج ورجع الى الاندلس في ذي القعدة سنة ٣٩٩ وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي وغيره بقرطبة وعلى أبي الحسن بن غلبون وخلف ابن خاقان المصري وأبي الفتح فارس بن أحمد وسمع من أبي مسلم الكاتب وهو أكبر شيخ له ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيري وحاتم بن عبد الله البزاز وغير واحد من أهل مصر وسواها وسمع من الامام أبي الحسن القابسي وخلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرج الاقفالي وأبو داود بن نجاح صاحب التنزيل في الرسم وهو من أشهر تلامذته وحدث عنه خلق كثير منهم خلف بن ابراهيم الطليطلي قال أبو محمد عبيد الله الحجري ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن في عصر الحافظ أبي عمرو الداني ولا بعد عصره أحد يدانيه ولا يضاهيه في حفظه وتحقيقه وكان يقول ما رأيت شيأ قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته قال ابن بشكوال كان أبو عمرو أحد الائمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه وجمع في ذلك كله تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واعرابه وأسماء رجاله وكان حسن الخط والضبط من أهل الحفظ والذكاء واليقين وكان دينا فاضلا ورعا سنيا وقال بعضهم وأظنه المغامي كان أبو عمرو مجاب الدعوة مالكي المذهب وقال بعض أهل مكة ان أبا عمرو الداني مقرئ متقدم واليه المنتهى في علم القراآت واتقان القرآن والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله في القراآت والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك له مائة وعشرون مصنفا وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية في نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد ابن أبي حبيب الاندلسي) من بيت علم ووزارة صرف عمره في طلب العلم في الفقه والحديث والادب وولي القضاء بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وجاور بمكة المشرفة ثم قدم العراق وأقام ببغداد مدة ثم وافى خراسان فأقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس

وتوفي

بالانسان أوغيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها الى أى موضع من ذلك الحيوان فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحينه فبعثت قلبطرة هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التي توجد باطراف الحجاز فلما أن كان اليوم الذي علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وأن لا يلحقها العذاب بعدها فسمتها في اناثها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة في مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم في دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذي كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية فخفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحرا ولا مذهبا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام

وتوفي بهراة في شعبان سنة ٥٤٨ رحمه الله تعالى ورضي عنه (ومنهم أبو العباس احمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر الاندلسي المقرى) رحل وأخذ القراآت عن أبي الفضل جعفر الهمداني وسمع من أبي القاسم بن عيسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبية وتوفي سنة ٦٤٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المرسي اللورقي المقرى النحوي) ولد سنة ٥٧٥ وقرأ القرا آت وأحكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولي وسأله عن مسئلة في مقدمته وقرأ علم الكلام والاصولين والفلسفة وكان خبيرا بهذه العلوم متصودا باقرائها وولي مشيخة قراءة العادلية ودرس بالعزيزية نيابة وصنف شرحا للشاطبية وشرحا للمفصل في عدة مجلدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزة وتوفي سنة ٦٦١ رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم أبو عبد الله بن أبي الربيع القيسي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها فسمع على السلفي وقراءته على جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقه وأدب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيا سنة ٥٥٦ ومن نظمه بمدح كتاب الشهاب

ان الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربي
كم ضم من حكمة غرا وموعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن أدب
أما القضاعي فالرحمن يرحمه * كما حباه من التأليف بالعجب

* (ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري) من أهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون وطراد الزينبي وأبي عبد الله الحميدي وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من الكتب والاجزاء وجمع وخرج وكان صحيح العقل معتمد الضبط مرجوعا اليه في الاتقان وكفاه فخرا وشرفا أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفي وأبو الفضل محمد بن ناصر وكان فهامة علامة ذا معرفة بالحديث متعففا سامع فقره وكان يذهب الى أن المناولة والعرض كالسماع وقال السلفي فيه انه من اعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف في فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدثين وكان داودي المذهب قرشي النسب وقد كتب عني وكتبت عنه وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعي به كنت أسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثني عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه انتهى وقال ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته ورمما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله اعلم وتوفي في ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ببغداد رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجي) سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبمكة من الآجري وكان صالحا فاضلا زاهدا ورعا حدث ومات ببطليوس فجاة سنة ٣٩٢ ومولده سنة ٣٢٢ * (ومنهم ابو بكر محمد بن سعدون التميمي الجزيري المتعبد) كانت آدابه كثيرة وحج غير مرة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت بالقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرض للجهاد وحرض عليه وساح بجبل المقطم وذكر أنه صلى بمصر الضحى اثنتي عشرة ركعة ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان

والمرمر والاصباغ فدخلت في تلك الرياحين ودخل اغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك في انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة فتعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها يلمسه ويتبينه ويعجب بخواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال في ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا ان الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه في يومهم ويرثون به ملوكهم وربما ذكروه في اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقائل فلاسفتهم وغير ذلك من أشرارهم وعجيب

مالكا والليث اختلفا في الضحى فمالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين وركي ابن سحنون وقال رأي مالك هو الصواب ثلاث مرات قال وكان في وركي وجع فمن تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور يضيء عليه إذا صلى ونحوه وأنشد

سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استئصال
إن اللسان إذا حللت عقاله * ألقاك في شنعاء ليس تقال

توفي سنة ٣٤٤ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الأعرج الطليطلي الخطيب) ويقال فيه ابن سعيد سمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث ومولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٤ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إسحق بن يوسف الأموي القرطبي) وأصله من لبلة ولكن سكن قرطبة وقدم مصر وحج وسمع في طريقه من الشيخ أبي محمد بن أبي زيد صاحب الرسالة وأخذ عن القابسي وعن جماعة من علماء مصر والحجاز ومولده سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٤١٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبي) سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد إلى الأندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل إسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع) أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع إلى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقراآت السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصرى وأبي المعالي بن خضر وأبي الوفاء بن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الإسكندرية بتربة أبي العباس الراسي وتلمذ للشاطبي تلميذ الراسي وصنف كتبا حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراآت والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية وكتاب الحرقة في إلباس الخرقة وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الزهر المضي في مناقب الشاطبي وكتاب الأربعين المضية في الأحاديث النبوية ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالإسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله تعالى ونفع بهما *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي) قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من أبي ذر الهروي قال ابن بشكوال كان من جلة المقربين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته إلى المشرق سنة ٤٢٣ ومولده سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره

أخبارهم والذي يعوّل عليه من عدة ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطرة وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الإسكندر فيلبش يسمى بطليموس وهذا الاسم الأعم الشامل لملكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية ملوك الزنج وقليمن وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم وأسمائهم الأعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك إن شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الروم وما قاله الناس في أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم)

تنازع الناس في الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لإضافتهم إلى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور

الاراميس ومنهم من رأى ان هذا الاسم اسم للاب وهو روم بن شماحلين بن هربان بن عقلا بن العيص

أربع وثمانون سنة الا خمسة وخمسين يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه الله تعالى
(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح الانصاري المالقي) قال السلفي هو شاب من أهل الادب له
خاطر سمع كان يحضر عندي بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر أنه قرأ الادب على
أبي الحسين بن الطراوة النحوي بالاندلس وعلى نظرائه وأنشدني لنفسه

كم ذا تعلقلني النوى وتسوقني * والى متى أشجى بها وأسام
ألفت ركائبي الفلا فكانما * للبين عهد بيننا وذمام
ياويح قلبي من فراق أحبة * أبدا تصدعه به الايام

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الاندلسي المالكي) رحل الى المشرق
فسمع بالشام من خيثمة بن سلمان وبمكة أبا سعيد بن الاعرابي وببغداد محمد بن اسمعيل بن
محمد الصفار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن أصبغ وغيرهم
وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به
بهمذان مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وسبعين وقال فيه أبو سعيد
الادريسي انه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم وقال غنجار انه كان فقيها حافظا جمع
تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعاني فيه كان فقيها حافظا رحل في طلب العلم الى المشرق
والمغرب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر على بن عيسى الخزرجي الداني
النحوي أخو أبي العباس بن عيسى) سمع بدانية من أبي داود المقرى وغيره وقدم دمشق سنة
٥٥٤ حين خرج حاجا وأقرأ بدمشق النحو مدة ثم خرج الى بغداد وأقام بها الى أن مات سنة
٦١٩ ومولده سنة ٥١٢ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب تحصيل عين
الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ومن كلامه ليست هيبة الشيخ
لشيبه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المهاب ولو رأيت شخصا جمع
جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيأ عابه ومن قصر عن شئ هابه
*(ومنهم القاضي الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري)
وقيل في آبائه غير ذلك كما يأتي ولما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم
ابن بشير الى خطة القضاء بقرطبة وجه اليه بباجة فأقبل ولا يعلم ما دعى اليه ونزل على صديق
له من العباد فتحدث في شأن استدعائه وقدم أنه يعرف فن الكتابة فقال له العابد ما أراه
بعث فيك الا للقضاء فان القاضي بقرطبة مات وهي الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنا
أستشيرك في ذلك ان وقع فقال أسألك عن أشياء ثلاثة وأعزم عليك أن تصدقني فيها ثم أشير
بعد ذلك عليك فقال ماهي فقال كيف حبك للاكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره
فقال والله لا أبالي ما رددت به جوعي وسترت به عورتي وحملت به رحلي فقال هذه واحدة
فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب الغيد وما شاكل ذلك من الشهوات
فقال هذه حال والله ما استشرفت قط اليها ولا خطرت ببالي ولا اكترثت لفقدها فقال وهذه
ثانية فكيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل
فقال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني وما أسر للولاية ولا أستوحش للعزل فقال وهذه

ابن اسحق بن ابراهيم
الخليل عليه السلام ومنهم
من رأى انهم سموا باسم
جدهم رومي بن ليطن بن
يونان بن يافث بن بربه بن
سرحون بن رومية بن
مربط بن نوفل بن روم بن
الاصفر بن اليغز بن العيص
ابن اسحق بن ابراهيم عليه
السلام وتذكر جماعة
ممن سلف من شعراء العرب
قبل ظهور الاسلام ذلك
الاشتهار ما وصفنا فيهم
منهم عدي بن زيد العبادي
حيث يقول
وبنو الاصفر الكرام ملوك الر
وم لم يبق منهم مذكور
وقد كان العيص بن اسحق
وهو عيصو تزوج من بنات
الكنعانيين فأكثر أولاده
منهم وقد قيل ان العماليق
وهم العرب البادية الذين
كانوا بالشام من ولد اليغز
ابن عيصو وهذا ما لا ينقاد
اليه علماء العرب الا في
الروم دون ما ذكرنا من
العماليق وغيرهم وهذه
الانساب كلها تتعلق بما
في التوراة وغيرها من
كتب العبرانيين (قال
المسعودي) وغلبت الروم
على ملك اليونانيين
لاخبار يطول ذكرها
ويتعذر في هذا الكتاب
شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر ابن روم بن شماحلين

لنا انه اقبل الولاية فلا باس عليك فقدم قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة قال ابن وضاح أخبرنى من كان يرى محمد بن بشير القاضى داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة وعليه رداء معصفر وفى رجله نعل صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب ويصلى وهو فى هذا الزى وبه كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام أحد من دينه شيأ وجده أبعد من الثريا وأتاه رجل لا يعرفه فلما رأى ما هو فيه من زى الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء فى يديه توقف وقال دلونى على القاضى فقيل له ها هو وأشير اليه فقال انى رجل غريب وأراكم تستهزؤن بى أنا أسألكم عن القاضى وأنتم تدلونى على زامر فصحوا له أنه القاضى فتقدم اليه واعتذر فادناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل والانصاف فوق ما ظنه فكان يحدث بقصته معه وعوتب فى ارسال لمته ولبسه الخز والمعصفر فقال حدثنى مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيد القراء كانت له لمة وأن هشام بن عروة فقيه هذا البلد يعنى المدينة كان يلبس المعصفر وأن القاسم بن محمد كان يلبس الخز ولقد سئل يحيى بن يحيى عن لباس العمائم فقال هى لباس الناس فى المشرق وعليه كان امرهم فى القديم فقيل له لو لبستها لاتبعك الناس فى لباسها فقال قد لبس محمد بن بشير الخز فلم يتبعه الناس فيه وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به فلعلى لو لبست العمامة لتركنى الناس ولم يتبعونى كما تركوا ابن بشير وكان أول ما نظر فيه محمد بن بشير حين ولى القضاء التسجيل على الخليفة الحكم فى ارحاء القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حق المدعى وأعذر الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجل فيها وأشهد على نفسه فمامضت مديدة حتى ابتاعها الحكم ابتياعا صحيحا فسر بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره ما كان فى أيدينا شئ مشتبه فصححه لنا وصار حلالا طيب الملك فى أعقابنا وحكم على ابن فطيس الوزير ولم يعرفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فأوما الحكم اليه ان الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم ولا اعذرت اليه فيهم وان أهل العلم يقولون ان ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لانه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن طلب أذاهم فى أنفسهم وأموالهم فيدعون الشهادة هم ومن ائتسى بهم وتضيع أموال الناس وأكثر موسى بن سماعة أحد خواص الامير الحكم فى ابن بشير الشكاية وأنه يجور عليه فقال له الحكم أنا أمتحن قولك الساعة فاخرج اليه فورا واستاذن عليه فان اذن لك عزلته وصدقت قولك فيه وان لم ياذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه فليس هو عندى بجائر على حال وانما مقصده الحق فى كل ما يتصرف فيه فخرج يؤم دار ابن بشير وقد أمر الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة أن يقفو أثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الاريثما بلغ ثم انصرف فحكى للحكم أنه لما خرج الآذن الى موسى وعلم القاضى بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها اذا جلس القاضى مجلس القضاء فتبسم الحكم وقال قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة فيه عنده لاحد * وولى القضاء مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان بعض اخوانه يعاتبه فى صلابته ويقول له أخشى عليك العزل فيقول له ليته قد ران

كان ملكه اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أول من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس ابن افليوس ثمان عشرة سنة وفى نسخة أخرى ان أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين بوليس سبع سنين ونصفا وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة (ثم ملك) بعده أغسطس بن قيصر ستا وخمسين سنة وهذا الملك هو الاول من ملوك الروم واسمه قيصر وهو الثانى من ملوكهم وتفسير قيصر أى شق عنه وذلك ان امه ماتت وهى حامل به فشق بطنها فكان هذا الملك يفتخر فى وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أمهم فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم والله أعلم * وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وأزال من بقى من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهى مصر وقد قدمنا ان كل ملك كان يلى مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس واحتوى هذا الملك أعنى أغسطس على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وكانت له حروب كثيرة فى الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم

الشقراء يعني بغلته تقطع الطريق في حادة نحو باجة فـامضى الاسير حتى عتب عليه الامير في قصـة اشتد فيها على بعض خاصته فكانت سبب العزله وانصرف كانني فلم يمكث الاسيرا حتى أتى فيه رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضاء الامير الحكم فلاذ منه باليمين بطلاق زوجتـه وبصدقة ما يملك في سبيل الله تعالى ان حكم بين اثنين فلم يعـذره وأخرجه من ماله وعوضـه من طيب ما عنـده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانية ❊ ومما يحكى عنه في العدل ان سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا يخاصم عنـه لشئ اضطر اليه وكانت بيده فيـه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من الاحياء الا الامير الحكم وشاهد آخر مبرز فشـهد لسـعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال في شاهد ثان وجد به الخصام فدخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم وأراه شهادته في الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيـه وعرفه مكان حاجته الى ادائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمه ويلتزم مبرته فقال له يا عم انا لسنا من أهـل الشهادات وقد التبسنا من هـذه الدنيا بما لا تجهله ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاة كنا نفـديه بملكنا فصر في خصامك حيث صيرك الحق اليـه وعلينا خلف ما انتقصك فأبى عليه وقال سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك وأنت وليتـه وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ولا تكتمني ما أخـذ الله عليك فقال بلى ان ذلك لمن حقك كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يمكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته وضايقتـه الآجال فألح عليه فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته بيده في قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هـذه شهادتي بخطي تحت ختمي فاديـاها الى القاضي فأتياه بها الى مجلسه وقت قعوده للسماع من الشهود فأدياها اليـه فقال لهـما قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى وجاء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له أيها القاضي قد شهد عندك الامير أصلحه الله تعالى فما تقول فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل هذه شهادة لا تعمل عندي فجئني بشاهد عـدل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فأعلمه فركب من فوره الى الحكم وقال ذهب سلطاننا وأزيل بهاؤنا يجترئ هـذا القاضي على رد شهادتك والله سبحانه قد استخلفك على عباده وجعـل الامر في دمائهم وأموالهـم اليك هـذا ما يجب أن تحمله عليه وجعل يغريه بالقاضي ويحرضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت أنا في هذا يا عم القاضي رجل صالح والله لا تأخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليـه ويلزمه وسد دونه بابا كان يصعب عليـه الدخول منه فأحسن الله تعالى جزاءه فغضب سعيد الخير وقال هـذا حسبي منك فقال له نعم قـد قضيت الذي كان لك علي ولست والله أعارض القاضي فيما احتـاط به لنفسـه ولا أخون المسلمين في قبض يد مثـله ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبـه يا عاجز أما تعلم أنه لابد من الاعـذار في الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الامير لو

مدنا وكور كورا نسبت تلك المدن اليـه منها قيسارية وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمنا الاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان أنه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد يسوع الناصري بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية في هبوط آدم الى مولد المسيح في تواريخ أصحاب الشرائع من أهـل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام أغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مـدة ملكه على الروم برومية وفي سائر أسفاره ستة وخمسين سنة على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية اياه بقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قلبطره بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب

(ثم ملك الروم بعـده) طيبار يوس وكان مـدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح

قبلتها ولولم أعذر لبخست المشهود عليه حقه * وتوفي القاضي محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعي بست سنين كما يأتي قريبا ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضي عياض في المدارك فليراجعها من أرادها فان عهدي بها في المغرب *

وقال بعض من عرف به ما نصه القاضي محمد بن بشير بن شمد المعافري أصله من جند باجة من عرب مصر ولاه الحكم بن هشام قضاء القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث قال أحمد بن خالد طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لاحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجا قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم خرج حاجا فلقي مالك بن أنس وجالسه وسمع منه وطلب العلم أيضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة وقال ابن حيان انه استقدم من باجة للقضاء برأى العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان في الرواة عن مالك من أهل الاندلس محمد بن بشير ابن سرافيل ويقال شراحيل ولي القضاء وكان رجلا صالحا وبعدله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انما أزرى بقدري أنني * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذي مقلية * لذوي الالباب أو ذي حسد
يتعامون لقائي مثل ما * يتحامون لقاء الاسد
مطلعي أثقل في أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدي

*(ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقي) من أهل قرطبة كان فقيها زاهدا ورعا وحضر افتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازي *(ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثي) خرج حاجا ولقي سحنون بن سعيد بافريقية ولقي بمصر رجالا من أصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفي هنالك *(ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن أبي حمزة) رحل حاجا هو وابناه خطاب وعميرة في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروان وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه *(ومنهم محمد بن أبي قلاعة البواب من أهل قرطبة) كانت له رحلة الى المشرق ولقي فيها جماعة من أهل العلم وأخذ عن أبي اسحق الزجاجي وعن أبي بكر بن الانباري وعن أبي الحسن علي بن سليمان الاخفش وأبي عبد الله نفطويه وغيرهم وسمع من الاخفش الكامل للمبرد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية الا من قبل ابن أبي قلاعة وكان ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل بمصر بمدة وما علمت احدا رواه غيرهما وكان ابن الاحمر القرشي يذكر انه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو حضر ما ضاهى الرجلين المتقدمين *(ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي) من أهل طليطلة وسكن قرطبة يعرف بابن المديني سمع من أحمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مرة الجبلي قديما واختص بمرافقته في

عليه السلام ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانية وتسعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطارس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان في أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسميه سمعان هو وبولص صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما ممن أتى الى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا في أجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وأكثر من عني باخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما اقتتلا برومية في الملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار ماري الى العراق

طريق

طر بى الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من أهل الورع والانقباض وحكى عن ابن مسرة أنه كان فى سكناه المدينة يتتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم قال ودلنى بعض أهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم سرية النبى صلى الله عليه وسلم فقصدتها فاذا هى دويرة لطيفة بين البساتين بشرقى المدينة عرضها وطولها واحد قد شق فى وسطها بحائط وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقى الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفى أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى الصيف قال فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى فى البيتين والسقيفة وفى كل ناحية من نواحى تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره فكشفته بعد انصرافى وهو ساكن فى الجبل عن ذلك فقال هذا البيت الذى ترانى فيه بنيته على تلك الحكاية فى العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان انتهى *(ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ والد أبى زكريا بالراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر تأدب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشى وأحمد بن سعيد ومنذر بن سعيد وأبى على القالى وغيرهم وكان حافظا للنحو واللغة والشعر يفوت من جاراه على حداثة سنه شاعرا مجيدا مترسلا بليغا ورحل مع أبيه الى المشرق سنة تسع وأربعين وثلثمائة فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكنانى وغيرهم وسمع أيضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى أرض فارس فسمع هنالك وجمع كتبا عظيمة وأقام بها الى أن توفى باصبهان مغتبطا مع السنين وثلثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبدون الجبلى العدوى من أهل قرطبة) أدب بالحساب والهندسة ورحل فى سنة سبع وأربعين وثلثمائة فدخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب فمهر فيه ودبر مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس فى سنة ستين وثلثمائة واتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله فى التكسير تاليف حسن رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الازدى الفراء القرطبى) صحب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص به واتصف محله منه وقرأ عليه القرآن ورحل صحبته لاداء فريضة الحج وكان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن والخشوع اذا قرأ بكى ورتل وبين فى مهل ويقول أبو بكر على هذه القراءة وحكى انه سرد الصوم اثنتى عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا الكل ليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها تزيدا من الخير واجتهادا فى العمل *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعافرى الاندلسى) رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وأبا سعيد بن الاعرابى واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد التاهرتى وغيرهم روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا بهمذان سنة احدى وأربعين يعنى وثلثمائة فتوجه منها الى أصبهان وكان قد سمع فى بلاده وبمصر من أصحاب يونس وبالحجاز وبالشام وبالجزيرة من أصحاب على بن حرب وببغداد وورد نيسابور فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين فسمع الكثير ثم خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفى بها فى رجب من سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وروى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابورى وغيرهما ذكره ابن عساكر وأسند اليه قوله

على بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك فى كميسة الحى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من الاثنى عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعه المسيح فمات هنالك وسار آخر الى آخر مدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم ارد مات ببلاد قوف وجا البحار وكر خران فى تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارقس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هنالك وهو أحد التلاميذ الاربعة الذين ألفوا الاناجيل ووجد دنلمارقس مع أهل مصر خبر ظر ف فى مقتله قد أتينا على السبب فى ذلك فى كتابنا الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب انه من جاءكم على صورتى فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدى اناس يتشبهون بى فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى

 وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم ناما هموا بقتله قال لهم ويحكم أنا

ودعت قلبي ساعة التوديع * وأطعت قلبي وهو غير مطيعي
ان لم أشيعهم فقد شيعتهم * بشيعين تنفسي ودموعي

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ثمان وسبعين والاول قول الحا... وهو أصح *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى السرقسطى) روى عنه الباجى وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الاندلسيين وعن أبى حفص عمر بن أبى القاسم بن أبى زيد القفصى وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه أبو محمد الاكفانى وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفى سنة ٤٧٧ *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عيسى بن بقاء الانصارى) من بلاد الثغر الشرقى أخذ القرا آت بالسبع وأخذ عنه جماعة من أهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف فى اللباس ذكره ابن عساكر وقال رأيته وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس ليصلى للاستسقاء على المنبر أولها

أستغفر الله من ذنبي وان كبرا * وأستقل له شكرا وان كثرا

وكان يسكن فى دار الحجارة ويقرئ بالمسجد الجامع ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفى يوم الاربعاء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثانى من ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ودفن فى مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن على بن عيسى الانصارى الخزرجى) من أهل دانية سمع كتاب التقصى لابن عبد البر ولقى أبا الحسن الحصرى ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة اربع وخمسمائة وأقام بها مدة يقرئ العربية وكان شديد الوسوسة فى الوضوء ذكره ابن عساكر وقال أنشدنى أخى أبو الحسن هبة الله بن الحسن الفقيه قال أنشدنا ابن طاهر الاندلسى بدمشق قال انشدنى الحصرى لنفسه

يموت من فى الانام طرا * من طيب كان ومن خبيث
فمستريح ومستراح * منه كما جاء فى الحديث

قال وأنشدنى الحصرى لنفسه

لو كان تحت الارض أو فوق الدرى * حر أتيح له العدو وذى
فاحذر عدوك وهو أهون هين * ان البعوضة أردت النمروذا

*(ومنهم محمد بن أبى سعيد الفرج بن عبد الله البزاز) من أهل سرقسطة لقى بدانية الحصرى وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة وأجازوا له منهم ابن خيرون والحميدى وأبو زكريا التبريزى وابن المبارك عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الاكفانى وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها وأخذ الناس عنه وتوفى هنالك وانشد للحصرى

الناس كالارض ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين
وتشتكى الارجل منها الوجى * واثمد يجعل فى الاعين

وروى عنه ابن الحضرمى وابن جارة وغيرهما *(ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين) الشهير

تركك ولابد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل فى بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه ثيابه واتزر بمئزر صوف على أن يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا فى غير الاثنى عشر ولا أدرى ما معناهم فى ذلك والاثنان اللذان من الاثنى عشر يحيى بن سيداى ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذى وردنا ذكره وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور فى القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس فى سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس اباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) نيرون واستقام ملكه ورغب على حسب

بالميورقي لان أصله منها وسكن غرناطة وروى عن أبي علي الصدفي ورحل حاجا فسمع بمكة
من أبي الفتح عبد الله بن محمد البياضي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي في شوال
وذي القعدة من سنة ٥١٧ وبالاسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن بن مشرف
وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدة طويلة فحدث في غير ما بلد وله
وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث وأسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب عليه الزهد
والصلاح روى عنه أبو عبد الله النميري الحافظ ويقول فيه الازدي تدليسا لان الانصار من
الازد وأبو بكر بن رزق وأبو عبد الله بن عبد الرحيم وابن عبد المنعم وسواهم وصار أخيرا الى
بجاية هاربا من صاحب المغرب حينئذ بعد أن حمل اليه هو وأبو العباس بن العريف وأبو
الحكم بن برجان وحدث هنالك وسمع منه في سنة ٥٣٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن
محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي الاشبيلي) ويعرف بابن عظيمة أخذ القرآآت عن أبي
عبد الله السرقسطي وروى عن أبي عبد الله الخولاني وأبي عبد الله بن فرج وأبي علي الغساني
وأبي داود المقرى وأبي جعفر بن عبد الحق وأبي الوليد بن طريف ورحل حاجا فروى بمكة
عن رزين بن معاوية ثم بالاسكندرية عن ابن الحضرمي أبي عبد الله محمد بن منصور
وأبي الحسن بن مشرف الانماطي وبالمهدية عن المازري وكانت رحلته مع أبي علي منصور
ابن الخير الاحدب للقاء أبي معشر الطبري فبلغه نعيه بمصر فلما قفلا من حجهما قعد
منصور يقول قرأت على أبي معشر واقتصر أبو الحسن في تصدره للاقراء على التحديث عمن
لقي فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده وتقدم في صناعته واشتهر بها
وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنه الناس وله ارجوزة في القرآآت السبع وأخرى في مخارج
الحروف وشرح قصيدة الشقراطسي وله أيضا كتاب الفريدة الحصية في شرح القصيدة
الحصرية واليه والى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشان ومن حملة الرواة عنه أبو بكر
محمد بن خير قرأ عليه الشهاب القضاعي وأجازله جميع رواياته وتواليفه في رجب سنة ٥٣٦
وتوفي في حدود الاربعين وخمسمائة وروى عنه أبو الضحاك الفزاري * (ومنهم أبو عبد الله محمد
ابن أحمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجي) من أهل جيان ويعرف بالبغدادي
لطول سكناه اياها روى عن أبي علي الغساني وأبي محمد بن عتاب ورحل حاجا فلقي أبا الحسن
الطبري المعروف بالكيا وأبا طالب الزينبي وأبا بكر الشاشي وغيرهم وكان فقيها مشاورا
حدث عنه أبو عبد الله النميري وأبو محمد بن عبيد الله وأبو عبد الله بن حميد وأبو القاسم
عبد الرحيم بن الملجوم وغير واحد وتوفي بفاس سنة ٥٤٧ * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن علي
ابن ياسر الانصاري الجياني) ونزل حلب يكنى ابا بكر رحل الى المشرق وادى الفريضة
وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة سنان منها وكان يعلم القرآن ويتردد
الى ابي عبد الله نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحبة ابي القاسم بن عساكر
صاحب تاريخ الشام الى بغداد سنة عشرين وكان زميله فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين
وغيره ثم خرج الى خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني وابي عبد الله الفراوي وابي القاسم
الشحامي وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم ابو محمد الحسن بن علي الحسيني وابو النجم مصباح بن

ماقدمنا وتمي دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسباسيانوس مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سار الى الشام وكانت لهما مع بني اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيها من بني اسرائيل ثلثمائة ألف ونحو باتت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما الاصنام ووجدت في بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس ان يسبي كل يوم منهم سبي يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبي واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) ذونسطناس خمس عشرة سنة عابدا للتماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفي يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادريانس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب

سائر مابنى بنو اسرائيل بالشام (ثم ملك بعده) انطاوليس برومية ثلاثا وعشرين سنة وبنى بيت المقدس وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونبس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثانى أربع سنين يعبد التماثيل وفى آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماماس وتفسير ماماس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عردياس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) يعرس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن فى قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس فى أصحاب الكهف والرقيم فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا أن

محمد المكى وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يسمع منه ويؤخذ عنه ثم انتهى الى حلب فاستوطنها وسلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية وكان فيه عسر فى الرواية والاعارة معا ووقف كتبه على اصحاب الحديث وله عوال مخرجة من حديثه ساوى بعض شيوخه البخارى ومسلما وابا داود والترمذى والنسائى روى عنه ابو حفص الميانشى وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمى وابو محمد عبد الله بن على بن سويدة وابن ابى السنان وغيرهم ذكره ابن عساكر فى تاريخه وقال سمعت منه ومات فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على مابلغنى وقال ابن نقطة حدث عن جماعة منهم ابو القاسم سهل ابن ابراهيم النيسابورى وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمدانى حدثنا عنه ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبى واخوه ابو العباس احمد وحكى عن الحسن بن هبة الله ابن صصرى انه توفى بحلب فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين كما تقدم وقد بلغ السبعين قاله ابن الابار * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسى) سكن شاطبة ودار سلفه بلنسية سمع اباعلى الصدفى واختص به واكثر عنه واليه صارت دواوينه واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع ايضا ابا محمد بن ابى جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الاندلس فسمع محمد بن عتاب وابا بحر الاسدى وابا الوليد بن رشد وابا عبد الله بن الحاج وابا بكر بن العربى وغيرهم وكتب اليه ابو عبد الله الخولانى وابو الوليد بن ظريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم بن صواب وابو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقى بالاسكندرية ابا الحجاج بن نادر الميورقى وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه وعلم الكلام وادى فريضة الحج فى سنة احدى وعشرين ولقى بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية العبدرى امام المالكية بها وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروية فسمع منها واخذ عنها وروى عن ابى حسن على بن سند بن عياش الغسانى ما حمل عن ابى حامد الغزالى من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابن نادر الى حين وفاته بالاسكندرية ولقى اباطاهر بن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشى واباطاهر السلفى وابازكريا الزناتى وغيرهم فأخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشى وابو الحسن بن مشرف الانماطى ولقى فى صدره بالمعدية اباعبد الله المازرى فسمع منه بعض كتاب المعلم واجازله باقيه وعاد الى مرسية فى سنة ست وعشرين وقد حصل فى رحلته علوما جمة ورواية فسيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا فى علم القرآن وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى التصوف مؤثراله اديبا بليغا خطيبا فصيحا ينشئ الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتبا على الصوم وولى خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ فى اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولى القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطنا وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب أيام الجمع فى جوامع هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمرية وهنالك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد الرشاطى وغيرهما وسمع منه أبو الحسن

(١) فيه أن الملك الذى هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما فى القاموس وكتب التفسير

ابن

ابن هذيل جامع الترمذي وألف كتابه شجرة الوهم المرقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله وليس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووصفه غير واحد بالتفنن في العلوم والمعارف والرسوخ في الفقه وأصوله والمشاركة في علم الحديث والادب وقال ابن عباد في حقه انه كان صليبا في الاحكام مقتفيا للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة ثبتا حسن الخط من أهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط السلفي في سفرين قال ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدر مارزقه وذكره أبو سفيان أيضا وأبو عمرو بن عات ورفعوا جميعا بذكره وتوفي بشاطبة مصروفا عن قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بالروضة المنسوبة الى أبي عمر بن عبد البر ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ *(ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي) من أهل غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى أبا القاسم وأخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل وسمع منه كثيرا ورحل حاجا فادى الفريضة وأخذ القرا آت بمكة عن أبي علي بن العرجاء في سنة ست وأربعين وخمسمائة وسنة سبع بعدها وحج ثلاث حجات ودخل بغداد وأقام في رحلته نحوا من تسعة أعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأقرأ بها القرآن نحوا من اربعين سنة لم ياخذ من أحد أجرا ولا قبل هدية وولي الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا مشاورا يشار اليه باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفي في صفر سنة ٥٨٧ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي) نزيل تلمسان من أهل القنت عمل مرسية وسكن أبوه أوريولة رحل الى المشرق فادى الفريضة وأطال الاقامة هنالك واستوسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم من المشرقيين أبو طاهر السلفي صحبه واختص به وأكثر عنه وحكى عنه انه لما ودعه في قفوله الى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره انه كتب كثيرا من الاسفار ومئين من الاجزاء فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله تعالى قد حصلت خيرا كثيرا قال ودعا لي بطول العمر حتى يؤخذ عني ما أخذت عنه وقد جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله أربعون حديثا في المواعظ وأخرى في الفقر وفضله وثالثة في الحب في الله تعالى ورابعة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته في جزء وكتاب فضائل الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذي الحجة وكتاب مناقب السبطين وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب الترغيب في الجهاد خمسون بابا في مجلد وكتاب المواعظ والرقائق اربعون مجلسا سفران وكتاب مشيخة السلفي وغير ذلك ومولده بالقنت الصغرى في نحو الاربعين وخمسمائة وتوفي سنة عشر وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن التي تبهر سيدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم اخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري) ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف

الرقيم هو مارقم من أسماء أهل الكهف في لوح من حجر على باب تلك المغارة ومنهم من رأى ان أصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بارض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بخاري وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذي بناه ذو القرنين مانعا ليأجوج ومأجوج (قال المسعودي) وجدت في كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فمقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني المنجم وتكلم

عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب ٣٩٨ الذى قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا
على ما قيل فى ذلك فى
كتابنا المترجم بالكتاب
الاوسط (ثم ملك طابس)
ثلاث سنين (ثم ملك بعده)
بدنوس نحوا من عشرين
سنة وقيل خمس عشرة
سنة (ثم ملك بعده) فورس
نحوا من عشرين سنة (ثم
ملك بعده) ولده يقال له
فارس نحوا من سنتين (ثم
ملك بعده) فليطالبس
عشر سنين (ثم ملك بعده)
قسطنطين (قال المسعودى)
والذى وجدت فى الاكثر
من كتب التواريخ مما
اتفقوا عليه ان عدة ملوك
الروم الذين ملكوا بمدينة
رومية وهم الذين قدمنا
ذكرهم فى هذا الكتاب
تسعة واربعون ملكا
وجميع عدد سنى ملكهم
من أول ملك ملكهم على
حسب ماذكرنا من الخلاف
فى صدر هذا الكتاب الى
قسطنطين هذا وهو ابن
هلانى أربعمائة وسبع
وثلاثون سنة وسبعة أشهر
وسبعة أيام ونسخ كتب
التواريخ فى هذا المعنى
مختلفة غير متفقة فى أسماء
ملوكهم ومدة ممالكهم
وأكثرها بالرومية
فحكينا من ذلك ما تاتى
وصفه ولهؤلاء الملوك
أخبار وسير هى موجودة فى كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها فى كتابنا

باشبيلية وبالسبع بكتاب الكافى وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح
الرعينى عن أبيه وقرأ أيضا السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشراط القرطبى
وحدثه به عن ابن المؤلف وسمع على أبى بكر محمد بن أبى جمرة كتاب التيسير للدانى عن أبيه عن
المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبى محمد عبد الحق الاشبيلى الأزدى وغير واحد من أهل
المشرق والمغرب يطول تعدادهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها
الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفى وابن عساكر وأبو الفرج
ابن الجوزى ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات
بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون
وأنشدنى لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكلشنى سنة ١٠٣٧ حفظه الله تعالى

انما الحاتمى فى الكون فرد * وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب * من بحار التوحيد يا مستهام
ان سألتم متى توفى حميدا * قلت أرخت مات قطب همام

وقال ابن الابار هو من أهل المرية وقال ابن النجار أقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨ ثم دخل بلاد
المشرق وقال ابن الابار انه أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم
رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبة من
أبى القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة وجمع
مجاميع فى الطريقة وقال ابن الابار انه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه وقال
غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يوما اليه بالفضل والمعرفة والغالب عليه طرق أهل
الحقيقة وله قدم فى الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف ووصفه غير واحد
بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشان بالشام والحجاز وله أصحاب وأتباع ومن تاليفه مجموع
ضمنه منامات رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدث بها عمن رآه صلى
الله عليه وسلم قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر
وحج وجاور وكتب فى علم القوم وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادهم وله أشعار حسنة وكلام
مليح اجتمعت به فى دمشق فى رحلتى اليها وكتبت عنه شيأ من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لى انه
دخل بغداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثنى عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاجا مع الركب سنة ٦٠٨
وأنشدنى لنفسه

أيا حائرا ما بين علم وشهوة * ليتصلا ما بين ضدين من وصل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسألته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الاندلس
انتهى وقال ابن مسدى انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم أخص تحصيل
وله فى الادب الشأو الذى لا يلحق والتقدم الذى لا يسبق سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ
ابن الجد وأبى الوليد الحضرمى وبسبتة من أبى محمد بن عبد الله وقدم عليه اشبيلية أبو محمد
عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وأبو جعفر بن مصلى وذكر انه لقى عبد الحق الاشبيلى

وفى

وفى ذلك عندى نظر انتهى قلت لا نظر فى ذلك فان سيدى الشيخ محيى الدين ذكر فى اجازته للملك المظفر غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ما معناه أو نصه ومن شيوخنا الاندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلى رحمه الله تعالى حدثنى بجميع مصنفاته فى الحديث وعين لى من أسمائها تلقين المهتدى والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثنى بكتب الامام أبى محمد على بن أحمد بن حزم عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى وقال ان الحافظ السلفى أجازله انتهى وقال بعض الحفاظ وأحسبها الاجازة العامة وكان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات وكان دفنه يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما أقام ببلاد الروم زكاه ذات يوم الملك فقال هذا تذل له الاسود أو كلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لى يوما الله يذل لك أعز خلقه وامر له ملك الروم مرة بدار تساوى مائة الف درهم فلما نزلها واقام بها مرّ به فى بعض الايام سائل فقال له شئ لله فقال مالى غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له وقال الذهبى فى حقه ان له توسعا فى الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقا فى التصوف وتواليف جمة فى العرفان لولا شطحه فى كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليونينى فى ذيل مرآة الزمان عن سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه ونفعنا به انه كان يقول انى اعرف اسم الله الاعظم واعرف الكيمياء انتهى وقال ابن شودكين عنه انه كان يقول ينبغى للعبد أن يستعمل همته فى الحضور فى مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقاله وجد ثمرة ذلك فى البرزخ وانتفع به جدا فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله تعالى وقال ان الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك وقال ينبغى للسالك انه متى حضر له انه يعقد على امر و يعاهد الله تعالى عليه أن يترك ذلك الامر الى أن يجىء وقته فان يسر الله تعالى فعله فعله وان لم ييسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد ولا يكون متصفا بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى

بين التذلل والتدلل نقطة * فيها يتيه العالم النحرير
هى نقطة الاكوان ان جاوزتها * كنت الحكيم وعلمك الاكسير

وقوله أيضا رحمه الله

يا درة بيضاء لاهوتية * قد ركبت صدفا من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقائهم * وتنافسوا فى الدر والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان فى سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيى الدين والغيث والسحاب عليه ودمشق ليس عليها شئ قال فقلت للشيخ اماترى هذه الحال فقال كنت عراكش وعندى ابن خروف الشاعر يعنى ابا الحسن على بن محمد القرطبى القيدافى وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فانشدنى

(ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطاليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهى مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له فى بنائها خبر ظريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله فى دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما أوردناه عند ذكرنا لاخبار مصر من هذا الكتاب وهى التى بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد

يطوف السحاب بمراكش * طواف الحجيج ببيت الحرم
يروم نزولا فلا يستطيع * اسفاف الدماء وهتك الحرم انتهى

وحكى المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من أنواره أن الشيخ محيى الدين ابن العربى بعث الى سيدى عمر يستأذنه فى شرح التائية فقال كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها انتهى وقال بعض من عرف به انه لما صنف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادخر منها شيأ وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ومن نظمه رضى الله تعالى عنه

حقيقتى همت بها * وما رآها بصرى
ولو رآها لغدا * قتيل ذاك الحور
فعندما ابصرتها * صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها * اهيم حتى السحر
ياحذرى من حذرى * لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى * جمال ذاك الخفر
فى حسنها من ظبية * ترعى بذات الحجر
اذا رنت اوعطفت * تسبى عقول البشر
كأنما انفاسها * أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى * فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها * نور صباح مسفر
أوسدلت غيهبا * سواد ذاك الشعر
ياقمرا تحت دجى * خذى فؤادى وذرى
عينى لكى أبصركى * اذ كان حظى نظرى

وقال الحموى قال الشيخ سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه رأيت بعض الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويلة فسألنى كيف حالك مع أهلك فقلت

اذا رأت اهل بيتى الكيس ممتلئا * تبسمت ودنت منى تمازحنى
وان رأته خليا من دراهمه * تجهمت وانثنت عنى تقابحنى

فقال لى صدقت كلنا ذلك الرجل * وذكر الامام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة وشيخ الطريقة صفى الدين حسين ابن الامام العلامة جمال الدين أبى الحسن على ابن الامام مفتى الانام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره بعد كلام ماصورته ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم

دين النصرانية وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فانها بنتها هذه الملكة هلانى أم قسطنطين وقد جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم فى أحرفهم هاء وأحرف هلانى خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ما ذكرنا هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فاقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السندوسات واحدها سندوس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانيه من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السندوس أيضا والسندوس الثانى بالقسطنطينية على مقدنوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسندوس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل

العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدي الاستاذ الحرازي اخاء ورفقة في السياحات رضي الله تعالى عنهما في الاصال والبكرات ومن نظم سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه قوله

يامن يراني ولا أراه * كم ذا أراه ولا يراني

قال رحمه الله تعالى قال لي بعض اخواني لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له مرتجلا

يامن يراني مجرما * ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما * ولا يراني لائذا

قلت من هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وانه لا يقصد ظاهره وانما له محامل تليق به وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد وللناس في هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم والله سبحانه بكلام اوليائه اعلم ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدي محيي الدين رضي الله تعالى عنه في ضابط ليلة القدر

وانا جميعا ان نصم يوم جمعة * ففي تاسع العشرين خذ ليلة القدر
وان كان يوم السبت اوّل صومنا * فحادي وعشرين اعتمده بلا عسر
وان كان صوم الشهر في احد فخذ * ففي سابع العشرين ماشئت فاستقري
وان هل بالاثنين فاعلم بانه * يوافيك نيل المجد في تاسع العشر
ويوم الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمد * على خامس العشرين فاعمل بها تدري
وفي الاربعا ان هل يامن يرومها * فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس ان بدا الشهر فاجتهد * ففي ثالث العشرين تظفر بالنصر
وضابطها بالقول ليلة جمعة * توافيك بعد النصف في ليلة الوتر انتهى

قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه اعلى من هذا النظم ولكني ذكرته لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبه اليه فالله تعالى اعلم بحقيقة ذلك ومما نسبه اليه رحمه الله تعالى غير واحد قوله

قلبي قطبي وقالبي اجفاني * سري خضري وعينه عرفاني
روحي هرون وكليمي موسى * نفسي فرعون والهوى هاماني

وذكر بعض الثقات ان هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج في كفه ويلحسهما فانه يبرا باذن الله تعالى قال وهو من المجربات وقد تأوّل بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون ان مراده بفرعون النفس بدليل ماسبق وحكى في ذلك حكاية عن بعض الاولياء ممن كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى * وولد للشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية في رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم

بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان في ملكة المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع في ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلاني في دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه في بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى في النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلام على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها في النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ودفعها في عسكره وزحف الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون

دلك فى شئ من الآراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا المذهب وأخبر بما فعل من

ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون و كان قدم القاهرة وسكن حلبا ومن شعره

لما تبدى عارضاه فى غلط * قيل ظلام بضياء اختلط

وقيل سطر الحسن فى خديه خط * وقيل عاج فوق عاج انبسط

وقيل مسك فوق ورد قد نقط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب ابو عبدالله بن جزى الاندلسى كاتب سلطان الغرب ابى عنان حين تنازع الكتاب ارباب الاقلام والرؤساء اصحاب السيوف فى تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا نشبهه الا بما هو مناسب لصنعتنا فلما فرغوا قال ابن جزى

انى اولو الكتب والسيف الاولى عزموا * من بعد سلمى على حربى واسلامى

بكل معنى بديع فى العذار على * ما يقتضى منهم أفكار احلام

فقال ذو الكتب لا أرضى المحارب فى * تشبيهه لا وأنقاسى واقلامى

وقال ذو الحرب لا ارضى الكتائب فى * تشبيهه ومظلاتى واعلامى

فقلت أجمع بين المذهبين معا * باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التى لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم *(رجع) ومن نظم سعد الدين قوله

سهرى من المحبوب اصبح مرسلا * وأراه متصلا بفيض مدامع

قال الحبيب بان ريقى نافع * فاسمع رواية مالك عن نافع

ومن نظمه ايضا قوله

وقالوا قصير شعر من قد هويته * فقلت دعونى لا ارى منه مخلصا

محياه شمس قد علت غصن قده * فلا عجب للظل ان يتقلصا

وقوله

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ

اذا رمانا بسهم لحظ * فما له دائم النفوذ

وقوله

لك والله منظر * قل فيه المشارك

ان يوما نراك فيـ * ـه ليوم مبارك

ومن نظمه أيضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين أبى عبدالله محمد ابن الشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربى أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته

ما للنوى رقة ترثى لمكتئب * حران فى قلبه والدمع فى حلب

قد اصبحت حلب ذات العماد بكم * وجلق ارم هذا من العجب

وتوفى الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضى ابن الزكى رحمهم الله تعالى الجميع ومن نظم سعد الدين المذكور فى وسيم رآه بالزيادة فى دمشق

ياخليلى فى الزيادة ظبى * سلبت مقلتاه جفنى رقاده

كيف أرجو السلو عنه وطرفى * ناظر حسن وجهه فى الزياده

وله

قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فاتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السنودس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفى وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاد الموضع القسطنطينية ووروده الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجرى الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه فى الموضع الذى يأخذ من بحر مانطش نحو من عشرة أميال وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى

سباه تمنع من يرد فى هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية

علقت

علقت صوفياً كبدر الدجى * لكنه في وصلي الزاهد
يشهد وجدي بغرامي له * فديت صوفياله شاهد

وله

صبوت إلى ... مليح * تكرر نحو منزله مسيري
أقول له الأني لصب * عديم للمساعد والنصير
أقام ببابكم خمسين شهرا * فقال كذا مقامات الحريري

وله

وغزال من اليهود اتاني * زائراً من كنيسه او كناسه
بت أجنى الشقيق من وجنتيه * واشم العبير من انفاسه
واعتنقنا اذلم نخف من رقيب * وأمنا الوشاة من حراسه
من رآني يظنني لخولي * واصفراري علامة فوق راسه

وله

لي حبيب بالتحواصج مغرى * فهو مني بما اعانيه أدرى
قلت ماذا تقول حين تنادي * ياحبيبي المضاف نحوك جهرا
قال لي ياغلام أو ياغلامي * قلت لبيك ثم لبيك عشرا

وله ايضا

ساءلتني عن لفظة لغوية * فاجبت مبتدئاً بغير تفكر
خاطبتني متبسماً فرايتها * من نظم ثغرك في صحاح الجوهري

وله

وعلمت ان من الحديد فؤاده * لما انتضى من مقلتيه مهندا
آنست من وجدي بجانب خده * ناراً ولكن ما وجدت بها هدى

وقال الشيخ محيي الدين افاض الله تعالى علينا من انواره وكنا ببعض حلل اسراره انه بلغني في مكة عن امراة من اهل بغداد انها تكلمت في بأمور عظيمة فقلت هذه قد جعلها الله تعالى سبباً لخير وصل الي فلا كافئها وعقدت في نفسي ان اجعل جميع ما اعتمرت في رجب لها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم استدل على رجل غريب فسأله الجماعة عن قصده فقال رأيت بالينبع في الليلة التي بت فيها كأن آلافاً من الابل اوقارها المسك والعنبر والجوهر فعجبت من كثرته ثم سألت لمن هو فقيل هو لمحمد بن عربي يهديه الى فلانة وسمي تلك المرأة ثم قال وهذا بعض ما تستحق قال سيدي ابن عربي فلما سمعت الرؤيا واسم المرأة ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم مني ذلك علمت أنه تعريف من جانب الحق وفهمت من قوله ان هذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدت المرأة وقلت اصدقيني وذكرت لها ما كان من ذلك فقالت كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف فشكرك الجماعة الذين كنت فيهم فقلت في نفسي اللهم اني أشهدك اني قد وهبت له ثواب ما أعمله في يوم الاثنين وفي يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما قال فعلمت ان الذي وصل مني اليها بعض ما تستحق فانها

فيه القسطنطينية نحو امس أربعة أميال وعليه العمائر وينتهي في ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين في فم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرني أبو عمير عدي بن حاتم بن عبد الباقي الازدي وهو شيخ الثغور الشامية قدم الي وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلي بحر مانطش ونيطش ور بما يتبين في الماء الجرى مما يلي بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل في بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام ازارقة وقد كانوا

سبقت بالجميل والفضل للتقدم ومن نظم الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى

يا غاية السؤل والمأمول يا سندى * شوقى اليك شديد لا الى أحد
ذبت اشتياقا ووجدا فى محبتكم * فآه من طول شوقى آه من كمدى
يدى وضعت على قلبى مخافة أن * ينشق صدرى لما خانني جلدى
ما زال يرفعها طورا ويخفضها * حتى وضعت يدى الاخرى تشد يدى

وحكى سبط ابن الجوزى عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم و يقول انه يعرف السيميا بطريق التنزل لا بطريق التكسب انتهى والله تعالى أعلم والتسليم أسلم ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله

ما فاز بالتوبة الا الذى * قد تاب قدما والورى نوم
فمن يتب أدرك مطلوبه * من توبة الناس ولا يعلم

وله رحمه الله تعالى من المحاسن ما لا يستوفى وأنشدنى لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفى الشيخ محمد بن سعد الكلشنى حفظه الله تعالى قوله

أمولاى محيي الدين أنت الذى بدت * علومك فى الآفاق كالغيث مذهبى
كشفت معانى كل علم مكتم * وأوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه ولله در السيوطى الحافظ فانه ألف تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربى ومقام هذا الشيخ معلوم والتعريف به يستدعى طولا وهو أظهر من نار على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربى بالالف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضى أبى بكر ابن العربى وقال ابن خاتمة فى كتابه مزية المرية ما نصه محمد بن على بن محمد الطائى الصوفى من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربى وبالحاتمى أيضا أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل الى المشرق حاجا فأدى الفريضة ولم يعد بعدها الى الاندلس وسمع الحديث من أبى القاسم الخرستانى ومن غيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبى الحسن بن أبى نصر فى شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث بالاجازة العامة عن أبى طاهر السلفى ويقول بها وبرع فى علم التصوف وله فى ذلك تواليف كثيرة منها الجمع والتفصيل فى حقائق التنزيل والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة وكتاب كشف المعنى فى تفسير الاسماء الحسنى وكتاب المعارف الالهية وكتاب الاسرا الى المقام الاسرى وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم وكتاب عنقاء مغرب فى صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب فى فضائل مشيخة عبد العزيز ابن أبى بكر القرشى المهدوى والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية فى كتب أخر عديدة وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا خفاء أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله تعالى فى بعض كتبه أن مولده بمرسية وفى الكتاب المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تأليف شيخ الاسلام قاضى القضاة مجد

الدين

الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومى وان فى مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلى الشرق ومما يلى الشمال وفى الجانب الجنوبى البر وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس وأعلى موضع فى سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن اقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلى البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودى) ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء فى الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعنى الارثماطيقى وهو علم الاعداد والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة والاسترونوميا وهو علم النجوم والموسيقى وهو علم تأليف

الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي الصديقي صاحب القاموس قدس الله تعالى روحه الذي ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربي الطائي قدس الله تعالى سره العزيز في كتبه المنسوبة اليه ماصورته ماتقول السادة العلماء شد الله تعالى بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين في الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هي الكتب المسموعة المقروءة أم لا أفتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده * (فأجابه بما صورته) الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذي اعتقده في حال المسؤل عنه ودين الله تعالى به انه كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام الحقيقة حقيقة ورسما ومحيي رسوم المعارف فعلا واسما

اذا تغلغل فكر المرء في طرف * من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عباب لاتكدره الدلاء وسحاب لاتتقاصر عنه الانواء كانت دعواته تخترق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق واني أصفه وهو يقينا فوق ماوصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني اني ما انصفته

وما على اذا ماقلت معتقدي * دع الجهول يظن العدل عدوانا

والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا

بان ماقلت بعض من مناقبه * مازدت الا لعلي زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التي جواهرها وكثرتها لايعرف لها أول ولا آخر ماوضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل مافي مبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشان لايكون الا لانفاس من خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها وأجزته أيضا أن يروي عني مصنفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مصنف منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه الى سورة الكهف عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفي ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر بحر لاساحل له ولاغرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به وثم طائفة في الغي حائفة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم الجهل الى حد التكفير وماذاك الا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

على نحت القوافي من معادنها * وما علي اذا لم تفهم البقر

هذا الذي نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به في حقه والله سبحانه وتعالى أعلم وصورة استشهاده كتبه محمد الصديقي الملتجئ الى حرم الله تعالى عفا الله عنه انتهى وأما احتجاجه بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب وزور فقد روى بناء على شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال كنا في مجلس الدرس بين يدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام فجاء في باب

اللعون ولم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة بالاقطار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا أسلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغير واما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها بتهيج عند سماعه وتحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست في قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملاهي والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهي من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار وممازجة

الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية او عجمية فقال بعض الفضلاء انما هي فارسية معربة أصلها زن دين أي على دين المرأة [illegible] الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر الى جانب الشيخ مثل [illegible]بى بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق أن الشيخ [illegible] للافطار معه فحضرت ووجدت منه اقبالا ولطفا فقلت له ياسيدى هل تعرف القطب [illegible] فى زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفنى به من هو فتبسم رحمه الله تعالى وقال لى الشيخ محيي الدين بن عربى فاطرقت ساكتا متحيرا فقال مالك فقلت ياسيدى قد حرت قال لم قلت أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ما قال فى ابن عربى وأنت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذى روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام وأما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين الزملكانى من أجل مشايخ الشام أيضا يقول ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيي الدين بن عربى لاجل كلمات وألفاظ وقعت فى كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتونى لاحل لهم مشكله وأبين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموى سئل عن الشيخ محيي الدين بن عربى لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت ابن عربى فقال وجدته بحرا زخارا لا ساحل له وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدى له كتاب جليل وضعه فى تاريخ علماء العالم فى مجلدات كثيرة وهى موجودة فى خزانة السلطان تنظر فى باب الميم ترجمة محمد بن عربى لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية والمواهب الربانية وقوله فى شئ من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنفه بامر من الحضرة الشريفة النبوية وأمره باخراجه الى الناس قال الشيخ محيي الدين الذهبى حافظ الشام ما أظن المحيي يتعمد الكذب أصلا وهو من أعظم المنكرين وأشدهم على طائفة الصوفية ثم ان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق وأخرج هذه العلوم اليهم ولم ينكر عليه أحد شيأ من ذلك وكان قاضى القضاة الشافعية فى عصره شمس الدين أحمد الحوبى يخدمه خدمة العبيد وقاضى القضاة المالكية زوجه بابنته وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ * واما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات وقول المنكرين فى حق مثله غثاء وهباء لا يعبأ به والحمد لله تعالى انتهى ما نقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه * وقد حكى الشيخ رضى الله تعالى عنه عن نفسه فى كتبه ما يبهر الالباب وكفى بذلك دليلا على ما منحه الله الذى يفتح لمن شاء الباب وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بنى عثمان نصرهم الله تعالى على توالى الازمان وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مرارا ورأيت لوائح الانوار عليه ظاهرة ولا يجد منصف محيدا الى انكار ما شاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتى له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ * وقال فى عنوان الدراية ان الشيخ محيي الدين كان يعرف بالاندلس بابن سراقة وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان قوى على الايراد كلما طلب الزيادة يزاد رحل

الى

أحاط بذلك من جميع الوجوه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على ظريف أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب فى غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا لمعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين ابن هلانى الملك المتنصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضى وكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشدد دين النصرانية (ثم تملك) ابن أخى قسطنطين الاول يوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو يوليانس المعروف بالحنفى وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس البرباط وغزا العراق فى ملك سابور ابن اردشير بن بابك فاتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق فى جنود لا تحصى ولم يكن لسابور حيله فى دفعه ولقائه لما جاءته اياه فانصرف

الى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧ وبها لقى أبا عبد الله العربى وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية فى التاريخ المذكور قال رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم الا نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذى عرضتها عليه لاتذكرنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذى لا يدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب مالا يكون فيه أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذلك الشاب الاندلسى الذى وصل اليها ثم قال صاحب العنوان ماملخصه ان الشيخ محيي الدين رحل الى المشرق واستقرت به الدار وألف تواليفه وفيها مافيها ان قيض الله تعالى من يسامح ويتاول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالامر صعب وقد قدعليه أهل الديار المصرية وسعوا فى اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى فانه سعى فى خلاصه وتاول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت فقال له ياسيدى تلك شطحات فى محل سكر ولاعتب على سكران * وتوفى الشيخ محيي الدين فى نحو الاربعين وستمائة وكان يحدث بالاجازة العامة عن السلفى رحمه الله تعالى انتهى * ومن موشحات الشيخ محيي الدين رضى الله تعالى عنه

مطلع

سرائر الاعيان * لاحت على الاكوان * للناظرين
والعاشق الغيران * من ذاك فى حران * يبدى الانين

دور

يقول والوجد * أضناه والبعد * قد حيره
لما دنا البعد * لم أدر من بعد * من غيره
وهيم العبد * والواحد الفرد * قد خيره
فى البوح والكتمان * والسر والاعلان * فى العالمين
أما هو الديان * ياعابد الاوثان * أنت الضنين

دور

كل الهوى صعب * على الذى يشكو * ذل الحجاب
يامن له قلب * لو أنه يذكو * عند الشباب
قد قرب الرب * لكنه افك * فانو المتاب
وناد يارحمن * يارب يامنان * انى حزين
أضنانى الهجران * ولا حبيب دان * ولا معين

دور

فنسيت بالله * عما تراه العين * من كونه

من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس خرج من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مريناس وقيل انه كاتب الماضى فابى عليهم ان يتملك الاان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور القوم وأحاط بعسا كرهم فكان لمريناس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ماتلف من أرضه باموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيدها كل فى دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى ايامه استيقظ أصحاب الكهف

من رقدتهم على حسب ماأخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم

فى موقف الجاه * وصحت أين الاين * فى بينه
فقال ياساهى * عاينت قطعين * بعينه
أما ترى عيلان * وقيس أومن كان * فى الغابرين
قالوا الهوى سلطان * ان حل بالانسان * أفناه دين

دور

كم مرة قالا * أنا الذى أهوى * من هو أنا
فلا أرى حالا * ولا أرى شكوى * الا الفنا
لست كن مالا * عن الذى يهوى * بعد الجنا
ودان بالسلوان * هذا هوا لبهتان * للعارفين
سلوهم ما كان * عن حضرة الرحمن * والآ فكين

دور

دخلت فى بستان * الانس والقرب * ككنسه
فقام لى الريحان * يختال بالعجب * فى سندسه
أنا هو الانسان * مطيب الصب * فى مجلسه
ياجنان ياجنان * اجن من البستان * الياسمين
وحل الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

وقال الامام الصفى بن ظافر الازدى فى رسالته رأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء اتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الحرار اخاء ورفقة فى السياحات رضى الله تعالى عنهما انتهى * وذكر الامام سيدى عبد الله بن سعد اليافعى اليمنى فى الارشاد أنه اجتمع مع الشهاب السهروردى فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربى ما تقول فى السهروردى فقال مملوء سنة من فرنه الى قدمه وقيل للسهروردى ما تقول فى الشيخ محيى الدين فقال بحر الحقائق ثم قال اليافعى ما ملخصه ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته وقال انكم لا تفهمون معانى كلامه ثم قال اليافعى وسمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض أصحابه أريد أن ترينى القطب أو قال وليا فاشار الى ابن عربى فقال له فأنت تطعن فيه فقال أصون ظاهر الشرع أو كما قال وأخبرنى بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الاصبهانى والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه آخرون وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام اذ هو أحد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال وما نسب الى المشايخ له محامل الاول أنه لم تصح نسبته اليهم الثانى بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق فان لم يوجد له تأويل فى الظاهر

الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى فى كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد أوانيس) غراطناسس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم فى روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثانى (ثم ملك بعده) بدوسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظمها وبنى كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدى فى كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من اهل أصبهان وانهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبد الله ابن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من اهل السير والاخبار والاشهر من امرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك

الاندلس من الازارقه واحدهم ازرقي وقد سورع على ديانتهم ٣٣٤ من رأى انهم كانوا على

فله تاويل فى الباطن لم نعلمه وانما يعلمه العارفون الثالث أن يكون ذلك صدر منهم فى حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ولا مكلف انتهى ملخصا وممن ذكر الشيخ محيي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدى فى معجمه البديع المحتوى على ثلاث مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة مطولة ذكر منها أنه قال انه كان ظاهرى المذهب فى العبادات باطنى النظر فى الاعتقادات خاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحيا تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والاقدام ومواقف النهايات فى مزالق الاقدام ولهذا ما ارتبت فى أمره والله تعالى أعلم بسره انتهى :ونقلت من خط ابن علوان التونسى رحمه الله تعالى قال الشيخ محيي الدين

بالمال ينقاد كل صعب * من عالم الارض والسماء
يحسبه عالم حجابا * لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذى فى النفوس منه * لم يجب الله فى الدعاء
لا تحسب المال ما تراه * من عسجد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يا بنى * به غنيا عن السواء
فكن برب العلا غنيا * وعامل الخلق بالوفاء

وقال

نبه على السر ولا تفشه * فالبوح بالسر له مقت
على الذى يبديه فاصبر له * واكتمه حتى يصل الوقت

وقال

قد ذاب علما ما علينا * فما لنا فى الوجود قدر
أدبا بنا صيرت رؤسا * مالى على ما أراه صبر
هذا هو الدهر يا خليلى * فمن يقاسيه فهو قهر

ونظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذى لا ساحل له ولنختم ما أوردناه منه بقوله

يا حبذا المسجد من مسجد * وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة * فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد * لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره * فى كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا * أعلن بالتأذين فى المسجد
فهذه عشرون مقرونة * بأفضل الذكر الى الموعد

*(ومنهم الصوفى الشهير أبو الحسن الششترى وهو على بن عبد الله النميرى) عروس الفقهاء وامام المتجردين وبركة لابسى الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادى آش وزقاق الششترى معلوم بها وكان مجوّدا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه من أهل العلم والعمل جال فى الآفاق ولقى المشايخ وحج حجات وآثر التجرد والعبادة *وذكره القاضى أبو العباس الغبرينى فى عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفى من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين

دين المجوس ومنهم من رأى أنهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بمدينة افسس وجمع مائتى أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذى قدمنا ذكره آنفا ولعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الحيلة التى وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسى بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان فى بدريا زوجة الملك الى أن نفى نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما سمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد

٥٢ ط ل كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يأبون هذه الاضافة

له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع أخذ عن القاضي محيي الدين محمد بن ابراهيم ابن الحسن بن سراقة الانصاري الشاطبي وغيره من أصحاب السهروردي صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن ابراهيم الدمشقي سنة ٦٥٠ هـ خدم أبا محمد بن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه في السن لكن اشتهر باتباعه وعول على ما لديه حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما لقيه يريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى أبي مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الي ولما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير فيقسمهم الترتيب في وظائف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله و يعتقده الى وفاته وله كتاب المقاليد الوجودية في اسرار الصوفية والرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله رحمه الله تعالى

لقد تهت عجبا بالتجرد والفقر * فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحة قدسية * فغبت بها عن عالم الخلق والامر
طويت بساط الكون والطي نشره * وما القصد الا الترك للطي والنشر
وغمضت عين القلب غير مطلق * فألفيتني ذاك الملقب بالغير
وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة * ونزهت من أعنى عن الوصل والهجر
وما الوصف الا دونه غير أنني * أريد به التشبيب عن بعض ما أدرى
وذلك مثل الصوت أيقظ نائما * فأبصر أمرا جل عن ضابط الحصر
فقلت له الاسماء تبغي بيانه * فكانت له الالفاظ سترا على ستر

وقال

من لامني لو أنه قد أبصرا * ما ذقته أضحى به متحيرا
وغدا يقول لصحبه ان أنتم * أنكرتموما أتيتم منكرا
شذت أمور القوم عن عاداتهم * فلاجل ذاك يقال سحر مفترى

وقال وهي من أشهر ما قال

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا * نغيب به عنا لدى الصعق ان عنا

وهي طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته وأشار ابن الخطيب في الاحاطة الى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان وضعف في العربية قال ومع ذلك فهي غريبة المنزع أشار فيها الى مراتب الاعيان الاعلام من أهل هذه الطريقة وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه اذا الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر وقوله فيها

الى نسطورس و يكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأى المشارقة في الثالوث وهو الكلام في الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك تدوسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرقيانوس (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفي أيامها كان حبر اليعاقبة من النصارى و وقوع الخلاف بينهم في الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق و بلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل و بغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد فات وساجهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسي اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة انطاكية و كذلك لهم كرسي بمصر ولا أعلم له غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر ابن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وفي ايامه احرم مسعرة اليعقوبي بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا

وأظهر منها الغافقي لما جنى * وكشف عن أطواره العمى والدجى

هو شيخه أبو محمد بن سبعين لأنه مرسي الاصل غافقيه ولما وصل الششتري من الشام الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومي فقال ما اسم هذه القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة وأوصى أن يدفن بمقبرة دمياط اذ الطينة مفازة وأقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على أعناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم سيدي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الاندلسي) وحرالة قرية من أعمال مرسية غير أنه ولد بمراكش وأخذ بالاندلس عن أبي الحسن بن خروف وغير واحد ورحل الى المشرق فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي امام الحرم وغيره ولقي جملة من المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع صالح زاهد كان بقية السلف وقدوة الخلف وقد زهد في الدنيا وتخلى عنها وأقام في تفسير الفاتحة نحوا من ستة أشهر يلقي في التعليل قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام حتى من الله تعالى ببركات ومواهب لا تحصى وعلى أحكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف في كثير من الفنون كالاصول والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرأ النجاة لابن سينا فينقضه عروة عروة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك وشاطن فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات فقرأ التهذيب وأبدى فيه الغرائب وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيء وطلب عز الدين أن يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثر القول في هذا المعنى ثم قال يخرج من بلادنا الى وطنه يعني الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج وأقيم أنا فكان كذلك وله عدة مؤلفات في الفنون وقال رحمه الله تعالى أقمت ملازما لمجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندي من يعطيني دينارا ومن يزدريني وأصبح رحمه الله تعالى ذات يوم ولا شيء لاهله يقيم به أودهم وكانت أم ولده جارية تسمى كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه في الطلب وقالت له ان الاصاغر لا شيء لهم فقال لها الآن يأتي من قبل الوكيل ما نتقوت به فبينما هم كذلك واذا بالجمال يضرب الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما أعلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنعه فامر فتصدق به ثم قال لها يأتيك ما هو أحسن فانتظرت يسيرا وبدا لها الفاقة كلمته بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بجمال سميذ فقال لها هذا السميذ أيسر وأسهل من القمح فلم يسعها ذلك فأمر أيضا بصدقته فلما تصدق به زادت في المقال واذا برجل على رأسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المؤنة هذا الوكيل قد لطف بحالك * ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا في نزهة وأخذوا حليا من زينة النساء فزينوا به بعض أصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذي كان في يده الحلي يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلي لا يشار بها في الميعاد ومنها أنه أصاب الناس جدب ببجاية فارسل الى داره من يسوق ماء الى الفقراء فامتنعت كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال للرسول قل لها يا كريمة والله لا شربن

وفي تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجماع وهو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا تعتد بهذا السندوس ولهم خبر ظريف في قصة سواري البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعي ودعوته الى مذهب سواري واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعي هذا وبه عرفت وكان من أهل انطاكية يعمل البراذع (ثم ملك) بعد اليون الاصغر ابنه ليون سنة على دين الملكية (ثم ملك بعده) بيروهو من بلاد الامينيان وكان يذهب الى رأي اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دار الملك فظفر بهم (ثم ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة وكان ملكه الى ان هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطيانس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهي احدى عجائب

من ماء المطر الساعة نرمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى ورفع يده به وشرع المؤذن في الاذان ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القرب وتوفي رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني ووقع للذهبي في حقه كلام على عادته في الحط على هذه الطائفة ثم قال ورأيت شيخنا المجد التونسي يتغالى في تفسيره ورأيت غير واحد معظما له وموقرا وقوما تكلموا في عقيدته وكان نازلا عند قاضي حماة البارزي وقال لنا شرف الدين البارزي تزوج بحماة وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسم وان رجلا راهن جماعة على أن يحرجه فقالوا لا تقدر فأتى وهو يعظ وصاح وقال له أنت أبوك كان يهوديا وأسلم فنزل من الكرسي فاعتقد الرجل انه غضب وانه تم له ما رامه حتى وصل اليه فخلع مرطيه عليه وأعطاه اياهما وقال له بشرك الله بالخير لانك شهدت لابي انه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبريني ان تفسير الشيخ الحرالي كامل وقال بعضهم انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعي مناسباته وذكر أن الذي وقف عليه منه من أول القرآن الى قوله في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبي في الشيخ يرده كلام الغبريني اذ هو أعرف به والله تعالى أعلم وحكى الغبريني انه أنشد بين يديه الزجل المشهور

جنان يا جنان * اجن من البستان * الياسمين
واترك الريحان * بحرسة الرحمن * للعاشقين

فسأل بعضا عن معناه فقال بعض الحاضرين أراد به العذار وقال آخر انما أشار الى دوام العهد لان الازهار كلها ينقضي زمانها الا الريحان فانه دائم فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه (ومنهم ولي الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير المقامات سيدي أبو العباس المرسي نفعنا الله تعالى به) وهو من أكابر الاولياء صحب سيدي الشيخ الفرد القطب الغوث الجامع سيدي أبا الحسن الشاذلي أعاد الله تعالى علينا من بركاته وخلفه بعده وكان قدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعوات وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله وقد عرف به الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله في كتابه لطائف المنن في مناقب الشيخ سيدي أبي العباس وشيخه سيدي أبي الحسن رضي الله تعالى عنهما وقال الصفدي في الوافي أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس الانصاري المرسي وارث شيخه الشاذلي تصوفا الاشعري معتقدا توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل الثغر فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عرام سبط الشاذلي ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالثغر انتهى وكان سيدي أبو العباس يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكثر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل بكسر معصيته وذل مخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس في الصلاة والطهارة وينقل عليه شهود من كان على صحبته وذكر عنده يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا انه كثير الوسوسة فقال وأين العلم

العالم والهياكل المذكورة وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك ان يسوع الناصري حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى أن قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في هذه السنة وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اعطي هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن اخيه قرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأي الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين واظهر في ملكه انواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) مورقس عشرين سنة ونصر كسرى ابرويز على بهرام جور فقتل غيلة وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبني الكنائس ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى

العلم العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود وله كلام بديع فى تفسير القرآن العزيز فمن ذلك انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع وله فى هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره وبسطه الشيخ رضى الله تعالى عنه فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقية والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له درجة الصديقية وفاتته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه وقال رضى الله تعالى عنه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضى الله تعالى عنه التقوى فى كتاب الله عز وجل على أقسام تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية وتقوى الله وتقوى الانية واتقون يا أولى الالباب وقال رضى الله تعالى عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لى بالعبودية لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمرو ناد عبد زهراء * يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول سمنون المحب

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

الاولى أن يقول فكيفما شئت فاعف عنى اذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضى الله تعالى عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال

وجدت فى كتب التواريخ تنازعا فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان فى ملك نوسطونوس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطونوس) وكان ملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذى فى كتب الزيجات فى النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفى تواريخ ملوك الروم عمن سلف وخلف أن ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وأيام أبى بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا فى السير منها وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل ابن قيصر) وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام

رضى الله تعالى العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال الزاهد غريب من الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة قال بعض العارفين معنى الغربة فى كلام الشيخ رضى الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فتغرب فى هذه الدار وأما العارف فانه غريب فى الآخرة اذ كشف له عن صفات معروفة فاخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا فى الآخرة لان سره مع الله تعالى بلا أين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الخصوص فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متادبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين * وكلام سيدى الشيخ أبى العباس رضى الله تعالى عنه بحر لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله فان فيه من ذلك ما يشفى ويكفى وما بقى أكثر * ومن كراماته رضى الله تعالى عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يختبره به فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحارث المحاسبى رضى الله تعالى عنه كان فى اصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه وأنا فى يدى سبعون عرقا تتحرك على اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به *(ومنهم أبو اسحق الساحلى المعروف بالطويجن) بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذكور من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة وكان أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها متقنا متفننا وله الباع المديد فى الفرائض وأبو اسحق هذا كان فى صغره من ثقات شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفى رحمه الله تعالى انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاحمر فى كتابه نثير الجمان فيمن نظمنى واياه الزمان * وقال أبو المكارم منديل بن آجروم حدثنى من يوثق بقوله ان أبا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخيرة سنة ٧٤٧ بتنبكتو موضع بالصحراء من عمالة مالى رحمه الله تعالى ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى قال ومن نسبه للساحلى فانه نسبه لجده للام انتهى *(ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى) من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجى مولده ببيغة رحل عن الاندلس قديما واستقر أخيرا بالاسكندرية وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرة وقد أطال فى رحلته فى ترجمته الى أن قال وذكره صاحبنا أبو حيان وهو أحد من أخذ عنه ولقيه فقال تلا القرآن بالاندلس على أبى الوليد هشام بن واقف المقرى وسمع بها من أبى زيد الرازى العشر بينيات وسمع بمكة من شهاب الدين السهروردى صاحب عوارف المعارف وتلا

مورق بن مورق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأيام معاوية بن أبى سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان اختلف بينهما نياق الرومى غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان بشره بالملك واعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ثم نزل الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ اميرا على الشام لعثمان فى خبر طويل قد أتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق فى الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون) بن قلفط فى أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده جيرون بن لاون فى أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر

وتلا بالاسكندرية على أبي القاسم بن عيسى ولا يعرف له نظم في أحد من العالم الا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريري

أهن لاهل البدع * والهجر والتمنع * ودن بترك الطمع
ولذ باهل الورع

وعد عن كل بذي * لم يكترث بالنبذ * والهج بسبر جهبذ
وعالم متضع

واندب زمانا قد سلف * ولم تجد منه خلف * وابعث بانواع الاسف
رسائل التضرع

وهي طويلة فلتراجع في ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله تعالى (ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكي المرسي الاندلسي) ولقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة ثم رحل الى المشرق وحج حججا وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويرمى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى آية في الايثار انتهى وقال غير واحد ان اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة أمره ولما ذكر الشريف الغرناطي عنه أنه كان يكتب عن نفسه ابن ه يعني الدارة التي هي كالصفر وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة ضمن فيه البيت المشهور محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا * حسبما ذكره الشريف في شرح مقصورة حازم وقد طال عهدي به فليراجعه من ظفر به وقال صاحب درة الاسلاك في سنة ٦٦٩ ما صورته وفيها توفي الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي صوفي متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وتملها بعض الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله تعالى برحمته انتهى وقال بعض الاعلام في حق ابن سبعين انه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقراء والسفارة أصحاب العبادات والدفاقيس بنفسه ويحفون به في السكك ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها ووقع في رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور وأظن اسمه يحيى ابن محمد بن أحمد بن سليمان وسماها بالوراثة المحمدية والفصول الذاتية ما صورته فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم

مسلمة بن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم في البر والبحر فملكوا عليهم رجلا من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى أن ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور واخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك في أيام المهدي والهادي (ثم ملك بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه أريني ملكة معه مشاركة له في الملك لصغر سنه في أيام هرون الرشيد فمات قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم) نقفور بن اسبراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فأعطى القود من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفي انقياد نقفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى أصبحت بالدين معنيا * وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فأنت الذي تدعى رشيدا ومهديا

النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته المضافة للعالم المطلق ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التى لا يمكن أحدا أن يتصف بها الا بمجد أزلى وتخصيص الهى وها انا أصف لك بعض ماخصه الله سبحانه وتعالى به من الامور التى هى خارقة للعادة ونلغى عن الامور الخفية التى لا نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التى نعلمها والتى لا يمكن أحدا أن يسترتب فيها الا من أصمه الله تعالى وأعماه ولا يجحدها الا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه وأنساه رشده ونعوذ بالله ممن عاند من الله تعالى ساعده وأيده وهو معه بنصره وعونه فما أتعب معانده وما أسعد موادده وما أكبت مراديه فنبدأ بذكر ماوعدنا فنقول الاول فى شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التى فى بلاد المغرب وهو بنو سبعين قرشيا هاشميا علويا وأبواه وجدوده يشار اليهم ويعول فى الرياسة والحسب والتعين عليهم والثانى كونه من بلاد المغرب والنبى عليه السلام قال لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه فهو المشار اليه بالحديث ثم نقول أهل المغرب أهل الحق وأحق الناس بالحق وأحق المغرب بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط وأحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذى يدور الكل عليه ويعول فى مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق الله تعالى والمسئلة حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل المغرب ظاهرون على الحق أى على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل الله خير العالم وأهل الحق هم خير أهل الله والمحقق خير أهل الحق فالمحقق خير العالم فهو المشار اليه ثم نقول انظر فى بدايته وحفظ الله سبحانه له فى صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التى هى فى جبلة البشرية وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها فى آبائه وهى الآن فى اخوته وخروجه عن الاهل والوطن الذى قرنه الحق مع قتل الانسان نفسه وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثم انظر فى تأيده وفتحه من الصغر وتأليف كتاب بدء العارف وهو ابن خمس عشرة سنة وفى جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوى على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع الامور السنية والسنية تجده خارقا للعادة وفى نشأته فى بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التى لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعادة وفى تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس وفى شجاعته وقوة توكله فى عزمه ونصره لدنائه وظهور حجته على خصمائه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفى انقياد أهل المغرب له واجتماعهم عليه فى كل بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله تعالى حجته ويقمع خصمه ويكبت عدوه ويعجز معارضه ويفحم معترضه وفى غيرة الحق عليه وهلاك من تعرض بالاذى اليه يعلم العادل المخصوص

اذا ماسخطت الشئ كان مسخطا * وان ترض شيأ كان فى الناس مرضيا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا
فاوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى
فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى
نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله أن صفى لهارون ملكه
وكان قضاء الله فى الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا
واصبح نقفور لهارون ذميا
فلما عوفى الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هاب الناس أن يخبروه بغدر نقفور فقال بعض الذى أعطاكه نقفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه
فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا
بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية أن أتى
بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت بيمنك أن تعجل غزوة
تشفى النفوس نكالها مذكور
نقفور انك حين تغدر أن نأى * ذلك الامام لجاهل مغرور

انه عند الله مخصوص وفى خلقه وقهره لقواه النزوعيه والغضبية واسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التى لا تنسى شيأ والمفكرة التى تتصور الذوات المجردة والمعلومة سرعين الضيف وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار آيته واستجلاب ثنائه فى الجهات كلها وبالجملة جميع ماذكرت فيه هو خارق للعادة البشرية ومعجز لمعارضه من كل الجهات ولولا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعى وتقيم الادلة القطعية على تعجيزها ولكن أعطيت الانموذج وعرفت ان النبيه يمعن فكره ويجد ذلك كله كما قلته وبالجملة جميع جزئياته اذا تؤملت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص فصح انه هو المشار اليه والمعول فى جملة الامور عليه وانما أعطيت الامر المشهور وتركت ما يعلم منه من خرق العوائد فى ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر وأخذ الدراهم من الكون واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما أخبر فصح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما فى الرسالة فى شان الشيخ ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة كما سيأتى قريبا أن ابن سبعين عاقه الخوف من أمير المدينة عن القدوم اليها وعظم عليه بذلك الحمل وقبحت الاحدوثة عنه انتهى لكن قال شهاب الدين بن أبى حجلة التلمسانى الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض ما معناه أخبرنى الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش التلمسانى شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه صده عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره انتهى وقال غيره ثم زار النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدث بذلك أسهاره بمكة انتهى وقال لسان الدين أما شهرته ومحله من الادراك والآراء والاوضاع والاسماء والوقوف على الاقوال والتعمق فى الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه بالعجب وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى حدثنى بعض أشياخنا من أهل المشرق أن الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فنكث به ولم يف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الاعظم برومية فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبى محمد عبد الحق بن سبعين فى التكلم عنه والاستظهار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر الى ما بيده وسئل عن نفسه فاخبر بما ينبغى كلم ذلك القس من دنا منه بكلام معجم ترجم لابى طالب بما معناه اعلموا ان أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى وقال غير واحد انه ظهر منه واشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فمنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولى الله سيدى أبى مدين نفعنا الله تعالى ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة وممن حكى هذا لسان الدين فى الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبى عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك

لظننت حين غدرت انك مفلت * هيهات أمك ما ظننت غرور

ان الامام على اقتصادك قادر
قربت ديارك أم نأت بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا
عما يسوس بحزمه ويدير
ملك يجود الى الجهاد بنفسه
فعدوه أبدا به مقهور
يا من يريد رضا الاله بسعيه
والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش امامه
والنصح من نصحائه مشكور
نصح الامام على الانام فريضة
ولاهلها كفارة وطهور

وهى طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أوقد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك فى سنة تسعين ومائة واخبرنى أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الازدى ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين وأبو اسحاق الفزارى صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أى شئ تقول فى نزولنا على هذا الحصن فقال هذا اول حصن لقيت من حصون الروم وهو فى نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه

افريقيه وما اليها ان أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وأرسلوا له بيعتهم وهي من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهي طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب باطراف الكلام ما لا مطمع وراءه غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدي المبشر به في الاحاديث الذي يحثو المال ولا يعده وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون في محله ولابن سبعين من رسالة سلام عليك ورحمة الله سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمة الله الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة أعز ملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا قياس الكمال ومقدمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الذهن اليه قرأ نعم العبد السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الاولياء وأسرار مشروطات الاذكياء الاتقياء السلام عليك يا من جاوز في السموات مقام الرسل والانبياء وزادك رفعة واستعلاء عن ذوات الملا الاعلى وذكر قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * وقال بعضهم عند ايراده جملة من رسائله التي منها هذه انها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وايثار الورع انتهى * وقال بعض العلماء الاكابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به ما نصه ببعض اختصار هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية والادب بالاندلس ونظر في العلوم العقلية وأخذ عن أبي اسحق بن دهاق وبرع في طريقه وجال في البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته وعظم أمره وكثر أتباعه حتى انه ترحم له أمير مكة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب السفر وكتاب الاجوبة اليمنية وكتاب الكد وكتاب الاحاطة ورسائل كثيرة في الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة * وعن زرود وجيران بذي سلم
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحي حي سوى ليلى فتسأله * عنها سؤالك وهم جر للعدم

ونشأ رحمه الله تعالى ترفا مبجلا في ظل جاه ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو وكان وسيما جميلا ملوكي البزة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات في الايثار والجود بما في يده رحمه الله تعالى * وقال في الاحاطة للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدها ولما توجه الى كلامه سهام الناقدين قصر أكثرهم عن مداه في الادراك والخوض في تلك البحار والاطلاع وساءت منهم في الممازجة له السيرة فانصرفوا عنه مكلومين ينذرون عنه في الآفاق من سوء العالة ما لا شئ فوقه وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب وعاقه الخوف من أمير المدينة عن الدخول اليها الى ان توفي فعظم بذلك الحمل عليه ونبحت الاحدوثة عنه ولما وردت على سبتة المسائل الصقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتا للمسلمين

لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بابي اسحق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا أمير المؤمنين هذا حصن بنته الروم في بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك انتقاصا في التدبير والرأي عندي ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحق الفزاري فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فالرأي الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا في الدين واطماعا لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأي يا أمير المؤمنين ان تأمر بالنداء في الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على

انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه وبديهه من فكرته رحمه الله تعالى انتهى * وقال بعض من عرف به انه من أهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة * وقال فى عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن بجاية مدة ولقى من أصحابنا ناسا وأخذوا عنه وانتفعوا به فى فنون خاصة له مشاركة فى معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو أحد العلماء الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة هى موجودة بأيدى أصحابه وله فيها ألغاز واشارات بحروف أبجد وله تسميات مخصوصة فى كتبه هى نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هى كالاسامى المعهودة وله شعر فى التحقيق وفى مراقى أهل الطريق وكتابته مستحسنة فى طريق الادباء وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج فى كل عام وهذه مزية لا يعرف قدرها ولا يرام ولقد مشى به للمغاربة فى الحرم الشريف حظ لم يكن لهم فى غير مدته وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ويهتدون بافعاله * توفى رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار وذكر رحمه الله تعالى فى ترجمة تلميذه الشيخ أبى الحسن الششترى السابق الذكر أن أكثر الطلبة يرجحونه على شيخه أبى محمد بن سبعين واذا ذكر له هذا يقول انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وتصور باعهم * ومن تآليف ابن سبعين الفتح المشترك ومما حكاه صاحب عنوان الدراية فى ترجمة الششترى مما لم نذكره فى ترجمته الماضية ورأينا ذكره هنا تبركا أن الششترى كان فى بعض أسفاره فى البرية وكان رجل من أصحابه قد أسر فسمعه الفقراء يقول الينا يا أحمد فقيل له من أحمد الذى ناديته ياسيدى فى هذه البرية فقال لهم من تسرون به غدا ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل المأسور فقال الشيخ للفقراء هنيئا لنا باقتحام العقبة صافحوا أخاكم المنادى به ومن مناقبه نفع الله تعالى به أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهريج جاءه الشيخ الصالح أبو اسحق الزرنانى نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولى أبى عبد الله الصنهاجى نفع الله تعالى به مع جملة أصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة فجلسوا لانتظاره فلم يكن الا قليل اذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد وأقبل على الفقراء وأثر العبرة على وجنته فقال ائتونى بمداد فلما أحضر بين يديه تأوه تأوها شديدا كاد أن يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب على اللوح هذه الابيات

لا تلتفت بالله يا ناظرى * لاهيف كالغصن الناضر
يا قلب واصرف عنك وهم البقا * وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب والبان وما لعلع * ما الخيف ما طى بنى عامر
جمال من سميته داثر * ما حاجة العاقل بالداثر
وانما مطلبه فى الذى * هام الورى فى حسنه الباهر

هـذا الحصن الى أن يفتحه الله عزوجل على المسلمين و ثام بقطع الخشب و جمع الاحجار و بناء مدينة بازاء هذا الحصن الى أن يفتحه الله عزوجل ولا يكون هذا الخبر ينمو الى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فام الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمير بن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزاد فيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه و بنى لها نحو الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة حاكى به حصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جميعه فى كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا

أفاد للشمس سنى كالذي * أعاره للقمر الزاهر
أصبحت فيه مغرما حائرا * لله در المغرم الحائر

وكانوا يوما ببلد مالقة وكثيرا ما يحود عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعالى انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني فقال مجلا رضي الله تعالى عنه وفهم من الآية ما لم يفهم وعلم منها ما لم يعلم

انظر للفظ أنا مغرما فيه * من حيث نظرتنا لعل تدريه
خل ادخارك لا تفخر بعارية * لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسر حاملة * ان شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص ببجاية من أهلها يعرف بابي الحسن بن علال من أهل الامانة والديانة فوجده يذاكر بعض أهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستعماله لحاضرة الفهم فاعتقد شياخته وتقديمه ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعالى ويأتيهم بما كول فلما يسر جميع ما هم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر الثاني الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقراء زادا فلما كان في الليل رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما قال الرجل فنهضت اليه بسرور ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ادع الله تعالى لي فالتفت لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقال يا أبا بكر أعطه فاذا به رضي الله تعالى عنه قسم رغيفا كان بيده وأعطاني نصفه ثم أفاق الرجل من منامه وأخذه وجد من هذه الرؤيا المباركة فأيقظ أهله واستعمل نفسه في العبادة فلما كان من الغد سار وأتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا علي اقرب فلما قرب قال له يا علي لو أتيت بالكل لاخذت منه الرغيف بكماله انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن غصن الاشبيلي) من ولد شداد بن أوس الانصاري الجزيري نسبة الى الجزيرة الخضراء الامام المقرى الزاهد عرض على الاستاذ ابن أبي الربيع الموطأ من حفظه وأخذ عنه النحو وكان من أولياء الله تعالى الصالحين وعباده الناصحين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث وأحكامه فقيها عارفا متقنا لمذاهب الائمة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من أحد شيأ يخلمه الله تعالى يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية وأقرأ القرآن بمكة مدة بالقرآت وبالمدينة وبيت المقدس وممن قرأ عليه خليل امام المالكية بالحرم والشهاب الطبري امام الحنفية بالحرم وله مصنفات في القرآت منها مختصر الكافي وكتاب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ تخمينا وتوفي ببيت المقدس آخر سنة ٧٢٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الفقيه الاستاذ النحوي التاريخي اللغوي أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي يكنى أبا العباس وأبا جعفر) قرأ بالاندلس على مشايخ من أفضلهم الاستاذ أبو علي عمر الشلوبين ثم ارتحل الى العدوة وسكن بجاية وأقرأ بها مدة وارتحل الى المشرق فحج ثم رجع الى حضرة تونس واتخذها وطنا واشتغل بها بالاقراء الى أن مات كان يتبسط لاقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة وله

مكتوبا عليه باليونانية فجعلت أترجمه والرشيد ينظر الي وأنا لا أعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم عافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا لنفسه موفرا لخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب في ذلك اليوم زائدا على ألفي سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من اهلها كأجمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الي منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم انقاظه فقيل له يا امير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه ويطغيه ويجرئه ان يخرج في غد

تواليف كثيرة منها على الجمل وشرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شيء من فصيح كلام العرب قال الغبريني رحمه الله تعالى ورأيت له تأليفا في الاذكار وله عقيدة في علم الكلام ورأيت له مجموعا سماه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل والحرف وله تواليف أخر وكان من أساتيذ افريقية في وقته وممن أخذ عنه واستفيد منه انتهى * وذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن المذكور تأليفا سماه التجنيس وله شرح أبيات الجمل سماه وشي الحلل رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ أبي الحسن حازم وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجده فحكى أبو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازما قال كنت يوما بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب وسمعت نقر الباب فخرجت فاذا بالفقيه أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادرا حتى أدخله وبالغ في برهوا كرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة * فقال له يا فقيه أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه الا قول الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وبشرها وأصلحها بخطه وأصل هذا اللبلي من لبلة بالاندلس اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحويا فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بم انتصب خير مقدم فقال له اللبلي على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وتذكره سيبويه ثم سرد عليه الباب من أوله الى آخره فانه كان يحفظ أكثره فأكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى ومن خطه المبارك نقلت ان الاستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله تعالى قرأ عليه يوما قول امرئ القيس

حي الحمول بجانب العزل * اذ لا يلائم شكلها شكلي

فقال لطلبته ما العامل في هذا الظرف يعني اذ فتنازعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على استاذنا أبي علي الشلوبين فسألنا هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يغض منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ولم يتكلم بغرائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا الا أبي علي فنسي حتى قرئ عليه قول النابغة * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * فتذكر وقال ما فعلتم في سؤال ابن عصفور فصدقناه الحديث فاقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبلي لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لانفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة نخص ونظر كلما حكمنا بحكم صدتنا عنه قوانين نحوية حتى مضت مدة طويلة فوفد علينا بتونس المحروسة أحد طلبة ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا ساكنا بسبتة وهو أحد طلبة الشلوبين أيضا ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية فجرت هذه المسئلة

فيطلب المبارزة ويعود لمثل قوله فطال ذلك على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب فاذن لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد منا صيت فان رأى أمير المؤمنين أن يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا يا أمير المؤمنين فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي في يدي اشد ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد وأتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج

في قوله تعالى اذ نسوّ يكم برب العالمين فقال هذا الطالب ان هذا الظرف وقع موقع لام العلة فعلمنا أن هذا هو الذي أراد الاستاذ أبو علي ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلته ظرفا فلا بد من العامل واذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين والذي يجوز عكسه على مذهب الجميع وانما الاولى أن يقال اذ حرف معناه التعليل تشترك فيه الاسماء كما اشتركت في عن والله أعلم بغيبه انتهى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي) قال الحافظ المقريزي وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم في حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة فيما بين توجه وعبادة وتصنيف جمع في تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين وله كتاب التذكرة في أمور الآخرة في مجلدين وشرح التقصي وله تآليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما وتوفي بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ودفن بها رحمه الله تعالى * وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح الى الغاية اثنا عشر مجلدا انتهى * وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد أجحف المصنف في ترجمته جدا وكان متفننا متبحرا في العلم انتهى * وكتب بعض باثر هذا الكلام ما نصه قال الذهبي رحل وكتب وسمع وكان يقظا فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى * وكتب آخر اثر ذلك الكلام ما صورته مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة ما لها فائدة فان الذهبي قال في تاريخ الاسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الامام القرطبي امام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشان الركبان وله الاسنى في شرح الاسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى * وكتب آخر باثر هذا الكلام ما نصه غفر الله لك اذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول ان مشاحة شيخك لا فائدة فيها وتسيء الادب معه وتقول ان كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك انتهى *(ومنهم أبو القاسم بن حاضر الجزيري الخزرجي محمد بن أحمد) من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعدما كان من عدول بلنسية وكان فصيحا عالما بصناعة التوربق وله نظم لم يحضر في الآن شيء منه ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو القاسم التجيبي محمد بن أحمد التجيبي) من أهل بلش قرأ على ابن مفرج وابن أبي الاحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له أدب وشعر منه قوله من أبيات

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشيء في ادراكه شيآن

انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا باس فادوه ليس يخرج

وهو يعدهم واحدا واحدا لك سنا الا رجل واحد فلما خصل منهم ابن الجزري نادى له العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم فقال له الرومي أتصدقني عما أسألك عنه قال نعم قال أنت ابن الجزري بالله قال اللهم نعم قال فكفؤ لي قال بلى كفؤ ثم أخذا في شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكادا الفرسان أن يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد اشتدت الحرب عليهما وتبلد جوادا هما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن انه قد بالغ فيها فيتقيها الرومي وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضربه الرومي فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزري كانت يمانية وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعطعط المشركون من حصنهم وانما كانت حيلة من ابن الجزري فاتبعه العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزري رماه

يالتيه ترك الذى أنا مبصر * وهو الخبر فى الغزال الثانى

ولد بيلش سنة ٦٢٣ وتوفى بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥ وممن روى عنه نحوى الزمان اثير الدين أبو حيان وغيره رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو بكر الخزرجى محمد بن أحمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقى المالكى) قال الشريف أبو القاسم انه كان أحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما فى أيدى الناس يأكل من كسب يده ولا يقبل لاحد شيأ مع وجد وعلم وعمل وفضل وأدب ولم يكن فى زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربية على الشلوبين وقرأ القراآت السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده بحارا وكان لا يأكل الا من كسب يده يخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا به فترك ذلك وصار يدق القصد برويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى أحد ليقبلها وجاءه شخص قد زيد عليه فى أجرة مسكنه ليشفع الى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد فضى الى صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر فعلم بذلك الساكن بعد مدة فقال له ياسيدى ماسالت الاشفاعة وأنت تزن عنى فقال له رجل له دار يأخذ أجرتها يجىء اليه الخزرجى يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا أنا فلم يزل يدفع الزائد الى أن انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ عن خمس وأربعين سنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرح الهاشمى مولاهم) لان ولاءه لبنى العباس من أهل قرطبة ولد فى شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع بها من وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيره ورحل فحج وأدرك بعصر ابن الورد وابن رشيق وأبا على بن السكن ونظراءهم فى سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات فى شهر رمضان سنة ست وأربعمائة قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من أهل الاجتهاد فى العبادة مائلا الى التقشف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متبعا للسنن * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سلمان بن أحمد بن ابراهيم الزهرى الاندلسى الاشبيلى) ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنه ٥٠٩ وعمره ثلاثون سنة وأقام بها مدة وسمع من شيوخها كابى الفرج بن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطه وسافر الى أصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشئ المقامات وصنف كتاب البيان والتبيين فى انساب المحدثين ستة أجزاء وكتاب البيان فيما أبهم من الاسماء فى القرآن مجلد وكتاب أقسام البلاغة واحكام الصناعة فى مجلدين وكتاب شرح الايضاح لابى على الفارسى فى خمسة عشر مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلد وكتاب شرح اليمينى فى مجلد قال المنذرى توفى شهيدا قتله التتار فى رجب وقال ابن النجار فى سابع عشر رجب ٦١٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الاعلى ابن القاسم القرطبى المقرى المعروف بالورشى) نسبة الى قراءة ورش لاشتهاره بها وهو أحد القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم فى علم القرآن سمع بمصر

وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا فى حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقيل انهم بادروا بالامان فامنوا وافتتحها عنوة أشهر من قول من قال انها افتتحت صلحا فقال فى ذلك الشاعر المكى

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا
جواثما ترتمى بالنفط والنار
كأن نيرانها من جنب قلعتهم
مصقلات على ارسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره فى ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت الاموال على ابن الجزرى ونوّد وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسأل أن يعفى ويترك على ماهو عليه ففى ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة بالخراب
من الملك الموفق للصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا
ويبرق بالمذكرة العضاب

ورايات يحل النصر فيها * تمر كانها قطع السحاب
امير المؤمنين ظفرت فاسلم * وأبشر بالغنيمة والاياب

والشام والحجاز والعراقين والجبل وأصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع على ابن المرزبان باصبهان وبالاهواز عبد الواحد بن خلف الجنديسابوري وبفارس أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي وقال ابن النجار قدم بغداد وحدث بها توفي بسجستان في ربيع الاول سنة ٣٩٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي اللخمي) قال ابن بشكوال مولده في صفر سنة ٣٥٦ وسمع عن جده ورحل الى المشرق وقال ابن غلبون في مشيخته انه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل قائما بها واقفا عليها قاعدا للشروط محسنا لها عارفا وبيتهم بيت علم ونباهة فيه هو وأبوه وجده وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السن وعلى منازلهم في السبق وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة وشاركه في السماع والرواية عن جده وسمع بمصر من أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن زريق المخزومي وقال ابن بشكوال كان من أجل الفقهاء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدما على أهل الوثائق عارفا بعللها وألف فيها كتابا حسنا وكتابا في السجلات الى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى وتوفية العلم حقه من الوفاء والتصون توفي في المحرم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبي الاندلسي القرطبي الفقيه المالكي المشهور صاحب العتبية) سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذي جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس وتعرف بالعتبية وأكثر الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة وكان يؤتى بالمسئلة الغريبة فاذا سمعها قال أدخلوها في المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها خطأ كثير كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره * قال ابن يونس توفي بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبي نسبة الى عتبة بن أبي سفيان بن حرب وقيل الى جد له مذكور يسمى عتبة وقيل الى ولاء عتبة بن يعيش * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا المعافري المقري الفرضي الاديب) ولد بالاندلس سنة ٥٩١ ونشأ ببلنسية وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة في القرا آت على وزن الشاطبية لكن أكثر أبياتا وصرح فيها بأسماء القراء ولم يرمز كما فعل الشاطبي وكانت له يد في الفرائض والعروض مع معرفة القرا آت والادب ومن شعره

اذا ما اشترت بنت أباها فعتقه * بنفس الشرا شرعا عليها تأصلا
وميراثه ان مات من غير عاصب * ومن غير ذي فرض لها قد تأثلا
لها النصف بالميراث والنصف بالولا * فان وهب ابنا أو شراه تفضلا
وأعتق شرعا ذلك الابن مالها * سوى الثلث والثلثان للاخ أصلا
وميراثها فيه اذا مات قبلها * كميراثها في الاب من قبل يجتلى
ومولى أبيها ما لها الدهر فيه من * ولاء ولا ارث مع الاب فاعتلى

وهذه المسئلة ذكر الغزالي في الوسيط انه قضى فيها أربعمائة قاض وغلطوا وصورتها ابنة

والرشيد مع يعفور هذا بعد ذلك أخبار كثيرة قد أتينا على مبسوطها في كتابنا الاوسط وما كان من خبره في ارساله ليحيى بن الشخير حين أمره ان يتطارش على يعفور وما كان من يعفور واخباره لبطارقته ان الرشيد بعث بهذا متصامما وما طالبه ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه ابنما كان من ماء عين العشيرة وهي عين البذندون وهي في نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد يعفور استراق بن يعفور بن استراق في أيام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك قسطنطين فلعط وكان ملك قسطنطين هذا في خلافة المامون (ثم ملك بعده) نطر نوفيل وذلك في خلافة المعتصم وهو الذي فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخائيل بن نوفيل وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين ثم كان بين الروم تنازع في الملك فملكوا عليهم نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل (ثم غلب على الملك نسيل)

اشترت أباها فعتق عليها ثم اشترى الاب ابنا فعتق عليه ثم اشترى عبدا فأعتقه ثم مات الاب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الانثيين ثم مات العبد المعتق فلمن يكون ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهي مشهورة * (ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل أبو عبد الله الاموى الاندلسي الطليطلي المعروف بالنقاش) نزل مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصى وأخذ عنه جماعة وتوفى بمصر سنة ٥٢٩ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي القبري القرطبي المؤدب) رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة سالم بن الفضل البغدادي وغيره وكان صالحا خيرا مؤدبا سمع من الناس وتوفى سنة ٣٦٢ والقبري بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا * (ومنهم جمال الدين أبو بكر او ابي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عماد الحراني وبدمشق من مكرم بن ابي الصقر وبحلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي وسمع باربل وبغداد وأقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولي مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصري بالجبل وأقام بدمشق يفتي ويدرس وكان من العلماء الزهاد كثير العبادة والورع والزهد أحد الأئمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على مذهب الامام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا في الاشتقاق وشرح ألفية ابن معطي وأخذ عنه الناس وطلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقي المنصب لاجله شاغرا الى أن مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسحمان بسين مهملة مضمومة ثم حاء ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي المعروف والده بالقنتوري) وكان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا وولد هو سنة ٣١٨ وكان سكناه بقرطبة بقرب عين قنت أوربة وسمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا ومن ابن دليم والخشني ورحل سنة ٣٣٧ وسمع بمكة من ابن الاعرابي ولزمه حتى مات وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ودخل صنعاء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقي صاحب احمد البزار وسمع من السيراني وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والاسكندرية فبلغت عدة شيوخه الى مائتين وثلاثين شيخا وروى عنه ابو عمرو الطلمنكي وجماعة وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه ابي سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من اقرانه وعاد الى الاندلس من رحلته سنة ٣٤٥ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة والف له عدة كتب واستقضاه على استجة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨ قال الحميدي هو محدث حافظ جليل صنف كتبا في فقه الحديث وفي فقه التابعين فمنها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات وفقه الزهري في اجزاء كثيرة وسمع مسند ابن الفرضي وحديث قاسم بن اصبغ قال ابن الفرضي وكان عالما بالحديث بصيرا برجاله صحيح النقل حافظا جيد الكتابة على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف في حقه انه كان من اعى الناس بالعلم واحفظهم

الصقلبي ولم يكن من اهل بيت الملك وكان ملكه ايام المعتز والمهتدي وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون ابن نسيل بقية ايام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد (ثم هلك) فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن اليون بن نسيل الصقلبي وكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك ارميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبي بابنته وذلك في بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضي والمتقي الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة ابي اسحق المتقي بن المقتدر وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور ارميوس المتغلب ثم الثاني وهو قسطنطين ابن لاوى بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل أرميوس ابنا له آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذي ياخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقرر بدا له

للحديث وأبصرهم بالرجال ما رايت مثله فى هذا الفن من أوثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتبا وأشدهم تعبا لروايته وأجودهم ضبطا لكتبه وأ[illegible]رهم تصحيحا لها لم يدع فيها شبهة رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو عبد الله القيسى الوضاحى محمد بن احمد بن موسى) رحل الى المشرق وسمع من السلفى وغيره جملة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المرية مدة وبها مات سنة ٥٣٩ وقيل فى التى بعدها وكان من أظرف الناس وأحسنهم أدبا فقيها فاضلا ثقة ذا فرائد جمة عفيفا معتنيا بالعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدرى البلنسى) ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفى وابن عوف والحضرمى والتنوخى والعثمانى وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية فى الصلاح والورع وأعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة فى اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح الاشبيلى) ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة باشبيلية وجال فى بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلاء وحصل كثيرا فى علم القرا آت والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقرآن جيد الاداء له وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن أسباط المخزومى القرطبى) روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحرث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفى سنة ٣٧٩ *(ومنهم أبو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السليم قاضى الجماعة بقرطبة) مولده سنة ٣٠٦ روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابى وبمصر من الزبير وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الا[illegible] فاقبل على الزهد ودراسة العلم وحدث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقه [illegible] بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفى بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسليم [illegible] السين مكبرا *(ومنهم موسى بن بهيج المغربى الاندلسى الواعظ الفقيه العالم) من أهل المرية نزل مصر يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والادب وله فى الزهد وغيره أشعار حملت عنه وحدث المرشانى عنه بخمسة فى الحج وأعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولابن بهيج هذا قوله

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها * واجتهد ما قدر ساعه
واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

*(ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر) من أهل مرسية سمع صهره أبا على ابن سكرة الصدفى وكانت بنته عند أبى على ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبى محمد بن مفوز الشاطبى وأبى الحسن بن شفيع قرأ عليهما الموطا ورحل وحج وسمع السنن من الطرطوشى وعنى بالرواية وانتسخ صحيحى البخارى ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبى على وكانا أصلين لا يكاد يوجد فى الصحة مثلهما حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبى على نحو ستين مرة وكتب أيضا الغريبين للهروى وغير ذلك وكان أحد الافاضل الصلحاء والاجواد السمحاء يؤم بالناس فى صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره أبى على وبما يحتاج اليه

السكنيسة وأمر الروم يدور فى وقتنا هذا على ما ذكرنا ٤٢٦ من ملوكهم (قال المسعودى) فالى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم على حسب ما ذكرنا والله أعلم ما يكون من أمرهم فى المستقبل من الزمان فعدد سنى ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين ابن هلانى وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذى أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم فى هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا فى هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلانى اثنان وأربعون ملكا فى مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عنى باخبار العالم الى أن من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ستة آلاف سنة ومائتان وتسعون سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سنى العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى *(ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار من

من دقيق الاشياء وجليلها واليه أوصى عند توجهه الى غزوة كتندة التى فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة وكانت له مشاركة في علم اللغة والادب وقد حدث عنه ابن أخيه القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة وبالفصيح لثعلب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الازدي) من أهل وادي آش له رحلة الى المشرق أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر وغيرهما ثم قفل الى بلده انتهى ملخصا من ابن الابار*وحكى الصفدي أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي بمصر وروى عنه شيأ من شعره ومما روى عنه انه قال أنشدني المتنبي لنفسه

لاعبت بالخاتم انسانة * كمثل بدر في الدجى الفاحم
وكلما حاولت أخذي له * من البنان المطرف الناعم
ألقته في فيها فقلت انظروا * قد خبئ الخاتم في الخاتم

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو عبد الله بن مالك) صاحب التسهيل والالفية وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي الجياني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل الى المشرق النحوي نزيل دمشق ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن بن السخاوي وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فممن أخذ عنه بجيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت ابن خيار عرف بابن الطيلسان وأبي رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي من أهل لبلة وأخذ القرا آت عن أبي العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله ابن مالك المرشاني وجالس يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان اماما في القرا آت وعالما بها وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها قال الصفدي أخبرني أبو الثناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة قال الصفدي وهذا أمر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما في الكتابين وأخبرني عنه أنه كان اذا صلى في العادلية لانه كان امام المدرسة يشيعه قاضي القضاة ابن خلكان الى بيته تعظيما له وقد روى عنه الالفية شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ورواها اجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالاجازة عنهما عنه وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشق لجه وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الائمة الاعلام يتحيرون في أمره وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لانه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث وان لم يكن فيه شئ عدل الى أشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتاب تسهيل الفوائد قال الصفدي ومدحه

من كتابه فقال عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء *فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها روابٍ وتلال مثل الكواكب قد أحاطت بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا في الزوارق واما المسكة السوداء فان في شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمردة الخضراء فان في شهر طوبه وهو كانون الثاني وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو أذار

سعد الدين محمد بن عربي بأبيات مليحة الى الغاية وهي

ان الامام جمال الدين جمله * رب العلا ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم * يزل مفيدا لذي لب تأمله
وكل مسئلة في النحو يجمعها * ان الفوائد جمع لانظير له

قال وفي هذه الابيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من ابراد ذكرته في كتابي فص الخاتم انتهى قلت أجاب العجيسي عن ذلك بان الابيات ليست في التسهيل وانما هي في كتاب له يسمى الفوائد وهو الذي لخصه في التسهيل فقوله في اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر أيضا أنه مثل التسهيل في القدر على ما ذكره من وقف عليه وقال واليه يشير سعد الدين محمد بن عربي بقوله ان الامام الى آخره وسعد الدين ابن الشيخ محيي الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال العجيسي وذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد وعلى هذا الاصح قول الصفدي ان المدح المذكور في التسهيل الا بارتكاب ضرب من التاويل انتهى كلام العجيسي قلت وذكر غيره أن قوله في الالفية مقاصد النحو بها محويه اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محويه فانه لو كان كما ذكر لقال محوى واجاب بعضهم بانه من باب الاستخدام وفيه تعسف (رجع) ومن تصانيف ابن مالك الموصل في نظم المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبك المنظوم وفك المختوم ومن قال ان اسمه فك المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهي مختصر الشافية واكمال الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية الافعال وشرحها وفعل وأفعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد في الظاء والضاد مجلد واعراب مشكل البخاري وتحفة المودود في المقصور والممدود وغير ذلك كشرح التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد ومحب الدين بن جعوان وشمس الدين بن أبي الفتح وابن العطار وزين الدين أبو بكر المزى والشيخ أبو الحسين اليونيني وأبو عبد الله الصيرفي وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم ومن نظمه في الحلبة

خيل السباق المجلى بعده مصل * والمسلى وتال بعده مرتاح
وعاطف وحظى والمؤمل واللطيم والفسكل السكيت ياصاح

وله من هذه الضوابط شئ كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوه صغيران وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري وكان الشيخ ركن الدين بن القوبع يقول ان ابن مالك ما خلى للنحو حرمة وحكي عنه أنه كان يوما في الحمام وقد اعتزل في مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال ما تصنع فقال اكنس لك الموضع للقعود قال بعضهم وهذا مما يستبعد على دين ابن مالك والعهدة على

يلمع ويكثر عشبها ونباتها فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فان في شهر برموده وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤنه وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمي كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك في الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها سلب ومالها رغب وفي أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحروبهم حرب وهي لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومي فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفربيا ودو مجراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدأهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومدبهما فيما سلف من هذا الكتاب وأنه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة

ناقله قال الصفدي ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس وتوفي ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقال بعضهم من أحسن شعر ابن مالك

اذا رمدت عيني تداويت منكم * بنظرة حسن او بسمع كلام
فان لم اجد ماء تيممت باسمكم * وصليت فرضي والديار امامي
واخلصت تكبيري عن الغير معرضا * وقابلت أعلام السوى بسلام
ولم ار الا نور ذا تك لائحا * فهل تدع الشمس امتداد ظلام

وقدم رحمه الله تعالى القاهرة ثم رحل الى دمشق و بها مات كما علم * وقال الشرف الحصني يرثيه

يا شتات الاسماء والافعال * بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط * منه في الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم باذن الله من غير شبهة ومحال
عدم النحو والتعطف والتو * كيد مستبدلا من الابدال
ألم اعتراه اسكن منه * حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكتة لهمز قضاء * اورثت طول مدة الانفصال
رفعوه في نعشه فانتصبنا * نصب تمييز كيف سير الجبال
خفضوه عند الصلاة بدل * فاميلت اسراره للدلال
صرفوه يا عظم ما فعلوه * وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه في الترب من غير مثل * سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا * مسكنا للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سبا الحظ منه * حظه جاء اول الانفال
يا بيان الاعراب يا جامع الاعراب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان في النظم والنثر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوم بثثتها في اناس * علموا ما بثثت عند الزوال

انتهت ملخصة قال الصفدي وما رأيت مرثية في نحوي أحسن منها على طولها انتهى
ودفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضي عزالدين بن الصائغ وقال العيني بتربة ابن جعوان ورثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعي * حمرا يحاكيها النجيع القاني
فلقد جرحت القلب حين نعيت لي * وتدفقت بدمائه اجفاني
لكن يهون ما اجن من الاسى * علمي بنقلته الى رضوان
فسقى ضريحا ضمه صوب الحيا * يهمي به بالروح والريحان

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القائل يخاطب رضي الدين الشاطبي الاندلسي وقد كلفه ان يشتري له قطرا

وغيرها مما اشتهر من الانهار الكبار وقد قالت العرب في النيل انه اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادتها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصري يغيض ان زادت له الانهار في الارض ذات العرض والمقدار
وقالت الهنذ زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالي الانواء وتوالي الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فتحبسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع في النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار في أخبار الزمان في الفن الثاني فأغنى ذلك عن اعادتها في هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا

نعم نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذي بدء النيل منه وما

ايها الاوحد الرضي الذي طا * ل علاء وطاب في الناس نشرا
انت بحر لاغرو ان نحن وافيـ * ـناك راجين من نداك القطرا

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابي حيان ولم ياخذ أبو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة * وقال بعض من عرف بابن مالك انه تصدر بحلب مدة وأم بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل في دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات وأشعار العرب مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمت والصيانة والتحري لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذبا ذا رزانة وحياء ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجي وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلماء الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد * وقال بعض الحفاظ ممن عرف بابن مالك يقال ان عبد الله في نسبه مذكور مرتين متواليتين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه أول شرحه له وهو الذي اعتمده الصفدي وابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الانصاري وعلى كل حال فهو مشهور بجده في المشرق والمغرب * وحكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وعليه عوّل شيخ شيوخنا ابن غازي في قوله

قد خيم ابن مالك في خبعا * وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى

وقيل كما تقدم ان مولده سنة ستمائة أو بعدها بجيان الحرير مدينة من مدن الاندلس جبر الله كسرها وهي بفتح الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدر ابن مالك بحماة مدة وانتقد بعضهم على ابن خلكان اسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه الى الغاية وقدم رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه انه أعلم الناس بالعربية والحديث ويكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ النووي والعلم الفارقي والشمس البعلي والزين المزي وغيرهم ممن لا يحصى * وكان رحمه الله تعالى كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب شيأ من محفوظه حتى يراجعه في محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الاثبات ولا يرى الا وهو يصلي أو يتلو أو يصنف أو يقرئ وكذا كان الشيخ أبو حيان ولكن كان جده في التصنيف والاقراء * وحكي أنه توجه يوما مع أصحابه للفرجة بدمشق فلما بلغوا الموضع الذي أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق وأغرب من هذا في اعتنائه بالعلم ما مر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدها بعضهم بثمانية وفي عبارة بعض أو نحوها لقنه ابنه اياها وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى فجزاه الله خيرا عن هذه الهمة العلية * وذكر أبو حيان في الجوازم من تذييله وتكميله أنه لم يصحب من له البراعة في علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شأن من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصي وتنقيري عمن قرأ عليه واستند في العلم اليه فلم أجد من يذكر لي

يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام في البدء والمحاق وقد روي عن زيد بن أسلم في قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هي مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شانها عجيب * ونيلها يجري به الجنوب

وهي مصر واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد قال عمرو بن معد يكرب

ما النيل أصبح واحدا يعدوده * وجرت له ريح الصبا فجرى لها
عوّدت كندة عادة محمودة * فاصبر لها أهلها وروّ سجالها

(قال المسعودي) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤنه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو أيلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلا وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا

شيئا

شيأ من ذلك ولتدجرى يومامع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبى حرب الفارقى الحنفى فقال ذكرلنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان وأنه جلس فى حلقة الاستاذ أبى على الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة فى هذا الشان وانما جلالته وشهرته فى اقراء القرآن هذا حاصل ماذكره أبوحيان * قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسى وليس ذلك منه بانصاف ولايحمل على مثله الاهوى النفس وسرعة الانحراف فنفيه المسند عنه والمتبع شهادة نفى فلا تسمع ولا تسمع ويكفى ماسطر فى حقه قوله فى أثناء نظم فى هذا العلم كثيرا ونثر وجمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب وان منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة اذهى مرتبة الا كابر النقاد وأرباب النظر والاجتهاد وقوله فى موضع آخر من تذييله لايكون تحت السماء أنحى ممن عرف مافى تسهيله وقرنه فى بحره مصنف سيبويه فما ينبغى له أن يغمصه ولاأن يحط عليه ولاأن يقع فيما وقع فيه فانه مما يجرى على أمثاله الغبى والنبيه والحليم والسفيه وماهذا جزاء السلف من الخلف والدر من الصدف والجيد من الحشف أوما ينظر الى شيخه أبى عبدالله بن النحاس فانه لايذكره الا بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس ومن كلامه فى نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول والى تلميذه أبى البقاء الحافظ المصرى حيث يقول فيه أعنى فى أبى حيان

هو الاوحد الفرد الذى تم علمه * وساره سير الشمس فى الشرق والغرب
ومن غاية الاحسان مبدأ فضله * فلاغرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الاحسان فى هذا الشان التصانيف التى سارت بها الركبان فى جميع الاوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادى والدانى والقاصى والصديق والعدو فتلقاها بالقبول والاذعان فسامح الله تعالى أباحيان فان كلامه يحقق قول القائل كما تدين تدان ورحم الله تعالى ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوما دارسة وبين معالم طامسة وجمع من ذلك ماتفرق وحقق مالم يكن منه تبين ولاتحقق ورحم شيخه ثابت بن الخيار وهو ابو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعى بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب فى الاحاطة وأصله من لبلة و يعد فى أهل جيان وتوفى بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبوحيان يغض من هذا الكتاب ويقول مافيه من الضوابط والقواعد حائد عن نهج الصواب والسداد وكثيرا مايشير الى ذلك فى شرحه المسمى بنهج السالك ومن غضه منه بالنظم فى ملامس الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والاقرانى يجاريه مقتفياله ومتاسيا فى تسويد القرطاس

الفية ابن مالك * مطموسة المسالك
وكم بها مشتغل * أوقع فى المهالك

ولاتغتر أنت بهذا الغرر فانه ما كل سحاب أبرق ممطر ولا كل عود أورق مثمر وقيل معارضة للقوم وتنبيها لهم عما فيه من النوم

وفى ذلك كفايتها ساورى جميع ارضها واذازادعلى السبع عشرة وبانغسان عشرة ذراعا وغافها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لماذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثنى عشر دراعا الى مافوق يصير الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل مايبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفى نيل تلك السنة يكون الماء قليلا والادرع التى يستسقى عليها بمصر هى دراعان تسميان منكرا ونكيرا وهما الذراع الثالثة عشرة والذراع الرابعة عشرة فاذا انصرف الماء عن هاتين الدراعين أعنى ثلاث عشرة وأربع عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان الا أن يأذن الله عزوجل فى زيادة الماء واذاتم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولايستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج

ألفية ابن مالك * مشرقة المسالك
وكم بها مشتغل * علا على الارائك

وما أحسن قول ابن الوردي في هذا المعنى

يا عائبا ألفية ابن مالك * وغائبا عن حفظها وفهمها
أما تراها قد حوت فضائلا * كثيرة فلا تجر في ظلمها
واز جر لمن جادل من يحفظها * براسع وخامس من اسمها

يعني صه فانه عند الاستقلال بمعنى اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند ذكره مصنفات ابن مالك وهي كما قيل غزيرة المسائل ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل وهي مع ذلك كثيرة الافادة موسومة بالاجادة وليست هي لمن هو في هذا الفن في درجة ابتدائه بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه انتهى * واعلم ان الالفية مختصرة الكافية كما تقدم وكثير من أبياتها فيها بلفظها ومتبوعه فيها ابن معطي ونظمه أجمع وأوعب ونظم ابن معطي أسلس وأعذب وذكر الصفدي عن الذهبي أن ابن مالك صنف الالفية لولده تقي الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة الحمصي بأن الذى صنفه له عن تحقيق المقدمة الاسدية قال وأما هذه يعني الالفية فذكر لي من أثق بقوله أنه صنفها برسم القاضي شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهني الحموي الشافعي الشهير بابن البارزي ويقال ان هذه النسبة الى باب أبرز أحد أبواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالسنة انتهى مختصرا وقال بعض من عرف بابن مالك هو مقيم أود وقاطع لدد ومزين سماء مؤهت الاصائل ديباجتها وشعشعت البكر زجاجتها وجاءت أيامه صافية من الكدر وإليه وما بها شائبة من الكبر قد خلقها العشي برده وخلفها الصباح بربعه فكان كن حول مسجده وكل عين فاخرة بمسجده هذا وزمر الطلاب وطلبة الاجلاب لا تزال اليه القلاص وتكثر من سر به الاقتناص كان أوحد وقته في علم النحو واللغة مع الديانة والصلاح انتهى وقال بعض المغاربة

لقد مزقت قلبي سهام جفونها * كما مزق اللخمي مذهب مالك
وصال على الاوصال بالقد قدها * فأضحت كابيات بتقطيع مالك
وقلدت اذ ذاك الهوى لمرادها * كتقليد أعلام النحاة ابن مالك
وملكتها رقي لرقة لفظها * وان كنت لا أرضاه ملكا لمالك
وناديتها يا منيتي بذل مهجتي * ومالي قليل في بديع جمالك

ويعني بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحل السبتي رحمه الله تعالى ولما سئل ابن مالك عن قول النبي صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء أو بالنون أنكر النون فقيل له ان في الغريبين للهروي رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى وقد ذكر في المشارق النون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العذري وابن الحذاء والباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد

وخليج ذات الساحل وتفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا في عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو اول وقد قدمنا خبر نسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيرازي يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضي من طوبه واصفى ما يكون النيل في ذلك الوقت واهل مصر يفتخرون بصفاء النيل في هذا الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونه وسائر قرايا البحيرة وليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة احدى عشرة تمضي من طوبه وست من كانون الثاني ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم في الزوارق ومنهم في الدور الدانية

بعد

بعد الصلاح وقيل من القلة بعد الكثرة كار عمامته اذا لفها على رأسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت ويقال حار اذا رجع عن أمر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع الى الفساد بعد النقص أي بعد أن كان على خير مما رجع اليه وقال عياض في موضع آخر بعد الكور كذا للعذري والكون للفارسي والسجزي وابن ماهان وقول عاصم في تفسيره حار بعدما كان وهي روايته ويقال ان عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الاثير سال ابن خلكان عنها فقال هو ابن مالك رحم الله تعالى الجميع وقد عرف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة لولده بدر الدين محمد وانه كان حاد الذهن ذكيا اماما في النحو وعلم المعاني والمنطق جيد المشاركة في الفقه والتدريس وأنه تصدر بعد والده للتدريس ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده وهو كتاب في غاية الاغلاق ويقال انه نظير الرضى في شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة رحمهم الله تعالى أجمعين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدمري ويعرف بالشهيد) كان عظيم القدر جدا بالاندلس بعيد الاثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع الى الله تعالى وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوي البيوت الرفيعة وبرع بخصاله المحمودة وكان في نفسه فقيها عالما زاهدا خيرا ناسكا متبتلا نشأ على الاستقامة والصلاح والاجتهاد والدعة وطلب العلم في حداثة سنه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر وأخذ بحظ وافر من علم المسئلة والجواب وكان أكثر علمه وعمله الورع والتشدد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ في علم السنة ثم ارتحل الى المشرق فر بمصر حاجا فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيهما من عمل يده بالنسخ ثم سار الى العراق فلقي أبا بكر الابهري وأخذ عنه وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورع جدا وأعرض عن الشهوات وكان اذا سئم من النسخ الذي جعل قوته منه آجر نفسه في الخدمة رياضة لها فأصبح عابدا متقشفا مستبصرا مخبتا عالما عاملا منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة ثم عاد الى بلده تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلثمائة وبها أبوه أبو الحسام طاهر حيا فنزل خارج مدينة مرسية تورعا عن سكناها وعن الصلاة في جامعها فاتخذ بيتا سقفه من حطب السدر يأوي اليه واعتمر جنينة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر ثم تحول من قريته بعد عامين الى الثغر وواصل الرباط ونزل مدينة طلبيرة وكان يدخل منها في السرايا الى بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه ويعول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له بأس وشدة ونجدة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة الى أن استشهد مقبلا غير مدبر سنة ٣٧٩ أو في التي قبلها عن اثنتين وأربعين سنة وأبوه حي رحم الله تعالى الجميع

* (ومنهم أبو عبد الله القيجاطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور) مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذري ومن شعره قوله

اذا كنت تهوى من نأت عنك داره * فحسبك ما تلقى من الشوق والبعد
فيا ويح صب قد تضرم ناره * ووا حر قلب ذاب من شدة الوجد

من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون الحضور ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولاتغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودي) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فاني سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهراء اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولي عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة وهي الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربي من الفسطاط

*(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي) ولد سنة ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من أبي عبد الله الرازي وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني وأبي الحسن الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي وغيرهم وحدث بدمشق وسمع أيضا بها وببغداد وقدمها سنة ٥٥٦ ودخل خراسان وأقام بها مدة ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين وسكن دمشق وكان يذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك الى ما لا يليق وصنف في ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما أديبا وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر ورمزه بالكذب وقال ابن النجار ما علمته الا أمينا ومن شعره قوله

نكتب العلم ونلقي في سفط * ثم لا نحفظ لا نفلح قط
انما يفلح من يحفظه * بعد فهم وتوق من غلط

وقوله

العلم في القلب ليس العلم في الكتب * فلا تكن مغرما باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به * فالعلم لا يجتني الا مع التعب

توفي بدمشق في صفر سنة ٥٦٥ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي من ذرية أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) رحل قبل الاربعين ومائتين فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبي موسى الزمن ونصير بن علي الجهضمي ولقي أبا حاتم السجستاني والعباس بن أبي الفرج الرياشي وسمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدني وبمصر من سلمه بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقي وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما أنوفا منقبضا عن السلطان أراده على القضاء فأبى وقال ابايته اشفاق لا ابايته عصيان فأعفاه وكان ثقة مأمونا توفي في رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان وستين سنة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي) سمع من محمد بن وضاح وأكثر عنه وأخذ عن محمد الخشني وقاسم بن أصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال ورحل سنة ٢٧٤ فسمع بمصر المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعيني وأدرك بالعراق اسمعيل القاضي وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال الحميدي حدث بالمغرب وبالمشرق وصنف السنن وممن روى عنه خالد بن سعد وقال لنا أبو محمد بن حزم مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٣٠ بقرطبة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمي الرصافي القرطبي الحدادي) سمع بقرطبة من عبد الله ابن يونس وقاسم بن أصبغ وحج سنة ٣٣٩ سنة رد القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من ابن الورد وأبي علي بن السكن وعبد الكريم النسائي وغيرهم وسمع باطرابلس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عاقدا لاحدث وكتب عنه الناس وعلت سنه وتوفي بشوال سنة ٣٩٤ وولد فيما أظن سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب في أشياء قرئت عليه وممن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحم الله تعالى الجميع (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجي السعدي القرطبي) روى عن أبي الحسن علي بن

المقياس الذي اتخذه أسامة بن زيد التنوخي هو أكثرها استعمالا واتخذ ذلك في

والجانب الشرقي وهذا أيام سليمان بن عبد الملك ابن مروان وهو المقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالفسطاط وقد كان من سلف قيسون بالمقياس الذي عنف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس الجزيرة المعمول في أيام سليمان ابن عبد الملك وفي هذه الجزيرة مقياس آخر لاحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان بمصر سبع خلجانات فمنها خليج الأسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا وذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتي النيل من أوله الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع

أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا وكان الذي ولي حفر خليج

هشام

شام وروى عنه أبو القاسم بن بشكوال وقدم مصر وحدث بها وممن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضا القيسراني في آخرين واستوطن مصر وتوفي سنة ٥٨٨ *(ومنهم أبو بكر بن السراج النحوي) بتشديد الراء وهو محمد بن سعيد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري أحد أئمة العربية المبرزين فيها ويكفيه فخرا انه استاذ ابي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي وحدث عن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد النفطي وقرأ العربية بالاندلس على ابن ابي العافية وابن الاخضر وقدم مصر سنة ٥١٥ واقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل الى اليمن وروى عنه أبو حفص عمر بن اسمعيل وأبو الحسن علي والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب في فصل الاعراب وكتاب في العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه قال السلفي كان من أهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة في جامع مصر لاقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندي رحمه الله تعالى مدة مقامي بالفسطاط توفي بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة خمس وأربعين وقيل خمسين وخمسمائة بمصار والاول أثبت *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسي) ويكنى أيضا أبا القاسم الغرناطي سمع من الجلة بمصر والاسكندرية ودمشق وبغداد منهم الحراني أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق وكتب الحديث وعني بالرواية أتم عناية وفقد باصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن الدفاع) بالدال وقيل بالراء قرطبي سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحرث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفي سنة ٢٨١ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي) ولد بقرطبة سنة ٣٠٨ ودخل مصر فسمع من أبي بكر بن المهندس وأبي بكر البصري وروى عن أبي عبد الله بن مفرج وأبي محمد الاصيلي وجماعة ولقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد من مصر الى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاخبار والآثار ثقة فيما رواه وعني به خير افادة لا دينا متواضعا متصاونا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظ من الفقه وبصيرا بالمسائل ودعي الى الشورى بقرطبة فابى ومات سنة ٤٣٩ وعابد جده بالباء الموحدة رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصاري البلنسي) أخذ القراآت عن جماعة من أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٥٦ فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفي وعاد الى بلده سنة ٥٧١ وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاداة الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة ٥٣٠ ومات سنة ٥٩٨ بمرسية رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي المالكي الحافظ) ولد سنة ٤٧٩ وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى الموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاص بن سفيان وأخذ الادب عن أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الاموي وعن مالك بن عبد الله العتبي وخرج من قرطبة في الفتنة بعد مادرس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله وأقام بالاسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال كأني والله بخبرهم قد وصلت الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر

سردوس لفرعون عدو الله هامان فلما ابتدأ في حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجري خليجه الى نحو قراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما في أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هامان ورد على أهل كل قرية ما أخذ منهم فليس في الخلجان التي بأرض مصر أكثر عطوفا وعراقيل من خليج سردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذي حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك ان الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلي من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قال المسعودي) وقد تنازع أهل الملة في تصرف المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في أوامرهم ونواهيهم

ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ما توجبه أحوال الوقت والاصلح للعالم وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء
في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وحلجانها من المرتفع والمطأمئ ومطأطئ المطأطئ وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته أرضها بعد كونها خربة ومصفاة لمياه الصعيد وهي جريرة قد أطال الماء حينئذ بها كثيرا قطارها فقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط فاغنى عن اعادته في هذا الكتاب وكذلك في تسمية الفيوم فيوما وان ذلك الفيوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض موضع الفسطاط في وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من اسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران فاتبع

بعد ما روى عنه السلفي وأقام بها مدة ثم قال والله ما بمصر والاسكندرية عتباً عـدين ثم سافر الى الصعيد وحدث في قوص بالموطا ثم قال والله ما يصلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد ومضى الى مكة وأقام بها ثم قال وتصل الى هذه البلاد ولا تحج ما أنا الاهربت منه اليه ثم دخل اليمن فلما رآها قال هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه الى الهند فأدركته وفاته بها سنة ٥٥١ وقيل بل مات بزبيد من مدن اليمن وكان من جملة العلماء الحفاظ متفننا في المعارف كلها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة حافل الادب من كبار فقهاء المالكية يتصرف في علوم شتى حافظا للآداب عارفا بشعراء الاندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حسن ايراد قال ابن نقطة خبرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الباء المنقوطة من تحتها باثنتين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي) قال ابن النجار ولد بمرسية سنة ٥٧٠ وقال غيره في التي قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحاج الى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية ثم سافر الى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بلاد بغداد وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وبكتاب غريب الحديث للخطابي وقدم الى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسي وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بتل الزعقة وكان من الائمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القراآت والحديث والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق في المعاني مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة متدينا كثير العبادة فقيها مجردا متعففا نزه النفس قليل المخالطة لاوقاته طيب الاخلاق متوددا كريم النفس قال ابن النجار ما رأيت في فنه مثله وكان شافعي المذهب وله كتاب تفسير القرآن سماه ري الظمآن كبير جدا وكتاب الضوابط الكلية في النحو وتعليق على الموطا وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتبا في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه وكان كريما قال أبو حيان أخبرني الشرف الجزائري بتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين دينارا ذهبا فأخذتها قال الجمال اليمري أنشدني لنفسه بالقاهرة

قالوا فلان قد أزال بهاءه * ذاك العذار وكان بدر تمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه * ولذا تضاعف فيه فرط غرامي
استقصرت ألحاظه فتكاتها * فأتى العذار يمدها بسهام

ومن شعره قوله

من كان يرغب في النجاة فما له * غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره * سبل الغواية والضلالة والردى

فاتبع كتاب الله والسنن التى * صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فانه * باب يجر ذوى البصيرة للعمى
الدين ماقال النبى وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

*(ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البنتى الاندلسى الانصارى) قدم مصر واقام بالقرافة مدة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه الى الشام فهلك قال الرشيد العطار كان من فضلاء الاندلسيين ونبهائهم ساح فى الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بألسنة شتى ومن شعره قوله

اذا قل منك السعى فالعزم ناشد * وكل مكان فى مرائك واحد
توجه بصدق واتق المين واقتصد * تحثك رهينات النجاح المقاصد

والبنتى بضم الباء وسكون النون نسبة الى بنت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة واو *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولانى الباجى ثم الاشبيلى المعروف بابن القوق) سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٦٦ فسمع بمكة من على بن عبد العزيز وغيره وبمصر من محمد بن عبد الحكم ومن أخيه سعد وكان فقيها فى الرأى حافظا له عاقدا للشروط قال ابن الفرضى كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدث عنه كان من معادن الصدق توفى سنة ٣٠٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الليثى الطبيب) اشتغل بالطب وبرع فيه وأقام بمصر مدة وبها مات فى عشر الستين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون العذرى القرطبى) رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد وله فى التكسير كتاب حسن قال صاعد تمهر فى الطب ونبل فيه وأحكم كثيرا من أصوله وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد ابن محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى البغدادى وكان قبل أن يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة وأخبرنى أبو عثمان سعيد الطليطلى أنه لم يلق فى قرطبة من يلحق محمد بن عبدون فى صناعة الطب ولا يجاريه فى ضبطها وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من أهل الاندلس أبو مروان عبد الملك بن أبى بكر محمد بن مروان بن زهر الايادى الاندلسى) صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم فى علم الطب حتى فاق أهل زمانه ومات فى مدينة دانية رحمه الله تعالى ووالده محمد بن مروان كان عالما بالرأى حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى متقدما فيها متقنا للعلوم فاضلا جامعا للدراية والرواية وتوفى بطلبيرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفى ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى

ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا فى وجهه المسناة الأن ذلك خفى على ساكنها لان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التى تداولتها والملوك التى سكنتها من العرب وغيرها الا ما قد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من امر الاسكندر فيها (قال المسعودى) وقد كان احمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالى بلاد مصر من ارض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من اهل الملل وانه علامة بمصر وارضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر فى الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه

وكانت بينه وبين ابن الفتح صاحب القلائد عداوة ولذلك ... كتب فى شأنه الى امير المسلمين على
يوسف بن تاشفين منصورته أطال الله تعالى بقاء الامير الاجل ... الاجل سامعا للنداء داعيا للتظا
والاعتداء ... نضم الله تعالى بلبتك الملك عقدا وجعل ... لك حلا للاوودعقدا وأوطار
عتبا وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا الآن ... و يكون للبرية حافظا وللعدل فيه
باسطا حتى لا يكون فيهم من تضام ولا ينال أحدهم اهتض ... نام ولتقصر يد كل معتد
الصلام وهذا ابن زهر الذى اجررته رسنا واوضحت له الى الا ... نده استطالة سننا لم يتعده
الاضرار الاحيث انتهيته ولا تمادى على عبه الاحين لم تنهه ... تراه أو نهيته ولما علم أنه
لاتنكر عليه نكرا ولا تغير له متى مامكر فى عباد الله مكرا جرى فى ميدان الاذية من غايته
وسرى الى ماشاء بعدوانه ولم يراقب الذى خلقه وأمد فى الخطوة عندك طلقه وأنت
بذلك مرتهن عند الله تعالى لانه مكنك لئلا يتمكن الجور ولتسكن بك الفلاة والغور
فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق وأخفق به كل فريق وقد علمت
ان خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور ومايخفى عليه نجوالك ولا
يستتر عنه تقلبك ومثواك وستقف بين يدى عدل حاكم يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم قد
علم كل قضية قضاها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فبم تحتج معى لديه اذا وقفت
أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر ينجيك فى ذلك المقام أو يحميك من الانتقام وقد
أوضحت لك المحجة لتقوم عليك الحجة والله سبحانه النصير وهو بكل خلق بصير لارب
غيره والسلام انتهى * وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه يقدمات بعض اخوانه غريقا

أتانى ورحلى بالعراق عشية * ورحل المطايا قد قطعن بنا نجدا
نعى أطار القلب عن مستقره * وكنت على قصد فأغلطنى القصدا

نعوا والله باسق الاخلاق لايخلف ورموا قلبى بسهم أصاب صميمه فما أخلف لقد سام
الردى منه حسنا وجمالا ووسامة وطوى بطيه نجده وتهامه فعطل منه الندى والندى
وأثكل فيه المدى والهدى كم فل السيوف طول قراعه ودل عليه الضيوف موقد ناره
ويفاعه وكم تشوف اليه السرير والمنبر وتصرف فيه الثناء والخبر وكم راع البدر ليلة
ابداره وروع العدو فى قعر داره وأى فتى غداه البحر ضريحا وأعدى عليه الحين ماء وريحا
فبدل من طلل على ومفاخر بقعر بحر طامى اللجج زاخر وبدل من صهوات الخيل بلهوات اللجج
والليل غريق حكى مقلتى فى دمعها وأساء نفسى فى سمعها وبى حزن لا أستسقى له الغمام
فماله قبر تجوده ولا ثرى تروى به تهائمه ونجوده وقد آليت أن لا أودع الريح تحية ولا
يورثنى هبوبها اريحية فهى التى أثارت من الموج حنقا ومشت عليه خببا وعنقا حتى
أعادته كالكثبان وأودعته قضيب بان فيا أسفا الزلال غاض فى أجاج واسلسال فاض
عليه بحر عجاج وما كان الا جوهرا دأب الى عنصره وصدفا بان عن عين مبصره لقد آن
للحسام أن يغمد فلا يشام وللغمام أن تبكيه بكل اراكة وبشام وللعذارى أن لا يحجبن
الخفر والاحتشام ينحن فتى ماذرت الشمس الا ضر أو نفع ويبكين من لم يدع فقده فى العيش
من منتفع فكم نعمنا بدنوه ونسمنا نسيم الانس فى رواحه وغدوه واقتنا بروضة موشية

همكرم وكان قد انفرد
من الناس فى بنيان
هذه وسكر فى اعلاه
وقد رأى الرابع عشر من
ولد ولده واستمل بحضرة
احمد بن طولون نظر الى
رجل دلائل الهرم
بينه وشواهد ماانى عليه
من الدهر نحو الحواس
سليمة والقضية قائمة
والعقل صحيح يفهم عن
مخاطبه ويحسن البيان
والجواب عن نفسه فاسكنه
بعض مقاصيره ومهد له
وحمل اليه من المآكل
والمشارب فى ان لا يتواطأ
على شئ من لا تغذى الا
بغذاء كان حمله معه من
كعك وغير وقال هذه بنية
قوامها بما ترون من هذا
الغذاء وهذا الملبس فان
انتم سمتموها النقلة عن
هذه العادة وتناول
ماأوردتموه عليها من
المآكل والمشارب
والملابس كان ذلك سبب
انحلال هذه البنية وتفريق
هذه الصورة فترك على ما
كان عليه وماجرت به عادته
وأحضر له احمد بن طولون
من حضره من اهل الديار
وصرف همته عليه واخلى
نفسه له فى ليال وايام كثيرة
يسمع كلامه وايراداته
وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر ووقفنا

ووقفنا بالمسرات عشية وأدرناها ذهبا سائلة ونظرناها وهي شائلة لم نرم السهر ولم نشم برقا الا الكاس والزهر ولو غير الحمام زحف اليه جيشه أو غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه لفداه من أسرته كل أروع ان عاجله المكروه تثبطه أو جاءه الشر تابعه ولكنها المنايا لا تردها الصوارم والاسل ولا تقوتها ذئاب الغضا العسل قد فرقت بين مالك وعقيل وأشرقت بعدهما جذيمة بالحسام الصقيل انتهى وقد عززناها بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع

(رجع الى بيت بني زهر رحمهم الله تعالى) وأما أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المذكور فهو من ذلك البيت وان كانوا كلهم أعيانا علماء رؤساء حكماء وزراء وقد نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في المطرب من أشعار أهل المغرب كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العلياء عند أصحاب المغرب مع سمو نسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشد من شعره المشهور قوله

وموسدين على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني

مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني

والخمر تعلم كيف تأخذ ثارها * اني أملت اناءها فأمالني

ثم قال ابن دحية وسألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة قال وبلغتني وفاته آخر سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى انتهى وزعم ابن خلكان ان ابن زهر ألم في الابيات المذكورة بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله

عاقرتهم مشمولة لو سالمت * شرابها ما سميت بعقار

ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب الى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها

حيلة البرء صنفت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله

فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيله

ومن شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولدا له صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

ولي واحد مثل فرخ القطاة * صغير تخلف قلبي لديه

وافردت عنه فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الي ومني اليه

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي الاصل الفاسي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسني صاحب المغرب رضي الله تعالى عنه ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها أمير المؤمنين

مثلها استواء وطيب تربة وثراوة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره ينصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكها الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين ارض الروم وقد كان بين الاندلس في الموضع الذي يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تعبر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغار تجري تحت قناطرها

يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين الى اشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا امثالها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم فى أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شئ ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك احلام فقيل له ادخل البيت الذى يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذى تشوق اليه يلعب فى البيت فحصل له من السرور مالا مزيد عليه ولا يعبر عنه هكذا هكذا والا فلا ومن نظم ابن زهر المذكور حيث شاخ وغلب عليه الشيب

انى نظرت الى المرآة قد جليت * فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شويخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة * ان الذى أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادى يا أخىّ وقد * صارت سليمى تنادى اليوم يا أبتا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عمهنّ فانه * نسب يزيدك عندهنّ خبالا
واذا دعونك يا أخىّ فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وقال ابن دحية فى حقه ايضا والذى انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله واتباعه الموشحات وهى زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهى من الفنون التى اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس طالعة والضياء المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ما للوله من سكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويرون انه من احسن الموشحات ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا * فهو للنفس انفع
واغتنم حين اقبلا * وجهه بدر تهللا * لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى * ليس بالحسن يرجع
واصطبح بابنة الكروم * من يدى شادن رخيم * حين يفتر عن تظيم
فيه برق قد اومضا * ورحيق مشعشع
انا افديه من رشا * اهيف القد والحشا * سقى الحسن فانتشى
مذ تولى واعرضا * ففؤادى يقطع
من لصب غدا مشوق * ظل فى دمعه غريق * حين امواجى العقيق
واستقلوا بذى الغضا * اسفى يوم ودعوا
ما ترى حين اظعنا * وسرى الركب موهنا * واكتسى الليل بالسنا
نورهم ذا الذى اضا * ام مع الركب يوشع

وماعقد من الطاقات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل جانب بحر الى بحر طاق وهو مبدأ بحر الروم الا خذ من اوقيانوس وهو البحر المحيط الا كبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلوا ارضا فأرضا فى طول على ممر السنين يرى زيادته اهل كل زمان ويتبينه اهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التى كانت بين الاندلس وبرطنجة وما وصفت فبين ظاهر عند اهل الاندلس واهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثنى عشر ميلا وعرض واسع وسمو بين فلما مضت لدقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما التى كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسمنود وغير ذلك مما هى باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبون بهم واحدا فوق واحد وهى الا كوام ورأيت

ورايت مع هذا موشحا آخر لا ادرى هل هو لابن زهر ام لا وهو

فتق المسك بكافور الصباح * ووشت بالروض اعراف الرياح
فاسقنيها قبل نور الفلق * وغناء الورق بين الورق * كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح * فلك اللهو وشمس الاصطباح
وغزال سامنى بالملق * وبراجسمى واذكى حرقى * اهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه انابيب الرماح * وثنى الذعر مشاهير الصفاح
صار بالدل فؤادى كلفا * وجفون ساحرات وطفا * كلما قلت جوى الحب انطفا
أمرض القلب باجفان صحاح * وسبى العقل بخد ومراح
يوسفى الحسن عذب المبتسم * قمرى الوجه ليلى اللمم * عنترى الباس علوى الهمم
غصنى القد مهضوم الوشاح * مادرى الوصل صابى السماح
قد بالعد فؤادى هيفا * وسبا عقلى لما انعطفا * ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح * ماعليه فى هواه من جناح
يا على أنت نور المقل * جد بوصل منك لى يا أملى * كم أغنيك اذا ما لحت لى
طرقت والليل ممدود الجناح * مرحبا بالشمس من غير صباح

(ومنهم أبو الحجاج الساحلى يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن على الفهرى الغرناطى) قال فى الاحاطة صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء والصالحين حج ولقى الاشياخ بعد أن قرأ على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكيم وقد أصابته حمى تركت على شفته بثورا

حاشاك أن تمرض حاشا كا * قد اشتكى قلبى اشتكوا كا
ان كنت محموما ضعيف القوى * فانى أحمد حما كا
ما رضيت حماك اذ باشرت * جسمك حتى قبلت فاكا

قال أبو الحجاج رحمه الله تعالى وكتب الى شيخنا محمد بن محمد بن رشيق فى الاستدعاء الذى أجازنى فيه ولمن ذكر معى

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما * رويت عن الاشياخ فى سالف الدهر
وما سمعت أذناى من كل عالم * وما حاد من نظم وما راق من نثر
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم * برىء عن التصحيف عار عن النكر
كتبت لهم خطى واسمى محمد * أبو القاسم المكى مافيه من نكر
وجدى رشيق شاع فى الغرب ذكره * وفى الشرق أيضا فادر ان كنت لاتدرى
ولى مولد من بعد عشرين حجة * ثمان على الست المئين ابتدا عمرى
وبالله توفيقى عليه توكلى * له الحمد فى الحالين فى العسر واليسر

ومولد أبى الحجاج المذكور سنة ٦٦٢ وتوفى سنة ٧٠٢ رحمه الله تعالى انتهى باختصار

(وممن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكرى الجيانى) الملقب بالغزال لجماله وهو فى المائة الثالثة من بنى بكر بن وائل قال ابن حيان فى المقتبس

الثلاثة التى تسمى أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقد مضى لدقلطيانوس الملك سائتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان البابنا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وحلجانات فحدث من النيل الى الامر منع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا فى ممالك محتلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النار فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها ونارتها فتحولت ذهبا وقد طبخ الذهب الذى يؤتى به من المعدن خالصا صائغ بالملح والزاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الامن لامعرفة له بما وصفنا ولا قارب شيا مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل فى أعاليه قال البحيرة التى لايدرك طولها وأرضها وهى نحو الارض التى الليل والنهار متساويان طول الدهر

كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها عمر أربعا وتسعين سنة ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ومن شعره

أدركت بالمصر ملوكا أربعه * وخامسا هذا الذى نحن معه

وله على أسلوب ابن أبى حكيمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجت اليك وثوبها مقلوب * ولقلبها طربا اليك وجيب
وكأنها فى الدار حين تعرضت * ظبى تعلل بالفلا مرعوب
وتبسمت فأتتك حين تبسمت * بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فطربت * نفس الى داعى الضلال طروب
حسبتك فى حال الغرام كعهدها * فى الدار اذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها * فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشئ قبضة شاهن * فنزا الى العضه حلبوب
بيدى الشمال ولا شمال لطاقة * ليست لاخرى والاديب أريب
فأصاب كفى منه حين لمسته * بلل كماء الورد حين يسيب
وتحللت نفسى للذة رشحه * حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه وربما * ناديته خيرا فليس يجيب
وأبى لخفق فى الاباء كأنه * جان يقاد الى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه * كير تقادم عهده منقوب
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * قبسا وحان من الظلام ذهوب
ساءلتها خجلا أما لك حاجة * عندى فقالت ساخر وحروب
قالت حرامك اذ أردت وداعها * قرن وفيه عوارض وشعوب

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردناه قال عتبة التاجر وجهنى الامير الحكم وابنه عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون فلقيته بالعراق فسألنى عن هذه القصيدة هل أحفظها للغزال قلت نعم فاستنشدنيها فانشدته اياها فسر بها وكتبها قال عتبة ونلت بها حظا عنده والبهنانة المرأة الطيبة النفس والارج كما فى الصحاح وقيل اللينة فى منطقها وعملها وقيل الضحاكة المتهالة والرعوب السبطة البيضاء والسبطة الطويلة وقال سامحه الله تعالى

سألت فى النوم أبى آدما * فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم * صلى عليك الملك الخالق
فقال لى ان كان منى ومن * نسلى فحوا أمكم طالق

وقال رضى الله تعالى عنه

أرى أهل اليسار اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وفخرا * على الفقراء حتى فى القبور

وهى تحت الموضع الذى تسميه المنجمون الفلك المستقيم وماذكرت فمعروف غير منكر وسئل عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق فى الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى أى شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة فقيل له ما بال هذه الكتابة التى على الاهرام والبرابى لا تقرأ فقال دثر الحكماء

فان

فان يكن التفاضل فى ثراها * فان العدل فيها فى القعور
رضيت بمن تانق فى بناء * فبالغ فيه تصريف الدهور
ألما يبصر واما خربته الدهور من المدائن والقصور
لعمر أبيهم لو أبصروهم * لما عرف الغنى من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالى * ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف * من البدن المباشر للحرير
اذا أكل الثرى هذا وهذا * فما فضل الكبير على الحقير

وقال رضى الله تعالى عنه

لاومن أعمل المطايا اليه * كل من يرتجى اليه نصيبا
ما أرى ههنا من الناس الا * ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه * الى فارة يريد الوثوبا

وقال رضى الله تعالى عنه

قالت أحبك قلت كاذبة * غرى بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله * الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولى النار باردة * أو أن تقولى الماء يتقد

وحكى أبو الخطاب بن دحية فى كتاب المطرب ان الغزال ارسل الى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسالته زوجة الملك يوما عن سنه فقال مداعبا لها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا ألم ترى قط مهرا ينتج وهو اشهب فاعجبت بقوله فقال فى ذلك واسم الملكة تود

كلفت يا قلبى هوى متعبا * غالبت منه الضيغم الاغلبا
انى تعلقت مجوسية * تابى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله فى حيث لا * يلفى اليه ذاهب مذهبا
يا تود يا ورد الشباب الذى * تطلع من ازرارها الكوكبا
يا بأبى الشخص الذى لا ارى * احلى على قلبى ولا اعذبا
ان قلت يوما ان عينى رات * مشبهه لم اعد أن اكذبا
قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها ما بال انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا
فاستضحكت عجبا بقولى لها * وانما قلت لكى تعجبا

قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت وأمرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب وقال

بكرت تحسن لى سواد خضابى * فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف * الا كشمس جللت بضباب

القبط والروم باحرفها على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام بن نوح وهو فى انساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحلون ما عملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرؤس التى تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل

عن مدينة العقاب فقال هى غربى اهرام بوصير الجيزة وهى على خمسة ايام بلياليها للراكب المجد

تحنى قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ماسترت به لذهاب

لا تنكرى وضح المشيب فانما * هو زهرة الافهام والالباب

فلدى ما تهوين من زهو الصبا * وطلاوة الاخلاق والآداب انتهى

وحكى ابن حيان فى المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المروانى وجه شاعره الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه أكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوى واشتد وغلظ ومادام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنت لتعريضه انتهى ومن شعر الغزال قوله

يا راجيا ود الغوانى ضلة * وفؤاده كلف بهن موكل

ان النساء لكالسروج حقيقة * فالسرج سرجك ريثما لا تنزل

فاذا نزلت فان غيرك نازل * ذاك المكان وفاعل ما تفعل

أو منزل المجتاز أصبح غاديا * عنه وينزل بعده من ينزل

أو كالثمار مباحة أغصانها * تدنو لاول من يمر فياكل

أعط الشبيبة لا أبالك حقها * منها فان نعيمها متحول

واذا سلبت ثيابها لم تنتفع * عند النساء بكل ما تستبدل

وقال

قال لى يحيى وصرنا * بين موج كالجبال

وتولتنا رياح * من دبور وشمال

شقت القلعين وانبتت عرا تلك الحبال

وتمطى ملك المو * ت الينا عن حيال

فرأينا الموت راى الـ * ـعين حالا بعد حال

لم يكن للقوم فينا * يا رفيقى رأس مال

ومنها

وسليمى ذات زهد * فى زهيد فى وصال

كلما قلت صلينى * حاسبتنى بالخيال

والكرى قد منعته * مقلتى اخرى الليالى

وهى ادرى فلماذا * دافعتنى بمحال

لما سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربى اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شان هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين أخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعبد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسى عربية وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وارضهم كانها جزء من أرض اليمن وللنوبة أترج كاكبر ما يكون بارض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة وراء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفى مملكة هذه الامة يخترق النيل فينشعب منه خليج عظيم ثم يحصر الخليج من بعد انفصاله من النيل وينحدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا

اترى انا اقتضينا * بعد شيأ من نوال

وله

من ظن ان الدهر ليس يصيبه * بالحادثات فانه مغرور
فالق الزمان مهونا لخطوبه * وانجر حيث يجرك المقدور
واذا تقلبت الامور ولم تدم * فسواء المحزون والمسرور

ش الغزال اربعا وتسعين سنة وتوفى فى حدود الخمسين والمائتين سامحه الله تعالى وكان
إل اقزع فى هجاء على بن نافع المعروف بابن زرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه
ل العراق وذلك بعد موت ابى نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون
أحدا بشعره فجلس يوما مع جماعة منهم فازروا باهل الاندلس واستهجنوا أشعارهم
كهم حتى وقعوا فى ذكر ابى نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم * تابطت زقى واحتبست عنائى
فلما اتيت الحان ناديت ربه * فثاب خفيف الروح نحو ندائى
قليل هجوع العين الا تعلة * على وجل منى ومن نظرائى
فقلت اذقنيها فلما اذاقها * طرحت عليه ريطتى وردائى
وقلت اعرنى بذلة استتر بها * بذلت له فيها طلاق نسائى
فوالله ما برت يمينى ولا وفت * له غير انى ضامن بوفائى
فابت الى صحبى ولم الك آيبا * فكل يفدينى وحق فدائى

وابا الشعر وذهبوا فى مدحهم له فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لى فانكروا ذلك
دهم قصيدته التى اولها

تداركت فى شرب النبيذ خطائى * وفارقت فيه شيمتى وحيائى

ا القصيدة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه *(وحكى) أن يحيى الغزال أراد أن يعارض سورة
والله أحد فلما رام ذلك أخذته هيبة وحالة لم يعرفها فاناب الى الله فعاد الى حاله *(وحكى)
اس بن ناصح الثقفى قاضى الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة و ياخذ عنه أدباؤها
عليهم قصيدته التى أولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

انتهى القارئ الى قوله

تجاف عن الدنيا فما لمعجز * ولا عاجز الا الذى خط بالقلم

ه الغزال وكان فى الحلقة وهو اذ ذاك حدث نظام متادب ذكى القريحة أيها
. وما الذى يصنع معجز مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت أقول فليس لعاجز
زم فقال له عباس والله يا بنى لقد طلبها عمك فما وجدها وأنشده يوما قوله من قصيدة

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى * بكفى حتى آب خاويه من بقرى

ه بكر بن عيسى الشاعر أما والله يا أبا العلى لئن كنت بقرت الحشى لقد وسخت يديك
.. وملاتهما بدمه وخبثت نفسك بنتنه وحشمت أنفك بعرفه فاستحيا عباس

في بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء فى ذلك الخليج وابيض الاكثر واخضر الاقل فمشى ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مانوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الزنج ومصبه فى بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون فذكر كلاما طويلا فى امر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلا الفيوم وكانا البدء فى عمارتها وعمارة ارضها وانما كان الماء يأتى الفيوم من المنهى أيام جرى النيل ولم يكن حجر اللاهون بنى وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بنى اللاهون على ما هو اليوم عليه و يقال ان يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه أيام العزيز ودبر من امر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخليج المرتفعة المطاطئة وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهى القنطرة المعروفة بسقونه واقام العمود الذى فى وسط الفيوم وهو غائص فى الارض لا يدرك منتهاه منها وهو احد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى
فى الارض حفرا فلم يتات لهم ذلك وغلبهم الماء فعجزهم ورأس هذا العمود مساو الارض المنهى فان وأما حر

وأختم عن جوابه * (ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق المحلى بجواهره صدور المهارق ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى) متمم كتاب المغرب فى اخبار المغرب قال فيه وأنا اعتذر فى اراد ترجمتى هنا بما اعتذر به ابن الامام فى كتاب سمط الجمان وبما اعتذر به الحجارى فى كتاب المسهب وابن القطاع فى الدرة الخطيرة وغيرهم من العلماء فى نفسه عند ماورد الديار المصرية

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى * ما بينها وجها لمن أدريه
عودى على بدئى ضلالا بينهم * حتى كأنى من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت ألحاظه * فى عالم ليسوا له بشبيه
ان عاد لى وطنى اعترفت بحقه * ان التغرب ضاع عمرى فيه

وله من قصيدة يمدح ملك افريقية أبازكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى جعفر

الافق طلق والنسيم رخاء * والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مالت عليه غصونه * فكأنما هو مقلة وطفاء
وبدا نثار الجلنار بصفحه * فكأنما هو حية رقطاء
والشمس قد رقمت طرازا فوقه * فكأنما هى حلة زرقاء
فأدر كؤسك كى يتم لك المنى * واسمع الى ما قالت الورقاء
تدعوك حى على الصبوح فلا تنم * فعلى المنام لدى الصباح عفاء

وله

لم جفانى ورمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت قائل
لا شفى الله لحظه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وله من قصيدة كتب بها الى ملك سبتة الموفق أبى العباس أحمد بن ابى الفضل النيشى شافعا لشخص رغب فى خدمته

بالعدل تمت وبالسماح فدن وجد * لا فارقتك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها * وطلاب ما يابى القضاء شقاء

ومنها

وقد استطار باسطرى نحو الندى * من أنهضته لنحوك العلياء
طلب النباهة فى ذراك فماله * الا لديك تأمل ورجاء
وهو الذى بعد التجارب أحمدت * أحواله وجرى عليه ثناء
لا يقرب الدنس المريب كواصل * هجرته خوفا أن يشان الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه * وجرت عليه شدة ورخاء
وعلاك تقضى أن يسود بأفقها * لا غرو أن يعلى الشهاب بهاء

وقوله من قصيدة

ألف التغرب والتوحش مثل ما * ألف التوحش والنفور ظباء
جبابه ألفوا التجهم والجفا * فهم لكل أخى هدى أعداء

اللاهون فان من سطح الحجر الذى فيما بين الفرش الى ناحية اللاهون واللاهون هى القرية بعينها فقيم ما من السطح الى القرية ستون ذراعا وربما قل الماء فى المنهى وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين التبتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدوب الحجر وجهات الاسالة وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلوا الماء الحجر أيام سده فبالتقدير ببناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة أتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل سلوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتأملته لما قد نمى اليها من أخباره وسار فى الخلقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فامر أحمد بن طولون فى

مهما

مهما أروم طلب اليه تقربا * بعدت بذاك البدر عنه سماء

لكنني ما زلت أخدع حاجبا * وأراقب حتى ألان حباء

والارض لم تظهر محجبة نبتها * حتى حبتها الديمة الوطفاء

يل وهذا معنى لم يسمع من غيره وقوله في خسوف البدر

شان الخسوف البدر بعد جماله * فكأنه ماء عليه غثاء

أو مثل مرآة تخود قد قضت * نظرا بها فعلا الجلاء غشاء

وله من قصيدة عتاب يقول فيها

ولقد كسبت بكم علا لكنها * صارت باقوال الوشاة هباء

فغدوت ما بين الصحابة أجربا * كل يحاذرني من الاعداء

ولقد أرى ان النجوم تقل لي * حجبا وأصغر أن أحل سماء

فلتهجروا هجر الفطيم لدره * وتساعدوا الزمن الخؤن جفاء

فلقد شكوت لهم اطالة ودهم * اذ لم أكن أرضى بهم خدماء

ايه فذكرهم أقل وانما * أومى اليك فتفهم الايماء

لولم يكن قيد لما فتكت ظبا * أنت الذى صيرتهم أعداء

ولوانني أرجو ارتجاعك لم أطل * شكوى ولم أستبعد الاغضاء

لكن رايتك لا تميل محبة * نحوى ولا تتكلف الاصغاء

ان لم يكن عطف فنوا بالنوى * ان الكريم اذا اهين تناءى

وقوله

ولكم سرينا في متون ضوامر * تثنى أعنتها من الخيلاء

من ادهم كالليل جلل بالضحى * فنشق غرته عن ابن ذكاء

او اشهب يحكي غدائر أشيب * خلعت عليه الشهب فضل رداء

او اشقر قد غشته بشعلة * كالمزج نار بصفحة الصهباء

او اصفر قد زينته غرة * حتى بدا كالشمعة الصفراء

طارت ولكن لا بهاض جناحها * هبت ولكن لم تكن برخاء

وقوله من ابيات في افتضاض بكر

وخريدة ما ان رأيت مثالها * حيث من الالحاظ بالايماء

فسالتها سمع الشكاة فأفهمت * ان الرقيب جهينة الانباء

وتبعتها وسألت منها قبلة * في خلوة من اعين الرقباء

فثنت على قوامها بتعانق * أحيا فؤادا مات بالبرحاء

ووجدتها لما ملكت عنانها * عذراء مثل الدرة العذراء

جاءت الى كوردة محمرة * فتركتها كمرارة صفراء

وسلبتها ما اجرمنها صفوه * تجرى مذابا مجمع الرجاى

وقوله من أبيات

أحبابنا عودوا علينا عودة * ما منكم بعد التفرق مرغب

ض الايام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر أن يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية فسأله عن ذلك فقال دليلي على صحتها وجودي اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها لا نظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا عظيمة ذوي معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ما ذكرت من تناقضها في العقل الا لدلائل شاهدوها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها قال له السائل وما التضاد الذي فيها فقال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر [illegible] وهل الاقا[illegible] قادرة عالمة أم لا وفي اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث وما جرى في ولادته وقتله وصلبه وهل في التشنيع أكبر وأفحش من اله صلب وبصق في وجهه ووضع على رأسه اكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنبه وطلب الماء فسقى الخل في طبخ الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا

كذا أداريكم بنفسي جاهدا * وكلما أرضيكم كي تغضبوا
وأزيد بعدا ما اقتربت اليكم * كالسهم أبعد ما يرى اذ يقرب
وأجوب نحوكم المنازل جاهدا * ومع اجتهادي فاتني ما أطلب
كالبدر أقطع منزلا في منزل * فاذا انتهيت الى ذراكم أغرب

وقوله من أبيات

سألتك يا من يستلان فيصعب * ومن يترضى الحياة فيغضب
أما خدك البدر المنير فلم غدت * تحل به ضد القضية عقرب

وقوله وقد داعبه أحد الفقهاء وسرق سكينه من حرز

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان يعدا الصواب كتاب

وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أنا لون الشباب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني أيوب لا زال في المعالي شهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني أريج عرفي خطابا

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة * قد قربتني من علا الصاحب
وليعذر المولى على انني * قد كنت من علياه في جانب
كمن نوى نافلة أولا * ثم أتى من بعد بالواجب

وقوله من أبيات

فان كنت في أرض التغرب غاربا * فسوف تراني طالعا فوق غارب
فصمصام عمرو حين فارق كفه * رموه ولا ذنب لحد المضارب
وما عزة الضرغام الا عرينه * ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وقوله في فرس أصفر أغر أحجل الحلية

وأجرد تبري أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح
له لون ذي عشق وحسن معشق * لذلك فيه ذلة ومراح
عجبت له وهو الأصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح
يقيد طير اللحظ والوحش عندما * يطير به نحو النجاح جناح

وقوله من أبيات

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظرا * وأكره في الابصار من ظلمة اللحد
تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى نحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من وشك الفراق على وعد

عن مجادلته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه فقال طبيب لابن طولون يهودي قد حضر المجلس أيأذن لي الامير في مخاطبته قال شأنك فتبل على القبطي مسائلا له فقال له القبطي وما أنت أيها الرجل وما نحلتك قال له يهودي فقال له مجوسي اذا قال له كيف ذلك وهو يهودي قال لانهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات اذ كان في دينهم ان الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم ان يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا من اسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل في المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودي ذلك وجحد ان يكون في دينه او يعرفه احد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد [illegible] اليهودي قد تزوج [illegible] ثم [illegible] ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودي أن الله خلق آدم على صورته وعن نبي من انبيائهم سماه قال في كتابه انه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال اني أنا النار المحرقة والحمى الآخذة وأنا الذي آخذ الابناء بذنوب الآباء ثم في توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى

وقوله

وقوله في غلام جميل الصورة أهدى تفاحة

ناب ماأهديت عن عر * فوعن ربق وخد
حبذا تفاحة قد * أشبهت أوصاف مهدى
بت منها في سرور * فكان قد بت عندي

وقوله من ... بدة

هذا الذي يهب الدنيا بأجمعها * وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر
ان هزه المدح فالاموال في بدر * والغصن ماهز الا بدد الثمر
فعلت لما بدالي حسن منظره * لكنه زاد اشراقا هو العمر
متع لحاظك في وجه بلا ضرر * ان كان شمسا تراها تحتها مطر

وقوله من أبيات

لي جيرة ضنوا على وجاروا * فنيت في الاوطان والاوطار
ومن العجائب اني مع جورهم * ماقرلي بعد الفراق قرار

وقوله

أنا شاعر أهوى التخلي دونما * زوج لكيما تخلص الافكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا * في كل حين رزقها أمتار
دعني أروح طول التغرب خاطري * حتى أعود ويستقر قرار
كم قائل قد ضاع شرخ شبابه * ماضيعته بطالة وعقار
اذلم أزل في العلم أجهد دائما * حتى أتت هذه الابكار
مهما أرم من دون زوج لم أكن * كلا ورزقي دائما مدرار
واذا حججت لفرجة هنيتها * لاصيعة ضاعت ولا نكار

وقوله من قصيدة

ماكنت أحسب أن أضيع وأنت في الدنيا وأن أمسي غريبا معسرا
أنا مثل سهم سوف يرجع بعدما * أقصاه راميه الجيد ليخبرا

وقوله سامحه الله تعالى

وافي على انابسيف * والبين ندمان والوداع
فقال شبه فقلت شمس * قد مدمن نورها شعاع

وقوله من قصيدة في ملك اشبيلية الباجي وقد هزم ابن هود

لله فرسان غدت راياتهم * مثل الطيور على عداك تحلق
السمر تقط ماتسطر بيضهم * والنقع يترب والدماء تخلق

وقال ارتجالا بحضرزكي الدين بن أبي الاصبغ وجمال الدين بن أبي الحسين الجزار المصري الشاعر ونجم الدين بن اسرائيل الدمشقي بظاهر القاهرة وقد مشى أحدهم على بسيط نرجس

ياواطئ النرجس ماتستحي * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبي الاصبغ مجيزا

هرون صنع العجل الذي عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا في ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكموهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لاتنسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق في قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم في يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير وسمونه منتظرون يقوم في هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلي اذخربت بيتي وأيتمت بنتي فامتي منكسة لاأرفعها حتى آني بنتي وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطي مجالس كثيرة عن أحمد ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديصانية والثنوية والصابئة والمجوس

وعدة من متكلمي الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده في كتابنا في أخبار الزمان

فقلت دعنى لم أزل محرجا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

وقوله فى الجزيرة الصالحية بمصر وهى الشهيرة الآن بالروضة

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * مناظرها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفجر صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمد يمينا نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد اعلاما بذلك دالا

وقوله من أبيات فى ملك أفريقية وقد جهز ولده الامير أبا يحيى بعسكر

وقد أرسلته نحو الاعادى * كما جردت من غمد حساما

وقوله فى قوس

أما مثل الهلال فى ظلم النقع سهامى تنقض مثل النجوم
تقصر القضب والقناعن مجالى * عندرجمى بها لكل رجيم
قد كستها الطيور لما رأتها * كافلات لها برزق عميم

وقوله من أبيات

وأشقر مثل البرق لونا وسرعة * قصدت عليه عارض الجود فانهمى

(ولنذكر ترجمته من الاحاطة مختصة) فنقول قال لسان الدين على بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسى المدلجى من أهل قلعة يحصب غرناطى قلعى سكن تونس أبو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه المصنف الاديب الرحالة الطرفة الاخبارى العجيب الشان فى التجول فى الاقطار ومداخلة الاعيان المتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية أخذ من اعلام اشبيلية كابى على الشلوبين وأبى الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من أزاهر الطرف والطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد تاريخ بيته وبلده والموضوعان الغريبان المتعدد الاسفار وهما المغرب فى حلى المغرب والمشرق فى حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا فلقد حدثنى الوزير أبو بكر بن الحكيم انه تخلف كتابا يسمى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر فى حد من الشبيبة يعجب فيه من مثله فيذكر أنه خرج مع أبيه الى اشبيلية وفى صحبته سهل بن مالك فجعل سهل ابن مالك يباحثه عن نظمه الى أن أنشده فى صفة نهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه

كانما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليها الغصون تقرؤها

وذكرنا جميع ذلك فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وكان هذا القبطى على ما نمى الينا من خبره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فأبى قبول شئ من ذلك ورده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما فى البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على راس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفى ظهوره من الماء ضرر بارباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من

فطرب

قطرب وأثنى عليه ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة ومازج الادباء ودوّن كثيرا من نظمه ودخل القاهرة فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى صنو نرجس وكان فيهم أبو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال أبو الحسن

يا واطئ النرجس ما تستحي * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبي الاصبع

فقال دعني لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بضفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله شمامات نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك الترك وتوفوا في الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون ولقي بمصر أيدمر التركي والبهاء زهيرا وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ورحل صحبة كمال الدين بن القيم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها

جد لي بما ألقى الخيال من الكرى * لابد للضيف الملم من القرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف وري بمقصوده من أول كلمة وهي قصيدة طويلة فاستحليه السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته وأخبره أنه جمع كتابا في الحلى البلادية والعلى العبادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سماه المشرق في حلى المشرق وجمع مثله فسماه المغرب في حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك الى ما ليس عندنا كخزائن الموصل وبغداد وتصنف لنا فخدم على عادتهم وقال أمر مولاي بذلك انعام وتأنيس ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا لقبون بأسماء الطيور وقد اخترت لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والا لم نعلم به أحدا غيرنا وهو البلبل فقال قد رضي المملوك ياخوند فتبسم السلطان وقال له أيضا مداعبا اختر واحدة من ثلاث اما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك واما جائزة القصيدة واما حق الاسم فقال ياخوند المملوك مما لا يختنق بعشر لقم لانه مغربي أكول فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربي ظريف ثم أتبعه من الدنانير والخلع والتواقيع بالارزاق ما لا يوصف ولقي بحضرته عون الدين العجمي وهو بحر لا ينزفه الدلاء والشهاب التلعفري والتاج بن شقير وابن نجيم الموصلي والشرف بن سليمان الاربلي وطائفة من بني الصاحب ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله الى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة ودخل أرجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية في الرحلة المكية وكان نزوله بساحل مدينة أقليبية من أفريقية في احدى جمادى سنة

الماء في الليل فينتهي الى موضع من المزرع ثم يولي عائدا الى الماء فيرعى في حال ٤٠١ رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مستدبره ولا يرعى من ذلك شيأ في ممره كأنه يحدد مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت وو ردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما في أجوافها في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرح له الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكا كي كثيرة مبددا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو في جوفه و يزداد في انتفاخه فينشق جوفه فيموت و يطفو على الماء و يقذف به الى الساحل والموضع الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة أوسع (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من الشرعيين ان بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن ارض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت مدينة ثمانين من ارض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان وانما نسبت الى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة

اثنتين وخمسين وستمائة واتصل بخدمة الامير أبي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته حدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه في آخر عمره وقد أسن لجراءة خدمة مالية أسندها اليه وقد كان بلا منه قبل جفوة أعقبها انتشال وعناية فكتب اليه بنظم من جملته لا ترعني بالجفا ثانية فرق له وعاد الى حسن النظر اليه الى ان توفي تحت بر وعناية مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمائة ووفاته بتونس في حدود خمسة وثمانين وستمائة انتهى باختصار * وذكرت حكاية اجازة بيته في النرجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهني ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوّارة

أما واجب أن لا يحول وجيب * وقد بعدت دار وحان حبيب
وليس أليف غير ذكر وحسرة * ودمع على من لا يرق صبيب
وخفق فؤاد ان هفا البرق خافقا * وشوق كما شاء الهوى ونحيب
ويعذلني من ليس يعرف ما الهوى * وعذل مشوق في البكاء عجيب
الا تعس اللوّام في الحب قد عموا * وصموا ودائي ليس منه طبيب
يرومون أن يثني الملام صبابتي * ولست الى داعي الملام أجيب
وفائي اذا ما غبت عنكم مجدّد * وغيري ذو غدر أوان يغيب
ولو لم يكن مني الوفاء سجية * لكنت لغير ابن الحسين أنيب
سموأل هذا العصر حاتم جوده * مهلبه ان مارسته حروب
فتى سير الامداح شرقا ومغربا * أبو دلف من دونه وخصيب
اذا رقم القرطاس قلت ابن مقلة * وان نظم الاشعار قلت حبيب
وان نثر الاسجاع قلت سميه * وان سرد التاريخ قلت غريب
وما أحرز الصولي آدابه التي * اذا ما تلاها لم يجبه أديب

ومنها

وأما اذا ما الحرب أخمد نارها * ففيه تلظى مارج ولهيب
فكم قارع الابطال في كل وجهة * نحاها وكم لفت عليه حروب
وكائن له بالغرب من موقف له * حديث اذا يتلى تطير قلوب
بعزكش سل عنه تعلم عناءه * وقد ساءهم يوم هناك عصيب
اذا ما انثنى الرمح الطويل كأنه * مدير لغصن الخيزران لعوب
وان جره أبصرت نجما مجررا * ذؤابته منه الكماة تذوب
يهيم به ما ان يزال معانقا * له راكعات ما تحوز كعوب
محمد لا تبعد الذي أنت قادر * عليه وخف عينا علاك تصيب
نفوذ سهام العين أودى بمصعب * وطاح به بعد الشبوب شبيب
ألا فهنيا أن رجعت لتونس * فاطلعت شمسا والشفار غروب

وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فاوصى الى الا كبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملتهم وأخصبت البلاد وملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهي تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة أرباعا وعهد الى الا كبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون في النسب الى أبيهم قبط ابن مصر وأضيفت المواضع الى سا كنيها وعرفت باسمائهم فمنها أشمون وقبط وصا وأتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم في انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية وأما هلاك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر

كوا كبها تبدو اذا ما تركتها * وقد جعلت مهما حضرت تغيب
اذا سدت فى أرض فغيرك تابع * علاك ومهما ساد فهو مريب

ومنها

كفانى أنى استظل بظلكم * ومن هاب ذاك المجد فهو مهيب
فأصلك أصلى والفروع تباينت * بعيد على من رامه وقريب
وحسبى فخرا أن أقول محمد * نسيب على جل عنه نسيب
تركت جميع الاقربين لقصده * على حين حانت فتنة وخطوب
رأيت به جنات عدن فلم أبل * اذا وصلتنا للخلود شعوب
فقبلت كفا لا أعاب بلثمها * وأيدى الايادى لثمهن وجوب
وكيف وليس الرأس كالرجل فرقت * شيات لعمرى بيننا وضروب
ولو كان قدرى مثل قدرك فى العلا * لحق بأن يعلو الشباب مشيب
ولولا الذى أسمعت من مكر حاسد * أتاك بقول وهو فيه كذوب
لما كنت محتاجا لقولى آنفا * تخليت من ذنب وجئت أتوب
اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة * فمن أين لى يا ابن الكرام ذنوب
لقد كنت معتادا ببشر فالذى * تقلدته حتى يزال قطوب
أأن رفع السلطان سعيى بقربكم * أأخلا عن وردكم وأخيب
م فأحسب ذنبى ذنب صخر بدارها * الى البر عند الخابر بن معيب
وحاشاك من جور على وانما * أخاطب من أصغوله فيشوب
صحاب هم الداء الدفين فليتنى * ولم أدن منهم للذئاب صحوب
كلامهم شهد ولكن فعالهم * كسم له بين الضلوع دبيب
سأرحل عنهم والتجارب لم تدع * بقلبى لهم شيأ عليه أثيب
اذا اغترب الانسان عمن يسوءه * فما هو فى الابعاد عنه غريب
فدارك برأب منك ما قد خرقته * ليحسن منى مشهد ومغيب
ولا تستمع قول الوشاة فانما * عدوهم بين الانام نجيب
فياليت أنى لم أكن متأدبا * ولم يك لى أصل هناك رسوب
وكنت كبعض الجاهلين محببا * فأنا لهم المسلم حبيب
وما ان ضربت الدهر زيدا بعمره * ولم يك لى بين الكرام ضريب
أأشكوك أم أشكو اليك فاعدت * عداتى حتى حان منك نوب
ساشكر ما أولى وأصبر للذى * توالى على أن العزاء سليب
فدم فى سرور ما بقيت فاننى * وحقك مذ دب الوشاة كئيب

قال وكان سبب التغير بينى وبين ابن عمى الرئيس المذكور أن ملك أفريقية استوزر لاشغال الموحدين أبا العلى ادريس بن على بن أبى العلى بن جامع فاشتمل على وأولانى من البر ما قيدنى وأمال قلبى اليه مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمى من الصحبة فلم يزل ينهض بى ويرفع أمداحى للملك

(ثم ملك بعده) صا بن مصر وملك بعده أتريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كالى بن حرايا وأقام فى الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ له يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس ابن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حورياء بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة أخرى يقال لها ماموم وكثر ولد بيصر ابن حام بأرض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان ابن الوليد العملاقى وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما فى كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك فى كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقى (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقى (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى انه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر

ويوصل اليه رسائلي منبها على ذلك مرشحا الى أن قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه في ذلك فنبه الوزير على وارتهن في مع اني كنت من كتاب الملك فقلدني قراءة المظالم المذكورة وسافر الى الوزير عنده في دار الكاتب المؤخر فانعم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزوروا من الاقاويل المختلفة ما مال بها حيث مالوا وظهر منه مخايل التغيير فجعلت اداريه وأستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى أن سعى في تاخير والدي عن الكتب للامير أبي سعد أبي يحيى بن ملك افريقية ثم سعى في تاخيري فاخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الى جميع اموره وأولاني من التانيس ما أنساني تلك الوحشة ومن العزما أنقذني من تلك الذلة

فردعلى العيش بعد ذهابه * وآنسني بعد انفرادي من الاهل

وقالوا اذا ما الوبل فاتك فاقتنع * بما قد تسني عندك الآن من طل

ووالله ما نعماه طل وانما * تاديه غيث يجود على الكل

رآني ظمأ في الهجيرة ضاحيا * فرق وآواني الى الماء والظل

ولم أزل عنده في أسر حال ما لها تكدير الا ما يبلغني من أن ابن عمي لا يزال يسعى في حقي بما اخشى مغبته وخفت أن يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عني فرغبت له في أن يرفع للملك أني راغب في السراح الى المشرق برسم الحج

ومن بله الغيث في بطن واد * وبات ملآن من السيولا

فلم يسعفني في ذلك ولامني على تخوفي وقلة ثقتي بحمايته فرفعت له هذه القصيدة

هل الهجر الا أن يطول التجنب * ويبعد من قد كان منه التقرب

وتقطع رسل بيننا ورسائل * ويمنع لقيانا نوى وتحجب

ولو أنني أدرى لنفسي زلة * جعلت لكم عذرا ولم أك أعتب

ولكنكم لما ملكتم هجرتم * وذنبتم في الحب من ليس يذنب

الى الله اشكو غدركم وملالكم * وقلبا له ذاك التعذب يعذب

فلو أنه يجزيكم بفعالكم * لكان له عنكم مراد ومطلب

ولكن أبى أن لا يحن لغيركم * وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب

فهلا رعيتم أنه في ذراكم * غريب وليس الموت الا التغرب

لرمتك لما ان رأيتك كاملا * جمالا واجمالا وذاك يحبب

واني لاخشى أن يطول اشتكاؤه * لمن ان اتى مكرا فليس يثرب

فلم أسع الا لارتياح وراحة * وغيري وقد آواه غيرك يتعب

فانت الذي آويتني ورحمتني * وذو الرحم الدنيا الناري يحطب

فما مر يوم لا يريد مصيبة * عليك وبالتدبير منك يحبب

وهبه نبوتا لا يحيل أماتري * بحر جبال ذي الحجارة يرسب

وهبه لسذاف كم أنت حاضر * أحاذر خرقا منه أن يتسببوا

ابن يدمر وكان يعرف بظاما ونذ أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج في طلب بني اسرائيل حين اخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا في البحر يبسا ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بارض مصر من الدراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأي وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاده سورا محيطا بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس وارجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض وأثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاورأرضهم من الملوك والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل في ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يردمن كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت في هذه البرابي وما

وما ان أرى الا الفرار مخلصا * وما راغب فى الضيم من عنه يرغب
فأنهى الى الامر العلى شكيتى * وأن خطوب الدهر نحوى تحطب
ولا تطمعونى فى الذى لست نائلا * فلا أنا مرقوب ولا انا أشعب
الا فلتمنـــوا بالسراح فانه * لراحة من يشقى لديكم وينصب
سلوا الكاس عن اقتدار فاننى * لا تركها هما ودمعى أشرب
ولا أسمع الالحان حين تهزنى * ولو كان نوحا كنت أصغى وأطرب
فديتكم كم ذا اهون بارضكم * أهـــذا جزاء للذى يتغرب
أبخل على أن ماسواك يصيح لى * فهل لى مما كدر العيش مهرب
تقلص عنى كل ظل ولم أجد * كما كنت ألقى من أودوا صحب
أدو طمع فى العيش يبقى وحوله * مدى الدهر أفعى لا تزال وعقرب
أجزنى أنجـــز بالفرار فانه * وحقك من نعماك عندى يحسب
فلا زلت يا خير الكرام مهنأ * فعيشى منه الموت أشهى وأطيب
وصانك من قد صنت فى حقه دمى * وغيرك من ثوب المروءة يسلب

ولم يزل الوزير لا أزال الله عنه رضاه يحمى جانبى الى أن اصابتنى فيه العين فاصابه الحين

وطيب نفسى أنه مات عندما * تناهى ولم يشمت به كل حاسد
ويحكم فيه كل من كان حاكما * عليه و يعطى الثار كل معاند

وقلت أرثيه

بكت لك حتى الهاطلات السواكب * وشقت جيوبا فيك حتى السحائب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به * أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب
أرى فانظروا دمعى فاكثره دم * ولا تذهبوا عنى فانى ذاهب
وقولوا لمن قد ظل يندب بعده * وفاؤك لو قامت عليك النوائب
لعمرك ما فى الارض واف بذمة * أيصمت ادريس وشلى يخاطب
دعونك يا من لا أقوم بشكره * فهل أنت لى بعد الدعاء مجاوب
أيا سيدا قد حال بينى و بينــــه * تراب حوت دكراك منه الترائب
لمن أشتكى ان جار بعدك ظالم * على وان نابت جنابى النوائب
لمن أرتجى عند الامير تطق * تحف به حولى المنى والمواهب

وهى طويلة ومنها قبيل الختم

وقد كنت أختار الترحل قبل أن * يصيبك سهم للمنية صائب
ولكن قضاء الله من ذا يرده * فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

ومنها وهو آخرها

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * اذا لم تكن فيه على مثالب
وان لم يؤب من كنت أرجو انتصاره * عليك فلطف الله نحوى آيب

العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات والحيوان من الحادية والبادية وجعلت ذلك فى أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلويه وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البرابى من الابل وغيرها فتعور ما فى ذلك الجيش ويقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما ورد من جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الروم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب مارسمت له

قال رحمه الله تعالى ولما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثارتذ كرما كنت أعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التى قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب برداقشيبا فقلت

هذه مصر فأين المغرب * مذنأى عنى فعيني تسكب
فارقته النفس جهلا انما * يعرف الشئ اذا ما يذهب
أين حمص أين أيامى بها * بعدها لم ألق شيأ يعجب
كم بعيش لى بها من لذة * حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الايك تشدو حولنا * والمثانى فى ذراها تصخب
أى عيش قد قطعناه بها * ذكره من كل نعمى أطيب
ولكم بالمرج لى من لذة * بعدها ما العيش عندى يعذب
والنواعير التى تذ كارها * بالنوى عن مهجتى لا تسلب
ولكم فى شنتبوس من منى * قد قضيناه ولا من يعتب
حيث هاتيك الشراجيب التى * كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل ذى فقر له * سامع غصبا ولا من يغصب
بلدة طابت ورب غافر * ليتنى مازلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهربها * كل نغمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله * قمر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على * شم زهر وكؤس تشرب
كم ركبناها فلم تجمع بنا * ولكم من جامح اذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد * تعبا منها اذا ما نتعب
قد أثارت عثيرا يشبهه * ثر سلك فوق بسط ينهب
كلما ارسنا لها أجنحة * من قلاع ظلت منها تعجب
كطيور لم تجدد يا لها * فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا تنفك من * زفرة فى كل حين تلهب
حث للبحر زئير حولها * تبصر الاغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا * بحبيب ومدام يسكب
وكأن البحر ثوب أزرق * فيه للبدر طراز مذهب
والى الحوز حنينى دائما * وعلى شنيل دمعى صيب
حيث سل النهر عضبا وانثنت * فوقها القضب وغنى الربرب
وتشفت أعين العشاق من * حور عين بالمواضى تحجب
ملعب للهو مذ فارقته * مانثنا فى نحوله وملعب
والى مالقة يهفو هوى * قلب صب بالنوى لا يقلب
أين ابراج بها قد طالما * حث كاسى فى ذراها كوكب

ووضعت من أجله على حسب قولهم فى الطباع ٤٠٦ التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وأخبرنى غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابى ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم انه راى فى آخره كتابة وتبينها فى ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدرى
ورب النجم يفعل ما يريد

وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون فى الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ما هو انار تاتى على الارض فتحرق ما عليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابى واحدها بربى ورسمت

حفت الاشجار عشقا حولنا * تارة تنأى وطورا تقرب
جاءت الريح بها ثم انثنت * أتراها حذرت من ترقب
وعلى مرسية أبكي دما * منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت فى ناظري * ثم صارت فى فؤادى تغرب
هذه حالى وأما حالتى * فى ذرى مصر ففكر متعب
سمعت اذنى محالا ليتها * لم تصدق ويحها من يكذب
وكذا الشئ اذا غاب انتهوا * فيه وصفا كى يميل الغيب
ها أنا فيها فريد مهمل * وكلامى ولسانى معرب
وأرى الالحاظ تنبو عندما * أكتب الطرس أفيه عقرب
واذا أحسب فى الديوان لم * يدر كتابهم ما أحسب
وأنادى مغربيا ليتنى * لم أكن للغرب يوما أنسب
نسب يشرك فيه خامل * ونبيه أين منه المهرب
أترانى ليس لى جد له * شهرة أوليس يدرى لى أب
سوف أثنى راجعا لا غربى * بعد ما جربت برق خلب

وقال بقرمونه متشوقا الى غرناطة

أغنى اذا غنى الحمام المطرب * بكاس بها وسواس فكرى يذهب
ومل ميلة حتى أعانق أيكة * وألثم ثغرا فيه للصب مشرب
ولم أر مرجانا ودرا خلافه * يطيف به ورد من الشهد اعذب
فديتك من غصن تحمله نقا * تطلع أعلاه صباح وغيهب
وجنته جنات عدن وفى لظى * فؤادى ومالى من ذنوب تعذب
ويعذلنى العذال فيه واننى * لاعصى عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا اهل عن حياتى أنثنى * اذا عقوا أقوالهم وتألبوا
يقولون لى قد صار ذكرك مخلقا * وأصبح كل فى هواه يؤنب
وعرضك مبذول وعقلك تالف * وجسمك مسلوب ومالك ينهب
نقلت لهم عرضى وعقلى والعلا * وفخرى لا أرضى بها حين يغضب
جفون أبت أن لا تلين لعازم * بسحر بآيات الرقى ليس يذهب
فقالوا ألا قد خان عهدك قلت لم * يخن من اذا قربته يتقرب
وكم دونه من صارم ومثقف * فيا من رأى بدرا بهذين يحجب
على أنه يستسهل الصعب عندما * يزور فلا يجدى حمى مترقب
وكم حيلة تترى على اثر حالة * وذو الود من يحتال أو يتسبب
على انه لو خان عهدى لم أزل * له واعيا والرعى للصب أوجب
فاين زمان لم يخنى ساعة * به وهو منى فى التنعم أرغب
ولا فيه من بخل ولا بى قناعة * كلانا بلذات التواصل معجب

فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى من الطين وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما بنى بالطين ويبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين ما هو بالطين وما هو بالحجر وهذا ما قيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها ومالت ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض فى كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من أى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد فى تلال الرواني

ويا رب يوم لا أقوم بشكره * عـلى أنـنى مازلت أثـنى وأطنب
على نهر شنيل ولقصب حولنا * منابر مازالت بها الطير تخطب
وقد فرعت منه سنابك فضة * خلال رياض بالاصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية * غدت تشرب الالباب أيان تشرب
كأن ياسمينا وسط درتفتحت * أزاهره أيان فى الكاس تسكب
اداما شربنا ها النيل مسرة * تبسم عن درلها فتقطب
أتت دونها الاحقاب حتى تخالها * سرابا بآفاق الزجاجة يلعب
نعمنا بها واليوم قد رق برده * الى أن رأينا الشمس عنا تغرب
فقالوا الا هاتوا السراج فكل من * درى قدر ما فى الكاس أقبل يعجب
وقال ألا تدرون ما فى كؤسكم * فلا كاس الا وهو فى الليل كوكب
كواكب أمست بين شرب ولم تخل * بان النجوم الزهر تدنو وتغرب
ظللنا عليها عاكفين وليلنا * نهار الى أن صاح بالايك مطرب
فلم تثن عن دين الصبوح عناننا * الى أن عدا من ليس يعرف مذهب
صرعنا فامسى يحسب السكر قد قضى * علينا وذاك السكر أشهى وأعجب
وكم ليلة فى اثر يوم وعذلى * وعذل من يصغى لقولى خيب
فيا ليت ماولى معاد نعيمه * وأى نعيم عند من يتغرب

وهو أحدا دوصور منها والبربا التى ببلاد أخميم والبربا التى ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها وقد قال من عنى بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها فى الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعود ادق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم مذ كرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها عن يدنى مواز اتنا فى الملك وبلوغنا فى القدرة وانتهائنا من السلطان فليهدمها ولبيزل رسمها فان الهدم ايسر من البناء والتفريق ايسر من التأليف وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع فى هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيره لا يفى بقلعها وهى من الحجر والرخام والغرض فى كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها و بسطها

قال وقلت باشبيلية ذاكر الوادى الطلح وهو بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير مترنم الاطيار وكان المعتمد بن عباد كثيرا ما ينتابه مع رميكته وأولى أنسه ومسرته

سائل بوادى الطلح ريح الصبا * هل سخرت لى فى زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * ان نأمن الرسل ولن نكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبا
يا قاتل الله الذى لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والهم لا يعرف ما طعمه * الا الذى وافى لأن يشربا
فدعنى من ذكر الوشاة الالى * لما يزل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادى الطلح عهدا لنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخاننى من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يعجبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذى شئته * يا بدر تم مهديا كوكبا
لكننى آليت أسقى بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فعج لى فى الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا

وقد اتفقنا على سائر ما شاهدناه حسا فى مطاقات الارض والممالك وما نمى الينا خبره من الخواص وأسرار

فقال ها التي تقــلاولا * تشم الا عرفي الاطيبا
فاقطف بخدي الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أشفقته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهي وذا امرة * حتى تبدى فخلعت الحبا
ولم أصن عرضي في حبه * ولم أطع فيه الذي أنبا
حتى اذا ما قال لي حاسدي * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعري سحراله * ييسر المرغب والمطلبا
وقال حرفه باني ساحر تال فما اجتنب المكتبا
فزاد في شوقي له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا
امد طرفي ثم اثنيه من * خوف اخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
اني ومن حضره بعد ما * أيأس بطأ كاد أن يغضبا
قبلت في الترب ولم استطع * من حصر الله اسوى مرحبا
هنات ربعي اذ غدا هالة * وقلت يا من لم يضع اشعبا
بالله مل معتنقا لاثما * فمال كالغصن ثنته الصبا
وقال ما ترغب قلت انشد * ادر كت اذ كلمتني المرغبا
فقال لا ترغب عن ذكرما * ترغبه قلت اذا مركبا
فكان ما كان فوالله ما * ذكرته دهري أو أغلبا

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص ان اكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدمها الابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انا لون الشباب والخال اهديت ان قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني ايوب لا زال في المعالي مهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني اريج عرفي خطابا

قال ولما انشد ابو عبد الله بن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه

لله دولاب يدور كأنه * فلك ولكن ما ارتقاه كوكب
هامت به الاحداق لما نادمت * منه الحديقة ساقيا لا يشرب
نصبته فوق النهر أيد قدرت * ترويحه الارواح ساعة ينصب
فكأنه وهو الطليق مقيد * وكأنه وهو الحبيس مسيب
للماء فيه تصعد وتحدر * كالمزن يستسقي البحار ويسكب

حلف أبو عبد الله بن أبي الحسين ابن عمي أن يصنع في ذلك شيأ فقال

ومحنية الاضلاع تحنو على الثرى * وتسقي نبات الترب در الترائب
تعد من الافلاك أن مياهها * نجوم لرجم المحل ذات ذوائب

ولا تمانع بين ذوي الفهم ان في مواضع من الارض مدنا وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية اذا اخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا اجذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شئ الى أن كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها فاصيب في أعلاه حق من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف فامضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق في وقتنا هذا يعم الا كثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شئ ويدني منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله في الحديد واذا غسل بشئ من الخل أوناله شئ من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس في الحديد خواص عجيبة غير ماذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الاشياء وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر

وأعجبها رقص الغصون ذوابلا * تدارت بأمثال السيوف القواضب
ونحن بها والروض ساق وقينة * فما برحا ما بين شادو شارب
وماحلتها تشكو بغنائها الصدا * ومن فوق متنيها اطرادا المذانب
فخذ من مجاريها ودهمة لونها * بياض العطايا في سوادا المطالب

ثم كلفت في أن اقول في ذلك وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركالي ما أقول

وذات حنين لاتزال مطيقة * تئن وتبكي بالدموع السواكب
كأن اليفا بان عنها فأصبحت * بربعه كالصب بعد الحبائب
اذا ابتسمت فيها الرياض شماتة * ترعها بامثال القسي القواضب
فكم رقصت أغصانها فرمت لها * نثارا كما بدرت حلى الكواعب
لقد سخطت منها الثغور وأرضت الـــقدود ولم تحفل بتثريب عائب
شربت على تحنانها ذهبية * ذخيرة كسرى في العصور الذواهب
فهاجت لي الكاس اذكار مغاضب * فهاجيتها وجدا بذاك المغاضب
فلاتدع التبريز في كثرة الهوى * فلولاي كانت فيه احدى العجائب

قال وقلت بغرناطة

باكر اللهو ومن شاء عتب * لايلذ العيش الا بالطرب
ماتوانى من رأى الزهر زها * والصبا تمرح في الروض خبب
وشذاه صانه حتى اغتدى * بين أيدي الريح غصنا ينتهب
يانسيما عطر الارجاء هل * بعثوا ضمنك مايشفي الكرب
هم أعلوه وهم يشفونه * لاشفاه الله من ذاك الوصب
خلع الروض عليه زهره * حين وافى من ذرا كم فعل صب
فأبى الاشذاه فانثنى * حاملا من عرفه ماقد غصب
لست ذا نكران يشبهكم * من بعثتم غير ذا منه العجب
غالب الاغصان في بدأته * ثم لما زاد أعلته الغلب
فبكى الطل عليها رحمة * أو بكى من وعظ طير قد خطب
كل هذا قد دعاني للتي * ملكت رقي على مر الحقب
قهوة أبسم من عجب لها * عند ماتبسم عجبا عن حبب
حاكت الخمر فلما شعشعت * قلت ماللغمر بالماء التهب
وبدت من كاسها في فضة * ملئت اذ جمدت ذوب الذهب
استقيها من يدي مشبهها * بالذي يحويه طرف وشنب
لاجعلت الدهر نقلي غيرما * لذلي من ريق ثغر كالضرب
لاجعلت الدهر ريحاني سوى * مايحديه من الورد انتقب
لم أزل أقطع دهري هكذا * وكذا أقطع منه المرتقب
حبذا عيش قطعناه لدى * معطف الخابور مافيه نصب

بعضها لم يظهرها لخالقه ولاتقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى هو غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلى عند الصبغ والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلى وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا واذا مزج ماء القلى بماء الراج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا في النتاج بين الفرس الانثى والحمار فتحدث بغلا ولو نتج دابة على اتان لخرج منها بغل افطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر ممايلي الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الاتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولابقر كالبغل الذي ليس بدابة ولاحمار وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والاشجار وماتولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب في أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الاشياء ومعرفتها والطلسمات

مــــع من لم يدر يوماما الجفا * من أراح الصب فيـه من تعب
كل مايصـــدر منـــه حـــسن * لم يذقنى فى الهوى مر الغضب
اى عيـش سمع الدهـر به * كل نعـــمى ذهبت لما ذهب

قال ودخلت بتونس مع أبى العباس الغسانى حماما فنظرنا الى غلمان فى نهاية الحسن ونعومة الابدان فقلت مخاطباله

دخلت حماما وقصدى به * تنعيم جسم فغدا الى عـذاب
قلت لظلى فاعترضت حوره * وقلت عـــدن فهما فى التهاب
وأنت فى الفضل امام تمكن * فى الحكم ممن حاز فصل الخطاب

فقال

لاتامن الحمام فى فعـــله * فليس مايأتيه عندى صواب
فما أرى أخـدع منه ولا * أكذب الا أن يكون السراب
يبدى لك الغيد كحور الدمى * و يلبس الشيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنــــة * للحســــن الا ماحوته الثياب

(ومن فوائده) أعنى ابن سـعيد رحمه الله تعالى فى كتابه المحلى بالاشعار نقلا عن القرطبى قضية بناء الهودج بروضة مصر وهو من منتزهات الخلفاء الفاطميين العظيمة العجيبة البناء البديعة وذلك أنه يقال ان البانى له الخليفة الآمر باحكام الله للبدوية التى غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه ومازال متنزها للخلفاء من بعده * وقد أكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشان كحديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر قد كان بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداة الاعراب وكان يجول فى الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى طليقا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كاغصان النقا * حيث لانخشى علينا دركا

فاجابها فقال

بنت عمى والتى غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا

والـيسير منـه يدلك على الكثير ويمكن والله أعلم أن تكون هذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة فى العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة فى الحيوان وغير ذلك مثل الطارد والجاذب كانت دلالة لبعض الانبياء فى الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبى دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتبيينه من غيره ليؤدى عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه فى ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشئ وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا فى أيدى الناس وأصل ذلك الهى كما وصفنا اذ كان ماذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع فى القدرة (قال المسعودى) فلنرجع الى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن ملوطش (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده) لعمس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسا بن نورش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكاكيل وكانت له حروب ومسير فى الارض وهو فرعون الاعرج الذى غزا بنى اسرائيل وخرب

بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدى ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو والدى قد هلكا

قال ولناس فى طالب ابن مداح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طيئ فى عصر الآمر مراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحى حول الرحال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله فطلب فى أحياء العرب فلم يوجد فقيل ما أخسر صفقة طراد باع عدة أبيات بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة ومدحه ظافر الحداد وأمية أبو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يرى فى نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الآمر فى حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد فى احضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بحمله فى الهودج فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن فاخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له عنها هذا القول قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها فى عز غير رد السقية التى قلعت من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقيل له قد حصلت فى حد أن خبر تلك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله تعالى أملها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها فى أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المامون بن البطائحى لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليها الاعمال البحرية ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دهن الشمع بحضرة القاضى المذكور فامر فى الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن الشمع فما كان من أكثر من مسافة الطريق الا وقد أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ فى شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان من جواب المؤتمن وقد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا نظر فى قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر ان قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله تعالى الى

ب ... (ثم ملك بعده) مرينوس وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) نفاس بن مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن نفاس عشرين سنة (ثم ملك بعده) كامل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وغزاه البختنصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله وسار البختنصر نحو المغرب وقد أتينا على أخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه باخبار مصر الملوك للارض واخبار متاملهم دون ما ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ولما زال أمر البختنصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى أنوشروان فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث فى دار مملكتهم فغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشام ومصر الى ان أتى الله بالاسلام وكان من أمر

انى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثر الناس يحتاج اليه فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة وما نسبة اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امر الخلافة وابهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى ان ركب يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية على راس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل فى العشارى الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل ان يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور نقل ذلك كله الحافظ المقريزى رحمه الله تعالى قال النور بن سعيد ومن خطه نقلت لما نزلنا بتلعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سألت أحد شيوخنا عن والد شهاب الدين التلعفرى فقال انا أدركته وكان كثير التجول وأنشدنى لنفسه فى عيد أدركه فى غير بلده

يبتهج الناس اذا عيدوا * وعند سرائهم أكمد

لانى ابصر احبابهم * ومقلتى محبوبها تفقد

قال وخرج ابنه الشهاب أجول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قاله وانشد ابن سعيد للشهاب التلعفرى

لك ثغر كلؤلؤ فى عقيق * ورضاب كالشهد او كالرحيق

وجفون لم ينتشق سيفها الا لمغرى بقدك الممشوق

تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل وكل معنى دقيق

وتفردت بالجمال الذى خلاك مستوحشا بغير رفيق

بالحاظ التى لها لم تزل تر * شق قلبى و بالقوام الرشيق

لا تغر بالغوير اذ تنثنى * فيه اعطاف كل غصن وريق

واثن محمر ورد خديك واستر * ه والا ينشق قلب الشقيق

قال ابن سعيد وحظى الشهاب التلعفرى بمنادمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره وعهدى به لا ينشد أحد قبله فى مجلس الملك الناصر على كثرة الشعراء وكثرة من يعتنى بهم ولما جمعت للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت ملك شعراء الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده ويتيه به والتشفى من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرة الطالعة فى فضلاء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب حماة قد علت سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما اجرى ابن سعيد فى بعض مصنفاته ذكر الملك العادل بن ايوب قال ما نصه وكان من اعظم السلاطين دهاء وحزما وكان يضرب به المثل فى افساد القلوب على اعدائه واصلاح احواله ويحكى انه بشره شخص بان اميرا من امراء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فاعطاه مالا جزيلا وارسل مستخفيا الى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الافضل ويعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ويجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح وكان صلاح

المقوقس صاحب القبط مع النبى صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان الى ان افتتحها عمرو بن العاص ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه وبين المقوقس ونحوه لقصر الشمع وغير ذلك من أخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك ودخول عمرو ابن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى اعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو بن العاص وذلك قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقنا عليه أهل التواريخ من تباين ما فيها أن عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق

الدين وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له أحد المصنفين كتابا مصورا في مكايد الحروب ومنازلة المدن وهو حينئذ على عكا محاصر الفرنج فقال له ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة والحزم ومن حكاياته في ذلك ان احد الاشياخ من خواصه قال له يوما وهو على سماطه يأكل ياخوند ما وفيت معي ولا رعيت سابق خدمتي وكلمه بدالة السن وقدم الصحبة قبل الملك فقال لمماليكه انظروا وسط هؤلاء الكمران وقال خذوا الصرة التي فيه فوجدوا صرة فقال افتحوها ففتحوها فاذا فيها ذرور فقال العادل كل من هذا الذرور فتوقف وعلم أنه مطلع على انه سم فقال كيف نسبتني الى قلة الوفاء وأنا منذ سنين أعلم أنك تريد أن تسمني بهذا السم وقد جعل لك الملك الفلاني على ذلك عشرة آلاف دينار فلا أنا أمكنتك من نفسي ولا أشعرتك أنه لا يكون في ذلك ما لا اخفاه وتركتك على حالك وأنا مع هذا لا أغير عليك نعمة ثم قال ردوا اسمه الى كرانه لا أبقى الله تعالى عليه ان قدر وابقى على فجعل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وأنا تائب لله تعالى ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف أدبا آخر وخدمة أخرى وكانت هذه الفعلة من احدى عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلي الذي يصلح لنساء الفرنج ويوجهه في الخفية اليهن حتى يسكن أزواجهن عن الحركة وله في ذلك مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن أخيه العز اسمعيل بن طغركين باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب له أن يبايعه ويخطب له في بلاده كان في الجماعة من أشار الى النظر في توجيه عسكر له في البر والبحر وانفاق الاموال قبل أن يتفاقم أمره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله في بلاده فضلا عن أن يتطرق فساده لبلادي ثم انه وجه في السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم أنتم تعلمون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لي فكيف يسوغ له وقد أدخل نفسه في أمر لا يخرج منه الا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه وتعطوا بالا بقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لهذا عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته الملكي ولتعلمن نبأه بعد حين فعند ما وعت أسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه في أول الامر بتجهيز العسكر قد كفينا المؤنة بأيسر شئ من المال ولو حاولناه بما اشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ الى غايته وكان على ما بلغه من عظمة السلطان واتساع الممالك يحكي ما جرى له من زمان خلوه من ذلك ويحب الاستماع لنوادر أنذال العالم واشتهر في خدمته مساخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق ومن نوادره الحاضرة منه انه سمعه يوما وهو يقول في وضوئه اللهم حاسبني حسابا يسيرا ولا تحاسبني حسابا عسيرا فقال له ياخوند على أي شئ يحاسبك حسابا عسيرا اذا قال لك أين أموال الخلق التي أخذتها فقل له تراها بامانتها في الكرك وكان قد صنع بهذا المعقل الحسرات سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع على شئ منها بحيلة وهي خراب مفروغة من ذهب وفضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر ذلك في الآفاق وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وأمثالهم ممن ذكر في كتاب المستجاد في حكايات الاجواد انما هذا كذب مختلق من الوراقين

الذين ظهروا الهيا من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها أناس من الفرس من قبل الاكاسرة وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة ثلثمائة سنة (قال المسعودي) وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل لي في لغتهم فيمكن والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة الملوك تلك الاعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغيير الفهلوية وهي الفارسية الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر أخبار عجيبة من الدفائن وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لأخيه عبد الملك ابن مروان فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا

ومن

ومن المؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والاكابر للسخاء وتبذير الاموال فقال خضير يا خوند ولاى شئ ما يكذبون عليك قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابى العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصى قد ذكر السلطان العادل فى كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرّج عنه الحديث النبوى عن الحافظ السلفى وتمثل فيه عند وفاته

ألام على بكائى خير ملك * وقل له بكائى بالنجيع
به كان الشباب جميع عمرى * ودهرى كله زمن الربيع
فمذ رق بيننا زمن خؤن * له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسة العادلية بدمشق وكن انشاها للشافعية وهى فى نهاية الحسن وبها خزانة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا التاريخ واختصره ابو شامة سمعت عليه منه هنالك ما تيسر ايام اقامتى بدمشق واولاد العادل ملوك البلاد فى صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والاشرف وهؤلاء الثلاثة اشهر وابا الفضل وحب الفضلاء وتول الشعراء انتهى وقال ابن سعيد فى ترجمة الرئيس صفى الدين احمد بن سعيد المردعانى وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بفراقى * وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتى وصبابا * تى ووجدى وزفرتى واحتراقى
لرثيتم للمستهام المعنى * ووفيتم بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس فى كتاب تاج المعاجم ووجدت صاحبه الشهاب القوصى قد قال أخبرنى بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لامر ضاق به صدره فهتف به هاتف فى النوم وأنشده

يا أحمد اقنع بالذى أعطيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع التكاثر فى الغنى لمعاشر * أضحوا على جمع الدراهم ولها
واعلم بأن الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فانثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما أمّله دون سفر وقال ابن سعيد فى ترجمة المنتخب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى المعروف بدفترخوان وهو الذى يقرأ الدفاتر بين أيدى الملوك والاكابر انه كان يقرأ الدفاتر بين يدى العادل بن أيوب وكان يكتب له بالاشعار فى المواسم والفصول فينال من خيره وكتب له مرة وقد أظل الشتاء فى دمشق فقال

مولاى جاء الشتاء * والكيس منه خلاء
لا زال يجرى بما تر * تضى علاك القضاء
وكل كاف اليه * يحتاج فيه الثواء

فقال له العادل هذا الضمير الذى فى البيت الاول على ماذا يعود فقال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدنانير فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار فملأه له وقال أظنه كان معدّا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده

بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى فاء باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة فى الارض والدلائل المتقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع فى النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما فى عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بانواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجر بة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقد ذلك باعمدة الذهب فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فاسرع بعضهم

مضنونا وكتب اليه مرة وقد أملق

انظر الى بعين جودك مرة * فلعل محروم المطالب يرزق
طير الرجاء على علاك محلق * وأظنه سيعود وهو مخلق

فاعطاه جلة دنانير وقال له اشتر بهذه ماتخلق به طير رجائك انتهى وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة وهو أبو الحسن علي بن مروان الرباطي الكاتب

أنس أخي الفضل كتاب أنيق * أو صاحب يعني بود وثيق
فان تعره دون رهن به * تخسره أو تخسر وداد الصديق
وربما تخسر هذا وذا * فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

قال وأجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بنثر نصه مثلك بغيد تجربة قد نفق عليها عمر وضل عن فوائدها غمر وقد أنفذت رهنا لاسمع باخراجه الا الديك فتفضل بتوجيه الجزء الاول فانا اعلم أنه عندك مثل ولدك قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا أخي ان عرضت بولدي فكذلك كنت مع والدي وقد توارثنا العقوق كابرا عن كابر فكن شاكرا فاني صابر ثم قال ابن سعيد وتماقم أم ولده فقيده بقيد حديد وقال فيه

لي ولد ياليته * لم يك عندي يخلق
يجهد في كل الذي * يرغم وهو يعشق
وان أكن قيدته * دمعي عليه مطلق

وذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيرا مايستعير الكتب فاذا طلبت منه فكتبها ما كانت فذكر لبعض أصحابه وهو ابن الربيب المؤرخ أن عنده نسخة جليلة من تاريخ غريب الذي لخص فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ماهو من شرطه وذيل ماحدث بعده فأرسل اليه في استعارتها وكتب اليه يا أخي سدد الله آراءك وجعل عقلك أمامك لا وراءك ما يلزمني من كونك مضيعا أن أكون كذلك والنسخة التي رمت اعارتها هي مؤنسي اذا وحشني الناس وكاتم سري اذا خانوني فما أعيرها الا بشئ اعلم أنك تتأذى بفقده اذا فقدته من النسخة وأنا الذي أقول

أنس أخي الفضل كتاب انيق * الى آخره وأنشد للكاتب أبي الحسن المذكور

ان ذا المذار قام بعذري * وفشا فيه للعواذل سري
ما رأينا من قبل ذلك مسكا * صاغ منه الاله هالة بدر
أي آس من حول جنة ورد * ليس منه آس مدى الدهر يبري

ولما اشتد مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات وأوصى أن تكتب على قبره

الا رحم الله حيا دعا * لميت قضى بالفلا نحبه
تمر السوافي على قبره * فتهدي لاحبابه تربه
وليس له عمل يرتجي * ولكنه يرتجي ربه

انتهى

*(رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به) فنقول وقال لما سار المعظم من حصن كيفا وآل أمره الى الممات ثم القتل والهلاك

عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشماله والتقيا على الرجل فلم يدركوه حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا أسمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ماوقع على بعض تلك الدرج شئ أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويتحرك ويأمر زهاء نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبر الهم (قال المسعودي) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض

ليت المعظم لم يسر من حصنه * يوما ولا وافى الى أملاكه
ان العناصر اذ رأته مكملا * حسدته فاجتمعت على اهلاكه

*ومما نقلته من ديوانه الذى رتبه على حروف المعجم قوله رحمه الله تعالى وقلت بالقاهرة على على لسان من كلفنى ذلك

شرف الدين أين لى ما السبب * فى انقلاب الدهر لى عند الغضب
ذا التدم غضبان أظفر بالمنى * ليس لى فى غيره هذا من أدب
انما ظهرك عندى قبلة * ووضوئى الدهر من ذاك الذنب

وأستغفر الله من قول الكذب قال وقلت باشبيلية

قد جاء نصر الله والفتح * والصبح لما رضيت صبح
فهنئونى بارتجاع المنى * لولا الرضا ما برح البرح
يا أورقا يا غصنا يا نقا * يا ظبية بالليل يا صبح
يصحو جميع الناس من سكرهم * ولست من سكر كم أصحو
بلغت فيه غاية لم يبن * غايتها التفسير والشرح
ونصح العذال من لى بأن * يعذلنى عن غيك النصح

وقلت باشبيلية

وضح الصبح فأين القدح * يعرف اللذات من يصطبح
ما ترى الليل كطرف أدهم * وضياء الفجر فيه وضح
والثرى دبجه دوالندى * وعلى الاغصان منه وشح
ومدير الراح لم يعد المنى * كل ما يأتى به مقترح
فى بطاح المرج قد نادمنى * رشا من سكره ينبطح
جعل المسواك ستر اللمى * فكأن قبل فاه قزح
كلما شئت الذى قد شاءه * خفى لى كاسه أفتتح
ما أبالى ان رآنى كاشح * أم رآنى من لديه نصح
هكذا العيش ودع عيش الذى * خاف من نقد اذا يفتضح

وقلت بشريش

طاب الشراب لمعشر * سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا * السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المنى * وفسادهم فيها صلاح
ساقيهم متبذل * هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا * ردته طوع الراح راح
طوع الأمانى كل ما * يأتى به فهو اقتراح
ما ان يبالى ان بدا * أن لا يلوح لنا الصباح
ما زلت أرشف ثغره * وعليه من عضدى وشاح

حفره وأباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج وأبياء وحجارة مجوّفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرذ والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا فى أجوافها رمم بالية وأجسام فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب وما بقى من الطلاء متروك فى ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف فى نوع من الانواع التى للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر

والقلب يهفو طائرا * ولعاولا يخشى افتضاح
ولوانا نخشاه كنا * نلنا من الظلما جناح
لكننا فى عصبة * ماتى تهتكهم جناح
لا ...رون سوى نقيل لا يميل به مزاح
أفنى الذى قد جمعو * ا الكاس والحدق الملاح

وقلت براكش

تم هاتها الاح الصباح * ما العيش الا الاصطباح
مع فتية ماذ بهم * الا المروءة والسماح
جربتهم فوجدتهم * ما الاتى عنهم براح
تنبهم نحو الصبا * بقر المثانى والمراح
ما دامو اتخذ افكا * ن لهم بخدمته اسراح
بل يعرفون مكانه * فله اذا شاء افتراح
هم يتعمون وضيفهم * مادام عندهم يراح
سالت يميلون التزيل وبالرضا منه السراح
يدعونه بأجل ما * يدعى به الحر الصراح
حتى اذا ما بان كدر عيشهم منه انتزاح
بعلى مثالهم يبا * ح لى المدامع والنواح
كرها فقدتهم فما * لى بعد بعدهم ارتياح
لله شوقى ان هفت * من نحو أرضهم الرياح
فهناك قلبى طائر * لهم ومن شوقى جناح

قال وقلت بمدينة ابن السليم فى وصف كلب صيد أسود فى عنقه بياض

وأدهم دون حلى ظل حالى * كأن ليلا يقلده صباح
يطير وماله ريش ولكن * متى يهفو فاربعه جناح
تكل الطير مهما نازعته * وتحسده اذا م الرياح
له الالحاظ مهما جاء سلك * ومهما سار فهى له وشاح

وقلت فى نيل مصر

يا نيل مصر أين حمص ونهرها * حيث المناظر أنجم تلتاح
فى كل شط للنواظر مسرح * تدعو اليه مسارح وبطاح
واذا بحث فلست أسمع خائفا * ما فيه تياح ولا تمساح

قال وقلت وقد حضرت مع اخوان لى بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب

رق الاصيل فواصل الاقداحا * واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظر لشمس الافق طائرة وقد * ألقت على صفح الخليج جناحا

الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من اهل الملك وزعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك العلم من حين فقد من الارض اعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب)

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو

فاظفر بصفو الافق قبل غروبها * واستنطق المثنى وأحث الراحا
متع جفونك فى الحديقة قبل أن * يكسو الظلام جمالها أمساحا

وقلت برسية

أقلقه وجده فباحا * وزاد تبريحه فناحا
ورام يثنى الدموع لما * جرت فزادت له جماحا
يامن جفا فارفقن عليه * مستعبد الاسرى السراحا
يكابد الموت كل حين * لو أنه مات لاستراحا
ينزو اذا ما الرياح هبت * كانه يعشق الرياحا
يسال عن ربوع حمص * لما عرفها وفاحا
كم قد بكى للغمام لما * يعيره نحوها جناحا

قال وخرجت مرة مع أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الى مرج الفضة بنهر اشبيلية فتشاركنا فى هذا الشعر

غيرى يميل الى كلام اللاحى * ويمد راحته لغير الراح
لاسيما والغصن يزهر زهره * ويميل عطف الشارب المرتاح
وقد استطار القلب ساجع ايكه * من كل ما أشكوه ليس بصاحى
قد بان عنه جناحه وعياله * من جانح للعجز حلف جناح
بين الرياض وقد غدا فى مأتم * وتخاله قد ظل فى افراح
الغصن يمرح تحته والنهر فى * قصف تزجيه يد الارواح
وكأنما الانسام فوق جنانه * أعلام خز فوق سمر رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطر * لما رأته مدرع الكفاح
فاذا تتابع موجه لدفاعه * مالت عليه فظل حلف صياح

قال وقلت بمالقة منشوقا الى الجزيرة الخضراء

يانسيما من نحو تلك النواحى * كيف بالله نور تلك البطاح
اسقتها الغمام ريا فلاحت * فى رداء ومئزر ووشاح
أم جفته فصيرته هشيما * تركته تذروه هوج الرياح
يازمانى بالحاجبية انى * لست من سكر ما سقيت بصاحى
آه مما لقيت بعدك من هم وشوق وغربة وانتزاح
أين قوم ألفتهم فيك لما * قرب الدهر آذنوا بالرواح
تركونى أسير وجد وشوق * ما لقلبى من الجوى من سراح
أسلمونى للويل حتى تولوا * وأصاخوا ظلما لقول اللواحى
أعرضوا ثم عرضونى لشوق * ترك القلب مثخنا بجراح
أسهر الليل لست أغفى الصبح * أترى النوم ذاهبا بالصباح
قد بدا يظهر النجوم حليا * وهو من لبسة الصبا فى براح

أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت أن ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لاخوف ولاهرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تأخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية و بلاد افريقية واقريطش واقاصى بحر

مسبلا ستره منعم بال * وجفوني من سهده في كفاح
أيها الليل لا تؤمل خلودا * عن قريب يمحو ظلامك ماحي
ويلوح الصباح مشرق نور * فيه للمستهام بدء نجاح
ان يوم الفراق بدد شملي * طائر البين بغتة بجناح
حالك اللون شبه لونك فاعرف * عن عياني يا شبه طير النزاح
واذا ما بدا الصباح فما يشبه الا لون الخدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضراء

قد رفعت راية الصباح * تدعو الندامى للاصطباح
فبادروا للصبوح اني * قد بعت في غيه صلاحي
ولا تميلوا عن رشف ثغر * وسمع شدو وشرب راح
وأنت يا من يروم نصحي * قد يئس القوم من فلاحي
لست أصغي الى نصيح * ما نهضت بالكؤوس راحي

قال وقلت أمدح ملك افريقية وأهنيه بقتل ثائر من زناتة يدعي أنه من نسل يعقوب المنصور

برح بي من ليس عنه براح * ومن رأى قتلي حلالا مباح
من صرح الدمع بحبي له * وما لقلبي عن هواه سراح
طبي عدمت الصبح مذ صدني * وكيف لا يعدم وهو الصباح
مورد الخد شهي اللمى * منعم الردف جديب الوشاح
تظنه من قلبه جلمدا * ومنه للماء بجفني انسياح
لردفه أضعف من صبه * ولم أزل من لحظه في كفاح
نشوان من ريقته عربدت * أجفانه بالمرهفات الصفاح
فها أنني خافت مثل ما * أنا أسير مثخن بالجراح
يا قاتلي صدا أما تستحي * أن تلزم البخل بارض السماح
من ذا الذي يبخل في تونس * والملح فيها صار عذبا قراح
واصبحت ارجاؤها جنة * مبيضة الابراج خضراء البطاح
لولا ندى يحيى وتدبيره * ما برحت تعبر منها النواح
لكن يداه سحب كلما * حلت بارض حل فيها النجاح
هذا وقد آمن من حلها * وحقها من غربة وانتزاح
كم شتتوا من قبل تأميره * وحكمت فيهم عوالي الرماح
يا سائرا يرجو بلوغ المنى * با كر ذرى يحيى وقل لا رواح
وحيه بالمدح فهو الذي * يهتز كالمندى حين امتداح
بالشرق والغرب غدا ذكره * يحث من حمد وشكر جناح
ساعده السعد وانحت له الآمال تجري بغير اقتراح

الروم على مصر بالاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة هي [illegible] وهي سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة دار صناعة الروم وبها تنشأ المراكب الحربية وبها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي وأمر الاسكندر الفعلة والصناع أن يديروا بمقاديرهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوّام على البنائين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد فخفق الاسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل

ويسر

ويسر الله له ملكه * من غير أن يشهر فيه السلاح

وكل من كان على غيره * ذا منعة أمسى به مستباح

وكم جموح عندما قام بالامر رأى القهر فخلى الجماح

كف بكف للندى والردى * بها معان وهي خرس فصاح

حتى لقد أحسن من سعده * تجري على ما يرتضيه الرياح

دولوا اليعقوب فاذا جنى * وابن أبي حمزة ماذا استباح

قد أصبحا من فوق جذعين لا * يؤنسهم غير هبوب الرياح

واسأل عن الداعي الدعي الذي * حاول امرا كان عنه الصراح

أكان من صيره والدا * يزعمه أصلحه فلاح

شكرا لسعد لم يدع فرقة * قد صير الملك كضرب القداح

راموا بلا جاه ولا محتد * ما حزت بالحق فكان افتضاح

زناتة يهنيكم فعلكم * عاجلكم ثائركم باجتياح

كفى ما قدمتم آخرا * والخير لن يبرح للشر ماح

عهدي به في موكب الملك ما * بينكم نشوان من غير راح

يحسب أن الارض ملك له * وروحه ملك لسمر الرماح

غدا بعز الملك لكنه * أهون مملوك على الارض راح

جاؤا به يمرح في عزه * وهم أزالوا عنه ذاك المراح

توقعوا في القرب منه الردى * من صحبة الاجرب يخشى الصحاح

فأسرعوا انحوك يبغون ما * عودتهم من عطفة والتماح

فغادروه جانيا غدره * لطائر البين عليه نياح

فالحمد لله على كل ما * سنى لك السعد برغم اللواح

ملك لا ينقد ما شاده * فلست تأتي الدهر الا صلاح

لا زلت في عز وفي سكنة * وفي سرور دائم وانفساح

قال وقلت ببنيونش موضع الفرجة بسبتة

اشرب على بنيونش * بين السواني والبطاح

مع فتية مثل النجو * م لهم اذا مروا جماح

ساقيهم متبدل * لا يمنع الماء القراح

كل يعد يمينه * ما في الذي يأتي جناح

هبوا عليه كلما * هبت على الروض الرياح

طوع الاماني كل ما * يأتي به فهو اقتراح

عانقته حتى تركت بخصره أثر الوشاح

وقلت باشبيلية

أوجه صبح أم الصباح * ولحظها أم ظبا الصفاح

الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فاخبر بذلك فعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بنيانها وأثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد البارئ في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان وقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فاقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة يصنع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع

وبليلة الاسرا حباك وسمى الصديق من اضحى بقولك يسعد
وحباك بالخلق العظيم ومعجز الكلم الذى يهدى به اذ يورد
وبعثت بالقرآن غير معارض * فيه وامسى من نحاه يعدد
فتوالت الاحقاب وهو مبرأ * من ان يكون له مثال يوجد
والحكم بالبديع جال فصل خطابه * والسرج فى ضوء الغزالة تهمد
وزويت لك الارض التى لازال يو * م الحشر ربك فى ذراها يعبد
ونصرت بالرعب الذى لما نزل * يجرى كأن ماء بين شخصك تفقد
فتى تعرض طاس اوحادث * حرم الهدانة فالحسام مجرد
يامن بحير من دوابة هاشم * نعم الفخار لها ونعم المحتد
لسناك حين بدا بآدم اقبلت * رعيا الاخراه الملائك تسجد
لم استطع حصرا لما اعطيته * فذكرت بعضا واعتذارى منشد
ماذا اقول اذا وصفت محمدا * نفد الكلام ووصفه لا ينفد
فعليك يا خير الخلائق كلها * منى التحية والسلام السرمد

قال وقلت باشبيلية

هل يمنع النهود * ما ابدت الخدود
نعم وكم طعين * بطعنها شهيد
يا ربة الخبا * حفت به السعود
لم تسر الخبا * بل ربقك البرود
لله يا عدولى * ما تكم البرود
مازلت فيه أفنى * والوجد مستزيد
ياهل ترى زمانا * مضى لنا يعود
لدى الغروس سقت * جنابها العهود
حيث الغصون مالت * كأنها قدود
وزهرها نظيم * كأنه عقود
حمامها تغنى * اعطافها تميد
وبالنسيم شقت * لنهرها برود
فروعه سيوف * وسوره بنود
هنالك كم دعتنى * الى الورود رود
فنلت كل سؤل * يفنى به الحسود
قضيت فيه عيشا * ما بعده مزيد
اضحى به وامسى * مرنحا اميد
كأنى يزيد * كأننى الوليد
يجرى الزمان طوعى * بكل ما أريد

الزمان من الآفات والعمران والخراب ومن يؤل اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومنافس للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضىء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على مازعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم

الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل الخمر

الخمر ملكتى * والخلق لى عبيد
يحق لى اذا ما * أبصرتها تجود
فها انا اذا ما * فقدتها فقيد
يامن يلوم بغيا * العذل لا يفيد
اذا عدمت كاسى * فليس لى وجود

قال وقلت باشبيلية

أوما نظرت الى الحمامة تنشد * والغصن من طرب بها يتأود
ونثاره تلقاه جائزة لها * لما نزل بيد النسيم يبدد
ألقى عليها الطل برداسابغا * فتناوه طول الزمان يردد
أترى الحمامة من محب مخلص * أولى بشكر حين تغمره يد
فلا تنين عليك ما أثنى باعلى الغصن جنان الهذيل مغرد
كم نعمة لى فى جنابك كم أكا * بدجهدها أيان برك يجهد

وقال

أرى العين منى تحسد الاذن كلما * جرت مدحة للعلم والفضل والمجد
أحقق أنباء ولم ار صورة * كتعنيفى الاخبار عن جنة الخلد
فمن على عينى بلقياك انى * أخذت لها أمنا بذاك من السهد

قال وقلت أمدح ابن عمى وأشكره على ما أذكره

آه مما تكن فيك الجوانح * ودموعى على نواك سوافح
واشتفاء من العدو مبين * كدر العيش اى عيش لنازح
يا أتم الانام حسنا أما تحسن حتى يتم اطراء مادح
يا زمان الوصال عودا فانى * طوحت بى لما غدرت الطوائح
أين عيش العروس اذ يطلع البكر حبيبى ما بين تلك الاباطح
والامانى تترى ولا أحد ينصح اذ لا يصغى الى قول ناصح
وزمان السرور سمح مطيع * ورسول الحبيب غاد ورائح
ولكم ليلة أتانى بلا طيب ولكن نزى بأذكى الروائح
هو طيب وليس يحتاج طيبا * قد كفاه عرف من المسك فائح
مثل عليا محمد لم تكن كسبا وما لا يكون فى الطبع فاضح
يا كريما أتى من الجود مالا * كان يدرى وحدثه المدائح
وعلا كل ذى علاء وأضحى * نحو ما لا يرومه الناس طامح
قد أتانى احسانك الغمر فى اثر سواه فكنت أكمل مادح
فاض بحر النوال منك ولاسا * حل يبدو ولم أزل فيه سابح
حال مثل ما كسوتك فى المد * ح تميت العدا ومال وسائح
أورد الورد منطقى كل شىء * حين أضحى طوع البنان مسامح

واحد من هذه الاعمدة على هيئة السرو وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم وعند أصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى فى مدة بعد كونهما من السنين نحو ستمائة سنة تأتى فى هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى ولهم فى ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له ولغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك لطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس وما ذكرنا من درج الفلك موجود فى كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين كأبى معشر البلخى والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى وما شاء الله وحبش والزيدى ومحمد ابن جابر البتانى فى زيجه الكبير وثابت بن قرة وغير هؤلاء ممن تكلم فى علوم هيآت الفلك والنجوم (قال المسعودى) فامامنارة الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن

لوز خد الحبيب حين كسوه * حلة الحسن بالعيون اللوامح
شفق سال بين عينيه صبح * حسنه قيد اللحاظ السوارح
لم أجد فيه من جماح ولكن * ثنائي عليك مازال جامح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل * صير الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما يهدى * الى الروض باسمات النوافح
فاعذر الناس ان أتوا لك أفوا * جا فكل بقصد فضلك رابح
ما هدتهم اليك الا الامانى * لم تحلهم الا عليك القرائح
قل لذى المفخر الحديث تأخر * ليس مهر فى شأوه مثل قارح
أى أصل وأى فرع أقاما * شرفا ظل للنجوم يناطح
قد حوت مذحج من الفخر لما * كنت منها ما ليس يحويه شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر * فى ظلام الخطوب مازال لائح
بدر تم حفت به هالة من * بيت مجد علاؤها الدهر واضح
يا سماكا أعزكه القلم الاعلى * بدا بين أنجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا * بعد ما كابدت توالى الفضائح
يا أعز الانام نفسا وأعلا * همم لا زال أمرك راجح
أين أعداؤك الذين رعى سيفك * فيهم فاشبهوا قوم صالح
أفسد الدهر حالهم ليرى حا * لك رغما لمن يناويك طائح
دمت فى عزة وسعد مدى الدهـ * ـر ولا زال طائر منك سانح

وابن عمه المذكور قال فى حقه فى المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد فقد جاء آخرهم مجدد مفاخرهم ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مشروبا بأسود اللون غليظا وخروباً وزبيباً أسود وزبيبا كثير الغضون جاءت به عجوز فى طبق

ويوم نزلنا بعبد العزيز * فلا قدس الله عبد العزيز
سقانا شرابا كلون الهناء * ونقلنا بقرون العنوز
وجاءت عجوز فأهدت لنا * زبيبا كغيلان خد العجوز

انتهى

ونزل السلطان أبو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى شطه نور فقال الرئيس أبو عبد الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك

ونهر يرف الزهر فى جنباته * ويثنى النسيم قضبه ويقنطر
يسيل كما عن الصباح بأفقه * والاكمام شيم الحسام المجوهر

فيلبش المقدونى هو الذى بناها على حسب ما قدمنا فى بناء المدينة ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على

عليه

عليه ليحيى قبة هل سمعتم * بتربصة شمس حل فيها غضنفر
فان قلت هذى قبة لعفاتها * فقل ذلك الوادى الذى سال كوثر

وقال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سعيد المير اللخمى الشانى فى ذلك

وأرض من الحصباء بيضاء قد جرت * جداول ماء دونها تتفجر
كما سبحت تبغى الحياة أراقم * على روضة فيها الاقاح المنوّر
والا كما شقت سبائك فضة * بساطا على حافاته الدر ينثر

وقال أبو على يونس

انظر الى منظر يسبيك منظره * ويزدهيك باذن الله مخبره
ومعجب معجب لاشئ يشبهه * خريرماء غدير تم منهره
كأنما فرشت بالدر صفحته * فالماء ينظمه طورا وينثره
كأن حلجانه قدت على قدر * بمائها قسم يجرى مفجره
أحل سيدنا المامون قبته * بحوزه فغدا بردان جعفره

*(رجع) الى ما كنا فيه من أخبار الرئيس بن الحسين فنقول رأيت بالمغرب آخر كتاب روح السحر من نسخة ملوكية كتبت له أبياتا علق بحفظى منها الآن مانصه

تم روح السحر نسجا فأتى * معجبا باليمن والفخر البعيد
لابى عبد الاله المرتضى * فى ذرا المجد الرئيس بن سعيد

ولم أحفظ تمام الأبيات وقال أبو الحسين على بن سعيد كتبت اليه من أبيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما أوجب تغيره

ومن بعد هذا قد أتيت بزلة * أما حسن أن لا تضيق به صدرا
وعلمك حسبى بالامور فانى * عهدتك تدرى سر أمرى والجهرا
وقد أصلح الله الامور بسعيكم * ونيتكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يبق لى الا رضاك فان به * كنت ولوحرفا أطبت به العمرا
فبقيت كهفا للعميع وموئلا * ولازلت مادام الزمان لنا سترا

فكتب الى هذه الابيات وكان متمرضا وبعث الى بما يذكر

أكف الصبا حفت جنى زهر الربا * سؤالك عن مضنى يسامى بك الزهرا
بعثت بمثل الزهر فى مثل صفحة * لذلك ما قلدتها الشذر والدرا
معان لها أعنو وأعنى بها فكم * وقفت عليها العين والسمع والفكرا
فلو عرضت للبحر لم يلفظ الدرا * ولو عارضت هاروت لم ينفث السحرا
أبا حسن هنيت ما قد منحته * ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
ودونك بحرا من ودادى تلاطمت * به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
فان خطرت فى جانب منك هفوة * فلا تحسبن أنى أضيق بها صدرا
يزل جواد عندما يبلغ المدى * ويعثر بالرمث النسيم اذا اسرى
فدع ذا وخذها شائبات قرونها * عروبا بالعروبا جائرا حكمها بكرا

نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم فى مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور وورد بآلة حسنة ومعه جماعة فاتى الى الوليد فاخبره أنه من خواص الملك وأنه اراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه استوحش منه ورغب فى الاسلام فاسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه فى دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام

ولوعاذرت أوصافها متردما * لشنفت من أشعارها اذن الشعرا
ألا فاحبها عن صديقي معمم * فان قصارى العمر أن يبكي العمرا
ومن كان ذا خبر وسل ورقة * فلا يخلون الا على الحمرة الحمرا
قرنت بها صفراء لم يعرف الهوى * ولا الفت وصلا ولا عرفت هجرا
ولا ضمخت نضخ العبير وان غدت * تؤخره لونا وتفضحه نشرا
فان حلتها بنت الظلم أطلها * فقد فرش الا ذخو من تحتها تبرا
لها نسب بين الثريا أو الثرى * وسل بر باها المزن والغصن النضرا
فشربا دهاقا وانتشاقا ولا ترم * عن البيت فنرا أو تقيم به شهرا

وله في الخشكلان

هوا لا هلة لكن * تدعونه خشكلانا
فان تفاءلت صحف * تجد حبيبك لانا

انتهى باختصار

وحظى المذكور جدا عند السلطان ملك افريقية أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبي عبد الله المستنصر ممدوح حازم بالمقصورة وقاتل ابن الابار القضاعي سخط على الرئيس بن الحسين المذكور وقبض على دياره وأمواله وصيره كالمحبوس فكتب اليه ورفعه يطلب الاجتماع به في مصلحة للدولة فأحضره وسأله فأخبره بان أباه صنع دارا عظيمة تحت الارض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذي أودعه نفائس أموال غيري وأوصاني أنه اذا انتقل الى جوار ربه اذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه انه اذا انقضت سنة واستقر الامر لاحد من ولدي أومن يتيقن انه يصلح لامور المسلمين فأطلعه على هذه الذخائر بما فنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يصلح به الدولة اذا تفرغ للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبادر الى تلك الدار فرأى ما ملأ عينيه وسر قلبه وخرج الرئيس بن الحسين والخيل تجنب أمامه وبدر الاموال بين يديه وأعاده الى أحسن أحواله وجعله وزير الديه كما كان أبوه مفوضا أموره اليه وقال السلطان ان من أوجب شكر الله على ان افتتح المال بان أؤدي منه للرعية الذين نهبت دورهم واحترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين أقاربي ما خسروه وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شئ قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور في بعض متصيداته وكتب لابي عبد الله الرئيس المذكور يامره باحضار الاجناد لاخذ أرزاقهم بقوله

ليحضر كل ليث ذي سنال * زكا فرعا لاسداء النوال
غدا يوم الخميس فاشغلنا * باسد الوحش عن أسد الرجال

وحكي ان السلطان المذكور عرض مرة أجناده وقبل بل سلم عليه الموحدون يوم عيد بتونس وفيهم شاب وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان عن اسمه وأعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان هذا المصراع * كأنه فكملت صفحة خده * وسال

و الجواهر وفي فوق ذلك هذه المناره وكان ضوءها في الهواء ألف ذراع والمرآة تعلى علوها او اسد ادية جلوس حولها فاذا انذروا الى العدو في البحر في ضوء الشمس ار آه وقربوا عن قرب منهم وصاحوا ونشروا أعلاما فيرا هامن بعد منهم فيحذر الناس و ينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزالت المرآة فصيح الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة في أمرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ماذكرنا في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرك واشباه ذلك ويقال ان ذلك من الآلات التي كان اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها من

من الحاضرين الاجازة فلم ياتوا بشئ فقال السلطان مجيزا شطره
* فتفتحت فيها شقائق جده * وهذا من البديع مع ما فيه من التورية والتجنيس ومما نسبه له
أبو حيان بسنده اليه

مالى عليك سوى الدموع معين * ان كنت تغدر فى الهوى وتخون
من منجدى غير الدموع وانها * لمغيثه مهما استغاث حزين
الله يعلم أن ما حملتنى * صعب ولكن فى رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل حتى انه كتب له السلطان صاحب مكة البيعة
من انشاء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون فى تاريخه الكبير ونصها وهى
من الغرائب ومن سعده أن الفرنسيس الذى كان أسر بمصر وجعل فى دار ابن لقمان
والطواشى صبيح يحرسه لما خرج جاء من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بعالم مجتمع قط مثله
حتى قيل انهم كانوا ألف ألف فكتب اليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة
التى منها

قل للفرنسيس اذا جئته * مقالة من ذى لسان فصيح

الى أن قال

دار ابن لقمان على حالها * ومصر مصر والطواشى صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها فصرف الفرنسيس جيوشه الى تونس فكتب اليه
بعض أدباء دولة المستنصر

افرنسيس تونس أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فقضى الله سبحانه وتعالى انه مات فى حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلها قط
ويقال انه دس اليه سيفا مسموما من سله أثر فيه سمه وقلده رسولا اليه بعد أن جعل عليه من
الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس رجل كثير الطمع
ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره وانه سيرى السيف ويكثر النظر اليه فاذا رأيته
فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبله وقل له هذا هدية منى اليك لان من آدابنا مع ملوكنا
أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر اليه بالقصد فلابد أن يكون له ويحرم علينا أن
نمسكه لان ما أحبه المولى على العبيد حرام وتكرار النظر اليه دليل على حبه له ففرح
النصرانى بذلك وأسرع الرسول العود الى سلطانه فسل النصرانى السيف فتمكن فيه السم
بالنظر فمات فى الحين وفرج الله تعالى عن المسلمين * (رجع) الى أخبار أبى الحسن على بن
سعيد قال ابن العديم فى تاريخ حلب أنشدنى شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف
التيفاشى بالقاهرة فى أبى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير الى كتاب أبى
الحسن الذى جمعه فى محاسن المغرب وسماه المغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا * وابتهاجا بمغرب ابن سعيد
طلعت شمسه من الغرب تجلى * فأقامت قيامة التقييد

أمه ورمت بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجوهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر فى معدنه برا كان أو بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا والاكثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاشاد جشم وقد رأيت كثيرا من أصحاب التلويحات يعنون عنى باعمال الجواهر المشبهة بالمعدنية يعمل هذه الجواهر المعروفة بالاشاد جشم ويتخذ منه الفصوص وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلمون هى ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون فى المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجوهر فى صفائه واختلاف نظر البصر فى ادراكه وتلون هذا النوع من الجوهر اعنى الباقلمون نحو تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون ألوانا مختلفة اذنابها واجنحتها أعنى الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بأرض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تأملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما تراءى من تموج الالوان فى ريشها ويتأتى ذلك منها لعظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة

لم يدع للمؤرخين مقالا * لاولا للرواة بيت نشيد
ان تلاه على الحمام تغنت * ماعلى ذا فى حسنه من مزيد

وأنشد أبو العباس التيفاشي لنفسه فيه

ياطيب الاصل والفرع الزكى كما * يبدو جنى ثمر من أطيب الشجر
ومن خلائقه مثل النسيم اذا * يهفو على الزهر حول النهر فى السحر
ومن محياه والله الشهيد اذا * يبدو الى بصرى أبهى من القمر
أثقلت ظهرى ببر لا أقوم به * لو كنت أتلوه قرآنا نامع السور
أهديت للغرب مجموعا بعالمه * فى قاب قوسين بين السمع والبصر
كانى الآن قد شاهدت أجمعه * بكل من فيه من بدو ومن حضر
نعم ولاقيت أهل الفضل كلهم * فى مدتى هذه والاعصر الاخر
ان كنت لم أرهم فى الصدر من عمرى * فقد رددت على الصدر من عمرى
وكنت لى واحدا فيهم جميعهم * ما يعجز الله جمع الخلق فى بشر
جزيت أفضل ما يجزى به بشر * مفيد عمر جديد الفضل مبتكر انتهى

ومن نظم أبى الحسن بن سعيد قوله

وعشية بلعت بنا أيدى النوى * منها محاسن جامعات للنخب
فحدائق ما بينهن جداول * وبلابل فوق الغصون لها طرب
والنخل أمثال العرائس لبسها * خوص حليتها قلائد من ذهب

ومن نظمه رحمه الله تعالى فى حلب قوله

حادى العيس كم تنيخ المطايا * سق فروحى من بعدهم فى سياق
حلب انها مقر غرامى * ومرامى وقبلة الاشواق
لا خلا جوسق وبطياس والسعدى * منها من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه يسقى المنى بكاس دهاق
وتغنى طيوره لارتياح * وتثنى غصونه للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق

وقوله أيضا فى حماة

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل * وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلوموننى أن أعصى الصون والنهى * بها وأطيع الكاس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك النواعير شدوها * وأغلبها رقصا وأشبهها عرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمرآها وتسألها العطفا

وقوله فى وداع ابن عمه وكتب بهما اليه

وداع كما ودعت فصل ربيع * يفض ضلوعى أو يفيض دموعى

ريشها الان للطواويس بارض الهند نائحيا والذى يحمل منها الى أرض الاسلام ويخرج عن أرض الهند فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تحفظ أنوار الابصار بادرا كما وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا فى المذكور منها دون النبات وذلك نحو النارنج والاترج المدور حمل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وانطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم الان من يدخلها يتيه فيها الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا

لئن تميل فى بعض يفارق بعضه * فانى قد فارقت منك جميعى

قال فارسل الى احبابنا واشتذ ولسان الحال ينشدهم

أحبك فى البتول وفى أبيها * ولكنى أحبك من بعيد

وقوله وقد أفلت المركب الذى كان فيه من العدو

انظر الى مركبنا منقذا * من العدا من بعد احواز

أفلت منهم مغدا طائرا * كطائر أفلت من بازى

وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود افريقية

ومثى حاورنا حدود مواطن * سحبنا بها الايام طال قصاصها

وما ان نركناها لجهل بقدرها * ولكن ثنت عنا أعنة سعدها

صبرنا نحت السمر عنها الغيرها * الى أن يمن الله يوما بلقياها

وكان وصوله الاسكندرية فى السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وستمائة *وقال رحمه الله تعالى أخذت مع والدى يوما فى اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون لاحد فى اختياره فقال متى أردت أن يسلم لك أحد فى هذا التأليف أعنى المغرب ولا يعترض أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وأنا أضرب لك مثلا يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوما يا أبى ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت فى مجانبتها سلمت من نقدهم فقال يا بنى انك غر لم تجرب الامور وان رضا الناس غاية لا تدرك وأنا أوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا أتبعك ماشيا فبينما هو كذلك اذ قال رجل انظر ما أقل هذا الغلام بادب يركب ويمشى ابوه وانظر ما اشد تخلف والده لكونه يتركه لهذه قال له انزل أركب انا وامش انت خلفى فقال شخص آخر انظر هذا الشخص ما اقل شفقته ركب وترك ابنه يمشى فقال له اركب معى فقال شخص أشقاهما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان فى واحد منهما كفاية فقال له انزل بنا وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفف الله تعالى عنهما انظر كيف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بنى سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اى حالة كان اعتراضهم انتهى وقال فى اثناء خطبة المغرب ما نصه والحمد لله الذى جعل الادب افضل ما اكتسب وافضل ما انتخب اذ هو ذخر لا يخاف كساده وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر نفاده ولله در القائل

رأيت جميع الكسب ينفده الفتى * ويبقى له اخلاقه والتادب

اذا حل فى ارض اقام لنفسه * بآدابه قدرا به يتكسب

واوما كل نحوه ولعله * الى غير اهل للنباهة ينسب

وقال فى اثناء الكلام لبعض المغاربة

فأثبت فى كل المواطن همة * الى طلب العلم الذى كان مطرح

وصيرت من قد كان بالنظم جاهلا * يحاوله ثم يجود لك المدح

وقال ايضا فى الخطبة وبعد فهذا كتاب راحة قد تعبت فى جمعه الاسماع والابصار

الى المنارة تاهوا فيها وفيها طرق تؤدى الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتهور واباد واوابهم ومعهم منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان فى كرسى بها وفدا بها ودبها ... فى هذا الوقت برابط ... فى الصيف متنوعة المصريين وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية و بلاد الاندلس ورومية وما فى الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة فى عجائب البلدان والابنية والآثار وخواص البقاع ومايؤثر فى ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على الاخبار وتهافيما سلف من كتبنا من عجائب العالم من دوابه وبره وبحره فاغنى ذلك عن اعادة ذكره ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهيا كل المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما ليس عملها بل نذكرها فى الموضع المستحق بهامن هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

*ذكر السودان وانسابهم واختلاف أجناسهم

وأنواعهم وتباينهم فى ديارهم وأخبار ملوكهم)*(قال المسعودى) لما تفرق ولد نوح فى الارض سار

والاسكندر وكل ذلك سهل اذا أنجح القصد وابتدئ فيه من سنة ثلاثين وخمسمائة ومد بها الى غرة سنة احدى واربعين وستمائة قال واول من كان السبب في ابتداء هذا الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو اذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى أن استبد بها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وقصده في سنة ثلاثين وخمسمائة حافظ الاندلس أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن الحجاري وصنف له كتاب المسهب في غرائب المغرب في نحو ستة أسفار وابتدأ فيه من فتح الاندلس الى التاريخ الذي ابتدأه فيه وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ثم ثار في خاطر عبد الملك أن يضيف اليه ما أغفله الحجاري وما لعله لم يقف عليه ابناه أبو جعفر ومحمد واحتفالا له ما تماه ولم يزل يزيد الى أن ... ابنه محمد فاعتنى به أيضا ثم استبد به والدي وكان ... هذا الشأن وبالغ من اجتهاده في هذا الكتاب الى أن ذكر يوما وقد نوه به ابن هود وهو ملك الاندلس وولاه الجزيرة الخضراء اذ أعلمه شخص ان عند أحد المتسوّبين الى ... بمالقة كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تجري عليهم دولة بني عبد المؤمن فأرسل اليه راغبا الى استعارتها فأبى وقال علي يمين أن لا تخرج عن منزلي وقال ان كانت له حاجة أتى الى رأسه وكان جاهلا فلما سمع والدي ضحك وقال لي سر معي اليه فقلت له ومن يكون هذا حتى تمشي له على هذه الصورة فقال اني لا أمشي له ولكن أمشي للفضلاء الذين جمعت الكراريس أشعارهم وأخبارهم أتراهم لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أكنت أن أمشي اليهم قلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله ما انصفنا في اللقاء فلما قضينا منها الغرض صرفها اليه والدي وشكره وقال هذه فائدة لم أجدها عند غيرك فجزاك الله تعالى خيرا ثم انفصل وقال لي المعلم يا بني اني سررت بهذه الفائدة اكثر من الولاية وان هذا والله اول السعادة وعنوان نجاحها والقلعة التي كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة استطبروه وعين لها وقال الملاحي في تاريخه انها تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كان مصنف الحجاري كتاب المسهب اذ انتحاه عبد الملك بن سعيد وفي بني سعيد يقول الحجاري

قوم لهم في فخرهم * شرف الحديث مع القديم
ورثوا الندى والباس والعلياء كريما عن كريم
من كل وضاح به * يجلى دجى الليل البهيم

وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعيد بن عمار وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الاندلس آخر دولة بني امية بالمشرق كتب اليه ان يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للاندلس وكان اذ ذاك اميرا على اليمانية من جند دمشق وانه ارتكن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني امية من الثار بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما وقال الحجاري انشدني بكر بن محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين لنفسه فيما يليق بمجلسه

وهم النوبة والحبشة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومرنك وكوكو وانحى وغانة وغير ذلك من أنواع الاحباش والدمادم ثم افترق الذين قصدوا بين المشرق والمغرب فصاروا أنواعا منهم البجاة والمكسون وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج وقد قدمنا فيما سلف عند ذكرنا البحر الحبشي والخليج البربري وغيرهم من أنواع السودان واتصالهم في ديارهم الى بلاد الدمادم والزنج ... وهؤلاء القوم هم أصحاب جلود النمور والحبير وهي لباسهم ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهي اكبر ما يكون من جلود النمور وأحسنها للسروج وبحر الزنج والاحباش هو من يمين بحر الهند وان كانت مياههما متصلة ومن أرضهم تحمل الابل من طهور السلاحف وهو الذي يتخذ منه الامشاط كالقرون واكثر ما يكون الدابة المعروفة بالزرافة في أرضهم وان كانت عامة لوجودها في أرض النوبة دون سائر بلاد الاحباش وقد يوجد في ... هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فمنهم من رأى أن ...

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
وكل ما أبتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذاك من عقله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

ومن نظمه قوله أيضا

الله يعلم أني * أحب كسب المعالي
وانما أتواني * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واستعطاف الرجال
دع كل من شاء يمرح * فما بكل احتيال
حالهم بانعكاس * فيها وحالي حالي

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبي العباس أحمد الغساني كاتب ملك افريقية قال بماذا أصفه ولو أن النجوم تصير لي نثرا لما كنت أنصفه وكفاك أني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رأيت أحسن ولا أفضل عشرة منه ولما فارقته لم أشعر الا برسالته قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة منها

ايه أبا الحسن استمع شدوي فقد * يصغي الحمام اذا الحمام ترنما

ثم سرد بعضا من القصيدة وسيأتي قريبا ان شاء الله تعالى بزيادة على ما ذكره في المغرب

(رجع) وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه أجزت الشيخ القاضي الاجل أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في محاسن المغرب وأن يرويه من شاء ثقة بفهمه واستنامة الى علمه وكذلك أجزت لفتاه النبيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن حطلج الفارسي الارموي أن يرويه عني ويرويه من شاء وكتبه مصنفه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في وسيم من أبناء العجم صحبه في الطريق من حلب الى بغداد فمات وكان ظريفا أديبا

لهفي على غصن ذوى * أفقدته لما استوى
ريان من ماء الصبا * ومن المدامع ما ارتوى
لا تعذلوني ان عصيت الدهر فيه عن الهوى
لم ضل صاحبه بغير الحظ منه ولم غوى
أنا لا أفيق الدهر فيه من الصبابة والجوى
ان الهوى حيا وميتا لا يزال به سدى
كم قد نويت به النعيم فقدر الله النوى
دار السلام حويت من * كل المحاسن قد حوى
مجموع حسن قد ثوى * في جنة وبها ثوى

وولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان عام

نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الابل والزرافة وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وأن ليس سبيلها كسبيل البغال المولدة من الخيل والحمير ويسمى الزرافة بالفارسية اشتراكاو وقد كانت تهدى الى الملوك من أرض النوبة كما تهدى الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة اليدين والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها وانما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها وأن في أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفة في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهي دابة مستعلية الى خلفها مصبوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في نتاجها وان النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وأن الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم وان ذلك لاتساع أرحام القلاص العربية لحوائج الزمان

عشرة وستمائة وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما ملخصه لولا أنه والدي لأطنبت في ذكره ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاه وصفا ما أثبت له في هذه الترجمة وما مر له وغير في أثناء هذا الكتاب وكون كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا وهو بحر واشتهاره في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من النظم والنثر ما تعجز الاقلام عن كثرته ويستمد القطر من درته ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما تخلى عن مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده حتى ان أيام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدي أفي هذا اليوم لا تستريح فنظر الى كالمغضب وقال أظنك لا تفلح أبدا أترى الراحة في غير هذا والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي قال فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشان ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف الى ما تراه وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

يا مفنيا عمره في الكاس والوتر * وراعيا في الدجى للانجم الزهر
يبكي حبيبا جفاه أو ينادم من * يهفو لديه كغصن باسم الزهر
منعما بين لذات يحققها * ولا يخلد من خبر ولا سير
وعاذلا لي فيما ظلت أكتبه * يبدي التعجب من صبري ومن فكري
يقول ما لك قد أفنيت عمرك في * حبر وطرس عن الاغصان والحبر
وظلت تسهر طول الليل في تعب * ولا تني أمد الايام في ضجر
أقصر فاني أدري بالذي طمحت * لافقه همتي واسأل عن الاثر
واسمع لقول الذي تتلى محاسنه * من بعد ما صار مثل الترب كالسور
جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير انتهى

وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة وولد أبوه محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال اشبيلية عام أربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه تاريخ الموحدين ونبه على مكانته منهم في الحظوة والاخذ في أمور الناس وأثنى عليه وذكره السهيلي في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش مكرما مفتخرا به والقصة مشهورة ومدحه الرصافي بقصيدة أولها

وغيرها من ابل خراسان فيصير بينهما ويتولد بينهما الجمال البخت والجماوات ولا ينتج بين بختي وبختية واعا... هذا النوع من الابل بين نوائح الابل وهي ذات السنامين وبين قلاص الابل وهي النوق العربية وكتاج البخت بين الجماوات والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من أعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل في الفها وترددها الى أهلها وهي كالفيلة منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قدمنا ذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين عبروا عن يمين النيل ولحقوا بأسافل البحر الحبشي وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزنج كما أن أقاصي بحر الصين متصل ببلاد السيلي وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد ذهنا

دهنا يفيض وخاطرا متوقدا * ماذا عسى نثنى على علم الندى

ولما أنشده قصيدته فيه التى أولها

لجلالك الترفيع والتعظيم * ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لا سمعها وقال على اجازتك ولكن طباعى لا تحمل مثل هذا فقال له الرصافى ومن ذلك يستحق هذا فى الوقت غيرك فقال له دعنى من خداعك أنا وما أعلمه من قلبى وأنشدله فى الطالع السعيد

فلا تظهرن ما كان فى الصدر كامنا * ولا تركبن بالغيظ فى مركب وعر

ولا تبحثن فى عذر من جاء تائبا * وليس كريما من يباحث فى العذر

وولى للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش وسلا واشبيلية وغرناطه واتصلت ولايته على أعمال غرناطه وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد ان فى داره من الحلى وأصنافه ما لا يمكن الا فى دار الملك وأنه اذا ركب فى صلاة الصبح شوش عليه نبح الكلاب فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال امر بتية أبى الحسين سنة ٥٩٣ ثم رضى عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيأ وغرم له مافات منه وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدره وحسبه من الفخر مدح أديب الاندلس وشاعرها أبى عبد الله الرصافى له وهو ممن يمدح الخلفاء فى ذلك العصر رحمه الله تعالى وولد أبو محمد عبد الملك بن سعيد عام ستة وتسعين وأربعمائة وتوفى بحضرة مراكش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الحجارى لما مات يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبر دولته عبد الملك بن سعيد بادر الفرار لغرناطة عند ما سمع بموته الى قلعته وثار بها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن العنبر فوجده قد فاته وقد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب فى تاليف كتاب المغرب فى أخبار المغرب ثم تممه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تمم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ثم أربى على الكل فى اتمامه أبو الحسن على بن موسى الذى قصدناه بالترجمة فى هذا الكتاب وقد ذكرنا من أحواله جملة كافية * ومن فوائد ابن سعيد أبى الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمائم وهو فاما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وهو الذى عليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسب المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سريرا للسلطنة وتضاعفت عمارتها فاقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بانواع الفوائد وبها منزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر وترابها يتن الارجل وهو قبيح اللون تستكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا انها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة

الواق واق وهى أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب حديثة حارة

وبحدث الرخ دار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمن وهى سمة لسائر ملوكهم فى سائر الاعصار على ما قدمنا آنفا ويركب لوقليمن وهو ملك ملوك سائر الزنوج فى ثلثمائة ألف فرس ودوابهم البقر وليس فى أرضهم خيل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم ومن الاحابش ومنهم أجناس محددة الاسنان يأكل بعضهم بعضا ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطعهم فى الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال والفيلة فى بلاد الزنج فى نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيأ فى حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم فى الماء ويختفى رجال الزنج فترد الفيلة لشربها واذا وردت وشربت من ذلك الماء أسكرها فتقع

ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا فيخرجون اليها باعظم ما يكون من الحراب مبتة لينها الاحد

وسميت القاهرة فضعفت مدينة الفسطاط وفرط في الاعتناء بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشدني فيها الشريف العقيلي

أحن الى الفسطاط شوقا وانني * لادعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال من كتاب الحجار والفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرد وقال من كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة عظيمة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة ومقدارها نحو ثلث بغداد على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها أقل من ذلك وهي سبخة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخمسا وستا وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بني أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه ابن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده وتعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي اليها أحد أصحاب القرية فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب فأخبرني أنه غير معيب على أعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا أشار المكاري الى الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكاري وقعت في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفي مكار يفوق الريا * ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوي * الى ان سجدت سجود العثار
وقد مد فوقي رواق الثرى * وألحد فيها ضياء النهار

فدفعت الى المكاري أجرته وقلت له احسانك أن تتركني أمشي على رجلي ومشيت الى أن بلغتها وقدرت في الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفضي الى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود والازبال ما ينقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب

تلك

[الهامش:]

... وأعجبهم نحو رأسين من الفيلة في كل سنة منها خمسون ومائة من بل أكثر من ذلك والاثنان منها ثلثمائة من وأكثر من ذلك فيجهز الاكثر منها من بلاد ... الى أرض الصين والهند وللفيلة انياب ... من بلاد ... الى عمان ... الى ... كرما ولولا ذلك لكثر العاج بأرض الاسلام ... وأهل الصين ... ملوكها ... الاعمدة ... العاج ولا ... ولا أحد ... عليها ... ملوكها بشيء من الحديد بل بتلك الاعمدة المتخذة من العاج ... من ثياب ... تتفوس ... الاعمدة ... على ... كرما ويستعمل العاج في ... أصنامها ... كاستعمال النصارى في الكنائس ... من الاشجرة وأهل الصين لا يتخذون الفيلة في أرضهم ويستطيرون من اقتنائها ... والحرب ... كان لهم ... في بعض حروبهم ... كثيرة الا ... من العاج في ... الخناجر ... الحرازي ... وفي قوائم ... وهي البراطل واحدها برطل وهي سيوف معوجة والاسلب في استعمال الهند العاج اتخاذها منه

تلك الحال الى أن صرت فى أسواقها الضيقة وقد سئمت من ازدحام الناس فيها وحوائج السوق
والروايا التى على الجمال ما لا بقى به الامشاهدته ومعاناته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع
فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت بضدّه فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم
دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع
بعض حيطانه وتنبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا وطئة أقدامهم
يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف
المكسرات والكعك وما سوى ذلك والناس يأكلون فى عدة أمكنة منه غير محتشمين لجرى
العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل
لهم منه رزقا وفضلات مأكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه العنكبوت قد عظم نسجه
فى السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة
بخطوط رديئة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق
وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى
صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أن ذلك
سر مودع من وقوف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته من
حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن وسألت عن مواد أرزاقهم
فأخبرت انها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاءها صعب الا بالجاه
والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع
الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب
وأصناف الارزاق التى تصل من جميع أقطار النيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته
على ذلك الساحل فانى أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان
الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها
المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون
ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف
ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان
هذين الجسرين قد احترما لحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين
الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بصيارة مرتفعة
على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل * بحيث امتداد النيل تدار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى * ويطرب أحيانا ويلعب بالنرد
حلا ماؤه كالريق ممن أحبه * فمدت عليه حلة من حلى الخد
وقد كان مثل التبر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

وقلت هذا لانى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وانه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على

الشطرنج والنرد والشطرنج دون رواشكال على صورات وان من الناطقين
ونحبهم على قدر همتهم
الشطرنج كالشرى عرض
ذلك كله كم الى الاكمه
فاذا العوا بهن فتساء يعوم
الواحد داخلا سيما فى
بيوتها والاعتاب عليهم فى
لعبهم القمار بالشطرنج
والنرد على النساء
والجواهر وربما انتهى الى
أحدهم ما ممه يلعب فى
دفع أعضائه من ... وهو
أن يجعلوا محصرهم مدرا
من النحاس صغيرا على
نار تحمى ويهادهن لهم أحد
يغلى ذلك الدهن المدمل
للجرح والمانع لسيلان
الدم وقد العب فى أصبع من
أصابعه وهو يقطعها بتلك
الحجرة ومثل المرهم
يمس بيده فى ذلك الدهن
فيكوى بها ثم عاد الى لعبه
فاذا توجه عليه اللعب
أبان اصبعا ثانية وربما
توجه عليه اللعب فى قطع
أعضائه كلها من الاصابع
والكف ثم الى الذراع
والزند وسائر الاطراف
وكل ذلك يستعمل فيه
الكى بذلك الدهن وهو
دهن عجيب يعمل من
اخلاط وعقاقير بأرض
الهند عجيب المعنى الذى ذكرنا
وما ذكرنا عنهم مشهور
من فعلهم والمشاهدة
العيلة فى بلادها وتناكح فى

أرضها ليس فيها وحشية وانما هى حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل وأكثرها باوى الى المروج التياح

أقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر وأنشدني علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وز ير الجزيرة في مدح الفسطاط

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها دار الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا تألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين والحال ان أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة ورعاية قدر الصحبة وكثرة الممازحة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبه مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها يجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زي الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر انتهى قال المقريزي يعني ابن سعيد ما بني على شقة مصر من جهة النيل انتهى وقال ابن سعيد المذكور في المغرب من حلى المغرب ما ملخصه الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم تر عيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التي هام في حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياطي

أرى سرج الجزيرة من بعيد * كأحداق تغازل في المغازل
كأن مجرة الجوزاء حطت * وأثبتت المنازل في المنازل

قال وكنت أبيت بعض الليالي بالفسطاط فيزدهيني سحك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين في البناء وأبصرت بهذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم تر عيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من صحائف الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها حاظر حصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر قال وقد تفرجت كثيرا في طرق هذه الجزيرة مما يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات لم تزل لاحزان

والعباص كتاب الجواميس في أرض الاسلام والفيلة تهرب من المكان الذي يكون فيه الكركدن على حسب

ما تقدم منا لا ترعى في موضع يشم فيه رائحة الكركدن ويعمر الفيل بأرض الهند نحوا من أربعمائة سنة كذلك يذكر أرسطو لانها تعرف في ذرها وما وزنها وأهل العلم عليها في نهايتها ومنها الاسود والابيض والاحمر والاسود وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين ويضع حمله في كل سبع سنين ويقال بأرض الهند ان به عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزرافة وهي دابة أصغر من الفهد أحمر وزغب وعينين براقتين عجيبة سريعة الوثبة يبلغ في وثبته الثلاثين والاربعين والخمسين ذراعا وأكثر من ذلك واذا أشرف على الفيل رشش ذنبه بوله بذنبه فيحرقها ويعالج الانسان ونحوه عليه وفي الهند من اذا أشرفت عليه هذه الدابة تعلق بأكبر ما يكون من الساج وهي أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز تكن الشجرة منه الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما تحمل الى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج في طوله فاذا علا الانسان على تلك الشجرة وشرها هذا الحيوان عن ادراكه اصق بالارض ووثب

الغربة مذهبات واذ زاد النيل وصل برهاءن برالفسطاط من جهة خليج القاهرة و يبقى موضع الجسر تسكون فيه امرا كب الني وأورد الصفدى فى تذكرته لابن سعيد المذكور فى هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة فى الدجى * والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتضاحك الانوار فى جنباته * فتريك فوق النيل أمرا معجبا
بينا تراه معضضا فى جانب * أبصرت منه فى سواه مذهبا
لله مرأى ماراه ناظــــرى * الاخلعت له الغرام تطربا

وقال فى المغرب نقلا عن بعضهم ما صورته وأما مدينة القاهرة فهى الحالية الباهرة التى تفنن فى بنائها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة اميرها قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط

وسارت مسير الشمس فى كل بلدة * وهبت هبوب الريح فى البر والبحر

لاسيما وقد عاين مبانى ابيه المنصور فى مدينة المنصورية الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بالسن الآثار ولله در القائل

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شانه * أضحى يدل على عظيم الشان

واهتم من بعده الخلفاء المصريون فى الزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيها خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف بالقاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما يضيق به الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة و بين يديه الامراء وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه محمله بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسالك الهواء والضوء بينها ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين

الى أعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشش من بوله الى أعلى الشجرة والا وصع رأسه فى الارض وصاح صياحا عظيما يخرج من فيه قطع دم و يموت من ساعته وأى موضع من الشجر سقط عليه بوله احرقه وان أصاب الانسان شئ من بوله أتلفه و كذلك سائر الحيوان وملوك الهند تدخل فى خرائنهم مرارة هذه الدابة ومرارات سائر الحيوان ومواضع من أعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومذاكير هذه الدابة كمذاكير كلب الماء الذى يخرج منه الجندبادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسى معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الخصية عرب فقيل جند بادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرقان لا تأوى الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضا والفيل يهرب من السنانير وهى القطاط ولا تقف لها البتة اذا ابصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت تولى الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب

بتغلية السنانير عليها و كذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الحمار يزرعا

المصريين ومن عيوب القاهرة انها في أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لا يبرح كدرا مما تثيره الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حين أكثر علي رفاقي من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالي بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثير بها أرجل سائره

وعندما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر انسه وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لاسيما أرض القرط والكتان وقلت

سقى الله أرضا كلما زرت روضها * كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

مازالت الاحمال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت في نوار الكتان على جانبي الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رآه سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
وأصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فلم تزرها ووجه الارض مصطبح * أو عند صفوته ان كنت تغتبق

وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفي ذلك قيل

انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدوة فقلت

انظر الى بركة الفيل التي نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * يهيم وجدا وحبا في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط والمراكب التي تصل بالخيرات تحط هنالك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه يبعد عن المدينة والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديار السكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التي تتزين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التي امام

الفسطاط

تهرب منها الفيلة وقد كان رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هرون بن موسى مولى الازد كان شاعرا شجاعا ذا رياسة في قومه ومنعة بأرض السند مما يلي أرض المولتان وكان في حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد خبأ تحت ثوبه سنورا فلما دنا في حملته من الفيل خلى القط عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون ابن موسى قصيدة يصف فيها ما ذكرناه وهي

أليس عجيبا بأن خلقه * له فطن الانس في جرم فيل
وأطرف من قشه زوله * يحلم يجل عن الخنفشليل
أليس عجيبا بأن بلعما * غليظ الدرانك لطيف الحويل
وأوقص مختلف خلقه * طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين * بأن ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم * وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شيء اذا قسته * بخنزير بر وجاموس غيل
ينازعه كل ذي أربع * فما في الانام له من عديل

الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة نقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك الى أن قال وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملته وتفسيره الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيما ولا عذابا ولا يطالب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مال فربما سجن فى شانه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماع والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص فى وسط السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو صحبة مرداان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول وفى القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية يفضل كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز أما التفاح والاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال لكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة يطلع سعرها بسبب ذلك فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والخالفة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر فى الليل وفى ذلك أقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام

فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام

صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام

يا سيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

ويعصف بالنمر بعد النمور * كما يعصف الريح بالعندبيل وشخص يرى بده أنفه

فان وصلوه نسيف صقيل وأتبل كالطود هادى الخميس بصوت شديد أمام الرعيل فر يسيل كسيل الاتى بخطم خفيف وجرم ثقيل فان شمته زاد فى هوله بشاعة أذنين فى رأس غول وقد كنت أعددت هر اله قليل التهيب للزندبيل فلما أحس به فى العجاج أتانا الاله بفتح جليل وطار وراغم ميالة بقلب نخيب وجسم نحيل فسبحان خالقه وحده اله الانام ورب العقول العندبيل طائر صغير يكون بارض السند والهند تذكره الشعراء فى أشعارها تمثلا به لصغره والزندبيل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزندبيل هو اسم لما اشتد فى الحرب من انياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزندبيل عند ذكره الفيل فقال

ذاك الذى مشفره طويل وهو من الافيال زندبيل

وقال آخر

وفيله ذو الطول زندبيل

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وسر

بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشبيل وتفسيره قول الانصارى فى سفه الجدل

والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لثام
والمرج قد بددت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الآثام

قال المقريزي وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل في نسبة التحامل اليه والله تعالى الموفق * (قال ابن سعيد) ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهواؤها ردىء لا سيما اذا هب المريسي من جهة القبلة وأبصار اهلها العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لا سيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الطب والخراج والنصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم واليهود بعمائم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل اهل القاهرة البطارخ ولا تصنع حلاوة القمح الابها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ولهن في الطبخ صنائع عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التي يصنع بها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام ابي الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى وقال رحمه الله

لم ذا تقيم بمصر * معذبا بذويها
وكيف ترجو نداهم * والسحب تخل فيها

وقال رحمه الله تعالى

لابن الزبير مكارم أضحت بها * طير المدائح في البلاد تغرد
ان قيدوه وبالغوا في عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ولنذكر بعض اخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفي باسكندرية وقد ذكر ابنه ابو الحسن في المغرب وغيره من أخباره العجائب ولا بأس بأن نلم بشيء من ذلك سوى ما تقدم فنقول من اخباره أنه لما اجتاز بالقصر ومشرفها اذ ذاك ابو علي بن بقي وجه اليه من نقل اسبابه الى داره وأقبل عليه منشدا

أكذا يجوز القطر لا يثني على * ارض توالى جدبها من بعده
أالله يعلم انها ما انبتت * زهرا ولا ثمرا بمدة فقده
عرج عليها ساعة يامن له * حسب يفوق العالمين بمجده
وانثر عليها من ازاهرك التي * تشفي المتيم من لواعج وجده
والله ما ذاكرت فكرك ساعة * الا وأقبس خاطري من زنده

قال موسى فارتجلت للعين

انت الذي تعرف كيف العلا * وتهتدي في سبل المجد

قال وهذا غير مراد قد علمت جارية عطبول أني بنصل السيف خنشبيل والفيلة لا تنتج ولا تولد الا بارض الزنج والهند ولا تعيش أنيابها بارض السند والهند على حسب ما بعضهم بارض الزنج والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا تخفى ذلك في المنعة بشيء من الدرق الصيني والتبتي والاطي والنحاوي ولا ما يقع من اللين وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شيء من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقته وقد كان المنصور عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة إياها واقتنائها لها واعدادها للحروب والزينة في الاعياد وغيرها فانها أوطأ مراكب الملوك وأسهدها وأخبرني بعض الكتاب ممن يرجع الى أدب وعقل ومعرفة بايام الناس بمدينة السلام إنه اشترى ببغداد في غاية الفراهة والحسن فكان يركبها في مهماته وتصرفاته وكانت اذا رأت الجمال

بدأت

بدأت بالفضل المنير الذي * اكمل بدر الشكر والحمد
والله ما ابصرتكم ساعة * الا بدا لي طالع السعد

وانصرفت معه الى منزله قال

فلم ازل في كرامه * ليست كظل غمامه

ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عسكر قاضي مالقة مع احد الادباء منه

افاتح من قلبي بعلياه واثق * وان كانت الابصار لم تفتح الودا
وثقت بما لي من ذمام تشيعي * بآل سعيد وابتغيت به السعدا
وبالحب يدنو كل من اقصت النوى * برغم حجاب للنوى بيننا امدا

ياسيدي الذي حلتني ما امال اسماعي من الثناء عليه ان اهيم على مفاتحته شاغفا بما في موصلها اليه واتقابالفرع لعلم الاصل مؤملا للافضال بتحقق الفضل ان لم تقض باجتماع بيننا الايام فلا تحرى بالمشافهة بيننا الا ألسن الاقلام ويوحي بعضنا الى بعض بسود الوداد والحمد لله الذي اطلعك في ذلك الافق بدرا وادناك من هذه الدار فسرنا القرب من بدعنك لا نعدم لك ذكرا فكل يثني بالذي علمت سعد ويصف من خلالك ما يقتضي ذلك المجد ولما كان احسانك يبشر به الصادر والوارد ويحرص عليه الغائب والشاهد مد امله نحوك موصل هذه الفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهي عند بيتك الكريم رابحة وهو ممن شتتت خطوب هذا الزمان شمله واباتت نوائبه صبره وفضله وما اطمع ببصره الا الى أفقك ولا وجه رجاءه الا نحو طرقك والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه وأعقت من الحمد ركائبه دمت غرة في الزمن البهيم مخصوصا بافضل التحية والتسليم انتهى * وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر في العلوم وله كتاب في أنساب بني سعيد أصحاب هذه الترجمة ومن شعره

أهواك يا بدر وأهوى الذي * يعذلني فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
وكل مبد شبها منكم * وكل من يلفظ باسم الحبيب

*(رجع) قال ابنه علي لما أردت النهوض من ثغر الاسكندرية الى القاهرة أول وصولي الى الاسكندرية رأى أن يكتب لي وصية أجعلها اماما في الغربة تبقى فيها اياما الى ان كتبها عنه وهي هذه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

اودعك الرحمن في غربتك * مرتقبا رحماه في اوبتك
وما اختياري كان طوع النوى * لكنني أجري على بغيتك
فلا تطل حبل النوى انني * والله أشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بأبنائه * فانني امعنت في خبرتك
فاختصر التوديع اخذا فما * لي ناظر يقوى على فرقتك

البخت أو الغراب من العمالة أو غيرها في الطريق نفرت وشبت وكان يلي منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هي عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان في بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك في أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن علي الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره بالادفارس حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تجمز في مشيتها الاسبيل لمن عليها أن يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبها ورمت بي الارض فوقعت بجلد ثور منفرج ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين رمت بي ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على اثر ذلك فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وذلك كذلك الجمال اذ رآني جماعة من الناس فرفعوني ودخل الغلام فاخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك

واجعل ودا الى قتب عين ولا * تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت * فى ساعة زفت الى فطنتك
فللتجارب امور اذا * طالعتها تشحذ من غفلتك
لا تنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته فى النوى * اياك أن يكسر من همتك
فليس يدرى اصل ذى غربة * وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يفضى لعذر فلا * تجعله فى الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله * واقصد لمن يرغب فى صنعتك
ولا تجادل ابدا حاسدا * فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينى مظهرا عفة * وابغ رضا الاعين عن هيئتك
أفش التحيات الى اهلها * ونبه الناس على رتبتك
وانطق بحيث العى مستقبح * واصمت بحيث الخير فى سكتتك
ولا ترل مجتمعا طالبا * من دهرك الفرصة فى وثبتك
وكلما ابصرتها امكنت * ثب واثقا بالله فى مكنتك
وتخ على رزقك من بابه * واقصد له ما عشت فى بكرتك
وأس الود لدى حاسد * ضد وبافسه على خطتك
ووفر الجهد فى قصده * تصدك لا تعنيه فى بغضتك
ووف كلا حقه ولتكن * تكسر عند الفخر من حدتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة * فانه انفع فى غربتك
وحيثما حمت فاقصد الى * صحبة من ترجوه فى نصرتك
ولا تمررا ما ونبه ما لها * الا الذى يدخر من عدتك
ولا تقل أسلمنى وحدتى * فقد تقاسى الذل فى وحدتك
والتزم الاحوال وزنا ولا * ترجع الى ما قام فى شهوتك
واجعل العقل محكا وخذ * كلا بما يظهر فى نقدتك
واعتبر الناس بالفاظهم * واصحب اخا رغب فى صحبتك
بعد اختبار منك يفضى بما * يحسن فى الآخذ من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك
اياك ان تقربه انه * عون مع الدهر على كربتك
واقنع اذا ما لم تجد مطمعا * واطمع اذا انعشت من عسرتك
وانم عوّ النبت قد زاره * غب الندى واسم الى قدرتك
وان نبا دهر فوطن له * جأشك وانظره الى مدتك
وكل ذى امر له دولة * فوف ما وافاك فى دولتك
ولا تضيع زمنا ممكنا * تذكاره يذكى لظى حسرتك

ذى رسالتها ... سابه الى دا ... ل ... صربه الى صرت الا الاصيل دون صرف انسانه الى ... واصله الى حاد ... و ... ه ... ر ... امانه ولا ان انسانه ... تنفس ... الكلام ... كلم والقصد ... و ... ه على سائر الحيوان لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من عظم ... وعظم صورة وبديع منظره واحتمال صهوته وطول خرطومه وسعة أذنه وكبر ... وطول عمره وثقل جسمه و ... كبر ... واضح ... سهر ... مع كبر هذا الجسم وضخامة هذه الصورة بعرف الانسان فلا يحس بوطئه ولا يشعر به ... ... وقد وصف عمرو بن بحر الجاحظ الفيل فى كتاب الحيوان ... فى صفته وأكثر فى ... من المعانى الكثيرة فى صفة الفيل وهيئته وما هو عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف والمعانى العجيبة والاحساسات اللطيفة وقبولها التأديب و ... وسرعتها الى الالف والانس وسائر

أبدانها من الاعضاء الجمة والاجزاء النيرة وكم مقدار ما فيها ومبلغ مصارها وكم فضيلة تلك والشر

والشر مهما اسطعت لا تأته * فانه حوز على مهجتك

يابني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثله قد قدمت لك في هذا النظم ما ان اخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وان احف منه للحفظ واعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الاول

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمهن حسن الادب
وثانية حسن اخلاقه * وثالثة اجتناب الريب

واذا اعتبرت هذه الثلاث ولزمتها في الغربة رأيتها جامعة نافعة لا يلحقك ان شاء الله تعالى مع استعمالها ندم ولا يفارقك بر ولا كرم ولله در القائل

يسود فتى القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في قومه بحسيب
اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب

وما قصر القائل حيث قال

واصبر على خلق من تعاشره * وداره فاللبيب من دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا

واصغ يابني الى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر

ولو أن أوطان الديار نبت بكم * لسكنتم الاخلاق والآدابا

ان حسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد واليه قصد غير مستريب بدهره ولا منكر شيأ من أمره واذا دعاك قلبك الى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعته أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تتمهد بدوام رفدته فقد ينبهه الزمان ويغير منه القلب واللسان ولذا قيل اذا أحببت فاحبب هونا ما ففي الممكن أن ينقلب الصديق عدوا والعدو صديقا وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله وجعل نصب ناظره قول أبي الطيب

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام

وفي أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ بأمثلة من جرب واستمع الى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصا وان رأيت من له مروءة وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقيحا لعقلك وحثا لك واهتداء واياك أن تعمل بهذا البيت في كل موضع * والحر يخدع بالكلام الطيب * فقد قال احدهم ما قيل أضر من هذا البيت على اهل العمل وليس كل ما تسمع من اقوال الشعراء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبره فان كان

الاحساس فاقت تلك الاجناس وما فيها من الآيات والبرهانات والاها لامانة ابواب الى [illegible] حلاها العيون خلقه وفرق بينها وبين عقول [illegible] عليهم وحده [illegible] لهم وتريد بهم [illegible] الحكمة [illegible] النعمة وذكر الله في الكتاب الناطق [illegible] الصادق وفي الآثار المعروفة والامثال [illegible] في [illegible] مقالات الشعراء [illegible] به الفصحاء ومدحه العلماء وكثرت [illegible] وحاملها عند الملوك وموضع نفعها عند الحروب [illegible] في العيون وجلالتها في الصدور وفي طول أعمارها وقوة أبدانها وفي اعراضها و [illegible] واحقادها [illegible] كبرائها وطلبها بطوائلها وارتفاعها عن [illegible] السقاط واقتناء [illegible] والاراذل وعن ارتخاصها في الثمن وارتباطها على الخسف وابتذالها وازالتها عن امتناع طباعها ومنع عزائزها ان تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم جوارحها وتساعدو تتلاقى الا في معادنها وبلادها ومغارس اعراقها مع التماس الملوك ذلك [illegible] وطمع القوم عليها بالتمر [illegible] بذلك منها حتى أعجزتهم

الحيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختبار عن حملها ونتجها ووضع أعضائها والذي ما الفت فيه الاشكال الا [illegible]

موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك والا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يتبسم ولا كل شخص يكلم ولا الجود مما يعم به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله در القائل

ومالي لا أوفي البرية قسطها * على قدر ما يعطي وعقلي ميزان

واياك ان تعطي من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون معاملة الكفء ولا الكفء معاملة الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ويثيبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة واسمع قول الاول * وبع آجلا منك بالعاجل * وأقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجفهم بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر ولا جفاء ولا تقل ايضا اقعد في كسر بيتي ولا ارى احدا واستتر بحمى الناس فان ذلك كسل داع الى الذل والمهانه واذا علم عدوك او صديق منك ذلك عاملاك بحسبه فازدراك الصديق وجسر عليك العدو واياك ان يغرك صاحب واحد عن ان تدخر غيره للزمان وتطيعه في عداوة سواه ففي الممكن أن يتغير عليك في طلب اعانة عليه او استغناء عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها وكان هو في أوسع حال واعلى راي يبادره بحيلته في انقطاعك عن غيره فلو اتفق لك ان تصحب من كل صناعة وكل رياسة من يكون لك عدة لكان ذلك اولى واصوب وسلني فاني خبير طال والله ما صحبت الشخص اكثر عمري لا اعتمد على سواه ولا اعتد الا اياه منخدعا بسرابه موثوقا في حبائل خطابه الى ان لا يحصل لي منه غير العض على البنان وقول لو كان ولو كان ولا يحملك ايضا هذا القول ان تظنه في كل احد وتهمل المكافأة وليكن حسن الظن بمقدار ما واصبر بمقدار ما والفطن لا تخفى عليه مخايل الاحوال وفي الوجوه دلالات وعلامات واصغ الى القائل

ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ * ـري ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فول وجهك عنه قبلة ترضاها ولتحرص جهدك على أن لا تصحب وتخدم الا رب حشمة ونعمة ومن نشأ في رفاهية ومروءة فانك تنام معه في مهاد العافيه وان الجياد على أعراقها تجري وأهل الاحساب والمروآت يذكرون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان أشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدوله محارب له على الملك لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ماشربه * والفضل ماشهدت به الاعداء * يابني وقد علمت ان الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل أحبب من شئت فانك مفارقه فتى فارقت احدا فعلى حسنى في القول والفعل فانك لا تدري هل انت راجع اليه فلذلك قال الاول * ولما مضى سلم بكيت على سلم * واياك والبيت السائر

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثة تبقي لك الود في صدر اخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب الاسماء اليه واحذر كل ما بينه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك اذا غرسته يقلعك وقول الآخر ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن

التي تحيط بالجميع مما يستأنف او يقوم او يمشي او يطير وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه وما يبقى على الطبع الاول من صورته ونحو ما يتنازعه من شبه الحيوان وما يخالف فيه جميع الحيوان وعن الاسد في شدة قلبه وأسره وفي حذقه على ما هو أعظم بدنا وأشد قلبا وأحد ظفرا وأدرب لساناً وهرب مما هو أصغر جسما وأكل حدا وأضعف أسرا وأخمل ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المراتب الكثيرة التي تغص ايرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما أسلفه من القول في هذه المعاني التي سدمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة في الفيلة وغيرها وأعرض عن ايراد خواص أعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها وذكر من أسرار الطبيعة وما فاتته فلاسفة الهند في بدنها وما آثرته ممن تقدم من حكمائها في تداولها وعلة تكونها في أرض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها في غيرها والتعادل الذي بينها وبين الـ... تدن مع ضم ذاتها وفرارها من السنور مع صغر حجم جسمه ولطافة

وقول

وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف اسد مع القوة واياك ان تثبت على صحبة احد قبل أن تطيل اختباره فيحكى ان ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه ان الصحبة رق ولا اضع رقى فى يدك حتى اعرف كيف ملكتك واستمل من عين من تعاشره وتفقد فى ملاقات الأنس وصفحات الاوجه ولا تحملك الحياء على السكوت عما بصرك ان لا تبينه فان الكلام سلاح السلم وبالانين يعرف الم الجرح واجعل لكل امر اخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك وآكد ما اوصيك به ان تطرح الافكار وتسلم للاقدار واقبل من الدهر ما اتاك بمن قرت عينا بعيشه نفعه وزاد الافكار بجلب الهموم وتضاعف الغموم وملازمة القطوب عنوان المصائب والخطوب يشرب به الصاحب ويشمت العدو المحاسب ولا تصغ بالوساوس الاسك لا تلك يضربها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنت للاحزان عونا * عليك مع الزمان فمن تلوم

مع انه لا يرد عليك الفائت الحزن ولا يرعوى بطول عتبك الزمن ولقد شاهدت بعرباطة شخصا قد الفته الهموم وعشقته الغموم من صغره الى كبره لا تراه ابدا خليا من فكره حتى لقب بصدر الهم ومن اعجب ما رايته منه انه يتشكى فى الشدة ولا يتعلل بان ستكون بعدها فرج ويتنكد فى الرخاء خوفا من أن لا يدوم ويشد بتوقع زوالا اذا قيل تم * وينشد * وعند التناهى يقصر المتطاول * وله من الحكايات فى هذا الشان عجائب ومثل هذا عمره محسور بر ضياعا ومتى دفعك الزمان الى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدا لك وقصدا لتصغير قدرك عندك وتزهيدا لك فيه ولا يحملك ذلك على ان تزهد فى علمك وتركن الى العلم الذى مدحوه فتكون مثل الغراب الذى اعجبه مشى الحجلة فرام ان يتعلمه فصعب عليه ثم اراد أن يرجع الى مشيه فنسيه فبقى مخبل المشى كما قيل

حسد القطا وأراد يمشى مشيها * فأصابه ضرب من العقال

فأضل مشيته وأخطأ مشيها * فلذاك سموه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول ما بقى فى الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه فان الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان واستخفت طلعته للهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع فى الناس واقامة الاعذار لانفسهم بقطع أسبابهم وتعذر أمورهم ولا تزل هذين البيتين من فكرك

لن اذا ما نلت عزا * فاخو العز يلين

فاذا نابك دهر * فكما كنت تكون

وقول الآخر

تهوان تمع ان قيل أخسر وانخفض ان قيل اثرى

كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا ويعلو ما تعرى

ولا قول الآخر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

اخاوره والدهاء والخبث والتمييز وتذكر صاحب المنصوص فى كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة مالم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من أن العالم عنده من الاجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومضاد وان ذلك فى الجملة هو حماد ونام واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الاجسام السماوية وليست بجماد ولا نام وانها أجسام ناطقة (قال المسعودى) فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا فى صدر هذا الباب من ذكر الزنج والادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها لعاجها غير منتفعة بشئ من ذلك فى آلاتها وانما تحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وما ذكرنا من دوابهم انها بقر وأنهم عليها يقاتلون بدلا من الابل والخيل وهى بقر تجرى كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالرى نوعا من هذا البقر يبول كما تبول الخيل ويثور بحمله كما تثور الابل

 اذا استقلت بأحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والابل والحمير

وانتسدى الناس بما قاله القائل

ومن يلو خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقريب منه قول القائل

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه

وكن فى مكان اذا ما سقطت * تقوم ورجلاك فى عافيه

ويحفظ عما نصه قول الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

ولله در القائل

ما طل داود القسيم كافيا * فاذا اقتنعت فكل شئ كافى

والامثال يضربها الذى اللب اللبيب ودو البصر يمشى على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتى عليك لا رب سواه * تجزت الوصية ويكفيك عنوانا على طبقته فى النثر قوله رسالة كتب بها الى ملك المغرب أبى محمد عبد الواحد ابن أبى يعقوب بن عبد المؤمن مهنئا بالخلافة حين بويع بها بمراكش وكان اذ ذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتباله ومختصا به الحضرة العلية السامية السنية الطاهرة القدسيه حضرة الامامة وجهة دار الاقامه مد الله على الاسلام ظلالها وأعلى فى سماء السعادة عمامها وكمالها وهنأ المؤمنين باستقبال امارتها وأدام لهم بركة خلافتها عبد آبادها وخديم نادبها المتوسل بقديم الخدمة المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة المنشد بلسان المسرة حين أطلع الزمان هذه الغرة

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لا زال هذا الامر العلى محمودا سعيدا ولا برح يستزيد ترقيا وصعودا

يا نعمة الله زيدى * ان كان فيك مزيدى

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقديس والتفخيم ورحمته وبركاته وبعد حمد الله الذى بلغ الاسلام بهذه الخلافه آماله وحلى بهذه الولاية السعيدة أحواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى أدحض الله تعالى به الكفر وضلاله وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله وامتثلوا افعاله والرضا عن الامام المهدى المعلوم الذى أفاء الله به على الدين الحنيفى ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله والدعاء للمقام العالى الكريم بالسعد المتوالى والنصر الجسيم وكتب العبد وقد ملأت هذه البشرى المسرة أفقه ووسعت عليه هذه المرتبة العلية طرقه

فهذه رتبة ما زلت أرقبها * فاليوم أبسط آمالى وأحتكم

ولا أنفع منى ان اقتصرت على السماء دارا والهلال للبشير سوارا والنجوم عقدا والصباح بندا حتى اسر كل احد بشكله وأقابل كل شخص بمثله

أو قرون بن شئ مما ذكرنا من البهائم ورأيت الواحد منهم مع ثوره فاناه رجل عليه ملك الحيوة وسار بها الى قريته فاكلهم منها وبذباته من عقدها ويجعلون من شعرها ذوائب لذلك ايضا فاكثر اكلهم واكل برهم من ذلك اللعمان وطيب ونيس وهذا النوع من البقر العالب عليه جره تحدف وسائر البقر تنفر وهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان وثم منها ما فى انوفها حلق الحديد واسعر قد حرمت فيها الحديد وحصمت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالرى رأيت ثورا منها قد قد اخوذ رمن غير هذا النوع لما رآه قصده قام فزعا من هذا الجنس وليس فى سائر أنواع البقر بما اوى الماء والجزائر والغدران الا البقر المعروف بالحبشية التى تكون ببلاد مصر واعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار وأما الجواميس فانها بالثغر الشامى فى نحو اكبر ما يكون من العجل فى انوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك منها ببلاد انطا كيه واكثر ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر اكبر من قرون هذه

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم * فانى لم اخدمك الا تخدما

ومابعد الخلافة رتبة ودون ثبير تنحط كل هضبة فالحمد لله رب العالمين وهنيأ لعباده المؤمنين حيث نظر لهم نظر رحمة فاسبل عليهم ستر هذه النعمة

ولقد علمت بان ذلك معصم * ما كان يتركه بغير سوار

والله اعلم حيث يجعل رسالاته والى من يشير بآياته فلله صباح ذلك اليوم السعيد وليلته لقد سفر عن وجه من البشرى اضاءت الآفاق شرقا وغربا غرته ولعهدا جتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد فاخذ القوس باريها وحل بالدار بانيها هنيأ ازادك الرحمن اضعافا وخيرا ولاحت المسرات تترا النشر ا وهل على النور الاثامل وهل يلى بالحسن الا الحلل فالآن مهد الله البرين وافاض العدل على العدوتين وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ولا يستتر بحفظه انسان دون انسان خليفة له النفس العمرية والآراء العمرية والفراسة الاياسية ولا ينبئك مثل خبير ولقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير ولعمرى لقد صار الصباح فى اشراق النهار ولم يخف عنا ما زاد الدنيا من البهجات والمسار وشملت الناس هذه البشائر وعمت كل باد وحاضر وأصاخوا لتاليها اصاخة المجدبين لمرتادهم وأهطعوا اليها مهللين ومكبرين اهطاع الناس لاعيادهم وأما العبد فقد أخذ بحظه حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه ولحظه (ومن فرح النفس ما يقتل) وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ويحسد عليها الهلال والنجم بل سلمان لما استحقته من المراتب ويخضعان اليها خضوع المفترض الواجب أقر الله بها عيون المسلمين وأفاض سعدها على الناس أجمعين وحفظها بعينه التى لا تنام ووقف على خدمتها الليالى والايام * ولما قدم من الاندلس على تونس مدح سلطانها أبا زكريا بقوله

بشرى ويسرى قد أنار المظلم * نجما وقد وضح الصباح المعلم
ورنت عيون الامن وهى قريرة * وبدت ثغور السعد وهى تبسم
فارحل لتونس واعتقد أعلام من * قوى الضعيف به وأثرى المعدم
حيث المعالى والمعانى والندى * والفضل والقوم الذين هم هم
أجروا الى الغايات مل عنانهم * سبقا وبذهم الجواد المنعم
ساد الامام الملك يحيى سادة * أعطى الورى لهم القياد وسلموا
ان الامارة مذغدا اقتادها * يقظى وأجفان الحوادث نوم
لله منك مبارك دو فطنة * ريت فاحجم عندها من يقدم
يقظان لاوان ولا متقاعس * كالدهر يبنى مايشاء ويهدم
ان صال فالليث الهصور المقدم * أوسال فالغيث المغيث المثجم
أعلى منار الحق حين أماله * قوم تبرأت المنابر منهم
أعلى الاله مكانه وزمانه * والنصر يقدم والسعادة تخدم

*(وقال يخاطب ملك المغرب مامون بنى عبد المؤمن حين أخذ البيعة لنفسه باشبيلية وكان

بأرض العراق مما يلى صفوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء فى الحمامات وغيرها ولم أجد أحدا فى هذه الممالك ممن شاهدته أو نمى اليه خبره ذكر انه رآها ولست أدرى كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى أخبار الزنج وأخبار ملوكها فاما تفسير اسم ملك الزنج الذى هو وقليمى فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فمتى جار الملك عليهم فى حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذى هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج ألو فصاحة فى ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم فيقف الرجل منهم الزاهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم فى القرب من بارئهم ويبعثهم على طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم وأسلافهم وليس لهم شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعاياهم وأكلهم الذرة وهو

المذكور أكثر ولبني سعيد بهذا الملك اختصاص قديم)

الحزم والعزم موجودان والنظر * واليمن والسعد مضمونان والظفر
والنور فاض على أرجاء أندلس * والزور ليس له عين ولا أثر
حث الركاب الى هذا الجناب فقد * ضلوا فما تنفع الآيات والنذر
واعزم كعزم المامون اذ نشرت * أرض العراق فزال البؤس والضرر

*(ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولي على مملكة البرين الى اشبيلية كان في جملة من خرج للقائه ورفع له قصيدة منها)

لقائه للصبر والشكر مجمع * الى يومه كنا نخب ونوضع
لقد يسر الرحمن صعب مرامه * فأبصرت أضعاف الذي كنت أسمع

وله

يا منعما قد جاءني بره * من غير ان أجرى له ذكرا
ان أحب الخير ما جاءني * عفوا ولم أعمل به فكرا

وله في غلام واعظ وهو من حسناته

وشادن ظل للوعـظ تاليا بين جمع
متعت طرفي بمرآ * ه في خفارة سمعي

وله من أبيات

ومن عجب أن الليالي تغيرت * ولكنها ما غيرت مني العهدا

ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الجد وأبو بكر بن زهر وغيرهما وحضر حصار بطليطلة مع منصور بني عبد المؤمن وكتب لملك البرين أبي محمد عبد الواحد وكتب أيضا عن مامون بني عبد المؤمن وكتب أخيرا عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير ابي يحيى ابن ملك افريقية رحمهم الله تعالى أجمعين *(رجع الى أبي الحسن بن سعيد) قال رحمه الله تعالى حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك افريقية أبي العباس أحمد الغساني فاحتاجت الشمعة أن تقط فتناول قطها غلام ببنانه فقلت

ورد حص البنان تعدى لأن * يقط السراج بمثل العنم
فقال ولم يهب النار في لمسه * ولا احتاج في قطه للجلم
فقلت وماذاك الا لسكناه في * فؤادي على ما حوى من ضرم
فقال تعود حر لهيب به * فليس به من أوار ألم

وأنشد في المغرب للغساني المذكور في خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كأن البدر لما أن علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره
تخجل عادة قلبته لما * أراها شبهها حسدا وغيره

وخاطبه المذكور برسالة يقول في آخرها وعند حامل هذه الاحرف سلمه الله تعالى كنه خبري واستيعاب ما قصر عنه قلمي فضاقت بحمله أسطري لتعلم ما أجده وأفقده من تشوقي وتصبري واني لا أزال أنشد حيث تذكري وتفكري

بلادهم كثير وكذلك بأرض الهند والغالب على أقوات الزنج الذرة ونبت يقال له الكلارى يقلع من الارض كالكمأة والراسن ومنه ما هو كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذي يكون بالشام ومصر ومن غذائهم أيضا العسل واللحم ومن هوي منهم شيأ من نبات أو حيوان أو جماد عبده وجزائرهم في البحر لا تحصى كثرة وفيها النارجيل يعم أكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو ويتوارثها المسلمون على حسب ما ذكرنا من أمرها في هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد اسوان وتدبرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سربه (قال المسعودي) وانتهيت في تصنيفي الى هذا الموضع من كتابنا هذا في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يانانيا

يا نائيا قد نأى عني بمصطبري * وثاويا في سواد القلب والبصر
اذا تناسيت عهدا من أخي ثقة * فاذكر عهودي بها الخليك من فكري
واردد على تحياتي بأحسنها * ترددا لي حياتي آخر العمر

ولنمسك العنان عن الجري في ميدان اخبار ابن سعيد فانها الايشق غبارها ومنها قوله رحمه الله تعالى سمعت كثيرا من السماع المشرقي فلم يهزني مثل قول الشرف الشمسي المكي

مثقل بالدمع غرقى * وفؤاد طار خفقا
وتحسن وتئن * شق جيب الصبر شقا
بالتقاني خبروني * عن حديث اليوم حقا
أكذا كل محب * فارق الاحباب يشقى
لا وعيش قد تقضى * وغرام قد تبقى
ونعيم في ذراكم * قد صفا دهرا ورقا
ونسيم من حماكم * حمل الوجد فرقا
برسالات صبابا * تخلى المشتاق ملقى
وغصون ناعمات * بمياه الدن تسقى
ووجوه قد تسنت حسنا * ملأ الارض عشقا
لو رضيتم بي عبدا * ما رضيت الدهر عتقا

وقال ما سمعت ولا وقفت على شئ أبدع من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به

أسأل الله أن يديم لك العز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيا * ك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أنني أشتكيه * لك اذ نلتقي فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الاحسان وكتب في حقه الى ولاة الصعيد كتبا أغنته مدة عن شكوى الزمان انتهى * وقال أيضا ولم أسمع في وضع الشئ موضعه أحسن من قول المتنبي

وأصبح شعري منهما في مكانه * وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم أسمع في وضع الشئ غير موضعه أحسن من قول أبي الفرج

مرمدحي ضائعا في لومه * كضياع السيف في كف الجبان

ومن تآليف النور بن سعيد كتاب عدة المستنجز وعقلة المستوفز وذكر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ وأورد في هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه أنه لما دخل الاسكندرية لم يكن عنده آكد من السؤال عن الملك الناصر فأخبر بحاله وما جرى له مع الططر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاكو حلب فقال بعد كلام كثير وارتكب في أهل حلب الططر والمرتدون ونصارى الارمن ما تصم عنه الاسماع وكان فيمن قتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذي صدر عنه من الطبقة العالية في الشعر مثل قوله

وأها العقرب صدغه * لو لم تكن للماء تحمي

فاخبرت أن الملك في مدينة دنقلة الى النوبة ليرفي بن سدرو وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوي على أم ريقة وعلوه والبلد المتصل بمملكته بارض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا افرقا وملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجه الى أن قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار حلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجه فقويت البجه عن صاهرهم من ربيعة وقويت ربيعة بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه

ولعقل خط عذاره * لوبت أعجمه بالشمى

وابن عمه الافتخار بن العديم الذى وقع له مثل قوله

والغصن فيه الماء مطرد * والماء فيه الغصن منعكس

ثم قال لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء الططر على بلاده حلب والشام وما يليهما ما نصه قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل عيدان دمشق قبلت يده وجعلت أدعوله وأظهر منه ته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فأضرب عن ذلك وقال لى فيم تتغزل اليوم ثم أنشدنى قوله فى مملوك فقده فى هذه الكائنة

والله ما أبكى الملك مضى * ولا لحال ظاعن أو مقيم

وانما أبكى وقد حق لى * لفقد من كنت به فى نعيم

يطلع بدرا ينثنى بانه * يرفيما رمته كالنسيم

فى خاطرى أبصره خاطرا * فألتوى مثل التواء السقيم

يا عاذلى دعنى وما حل بى * هاسوى الله تعالى عليم

ان مت من حزن له أسترح * وان أعش عشت بهم عظيم

قال ثم انه سار نحوه ولا كو فلما مر بحلب ونظر الى معاهده على غير ما يعهد قال

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت * لحاظى الى الدار التى رحلوا عنها

ولو كان عندى ألف عين وقفت فى * معالمها عمرى لما شبعت منها

وصنع فى نعبها أشعارا يغنى بها المسمعون ثم رحل الى صحراء موش فى جهة طريق أرمينية فوجد هولا كو هنالك فى تلك المروج المشهورة بالخصب فأنزله وأقام يشرب معه الى أن وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الططر للملك المظفر قطز صاحب مصر سنة ٦٥٨ فقتلوه وخلعوا انظم كتفه وجعلوه فى أحد الاعلام على عادته فى اكتاف الملوك انتهى باختصار

*(رجع ومن الوافدين من الاندلس الى المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) وكان صعب الخلق شديد الانقبض بينه وبين أقارب بما أوجب خروجه الى أقصى المشرق وفى ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصب يرعى النجوم صبابه * ضيع الصبر فى الهموم شبابه

زدت بعدا فزدت فيه اقترابا * بودادى كذاك حكم القرابه

منزلى الآن سمرقند وبالقلعة ربع وطئت طفلا ترابه

شد ما أبعد الفراق انتزاحى * هكذا الليث ليس يدرى اغترابه

لولا أرتجى الاياب لامر * ان يكن يرتجى غريب ايابه

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت * اليها مهجتى نحو التلاقى

وأحسب من تركت به يلاقى * اذا هبت صباها ما الاقى

فياليت التفرق كان عدلا * فحمل ما يطيق من اشتياقى

وليت العمر لم يبرح وصالا * ولم يختم علينا بالفراق

هم وأما الحبشة فاسم دار مملكتهم كعمى وهى مدينة ضخمة وهى دار مملكة النجاشى وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشى بالبحر الحبشى ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن من مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع وهذه مدن فيها خلق من المسلمين الأهم فى ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة علاقة وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن فى أيام ذى نواس وهو صاحب الاخدود المذكور فى القرآن وصاحب زبيد فى وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة ويركب فيها التجار بالامتعة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين أعنى ساحل اليمن وساحل الحبشة أدل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها

اذا كان الشوق فوق كل صفة فكيف نعبر عنه الشفة لكن العنوان دليل على بعض ما في الصحيفة والحاجب قد ينوب في بعض الامور مناب الخليفة وما ظنكم بشوق طرنح في يد الاشواق طلنح يقطع مسافات الآفاق ويتقلب تقلب الافياء ويتلون تلون الحرباء حتى كانه يخبر مساحات الارض ذات الطول والعرض ويجوب أهوية الاقاليم السبع خارجها أدخله فيه اللجاج عن السمع فكانه خليفة الاسكندر لكن ما بجيش من هموم الغربة بفكرى قائمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدوة من الغرب الاقصى ثم اشوقت نفسي وطمحت الى مشاهدة الغرب الاوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة من المشاق ما لا يحصى ثم شوقت الى افريقية درب بلاد الشرق فاستشعرت من هنالك ما بينها وبين بلادي من الفرق واختطفت من عيني تلك الطلاوة وانتزعت من قلبي تلك الحلاوة

فلله عين لم تر العين مثلها * ولا تلتقي الاجفان رضوان

ثم نازعتني النفس التواقة الى الديار المصرية فكابدت في البحر ما لا يفي بوصفه الا المشاهدة الى أن أبصرت منار الاسكندرية فيا لك من استئناف عمر جديد بعد اليأس من الحياة بما لقينا من الهول والتنكيد ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الازلية وعاينت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم العلية الملوكية غير أني أنكرت مبانيها الواهية على ما حوت من أولي الهمم العالية وكونها حاضرة العسكر الجرار وكرسي الملك العظيم المقدار وقلت أصداف فيها جواهر وشوك محدق بأزاهر ثم ركبت النيل وعاينت تماسيحه وجزت بحر جدة وذقت باريحه وقضيت الحج والزيارة وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة فهنالك بعت الزيارة بالازورار وآلت تلك التجارة الى ما حكمت به الاقدار اذ هي كما قال أحد من عاينها

أما دمشق فجنات معجلة * للطالبين بها الولدان والحور

فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان وما زين به خارجها من الانهار والجنان وبالجملة فانها جمى تتقاصر عن ادراكها أعناق الفصاحة وتقصر عن مناولتها في ميدان الاوصاف كل راحة ولم أزل أسمع عن حلب أنها دار الكرم والادب فاردت أن يحظى بصرى بما حظي به سمعي ورحلت اليها وأقمت خابرا بالمذاكرة والمطالبة صدعي ثم رحلت الى الموصل فالفيت مدينة عليها رونق الاندلس وفيها الطافة وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفي به الكتب ولو أن البحر مداد ثم تغلغلت الى بلاد العجم بلدا بلدا غير مقتنع بغاية ولا قاصد امدا الى أن حللت بخارى قبة الاسلام ومجمع الانام فالقيت بها عصا التسيار وعكفت على طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل وبياض النهار انتهى * وكتب اليهم أيضا من هذه الرسالة كنت وقد حصلتني السعادة وحظ الامل والارادة بحضرة بخارى قبة الاسلام * وأجابه أهله من الغرب بكلام من جملته وان كنت قد تحصنت بقبة الاسلام فقد عجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحمام وأتبعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبتم على حتى المعنى وقلتم * تعجلت فقدا قبل وقت حمام

فيلا جيلا وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من خواص وذكر علة ذلك وقد أتينا على الخبر في كتابنا في أخبار الزمان عند ذكرنا الاحجار والمغناطيس في تجاذبهم وما كان من قصاياهم في علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام وبعدهم ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب ابن ريادة على هذه الجزيرة وله في هذا الوقت رجال مرتبون لها من أصحابه وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطرى ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس بن نيقوماخس كتب الى الاسكندر بن فيلبس حين سار الى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذي يقع في الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن نيقوماخس وهي مدينة اسطاغيرا في المراكب باهاليهم في بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم في أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر

ادالم يكن حالى مهمالديكم * سواء عليكم رحلتى ومقامى

وقتل المذكور بخارى حين دخلها الططر وهو عم على بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن المذكور أخ سمى يحيى قد عانى الجندية فلما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل بخارى قال لا اله الا الله كان أبدا يسفه رأيى فى الجندية ويقول لو اتبعت طريق النجاة كما صنعت أنا لكان خيرا لك فها هو رب قد قتل شر قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وأنا ما زلت أغازى فى عباد الصليب وأخلص بما يقدر أحد أن يحسن لنفسه عاقبة انتهى * قال أبو الحسن على بن سعيد ثم ان يحيى المذكور بعد خوضه فى الحروب صرعه فى طريقه غلام كان يخدمه فذبحه على بردمن المال أخذه فانظر الى تقلب الاحوال كيف يجرى فى أنواع الامور لا على بعدو لا احتياط انتهى * ومن شعر أبى القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به بعض الاشراف بخارى وقد أهدى اليه فاختة مع زوجه

أياسيد الاشراف لازلت عاليا * معاليك تنبو الدهر عن كل ناعت
من الفضل اقبال على ما بعثته * لمغنائك من شاد دعوه بفاخت
الاجبذا من فاخت سادجنسه * وأصبح منزوبا بست الفواخت
لئن فاتنى منه الانيس فكل ما * يحل الى عليائك ليس بفائت انتهى

(ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن على بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبى الانصارى المعروف بابن العائد) نزيل رباط الصاحب الصفى بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سميت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين يعنى عدد حدها وأنشد له

عدلنا ولانا على فعله * ولمناه فى شربه للعجوز
فقال دعونى من أجلها * أنا لى أنا وأخى والعجوز

(ومنهم الشيخ الفاضل المتفنن أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصارى) الشاطبى الاصل البلنسى المولد فى أحد ربيعى سنة احدى وستمائة ولقبه المشارقة برضى الدين وتوفى بالقاهرة فى جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رحمه الله تعالى ومن نظمه لما حضر أجله وقد أمر خادمه أن ينظف له بيته وأن يغلق عليه الباب ويتفقده بعد زمان ففعل ذلك فلما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب فى رقعة

حان الرحيل فودع الدار التى * ما كان ساكنها بها بمخلد
واضرع الى الملك الجواد وقل له * عبد ببابك الجود أصبح يجتدى
لم يرض غير الله معبودا ولا * دينا سوى دين النبى محمد

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أقول لنفسى حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
ترى تحملى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

أنشده له تلميذه أبو حيان امام عصره فى اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبى الربيع بن سالم و كتب على صحاح الجوهرى وغيره حواشى فى مجلدات وأثنى عليه تلميذه أبو حيان رحم الله تعالى الجميع

يعظون اسابهم ثم بداخلهم فى أنسابهم روم ولا غرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم فى هذا الوقت تاوى اليهم بوارج لهذا الدين يعبثون على المسلمين فى هذه البوارج وهى المراكب على من أراد الصين والهند وبه هذا كانت قطع الروم فى الشوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشام ومصر ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة اخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير فقد اتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا واما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن فى المغرب مثل ار غاوة والكركر والعرا قروم ومدة والمرويين والمديين واللالاه والعرماطن وزو يله والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من أنواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد اتينا على ذكر جميع اجناس السودان وانواعهم وما كانهم ومواضعها من الفلك ولاى علة تفلفلت شعورهم واسودت الوانهم وغير ذلك من اخبارهم

ومن فوائده قوله نقلت من خط أبى الوليد بن خيرة الحافظ القرطبى فى فهرست أبى بكر بن مفوز قد أدركته بسنى ولم آخذ عنه واجتمعت به أنشدنى له أبو القاسم بن الابرش يخاطب بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الظاهرى

يا من تعنى أمورا لن يعانيها * خل التعانى وأعط القوس باريها
تروى الاحاديث عن كل مسامحة * وانما لمعانيها معانيها

وقد سبق فى ترجمة القاضى أبى الوليد الباجى ذكر هذين البيتين عند ما جرى ما ذكر ابن حزم قال وانما قال هذا الشعر فى ذكر رواية ادعيت عن قول النبى صلى الله عليه وسلم ان خالدا قد احتبس أدراعه وأعتده فى سبيل الله وصحح رواية من روى أعبده جمع عبد وعلل رواية من روى اعتده بالتاء مثناة باثنتين من فوق جمع عتد وهو الفرس قال ابن خيرة الاحاطة ممتنعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الاثبات والعلماء المحدثين فهو انكار غير معروف والله تعالى أعلم * ومن فوائده ما نقله تلميذه ابو حيان النحوى عنه قال انشدنا المعرى ونقلته من خطه

اذا ما شئت معرفة * لما حار الورى فيه
فخذ خمسا لاربعة * ودع للثوب راقيه

وهو لغز فى ورد قال وانشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزمة ضمنت لى * سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبى تقول لا بد منه

قال وانشدنا لغيره

وكان غريب الحسن قبل التحائه * فلما التحى صار الغريب المصنفا

وانشد لغيره

طب على الوحدة نفسا * وارض بالوحشة انسا
ما عليها من يساوى * حين يستخبر فلسا

وقرأ الرضى ببلده على ابن صاحب الصلاة آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للدانى وسمع بمصر من ابن المقير وجماعة وروى عنه الحافظ المزى واليونينى والظاهرى وآخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول أحرف اللغة على قسمين قسم اعرف معناه وشواهده وقسم اعرف كيف انطق به فقط رحمه الله تعالى * ومن فوائد الرضى الشاطبى المذكور ما ذكره ابو حيان فى البحر قال وهو من غريب ما انشدنا الامام اللغوى رضى الدين ابو عبد الله محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى لزينب بنت اسحق النصرانى الرسعنى

عدى وتيم لا احاول ذكرهم * بسوء ولكنى محب لهاشم
وما يعترينى فى على ورهطه * اذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم انى لاحسب حبهم * سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

ترك ايراده فيه ولا تعريته منه (قال المسعودى) وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح عمرو ابن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق وأبى عمرو ابن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر وولى عبد الله بن سعد فصالحهم على رؤس من السبى معلومة مما يسبى هذا الملك المذكور أولا منهم من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو بملك مريس وغيرها من أرض النوبة فصار ما قبض منهم من السبى سنة جارية فى كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبى فى العربية بارض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا واراه وسم على عدد أيام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللامير غير ما ذكرنا من عدد السبى أربعون رأسا ولخليفته المقيم ببلاد اسوان المجاوره

لارض النوبة وهو المتولى لقبض هذا البقط وهو السبى عشرون رأسا غير الاربعين ولحاكم المقيم

ومن نظم الرضى المذكور

مغص العيش لا ياوى الى دعة * من كان فى بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى بلاد ولا سكنى الى احد

وله

لولا بناتى وسيئاتى * لطرت شوقا الى الممات

لاننى فى جوار قوم * بغضنى قربهم حياتى

وقرأ عليه ابو حيان كتاب التيسير وأثنى عليه ولما توفى انشد ارتجالا

نعى لى الرضى فقلت لقد * نعى لى شيخ العلا والادب

من للغات ومن للثقات * ومن للنحاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار * وان غؤور البحار العجب

فقدس من عالم عامل * اثار لشجوى لما ذهب

وتحاكم الى رضى الدين المذكور الجزار والسراج الوراق ايهما أشعر وأرسل اليه الجزار شيأ فقال هذا شعر جزل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فارسل اليه شيأ فقال هذا شعر سلس وآخر الامر قال ما أحكم بينكما رحمه الله تعالى * قلت رأيت بخطه كتبا كثيرة بعصر وحواشى مفيدة فى اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله تعالى * (ومنهم حميد الزاهد وهو الاديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبى محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الانصارى القرطبى نزيل مالقه) قال الرضى الشاطبى المذكور قريبا أنشدنى حميد بالقاهرة لابيه أبى محمد وقد تأخر شيبه مع علو سنه

وهل نافعى أن اخطأ الشيب مفرقى * وقد شاب أترابى وشاب لداتى

اذا كان خط الشيب يوجد عنده * بتربى فمعناه يقوم بذاتى

واللدات من ولد معه فى زمان واحد انتهى وفى ذكرى أنه قال هذين البيتين لما قال له القاضى عياض شبنا ولم تشب وقال الرضى أيضا انشدنى حميد لابيه فيمن يكتب فى الورق بالقص وهو غريب

وكاتب وشى طرسه حبره * لم يشها حبره ولا قلمه

لكن بعقراضه ينمنمها * نمنمة الرص وجاده رهمه

يوجد بالقطع أحرفا عدمت * فاعجب لشئ وجوده عدمه

والرهم المطر قال وتوفى حميد الزاهد هذا بمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء وصلى عليه خارج مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبى بكر محمد الخزرجى الذى يدفن الرصاص حذاء رجليه فى الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ومولده سنة ست وستمائة انتهى *(ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقى) من اهل بلنسية واصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الامراء بشرق الاندلس وله تاليف سماه المغرب فى أخبار محاسن أهل المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ولاثنى عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبى على حسب ما جرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء المعاهدة بين المسلمين والنوبة والموضع الذى يسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة فى الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة فى هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التى فى الجزائر بين رحبة مالك بن طوق وبين الرقة وناوسة وعانة والحديثة وفى مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير فى كلا الشطين وهذه المدينة اليها ينتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من نحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش

بالديار المصرية بعد أن رحل الى أمير الاندلس سنة ستين وخمسمائة وبها توفى فى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم محمد بن عبد الرحمن ابن على بن محمد التجيبى يكنى أبا عبد الله من أهل اشبيلية) تجول فى بلاد الاندلس طالبا للعلم ثم حج ولقى الحافظ السلفى وغيره واستوطن تلمسان وبها توفى فى جمادى الاولى سنة عشر وستمائة وله تواليف كثيرة (ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمى الباجى) من أهل اشبيلية ولى القضاء بها وأصله من باجه افريقية دخل المشرق لاداء الفرض بسنة حج وتوفى بمصر بعد مادخل الشام فى اليوم الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة (ومنهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمرى) من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب سماه الوجازة فى صحة القول بالاجازة وله رحلة لقى فيها ألف شيخ محدث وفقيه توفى بالدينور سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة يروى عنه أبو ذر الهروى وعبد الغنى الحافظ وكفاه فخرا بهذين الامامين العظيمين رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعينى الرندى يكنى أبا محمد) استوطن مالقة ورحل الى المشرق وحج ولقى جماعة من العلماء وقفل الى المغرب أواخر عام واحد وثلاثين وستمائة وولى الامامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفى فى ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولقب فى المشرق برشيد الدين وولد فى ربيع الاول سنة احدى وثمانين وخمسمائة بقرية من قرى الاندلس يقال لها بلمالتين كورة بشتبرذ كر ذلك ابن المستوفى فى تاريخ اربل * (ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد اليميى) من أهل الاندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل ومن شعره رحمه الله تعالى قوله

لولا تحدثه بآية سحره * ما كنت ممتثلا شريعة أمره
رشأ أصدقه وكاذب وعده * يبدى لعاشقه أدلة عذره
ظهرت نبوة حسنه فى فترة * من جفنه وضلالة من شعره

(ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبى) رحل حاجا فلقى ببجاية عبد الحق الاشبيلى وبالاسكندرية أبا الطاهر بن عوف ولقى غير واحد فى رحلته كالغزنوى وأبى الثناء الحرانى وأبى الحسين الحريثى وللعريشى أحاديث ساوى بها البخارى ومسلما ولقى جماعة ممن شارك السلفى فى شيوخه (ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحله) وهو من ولد ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانه أندلسى شاطبى بلنسى مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل فى مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبى عبد الله الاصيلى وأبى الحسن بن أبى العيش وأخذ عنه القراآت وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم فى صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصنا نضرا من أحد بساتينها فذوى فى يده

لا تغترب عن وطن * واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا * مافارق الاصل ذوى

ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ٧ . ٥ ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من الثال والفسيل وهو النخل الصغير وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح وليس باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بارض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكر واعنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم واعا ملكهم على هذه الضياع ملك العبيد العاملين فيها فرد المامون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملوكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الجندي

يا من حواه الدين في عصره * صدرا يحل العلم منه فؤاد
ماذا ترى سيدنا المرتضى * في زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغي منه سوى أحرف * يعتدها أشرف ذخر يفاد
ترسمها أنمله مثل ما * تحوك زهر الروض كف العهاد
في رقعة كالصبح أهدى لها * يد المعالي مسك ليل المداد
اجازة يورثنيها العلا * جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر حديثا لها * والشكر للامجاد أسنى عتاد

فاجابه الصدر الجندي

لك الله من خاطب خلتي * ومن قابس يجتدي سقط زندي
اجزت له ما أجازوه لي * وما حدثوه وما صح عندي
وكاتب هذي السطور التي * تراهن عبد اللطيف الجندي

ورافق ابن جبير في هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من أبي الطاهر الخشوعي وأجازلهما أبو محمد بن أبي عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعا الى المغرب فسمع كل منهما بعض ما كان عندهما وكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة في فنون العلم ومنهم السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية وتوفي أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين في سنه رحمه الله تعالى (رجع الى ابن جبير) قال لسان الدين في حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت في السلطان الناصر صلاح الدين بن ايوب له قصيدتان احداهما أولها

أطلت على أفقك الزاهر * سعود من الفلك الدائر

ومنها

رفعت مغارم مكس الحجاز * بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد * فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة * على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد * وكم لك بالغرب من شاكر

والاخرى منها في الشكوى من ابن شكر الذي كان أخذ المكس من الناس في الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاحا * وقد نالته مصر والشآم

ومن شعره

احلاء هذا الزمان الخؤون * توالت عليهم حروف العلل
قضيت التعجب من بابهم * فصرت أطالع باب البدل

تسييد الملك بكم وأموالكم لدفعهن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما

أوهموه عليه من هذا المعنى في البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضيع بارض النوبة من الاقدمين ومن ديار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بالادمرين ومعدن الزمرد في عمل الصعيد الاعلى من أعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة مفازة وجبال والنجبة تحمي هذا المكان المعروف بالخربة واليها يؤدي الخفارات من يرد الى حفر الزمرد والزمرد الذي يقتلع من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثاني يدعى بالبحري ومعناهم في هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزنج والصين ترغب في هذا النوع من

وقوله

وقوله

غريب تذكر أوطانه * فهيج بالذكر أشجانه
يحل عراصره الاسى * ويعقد بالنجم أجفانه

انتهى

وقال رحمه الله تعالى لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا ومهابة وتعظيما

بدت لى أعلام بيت الهدى * بمكة والنور باد عليه
فاحرمت شوقا له بالهوى * وأهديت قلبى هديا اليه

وقوله يخاطب من أهدى اليه موزا

يامهدى الموز تبقى * وميسمه للشفاء
وزايه عن قريب * لمن يعاديك ناء

وقال رحمه الله تعالى

قد ظهرت فى عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدى فى الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر

وقال

ياوحشتا للاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه

وقال

ضلت بافعالها الشنيعه * طائفة عن هدى الشريعه
ليست ترى فاعلا حكيما * يفعل شيأ سوى الطبيعه

وكان انفصاله رحمه الله تعالى من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذى القعدة الحرام من السنة م وكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندرانى فى الحادى والثلاثين وحج رحمه الله تعالى وتجول فى البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله تعالى كما قال ابن الرقيق من أعلام العلماء العارفين بالله كتب فى أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده اليه بكاس فاظهر الانقباض وقال ياسيدى ماشربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما رأى العزيمة شرب سبعا فملأ له السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره فحمله الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب الى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج فى تلك السنة فاسعفه وباع ملكا له تزوده وأنفق تلك الدنانير فى سبيل البر ومن شعره فى جارية تركها بغرناطة

طول اغتراب وبرح شوق * لا صبر والله لى عليه
اليك أشكو والذى الاقى * ياخير من يشتكى اليه
ولى بغرناطة حبيب * قد غلق الرهن فى يديه

فسمى البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المراتب فى الجودة ونشبه حسن به بالاول والماء اكتداح وورق الآس الذى يظهر فى أوائل أغصان الآس وأطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم فى هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والتوكير والاندلس والجلالقة والوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصلين بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ماذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والسند فى النوع المعروف بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة وتحليه الوصف بهذه الانواع الاربعة فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا سلم مما ذكرنا كان فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وفى جارته ما يبلغ

ودعته وهو بارتحاض * يقهـر لى بعض ماالديه

فلونرى طل نرجسيه * ينهل فى ورد وجنتيه

أبصرت دراء لى عتيق * من دمعه فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بايدى الناس ولما وصل بغداد تذكر بلاده فقال

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب انتهى

وقال فى رحلته فى حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المونق المشرق هى خاتمة بلاد الاسلام التى استقريناها وعروس المدن التى اجتليناها التى قد تحلت بازاهر الرياحين وتجلت فى حلل سندسية وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتزينت فى منصتها أجمل تزيين وتشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل قد سئمت أرضها كثرة الما حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت بها البساتين احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظة بجهاتها الاربع نظرته اليانعة قيد النظر ولله صدق القائلين فيها ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها

* قال العلامة ابن جابر الوادى آشى بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق مانصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها اقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة وما وصف ذهبات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا ازمان فصولها المنوعات ولا أوقات سرورها المهنآت ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين انتهى *(رجع الى كلام ابن جبير)*

فنقول ثم ذكر فى وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب شانه أنه لاتنسج به العنكبوت ولاتدخله ولاتلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس فى وصف الجامع ومابه من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق مانصه وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمى بازين مصورين من صفر قائمين على طاسى صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الابواب والثانى تحت آخرها والطاسان منقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين فى الطاسين يسمع لهما دوى ويتغلق الباب الذى هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لاتزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضى الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل

نحسه المنا قيل فى الوزن الى أن ينتهى الى حد العدسة فى المقدار فيدخل ذلك فى النظم من المخانق وغيرها وآفات هذا الجوهر المنوع كثيرة منها [illegible] السم والحجارة [illegible] روق [illegible] هذا الجوهر ونوجد [illegible] ولا [illegible] دوى الدراية [illegible] هذا الجوهر و[illegible] معرفته أن الحيات والافاعى وسائر أنواع الحيات من الثعابين [illegible] رها اذا أبصرت الزبرجد الخالص [illegible] أحداقها وأن الملسوع اذا سقى من الزبرجد الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سرى السم فى جسده ولا يوجد شئ من أنواع الحيات بقرب من معدنه وأرضه وهو حجر لين رخو ينكسر اذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شان هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة وخفته فى الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكثر مايوجد من هذه الانواع [illegible] فى الارض وهو [illegible] فيه اذا سلم من الاعوجاج والنقص واستقام سلكه واستطال مااستدار وأدناه ماتحل فى معدنه من التراب والتقط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض فى هذا المعدن فى وهاده وجباله

تدبيراً آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من
النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله
خلف منها الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار
الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها ولاحت
للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها
وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف
الصنج الى موضعها وهي التي تسميها الناس المنجانة انتهى المقصود منه قلت كل ما ذكر
رحمه الله تعالى في وصف دمشق الشام وأهلها فهو في نفس الامر يسير ومن دار وم شاهدها
الى اذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير وقد أطنب الناس فيها وما بقي أكثر مما ذكروه
وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة وأقمت بها الى أوائل شوال من
السنة وارتحلت عنها الى مصر وقد تركت القلب فيها رهنا وملك هواها مني فكرا وذهنا
فكأنها بلدي التي بها ربيت وقراري الذي لي به أهل وبيت لان أهلها عاملوني بما ليس
لي بشكره يدان وها أنا الى هذا التاريخ لا ارتاح لغيرها من البلدان ولا يشوقني ذكر
أرض بابل ولا بغدان فالله سبحانه وتعالى يعطر منها بالعافية الاردان *وقد عن لي أن
أذكر جملة مما قيل فيها من الامداح الرائقة وأسرد ما خاطبني به أهلها من القصائد
الفائقة فأقول قال البدر بن حبيب

يمم دمشق ومل الى غربيها * والمح محاسن حسن جامع بلغا
من قال من حسد رأيت نظيره * بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع

لله ما أحلى محاسن جلق * ووجوهها اللاتي تروق وتعذب
بيزيد ربوتها الفرات وجنكها * يا صاح كم كنا نخوض ونلعب

وقال فيه أيضا

لله ما أجمل وصف جلق * وما حوى جامعها المنفرد
قد أطرب الناس بصوت صيته * وكيف لا يطرب وهو معبد

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا في غير جامع جلق * هل يستوي الممنوع والممنوح
أقصر عنانك وفي غلوك لا ترد * ان الزيادة بابها مفتوح

وقال في منارته المعروفة بالعروس

معبد الشام يجمع الناس طرا * واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت * فيه تجلى على الدوام العروس

ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد عابثا * في صرفه المال وبذل جهده
لكنه أحرز ملك معبد * لا ينبغي لأحد من بعده

وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه وهو المغربي والاصم المقدم ذكرهما ووجد بمعدن من أرض
الهند من بلاد سفدان وبحر
كنبايت من مملكة البلهرا
صاحب المانكور المقدم ذكره
فيما سلف من هذا
الكتاب نوع من الزمرد
يلحق بوصف ما ذكرنا من
النور والخضرة والشعاع
الا أنه غير صاف السنخ
مما وصفنا أولا مما ذكرنا
ولا فرق بين هذا النوع
المحمول من أرض الهند
وبين الانواع الاربعة
المقدم ذكرها الا دوراية
فطن أو ماهر ظريف وهذا
النوع الهندي يعرفه
أصحاب الجوهر بالمكي لانه
يحمل من أرض الهند الى
بلاد عدن وغيرها من
سواحل اليمن ويؤتى به
مكة فاشتهر بهذا الاسم لما
وصفناه بهذا النعت لما
ذكرناه وقد أتينا على مبسوط
أخبار الجواهر الثمينة
وغيرها ووصف معادنها
على الشرح والايضاح في
كتابنا في أخبار الزمان
ووجدت جماعة بمصر
من ذوي الدراية ممن
اتصل معرفته بهذا المعدن
وعرف هذا النوع من الجوهر
الذي هو الزمرد يخبرون
أن هذا الزمرد يكثر في
فصول من السنة وفي نوع
من مواد الهواء وهبوب نوع
من الرياح الاربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النوري في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر وامتلائه واختلاف من

ومن أبيات فى آخره

بجامع جلق رب الزعامه * أقم تلق العنايه والكرامه
ويمم نحوه فى كل وقت * وصل به تصل دارا لاقامه
مصلى فيه للرحمن ذكر * ومثوى للقبول به علامه
محل كمل البارى حلاه * وبيت أبدع البارى نظامه
دمشق لم تزل للشام وجها * ومسجدها الوجه الشام شامه
وبين معابد الآفاق طرا * له أمر الاماره والامامه
ادام الله بهجته وأبقى * محاسنه الى يوم القيامة انتهى

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه ومن قصيدة القاضى المهذب بن الزبير

بالله يا ريح الشمال اذا اشتملت الريد بردا
وجلت من طرف الحرا * مى ما اغتدى للعين نقدا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
حلات صفحته وجهه * حتى اكتسى آسا وورد
وكأنما ألقيت فيه منه ماصدعا وخدا
مرى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكسر متنه الازهار عمدا
فنلته أنفاس النسيم عزهن ولا يس بصدا

ومنها

أحبابنا ما بالكم * فيا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم وحر * مة أصلكم ما خنت عهدا

وقال الكمال الشريشى

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبى بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا ومصت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بالنيربين ضحى * والغيم يبكى ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتى التى ذهبت * لى فيه فهى لعمرى عندى العمر
سقاك بالسفح سفح الدمع منهمرا * وقل ذلك له ان أعوز المطر

*(وحكى ابن سعيد وغيره) أن غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد أطل عليها جبل

أنواع الكبريت بكثرة فى معدنه فى السنة التى يكثر برقها وتشتد رواعدها على حسب ما اخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن الكور من بلاد فيض ورة وغيرهم من أرض الهدايه تكثر فى السنة التى تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق ولزيان الكثار خاطب نيل والايجاز لحنه رالة روحى صرح عن ضمير والبلاغه ايضاح بالحوار لاسهب فى هذا الباب وبين هذا الموضع المعروف بالحزبة الذى فيه معدن هذا النوع من الجوهر وهو الزمرذ وبين ما اتصل به من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهى قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة للنيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين والمدينتين قفط وقوص أخبار عجيبة فى بدء عمرانهما وما كان فى أيام الانقباط من أخبارهما الا ان مدينة قفط فى هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس فيها أكثر بوادى البجه المسالكة لهذا المعدن معدن الزمرذ وتتصل ديارها بالعلاقى وهى معدن الذهب على حسب ما قدمنا فى هذا الباب وبين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقى ما انهل

الثلج وفي ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يادمشق الغرب هاتيك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري * وهي تنصب اليها

قال ابن سعيد أشار ابن جبير الى ان غرناطة في مكان مشرف وعوطها تحتها تجري فيها الانهار ودمشق في وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى في وصف الجنة تجري من تحتها الانهار انتهى * وقال الصفدي في تذكرته أنشدني المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى في شعبان المكرم سنة ٧٣٣

تصدت مصر من تباجلو * بهم تجري بحسن تبري
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عيني المغربي

وأنشد لنفسه أيضا

خلفت بالشام حبيبي وقد * يممت مصرا لعناطارق
والارض قد طالت فلا تبعدي * بالله يا مصر على العاشق

وأنشد لنفسه أيضا

ياأهل مصر أنتم للعلا * كواكب الاحسان والفضل
لولم تكونوا في سعود السما * وافيتكم أضرب في الرمل انتهى

وذكرته برمته لحسن مغزاه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الطهر الحنفي الاربلي

لعل سنا برق الحمى يتألق * على النأي أو طيفا الاسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمرتقب ولا * وعود الاماني الكواذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدني لنازح * من الشام عرفا كاللطيمة يعبق
ديار قضينا العيش فيها منعما * وأياما تحنو علينا وتشفق
سحبنا بها برد الشباب وشربنا * لدينا كما شئنا نذم روق
مواطن فيها للهموم سهمي وطله * تحب مطايا اللهو فيه وتعنق
جلا جانبيه معلم متجعد * من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت متنه فهو مذهب * وان حجبها دوحه فهو أزرق
وان فرح الاوراق جادت بنورها * فرقم اجادته الا كف منمق
يظل عليه فاستيوت كانه * غمام معلى أو نعام معلق
سافرعنه الشمس قبل غروبها * وترجف اجلالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كانها * محب من البين المشتت مشفق
وفي النيرب الميمون للب سالب * من المنظر الزاهي وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم روائع * تأنق فيها المحدث المتأنق
رياض كوشي للبرود يشقها * جداولها فالنور بالماء يشرق

ومنها يعتمد العلاقي والنوبة تسلمه واليهما وفوا لهما مدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودي) واما بلاد الواحات وهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الحبشة من النوبة وبينهم سدد كرنا جملا من أخبارها وكيفية العمران بها والخواص في أرضها فيما سلف من كتبنا ولها أرض شبية وزاجية وعيون حامضة ونحو ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك ابن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مرواني المذهب ويركب في ألوف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ماذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من أخبار بلادهم وما احتجت أن أعلمه من

من نرجس يخشى فراق نريفه * ترى الدمع فى أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مفـــم وزائر : يصافح رياه الرياض فتعبق
كأن قدود السروفيه مواشيا * قدود عذارى ميلها مترفق
اذا ما تبدت للشقائق صدها * عيون من النور المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه * الى النسر نسر فى السماء معلق
وكم جدول جار يطارد جدولا * وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة ... * ...
... * ...
وفى الربوة العلياء للعاشقين ... : ولاهم مسلاه وللعين مرمق
عروس جلاها الدهر فوق منصة * من الدهر والاعصار ترمى وترمق
يهيم بها الوادى وفاضت عيونه * فكل قرار منه بالدمع يشرق
فكم من دون الجداول شربها : تريد تصفيه لها وتروق

وقال أبو تمام فى دمشق

لولا حداثتها وأنى لا أرى * عرشا هنالك ظننتها بلقيسا
وأرى الزمان غدا عليك بوجهه : جذلان بساما وكان عبوسا
قد بورت تلك البطون وقدست * تلك الظهور وقدست تقديسا

وقال البحترى

أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملأت العين من بلد : مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على أجبالها فرقا * ويصبح النور فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته * أو الربيع دنا من بعدما بعدا

وفى دمشق يقول بعضهم

مررت دمشق زائرا أوطانها * من كل بادية بوجه أزهر
لو أن انسانا يمد أن يرى * معنى حلا من زهرة لم يعذر

وقال العيراطى فى قصيدته التى أولها للصب بعدك حالة لا تعجب

لله ليل كالنهار قطعته * بالوصل لا أخشى به ما يرهب
وركبت منه الى التصابى أدهما * من قبل أن يبدو اصباح أشهب
أيام لا ماء الخدود يشوبه : كدر العذار ولا عذارا شيب
كم فى مجال اللهو لى من جولة * أصحبت يرقص بالشباب ويطرب
وأتت للندماء سوق خلاعة : تجبى المجون الى فيه وتجلب
ودكرت فى معنى دمشق معشرا * أم الزمان بمثلهم لا تنجب
لا يسأل القصاد عن ناديهم : لكن يدلهم الثناء الطيب

خواص أرضهم وكذلك الرجل بما بارضهم من الشب وأنواع الراح وما يحمل من بلادهم ... بأرضهم من أنواع العيون الحامضة وغير ذلك من المياه ... الصعوم وقد ... ان ... المواضع ... وما ... ماؤها ... وذكر الموضع ... يتبع منها العيون المرة وان قوة ... فى المرارة لا يخالف شيئا لا مرود ان العلة فى اختلاف هذه الطعوم فى المياه ان الارض اختلفه مثل موضع الشب والمواضع النار والرماديه وذكر الاضعمة التى ببلاد ... مد كرها اذا خالطت الماء ... صعوما مختلفة ... على ... احلاوها وأعداد طعومها وأعداد الطعوم ثمانيه منها العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريف وقد ... من الناس ... ذكر ما ... من ... ان أعدادها ... ومنهم من ذهب الى ... وأكثر من قال فى أعدادها ... ذكر ... غيره وقد قال من سلف ... المياه ... يختلف من ذلك ان العذ... وان كان ... يعمل من داخل ومن خارج فانه ينقى الجسد

قوم بحسن صفاتهم وفعالهم ❊ قد جاء يعتذر الزمان المذنب

يا من لحران الفؤاد وطرفه ❊ بدمشق أدمعه غدت تنسكب

اشتاق في وادي دمشق معهدا ❊ كل الجمال الى حماه ينسب

ما فيه الا روضة أو جوسق ❊ أو جدول أو بلبل أو ربرب

وكأن ذاك النهر فيه معصم ❊ بيد النسيم منقش ومكتب

واذا تكسر ماؤه أبصرته ❊ في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت ❊ بغنائها من عاش وهو المطرب

فالورق ينشد والنسيم مشبب ❊ والنهر يسقي والحدائق تشرب

وضياعها ضاع النسيم بها فكم ❊ أضحى له من بين روض مطلب

وحلت بقلبي من عساكر حسنه ❊ فبها الارباب الخلاعة ملعب

ولكم رقصت على السماع بجنكها ❊ وغدا بربوتها اللسان يشبب

هذي أرور معالما أبوابها ❊ سماحها كتب السماح تبوب

وقال الصفي الحلي عند نزوله بدمشق معارضا القصيدة السموأل بالحماسة

تبجح من خافت عن الرزق أرضه ❊ وعيل البلا رحب الله وعرضه

ولم يبل سربال الدجى فيه ركضه ❊ اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها ❊ ويغل من النفس النفيسة سومها

أضيع ولم يأمن معاليه لومها ❊ وان هو لم يحمل على النفس ضيمها

فليس الى حسن الثناء سبيل

رفعنا على هام السماك محلنا ❊ فلا ملك الا تغشاه ظلنا

لقد هاب جيش الاكثرين أقلنا ❊ ولا قل من كانت بقاياه مثلنا

شباب تسامى للعلا وكهول

يوازي الجبال الراسيات وقارنا ❊ وتبنى على هام المجرة دارنا

ويأمن من صرف الزمان جوارنا ❊ وما ضرنا أنا قليل وجارنا

عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت أموره ❊ لنا وحبانا ملكه ووزيره

وبالنيرب الاعلى الذي عز طوره ❊ لنا جبل يحتله من نجيره

منيع يرد الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلال شعابه ❊ وتحدق شهب الافق حول هضابه

ويقصر خطو السحب دون ارتكابه ❊ رسا أصله تحت الثرى وسما به

الى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشقراء قد فاض نهره ❊ وفاق على فخر الكواكب فخره

وقد شاع ما بين البرية شكره ❊ هو الابلق الفرد الذي سار ذكره

وان استعمل اكثر مما يحتاج اليه فانه يرخي الاعضاء ويضعفها وان الماء البارد يشد الاعضاء ويقطع العطش وان الزيادة منه تبرد الجسد وتدبغه وان الماء الاجاج ينفع من سدد الكبد الطحال وان الماء الكبريتي ينفع الجراحات والقروح العتيقة والحكة والزيتي نافع للحكة والجرب وان ماء الصفار نافع من اوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من الاسترخاء في الاحشاء وما يعرض من الاوعية وماء النحاس نافع من الرطوبة والبلة الحادثة في الفم والرأس وماء الجص يشبع المعدة ويقبضها ويكربها وماء الزاج يحبس الدم وماء القير نافع من البرص وقد ذكر جماعة أنه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز وله في البصر ايعاب فظيع وان انجح المياه للاجساد الابيض البراق الذي يخرج من جبال الصين من مشرق الشمس ويسير بها السابل بسرعة ما يرد اليه من الحر والبرد والناس فيما ذكرنا كلام كثير في أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها ليس كتابنا هذا موضعه والله تعالى أعلم بما الكلام الى ذكرها

وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ما ذكرناه من بلاد الاحباش ما كان من غير بني الهمن وحده والحار مما يليه

يعز على من رامه و يطول

اذا ماغضبنا فى رضا المجد غضبة * لندرك ثارا أو لنبلغ رتبة
نزيد غداة الكر فى الموت رغبة * وانا القوم لانرى الموت سبة
اذا مارأته عامر وسلول

وكتب الشيخ محب الدين الحموى ترجمة للشيخ اسمعيل النابلسى شيخ الاسلام من مصر

لواء التهانى بالمسرة يخفق * وشمس المعالى فى سما الفضل تشرق
وسعد واقبال ومجد مخيم * وأيام عز بالوفا تتفلق
فيا أيها المولى الذى جل قدره * ويا أيها الحبر اللبيب المدقق
أرى الشام مذ فارقتها زال نورها * وثوب بهاها والنضارة يخلق
اذا غبت عنها غاب عنها جمالها * ونفس بدون الروح لاتتحقق
وان عدت فيها عاد فيها كمالها * وصار عليها من بهائك رونق
فيا ساكنى وادى دمشق مزاركم * بعيد وباب الوصل دونى مغلق
وليس على هذا النوى لى طاقة * فهل من قيود البين والبعد أطلق
وانى الى أخباركم متشوف * وانى الى لقيا كم متشوق
أو داذاهب النسيم لنحوكم * بأنى فى أذياله أتعلق
وأصبو لذكراكم اذا هبت الصبا * لعلى من أخباركم أتنشق
ولى أنة أودت بجسمى ولوعة * ونار جوى من حرها أتقلق
تحنوا على المضنى الذى ثوب صبره * اذا مسه ذيل الهوى يتمزق
غريب باقصى مصر أضحت دياره * ولكن قلبى بالشام معلق
وقد نسخ التبريح جسمى فهل الى * غبار ثرى اعتاب وصل يحقق
فياليت شعرى هل أفوز بروضة * وفيها عيون النرجس الغض تحدق
وأنظر واديها وأدنو لربوة * وماء معين حولنا يتدفق
ويحلو لى العيش الذى مر صفوه * وهل عائد ذاك النعيم المروق
وأنظر ذاك الجامع الفرد مرة * وفى صحنه تلك الحلاوة تشرق
وأصحابنا فيه نجوم زواهر * ونور محيا وجههم يتألق
فلا برحوا فى نعمة وسعادة * وعز ومجد شاوه ليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لوسرى * وعليهم لوساعدونى بالكرى
جنحوا الى قول الوشاة وأعرضوا * والله يعلم أن ذلك مفترى
يامعرضا عنى بغير جناية * الا لما نقل العذول وزورا
هبنى أسأت كما تقول وتفترى * وأتيت فى حبيك شيأ منكرا
ما بعد بعدك والصدود عقوبة * ياهاجرى ما آن لى أن تغفرا
لاتجمعن على عتبك والنوى * حسب المحب عقوبة أن يهجرا

و كذلك ماعليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت الى عدن فبلاد لاخصب لاهله فيه ولا يحمل من ارضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهندوان كان الماء متصلا وليس فى البحار ومماذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشى اصعب ولا اكثر جبالا ولا اسهك رائحة ولا اقحط ولا اقل خيرا فى بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشى تقطعه المراكب فى ابان سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل ارست فى مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره فى شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين فى قعره اللؤلؤ وفى جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعى وفى افواه دوابه العاج وفى منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود واشجار الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر

عبء الصدود أخف من عبء النوى * لو كان لي في الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق وواديها والحمى * متواصل الارهام منفصم العرا
حتى يرى وجه الرياض بعارض * أحوى وفود الدوح أزهر نيرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج * ورمال كاظمة ولا وادي القرى
أرض إذا مرت بها ريح الصبا * حملت على الأغصان مسكا أذفرا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وابن عنين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الأعراض عفا الله تعالى عنه فمن ذلك قوله

أرح من برح ماء البئر يوما * فقد أوصى إلى نعسوني
مر القاضي بوضع يديه فيه * وقد أضحى كراسي زيرتي

يعني أقرع وسبب قوله البيتين أن المعظم أمر برحه بقلعة دمشق فأبى إياهم ذلك ومن هجوه قوله

شكا شعري إلي وقال تهجو * عثلي عرض ذا الكلب اللئيم
فقلت له تسل فرب نجم * هوى في إثر شيطان رجيم

وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن المحمل وتخلف

إذا ما دام فعل البوق يوما * فإني شاكر فعل البياق
أراد الله بالحجاج خيرا * فنحط عنهم أهل النفاق

وقال

وراحل سرت في ركب أودعه * سارك الله ما أحلى تلاحينا
جئنا إلى بابه لاحين نسأله * وليتنا عاقنا موت ولا جينا
راجين نسأل ميتا لا حراك به * مثل النصارى إلى الأصنام لاجينا

وقال

وصلات مثل رقعة أم أمتي * صيرت صبري الجميل قليلا
كنهار المصيف حرا وكرما * وكليل الشتاء بردا وطولا

وأول مقراض الأعراض قوله

أضالع تنطوي على كرب * ومقلة مسهلها العرب
شوقا إلى ساكني دمشق فلا * عدت رباها مواطر السحب
مواطن مادعا توطنها * الأولي نداءها لبي

ثم ذكر من المعوماتصم عنه الأذان وهو القائل في دمشق

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يا مقرى على ظليل
وهل أرين بعد ما شطت النوى * ولي في دراريض هناك مقيل

ومنها

صورها وأسماء الأجهاني السعد والألم ومما يحصرون دفعا منه كبرا وجريرا وأرض الهند الرب كما شاهد كثيرة بأرض الإسلام كالسور وأكثر ما يحكى من جموعها الطب الغ وهي من البلاد وهو نوع من الطب نحن بالصفرة وأن من السنة من جواه الهند رض الهند وقيل ما من العراق وإنما هو كالملك والهندوا على طهورها هذا الطب في النسل من الرمان الذي يكون متشاحدة وتخلط على عقص أزهارها الطيبة ويكون أحد لي فيها المستطرف عند والذي تسمعه ملوكها وجوارها لسرور من المسبح من طيب الرائحة والعطر الذي فدفاق على سائر الطب وما يؤثر في الإنسان مدخ منه إياه وأصحابه من طهور النساء من الرجال والنساء والطلب للماء والاحتلام والطرب والنشاط والأريحية وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند الإقدام والحروب ذلك عندهم منا من القلب ويقوي النفس

وبعثها على الإقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال الهيجان

دمشق بها شوق اليك مبرح * وان لج واش او الح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد استشهد الممثل بهذه الابيات الثلاثة في خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى * وراى ظهير الدين في جميل
من القوم اما احنف فسفيه * لديهم واما حاتم فبخيل
فتى الجود أنا جاره فممنع * عزيز واما ضده فذليل
واما عطايا كفه فمباحة * حلال واما طله فطليل

وظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن واحسن الى ابن عنين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بمال جم وطغتكين بضم الطاء المهملة وبعدها غين معجمة ثم تاء مثناة من فوقها مكسورة ثم كاف مكسورة أيضا ثم ياء مثناة ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده الى مصر ايام العزيز بن عثمان بن صلاح الدين فالزم ارباب الدولة ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته

ما كل من يسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما * هذا يعطي وهذا يأخذ الصدقه

ومن هجو ابن عنين قوله في فقيهين يلقب أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس في حاليهما * قد أصبحا مثلا لكل مناظر
قعدا عشية يومنا فتناظرا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أحكما غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
جلفان مالهما شبيه ثالث * الأخادع مدلويه الشاعر
أعطوا لحمقهم معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر

(رجع الى دمشق) وقال العز الموصلي

اليك حياض حمامات مصر * ولا تشكري عندي بعين
حياض الشام أحلى منك ماء * وأطهر وهي دون القلتين

وهذان البيتان جواب عن قول ابن نباتة

أحواض حمام الشآم ألا اسمعي لي كلمتين
لاتذكري أحواض مصر فانت دون القلتين

وأما قول الوداعي سامحه الله تعالى

مصر قالت دمشق لا * تفخري قط باسمها
لو رأت قوس روضتي * منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعي

دوعصرو بسكانها * شوقي وجد عهدي الخالي

... الاودية
والحياض والغياض وتتد...
...
... عندنا تحت
... كان
... الا في الفيل من
... وسوق شجرا قمها
والاسد موسد كر بامس
... المسك ...
وسيرانه ... تنبيه
من الطيب ...
سائر انواع الدواب
... من الفيل من
الجرع عند وروده المياه من
الغدران والانهار للشرب
اذا كان الماء ...

واروليا ياسعد عن بيلها * حديث صفوان بن عسال
فهوم ادى لا بر يدولا * نور ران رقى ورق لى

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازى
فالوادمشق قدرهت ازهرها * فمضوش عدنحورها ولورها
قلت لا ابدل بعدى بها * واست أرضى زهرها ونورها

وقول الحجاجى قاضى مصر وان لم يكن فى ذم ولكن ذا الداعى فى الاطناب
دون العلا من حدتوا طلة * حتى الخلان أبرزها
طرد احسان على هه * كاردرى الا... حار بها

وقول الآخر
بدهان وادى داى للخيل اد كبروه بين حص بلك ترزع
فاجاب بحر النيل لما أن طغى * عندى مقابل كل عين اصبع

ولقد كرت هذا قول بعضهم
ماذا يفيد المعنى من الادى المتتابع
تعصر دات الايادى ويلهادى الاصابع

وقد شاع الخلاف قديما وحديثا فى المفاضلة بين مصر والشام وقال بعضهم
فى حلب وشامنا * ومصر طال اللغط
فقلت قول منصف خير الامور الوسط

وأما قول بعضهم
يحب دمشق ولا تاتها وان راقك الجامع الجامع
سوق الفسوق بها قائم وفجر الفجور بها طالع

فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل وهى من نزعات بعض الهائمين الذين يعمدون الى تقبيح الحسن الجميل ومراتب الاشراف انما يمدح ولا يقابل ألف مثل عدل بفاسق يقدح
وفى عين من يحسد الشمس نورها * و امل بن بالى لها حاصريب

وأحسن من هذا قول بعض الاندلسيين وهوالكاتب أبو محمد بن قاسم
دمشق جنة الدنيا جميعا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * ويحتجون الى الحروب
ترى أنهارهم ذات ابتسام * وأوجههم تولع بالقطوب
اجب بدارهم سبعين يوما * فلم أطعم بها شيئا أديب

والجوا واحد ولا يصر الحق الثابت انكار الجاحد وأحسن من الجميع قول العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه
حلو جنة من تاهى وباهى * وربها أربى لولاها
قال عال بردا كوثرها * قلت عال بردا هاربداها

صورته ... ا الاملاءات
وصف ... ر ه بهادر ...
دللنه ... ا ...
الاعدي ... م ...
ولماب ... ب ...
ين ان ... من الحو ...
... ا ...
...
...
ثمن ... اه ...
مي أد ... ان ... انيه
الحمار ... كرامر
... ل ...
...
...
... ولد الرياحه
... ا ... الموا
... الدوا ... ا
... الاما ...
والا ... ابن
... اما ...
... الا ...
... وا ...
فى ... الريال
وغير ... الملائد
الآن أنا عام ولدنا ...
ابن نوح ... كما قد ...
فيما أحسن هذا

كثيرا من ذكر الامم مع اختلاف ألوانهم ... ديارهم واختلاف ... احوالهم ... ...

وفي مصر وفيها أوطري * ولنفسي مشتهاها مشتهاها
ولعيني غيرها ان سكنت * يا خليلي سلاها ما سلاها

وأخف منه قول ابن عبد الظاهر

لا تلوموا دمشق ان جئتموها * وهي قد أوضحت لكم ما لديها
انها في الوجوه تضحك بالزهـ * ـر اذا ما جاء في الربيع اليها
وتراها بالثلج تبكي وتحكي * يفهمن مرأى الشتاء عليها

وقال ابن نباتة وهو بالشام يشوق الى المقياس والنيل

أرق له بالشام ليل مدامع * يجريه ذكر منازل المقياس
في المصر دار لا معموره * نجوم أفق وأوطار كماس
وطن سهرت له وشاب لمني * وهم على عيني هواه وراسي
من لي به والحال ليس بآيس * كدر وعطف الدهر ليس بقاسي
والطرف يشهد لي عن الآسا * بالنيل لم يعتد على بالناس

*(رجع الى مدح دمشق) وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا غابت عيناي أعلام جلق * وبان من القصر المشيد قبابه
تيقنت أن البين قد بان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شبابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ألا راكبا من أعالي الشام يجذبه * الى العراقين ادلاج واسحار
حدثني عن ربوع صالح قصبه * للنفس فيها لبانات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غض ونوار
شج الندى أن يسقيها بحاجته * فجادها مفعم الشؤبوب مدرار
بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة * وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها جواسقها * وأينعت في أعالي الدوح أثمار
فهي السماء احمرارا في جوانبها * كواكب زهر تبدو وأقمار
حدثني وأنا الظامي الى نبأ * لا فض فوك فعني الري عتار
فهو الزلال الذي طابت مشاربه * وفارقته غشاآت وأكدار
كرر على مارح شط المزار به * حديثك العذب لا شطت بك الدار
وعلل النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب اسمار

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن أدركته الحرفة الادبية ومنع حقه بالحمية والعصبية وانتزعت حقوقه وأظهرت عقوده حتى قضى نحبه ولقي ربه *(رجع) وقال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى

بشرى لأهل الهوى عاشوا به سعدا * وان يموتوا فهم من جملة الشهدا
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم * ان الضلالة فيهم في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهرة * عبرى وأنفاسهم تحت الدجى صعدا

أجناس الصقالبة وبه يلحقون في أنسابهم حسبما يتفق كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا الشأن ومساكنهم بالجربي الى أن تتصل بالمغرب وهم أجناس شتى وبينهم حروب وهم ملوك فمنهم من ينقاد الى النصرانية الى رأي اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد الى شريعة وهم جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع وهؤلاء أجناس فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما في صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجك وهذا الجنس يدعى ولينانا وكان يتبع هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة لكون الملك فيهم وانقادت سائر ملوكهم اليه ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانه وملكهم في هذا الوقت يدعى بصقلايج وجنس يقال له دلاوبه وملكهم يدعى واشتصلاف وجنس يقال لهم بامخين وملكهم يدعى غرابه وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى مانن وملكهم يدعى رتيبر ثم جنس عند الصقالبة مشهور لعلك طول ذكرها وأوصاف بكثر شرحها ونفر منهم من ملة ينقادون اليها ثم جنس

تجرعوا كاس خمر الحب مترعة * ظلوا سكارى وظلوا غيهم رشدا

وعاسل القد معسول مقبله * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا

رقيم عارضه كهف لعاشقه * يأوى اليه وكم في حبه شهدا

نادمته وثغور البرق باسمة * والغيث ينزل منحلا ومنعقدا

كأن جلق حياها الله ساكنها * أهدت الى الغور من أزهارها مددا

فاسترسل الجو منها لا يزيد على * نورى ويعقد محلول الندى بردا

وقال أيضا

فؤادى الى بابات جلق مائل * ودمعى على أنهارها متحدر

يرنحنى لو رابن كلاب مزهرا * ويهزنى أغصانه وهو مثمر

وانى الى زهر السفرجل شيق * اذا ما بدا مثل انداهم ينثر

غياض يفيض الماء فى عرصاتها * فمنزهو جالا عد الك وزهر

ترى بردى فيها يجول كأنه * وحصباءه سيف صقيل مجوهر

ولى أحور لاح العذار بخده * يسامح قلبى فى هواه ويغدر

يحاورنى فيه على الصبر صاحبى * وكيف أطيق الصبر والطرف أحور

اذا اشنفت وادى السرير بخده * فأنظر معناه وهو أنضر

حوى الشرف الاعلى من الحسن خده * على أن ميدان العوارض أخضر

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

وادبه حى الحبيب نزول * حياه عهده الحيا والنيل

واد يفوح المسك من جنباته * ويصح فيه للنسيم عليل

يشتاقه ويود لثم ترابه * شوقا ولكن ما اليه سبيل

متعلق الاحشاء مسلوب الكرى * طلق الدموع فؤاده متبول

يصبو الى الاثلات من وادى الغضى * ويحن ان خطرت هناك شمول

قالوا تبدلت يا أهل الهوى * والناس فيهم عاذر وجهول

هل بعد قطع الاربعين مسافة * للعمر فيها يحسن التبديل

ولقد هفا لى فى دمشق مهفهف * يسبى العقول رضابه المعسول

يهتز ان مر النسيم بقده * ويميل بى نحو الصبا وأميل

أبدى لنا بردا تبسم ثغرها * واذا انثنى فقوامه المجدول

لزم التسلسل دمعى وعذاره * فانظر الى المهجات كيف تسيل

وسقمت من سقم الجفون لانها * هى علة وفؤادى المعلول

لا تعجبوا ان راعنى بذوائب * فالليل هول والمحب ذليل

ما صح لى أن الذؤابة حية * حتى سعت فى الارض وهى تجول

وقال ناظر الجيش عون الدين بن العجمى

يا سائقا يقطع البيداء معتسفا * بضامر لم يكن فى سيره وانى

يقال له مرارة ثم جنس يقال له جرواش ثم جنس يقال له صاصيف ثم جنس يقال له حانين وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملكهم والجنس الذى سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا بما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبج والخزر وأن فى بلاد الخزر مع الخزر خلقا من الصقالبة والروس وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار مملكته بأنواع التجارات ثم يلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب الروم والافرنج والنوكبرد وغير هؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة أجناس كثيرة وأنواع واسعة

ان جزت بالشام شم ثلاث البروق ولا * تعدل بلغت المنى عن دير مران
واقصد أعالى ثلاليه فان بها * ماتشتهى النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا * ماست فواخجل المران والبان
وكل أسمر قد دان الجمال له * وكل الحسن فيه فرط احسان
و رب صدع بدا فى خدم سله * فى فترة فتنت من سحر أجفان
فليت ريقته وردى و وجنته * وردى ومن صدغه آسى وريحانى
وعج على دير متى ثم حى به الرهبان بطرس فالربان ربانى
فهمت منه اشارات نهمت بها * وصنت منشورها فى طى كتمان
وادخل بدير حنين واجتز فرص الشط اذا ذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحا بها تحيا النفوس اذا * دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت * بشهبها من همومى كل شيطان
كم رحت فى الليل أسقيها وأشربها * حتى انقضى ونديمى غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها * أجاب رمزا ولم يسمح بتبيان
وقال أخبرنى شمعون ينقله * عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بانها سمرت بالطور مشرقة * أنوارها فكنوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتقة * من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارس فكنى * عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها فلا صحو وجدت بها * على الندامى وليس الشح من شانى
وسوف أمنحها أهلا وأنشده * ماقيل فيها بترجيع وألحان
حتى تميل لها أعطافه طربا * وينثنى الكون من أوصاف نشوان

وهذه وان لم تكن فى دمشق على الخصوص فلا نخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات وديباجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية وممن حاك هذه البرود الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى وقيل انه الشيخ شعبان النحوى *(رجع) وقال بعضهم

شوقى يزيد ولب الصب ما بردا * وبان يأسى من المعشوق حين غدا
ومدمعى قنوات والعذول حكى * ثورى يلوم الفتى فى عشقه حسدا
على معنية بالجنك جاوبها * شبابة كم بها من عاشق سهدا
فالبدر جبهتها والردف ربوتها * وخلها مات فى حلخالها كمدا

ولنذكر نبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى كمالهم وبلغ آمالهم

*(من ذلك قول شيخ الاسلام مفتى الانام سيدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله تعالى وكتبه لى بخطه)

شمس هدى أطلعها المغرب * وطار عنقاء بها مغرب
فأشرقت فى الشام أنوارها * وليتها فى الدهر لا تغرب
أعنى الامام العالم المقرى * أحمد من يكتب أو يخطب

وصف أجناسهم وتفريع أنواعهم وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذى لاماني كتابنا هذا الى كان ينقاد اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجل ولينا ناوهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى أجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لامور يطول ذكرها وقد ابتدأنا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة

(ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها)

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسبان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير من ذكرنا ممن حل الجربا وهو الشمال لا خلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث بن نوح والافرنجة أشد هؤلاء الاجناس باسا وأمنعهم هيبة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة الا ان الجلالقة اشد من الافرنجة باسا واعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم

عدة من الافرنجة وكلة الافرنجة متفقة على ملك واحد لاتنازع بينهم في ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم في وقتنا هذا نومره وهي مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان أوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام في البحر جزيرة رودس وهي الجزيرة التي ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب في وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد افريقية وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهي الاطمة التي يخرج منها أجسام من النار كاجساد الناس بلا رؤس فتعلو في الهواء بالليل ثم تسقط في البحر تطفو على الماء وهي الحجارة التي يحك بها الكتابة من الدفاتر وهي خفاف بيض على هيئة الشهد واكوار الزنابير الصغار وهي الاطمة المعروفة باطمة صقلية وفيها الملك قرقونوس الحكيم الذي صنف كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كأطمة وادي برهوت

شهاب علم ثاقب فضله * ينظم عقدا وهو لا يثقب

فرع علوم بالهدى مثمر * وروض فضل بالندى معشب

قد ارتدى ثوب علا وامتطى * غارب مجد دونها المركب

درس غريب كل يوم له * يملي ولكن حفظه أغرب

محاضرات مسكر لفظها * بكاس سمع راحها تشرب

رياض آداب سقاها الحيا * ففاح مسكا نشرها الاطيب

فضائل عمت وطمت فقد * قصر فيها كل من يطنب

قلوبنا قد جذبت نحوه * والحب من عادته يجذب

ان بعدت عن غربه شرقنا * فالفضل فيما نسب أقرب

كم طلبت تشريفه شامنا * بشرى لها فليهنها المطلب

قد سبقت لي معه صحبة * في حرم يؤمن من يرهب

اخوة في الله من زمزم * رضاعها طاب لها المشرب

أنهلني ثم ودادا فلي * بالشام منه علل أعذب

أهديت ذا النظم امتثالا له * وقد هجرت الشعر مذ أحقب

نشط قلبي لطفه فانثني * والقلب في أهل الهوى قلب

ضاء دجى العلم به للورى * ما لاح في جنح الدجى كوكب

تحية الفقير الداعي عبد الرحمن العمادي انتهى وأجبته بما نصه

ما ابرراح كاسها مذهب * ما للنهى عن حسنها مذهب

تستدفع الاكدار من صفوها * وتنهل الافراح أو تنهب

تسعى بها هيفاء من ثغرها * أو شعرها النور أو الغيهب

فتانة الاعطاف نفاثة * سحرا بألباب الورى يلعب

في روضة قد كللت بالندى * والزهر راس الغصن اذ يعصب

برودها بالنور قد نمنمت * كالوشي من صنعاء بل أعجب

والماء يجري تحت جناتها * والنار من نارنجها تلهب

والظل ضاف والنسيم انبرى * والجو ذاكي العرف مستعذب

والطير للعشاق بالعود قد * غنت فهاجت شوق من يطرب

أبهى ولا أبهج في منظر * من نظم من نقدته الاصوب

مفتي دمشق الشام صدر الورى * من في العلا تم به المطلب

علامة الدهر ولا مرية * وملجأ الفضل ولا مهرب

لله ما امتاز به من حلى * بغير من الله لا تكسب

أبدى به الرحمن في عبده * مظاهر المع التي تحسب

جود بلا من وعلم بلا * دعوى به التحقيق يستعلب

وبيت مجد مسند ركنه * الى عماد الدين اذ ينسب

بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهى مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هى عين النار التى تعرض من الارض ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر الحاصة الكبريتية والزاجية ولا الحمامات التى تظهر من مائها النار كالحاصة التى ببلاد ماسبذان من أرض أذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الحاصة فى قرية من قرى أذربيجان يقال لها القومان وهى أطمة تظهر من وسط مائها النار وهى أطمة عجيبة تمنع وورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهى احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناه اوملع اوحنا بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

(ذكر النوبرد وملوكها)

بيرقه الشامى من شامه * نال مراما والسوى خلب
وما عسى أبديه فى مدحه * أو وصف أبناء له أنجبوا
تسابقوا للمجد حتى حووا * سبقا لما فى مثله يرغب
أعيذهم بالله من شرما * يخشى من الاغيار أو يرهب
وأسال الله لهم عزة * بادية الاضواء لاتحجب

ولما حللت دمشق المحروسة وطلبت موضعا للسكنى يكون قريبا من الجامع الاموى الذى بعجز البليغ وصفه وان ملا طروسه أرسل الى أديب الشام فرد الموالى المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهينى حفظه الله تعالى بمفتاح المدرسة الجقمقية وكتب لى معه مانصه

كنف المقرى شيخى مقرى * واليه من الزمان مفرى
كنف مثل صدره فى اتساع * وعلوم كالدر فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع الغرب منه * ملأ الشرق نوره أى بدر
أحمد سيدى وشيخى وذخرى * وسميى ووق ذالك وفخرى
لو بغير الاقدام يسعى مشوق * جئته زائرا على وجه شكرى

العبد الحقير المستعين المخلص أحمد بن شاهين انتهى فأجبته بقولى

أى نظم فى حسنه حار فكرى * وتحلى بدره صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينمى * من بروض الندى له خير وكر
أحمد الممتطين ذروة مجد * لعوان من المعالى وبكر
حل مفتاح فضله باب وصل * من مغانى تعريفه دون نكر
يابديع الزمان دم فى ازديان * بالعلا وازدياد تجنيس شكر

وكتب الى لما وقف على كتابى فتح المتعال فى مدح النعال بما نصه لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامى فى تقريظ تأليف سيدى ومولاى وتباتى ومعتقدى شيخ الدنيا والدين وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله تعالى وجوده آمين

ألا أحمد فخرا يا ابن شاهين ساميا * بأحمد ذاك المقرى المسدد
بمن راح خدا ما النعل محمد * وناهيك فى العليا بأرفع سودد
فان أنا أخدم نعله طالما * غدا خادما نعل النبى المحمد
بتأليفه فى وصف نعل تكرمت * كتابا حوى اجلال كل موحد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى * خدوما لخدام لنعل محمد
فقلت له طوبى بخدمة أحمد * فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
فلا زال يرقى للمعالى مكرما * وينتقل العيوق فى رغم فرقد

فأجبته بقولى

ألا أحمد وصف بالعوارف يرتدى * وأشرف مولى للعارف يهتدى
فهو ملك اذ أنت الخليل توقدت * فأنى أجار بها بنحو المبرد
أتانى نظام منك حبر فكرتى * على انه أعلى مرامى ومقصدى

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وأنهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحلهم بالجرا ولم

فانت ابن شاهين الذى طار صيته * بجو العلا والصد ضل بفرقد
فسبرك موصول وشانيك منكر * وقدرك مرفوع على رغم حسد
وعنك حديث الفضل أسند عاليا * بشام فهم يروون مسند أحمد
فوجهك عن بشر ويمناك عن عطا * وفكرك يروى فى الهدى عن مسدد
فلازلت ترقى أوج سعد ورفعة * ودمت بتوفيق وعز مخلد

ولما خاطبته بقولى

بصيد ابن شاهين بجو بلاغه * سواجع فى وكر الدوائح تفرخ
وما كان ديك الجن مدرك نيلها * اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ
ولو جاد فكر البحترى بمثلها * لكان على الطائى بالانف يشمخ
ولو أن نظم ابن الحسين أتبعها * لحاز بسبق حكمه ليس ينسخ
فلا زال ملحوظا بعين عناية * وكتب التهانى عن علاه تؤرخ

أجابنى بما نصه

أأنفاس عيسى ما روى ينفخ * أم الطرس أضحى بالعبير يضمخ
وهذى قواف أم هى الشمس انى * أراها على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى هى نص من ودادك محكم * تزول الرواسى وهى لم تك تنسخ
أتتنى بمدح مخجل فكأنما * لفرط حيائى قد أتتنى توبخ
وهل انا الا خادم نعل سيدى * و بينى و بين المدح فى الحق برزخ
وماهى الا غرة حزت فخرها * وانى بها بادى المحاسن أشدخ
فلادردرى وانحرفت عن العلا * اذا كان ودى عن معاليك يفسخ
وحبك مهما طار شرقا ومغربا * بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ
وانى وان ارخت مجد الماجد * فانى باسم المقرى أؤرخ
سميى ومولاى الذى راح مدحه * لرأس الاعادى بالدمار يرضخ
ودم يانظير البدر ترقى باوجه * ولازلت فى طرفى وقلبى ترسخ

وكنت يوما أروم الصعود لموضع عال فوقعت وانفكت رجلى وألمت فكتب الى

لا ألمت رجلك ياسيدى * وصانها الله من الشين
ماهى الا قدم للعلا * لا احتاج ذاك الفصل للقين
زانت دمشق الشام فى حلها * فلا رأت فيها سوى الزين
بانت عن الاهل لتشريفنا * لا جمعت أينا الى بين
عجبت من راسخة فى العلا * والعلم اذ زاغت من العين
انى أعاف المين بين الورى * ولست والله أخا مين
للمقرى المجتبى أحمد * دين الهوى والمدح كالدين
وأحمد الله على أننى * رأيته حاز الفريقين
فلا أراه الله فى عمره * بينا يؤديه الى أين

وأسماء ملوكهم فى سائر الاعصار أركس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هى تبت ويخترقها نهر عظيم وهى جانبان وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سانيط قد ذكره جماعة من ذوى هذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب يغلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة نار طارينو (قال المسعودى) وجدت فى كتاب وقع الى الفسطاط بمصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه غرمار الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت فى عهده باأمير المؤمنين ان أول ملوك افرنجة قلوزويه وكان مجوسيا

فتنصر هو وابنه لذريق وابنه دفشرت ثم ولى بعده ابنه لذريق ثم ولى بعده قرمكان بن دفشرت ثم ولى بعده ابنه تنين ثم ولى

المريد المحب العبد الحقير الداعي أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذي * أحيا المعالي والمعالم
يا من به ريشت من الـمجد الخوافي والقوادم
يا من دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثني عطفه * طربا لتغريد الحمائم
يا أحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذي طوقتني * مننا لها تعنو الاعاظم
فمتى أؤدي شكرها * والعجز لي وصف ملازم
والعذر باد أن بعثت اليك من جنس الرتائم
بنتيجة الذكر التي * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صادا لي * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذا دعائم
واقبل عقيلة فكر من * هو في بحار العي عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فأجابني بما صورته

يا سيد اشعري له * ما ان يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدري له * يوما يساوي أو يساوم
يا من رأيت عطاردا * منه بدا في شخص عالم
يا من بنفحة خلقه * وبلفظه السامي الملائم
أضحى يريني معجزين من النواسم والمباسم
ما زلت أبصر منهما * حسن النعامى والنعائم
بهما زماني حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمي وقلبي بينها * م في الثناء له وهائم
حي لاحمد سيدي * شيخ الورى فرض ملازم
المقري المعتلي * شرف المعالي والمعالم
ما لي اليه وسيلة * الا هوى في القلب دائم
قد جاء ما شرفتني * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفي به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتني لا أحسب الـعيوق لي في فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب في أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

بعده نازلة بن تنتين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان في أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذي أقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولي بعده ابنه نازلة وهو والذي تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر ثم ولي بعده ابنه لذريق ستة اعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برتة وملك افرنجة فاقام في ملكهم ثمان سنين وهو الذي صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولي بعده نازلة بن بغربرة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة اخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ثم ولي بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوت مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودي)

هى آلة للذكر لـكن ليس ذكرى فى الحيازم

فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرتائم

ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى تمائم

لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم

لكنها قد زينت * كمى وأزرت بالخواتم

يامن يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم

ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم

هذى نوافل ياأما * م الدهر ليست باللوازم

العذر منها مخجل * عبد المليك جد خادم

بل انت فوق العذر قد * أصبحت للشعرى مصادم

لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم

يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم

مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه ومولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيزا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغطا بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى

ولديك قلبى لا يزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون

وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين

قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى

وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين

واطاع أمرك فى الوداد فلو اشا * منه وحاشا سلوة يعصينى

ما كنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طقا بفنون

حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون

ويفيد معنى معجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين

يامن غدا يحيى القلوب بلفظه * ويردد الانفاس عن جبرين

أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وجلى لعمر الله جد مبين

هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بمعين

قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين

لولم تكن بدر السما أحرزتما * قد خص فى الانوار بالتلوين

ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبدالرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها شنترين فلما اتى اليه ما فعل باخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض منتزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بثورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها واسرارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون

فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

الشهر ثلاثة أيام وكانت للمسلمين ٥٨ عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وألجئوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين

حققت ماقد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هى عادة حليتها فتزينت * ماكان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد ياسليل بنى العلا * يافوق مدحى فيك أو تحسينى
اغنى وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغنى به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس فى أوراقهم * وعلومه فى صدره المشحون
فبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارغب عن تحلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستعمت لقبلتى * أدعو واشكر واردات شؤونى
ألفيت قطرك عنتى فافادنى * فضل اليمين على اليسار يقينى
سقى الحيا الاقرى أخى العلا * بلدا باقصى الغرب جدّ هتون
بلدا تبينت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيونى
لولا هلال الغرب نوّر شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانني * مستودع منه أجل أمين
أنى اودع يوم بينك مهجتى * وشبيبتى وتصبرى وسكونى
وأعود من توديع وجهك عودة * خلطت يقينى فى الهوى بظنون
حتى كأنى قد وقدت تمثما * تقضى على بحالة المجنون
وتود نفسى انها لو حرمت * ابدا سكونى للهوى وركونى
اوشكت أقتل بين معترك الهوى * نفسى ومعترك الهوى بيمينى
ولقد وددت باننى متحمل * تلك الخطا بمحاجرى وجفونى
كيف السبيل الى الحياة ومهجتى * فى قبضة الاشواق كالمسجون
ماأنت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهدينى
والكهها ياشيخ دهرى غادة * غنيت عن التحسين والتزيين
جاءتك تعرض فى الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها يكفينى
هى بنت لحظتك التى تؤوى النهى * لابنت ليلتى التى تؤوينى
ماالفخر فى دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضينى
حسبى اباالعباس منك اصاخة * تقضى بموت عداى أو تحيينى
باللهف نفسى كيف أبلغ مدحة * أضمرتها فى سرى المكنون
فلسان حبى بالغ اقصى المدى * ولسان مدحى فى القصور يلينى
ماالشعر يستوفى حقوقكم ولو * أهديت من نظمى عقود سنينى
حاقت أصطاد النجوم وانها * تزهو بعقد فى علاك ثمين
فرأيت فى العيوق طبعك سيدى * نسرا أسف لعجزه شاهينى

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من تخلص من المسلمين أمية بن اسحق وخوّفه الكمين ورغبه فيما كان فى معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استامن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قوّاده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قبله على الملك اردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة طاريرو ومدينة سبرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان الروبرد أنابوا ورجعوا على من كان فى تلك المدن من المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حروب طويل وما ذكرناه من المدن فى وقتنا هذا قد

قد خف شعري من قصور طبيعتي * وربما قد كان جد ركين
يكفيك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت خصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فأدأب عسالك فوز بالمسنون
هو قبلتي فلا غتدي متمسكا * منه بحبل في النجاة متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدي مواطئ نعله بجبيني
وكذاك عمري في هواك مقسم * بين الدعاء الجد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى في ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب * واني في شرق وأنت مغرب
ورحماك بي اني تقيل صبابة * بمن هو أوفى في الفؤاد وأحب
ووعدك لي بالعود اني معلل * به مهجة قد أوشكت تتصوب
وهبتك قلبي ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا ما هدته * فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
وانا بحمد الله لما خصصتنا * بزورة ذي ود دعاه التحبب
فرشنا له منا الخدود مواطئا * وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق أنت فيها حاكم * وأشرافها ودوا وجدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ما ازدان مغرب
ونخرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا وكرنا نسر السماء فيه يرغب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * فلا غرو أن يقلي الغضنفر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * ليأكل فيما قدروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقرى العالم العلم الذى * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحلة * وانا في ليل اداهى نغرب
أو الغيث قد وافى وأمرعت النهى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء في الطير مغرب
وانك للخل الوفي وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق في كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأعرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحره * وأي أخي جد له أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالمجد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أني كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله * مشوق فامسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ على أدام الله تعالى عزته وحرس حوزته عقيدتي المسماة باضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة سالني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطار في جو العلا * صيت ابن شاهين الذى زان الحلى

رالصقالبة والنوبرد وغيرها من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس في هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من سببه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس في أول دولة بني العباس وله أخبار كثيرة في كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور في أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرها من الامم وصاحب الاندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوي العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الاولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه يدل على تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة

وراش منه للمعالى أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض نغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
ونتحف مع صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
مبادلا أسل التوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن صحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه و بالعدم
و بعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تصوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نبيل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ما ينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخير اجل عن تبيين
لانه أصل عم النفع * به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
فهو الذى لا تقبل الاعمال * الا به وتنجح الآمال
وانى كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
و بعد أن اقرأتها بمصر * وبكة بعضا من اهل العصر
درستها لما دخلت الشاما * بجامع فى الحسن لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظن * اجازة فيما رواه عنى
حرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفى بالخطل * وبالخطا والجيد منى ذو عطل
وكم درائض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا يجازى البر بالعقوق

اياهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وعاد أول من ملك فى الارض من هذه الطائفة بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح وذلك لقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيآت النخل طولا وكانوا فى اتصال الاعمار وطولها بحسب ذلك من التقدير وكانت نفوسهم قوية وأكبادهم غليظة ولم يكن فى الارض أمة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأدوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم عاد ولم يكن الهلاك يعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وما أوتوه من الزيادة الى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وبعد مام من البرداد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لان يجرا * لان مجاز ادحوى التبرزا
ومن رأى عيبى بعين للرضا * لم يقف شيخ من غدا معترضا
فليروعنى كل ما سمعته * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والنحووفى * أسراروفق وهو بالقصد وفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز فى غير فن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عمى سعد عن سقين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * عماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * بحق من ذلك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والعى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وقد كرت بهذه الاجازة نظيرتها التى سالنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها الن فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرفا * من الحديث ما به قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أتيح القصد من صلاته
ملجئونا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد مفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

جماعة من الاخباريين عن عنى باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشيد الملك واستقامة الامر بغمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى اى بلاد هى وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاء نابالجامع الصحيح من * كلامه الهادي الى نهج أمن
من فضله ماشك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة نتحيها علما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدري كمن لا يدري
ولم تزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدي
ومنه علم السنة الشريفه * لانه طلالة ورفيفه
فمن دري الاخبار والشمائل * لم ينأ عن صوب الهدى بطائل
وكم سعيد دع لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز في الابداء والاعاده
واننى لما انتحيت المشرقا * سيما بدر اهتداء مشرقا
ألقيت في مصر عصا التسيار * بعد بلوغي أشرف الديار
وبعد اذ جئت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
فشاهدت عيناي فيها ما ملا * قلبي سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * وفضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يجل عن تعبير
وجل أهلها بحيي دانوا * مع أن مثلي منهم يزدان
فلاحظوا بالاعين الكليله * عبد اغتدا تقصيره دليله
وقابلوا عيي بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتي الورى في مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيي القلم * أوصافه اللاتي كنور في علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى في النفس والاولاد
وكنت في مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذي قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحث من في الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عني * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أنني والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جلتهم أبناؤه * عماد دين قد علا ابناؤه

عدد كرنا تفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا في ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد ونبيها هود فاما تنازع الناس ممن سلف وخلف في العلة التي بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد اتينا على ذكر ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك في كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود في غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة في الجبال ورممهم باديه وآثارهم باديه وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى وبيوتهم منحوتة في الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذاك لى مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى سادلا حجابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ روّيته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤمل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر معرب
ولى أسانيد بطول شرحها * شيء على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * بها لطال القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعى به معلول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد بن يحيى فاحفظن عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدا الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبر واعنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها وهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف العطاطائى فرج
قال سمعت المصطفى فى النوم * صلى عليه الله كل يوم

وكان ملك الملك الاول من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الدبل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة بهتوا ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث الى ثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو وعلى ما ذكرنا فى محب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدهم من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم انذاره وانذاره ووعده ووعيده سألوه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن حجتهم فحضر عيدهم وقد اظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء وجاء الكة

يقول من أصبح يعني آمنا * في سربه الحديث فاعرف كامنا
وانمسك العنان في هذا الارب * مصليا على الذي زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن تلا من انجم الاسلام
وخط هذا المقري العاصي * أجير يوم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين تلت * ألفا لهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقري * الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام مل‌ء الجامع الاكبر
يقري فتقري السمع أنفاسه * أنفس ما يقرى وما قد قري
مولاي يا من در ألفاظه * صحاحها أزرى على الجوهري
اجازة نرفل من فضلها * في ثوب عز زوردا معفر
سبلة الذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصغر
أطل لنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لازلت في نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعي ابراهيم العمادي انتهى ومن الاجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدي يحيى المحاسني حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامي مدى الاحيان
فكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ قطرهم به الكمال يحيى
ونشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذي ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروي واللسان عن حسن
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونقتفي صوب صلاة باهره * الى الرسول ذي السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادي الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدي
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مزيح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجي

وناصية وشعر ووبر فاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها مساويه اللون ذات عرف حنين وانين ثم انصدعت من بعد تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحوها في الوصف فأمعنا في رعي الكلا وطلب المرعى فآمن خلق ممن حضره وزعيمهم الذي سأله وهو جندع بن عمرو وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يعم شربه ثمودا كلها وضايقتهم في الكلا والماء وكان في ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال فزارهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع ابن مفرج والمرأتان عنيزة بنت زهير وصدوف بنت المحيا فقالت صدوف لو كان لنا في هذا اليوم ماء لاسقيتنا الخمر وهذا يوم الناقة وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة بلى والله لو ان لنا رجالا لكفونا اياها وهل هي الا بعير من الابل فقال قدار يا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فمالي عندك فقالت نفسي وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا سيلا علينا بالخمر فشربا حتى توسطا السكر ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم

وما

في كتابه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وقصدوا طريق
الناقة في حال صدورها
فضرب قدار عرقوبها
بالسيف فعرقبها وأتبع
صاحبه الآخر العرقوب
الآخر فخرت الناقة
لوجهها ووجأ قدار لبتها
فنحرها ولاذ السقب
بصخرة فلحقه بعضهم
فعقره وورد صالح فنظر الى
ما فعلوه فوعدهم العذاب
وكان ذلك في يوم الاربعاء
فقالوا له مستهزئين يا صالح
متى يكون ما وعدتنا به
من العذاب عن ربك
فقال تصبح وجوهكم يوم
مونس وهو يوم الخميس
مصفرة ويوم العروبة
محمرة ويوم شيار مسودة
ثم يصبحكم العذاب يوم أول
وسنذكر فيما يرد من هذا
الكتاب أسماء الشهور
والايام بلغتهم فهم التسعة
بقتل صالح وقالوا ان كان
صادقا كنا قد عاجلناه
قبل أن يعاجلنا وان
كان كاذبا كنا قد ألحقناه
بناقته فأتوه ليلا فحالت
الملائكة بينهم وبينه
وأمطرتهم الحجارة ومنعه
الله منهم فلما أصبحوا
نظروا الى وجوههم كما
وعدهم صفراء كأنها
الورس قد حالت الالوان
وتغيرت الاجسام وتيقن
القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح في ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل

وما بغير العلم يبدو العالم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
وانني عند دخول الشام * لقيت من بها من الاعلام
وشاهدت عيناي من انصافهم * ما حقق المحكي عن اوصافهم
وان من جلتهم أوج الذكا * والنير المزري سناه بذكا
ابن المحاسن الذي قد طابقا * منه مسمى الاسم اذ سابقا
الالوذعي الالمعي يحيى * لا زال رسم المجد منه يحيا
وهو الذي أغراه حسن الظن * على ائتمانه لاخذ عني
وكان قارئ الحديث النبوي * لدي في الجامع أعني الاموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر * ممن وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استمطر الاجازه * من نوء وعدي واقتضى انجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أنني لست بذي النجابه
وان أكن أجبت أمرا يمتثل * منه ففي ذلك تصديق المثل
فيمن دري شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اصنعا وشيا
فليروعني كل ما صح لي * بشرطه الذي يزين كالحلي
وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الامام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسي
أعني أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقي عن امام يدعى * بابن عساكر الجليل المسعى
بماله من الروايات التي * على علو قدره قد دلت
وليروعني ما انتمى للنووي * بذا الى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه يحيى الرضى المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكين * النووي الشيخ محيي الدين
وخطه ذا أحمد البادي الوجل * المقري المالكي على عجل
في عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادي وسبعة تلت
ألبسه الله البرود الضافيه * من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا * ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدي * حسن الختام ببلوغ القصد انتهى

وسألني بعض ساكني دمشق المحروسة أن أقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خص بالاسرار * قدما من الصوفية الابرار

زعويد المحب لعبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يا من به رشت من الـمجد الخوافى والقوادم
يا من دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
يا أحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فمتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثت اليك من جنس الرتائم
بسبيحة الذكر التى * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذاد عائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار الغى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

يا سيد اشعرى له * ما ان يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يا من رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يا من بنفعته خلقه * وبظنه السامى الملائم
أضحى يريى معجزين من النواسم والمباسم
مازلت أبصر منهما * حسن النعامى والنعائم
بهما زمانى حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بينها * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الا هوى فى القلب دائم
قد جاء ما شرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لا أحسب الـمعوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

عدد نازلة بن تمسين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أتصل الى ظهر طوشة خادمرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو والذى تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برشة وملك افرنجة فأقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده بسبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن نغر برة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوثقت مملكته عشرين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى)

هي آلة للذكر لكن ليس ذكرى في الحيازم

فهواك في قلبي وما * في القلب جل عن الرتائم

ماذي رتائم سيدي * بل انها عندي تمائم

لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم

لكنها قد زينت * كفي وأزرت بالخواتم

يا من يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم

انا ابن شاهين حوى * منك الخوافي والقوادم

هذي نوافل يا اما * م الدهر ليست باللوازم

العذر منها مخجل * عبد العلاك جد خادم

لكنه فوق العذر قد * أصبحت للشعرى نادم

لا زال دهرك سيدي * يلقاك منه ثغر باسم

يهدي اليك من المرا * حم والمكارم والعنائم

مالا يساوم مثله * ذو الحظ في أسنى المواسم

العبد الحقير الداعي لاستاذه مولاي الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيرا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبني بقوله

ابدا اليك تشوقي وحنيني * والى جنابك ما علمت سكوني

ولديك قلبي لا يزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون

وعليك قد حبست شوارد مدحتي * لما رأيتك فوق كل قرين

قلبي كقلبك في المحبة والهوى * اذ كان في الاشواق دينك ديني

وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين

واطاع أمرك في الوداد فلو اشا * منه وحاشا سلوة يعصيني

ما كنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طفا بفنون

حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروي أحاديث العلا بشجون

ويفيد سمعي معجزا بهر النهى * ويرى عيوني آية التكوين

يا من غدا يحيي القلوب بلفظه * ويرد الانفاس عن جبرين

أحييت بالوحي المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جد مبين

هذي دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بمعين

قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين

لو لم تكن بدر السما أحرزت ما * قد خص في الانوار بالتلوين

واشد ما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كان الامر بحة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس في هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه في الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية في مدينة من ثغور الاندلس يقال لها شنترين فلما بلغه ما فعل باخيه عصى على عبد الرحمن وصار في حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية في بعض الايام من المدينة يتصيد في بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وسيره في جملة وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة مدينة الجلالقة المتقدم صفة بنيانها واسوارها في باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن في مائة الف او يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا

الشهر ثلاثة أيام وكانت بالمسلمين عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وألجئوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين

حققت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هى عادة حليتها فتزينت * ما كان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد يا سليل بنى العلا * يا فوق مدحى فيك أو تحسينى
اغنى وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغنى به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس فى أوراقهم * وعلومه فى صدره المشحون
وبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارغب عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستتمت آمالى * أدعو واشكر واردات شؤونى
ألفيت قطرك عنتى فوادنى * فضل اليمين على اليسار يقينى
سقى الحيا المصرى أخى العلا * بلدا باقصى الغرب حد هتون
بلد اذا تبينت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيونى
لولا هلال العرب نور شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه * ردنا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانسى * مستودع منه أجل أمين
أنى اودع يوم بينك مهجتى * وشبيبتى وتصبرى وسكونى
وأعود من توديع وجهك عوده * خلطت يقينى فى الهوى بظنون
حتى كأنى قد فقدت متما * تغضى على تحت الذا الجفون
وتود نفسى انها لو حرمت * ابدا سكونى للهوى وركونى
اوسكنت أفلى بين معترك الهوى * نفسى ومعترك الهوى بيمينى
ولقد وددت بانى متحمل * تلك الخطا مجاري وجفونى
كيف السبيل الى الحياة ومهجتى * فى قبضة الاشواق كالمسجون
ما انت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهدينى
والبدر ها ما شئ دهرى عادة * غنيت عن التحسين والتزيين
حاشاك تعرض فى الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها يكفينى
هى بنت لحظك التى تؤوى النهى * لا بنت لبانى التى تؤوينى
ما الفخر فى دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضينى
يا ابا العباس منك اصالة * تغضى بعون عداى أو تحيينى
بالهف نفسى كيف أبلغ مدحه * أضمرتها فى سرى المكنون
ولسان حى بالعواصم المدى * ولسان مدحى فى القصور يلينى
ما الشعر يستوفى حقوقكم ولو * أهديت من نظمى عقود سنينى
حلقت أسطار النجوم وانها * تزهو بعقد فى علاك ثمين
فرأيت فى العيون طبعك سيدى * سرا أسف لعجزه شاهينى

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من بجامع المسلمين أمية بن اسحق وحروبه الكثيرة ورثته فيما كان فى معقل المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولا دلك لى على جمع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن وبجامع من ردمير وقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عسكر مع عبد من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما هلك من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وورد مد ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو ... بن ردمير ... كان ... على ... اردون ... وملك الجلالقة ... دين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) وقد ... وغيرهما من ملوكهم الكبار ... المسلمين مدة من الزمان ثم ان ... ناوأوا ورجعوا على من كان فى ذلك ... المسلمين ... عنها بعد حروب طويلة وما ذكرنا من المدن فى وقتنا هذا قد

قد حف شعري من قصور طبيعتي * ولربما قد كان جد ركين
نكميك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت حصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن المراثي جاهدا * فاذا بعد لك موزنا بالمنون
هو قبلتي فلا عتدي متمسكا * منه بحبل في النجاة متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أهدى مواطئ نعله تحييني
وكذاك عمري في هواك معمم * بين لدعاء الحمد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى في ذلك

حسامك ان الدمع بالود معرب * واني في عرف وأسعر ب
ورحمالك في اني قبل عناه * ع هو أولى في الهوا ه أعجب
ووعدك لي بالعود اني معلل * به مهجة قد ذكرتك تصوب
وهبك على ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا هذه * فكيف شيء لم يكن مثله أب
وانا بحمد الله لما حصدنما * زرزره دي ود دعاه الحب
فرشناله ما الخدود مرطئ * وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق أنت ماحكم * وأشرافها ودرا وحدو ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقدرنت شرفا مثل ما رداني معرب
وحرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا ذكرنا نهر السماء فيه ترعب
فنحن ونحن الدين حدام بعله * فلا عدوان علي العنصر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * لا أكل ديما قد رووه يشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد غدت * دمشق ومن بها بعلبائه تطيب
هو المقري العالم العلم الذي * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أروع رحله * فاني لي حل اذا هي تغرب
أو الغيث قد وافي وأمرعت الربى * به وانثنى والصدر بالود معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء الطائر مغرب
وانك للفضل الوفي وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق في كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأحرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحوه * وأي أخي حدله أنت ترغب
وحيا الحبا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالحمد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أني كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت حواه واله * مشوق فامسى للعقيقة يطرب

ولما قرأعلي أدام الله تعالى عزه وحرس حوزته عقيدتي المسماة باضاءة الدجنه في عقائد أهل السنة سالني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطار في جو العلا * صيت ابن شاهين الذي راق الحلى

الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنوكرد وغيرهم من الامم وديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس في هذا الوقت ونوسعته وقوة عظيمة على ما قدمنا من أن هؤلاء الذين ذكرنا كان الداخل من بني أمية إلى الاندلس عند ما قام من سار الى الاندلس في أول دولة بني العباس وله أخبار كثيرة في كيفيه دخوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا وفيهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور في أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وغيرهم والافرنجة وغيرهم من الامم وصاحب الاندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف وهو دونه في الرجال والنساء والنوع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوي العناية بأخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الاولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى بأنه سبق على

بعدهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملوكهم وطول شدة بطشهم وسائر من الاتساع ...

وراش منه للمعالى أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنية الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض تغلب
والصفر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
وننتحى مع صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
محمد الاثيل الاوحد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد المقر ذو العدم * للرب باستغنائه وبالقدم
وبعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نبيل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف الفول الى ما ينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخير راجل عن تبيين
لانه أصل عم النفع * به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
وهو الذى لا تقبل الاعمال * الا به ونجمع الآمال
وانى كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن أقرأها بمصر * ومكة بعضا من اهل العصر
درسها بالمدرسة الشاما * بجامع فى الحسن لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظن * اجازة فيما رواه عنى
فحرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفى بالخطل * وبالخطا والجيد منى ذو عطل
وكم دراهض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا تجازى البر بالعقوق

التى تدعى على مر الدهور العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه إياهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وعاد أول من ملك فى الارض من هذه الامة بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح ولذلك قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيآت النخل طولا وكانوا فى اطول الاعمار وطولها بحسب ذلك من المقدر وكانت منازلهم قريبة وبلادهم عليه ولم يكن فى الارض امة أشد بطشا وأكثر آثارا وأدوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم عاد ولم يكن أولئك يعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وما أوتوه من اربدة الى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده منه له باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد نجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وابعد

وبعد مام من الـبرداد * أسعفتـــه بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا العاهل
مع انه الاهل لأن يحرا * لأن تجاز ادحوى التبر برا
ومن رأى عنى بعين للرضا * لم يقف منهج من غدا معترضا
فليروعنى كل ما أسمعه * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة الـديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والتصوفى * أسرار وفق وهو بالقصد وفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز ذى غبن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طال وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عمى سعيد عن سفين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * صح من ذاك بلا احتمال
على شروط قررها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والعى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرها التى سألنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الامام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثه وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النافى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرّفا * من الحديث ما به قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أبيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم حاسد ومفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخبار بين ممن عنى باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشدد الملك واستقامة الامر عمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائه سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها واين هى واى بلاد هى وهذه هى الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على مابسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاء بالجامع الصحيح من * كلامه الهادى الى نهج أمن
من فضله ما شك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نعم المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة نقتفيها علما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدرى كمن لا يدرى
ولم يزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدى
وسنة علم السنة الشريفه * لانه طلاله وريفه
من درى الاخبار والشمائل * لم يلف عن صوب الهدى بمائل
وكم سعيد دع لاجله روض * أوطانه وثوب نرحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز فى الابداء والاعاده
وانى لما انتحيت المشرقا * منه مبتدرا اهتداء مشرقا
ألقيت فى مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
وبعد ما حثت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
شاهدت عيناى فيها ما ملا * قلبى سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فيها سنة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها كل عن تعبير
وجل أهلها نجبى دانوا * مع أن مثلى منهم يزدان
ولاحظوا بالاعين الكليله * عبدا ذا تقصره دليله
وقابلوا عيبى بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين بن نعى العلم * أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى فى النفس والاولاد
وكنت فى مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جملة لة ومجتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
حث من فى الشام من أحبار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن ياخذوا بعض الفنون عنى * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أنى والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جلتهم أبناؤه * عماد دين قد علا ابناؤه

اخبار الرمن من الامم الماديه والاحيال الحاليه والممالك الدائرة وسنورد ما يرد من هذا الكتاب عند كرما تفرق الناس فى قبائل وشعب الانساب وما وافق ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد وثمود هود ومن سيرع الناس ممن سلف وخالف فى العلة التى بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد تنازعلى ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السديعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الرف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

عند ذكرنا ماسلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا بادية منحوتة فى الجبال ورممهم بالية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الحجر بابواب صغار ومساكنهم على مقدار مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على مقدار اجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضعهم واكثرهم بنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم وصنوه

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا النجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذاك لى مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى ساد لاعجابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ روّيته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤمّل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر مغرب
ولى أسانيد يطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * هنا لطال القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعنى به مفلول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد يدعى خروف التونسى عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدا الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فلخبروا عنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها فهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الطحطائى فرج
قال سمعت المصطفى فى النوم * صلى عليه الله كل يوم

وكان ملك الملك الاول من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزددهم من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده سألوه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم فحضر عيد لهم وقد اظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء توجا حالكة

يقول من أضحى يعنى آمنا * فى سره الحديث فاعرف كامنا
والمسك العمان فى هذا الارب * مصليا على الذى زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن بلا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقرى العاصى * أحمد يوم الاخذ بالنواصى
سنة سبع وثلاثين الت * ألف الهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقرى * الالمعى اللوذعى العبقرى
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر المخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام مل الجامع الاكبر
يقرى فتغرى السمع أنفاسه * أنفس ما يقرى وما قد قرى
مولاى يا من درألفاظه * يحاجها رررى على الجوهرى
اجازة ترفل من فضلها * فى ثوب عز زوردا مفخر
من بله اذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصغر
أفضل لنا انشاءها بل أطب * وانظم لناس درها وانثر
لازلت فى نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعى ابراهيم العمادى انتهى ومن الاجازات التى قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامى مدى الاحيان
وجعل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ فطرهم به الكمال يحيى
ونشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذى ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
نحمده من أناخهم آلاءه * حتى أبان نورهم لألاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونهدى صوب صلاة باهره * الى الرسول ذى السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادى الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدى
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مزيح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجى

وناصيه وشعره وبرفاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها

نساه الله ورد اعرب حيرو بين ما اصدعت من بعد عصر شديد ثم معض المرأة حين انبذلته وضعه ر مهارته على ماطلبوه من نافة ثم لاهين الدهر سب لها نحوه فى الوصف أمه الى رعى الكلا وطلب المرعى وتحلو عن حضره ورسمه الذى الدوهو سدع بن عمرو وأوس السابه كانون منهما ثم شربه ثمودا مياها وضايقتهم فى الكلا ونما وكان فى ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال دارهما رجلان من ثمود وهما اذار بن سالف ومصدع ابن مهرج من امرأتان عنيزه بنت رسيم دح سدوف بنت احيا فقالت لصدوف لو كان لنا فى هذا اليوم من لاسعيا لم تحمر وهذا يوم سقاها وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزه لى والله لو ان لنا رجالا لكفونا اياها وهل هى الا بعير من الابل فقال قدار ياصدوف ان اما كفيتك أمر الناقة فما لى عندك فقالت نفسى وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها نحو ذلك فقالا سيلا عليها بالحمر فشربا حتى تو طااا لم ثم خرجا فاستغو يا سعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم وما

وماغير العلم سدوا العلم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
واني عند دخول الشام * لقيت من همامس الاعلام
وشاهدت عيناي من اصافهم * ماحقق الحكي عن اوصافهم
وان من جلهم أوحد كا * والد بر المدري ...
ابن عابد الذي قد طاما ... * ...
الاودي الالمعي ... * لازال ...
وهو الذي أقراه ... * على ...
وكان قاري احدث السوى * لدى في الجامع أعني الاموي
بعصر الجمع العزيز الوافر * من وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذلك استمر الاجازه * من بوء وعدى واقتضى اجازه
فلم أجد بدامن الاجابه * مع أني لست بذي الاجابه
وان اكن أجمت أمر يمتثل * منه في ذلك بصدق المثل
فيمن دري شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اصلاوشيا
فليروعني كل ما صحلي * شرحه الذي يرى كالحلي
وقد أجدت جامع البخاري * عن حمى الامام ... العطار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التسي
أعني أباعبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدرأضا
العارف عن امام يدعي * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي * على علو قدره قد دلت
وليروعني ما انتمى للنووي * بدالى الساري ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه يحيى الرضي المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكن * النووي الشيخ ذي الدين
وحطه دا احمد البادي الوجل * المقري المالكي على عجل
في عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادي وسمعه أتت
السلام الله البرود الضافية * من منه وعفوه والعافيه
تجاه سيد البرايا طرا * ملجأ من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدي * حسن الختام ملوع القصد * امين

وسألني بعض ساكني دمشق المحروسة أن أفرط له في شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خص بالاسرار * قدماص الصوفية الابرار

له فقتلن حين صدورها مصرين قد ارحموجهين بالسيف ... صاحبه الا حر العرقوب الاحمر ... السماء ... لوجهها ... ولاد السقب ... فلعنه ... وعدهم العذاب وكان ذلك في يوم الاربعاء فقالوا له ... متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك قال سيجيء ... يوم موئس وهو يوم الخميس مصفرة و يوم العروبة محمرة ويوم ... ثم ... العذاب يوم أول ... وسند كرفيما نرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والايام لغيرهم ... ما كان كادنا كما قد أخذنا ... فاتوا الاخذ الملائكة ... وأبصرهم ... الله منهم لما انصرفوا والى ... وعدهم صفرا ... الرس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام ... في

أباحهم عوارف المعارف * والحكم السابغة المطارف
بهم ... تستمطر الانواء * وتظهر الانوار والاضواء
ومن أجلهم سناء وسنى * من دادعن عين المعالى الوسنا
شيخ الشيوخ العارف الكبير * الشيخ آرسلان الشهير
كم اشارات له أبانا * بهاعلوما من حلاها ازدانا
وكم عبارات بلا آيابها * تعيا الفحول عن مدى غاياتها
ومن رأى رسالة التوحيد * له انتحى مناشي التسديد
... نادى من أبى أن سلكا * يامعرضا تركك حتى كلكا
ومن أصل القصد في مهامه * هديه للخروج عن أوهامه
وكم بها من باب معنى معلق * ثم يعيد الوجد المطلق
فيابعير التجريدي الماطر * و واردا الفيض له مواطن
وقد رأيت في دمشق الشام * شرحالها أبان عن الهام
له كاشف ذي الوفا بالوعد * شمس العلا محمد بن سعد
لا زال في أوج المعالي صاعدا * وعون رساله مساعدا
ومد اجلت ناظري في حسنه * ألفيته مستندا على فنه
ومن ما أبداه من معاني * على شهود بالهدى معاني
لانه أجاد في تقرير * ماعاص بالاتقان والتحرير
وابرز الابكار من خدور * أفكاره حالية الصدور
فالله يجزيه الجزاء الاوفى * في يوم تبدى الانبياء الخوفا
وحط هذا المعرى من وجل * مرتجيا من ربه عزوجل
كشف كروب فقد صرحلت * منه وغفران ذنوب جلت
بجاه طه الهاشمي أحمدا * عليه أزكى صلوات سرمدا
عاطره النشر بلا اكتتام * تأرجت بالمسك في الختام

وحاصبني السري الحسيب الماجد فخر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم الدين الدمشقي حفظه الله تعالى بقوله

شمس المحاسن شرقي أو غربي * سعد منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شموس فضائل * وسنى هدى قد راح غير محجب
لقرى العالم الفذ الذي * لسوى اسمه درج المكارم يكتب
بدر ولم ... البدر ويشرق * الابدت من قبل ذلك بمغرب
لسوى اكتساب سناه لم تعرب ذكا * فلولاها شعرت به لم تغرب
علامة ملأ البلاد بفضله * وأواده المشرق و مغرب
بحري هو البحر المحيط فضائلا * ان يسر بالعذب الذي لم يعذب
مولى له سعد قوي في العلا * في المجد ودروي العلا وعن الاب

السلام
... كم يار حال ...
كأن وجوههم ...
ويوم عروبة ...
... وبادت ...
ويوم ...
من الخير ...
...
...
... بن عمرو
...
...
...
...
من حار
لا يرهبون ... حولهم
... ولا يرعا
ابرار
فهلكوا ...
...
...
...
...
فل يلحقون ...
من ...
... الخالق ...
وأحمروا العهد ...
احبار
... من ربه
حرسا
... شهدا
باحبار
(وسيذكر) ...

نسب له المجد المؤثل في الورى * والحلم كسب ادالم يوهب
هو في جبين الفضل أضحى غرة * يجلى بها للجهل ظلمة غيهب
آمالنا قطعت بشرحبيبه * أن لاترى للدهر وجه مقطب
بدر به زهيت دمشق وأهلها * أحبب به بدرا حيث حل محبب
طود الفضائل با كرت أرجاءه * ديم الحيا فغدا كروض مخصب
بحر الهدى والعلم الا انه * صفو من الاكدار عذب المشرب
هو قطب دائرة الفضائل في الورى * فيكاد يخبر ما بكل مغيب
في الفضل ما حاولت يوما مثله * كلا ولا قست البدور بكوكب
أني يجاري في الفضائل من له انقاد الزمان بأدهم وبأشهب
من لم يدع للغير سقط عنانا * فله العلا تعصى بفرس أوحب
ما روضة جلى أزاهرها الحيا * فاقتر فيها كل ثغر أشنب
ومشت بها جود الصبا فتعطرت * أذيالها من كل عرف طيب
للنور فيها جدول أحدثته * شهب المجرة حيرة المتعجب
باتت تساشدني بها ذكر الهوى * ورق الاراك بكل صوت مطرب
تشكو الى بمثل ما أشكو لها * شكوى المعذب في الهوى لمعذب
فعلمت ما قد حل من وجد بها * وجهلت وهو الفرق ما قد حل بي
لم تلق فيها من عليل يشتكي * الا النسيم وذا الهوى ان يطلب
أغض جنانا من ربا آداب من * حياريا من جناه ألطف صيب
طبع أرق من النسيم ومنطق * مستعذب وكذلك كل مهذب
لو جادصوب جناه قفرا مجدبا * لنعمت منه بكل روض معشب
مولاي عذرا فالزمان يعوقني * عن مطلبي والآن مدحك مطلبي
عفوا اذا أخرت مدحك سيدي * فعوائق الايام عذر المذنب
وكذلك يفعل بالاديب زمانه * فلذا يصول على الزمان بمعتب
لم آل يوما من نديه مهربا * الا اليك وحبذا من مهرب
لولاك ما حال القريض بخاطري * فالدهر يوجب للقريض تجنبي
لولاك لم ينهض جواد قريحتي * في كل واد للصبابة متعب
فاسمع ولست بآمر نظما غدا * في عقد مدحك اولو الي مذهب
كالراح يلعب بالعقول لانه * لكن بغير مسامع لم يشرب
من كل قافية غدت من حسنها * مثلا لغيرك في العلا لم يضرب
جود فاندمن ثناك قلائدا * بكر لغيرك في الورى لم تخطب
غنيت بمدحك لثر ينة ولربما * يغني الجمال عن الوشاح المذهب
هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت * كالبحر عذبا ماؤه لم ينضب
جاءتك تسألك القبول وحسبها * خيرا قبولك وهو جل المطلب

على شرح ذلك على الكمال بمعهم لم لناس كتابا اخبار الزمان والله الموفق
(ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب)
ولما أسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر وأسودعه خالقه على حسب ما أخبر الله عنه انه أسكنه بواد غير ذي زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون لهما مسكنا وكان من شأن اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم وانحط الشحر واليمن تفرق العماليق وجرهم في البلاد ومن هنالك من بقايا عاد فبعثت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصبة وعليهم السميدع بن هود ابن لاي بن سطور بن كركر بن حيدان فلما امعنت بنو كركر في المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد أرسل السميدع بن هود بعضهم على السير في شعر له و شجعهم على ذلك برجز وهو

ط ل. سيروا بني الكركر في البلاد * اني أرى ذا الدهر في فساد قد سار من قحطان ذي الرشاد جرهم للماء هدى الاعادي

ونروم منك اجازة فانت عما * ترويه بالسند القوى عن النبى
حسن الاجازة منك جائزة ولم * أك قبل غير الفضل بالمتطلب
لابدع والايجاز اطنابا غدا * فى مدحه ان لم أطل أو أسهب
هيهات لاتحصى مآثر فضله * بالمدح ان أطنب وان لم أطنب

حمدمة الداعى محمد بن يوسف الكريمى انتهى فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع شمس الدين * فى أفق الرواية المبين
وخص فضلا منه بالاسناد * أمة طه منهب العباد
ولم يكن عصرمن الاعصار * الا وفيه أهل الاستبصار
يحمون عن حوزة دين الله ما * يروم من عليه رشد أبهما
وأنتحى سبل صلاة كامله * على الذى له العطايا الشامله
محمد المرسل بالشرع الحسن * ذو المعجز المفحم أرباب اللسن
مع حزبه من صحبه وعترته * ومن تلا مؤملا لاثرته
وبعد فالعلم أجل ما اعتمد * موفق من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى * صلى عليه الله ما رندى ورى
ولم يزل ذوو النهى يسعون فى * تحصيله اذ فضله غير خفى
وان مولانا الشهير السامى * الماجد المولى نبيه الشام
سالك نهج السنة القويم * محمد بن يوسف الكريمى
لازال فى عز وفى أمان * مبلغا من قصده الامانى
وجه لى المراسلات الشاما * وبرق حسن الظن منى شاما
قصيده بليغة مستعذبه * غريبة فى فنها مهذبه
يسأل من مثلى بها الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
مستمسكا بعروة الصواب * ولم أجد بدا من الجواب
فليرو عنى ما سمعت كله * وما جمعت فى الفنون جمله
على شروط قررت فى الفن * مرتجيا حصول كل من
وصفوه الاكمل قد أتخذه * دالا على الوجه الذى شرحته
وان أكن فيما ابتغى مقصرا * فذو الرضا ليس لعيب مبصرا
ولى أسانيد أبى وقتى عن * تفصيلها لما من الرحلة عن
والعذر باد والكريم يقبل * والصفح نهج مقتفيه الانبل
وحط هذا المزرى الجانى * أمنه الله من الاشجان
فى عام ألف وثلاثين قفا * سبع الهجرة النبى المصطفى
عليه أزكى صلوات تغتنم * بزكو بها مفتتح ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامه الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى اللسن سيدى الشمس محمد المحاسنى سبط شيخ الاسلام مولانا البورينى حسن حفظه الله تعالى

شرف روادهم بهم وظروا لى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أم اسمعيل لولا أنها عجلت ومنعت ماء زمزم من أن يجرى بما حوطته ولعس الاحجار لجرى الماء على وجه الارض ثم الرواد عليها واستأذنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فأنست اليهم وأذنت لهم فى النزول فأعلموا من كان وراءهم من أهاليهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام وتكلم اسمعيل بالعربية بخلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس فى ذلك من قحطان ونزار وتزوج اسمعيل بالجداء بنت سعد العملاقى وقد كان ابراهيم استأذن سارة فى زيارة اسمعيل فأذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه أمه هاجر فسلم على الجداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال فأين رب البيت قالت هو غائب فقال لها اذا ورد

تعالى

ياسيدى وملاذى * وعالم الثقلين
ومن غدا بعكاس * علا على النيرين
أجزت بالدرس وما * فاقوا به الفرقدين
وزين العبد أيضا * من مثل ذاك زين
وان يكن فى ختام * فذاك قرة عينى

فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع من محاسن * دمشق ما أربى على المحاسن
وزانها بالجلة الاعيان * الراقين فى حلى التبيان
الراغبين فى الحديث النبوى * السالكين فى الهدى النهج السوى
وبعد فالعلم أجل زينه * وسبله فى الرشد مستبينه
وان علم السنة الشريفه * ظلاله ضافية وريفه
لذاك كان باعتناء أحدرا * من كل ما بابه من تصدرا
وان الفضل الاديب البارع * سابق ميدان الذكا المسارع
الماجد المسدد السامى الحسب * محمد من للمحاسن انتسب
ابن الشهير الصدر تاج الدين * لازال فى عز وفى تمكين
وجده لامه الشيخ الحسن * وذاك بوريني معطى اللسن
سألنى اجازة بكل ما * أرويه عفوا انا بحالى معلما
وها أنا أجبته غير بطل * مستغفرا من خطأ ومن خطل
فليروعنى كل ما يصح * على شروط عندها يسمح
وهى عن الشروط لن تريما * وليس يخفى علمه الكريما
وكل ما ألفت أوجمعت * نظما ونثرا مثل ما أسمعت
ولى أسانيد يضيق الوقت * عن سردها وبعضها قد سقت
فى غير هذا فيحقق ذلك * مقتفيا لاوضح المسالك
وقد أخذت جامع البخارى * ومسلم عن خاتم الغخار
عمى سعيد وهو عمن يدعى * بالتنسى قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه * عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجل العراقى * وقد سما فى سلم المراقى
وماله من الروايات علم * من كتبه التى حوت خير الكلم
وخط هذا المقرى عن عجل * مؤملا من ربه عز وجل
غفران ما جنى من الذنوب * والصفح عن معرة العيوب
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله دأبا سرمدا
وآله وصحبه الاخيار * ومن تلا لا حرا لا سصار

فاخبريه أن ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن اهلك استبدل بعتبة بيتك

غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادى قد أشرق وأنار والاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدى من خبر قالت نعم شيخ ورد على وأخبره بالقصة فقال ذاك أبى خليل الرحمن وقد أمرنى بتخليتك فالحقى باهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بنى كركر ونزولهم الوادى وساهم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم فى حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الريث ابن طامن بن نحالة بن هى ابن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادى ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بنى كركر وقد قيل فى كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر انه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهى سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هى بن نبت واستاذن ابراهيم سارة فى زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل من

ركابه وقد تنازع الناس على أى شئ كان ركوبه فمنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على اتان وقيل غير ذلك

من الحيوان دله أنى ابراهيم الوادى سلم على زوجة اسمعيل الجرهمية فسلمت عليه ورحبت به

واقته باحسن لقاء
وسالها عن اسمعيل وهاجر
فاخبرته بخبرهما وانهما
فى رعيهما وعرضت عليه
النزول فابى وقبل ان هاجر
كانت قدماتت ولها من
السن تسعون سنة والحت
الجرهمية على ابراهيم فى
النزول فابى فتقدمت اليه
لبنا وشرائح من لحم الصيد
فدعا فيه بالبركة وجاءته
بحجر كان فى البيت فمال
عن ركابه وجعلته تحت
قدمه اليمنى ثم رجلت
شعره ودهنته ثم حولت
الحجر الى شماله فوضع رجله
اليسرى عليه أيضا ومال
براسه نحوها فرجلته
ودهنته فأثرت قدماه فى
الحجر على ماوصفنا من
ترتيب اليمين والشمال
فلما رات الجرهمية ذلك
اكبرت ماشاهدته وهذا
الحجر هو مقام ابراهيم
فقال لها ابراهيم ارفعيه
فسيكون له شأن وشأن بعد
حين ثم قال لها اذا جاءك
اسمعيل فقولى له ان ابراهيم
يقرأ عليك السلام ويقول
لك احتفظ بعتبة بيتك
فنعمت العتبة هى وسار
ابراهيم راجعا نحو الشام
وقيل انما سمى اسمعيل
لان الله سمع دعاء هاجر

ورجها حين هربت من سيدتها سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل

حدثنا

وهذا ما الى فى الاجازة الفاضل الاديب سيدى محمد بن على ابن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيدى ومولاى الشيخ عمر القارى حفظه الله تعالى وأنا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل ماصورته

أحمد من زين بالآثار * جيدا من الراوى البديه القارى
وشاد للعلياء فى أوج السند * منازلا لم يبلها طول الامد
ومن الواعين للحديث * بالفضل فى القديم والحديث
وزان منهم سماء الدين * فاشرقت بالحفظ والتبيين
فهم بها للمهتدى نجوم * وانها للمعتدى رجوم
فكم أزاحوا عن حديث المجتبى * صلى عليه الله ماهبت صبا
تحريف ذى غل مضل غالى * شان لمنهاج الرشاد قالى
وبعد فالاسناد للروايه * وسيلة تزحزح الغوايه
والله قد خصص هذى الامه * به امتنانا وأزاح الغمه
هذا ولولا ذاك قال من شا * ماشاء فهو يحق منشا
فلم يزل أهل النهى كل زمن * يسعون فى تحصيله عن مؤتمن
وان من جمله من تحرى * تحمله من العلوم غررا
الفاضل المسدد النجيب * الواصل المسدد الاريب
محمد سليل ذى المجد على * ابن الامام العالم الحبر الولى
عمر الشيخ الشهير القارى * طود السكون هضبة الوقار
شيخ الشيوخ فى دمشق الشام * لازال محفوفا بعز سامى
فكان من جملة من عنى روى * بعض الصحيح ظافرا بمانوى
وبعد ذاك اقترح الاجازه * منى ووعدها اقتضى انجازه
فانجمت نفسى عن الاجابه * اذ لست فى ذا الامر ذا نجابه
مع أننى مقصر ذو عى * فى مثل هذا المطلب المرعى
وخفت أن آتيها شنعاء * بحملى الوشى الى صنعاء
وبعد ذا أجبت قصد الاجر * مرتجيا بذاك رفع الحجر
وقد أجبته وانى اعلم * أنى من خوف الخطا لا أسلم
فليروها ببالغ التمنى * جميع مايصح لى وعنى
من ذلك الجامع للبخارى * عن عمى الشهير ذى الفخار
سعيد الآخذ عن سفين * عن قلقشندى مزيح المين
عن حافظ الاسلام أعنى ابن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وبعضها فى صدر فتح البارى * مبين لطالب الاخبار
ولى أسانيد يطول شرحها * والروضة الغناء يكفى نفحها
ومن رواياتى عن القصار * مفتى البرايا بهجة الاعصار

حدثنا خروف الذاكي الارج * عن الشريف الطيطواني نرج
سمعت في المنام طه يملي * حديث من أصبح وفي العقل
أي آمنا في سربه معافى * في جسمه مع قوت يوم وافى
وكل ما ألفت في الفنون * أرجوبه التحقيق للظنون
فليروه عني بشرط معتبر * وربما يصدق الخبر الخبر
ولي تآليف على العشرينا * زادت ثمانيا حوت تفننا
فليروها ان شا بلا استثناء * والله أرجو نيل قصد داني
بجاه من شرف بالادناء * صلى عليه الله في الآناء
أحمد خير المرسلين الهادي * غوث البرايا ملجأ الاشهاد
عليه أسنى صلوات زاكيه * مع صحبه ذوي المزايا الزاكيه
ومن تلاهم من أطاب عمله * فنال من رجائه ما أمله
وشم من عرف قبول أرجا * فنال من حسن الختام ما رجا

وخاطبني من أهلها أيضا خادم الشيخ الاكبر ابن عربي محيي الدين وهو الشيخ الاكرمي سيدي ابراهيم سلك الله بي وبه سبل المهتدين بقوله

فكرت في فضل الاما * م المقري الحبر حينا
فوجدته بكر الزما * ن و واحد الدنيا يقينا
ما ان رأيت ولا سمعـ * ـت بمثله في العالمينا
وافى دمشق زائرا * ألوانه أضحى قطينا
وأتى عجيب الاتفا * ق بفطر شهر الصائمينا
فكأن غرته الهلا * ل ونحن كنا ناظرينا
والعلم قال مؤرخا * أدى بها فضلا مبينا

وخاطبني أيضا منهم الفقيه النبيه سيدي مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله

فضائل قطب الغرب في العلم والفصل * هو المقري الاصل حائزة الخصل
حوى كل علم كل عن بعضه السوى * فلا غرو أن أضحى فريدا بلا مثل
وحاز فنونا من ضروب معارف * ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توخى دمشق الشام فافتر ثغرها * سرور ابه وازينت من حلى الفضل
وشرف مصر اقبالها فاكتست به * ملابس فخر زانها كرم الاصل
لقد أشرقت من أفق غرب شموسه * وناهيك أفقا نوره قدره يعلى
نفاسته فيها تنافست الورى * بما قد غدا من در ألفاظه يملي
ملي بمن التحقيق ان عن مشكل * تكفل بالتبيان والشرح والحل
اذا ما أدار الدوم من كاس لفظه * سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام له يحكي قلائد عسجد * وثغرما مج فائق الحسن والدل
وأسجاعه ان حاك وشي نسيجها * حكت حبرا حيكت غارق من غزل

لاسمعيل اثنا عشر ولدا ذكراوهم نابت وقيذار وادبل وميم ومسمع ودوما ودوام ومثى وحداد ونيم ويطور ونابس وكل هؤلاء قد أسل وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتي بالحجر من دشم حجيان كرب وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه سبعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه وألصق المقام بالبيت وذلك قوله عزوجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده اناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولي البيت وكان ينزل هنالك في الموضع المعروف بقعيقعان في هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها

عليه وذلك في أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هود بن حد بن مازن بن لاشي بن قنطور اوكان ينزل أجيادا من أسفل

اذا أمه العالي بشرق ومغرب * له الموضع الاسمى على الكل في الكل
فسيدا حاز المفاخر والعلا * ووافقت حلي الآداب منه على الحلي
الملك من العبد الحقير تحية * لقد نشأت عن خالص الود من خل
موال الى الحب والقرب منكم * بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
فلا زالت محفوا بسابغ نعمة * وفضل عميم وافر وارف الظل
ودمت لدى الاسعاد في خير أوبة * وجمع لشمل بالمواطن والاهل

وخاطبني أيضا الشيخ سيدي محمد بن سعد الكلشني بقوله

شهر شعبان جاءنا لتهني * بقدوم الاستاذ كنز الفضائل
بهجة الكون روض علم وحلم * وهو مغني اللبيب ان جاء سائل
مصابيح فضله قد أضاءت * ساحة الجامع الكبير لآمل
ومختار نقطه صار يروى * لحديث مسلسل عن أفاضل
ومن الغرب حين وافى لشرق * فاق بدرا لتمام وسط المنازل
حل مني في القلب والطرف لما * لاح سعد السعود لي غير آفل
وبدا بالامان والسعد أرخ * أحمد المقري في الشام قائل

وقال أيضا شكر الله عالي نيته وأنعم أمنيته

أيا أيها دمشق الشام أكرم وارد * فقرت به عينا وللحسن شاهدي
وهزي دلالا في أزاهر روضه * معاطف لين كالغصون الاماليد
لك البشر يا عيني ظفرت بماجد * رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله * فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المفيد الذي له * أياد سمت بالجود تولي لقاصد
وذاك أبو العباس أحمد من صفت * مناهله دوما الى كل وارد
تراه اذا وافيته متهللا * ويبسم حبا في وجوه الاماجد
امام سما قدرا على النجم رفعة * أرى وصفه في بيت نظم شاهد
لديه ارتفاع المشتري وسعوده * وسطوة بهرام وظرف عطارد
شهدت بأن الله أولاه نعمة * بنقل حديث في جميع المساجد
ومذ حل في وادي دمشق ركابه * وسودده وافى باعدل شاهد
حوى كل افضال وكل فضيلة * بها يهتدي حقا لنيل المقاصد
وما داعيي في مدحه انا قائل * ولو جئت فيه مطنبا بالقصائد
اذا رمت أن ألفي نظيرا لمثله * عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حازها ببيانه * وفكرته قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوي الشفا بجواهر * صحاح بها يزدان عقد القلائد
من الغرب وافى نحو شرق فأشرقت * شموس علوم أسفرت عن محامد
فناديته يا سيدي من بفضله * تواترت الاخبار عن غير واحد

[illegible] والذروة فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخرج السميدع [illegible] الجياد من الخيل فعرف الموضع باجياد الى هذا الوقت [illegible] واقتتلوا [illegible] الموضع واصطلحوا الى هذا الموضع ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وصنعوا فسمي الموضع بالمطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العمالقة ثم كانت لجرهم عليهم وأقاموا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث ابن مضاض الاصغر ابن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وأرادوا في بناء البيت ورفعه على ما كان عليه من بناء ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم في الحرم وفسقت حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى اساف والمرأة نائلة فمسخهما الله حجرين [illegible] بعد ذلك [illegible] الى الله تعالى وقيل ان هما حجران نحتا [illegible] باسماهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي

قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة

عسى عطفة منكم على بنظرة * فانت لموصول الحداد عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدى * وأنت يمينى للحسود وعدى
ولازلت تولى كل من هو آمل * لبغيته من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الايام فى المجد اولا * بثوب الهنا تكسى شرد را لحواسد
وهاك عروسا تجتلى فى حليها * اليك أتت فى زى عذراء ماهد
ترى بعيد القطر من بعد صومكم * بحبير يل من لديك الموائد
وترجو جليل السران هى مثلت * بحضرتك العليا باحسن واجد
وعش فى أمان الله بالعز دائما * مدى الدهر ما ان الحيا فى المعاهد
ومادارت الافلاك من نحو قبها * ومابزغت شمس الضحى للشاهد

وقال أيضا زاده الله تعالى من فضله

صبى بوسط الفؤاد قائل * أعجز بالوصف كل قائل
ظبى باجفانه سبانى * وسحرها نمى لبابل
يرمى سهم اللحاظ الا * برنو فيصمى الفؤاد عاجل
تدوس العقل مذ نحى * على حتى غدوت ذاهل
له قوام كخوط بان * أو كالقنا السمهرى عادل
بدر بدا كامل المعانى * فى القلب والطرف عاد نازل
قد أسر القلب فى هواه * بقيد حسن ودرع سابل
ومابقى منه لى خلاص * سوى مديحى رضا الافاضل
أعنى به المقرى من قد * سما على البدر فى المنازل
أحمد مولى له أياد * كالغيث يغنى لكل سائل
علامة حاز كل فضل * سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد نشا فى العلوم طرا * وحاز علم البيان كامل
طويل باع بسيط فضل * مديد جود لكل آمل
ووافر العقل راجح هدى * سريع فضل لكل فاضل
وجامع العلم فى ابتهاج * بمنطق فى الاصول حافل
وهكذا فى الكلام مهما * أفاد فى الدروس شامل
يروى صحيح الحديث دأبا * بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد * أتاه فى مشكل المسائل
وحل ابهام كل شكل * من من وفى الى الوسائل
وغاص فى لجة المعانى * واستخرج الدر فى المحافل
وفى فنون البديع أضحى * جماسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما * برهانه أبهت المعارل
ان كان وافى لنا أخيرا * فهو الذى فاق الاوائل

لهاعن بنى هنى بن نبت بن جرهم وفى ذلك يقول مضاض جرهم وأية كهف ووولاة لبيته والحجاب

فاتاهم فى بعض الايام السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعره فقال
وجرهم دمنوا تهامة فى الدهر فسالت بجمعهم اضم
(وفى ذلك) يقول الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة
ولما تدر فى بينها دائرات الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فان تنثنى الدنيا علينا بحالها
فان لها حالا وفيها التشاجر
فابدلنا ربى بها دار غربة
بها الذئب يعوى والعدو المخامر
وممن ذكر من أخبارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
وكنا ولاة البيت والقاطن الذى
اليه تؤدى نذره كل محرم
سكنا بها قبل التنابت زمانه
فسعوا الى الحرام بعد زماننا

بحر محيط فيض منه * على رياض بكل ساحل
واذ من العرب نحو شرق * يجوب من فوق متن بازل
فى مهمه مجمح سهول * وحزنه كم به عوا ئـل
وحث فيه المسير حتى * حلفه من وراء كاهل
وجاء باليمن فى أمن * وصحة الجسم والشمائل
وحل فى الشام عند قوم * من أكرم الناس فى القبائل
دال ابن شاهين ذو المعالى * رب الندى للالوف باذل
كانه الشمس حاء يهدى * فالبدر نورا وليس آفل
لـ كان عينا لهم وكانوا * روض الربى الشكر وابل
بجلوه وعظموه * وادخروا عاجلا لآجل
جزاهم الله كل خير * وصانهم من جدال جاهل
وأحمد دام فى أمان * المقرى الرضا المعامل
لربه فى دجى الليالى * ويرشد الناس فى الاصائل
لا زال فى نعمة وخير * وفى أمان يعود عاجل

وخاطبنى الاديب الفاضل الشيخ أبو بكر العمرى شيخ الادباء بدمشق حفظه الله تعالى بقوله

باهت لسان على مدن الدنى * بعالم فى العالمين محمد
المقرى أحمد رب الحجا * الكامل الحبر الخضم المزبد
مالك هذا العصر شافعيه * أحمده نعمانه المسدد
مذحل مصر ادعت أعلامها * لفضله وبجلوا ومجدوا
وفى دمشق الشام دام سعدها * كان لهم الهمام الاسعد
العلماء أجمعوا جميعهم * على معاليه التى لا تجحد
أقام شهرا أو يزيد واثنى * وفى الحشا منه المقيم المقعد
سالت على فراقه دموعنا * وفى القلوب جمرة لا تخمد
لو قيل من تحمد فى تاريخه * ما قلت الا المقرى أحمد
لا برحت أوقاته سعيدة * ما صاح شوق عوده معربد

قلت وذكر الكلام أعيان دمشق حفظهم الله تعالى ومدحهم لى ليس علم الله لاعتقادى فى نفسى فضلا بل أثبته دلالة على فضلهم اذ اهر جيث عاملوا مثلى من القاصر بن بهذه المعاملة وكسوه حلل ثلاث المحامد مع كونى لست فى الحقيقة اهلا لما اناعليه من الخطا والخطل والجهل ولقد خاطبت من مصر مفتى الشام صدر الاكابر وارث المجد كابرا عن كابر ساحب أذيال الكمال صاحب الجلال المبلغه الآمال مولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى بكتاب لم يحضرنى منه الآن غير بيتين فى أوله وهما

وكان حروب شبيهة بين مصر وأياد وكانت لمصر على اياد وتحولوا ... مكة الى العراق و ... عد ... الامين ... من مكة وولد نزار وجراته ... برهم (والمقريزى) ... على ... الامر ... ارتى ... جرهم ... وجدت فى بعض الروايات ان أول ملك من ملوك جرهم ملك بمكة مضاض بن عمرو بن سعد ... دت بن جرهم بن قحطان ... ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض ... الحرث بن عمرو مائتى سنة وبين دون ذلك ثم ملك بعد عمرو بن الحرث ثمانى سنة وبين دون ذلك ثم ملك مضاض بن عمرو الاصغر ابن الحرث بن عمرو بن ... الحرث ... بن جرهم بن قحطان أربعين سنة وانقرضت العرب العاربة من عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة واباد جرهم ولم يبق من العرب الا ... من عدنان وقحطان ودخل من بقى ممن ذكرنا فى العرب

الى ... قحطان وعدنان فقدت أنسابهم ودرست آثارهم وقد كانت العمالقة بغت فى الارض

ياحادي الاظعان نحو الشام * بلغ تحياتي لتلك الفئام
وابدأ بعقتها العمادي الرضا * دام بشمل الهنا في التئام

فاجابني بمانصه

الى أهالي مصر أهدى السلام * مبتدئا بالمقرى الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه * ولم يضع منه الوفا للذمام

أهدى تحف التحية الى حضرته العلية وذاته ذات الفضائل الدنية الاحمدية التي من صحها المزيل موصولا بطرائف الصلات والعوائد الاوحدية الجامعة التي لها منها اعليها شواهد

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

فيامن جذب قلوب أهل عصره الى مصره وأعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى النثرة بنثره أوالى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه في القلوب فاستوى على سوقه وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق وأصبح كل صب وهو اليه بهجته امشوق زار الشام ثم ماسار حتى ودع بعد أن فرع بروضها افنان الفنون فابدع وأسهم لكل من أهلها نصيبا من وداده فكان أوفرهم سهما ذا المحب الذي رفع بمحبته سمك عماده وعلى محبته شغاف فؤاده فانه دنا من قلبه فتدلى وفاز من حبه بالسهم المعلى أدام الله تعالى لك البقا وأحسن لنا بك الملتقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا آمين عنه وبعد هذا وقد وصل من ذلك الجناب الوفي كتاب كريم هو اللطف الخفي بل هو من عز ز مصر القميص اليوسفي جاء به البشير ذو الفضل السني الخل الاعز الاجل التاج المحاسني مشتملا على عقود الجواهر بل النجوم الزواهر بل الآيات البواهر تكاد تقصر البلاغة من حواشيه وتشهد بالوصول الى طرفها الاعلى لموشيه فليت شعرى باى لسان أثنى على فصوله الحسان العالية الشان الغالية الاثمان التي هى أنفس من قلائد العقيان وأبدع من مقامات بديع الزمان فطفقت أرتع من معانيها في أمتع رياض وأقطف بانى في منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض

ليت الكواكب تدنولي فانظمها * عقود مدح فلا أرضى لها كلمي

ولاسيما فصل التعزيه والتسليه المشتمل على عقد التخلية بل عقود التحليه المؤذن كم الولد ابراهيم فانه كان له كرتبة السليم بعد أن كادبهم نجباءوالله درة في أحسن الحال ووقع الموقع حتى كان الولد نشط بيركته من عقال

واذا الشئ اتى فى وقته * زاده العين جا الاجمال

فجزاكم الله تعالى عنا احسن الجزاء ثم احسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كريم الاصل والفرع وابقى منكم ما كنتا في الارض من به للناس اعم النفع واما مصيبة من كان وليي وسميي ونجدى الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدى فانها وان اصابت منا ومنكم الاحوين فقدعمت الحرمين بل طمت الثقلين ولعدعد

من تحقق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبها الى غير هذا النسب وهو الاشهر في الناس وقد رثاهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم
خطير ولا ذو نخوة متشاوس
عتوا فأذال الله منهم وحكمه
على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري بما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باديه فصرنسبهم العرب المثل وصرنسبهم الشعراء المثال فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم في قوله

فمن يلي من جوى هم رسيس
من الاقوا لطسم أو جديس
بيوم عانوا المذاكى
وباليوم الاحم العيطموس

واما الرس واصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتابنا وهم من حنظلة ابن صفوان العبسي بعثه

الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لما وقد قيل في أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا في هذا

د انه في الاسلام ثلمه وفقده في حرم الله تعالى من كان يدعي للملة ولم يبق بعده الامن يدعي التماس الجيس واستحق ان ينشد في حقه وان لم يقس به قيس.

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فالله تعالى يرفع درجاته في عليين ويبقي وجودكم للاسلام والمسلمين وتلامذتكم الاولاد يرجون من بركات دعائكم أعظم الامداد ويهدون أكمل التحية الى حضرتكم العليه ويلتمسكم دعاء صالحا لسعادة أدام الله تعالى اسعادكم واسعاده ونحن من صحبته النهاية في رياض ودون أدنية أبهاها المعالي محاضره في ذكرشمائلكم الجليلة تنور المجالس وأبهاها المحاورة بذكر فضائلكم الجليلة تعمر المجالس وسلام جملة الاصحاب من أهل الشام وعامة الخواص والعوام والدعاء على الدوام المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية بدمشق المحمية (وورد) على مع المكتوب المذكور مكاتبات جماعة من اعيان الشام حفظهم الله تعالى فمنها من الصديق الحميم الركن في حل الاخ الصميم الخطيب الاديب سيدى الشيخ الحاسني يحيي أسمى الله تعالى قدره في الدين والدنيا كتابان من أولهما باسمه سبحانه

لئن حكمت أيدي النوى أو تعرضت * عوارض بين بيننا وتفرق

صرفي الى رؤياكم متشوف * وقلبي الى لقيا كم متشوق

يقبل الارض لشريعة لازال مركز الدائرة المعالي وقطب الفلك تجري المحرة على مجرته على الدقائق والثواني ولا برحت ألسن البلاغة عن يراعة حامي حماها معربة او بلابل الآداب على الاغصان في رياض فضله مثنى الثناء صادحه وبالحان سجعها مطربه

أرض بها فلك المعالي دائر * والشمس تشرق والبدور نجوم

ولها من الزهر المضيء دائما * ولها على افق السماء نجوم

جعل الله تعالى بالمسرات محلها وعمها بالخيرات من حلها وتبدي بسلام يخبر عن صحيح وده السالم ومزيد غرام في كد حبه الذي هو للولاء خادم ويبعث شوقا تحرك ماسكن صميم الضمير من صدق حب سلم جمعه من التكسير وتوكد الكلام سوابح المدح والثناء ويعرب عن خبه منذ البناء ويبهي ان السبب في سطرها والباعث على تحريرها أشواق اضرم نارها في الفؤاد وبعد لم يحسمن تلك البلاد

شوق لذاتك شوق لازال ارى * اجدده يا امام العصر ادمعه

ولي دم كاد ذكر الشوق يحرقه * لو كان من قال نار أحرقت ماه

هذا وان تفضل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ماشهدته الذات اللطيفه العليه من صدق المحبة ورق العبودية ولم يزل يزين افق المجالس بذكركم ولا يقتطف بعد الخاصرة الامن زهركم ولم ينس حلاوة العيش في تلك الاوقات التي مضت في خدمتكم المحروسة بعناية الملك المتعال وايالي الانس التي قيل فيها وكانت بالعراق لنا ليال

وها انا ليال هل تعودكما * كانت واي ليال عاد ماضيها

ولده عابر بن ارم وعوص ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم [illegible] فهذه [illegible] كانت [illegible] الى [illegible] فحل عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح وولده الاحقاف من بلاد حضرموت وحل ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وولده الحجر وحل [illegible] جديس بن عابر بلاد جو وهي بلاد اليمامة بين البحرين والحجاز وهذه البلاد في هذا الوقت وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بيد الاخيضر العلوي وهو من ولد الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وهو ويجاورها من ربيعة ومضر الى هذا الوقت وحل طسم بن لود بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بني جديس وحل عملاق بن لاود بن سام بن نوح الحجاز وقد ذكرنا ولد سلام فيما تقدم من هذا الكتاب أنهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم ابن سام بن نوح بابل وعامرا على العراق وهم النبط

لم انسها مذ بات عنى ببهجتها * واى انس من الايام ينسيها

ونسأل الله تعالى ان يمن بالتلاق ويفصل منعة الجمع بدل شمه الفراق ان ذلك على الله يسير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وبعد فالمعروض على مسامع سيدي الكريمة لازالت من كل سوء سليمة انه وصل لمامكتوبكم الكريم صحبة العم الحب القديم فحصل لهذا العبد به جبر عظيم وانس جسيم كما شهد بذلك السميع العليم فعزمت على ترك الاجابة لعدم الاجادة ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة ما بلغته الالفاظ المقربه وأين يصل صاحب الرم كما قيل الى الدفات الحليلية ولكنني خشيت من ترك الاجابة توهم نقض ما أبنيه من رق العبودية وصحة الوداد ومن انقطاع برق شيمتي الذي هو لبيت شرفي العمدة والعماد فلزم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب وان كان خطؤه أكثر من الصواب وأرسلته قبل ذلك بعشرة أيام ومكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان أحدهما من محبكم شيخ الاسلام المفتي العمادي والآخر من محبكم أحمد افندي الشاهيني وهما بقية أكابر البلدة وأعيانها يبلغونكم السلام التام ولا تؤاخذونا في هذا المكتوب فاني كتبته عجلا ومن جنابكم خجلا دام خيركم على الدوام الى قيام الساعة وساعة القيام وحرر يوم الاثنين ١١ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ الفقير الداعي يحيى المحاسني انتهى * (ونص الكتاب الثاني من المذكور أسماه الله) باسمه سبحانه مخلصك الذي محض لك وداده ومحبك الذي أسلم لمحبتك قياده بل عبدك الذي لا يروم الخروج من رقك وتلميذك الذي لم يزل مغترفا من فيض علومك معترفا بحقك من أسكنك لبه وأخلص لك حبه واتخذك من بين الانام نجما نافعا وكهفا مانعا ومولى رفيعا وشهابا ساطعا وتشبث بأسباب علومك ونعمك يهدي اليك سلاما كأنما تعطر بمسك ثنائك ونعمك واكتسب من لطف طبعك الرقة واستعار من سني وجهك حلة مستحقة وتحية لم يكن مناه الا أن تكون بالمواجهة والمحاضرة والمشافهة على أن فؤاده لم يبرح لك سكنا واحشاءه لك موطنا ويبدي دعوات بحق الفضل انها من القضايا المنتجة وأن أبواب القبول لها غير مرتجة مقبلا أياديك التي وكفت بوابل جودها وكفت المهم بنتائج سعودها وحاكت الوشي المرقوم وسلكت الدر المنظوم فهذا يرفل في حللها وهذا يتحلى بعقودها

فهي التي تعنو الرياض لرقها * ويغارمنها الدر في تنضيدها

وبحار أرباب البيان لنظمها * فهم بحضرتها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثيق العرا متمسكا من ثنائك الذي لا يزال الكون منه معطرا متشوقا للقائك الذي بالمهج يستام وبالنفوس يشترى متشوقا الى ما يرد من أنبائك التي تسر خبرا وتحمد أثرا أعني بذلك المولى الذي أقام بفناء الفسطاط مخيما وانتجع حماه رائد الفضل ميمما وشدت لفضائله الرحال ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال وطلعت شموس علومه في سماء القاهرة فاختفت نجوم فضلائها والاشعة باهرة

هو الشمس علما والجميع كواكب * اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق مسير الصبا جاذب ذيلها النسيم الخفاق الذي أطلع

أشر ملوك الارض فادال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ماهم عليه من الذل في هذا الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف في الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبي عليه السلام منهم أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبي صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودي) ولما لم يسأل من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم اذ احتج من قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التي احتج بها النبط فتقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما

شمس الـ[illegible] من أفق بيانه وأضهر بدر التدقيق من تبيانه فلهذا انعقدت عليه الخناصر من ... عصره وانصغت اليه الاواصر من فضلاء مصره فلا يضاهيه أحد في زمانه وينسق ... في ... فهو المعوّل عليه في مشكلات العلوم معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم الذي لم ... بمثله الازمان والعصور ولم يات بنظيره تتابع الاعصار والدهور من عرائس الفلم عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم لا زالت المدارس مشرقة بالـ[illegible] فيها الدروس ولا برحت الجنع عامرة بوجوده بعد الدروس ماسطرت آيات الاشواق في الصحائف والطروس وأرسلت من تلميذ الى أستاذ بسبب نسبته اليه فحصل على المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدى لحضرتكم وينهى لطلعتكم أن الراقم لهذه الصحيفة المشرفة ببعض أوصاف تلك الطليقة المرسلة لساحة فضائلكم المنيفة هو تلميذكم من شرف بدرسكم وافتخر باجازتكم يبدي لكم تلهفه لنيران أشواقه التي التهبت وتأسفه على الايام السالفة مذهبة في خدمتكم لا ذهبت وتوجعه لهذه الازمان التي استرجعت بابعدها عنه من ذمته ما وهبت وتطلعه الى ما يشنف به الاسماع من فضائله التي سلبت العقول والتهبت فلم يزل يسأل الرواة عنها ليلتقط منها وقد تحقق ان فرائدها لا تلفى لها نظير ولا يدرك كنهها وكيف لا ومنها يتعلم الفاضل اللبيب واليها يفتقر السعيد ويتودد الحبيب وعليها اعتمد ابن العميد ولم تنفك راقية في درج المزيد وعبد الحميد عبد الحميد وعلى شيخي محيط بصدق محبتي واخلاصها وشدة حرصي على تحصيل فوائد مولانا واقتناصها واني لا أزل ذا كرا لمحاسنه التي ليست في غيره مجموعة ومتطفلا على ثمار أفكاره التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا تحتاج هذا العبد الى بينة لدى مولانا الاستاذ المالك وحقيق على من فارق تلك الاخلاق الغر والشمائل الزهر والعشرة المعشوقة والسجايا الموموقة والفضائل الموفورة والمآثر المشهورة أن يشق جيب الصبر ويجعل النار حشو الصدر

واني لتعروني لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

ولو ملكت مرادي لما أحضر الا في ذراء مرادي بل لو دار الفلك على اختياري لما انقضت الا عندك ليلي ونهاري

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الزمان

وقد تعت ضلوعي لوعة لو كتمتها ... لخفت على الاحشاء أن تتضرما

ولو بحت في كتبي عاني جوانحي ... لانطقتها نارا وأبكيتها دما

وأنا لا أقترح على الدهر الا الفناء ولا أطمع حاضر الوقت الا بذكراه وما أعد أيامي التي سعدت فيها بلقائه الا صفات السرور ومطالع السعود والحبور ولست أعيبها الا بقلة البقاء وسرعة الانقضاء وكذلك عمر السرور قصير والدهر بتفريق الاحبة بصير وربما نضر العود بعد الذبول وطلع النجم بعد الافول وأديل الوصال من الفراق وعاد العيش المرتحل المذاق

وما أنا من أن يجمع الله شملنا ... كاحسن ما كنا عليه بآيس

قد ... رواه ... العرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم ... العرب ... من ... الفضل ... اذ ... النبي صلى الله عليه وسلم ليس للنبط ... العرب أيضا حيرا من النبط وهذا لا ... الاكثر ... عليهم والكلام متوجه ... فيما ... ومكان عليهم فيما أوردوه من تفضيل النبط على العرب ... كثيرا ما نازع الناس في الانساب والتفضيل بها وبالاعمال دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب ومقالة الشعوبية وغيرها في كتابنا المقالات في أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد ابن يحيي في كتابه في الرد على الشعوبية عللا كثيرة ... من اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه ... ذلك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل قال ... زعم زاعم أن ذلك ثواب ... من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير أجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلان فلانا بعطيته واعا يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها

فاما

فاما الآن فلا أرجى الوقت الا بقلب شديد الاضطراب وجوانح لا تفيق من الانهاب وكيف لا وحال حالي من ودع صفو الحياة يوم وداعه وانصدع بالانس ساعة انقطاعه وطوى الشوق جوانحه على غليل وحل أصلاعه على كمد دخيل وأغرى فلم يغن ولزمته وأغرى بيني وبين الوحدة أيدي والهه فلا أسلك للعزاء سبيلا الا وجدته مسدودا ولا أقصد للصبر بابا الا الفيته دونه مسدودا ولا أعد اليوم بعد فراق سيدي الا شهرا والشهر دون لقائه الا دهرا ولست بناس أياما التي هي تاريخ زماني وعنوان الاماني اذ ماء الاجتماع عذب وغصن الاوديار رطب وأيدي الحوادث رادفه وأسواق سروف الدهر كاسده وما كانت الا لحظة الطرف ووميض الطرف وله البرق الخاطف زورة الخيال الطائف وما ذكرت تلك الايام في أكناف وصالكم وسمرها برياض علومه في دوحها الأوجب على عينه أن تدمع وأثني على كبده حشاشة ان تصدع ثم لما ورد على عبدكم مكتوبكم الكريم صحبة حضرة العم اخيب القديم فكان كالعيد للصب السقيم كما يشهد بذلك سميع العليم ووقفا منتصبا وحفته برؤيته وصار ود كر أيام الجمع وجدا بها وصبا فاستمعها الاعجاب طربا وشاهد صدوره فقال هكذا تكون الرياض وعاين لطفه فقال هكذا تكون الصبا وقبل كل حرف منه ووضعه على الراس وحصل له بعد ترقبه عادة اخباره والاستئناس فعند ذلك أنشد قول بعض الناس

ورد الكتاب فكان عند وروده ... عيدا ولكن هيج الاشواقا

نوباته مذ عانقت صاداته ... كعناق مشتاق يخاف فراقا

فكأنما النونات فيه أهله ... وكأنما صاداته أحداقا

فعسى الاله كما قضى بفراقنا ... يقضي لنا يوما بأن نتلاقى

فجعلته نصب عيني أتسلى به عند استيلاء الشوق على قلبي وأطفئ بتأمله نار وجدي اذا التهبت في صدري وسررت به سرورمن وجد ضالة عمره وأدرك جميع أمانيه من دهره وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهلال القطر والساري بطلوع البدر والمسافر بتعريسة الفجر وكيف لا وقد أصبح في وجه الاماني حدا بل في خدها وردا وصار حسنة من حسنات دهري لا تعومرور الايام موضعها من صدري وطلعت طوالع السرور وكانت آفله واهترت غصون الفرح وكانت ذابله لاسيما لما تضمن من البشارة السارة بصحة المولى وسلامته وحلوله في منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده الى دمشق الشام كما هو دأب العام مرة ثانيه وسم اقتدار داعي غيرها والا برال المعاصرة مباهية سأل الله تعالى أن يحقق ذلك وان يسلك سيدي أحسن المسالك انه سبحانه وتعالى سامع الاصوات ومجيب الدعوات فان عودكم ياسيدي والله مرة أخرى هو الحياة الشهيه والامنية التي ترتجي النفس بلوغها قبل المنية وما أنا من الله بآيس من أن يتيح سببا يعيد المزار قريبا والشمل مجتمعا وحبل البين منقطعا ثم ليعرض على مسامع سيدي الكريمة لا زالت من كل سوء سليمة أنا أوصلنا مكاتيبكم كما أمرتم لاربابها لاسيما مكتوب شيخ الاسلام سيدي عبد الرحمن افندي المفتي بالشام ومكتوب المولى الاعظم والهمام الافخم احمد افندي

يره بغير جرم وان زعموا انه يفصل فلنا المسم فاذا جاز أن يصرف الله عز وجل رحمه الى بعض خلقه بغير ... ل اسم ... ساله فلم لا يجوز أن يشرفهم باسماء وان لم يكن لاسبابهم أعمالهم فان قالوا ليس من العدل أن يشرفهم بغير أعمالهم ... لسانهم أراء ان عارضكم معارض فرد أنه ليس من العدل أن يعم ... م بغير عمل كان منهم ... معصية كانت من غيرهم ... تكون العصل ... لم ... شم الشر ... وقد اختار الله تعالى اذ صفاء من خلقه ... أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم واوجب على ذي لب الشريعة ... الرفيع أن لا يجعل ذلك سابقا الى الرجى عن الاعمال الموافقة لسببه والا ... على آبائه فان شرف الانساب ... على شرف الاعمال والشرف ... اولى اذ كان الشرف يدعو الى الشرف ولا ... كما كان الحسن يدعو الى الحسن ويحرك عليه وأكثر الممدوحين انما مدحوا بأفعالهم دون انسابهم وهذا ... اشعار الناس ومنثور كلامهم ... قد قال ... هو ... هو اسام ...

 ورحال ملة مستون عاف فدحه بعمله ولم يذكر نسبه وان كان شريفا رفيعا

...ادى أعزه الله تعالى فانه وقع بهذه الموقع العظيم وحصل به السرور والمقيم كما يدل على منهجه انداله كريم المحفوف بالتعظيم والتكريم غير أنه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذى يعم في الميت والام من حل الله تعالى في عمر سيدى البركة وكان له في السكون والحركة وسدا سي أن يذكر لجنابكم في أمر التعزية ويغرر ومنكم يستفاد مثله ومنكم يندرر والاستاد أدرى بصروف الدهر وتعنتها وأحوال الزمان وتلونها وعرف بأن الدنيا دار لها بكنها دار وأن الحياة ثوب مستعار ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد منهما قرار وأن لكل طالع أفولا ولكل ناضر ذبولا وورد كل ضياء ظلاما ولكل عروة من عرا الدنيا انفصاما فهو محل لأن قوى في العزاء عزائمه ويستغر في عينه نوائب الدهر وشدائده ويغنيه عن عظه تحداله مقالا وتحل عن عقله عقالا وهو سالى المصائب بذوق ثاقب وفهم صائب وصبر يقصر عنه الطود الاشم وعزم ينفلق دونه الحجر الاصم وحلم يرجح اذا طاشت الاحلام وقدم تثبت اذا دارت الاقدام وسد المثال في ضرب الامثال الى جنابكم الشريف نوع من شاوز حد الاجلال وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة ولا يريه بعدها الادولة فائقة ونعمة دائمة وأن يحرسه من غير الليل والنهار ويجعله وارث الاعمار بجاه نبينا محمد المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاطهار بمنه وكرمه ثم أبلغ سيدى أطال الله عمره مشرح صدره وشر بالحير ذكره السلام التام المقرون بالتحية وأكرام من أهل البلدة جميعا الاسيما من مقتيها العمادى حرس الله ذاته التي هي منهل للصادى والعادى وأولاده الكرام المستحقين للاعزاز والاكرام ومن كبيرها ومدبرها وشيرها أحمد افندى الشاهيني أعزه الله تعالى بعزه وجعله تحت كنفه وحرزه ومن حصيهما مولانا الشيخ أحمد المهمي ونقيب أشرافها مولانا السيد كمال الدين وجميع محبى الداعين لدلكم الجناب والمتمسكين بتراب تلكم الاعتاب ومن الولد والعم والله يا سيدى انه نشر لواء الثناء والمحامد وداع لذلك الجناب الكاسب للمآخر والمحامد وحضرة شيخنا شيخ الاسلام وبركة الشام مولانا وسيدنا الشيخ عمر القارى أبقى الله تعالى وجوده وضاعف علينا احسانه وجوده وأولاده يسلمون عليكم السلام الوافر وينهون اليكم الشوق المتكاثر في ٢ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ المحب الداعي يحيى المحاسني انتهى

وكتب الى عمه الفاضل الاسمى مصونه باسمه سبحانه وتعالى

وانى لمشتاق الى وجهك الذى ... ههلله أهدى السناء الى البدر

وأخلاق لعمر اللوانى كانها ... تساقط انداء الغمام على الزهر

سيدى الذى عبودتي السه مصروفه ودواعى محبتى لديه موفورة وعليه موقوفة علم الله سبحانه انى لأرجى أوقاتى الابد كراه ولا أرجى اليس من ساعاتى الاستنشاق نسيم رياه وانى الى طلعته أشوق من الصادى الى ماء صداء ومن كثير عزة الى نور تماء

يرنحنى اليك الشوق حتى ... أميل من اليمين الى الشمال

ويا حدنى لذكراك اهتزاز ... كما نشط الاسير من العقال

ولى على صدق هذه الدعوى من نباهة لبه شاهد معدل ومن نراهة قلبه منزل غير معلوم

عمرو الذى هو ... اثر ... ان ... انوا ... اخوهم ... دان ... وفى المرمنها والقصر ... ابى ابيه ... والى ... اهاوا فى راه وأرى من ... ربها ... بادمت أوانا ... على الاحساب ... نفعلوا (...) ولما ... وربيعة ... سموا حرابة ... لم شرت ... أباد ومصر ... على اياد ... ولا ... فى بعض المواضع ... ذلك امر ... وبها شرطوا على ... ردوا الحجر جعلوا ... البيت ... ذلك ولت حرابة أمر البيت وكان أوزمن وليه منهم عمرو بن لحى وابن لحى حارثة ... عام ... نرا اهيم وبدله و ... العرب على عبادة التماثيل لحمرو فد

ولا

ولا تعذل كيف لا ومطالع البيان مشرقها من أفلاك فهومه وجواهر التبيان مقذفها من بحار علومه وهو بحر العلم الذي لا تقتحم بسفن الافكار وجبل الحلم الذي رسخ بالهيبة والوقار

لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد * معيبا ولا خلقا من الناس عائبا

وماذا عسى أصف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وحارت في فضائله أرباب المعارف والعوارف

فلو نقضت الثريا * والشعرى [illegible]
وكاهل الارض صرنا * وشعب رضوى عروضا
وصغت للروض ذا * وللهواء نقيضا

ولكنني أقول الثناء منحصر في سلك والسحى جوده بعاملك وان لم تكن خمر خل وان لم يصبها وابل فطل هذا وقد أوصلنا مكاتبتكم الشريفة لا زالت باهية كانت لديهم أكرم قادم وأشرف منادم وقد تداولها الافاضل وشهدوا انها من بنات الافكار التي لم يكشف عنها الغير سيدي حجب الاستتار وقد وجدنا كلامهم ملتهبا بجمرات الشوق مخبا وزاد الصبابة والتوق ليس له مشغل الا ذكر أوصافكم الحميدة وبث ما أبدعتموه بدروسكم المفيدة وما منهم الا ويرجو بل الصدى ونقع الظما برؤية ذلك المحيا والتملي بتلك الطلعة العليا وان سأل سيدي عن أخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة فهي ولله الحمد منتظمة الاحوال أمنها الله من الشر ورواء هوال ولم يتجدد من الاخبار ما نعلم به ذلكم الجناب لا زال ملحوظا بعين عناية رب الارباب وأنا أسأل الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وأن يحمي تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

وهذا دعاء للبرية شامل * العبد الداعي بجميع البواعث والدواعي تاج الدين المحاسني عفا الله تعالى عنه انتهى وبالهامش ما صورته وكاتب الاحرف العبد الداعي محمد المحاسني يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الزاهر ويبث لديكم الشوق المتكاثر نعم انه قد نازعته نفسه في تلك المعاتبة لسيده الذي لم يسعد عبده بالمكاتبة على انها من تحكم عقد العبودية ولا تخرج ربقته من طوق الرقية وانطلوب أن يخصه سيده بدعواته المستطابة التي لا شك أنها مستجابة كما هو عليه في سائر أوقاته وحسبان ساعاته ودمتم في رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ انتهى وكتب سيدي التاج المذكور لي ضمن رسالة من بعض الاصحاب ما صورته

يا فاضل العصر يا من * للشرق والغرب شرف
يا أوحد الناس طرا * في كل ما ينصرف
يهدي اليك محب * دموعه تنذرف
شوقا ووداً قديما * منكرا تعرف

ولعم مخاطبات أهل دمشق لي بما كتبه لي أوحد الموالي الكرام السري عين الاعيان صدر

ذكرناه في هذا الكتاب وغيره حين خرج الى الشام ورأى قوما يعبدون الاصنام فاعطوه منها صنما فنصبه على الكعبة ودويت [illegible] راعة وأم الناس ظالم عمرو بن لحي وفي ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام

[illegible]

وكذا [illegible]

[illegible]

لهم بها كان السوام

وثنا أكثر عمرو بن لحي من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها [illegible] منهم الانعام قال في ذلك [illegible] بن [illegible] الجرهمي

يا عمرو [illegible]

[illegible] أربابا

وكان لليت [illegible] أبدا

فقد جعلت [illegible] أربابا

لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفي دونكم [illegible] حجابا

وعمرو بن لحي [illegible] وكانت ولاية البيت في خزاعة وفي مضر ثلاث خصال الاجازة بالناس من عرفة والافاضة [illegible]

غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى أبي سيارة فدفع أبو سيارة من مزدلفة الى منى أربعين سنة على حمار له لم يعتل

ى ذلك حتى أدركه الإسلام … كانت العرب تمثل به فتقول أصح من عير أبي سيارة وفي أبي سيارة يقول قائلهم

أرباب البلاغة والبيان مولانا أحمد الشاهيني السابق الذكر في هذا التأليف مرات ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات آمين ليكون مسك الختام اذ محاسنه ليس بها خفاء ولا لها اكتتام ونص محل الحاجة منه هو الفياض

ياسيدا أحرز خصل العلا * بالباس والرأى الشديد السديد
ومن على أهل النهى قد علا * بطبعه السامى المجيد المجيد
ومن بز من الدهر منه حلى * قول نظيم كالفريد النضيد
ومن صدا فكرى منه جلا * نظم له القلب عميد حميد
ومن له من يوم قالوا بلى * فى مهجتى حب جديد مزيد
ومن غدا بين جميع الملا * بالعلم والحلم الوحيد الفريد
أفديك بالنفس مع الاهل لا * بالمال والمال عتيد عديد

أقسم بالله الذى علت كلمته وعمت رحمته وسخرت القلوب والعقول رأفته ومحبته وجعل الارواح جنودا مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انى أشوق الى تقبيل أقدام شيخى من الظمآن للماء ومن السارى لطلعة ذكاء وليس تقبيل الاقدام مما يدفع عن المشوق الاوام وقد كانت الحال هذه وليس بينى و بينه حاجز الا الجدار اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الآن بالغرام وهو حفظه الله تعالى بمصر وأنا بالشام وليس غيبة مولانا الاستاذ غيبة الاغيبة العافية عن الجسم المضنى بل غيبة الروح عن الجسد البالى المقروح ولا العيشة بعد فراقه وهجر أحبابه ورفاقه الا كما قال بديع الزمن عيشة الحوت فى البر والثلج فى الحر وليس الشوق اليه بشوق وانما هو العظم الكسير والبرح العسير والسم يسرى ويسير وليس الصبر عنه بصبر وانما هو الصاب والمصاب والكمد فى يد القصاب والنفس رهينة الاوصاب والجفن الخائن وأين يصاب ولا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذى ورد فيه كتاب شيخى بخطه مرينا بصحطه بلى قد كان شرف عطارد حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندى كل شارد وأما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد أهذا خط قابوس أم جناح الطاوس أوكما قال أبو الطيب

من خطه فى كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

وأما قوله فهو أبدع وأبرع وفى هذا الباب أنق وأجمع بل هو خط أمان من الزمان والله اعتصم طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحر الابريز والجوهر النفيس العزيز وأما الكتاب نفسه فقد حسدنى عليه اخوانى واستبشر به أهلى وخلانى وكان تعبينى لا ماليه أكثر من نظرى فيه شوقا الى تقبيل يد وشته وحشته واعتيادا للثم أنامل جسته ومسته وأما البراعة فلاشك انها ينبوع البراعة حتى جرى من سحر البلاغة منها مجرى جاء الكتاب كسحر العيون * بما راح يسبى عقول الورى وينسى باحراز حصل السبق من الثريا الى الثرى ولم أر كتابا قبل تكون محاسنه متداخله مترادفة ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة وذلك لانه سرد من غرر درره الاحاسن وورد على يد رأس أحبابنا تاج بنى شماس

هامش:

حتى دعا شاعر أبى سيارة
حتى أدص محمد بجاره
مستقبل القبلة بدعو جاره
وليس من الشهور الحرم
وكانت النسأة فى بنى مالك
ابن كنانة وكان أولهم
القلمس حذيفة بن عبد
ثم ولده قلع بن حذيفة
وورد الالمو آخرهم
أبو ثمامة وذلك أن العرب
كانت اذا فرغت من الحج
وأرادت الصدر اجتمعت
اليه فيقوم فيهم فيقول
اللهم انى قد أحللت احد
الصفرين الصفر الاول
وأنسأت الآخر للعام
المقبل وظهر الاسلام
وقد عادت الشهور الحرم
الى بدنهت على ما كانت
عليه فى اصلها وذلك قول
النبى صلى الله عليه وسلم ألا
ان الزمن قد استدار
كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وما
ذكر عليه السلام فى هذا
الحديث الى آخره فخبر الله
عز وجل عنهم بذلك بقوله
تعالى انما النسيء زيادة
فى الكفر الآية وقد فخر
بذلك عمرو بن قيس
الفراسي فقال
ألسنا الناسئين الى معد
شهور الحل نجعلها حراما

أولئك قوم أحرزوا الحسن كله * فمامنهم الافتى فاق فى الحسن

وكما قلت فيهم أيضا

فبنو المحاسن بيننا * كبنى المنجم فى الصحابه

فهم القرابة ان عده * شت من الانام هوى القرابه

فيهم محاسن جمة * منها الخطابه والكتابه

ثم لم يكتف سيدى وشيخى بما أنعم به وأحسن بكتبه من كتابه المرين بخطه المبين بصطه المسمى بين أهل الوفاء كتاب الاكتفاء والاصطفاء حتى أضاف اليه كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء كانه لم يرض طبعه الشريف المفرد المستثنى الآن تكون حسناته لدى أحبابه مثنى حتى كأن مراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان بعجم العبد عن أداء خدمة الحمد بحصر البيان وعقد اللسان اذ لست ذا لسانين حتى أؤدى شكر احسانين وغاية البليغ فى هذا المضمار الخطير أن يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير ومن فصول هذا الكتاب ما نصه ومن باب ادخال السرور على سيدى وشيخى وبركتى حبر المدرسة الداخلية التى تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر الموالى ورونق الايام والليالى سيدى وسندى وعمادى ومعتمدى الفهامة شيخى أفندى المعروف بالعلامة حفظه الله ووقاه وأبقاه الذى صدق عليه وعلى قول الاول

ولى صديق مامسنى عدم * مذ وقعت عينه على عدمى

أغنى وأقنى فما يكلفنى * تقبيل كف له ولا قدم

قام بأمرى لما قعدت به * ونمت عن حاجتى ولم ينم

وقول الثانى

صديق لى له أدب * صداقة مثله نسب

رعى لى فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب

فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

ولعمرى انه كذلك قد تصدى لحاجتى فقضاها وبجتنى فأمضاها ولم يكن لى فى الروم سواه وسواها وما أصنع بالروم اذا تخلف عنى ما أروم أبى الله الا أن نمعى ذلك الحر الكريم بنهيه وأمره وأن يكون لسانى وبنانى مرتبطين بحمده وشكره وهذه حاجة فى نفسى قضيتها وأمنية رضيت بها وأرضيتها ولله الحمد ولست أحصى ولا استقصى ياسيدى ومولاى شوق أخيكم سيدى ومولاى المفتى العمادى حفظه الله تعالى واياكم وقد بلغ به شوقه وغرامه وتعطشه وهيامه وأوامه أن أفرد لجناب مولانا كتابا ستجلب مفخرا وجوابا اذ الشام كما رأيتم عبارة عن وجوده الشريف والسلام وكذلك أولاده الكرام تلامذتكم يقبلون الاقدام وأما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا عمر القارى فقد بلغته سلام سيدى وكان جوابه الدعاء والثناء مع العزيمة على بان أبالغ لجنابكم الكريم فى تادية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصيح كلامه وأما الكريمان ولدكم محمد أفندى وأخوه سيدى أكمل الدين فهما لتقبيل أقدامكم من المستعدين وكذلك

وقد كان عمرو بن لحى حين عمر ماذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ٥٠٠ ونساخ رما يكا الوفاة وهو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ماذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته زوج قصى بن كلاب فقال انها لاتقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها ودفع الباب وسلمه الى رجل من خزاعة يعرف بابى غبشان الخزاعى ساعه ابو غبشان ... وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا وقالت احسر من صفقة ابى غبشان فى بيعه تولاية البيت بعير وزق من الخمر وتحولت ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك قول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى

وأظلم من بنى فهر خزاعه

فلا تلحوا قصيا فى شراه

ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم

وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهرا

بزق بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت فى خزاعة الثمانة ... واستقام أمر قصى وبشر

على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى النسب بمكة وبنو الابطح

لا أحصي ماعليه من الدعاء والثناء لجنابكم الكريم العالي تلميذا لم بل عبدا لم ولدنا الشيخ يحيى ابن سيدي أبي الصفاء وولدنا الشيخ محمد ابن سيدي تاج الدين المحاسنيان وأما عبدا لم وتلميذا لم ولداي الشيخان الداعيان الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان فليس لهما وظيفة الا الدعاء والثناء في كل صباح ومساء لان كلا منهما خليفتي والاشتغال بالدعاء لسيدي وظيفتي ولا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ولابد من تقبيل القدمين المباركتين وبعد فلا ينقضي عجبي من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب أخيكم المفتي العمادي حفظكم الله تعالى واياه ولا كان من يشناك ويشناه وعجبه به أعظم وأكبر اذ وحفظه الله بفهم كلام سيدي أحق وأجدر فلا عدما تلك الانفاس الملكية الفلكية من كل مكر كما ادهى والله البغية والامنية كما قلت

لبس فخري ولا اعتدادي بدهر ✽ غير دهر أرى كما من بنيه

اللهم اختم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ✽ ومن فصول هذا الكتاب ما صورته أطال الله يا سيدي بقاءك ولا كان من يكره لقاءك ورعاك بعين عنايته ووقاك وأدامك وأبقاك وضمن لك جزاء الصبر وعوضك عن مصابك الخير والاجر ولقد كنت عزمت على أن أجعل في مصاب سيدي بأمه متعه الله تعالى بعمره وعلمه ودفع عنه سورة همه وغمه قصيدة تكون مرثية تتضمن تعزية وتسلية فنظرت في مرثية أبي الطيب المتنبي لامه واكتفيت بنظمها ونثرها وعقدها وحلها وانتخبت قوله منها

لك الله من مفجوعة بحبيبها ✽ قتيلة شوق غير ملحقها وصما

ولو لم تكوني بنت أكرم والد ✽ لكان أباك الضخم كونك لي أما

لئن لذ يوم الشامتين بيومها ✽ لقد ولدت مني لانفهم رغما

فقلت هذه حال مولانا الراغم لانوف الاعدا المجدد للسلامة حمدا ومجدا القائل بشوقه لا حظا ولا عمدا ثم لما رأيت قوله في مرثية أخت سيف الدولة

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا ✽ تكن الافضل الاعز الاجلا

انت يا فوق أن تعزى عن الاحباب فوق الذي يعزيك عقلا

وبألفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذي له قلت قبلا

قد بلوت الخطوب حلوا ومرا ✽ وسلكت الايام حزنا وسهلا

وقتلت الزمان علما فما يغرب قولا وما يجدد فعلا

قلت هذه والله حلى مولانا الاستاذ الذي عرف للزمان فعله وفهم قوله قد استعارها أبو الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدولة وكيف استطيع ارشاد شيخي لطريق الصبر وأذكره بالثواب والاجر وكيف وأنا الذي استقيت من ديمه واهتديت الى سبيل المعروف بشيمه وسلكت جادة البراعة بهداية ألفاظه وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية الحاظه وهل يكون التلميذ معلما وهل يرشد الفرخ قشعما وكيف يعضد الشبل الاسد وهو ضعيف المنة والمدد ومن يعلم الثغر الابتسام والصدر الالتزام ويختبر الحسام وهو

من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهري ظاهرا وقريش البطاح هي قبائل بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزى ابني قصي وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدي وهم لعقة الدم وبنو عتيك بن عامر بن لؤي وقريش الظواهر بنو محارب والحرث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لوي وفي ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك ابن قيس الفهري

تطاولت للضحاك حتى رددته ✽ الى نسب في قومه متقاصر

فلو شاهدتني من قريش عصابة ✽ قريش بطاح لا قريش الظواهر

ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا ✽ فبعدت من حامي دمار وناصر

فريقان منهم ساكن بطن يثرب ✽ ومنهم فريق ساكن بالمشاعر

والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصي وسهم وجمح وعدي ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤي وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي في امرأة

انها بين عامر بن لؤى * حين ندعى و بين عبد مناف
ولها في المطيبين جدود * ثم نالت ذوائب الاحلاف

مجرب صمصام وهل تفتقر الشمس فى الهداية الى مصباح وهل يحتاج البدر فى سراه الى دلالة الصباح ذلك مثل شيخى ومثل من يرشده الى فلاح أونجاح وانما أخذ عنه ماورد فى ذلك من الكتاب والسنه ونحذو حذوه فى الطريق الموصلة الى الجنة ثم لما وصلت فى هذه القصيدة الى قول أبى الطيب

ان خير الدموع عينا لدمع * بعثته رعاية فاستهلا

رأيته قد أبدع فيه كل الابداع ونظم ما يكاد يجرى الدمع من طريق السماع فقلت انا لله وأكثرت الاسترجاع وقلت فى نفسى ان ذلك الدمع الذى بعثته رعاية الحقوق هو دمع شيخى الذى حمى الله قلبه الشفوق من العقوق للمصيبة فى الام التى حزنها يعم ومصابها يعم وكيف لا يعم مصابها وقد كل المصيبة كفاها الله بموتها نصابها هذا مع الفقد للسليلة الجليلة والكريمة الخليلة وأى دمع لم تبعثه تلك الرعاية وأى نفس لا تتمنى أن تكون لسيدنا من كل ما يكره وقاية وأى كبد قاسية لم تكن لاحبابه مواسية وأنى ينسى للعبد المعنى تسلية شيخه وهو الصبور الشكور العارف بالامور العالم بتصاريف الدهور وما ظننت أن بيانى يساعدنى على تحرير بيانى لتعزية شيخى حفظه الله تعالى فى أصله وفرعه وضرعه وزرعه وقرعه ونبته وأمه وبنته أما الوالدة الماجدة فانى ان أمسكت عن بيان كرم أصلها سموها كرم فرعها ونسلها فرحم الله تعالى سلفها وأبقى خلفها ولا حرم سيدى ثمرة رضاها ورضى عنها وأرضاها وأما المخدرة الصغيرة فالمصيبة بها كبيرة اذ العمومة مغربة والخؤولة وفائية فهى ذات النجار بن وحائزة الفخارين كأن سيدى أعزه الله تعالى لم يرض لها كفؤا ومهرا فاختار القبر أن يكون له صهرا وخطبة الحمام لا يمكن ردها وسطوة الايام لا يستطاع صدها كما قال أبو الطيب المتنبى أيضا

خطبة للحمام ليس لها رد وان كانت المسماة ثكلا
واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر أرادت الموت بعلا

أسأل الله تعالى أن تكون هذه الخطبة خاتمة الخطوب وهذا الندب المبرح آخر المندوب وأن يعوض سيدى عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تحرى النجابة منه المصنع وأن يبدله عن ذات الخمار والحصاب بمن يصول بالحراب ويسطو باليراع ويشتغل بالكتاب شعر

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال
ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين أن تأخذ بيد عبدك شيخى المقرى فى كل وقت وحين آمين * ومن وصول هذا الكتاب ما صورته ولما وصلنى سيدى بهديته التى أحسن بها من كتاب الاكتفاء داخل طبعى الصفاء ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله وهو أن يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه فان الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء كما أفاده شيخى فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سواء اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لاغنى عنه لفظ الاحتفاء

وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتقرشت والتقريش التجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكرى

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أخذلها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق وفى ذلك يقول مطرف الخزاعى

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقها * والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا ننبه بها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما يحوى بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

* (ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان) *

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر

مع تسمية النوع فيهما وهما

ان احتفال المرء بالمرء لا * أحبه الا مع الاكتفا

مبالغات الناس مذمومة * فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

ولقد انقطع الثلج أيام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدى حفظه الله تعالى عن دمشق فقد كرت شغف شيخى به فزاد على فقده غرامى وفاض عليه تعطشى وأوامى فجعلت فى ذلك عدة مقاطيع وأحببت عرضها على سيدى أولها

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات * أنت عندى من أعظم الحسنات

ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ضل عنى رشدى * وما رأيت الثلج يوما عندى

لا تقطع اللهم عن ذا العبد * أعظم أسباب الثنا والحمد

ثالثها

ثلج يا ثلج أنت ماء الحياة * ضل من قال ضرك اللهاتى

ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض قد لاح فى المرآة

قد رأى الناس وجههم فى المرايا * وأنا فيك شمت وجه حياتى

وما علمت سيدى هذا التعليل الا لاشوقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيدى حفظه الله عليلا وهو على الصحة غير عليل ولم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل ولسيدى الدعاء بطول البقاء والارتقاء وهذه أبيات أحدثها العبد فى وصف القهوة طالبا من سيده أن يغفر خطأه فيها وسهوه

وقهوة كالعنبر السحيق * سوداء مثل مقلة المعشوق

أتت كمسك فائح فتيق * شبهتها فى الطعم بالرحيق

تدنى الصديق من هوى الصديق * وتربط الودمع الرفيق

فلا عدمت مزجها بريق

ومازالت ألهج بما أفادنيه شيخى من أماليه وأتصفح الدهر الذى جمعته فيه من أسافله الى أعاليه وأستثنى كل على الاحباب والاصحاب فى أثناء المسامرة ما أفادنيه سيدى من تسمية المرحوم القاضى التنوخى كتابه نشوار المحاضرة حتى ظفرت بأصلها فى القاموس فى مادة نشر وهى عربية محضة فانه قال ونشورت الدابة نشوارا أبقت من علفها ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها وأحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعالى ليفرح لى بين تلامذته كما فرح طبقى به حفظه الله تعالى بين أساتذته وليعلم أنى لم أنس ما أفادنيه فى خلال المحاورة أيام المؤانسة والمجاورة فوالله انه سمرى فى ضميرى وكلمى ما بين عظمى وأدمى

يدير ونى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

الطرس طما وما مضت قصتنا * لا ذنب لنا حديثنا الذ فطال

اما أناس عرب وندفع اتقه علينا البلاد ويريد أن نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لى البلاد وأهويتها وما كنها وما تؤثره الترب والاهوية فى سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد قسم الارض قساما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى فى التشريق فهو مضر لاحتراقه وحرارته وحدته واحراقه لمن دخل فيه وما تناهى مغربا أيضا أضر سكانه لموازاته ما أوغل فى التشريق وهكذا ما تناهى فى الشمال أضر ببرده وثلوجه وآفاته الاجسام فاورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بنار شمسه ما اتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض جزأ يسيرا ناسب الاعتدال وأخذ بحظه من حسن القسمة وسأصف لك يا أمير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (اما الشام) فسحاب وآكام وريح وغمام وغدق ركام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفى الالوان لا سيما أرض حمص فانها تحسن الجسم وتصفى اللون وتبلد الفهم وتنزح غوره وتجفى الطبع وتذهب بماء القريحة وتنقض العقول والشام يا أمير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهى مسرح خصب

وحررت يوم السبت المبارك غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان وثلاثين بعد الالف أحسن الله ختامها بحرمة محمد وآله الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق المذنب المقصر لسيده عن اللحاق الذى لم يبرح عن العهد المتين أحمد الشامى بن شاهين انتهى ولو تتبعت ماله حفظه الله تعالى من النظم والنثر اللذين غلب فيهما بلغاء أهل العصر بالشام ومصر وغيرهما من الاقطار لازال مقامه مقضى الاوطار لاستوعبت الاسفار * وفى الاشارات ما يغنى عن الكلام وقد تقدم فى خطبة هذا التاليف ذكر شئ من نظمه ونثره وأنه هو السبب الداعى الى جمع هذا التصنيف والله سبحانه يديم جنابه السرى الشريف ويبوّئه من العز الظل الوريف فلقد أوفى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه فضلا عن كله وناهيك بما جاء به من كلامه دليلا على شرفه وفضله ورسالته هذه التى كانت جوابا عن مكتوب كتبته اليه من جملته

يامن له طائر صيت علا * فى الجو فاصطاد الشريد الشديد
يابحل شاهين البديع الحلى * نسل بالعز الطويل المديد
وفز بخصل السبق بين الملا * وسر بنهج للمعالى سديد
وردمع الاحباب عذبا حلا * سلطماس الامانى السديد
وارفل على طول المدى فى ملا * مسرة راقت وعمر جديد
والوالد المحروس بالله لا * بعدد الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها سيدى الذى فى الاجياد من عوارفه أطواق وفى البلاد من معارفه ما شهدت به الفطر السليمة والاذواق وتشتد الى مجده المطنب الذى لا تحط له رواق الاشواق وتعمر بفوائده وفرائده من الآداب الاسواق وتنقطع دون نداه السحب السواكب وتقصر عن مداه فى السمو الكواكب والله سبحانه له واق المولى الذى ألقت اليه البلاغة أفلاذها واتخذت البراعة طاعته عصمتها وملاذها ادبذ أفرادها وأفذاذها وأمطرت سماء أفكاره على كل شعب أوكاره طائر فى جو أو مستقر فى أوكاره صيبها ورذاذها وفاخرت دمشق بعلاه وحلاه أقطار البسيطة وبغدادها * ومنها أبقاه الله تعالى وحقق عوده ينعشها النجاز وحقيقة سعوده لا تطرقها المجاز * ومنها فان الذى نفست عن عينيا وأصفيت مشربى وكان مرتقا وكاثرت بعابه آثرت وما استأثرت رمل النقا فلورآك المأمون ابن الرشيد لعلم أنك المتمنى ببيتى الغناء الذى غنى به والنشيد

وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصفو ان كدرت لديه
عذيرى من الانسان لا ان جفونه * صفا لى ولا ان كنت طوع يديه

ولم يقل أعطنى هذا الصديق وخذ منى الخلافه وأنا أقول قد ظفرنا به بحمد الله ولم أجد أحدا فى دهره وافق الغرض فلم ير خلافه * ومنها هذه يا ابن شاهين أيادى البيض فرخ لك الشكر ونبيض فلا دليل على ولائى كاملائى ولا شاهد لما فى أحنائى كثنائى ولا حجة على ودادى كتكرارى ذكرك وترددى * وهى طويلة لا يحضرنى الآن منها سوى

وو ابل سكب كثرت اشجاره واطردت انهاره وعمرت اعشاره وبه منازل الانبياء والقدس اختى وفيه جل اشراف حلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجباله مساكن المتهجدين والمفردين (واما ارض مصر) فارض قورا منورا ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة محمود فضل نيلها وذمها اكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الالوان وتجيب العطش وتكثر الاحن وهى معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات غير انها تسمن الابدان وتسود الابشار وتمحو ... الاعمار وفى اهلها مكر ورياء وخبث وذهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (واما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة فى اهله هم كبار ولهم احساب واخطار ومعايشهم حسنة واطرافه جدبة وفى هوائها علاب وفى سكانه اعتدال وبه هم قطعة من الحسن وشعبة من الرحمة وفيهم حسن الفصاحة (واما الحجاز) فحاجز بين الشام واليمن والهائم هواؤه ... وليله سهور ... الاجسام ويجفف الادمغة ويشجع القلوب ويبسط الهمم ويبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جدب خشن (واما المغرب) فقسى القلب

بما ذكر به والمقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار
نسأل الله تعالى أن يجمعهم جميعا في الايراد والاصدار وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب
السنة السابعة ... ورود كتب من المغرب وجهها جماعة من أعيانه الى بعض
ذلك كتاب كتبه الى الاستاذ الاوحد الاديب الفهامة معلم الملوك سيدى الشيخ محمد بن يوسف
المراكشي التاملي نصه الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى من المخلص
المشتاق الى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق وطلعت شموس معارفه في غاية
الاشراق وسارت ... في ميدان الكمال حسن الاستباق الصدر الكامل والعالم العامل
الفقيه سيدى الفقهاء علمه الملبع الذي سدى الملتقى ببراعته وفهمه ناشر ألوية
المعارف ومسدى أنواع العوارف العلامة امام العصر بجميع أدوات الحصر سيدى
أحمد بن محمد المقرى قدس الله السلف كما بارك في الخلف سلام من النسيم أرق وألطف
من الزهر ... وبعد فان أخباركم دائما ترد علينا وتصل الينا بما يسر الخاطر ويقر
الناظر مع كل وارد وصادر والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ويدعو الله بالاجتماع معكم
هنالك ويرحم الله عبدا قال آمينا كتبته اليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية
مع كثرة أشواق لا تسعها أوراق كتبكم الله سبحانه فيمن عنده كما جعلكم ممن أخلص
في موالاة الحق قصده وودى اليكم غض الحدائق مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق
لا يخلع عن مركز الثبوت عاتق وحقيق بمودة ارتبطت في الحق ولله معاقدها
وأسست على الحب في الله قواعدها أن يزيد عقدها على مر الايام شدة وعهدها وان شط
المزار جدة وأن تذخر للاخرى عدة واني ويعلم الله تعالى لممن يعتقد محبتكم وموالاتكم
مع الاصالح بمن الله تعالى وبرا فيه ونعتمدها ... فيعول في الآخرة يوم لا ظل
الا ظله ... اياكم والسيد فاخلصتم في الولا وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولا
معرضين في الكم الآخرة عن عرض الدنيا وعرضها موفين بشروط نفلها ومفترضها الى
أن قضى الله تعالى بافتراقنا وحقوقكم المتأكدة دين علينا والايام تمطل بقضائها عنا
وتوجه الملام الينا فآونة أقف فاقرع السن على التقصير ندما وآونة استنيم الى فضلكم
فتعدم قدما وفي اثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق الا وقد كر عليه منكم آخر
لاحق حتى وقفت موقف العجز وضاقت على العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس وكذلك
لا ... كلم الا بان رام الخلال الكرام الرفيع واشغلنا من التقصير المطيع وقد كنت كتبت أعزكم
الله اليكم بل هذا الكتاب أربعة أو خمسة بها قصائد لا كالقصائد لا كالفرائد من الكلام
كلامكم السلس المكثر الفوائد بعد ان كان أخرس من سمكة وأشد تحصنا من طائر في
شبكة فاعرف أوصل شيء من ذلك أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك وما رأيت غير
رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لى الشيخ الامام المقرى
يسأل عنك وقد أرسل معي كتابا اليك فوقع في البحر مع جملة ما وقع فقلت له لا غرابة في ذلك قد
رجع الى أهله ومن طلبة البحار ... الدرر وقد جاء في كتاب من بعض الاخلاء الصديقين
وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى الجود ذكر لى فيه أنه متعه الله تعالى

بلقائكم

[illegible]

بلقائكم وأخبرني بسؤالكم عني كثيرا والى الآن يا نعم السيد ما عرفته عالم تبيته لسيادتكم تعريف نذكر لا تعريف منه فانصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب عما القته الادباء شريعة وسنة وبالجملة ففؤادي لجدكم صحيح لا سقيم واعتدادي بودكم متين غير عقيم والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم وبه سؤال منظوم لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المقري الحبر صدر الأئمة ۞ من المخلص الوداد أزكى تحية
فدلك يا صدر الصدور مجاله ۞ لتسمح بالجواب عما أكتب
فتى قد رأى عند العذالى فتية ۞ محرمة عند الزوال لخاطب
وعادت حراما عند عصر فعندما ۞ عشاء أتى عادت حلالا شاملات
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما ۞ وزالت زوالامنه من غير ريبة
وفي ظهره حلت فطابت قريرة ۞ وفي عصره محرمة ماقد بدت
وعند العشاء بالضرورة حللت ۞ وذلك بعد الغرم مال كفديه
وفي صبحه عادت حراما ترى به ۞ حروف سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتأسفا ۞ وحلت له وقت العشاء وعمت
وعن أمة أيضا يموت سريها ۞ قد اولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك السري حلاله ۞ بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت ببنت هل لهامن تزوج ۞ بنجل السري بنوا الى فدتي
فان السيوري مانع من تزوج ۞ له بابنة منها بتلك القضية
وما الفرق بينها وبين التي أتى ۞ بها ابن أبي زيد باوضح حجة
وعن مشتر مملوكة غير محرم ۞ ومسلمة شراء صحيحا بشرعة
وليس بملكه لها وطؤها يرى ۞ جوازا على التابيد من حيث حلت
وما طالق من عدة خرجت ولا ۞ يجوز على التابيد في خدمة له
نكاح لها من واحد ومطلق ۞ له غير معدوم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبدية لكم ۞ سلاما كما أبدته في صدر طاعة

وتقرير السؤال الثاني أمة أولدها سيدها فصارت حرة فمات عنها السيد ثم تزوجها عبد سيدها فاتت ببنت أما الولد سيدها أن يتزوج هذه البنت فان الرجل له أن يتزوج بنت زوجة أبيه من رجل غيره وهذه سرية أبيه فان الامام السيوري يمنع هذه المسئلة وما الفرق بينهما وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة رجزية في مآثركم السنية ضمنتها أشطارا من الالفية فتفضلوا بالاغضاء وحسن الدعاء أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ثم المأمول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب طبقات القراء للامام الحافظ الداني اذ ليس عندنا منه نسخة وأما تاليفكم الكثير الفوائد المسمى بازهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فقد انتشر في هذه الاقطار المراكشية وانتسخت منه

مائه ولطف غذاؤه كانت
صور اهله وخلائقهم
تناسب البلد ونحاسنه
وتشاكل ما تناسب اليه
وما أسس عليه بنيانه وكل
بلد نزول عن الاعتدال
أشبه أهله الى ...
الحال ...
... الامام ...
الاسلام ... الاسلام
ولاهلها ... وهم ...
...
ورأيت تقدير (وا ...
فرس) ...
... أهواء ...
... بالاخبار ...
الثمار وفي ...
...
...
... (وام ...
...
الاهواء ...
وبلد الافهام ...
الهمم ...
ساق أهله سوق الانعام
وهم المصح الصمام (وأما
أرض الجزيرة) ...
البر بالهواء ...
...
... والبر ...
المؤمنين أفضل قطع الارض
وأسناها وأشرفها أعلاها
... الاعتدال ...
الهواء ...

وودعه الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وهذيب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاضرار وأعلم ... المزية ...

نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدى أحمد بن عبد العزيز ابن الولى سيدى أبى عمرو وكساالله سبحانه تاليفكم المذكور جلباب القبول فـارآه أحد الانسخه وعندى النسخة التى كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها فى بعض الاماكن خطكم الرائق وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق وأعلمونا بتاليفكم الذى سميتموه قطف المهتصر من أفنان المختصر هل خرج من المبيضة أم لا وودنا لو اتصلنا منه نسخة وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضى القضاة محبكم سيدى عيسى وغيره من أخلائكم خليل فى كل محفل جايل الى أن قال وأنا أتمثل بكلام مولانا على كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به

رضيت بما قسم الله لى * وفوضت أمرى الى خالقى
كما أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

ولى حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين وذلك انه نزلت بى شدة لا يمكن الخلاص منها عادة فـادرجت من تحت سهمها الا وجاء الفرج فى الحين وهو هذه

اذا أزمة نزلت قبلى * وضقت وضاقت بها حيلى
تذكرت بيت الامام على * رضيت بما قسم الله لى
وفوضت أمرى الى خالقى

لان الاله اللطيف قضى * على خلقه حكمه المرتضى
فسلم وقل قول من فوضا * كما أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقى

فعذرا أعزكم الله سبحانه ونفع بذاتكم عن انسداد باب المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على بعد اللقاء صبرا فان يقدر فى هذه الدار ولنا فيها ما نتمنى والا فلن نعدم بفضل الله جزاء الحسنى ولقاء لا يبيد ولا يفنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ايقانا بالوعد وتحقيقا فمن أوجد له محبته أدخله جنته واحضره مأدبته وكل له أمنيته جعلنا الله من المتحابين فى جلاله بكرمه وافضاله وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم المشرف لعهدكم المنوه بقدركم ومجدكم العبد الفقير الحقير المشفق على نفسه من التقصير والذنب الكبير محمد بن يوسف التاملى غفر الله ذنبه وستر عيبه وجبر قلبه وجمعه بمن أحبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمانية وثلاثين وألف انتهى وصحبة هذا المكتوب ورقة نصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله در العالم الجيانى * كأنما ينظر بالعيان
للمقرى العالم المفضال * منتظرا باحسن المثال
وعالم يأتى من بعده * أشير فى نظامنا لقصده
وها أنا بالله أستعين * مصمما وربنا المعين
بالشطر من ألفية ابن مالك * أيدنا الله لنهج ذلك
قال محمد عبيد المالك * وسالك الاحسن من مسالك

أن الله تبارك وتعالى قسم الارض اقساما فضل بعضها على بعض فافضل أقسامها العراق فهو سيد الآفاق وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (واما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بى الى وصفها لك لانها منازل شاسعة وبلدان نائية كافرة طاغية وفى الذى ذكرته لك ما انتهى بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما وصفته فى هذه البلدان فهو الاعم من امور اهلها والاغلب على احوالهم فان وجد فيهم احد بخلاف ذلك فهو لشذوذ يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودى) وذكر جماعة من اهل العلم بالسير والاخبار ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما اراد النهوض الى العراق خبر بلغه ما عليه الاعاجم من التجمع ببلادهم سأل كعب الاحبار عن العراق فقال يا امير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شئ بشئ فقال العقل انا لاحق بالعراق فقال العلم وانا معك فقال المال وانا لاحق بالشام فقالت الفتن وانا معك فقال الخصب وانا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك فقال الفقر وانا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وانا معك فقال الشقاء وانا لاحق بالبوادى فقالت الصحة وانا معك

نشير بالتضمين للتحرير * المقرى الفاضل الشهير
ذاك الامام ذو العلاء والهمم * كعلم الاشخاص لفظا وعموم
فلن ترى فى علمه مثيلا * مستوجبا ثناء الجيلا
ومدحه عندى لازم أبى * فى النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدى بهذا الرجز * تقرب الاقصى بلفظ موجز
فهو الذى له المعالى تعترى * وتبسط العدل بوعد منتظر
رتبته فوق العلا نامس بهم * كلامه العظمه قد كاس نعم
وكم أفاد دهره من تحف * مبتدى تاول لا كاف
لعدوى على الامام الطاهر * كظاهر العلب حيل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا * على الذى فى رعه قد عهدا
قد حصل العلم وحرر السير * وما بالا أوباعنا الحصر
فى كل فن ماهر صنعه ولا * يكون الاعانة الذى الا
سيرته جرت على نهج الهدى * ولا يلى الاختيار أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر * عمابه عنه مسا يخبر
يقول داعيا بصدر انشرح * اعرف بما فاتنا نلنا المنح
يقول مرحبا لقاصديه من * يصل الينا ستعن بما نعن
صدق مقالاتى وكن متبعا * ولم يكن تصريحه مجتمعا
وانهض اليه فهو بالمشاهده * الخبر الجزء المهم الفائده
والزم جنابه واياك الملل * ان يستطل وصل وان لم يستطل
واقصد جنابه ترى ما أثره * والله يقضى بهبات وافره
وانسب له فانه ابن معطى * ويقتضى رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والقلب ولا * تعدل به فهو يضاهى المثلا
قد طالما افاد علم مالك * أحمد بن الله خير مالك
وحاسده ومبغض رسن * وهالك وميت به حى
وليس يشفى مبغضه له أجل * عساونى مثل هراوة جعل
يقول عبد ربه محمد * فى تحرير القول انى أحمد
وهو بدهره نظم الامل * مروع القلب قليل الحيل
فادع له وساده قد حضروا * وافعل أوانى بعتبطاد شكر
واجبره بالدعا عساه يغتنم * بجره ودع عينه الجرم
انشدت فيكم داوقال قائل * فى نحو بيتم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالنصر فى كل زمن * لكونه بحصر الرفع اقترن
ماثر لكم كثيرة سوى * مامر فاقبل منه ما عدل روى
قد انتهى بعرف ذا المعرف * ودو عام ما مروع يكتفى

أت بدنا و بنيه وساحت مسافتنا عنه وولدت فى قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون العراق وأكثرهم يصيفون بالجبال وينتقلون فى الفصول الى الصرود من الارض والجرور وقد كان أهل المروآت فى الاسلام كابى دلف القاسم بن على العجلى وغيره يشتون فى الجرور وهو العراق ويصيفون فى الصرود وهى الجبال وفى ذلك يقول أبو دلف

وانى امرؤ كسروى الفعال * أصيف الجبال واشتو العراقا

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال أرضه وغضارة عيشه ومادة الوافدين اليه وهى دجلة والفرات وعموم الأمن فيه وبعد الخوف عنه وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان ارضه من اقليم بابل الذى تشعبت آراء أهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة

لانهم تاج الائمة الاول ❊ وما يجمعه عنت فد كل
فالله يبقيكم لدنيا وكفى ❊ مصليا على الرسول المصطفى
ترى عليه دائما منعما ❊ وآله المستكملين الشرفا انتهى

ومن ذلك ما كتبه لي بعض الاصحاب ممن كان يقرأ علي بالمغرب وصورته سيدنا وسيد أهل الاسلام حامل راية علوم الامة الاحمدية على صاحبها الصلاة والسلام آية الله في المعاني والمعالي وحسنة الايام والليالي وواسطة عقود الجواهر واللآلي امام مذهب مالك والاشعري والبخاري والواقدي والخليل العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجليل ذو الاخلاق العذبة المذاق والشمائل المنبعثة عن طيب الاصول والاعراق كبير زمانه دون مدافع وعالم أوانه من غير نزول لامدافع شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ ابو العباس أحمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل فاس ثم الديار المصرية حفظه الله تعالى في مواطن استقراره ورفع درجة اشادة مناره على منارة عن شوق يود له الكاتب أن لو كان في طي كتابه وتوق الى مشاهدتكم هو الغاية في بابه بعد اهداء السلام المحفوف بانواع التحيات والكرامات والبركات الدائم ما دامت في الوجود السكنات والحركات لمقامكم الاكبر ومحلكم الاشهر ومن نعلو بادياله أو كان مستمطر النوالكم أوصبت عليه شآبيب انعامكم من أهل وصحب وصاحب وخديم هذا وانه ينهي الى الوداد القديم أن اهل الغرب الادنى والاقصى حاضرة وبادية كلهم يتشوقون بل يتحرقون بذكركم ويشتاقون لرؤية وجهكم ويسألون عن طيب اخباركم وان كان المغرب الآن في تفاقم احوال وتراكم اهوال في العاية ومداس وبوادي لاسيما مدينة فاس وهي في شر عظيم واميرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذي الحجة قبلها وفي المحرم من سنة سبع وثلاثين تولى ملك المغرب السلطان ابو المعالي زيدان وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك وتقاتل مع اخويه الامير بن الوليد واحمد وهرمهما والى الله عاقبة الامور واهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم وافية سوى ما أدركهم من طول الغيبة نسأل الله تعالى أن يعجل قدومكم الغيبة ومحبكم الاكبر وخليلكم الاصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربي في سلوك أهل الحقيقة العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات والمسامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يحييكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر بالخير شاكر وهو على خير وقد اجتمعت من بركتكم في مدينة لا على جماعة من طلاب العلم وفتح الله تعالى علي بما أليف عديدة منها كفاية الطالب النبيل في حل الفاظ مختصر خليل ومنها شرح على المنهج المنتخب للزقاق في قواعد مالك ومنظومة في أكثر من ألف بيت في السير والشمائل ومنها في رجال البخاري ولا كدمي الكلاباذي ومنها حطوط وغير ذلك والكل من بركتكم وسنبعثه اليكم في صحبة كم والسلام من ولدكم المعر بفضلكم تراب نعالكم علي بن عبد الواحد الانصاري لطف الله تعالى به وحامله كبير كبراء قومه من محبيكم وعن خبركم وما تفعلوا معه من خير على نشكروه والسلام انتهى ❊ ومنها كتاب وافاني من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الاكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله نصه بسم الله الرحمن الرحيم

بعمران القطر والتمسك بمحاسن الامور وأشرف هذا الاقليم مدينة السلام ويعز على من أصار تبي اليه الاقدار من فراق هذا المصر ابدي عن نعمته وصلها بي فوق ... الكرامة الزمان اي من ... ه الدنيا والدهر الذي من شروطه الامانة وما أحسن أبو دلف العجلي حيث يقول

ايا نكبة الدهر التي
طوحت بي
أيدي سبا في شرقها
والمغارب
في بالتي صرت دهرا حطرت
اليا
اليها هاجت راجعات
المصائب

وقد ذكر الحكماء وما ترجمه الهمس هذا المعنى ان من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه وبكاءه على ما مضى من زمانه وان من علامة الرشد أن تكون النفوس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة ولاكل ... والعادة وضع الرجل على نسبه اصله وضنه وقال ابن الزبير ليس الناس بشئ من أقسامهم اقنع منهم باوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك

الرحيم وصلى الله على من أنزل عليه في القرآن وإنك لعلى خلق عظيم وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم من مدنس الازار المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار الراجي المتنصل منه رحمة العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه من متابعة السنة النبوية آماله الى الشيخ الشهير الصدر الكبير ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير الاحب في الله المؤاخي من أجله سيدي أبي العباس أحمد المقري أحمد الله عاقبتي وعاقبته وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فاني أحمد الله اليك وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا زائد الا صالح الدعاء وطلبه منكم فاني أحوج الناس اليه وأشدهم في طي الحاجة اليه لما تحققت من أحوال نفسي الامارة واستبطنت من دخيلائها المثابرة على حب الدنيا الغرارة كأنها عميت من الاهوال التي أشابت رؤس الاطفال وقطعت أعناق كل الرجال فتراه في لجج هواها خائضة وفي ميدان شهواتها راكضة طغت في غيها وما لانت وجمحت بها عن الانقياد ولا استقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه السرائر وتنشر الفضائح وينادي العدل قائم بين العالمين وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فالله أسأل حسن الالطاف والستر عما ارتكبناه من التعدي والاسراف وان يجعلنا من أهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء حلاصة الكريم سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤف الرحيم وانكف من القلم عنانه لما أرجو من أجله ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاءكم فرأيت من عذوبة ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء عقولها وينيلها الذي لم تنل لسماحة سؤالها ومأمولها بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر وأصدق قول فيه عند مخبره ومرآه أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه لكن محاسنكم المولى بحسن النية البلوغ في نحبوحة الجنان غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من أن أوصف بمثلها على أني غير قائم بفرضها ونفلها فالله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من أهل مناجاته في حضرته ويسقيكم من كاسات القرب ما تتمتع منه بلذيذ منادمته وقد ساعد البنان الجنان في اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذر لي أني لست من أهل هذا الشان والاعتراف بأني جبان وأي جبان والكمال لكم في الرضا والقبول والكريم يغضي عن عورات الاحمق الجهول وظني أحققه الله تعالى أن تحملوا على مقتضى كرمكم الكلامية يعني اضاعة الدجنة نشيدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدري لا على قدركم وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكركم وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان فآتي بدان شاء الله الاجل معي لاني بالاشواق الى حضرتكم راكب البراق ومخترق السبع الطباق وكنت عازما على أن أبعث لكم من الابيات أكثر من الواقع الا أن الرفقة أعجلت وصادفتني أيام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الامادكر وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

يا نخبة الدهر في الدرايه * علما تعاضده الروايه
لازلت بحرا بكل فن * يروي به الطالبون غايه

عليك بكرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال آخر أولى البلدان بصبيانك بلد رضعت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر وبلك الى من وسع مولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال أفلاطون غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تنبت الحبة ببل القطر وللموس في علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في كتابنا المترجم بسر الحياة وفي كتاب طب النفوس ولولا ما قيدته العلماء خواطرهم على الدهر لبطل أول العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وأمثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستظرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع

لقد صدرت في المعالي * كما تعاليت في العنايه
من فلك تنتظم المعاني * بلغت في حسنها النهايه
رقاك مولاك كل مرقى * تحوي به القرب والولايه
اعجوبة ما لها نظير * في الحفظ والفهم والهدايه
يا أحمد المقري دامت * بشراك تصحبها الرعايه
بجاه خير العباد طرا * والآل والصحب والنقابه
صلى عليه الاله تترى * تكفي بها الشر والغوايه

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع اوثامن رجب من عام ثمانية وثلاثين وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام انتهى والمذكور عالم المغرب الاوسط غير مدافع وله سلف علماء ذوو شهرة ولهم في الادب الباع المديد غير أن المذكور مائل الى التصوف ونعم ما فعل تقبل الله تعالى عملي وعمله وبلغ كلا منا أمله ولاشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسمطيني أحد اشياخ العبدري صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب وهي من در النظم وحر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسمطينة الى مراكش وأولها

الا قل للسري بن السري * ابي البدر الجواد الاريحي

ومنها

وكنت اظن ان الناس طرا * سوى زيد وعمرو غير شي
فلما جئت بجاية خير دار * اماتني بكل رشا ابي
وكم اورت ظباء بني أوار * اوار الشوق بالريق الشهي
وجئت بجاية فلقيت بدورا * تضيق بوصفها حرف الروي
وفي ارض الجزائر هام قلبي * بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا * بلين العطف والقلب القسي
وفي تنس نسيت جميل صبري * وهمت بكل ذي وجه وضي
وفي مازونة ماراك صب * بوسنان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد امسيت رهنا * بظامي الخصر ذي ردف وري
وابدت لي تلمسان بدورا * جلبن الشوق للقلب الخلي
ولما جئت وجدة همت وجدا * بمختلف المعاطف معنوي
وحل رشا الرباط رباط صبري * وتيمني بطرف بابلي
وأطلع تطرفاس لي شموسا * مغاربهن في قلب الشجي
وما مكناسة الا كناس * لاحوى الطرف ذي حسن سني
وان تسأل عن ارض سلا ففيها * ظباء كاسرات للكمي
وفي مراكش ياويح قلبي * اتى الوادي فطم على القري

بدور

اليه الخاصي والعامي ويميل الى روايته العربي والعجمي وبعد فانه يوصل به كل كلام ويتزين به في كل مقام ويتجمل به في كل مشهد ويحتاج اليه في كل محفل وتحصيله علم الاخبار بينة على كل علم وشرف منزلته يحتج في كل فهم فلا يصبر على فهمه ويس... واصداره الانسان قد يحكر دله وفهم معناه وذاق ثمرته واستسفر من غرره وبان من سره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس وبم تدحران شئت الهتك نوادره واضحكتك نوادره وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت عجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادي والحاضر والشكل وخلافه والجنس وضده وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق بعد الا ما تهوى ولا نعلم جارا أبر ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وأقل خيانة ولا أبدى معا ولا أجد أخلاقا ولا أدوم سرورا ولا أسكت غيبة ولا احسن موافقة ولا اعجل مكافأة ولا اخف مؤنة ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وابدى فهمك واكثر

بدور بل شموس بل صباح * [illegible]
أبحن مصارع العشاق لما * سعين به فكم ميت وحى
بقامة كل أسمر سمهرى * ومقلة كل ابيض مشرفى
اذا أنسينى حسنا فانى * اسميهم هوى غيلان مى
وها انا قد تخذت الغرب دارا . وادعى اليوم بالمسرا كشى
على أن اشتياقى نحو زيد * كشوقك نحو عمرو بالسوى
تقسمنى الهوى شرقا وغربا * فيا للمشرقى المغربى
فلى قلب بارض الشرق عان * وجسم حل بالغرب القصى
فهذا بالغدو يهيم غربا * وذاك يهيم شرقا بالعشى
فلولا الله مت هوى وشوقا * وكم لله من لطف خفى

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منا اسمر سال مع جاذب الادب فاسلس العنان والله المستعان وما عددناه من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام هو نص من فيض وفى نيتى ان اجمع فى ذلك كتابا حافلا اسميه نشق عرف دمشق اومشى قلم المدح لدمشق ولسان حالى الآن ينشد قول بعض الا كابر

نحن فى مصر رهن شوق اليكم * هل لديكم بالشام شوق الينا
نحن زاغون ان تروا الديكم * وابيتم عن ان ترا كم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن الصائغ

وددت لو أن عينى * مكان كتبى اليكم
حتى أرا كم وأملى * أخبار شوقى عليكم

*(رجع الى ابن جبير) رحمه الله تعالى ومن شعره قوله

اياك والشهرة فى ملبس * والبس من الاثواب أسمالها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس وأسمى لها

وقال

تنزه عن العوراء سمعا فما لمعتها * صيانة نفس فهو بالحر أشبه
اذا أنت حاوت السفيه مشافها * فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه

وقال

اقول وقد حان الوداع واسلمت * قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيارب أهلى فى يديك وديعة * وما عدمت صونا لديك الودائع

وقال أبو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور

لابى الحسين مكارم لو أنها * عدت لما فرغت ليوم المحشر
وله على فضائل قد قصرت * عن بعض نعماها عظام الابحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

الخضوع لمن انت اثبت منه اصلا واسمح فرعا وهو المعلم الذى لا يجهولك وان قطعت عنه المائدة لم تقطع عنك الفائدة وهو الذى يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار و يطيعك فى السفر كطاعته لك فى الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فاخباره عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض اهل الادب

لما علمت بانى لست اعجزهم
دونا ولا هرما ادمت احتجب
قصرت بالبيت سرورا به جذلا
حاوى البراءة لاشكوى ولاشغب
فردا يحدثنى حنا ومنى لى
عن علم ما غاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللائى عنيت بهم
وليس لى فى جليس غيرهم ارب
لله در جليس لا جليس هم

ياوفود الله فزتم بالمنى * فهنيئا لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات بعدكم * فلهذا برح الشوق بنا
نحن فى الغرب ويجرى ذكركم * بغروب الدمع يجرى هتنا

ومنها

فبناديه على شحط النوى * من لنا يوما فقلت ملنا
سربنا ياحادى الركب عسى * أن نلاقى يوم جمع سربنا
مادعا داعى النوى لما دعا * غير صب شفه برح العنا
ثم لنا البرق اذا لاح وقل * جمع الله بجمع شملنا
علنا نلنا فى خيالا سكم * بالذيذ الذكر وهنا عانا
لو جنى الدهر علينا القصى * باجتماع بكم بالمنحنى
لاح برق موهنا من نحوكم * فلعمرى ماهنا العيش هنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم * هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضا والقبول * يعلل بالوصل قلب الخليل

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة وهى ثلاثة وثلاثون بيتا من الغر أولها

أقول وآنست بالليل نارا * لعل سراج الهدى قد أنارا
والا فمابال أفق الدجى * كأن سنى البرق فيه استطارا
ونحن من الليل فى حندس * فمابالة قد تجلى نهارا

*وكان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملتمس فى حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره أبو اليسع فى تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما أنشدنيه لنفسه قوله يخاطب أبا عمران الزاهد باشبيلية

أبا عمران قد خلفت قلبى * لديك وأنت أهل للوديعه
صحبت بك الزمان أخا وفاء * فهاهو قد تنمر للقطيعه

قال وكان من أهل المروآت عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان والمبادرة لايناس الغرباء وفى ذلك يقول

يحسب الناس بأنى متعب * فى الشفاعات وتكليف الورى
والذى يتعبهم من ذاك لى * راحة فى غيرها لن أفكرا
وبودى لو أقضى العمر فى * خدمة الطلاب حتى فى الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته

طال شوقى الى بقاع ثلاث * لاتشد الرحال الا اليها
ان للنفس فى سماء الامانى * طائرا لايحوم الا عليها

وكان لا يرى الاوفى بدء كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم ار واعظا اوعظ من قبر ولا ممتعا امتع من كتاب ولا شيأ اسلم من الوحدة فقيل له قد جاء فى الوحدة ما جاء فقال ما افسدها الا الجاهل وتمثل بعض الشعراء فيمن جمع الكتب ولا يعلم ما بها

واسلم للا مفار لا ... ـهم
تجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا
باحماله او راح ما فى الغرائر

(ذكر تنازع الناس فى المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا) تنازع الناس فى اليمن وتسميته فمنهم من زعم أنه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمى الشام شاما لانه عن شمال الكعبة وسمى الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل من الفرق الذى بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وانما سمى العراق عراقا لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأصله مأخوذ من عراقى الدلو وعراقى القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما سمى يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه وهذا القول يعزى الى قطرب النحوى فى آخرين من الناس ومنهم

قص منه الجناح فهو مهيض * كل يوم يرجو له تقويع لديها

وقال

اذا بلغ العبد أرض الحجاز * فقد نال أفضل مأموله

فان زار قبر النبي الهدى * فقد أكمل الله مأموله

وعاد رحمه الله تعالى الى الاندلس بعد رحلته الاولى التي دخل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب الى المغرب من عكا مع الافرنج فعطب في جزيرة صقلية الصغرى وقاسى شدائد الى أن وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم أعاد الرحلة الى المشرق عدمه الى ان مات بالاسكندرية كما تقدم ومن شعره أيضا

لي صديق خسرت فيه ودادي * حين صارت بلا مي منه زندا

حسن القول سيئ الفعل كالجزار يسمي والسيع الفصول ذبحا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب الشفاء عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي * وتوفي ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرفيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرشيق في النسبة بعدها وقال أبو الربيع بن سالم أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي الحائي ويعرف بابن الحطب لابي الحسين ابن جبير وقال وهو مما كتب به الي من الديار المصرية في رحلته الاخيرة التي لم يلبث ولا تي تصابيتة وكان ابو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي فدفنها بها

بسبتة لي سكن في الثرى * وخل كريم اليها أتى

ولو استطيع ركبت الهوا * فزرت بها الحي والميتا

وانشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غرناطة أول طريقها قوله

لي نحو أرض المنى من شرق اندلس * شوق يؤلف بين الماء والقبس

الى آخرها ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد * أخلق في الباطل اجتهاده

هب لي ما قد علمت مني * يا عالم الغيب والشهادة

وقال رحمه الله تعالى

واني لاوثر من أصطفي * وأنقص عن زلة العاثر

واهوى الزيارة ممن أحب * لأعتقد الفضل للزائر

وقال رحمه الله تعالى

عجبت للمرء في دنياه تطمعه * في العيش والاجل المحتوم يقطعه

يمسي ويصبح في عشواء يخبطها * أعمى البصيرة والآمال تخدعه

يغتر بالدهر مسرورا بصحبته * وقد تيقن أن الدهر يصرعه

من رأى انه انما سمي يمنا لان الناس حين تفرقت لغاتهم مال تيامن بعضهم عن الشمس وهو اليمن وبه سمي شآما فوسمه هذا الاسم وسنذكر فرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا المرجع وبعض ما قالوه في ذلك من الشعر عند مرهم في الارض وانتشارهم في البلاد وقيل انما سمي الشام شاما لانه في أرض شامات بيض وحمر وسود وذلك في التراب والبقاع وأنواع النبات والاشجار وهذا قول الكلبي وقال الشرقي ابن القطامي انما سمي الشام بالشام بن نوح لانه أول من نزله فلما تكلمت به العرب غيرت من أن تقول ام فقالت شام وقيل ان سام انما سمي بذلك اضافة الى ام وقيل ان اول من سكنها من خلفاء بني العباس سماها بهذا الاسم وانها سرور لمن رآها وذكر أسماء هذه المدائن والبقاع والامصار ونحوه غير ما ذكرنا قد اتينا اعلى ما اتفق من كتابنا (ذكر اليمن وأنسابها وما قاله الناس في ذلك) اختلف الناس في أنساب قحطان فذهب هشام بن الكلبي عن أبيه والشرقي ابن القطامي الى ان قحطان هو ابن الهميسع بن نبت وهو نابت بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل وشهدا ان لذلك بوجوه من الاخبار

ويجمع المال حرصا لا يفارقه * وقد درى أنه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه * وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيرا لعاقبة * من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال

صبرت على غدر الزمان وحقده * وشاب لى الاسم الزعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم أجد * صديقا جميل الغيب فى حال بعده
ولم أصاحب عاشرته وألفته * فدام لى يوما على حسن عهده
وكم غرنى تحسين ظنى به فلم * يضئ لى على طول اقتداحى لزنده
وأعزز من عنقاء فى الدهر معرب * أخوثقة يسعيك صافى وده
بنفسك صادم كل أمر تريده * فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جرد عند كل مهمة * فما نافع كون الحسام بغمده
وشاهدت فى الاسفار كل عجيبة * فلم أر من قد نال جدا بجده
فكن ذا اقتصاد فى امورك كلها * فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما يحرم الانسان رزقا بعجزه * كما لا ينال الرزق يوما بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة * جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر * وفوق افواهها شئ من العسل
تغر ذائقها حتى اذا كشفت * له تبين ما تحويه من دخل

وقال

تغير اخوان هذا الزمان * وكل صديق عراه الخلل
وكانوا ادبعا على صحة * فقد داخلهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

وقد تقدم بيان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر وهو قوله

شكلت أخلاء هذا الزمان * فعندى مما جنوه خلل
قضيت التعجب من شأنهم * فصرت أطالع باب البدل

انتهى

ولابن جبير رحمه الله تعالى

من الله فاسأل كل أمر تريده * فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم * من الكبر فى حال توجبهم سكرا
واياك أن ترضى بتقبيل راحة * فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل

قل لنصر والمرء فى دولة السلطان اعمى مادام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

منها ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو مارواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبى عن أبى صالح ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يابنى اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم بأيديهم وقالوا يارسول الله من كنت معه فقد نضل فقال ارموا وانا معكم جميعا (قال المسعودى) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقطن وان العرب قيل له قحطان (وحكى ابن الكلبى) أن اسم يقطن فى التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح والواضح من أنساب اليمن وممن يدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقى عن الماضى والصغير عن الكبير والذى وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وسيرها من الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح فى نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قحطان

وقال ابن جبير رحمه الله تعالى

أيها المستطيل بالبغي أقصر ※ ربما طأطأ الزمان الرؤسا
وتذكر قول الإله تعالى ※ إن قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطنطة من قرى مصر

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة ※ بأحواز مصر والأحبة قد بانوا
فقلت لخلي في الهوى جد بدمع ※ فليس لنا إلا المدامع قربان

وقال

قد أحدث الناس أمورا فلا ※ تعمل بها إلا امرأ بادي
فما جماع الخير إلا الذي ※ كان عليه السلف الصالح

وقال

ربان لم تؤتني سعة ※ فاطوي عني قصار العمر
لا أحب الليث في زمن ※ حاجتي فيه إلى البشر
فهي كسر لجبير ※ ما هي جبر لمنكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله تعالى إلى مكة ١١ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي أولها

بلغت المنى وحللت الحرم ※ فعاد شبابك بعد الهرم
فأهلا بمكة أهلا بها ※ وشكرا لمن شكره ملتزم

وهي طويلة وسيأتي بعضها وقال رحمه الله تعالى عند تركه للرحلة الحجازية

أقول وقد دعا للخير داع ※ حننت له حنين المستهام
حرام أن يلذ لي اعتماض ※ ولم أرحل إلى البيت الحرام
ولا طابت لي الآمال إن لم ※ أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياتي لي إذا لم ※ أزر قبر طيبة خير الأنام
وأهديه السلام وأقتضيه ※ رضا يدني إلى دار السلام

وقال

هنيئا لمن حج بيت الهدى ※ وحط عن النفس أوزارها
وإن السعادة مضمونة ※ لمن حج طيبة أو زارها

ولنختم ترجمته بقوله

أحب النبي المصطفى وابن عمه ※ عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم ※ وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم ※ وحبهم أسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض ※ فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده ※ وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم ※ لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

والحصر عليه السلام من ولد ملكان في قول كثير من الناس، وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكرا وأمهم حتى بنت روق بن زارد ابن سعد بن سود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب ابن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدين أحدهما عبد شمس وهو سبأ بن يشجب وإنما سمي سبأ لسبيه السبايا فولد سبأ حمير وكهلان ابني سبأ والثاني لم يعقب وإنما العقب من ولد هذين وهما حمير وكهلان وهذا الذي عليه عند أهل الخبرة بهما ولم يبق لهم وقال الهيثم بن عدي الطائي في قول إسمعيل كان لم يلغه حرهم لأن إسمعيل كان من ناحية اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرنا وصاهر جرهم ونشأ على لغتهم ونطق بكلامها وتزار يأبى أن يكون إسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون إن الله عز وجل أنطقه هذه اللغة وذلك أن إبراهيم خلفه هو وأمه هاجر وإسمعيل ابن سبع عشرة سنة وقيل ابن أربع

عشرة سنة في واد غير ذي زرع ولا أنيس فحفظهما الله تعالى وأنبع لهما زمزم ومن ثم لم إسمعيل هذه

وقوله فى آخر الميمية

نبي شفاعته عصمة * فيوم التنادى به يعتصم
عسى أن تجاب لنا دعوة * لديه فنكفى بها ما أهم
ويرعى لزوّاره فى غد * ذماما فما زال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن * ألم بتربته فاستلم
أخى كم تتابع أهواءنا * وتخبط عشواء فى الظلم
رويدك جرت فعج واقتصد * أمامك نهج الطريق الاعم
وتب قبل عض بنان الاسى * ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها

وقل رب هب رحمة فى غد * لعبد بسيما العصاة اتسم
جرى فى ميادين عصيانه * مسيئا ودان بكفر النعم
فيارب صفحك عما جنى * ويارب عفوك عما اجترم

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس الاديب أبو عامر بن عيشون) قال الفتح رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفى البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة فى سماط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما فى ناووس وأخرى فى مجلس مانوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بانامل نحلته وارتد على عقبه وارتد من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق فى الادب وتدفق طبع اذا امدح أو سب وقد أثبت له ما تعلم حقيقة نفاده وترى سرعة وخده فى طرق الاحسان واغذاذه ثم قال وأخبرنى أنه دخل مصر وهو سارى ظلم البوس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الا عذره وتكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا نكده ولا يتوسد الا عضده وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصر لا ينفع منها تنبر ولا مندل فلما كان من الغد دخل عليه ابن الطوفان فاشفق لحاله وفرط امحاله وأعلمه أن الافضل بن أمير الجيوش استدعاه ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيه الا لاخصب مرعاه فصنع له فى حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوى اليها الامانى غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لى سببا * فلن أبالى بمن منهم نفضت يدى
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذارمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه انه غناه وجود الاظهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته فى سمعه وقرره فسأله عن قائله فأعلمه بقلته وكلمه فى رفع خلته فامر له بذلك وله أيضا رحمه الله تعالى

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فالفيت باباسهل الله اذنه * ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى ان خلت أنك عاتب

اللغة العربية فقالوا ولغة جرهم غير هذه اللغة ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد فهذا يقضى بابطال قول من قال ان اسمعيل أعرق بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل عربى اللسان لاجل جرهم لوجب ان يكون لعقبه وافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة وقد وجدنا قحطان سريانى اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم وعطاه فضيلة اللسان العربى التى أعطيها يعرب ابن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتى عليها كتابنا هذا فى التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما دنا بينا على ذكر جمل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية فى كتابنا أخبار الزمان *وزعم الهيثم بن عدى ان جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان وتاول الهيثم قول النبى صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يابنى اسمعيل أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما نالهم من الولايات من ولد

فلا

فلا تتكلف للعروس مشقة ... سأرضيك بالهجران اذا أنت عاتب

فلا الارض بدمر ولا أنت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عني جانب

وله يستعفي

كتبت ولو وفيت برك حقه ... لما اقتصرت كفي على رقم قرطاس

وبابت عن الخط الخطاوة بادرت ... فخطوا على عيني وطورا على راسي

سل الكاس عني هل أديرت فلم أصح ... هل حسك الحبابا سوغ بها كاسي

وهل ناح الآس المدامي فلم أدع ... تسائي اذ كن من منافحة الآس

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو مروان الطبني وهو عبد الملك بن زيادة الله) قال في الذخيرة كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام وحملة ألوية الاقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر أراهم طرؤا على قرطبة قبل افتراق الجماعة وانتشار شمل الطاعة وأناخوا في ظلها وتحققوا بسرو أهلها وأبو مضر أبوه زيادة الله بن علي التميمي الطبني هو أول من بني بيت شرفهم ورفع في الاندلس صوته بناهة سلفهم قال أبو حيان وكان أبو مضر بدمة محمد بن أبي عامر أمتع الناس حديثا ومشاهدة وأنصفهم طرفا وأحدقهم بأبواب الشحذ والملاطفة وآخذهم بسلوب الملوك والجلة وأنظمهم لشمل افادة وتجمعة انتهى المقصود منه ثم قال في الذخيرة فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل الى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة انتهى وقد ذكر قصة قتله المستشنعة واتهم باغتياله ابنه ومن نظم أبي مروان الطبني المذكور ما وجده صاحب الذخيرة في بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد ابن أبي عامر على الجدلي في مجلسه وضربه ضربا موجعا وأقر بذلك أعين مطالبيه قال أبو مروان الطبني فيه

شكرت للعامري ما صنعا * ولم أقل للجدلي لعا

ليث عسر بن عدا بعزته * مفترسا في وجاره ضبعا

لا ترحت كف عمر كة ... من الاماني فيم ما صنعا

وددت لو كنت شاهدا لهما ... حتى يرى العين مل ما حضعا

ان طال من سجوده فلقد ... طال اعتبر السجود راكعا

قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله

كم ركعة ركع الصفعان تحت يدي ... ولم يقل سمع الله لمن حمده

ثم قال ابن بسام في الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كان اعتمر الحلوه ومن ملح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلت التشيع حب أصلع هاشم ... فترفضي ان شئت أو تتشيعي

قالت أصلع هاشم وسفت * بأبي وأمي كل شئ أصلع

ولما صنت كتابي هذا من شين الهجاء وكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء أجريت ههنا

قوم الى غير آبائهم وقد سأل ذلك سهلا وعملا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله من مراد عن سبا أرجلا كان أو امرأة أو واديا أو جبلا فقال له كان رجلا ولد له عشرة فتشاءم اربعة وتيامن ستة فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والازد ومذحج وكندة والاشعريون وانمار الذين هم بجيلة وخثعم وقال ابن المدره وانمار بن اراش ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودي) وقد تنوزع في سبب اخبار فذهب الاكثر الى ان اخبار اوبارا وربيعة ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان واخبار دخلوا الى اليمن فاضموا اليه وماد كرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم يمن تامن وتشاءم في اخبار الاخبار وليس بحيث يخفي الاسعاف والذي يصح بها العدد ويثبت بها الحكم وللناس في هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام بن أبيه الكلبي قال كان بنال لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو

صدر من ملح التعريض في ايجاز القريض عما لا أدب على قائله ولا وصمة عظمى على من قيل فيه والهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجوا مستبشعا وهو ما طأ قديما من الاوائل وثل عرش القبائل انما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير كقول النجاشي في بني عجلان وشهرة شعره مغني عن ذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأنشدوه قول النجاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات وفعل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطيئة وساله أن ينشد ما قال فيه فانشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ❊ واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما أود بما قال له حر النعم وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشبرم فهم عمر رضي الله تعالى عنه بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور ❊ وقال عبد الملك بن مروان يوما احسابكم يا بني أمية فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال في

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ❊ وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فاظنك بشيء يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس وقد كان الراعي يقول هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما يستحيي العذراء أن تنشده في خدرها ولما قال جرير

فغض الطرف انك من نمير ❊ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لانه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه قال الراعي فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب الا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج الينا النساء والصبيان يقولون قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته وكان يقول اذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة وهو الذي صان هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه فان أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه اسمه وبنى عليه اثمه ❊ ومن ملح التعريض لاهل أوقاتنا قول بعضهم في غلام كان يهوى رجلا يسمى بالبعوضة

أقول لشادنكم قولة ❊ ولكنها رمزة غامضة

لزوم البعوض له دائما ❊ يدل على انها حامضة

وأنشدت في مثله قول بعض أهل الوقت

بيني وبينك سر لا أبوح به ❊ الكل يعلمه والله غافره

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الاخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع فيه قلبي وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت

واني على ما هاج صدري وغاظني ❊ ليأمنني من كان عندي له سر

من مارب ومن نحو عمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

(ذكر اليمن وملوكها وبعد ارسبا)

أول من تعدد من ملوك اليمن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لاية علة سمي سبا على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبا ابن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس في وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ثم ملك بعده أخوه كهلان ابن سبا فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لاخبار يطول ذكرها وتنازع في الملك ولد حمير وكهلان ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبا واتصل ملكه وعمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل ان أول من ملك وكان

بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذى سدد ثم ملك جبار بن غالب بن

ذ كان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ولم يزل يعلو به حتى يكى الى منه بالدموع وهذا الباب ممتد الاطناب ويكون مامر وما نرسمه فى أضعاف هذا الكتاب انتهى كلام ابن بسام فى الذخيرة بلفظه ولا خفاء انه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبى ولذا قال فى خطبة الذخيرة أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله فان ثمرة هذا الادب العالى الرتب رسالة تنثر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تتمثل تلك انثيال القطار على صفحات الازهار وتتصل هذه اتصال القلائد على نحور الخرائد ومازال فى أفقنا هذا الاندلسى القصى الى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين قوم هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق وحدوا بفنون السحر المبين حداء الاعشى ببنات المحلق فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والاصائل بعجائب الاشعار والرسائل نثر لو رآه البديع لنسى اسمه أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح الا أن أهل هذا الافق أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظنى منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى غيرة لهذا الافق الغريب أن تعود بدوره أهلة وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا العلم وأهله ورب محسن مات احسانه قبله وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان وخص أهل المشرق بالاحسان وقد كتبت لارباب هذا الشان من أهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب وتسحر الشعراء والكتاب ولم أعرض لشئ من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية اذ كان ابن فرج الجيانى قد رأى رأيى فى الصفة وذهب مذهبى من الانفة فأملى فى محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للاصبهانى فأضربت أنا عما ألف ولم أعرض لشئ مما صنف ولا تعديت أهل عصرى مما شاهدته بعمرى أو لحقه أهل دهرى اذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول وقد مجت الاسماع

الى أن قال بعد ذكره انه سوف جملة من المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضى عبد الوهاب والوزير ابن المغربى وغيرهم ممن يطول ما صورته وانما ذكرت هؤلاء اقتداء بأبى منصور فى تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر انتهى المقصود منه قلت ونذكرت بما أنشده فى الهجاء قول الباقعة الشاعر المشهور أبى العباس أحمد الغفجومى الشهير بالجدامى وعامة المغرب يقولون الجراوى يهجو قومه بنى غفجوم وهم بربر تادلا متوصلا بذلك الى هجو أصلاء فاس بنى الملجوم ومستطردا الى ذلك ما هو فى اطراده كالماء المسجوم وهو

* ياد ارمية بالعلياء فالسند *

الحرث بن صيفى بن شحب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة وبين ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذى المنار ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة ابن الرائش وهو ذو المنار وكان ملكه مائة وثمانين سنة ثم ملك بعده أخوه العبد ابن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وقد [illegible] مقدار ملكه فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ومنهم من ذكر [illegible] ومنهم من قال [illegible] ثم ملك [illegible] الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما تقدم ثم ملك بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر طريف فقد ذكر الرواة فيما رووه أنه تصور لابيها فى بعض متصيداته حيتان سوداء وبيضاء فأمر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا وأعطاه منه بلقيس ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه

يا ابن السبيل اذا مررت بتادلا * لا تنزلن على بني يغفوم
أرض أغار بها العدو فلن ترى * الا مجاوبة الصدى للبوم
قوم طووا ذكر السماحة بينهم * لكنهم نشروا لواء اللوم
لاحظ في أموالهم ونوالهم * للسائل العافي ولا المحروم
لا يملكون اذا استبيح حريمهم * الا الصراخ بدعوة المظلوم
يا ليتني من غيرهم ولو انني * من أرض فاس من بني الملجوم

وذكر غير واحد من المؤرخين ان أحد بني الملجوم قضاة فاس وأصلائها بيعت أوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار ويكفيك ذلك في معرفة قدر القوم ومع ذلك هجاهم بهذا والله سبحانه يغفر الزلات * (رجع) الى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول (ومنهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل الى الاندلس ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان) من أهل قرطبة ويعرف بدحون رحل الى المشرق وكان فقيها عالما أديبا شاعرا محسنا ورحل الى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم وحج ولقي أهل الحديث فكتب عنهم وقدم بعلم كثير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها وهو يلبس الوشي الشامي الى أن أوصى اليه الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفي بعد المائتين ومن شعره قوله

قال العذول وأين دليك كلما * رمت اهتداءك لم يزل متحيرا
دلت انتدفا القلب أول خائن * لما تغير من هويت تغيرا
وناى قبان الصبر عني جمله * وبقيت مسلوب العزاء كما ترى

ومن ولده سعيد بن هشام وكان أديبا عالما فقيها رحم الله تعالى الجميع ودخل دمشق وضبط الاقدم وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجي فوافق دخوله اياها غلاء شديدا ومجاعة أشكت أهلها فضجوا الى الرخجي أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد فأمر بالنداء في المدينة على كل من بها من طارئ وابن سبيل ليخرجوا عنها وضرب لهم أجلا ثلاثة أيام أوعد من تخلف منهم بعدها بالعقاب فابتدر الغرباء الخروج عنها وأقام دحون لم يتحرك فجيء به الى الرخجي بعد الاجل فقال له ما بالك عصيت أمري أو ما سمعت ندائي فقال له دحون ذلك النداء الذي وقفني فقال له وكيف فانتسب له فقال له الرخجي صدقت والله انك لاحق بالاقامة فيها فأقم ما أحببت وانصرف اذا شئت وكان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ويعرف بالحبيبي وهو من المشهورين بعرضه قوله المدنية الراوية عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وبنته عبدة بنت بشر مشهورة ولها رواية عنه رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بهلول بن فتح) من أهل اقليش له رحلة حج فيها وكان رجلا صالحا خيرا حكى عن نفسه انه رأى في منامه بعد قدومه من الحج كأنه بمكة وقائل يقول انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم قال فكنت أقول لرجل من جيراني باقليش يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لي لست أجد الى ذلك سبيلا فكنت أتوجه وأصلي مع الناس والنبي صلى الله عليه وسلم امامنا فلما سلم من الصلاة

وما ثبت عنه في جزء ظفر يفسره هو موجود في كتب التبابعة وانما نحكي هذه الاخبار على حسب ما وجدناه في كتب الاخبار ونعزوها على حسب ما توجبه الشريعة والله يعلم لمن وليس بصدقها من ذلك وصف او ولا اصحاب التقدم لانهم يسرون هذا ونحوه وانما نحكي في هذا الكتاب قول اصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق والمنكرين للشيطنين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من امرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرها ثم ملك اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ياسر المنعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده شمر بن يرعش وكان ملكه ثلاثا وستة وعشرين سنة وسكن سمرقند وغزا المشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان ثم ملك بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك في مملكته تنازع

رجع الى وقال لى من ابن انت قلت له من الاندلس فكان يقول من اى موضع فكنت اقول من مدينة اقليش فيقول لى اتعرف ابا اسحق البوابي فكنت اقول هو جارى وكنت لا اعرفه فيقول لى أقرئه منى السلام (ومنهم ابو الحسن ثابت بن احمد بن عبد الولى الشاطبى) روى عن ابى زيد عبد الرحمن بن يعيش المهروى ورحل الى المشرق فسمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضل المقدسى وحدث عنه بالحديث المسلسل فى الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبى محمد عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن خلف الانصارى عن أبى الحسن طاهر بن مفوز وعليه مداره بالاندلس عن نصر السمرقندى بسنده وبه حدثه الحافظ ابن الابار وقد رويته مسلسلا من طرق بعضها عن ابن المفضل وأعلاها أبى بن أبى حمزة عن أبى بكر الاندلسى عن نصر السمرقندى وصار ابن المفضل بمنزلة من سمعه ممن سمعه منى والحمد لله تعالى انتهى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن أبى محمد بن عبد الرحمن بن يونس بن ميمون الحضرمى) سكن شاطبة وأصله من أنشيان عملها ويكنى أبا الفضل أيضا حج وسمع أبا طاهر بن عوف والحافظ السلفى وأبا عبد الله بن الحضرمى وأبا الثناء الحرانى وبدر بن عبد الله الحبشى والحسن بن المفضل وغيرهم وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة حسن الخط جيد الضبط سماه التجيبى فى معجم مشيخته وهو فى عداد أصحابه لاشتراكهما فى السماع بالاسكندرية ومن كه هنالك ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة فى أضحى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحكى مما أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله الكرانى وكان شاعرا مجيدا أتته امرأة بنت ولدها فسألته أن يرثيه فقال

يبكى عليه بشجو * فقلت لا تندبيه
هذا زمان عجيب * قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال انه توفى بعد التسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعى العابد) من أهل قسطنطانة عمل دانية أخذ القراآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل الاسكندرية مرافقا لمن سمع من السلفى ولم يسمع منه هو شيأ قال ابن الابار فيما علمت وقفل الى بلده مائلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوفة فى وقته وعلا ذكره وبعد صيته فى العبادة الا انه كانت فيه غفلة قال ابن الابار رأيته اذ قدم بلنسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة احدى عشرة وستمائة وتوفى عن سن عالية تقارب المائة منتصف ذى القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى وانتاب الناس قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان يشاركهم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التى تغلبوا عليها وذلك فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة (ومنهم ابو جعفر النحوى) أنداه نزل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو وشرح له حال جلله ذكره الطبنى فيما حكاه ابن الابار (ومنهم ابو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله الخزرجى القرطبى) وكناه بعضهم أبا الفضل سمع ببلده من ابى محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وكان اديبا شاعرا كتب عنه ابو محمد العثمانى بالاسكندرية بعض شعره (ومنهم ابو الحسن

وخلاف وكان ملكه الى أن قتل خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده عمرو بن تبع وهو ابن أخى لأخيه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة وقال بعضهم النوم لما كان من فعله فى قتل أخيه ثم ملك بعده تبع بن حسان وكان قرب وهو الملك السائر من اليمن الى الحجاز وكان له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود فلبسها النطع اليمانى وسار الى اليمن وقد تهود وغلب على اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة ثم ملك عمرو بن تبع بعده مرثد ومازال كان بينهم فى الملك ثم خلع من الملك وملك بعده مرثد بن كلال وكان فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده وكيعة بن مرثد وكان ملكه نحوا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ابن وكيعة بن مرثد وهو الذى يدعى شيبة الحمد وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان علامة وله سير مدونة ثم ملك بعده عمرو بن ذى يزن وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم

ملك بعده دوشنا تر ولم يكن من أهل بيت الملك فغرى بالاحداث من أبناء الملوك ويظلهم ما طالب به الدوار وأظهر

جهور بن خلف بن أبي عمر بن قاسم بن ثابت المعافري) رحل حاجا إلى المشرق فأدى الفريضة
وسمع بالاسكندرية من أبي طاهر السلفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع أيضا من غيره
وكان مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من أهل غرب الأندلس *(ومنهم أبو علي
الحسن بن حفص بن الحسن الهوزني الأندلسي) رحل وتجول ببلاد المشرق فسمع أبا محمد
عبد الله بن حمويه وأبا حامد أحمد بن محمد بن رجاء بسرخس وأبا محمد بن أبي شريح بهراة وأبا
عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحي بالأهواز وأبا بكر أحمد بن جعفر البغدادي وأبا حامد
أحمد بن الخليل وأبا حاتم حامد بن العباس وأبا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق
فروى عنه من أهلها تمام بن محمد وغيره أبو أحمد بن منصور بن خلف المغربي وغيره وذكره
ابن عساكر وقال أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي بن فطيمة وأبو القاسم زاهر بن
طاهر قالا أنا أبو بكر أحمد بن منصور أنا أبو علي الحسن بن جعفر القضاعي أنا الحسن بن رشيق
بمصر أنا المفضل بن محمد الجندي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري قال سمعت مالك بن
أنس يقول لا يحمل العلم عن أهل البدع كلهم ولا يحمل العلم عمن لم يعرف بالطلب ومجالسة
أهل العلم ولا يحمل عمن يكذب في حديث الناس وإن كان في حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم صادقا لأن الحديث والعلم إذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذي سمعه وبين
الله تبارك وتعالى وإنما قال فيه القضاعي لأن بهران من قضاعة *(ومنهم أبو علي الحسن
ابن خلف بن يحيى بن إبراهيم بن محمد الأموي) من أهل دانية ويعرف بابن برنجال سمع
من أبي بكر بن صاحب الأحباس وأبي عثمان طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حج فيها
وسمع من أبي إسحاق إبراهيم بن صالح القروي وببيت المقدس من أبي الفتح نصر بن إبراهيم
سنة خمس وستين وأربعمائة وبعسقلان من أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبي
وأخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري بسماعه من عبد العزيز الشعيري عن
مؤلفه وكان فقيها على مذهب مالك وولي الأحكام ببلده وحدث وأخذ عنه وسمع
الناس منه بالإسكندرية سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة
وتوفي في نحو الخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو علي الحسن بن إبراهيم بن محمد بن
بقي الجذامي المالقي) روى بقرطبة عن أبي محمد بن عتاب وعن أبي بكر الصدفي بمرسية
سنة ثمان وخمسمائة وصحب أبا مروان بن مرة وكان من أهل الرواية والتقييد وكانت له
رحلة سمع فيها من أبي الطاهر السلفي مجالسه التي أملاها بسلماس برجب سنة خمس عشرة
وخمسمائة حسبما ألفي بخط السلفي وفي رحلته لقيه أبو علي الحسن بن علي البطليوسي
نزيل مكة وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتنوخي من أهل الإسكندرية
بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر أجازله إجازة عامة في السنة السابقة وقال ابن عساكر
في تاريخه وذكر أبا ذر الهروي سمعت أبا الحسن علي بن سليمان المرادي الحافظ الأندلسي
بنيسابور يقول سمعت أبا علي الحسن بن علي الأنصاري البطليوسي قال ابن عساكر وقد لقيته
ولم أسمعها منه قال سمعت أبا علي الحسن بن إبراهيم بن بقي الجذامي المالقي يقول سمعت
بعض الشيوخ يقول قيل لأبي ذر الهروي أنت من هراة فمن أين تمذهبت لمالك والأشعري

الحبش باليمن واللواط وعدل مع ذلك في الرعية وأنصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين
سنة وقتله يوسف ذو نواس
وكان من أبناء الملوك خوفا
على نفسه وأنفة أن يفسق
به ثم ملك بعده يوسف
ذو نواس بن زرعة بن تبع
الأصغر بن حسان بن كليكرب
وقد ذكرنا خبره في غير
هذا الموضع من كتبنا
وما كان من أمره مع أصحاب
الأخدود وتحريقه إياهم
بالنار وهم الذين أخبر
الله تعالى عنهم في كتابه
فقال قتل أصحاب الأخدود
النار ذات الوقود ولما
عبرت الحبشة من بلاد
ناصع والزيلع وهو ساحل
الحبشة على حسب ما ذكرنا
إلى بلاد زبيد من أرض
اليمن فغرق يوسف نفسه
بعد حروب طويلة خوفا
من العار وكان ملكه مائتي
سنة وستين سنة وقيل أقل
من ذلك وذلك أن النجاشي
ملك الحبشة لما بلغه
فعل ذي نواس بأتباع
المسيح عليه السلام وما بعد
بهم به من أنواع العذاب
والتحريق بالنار بعث
إليه الحبشة وعليهم أرباط
الحمية فملك اليمن عشرين
سنة ثم وثب عليه أبرهة
الأشرم بن يكسوم فقتله
وملك اليمن فلما بلغ ذلك
من فعله إلى النجاشي غضب
عليه وحلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته يعني أرض اليمن فبلغ ذلك أبرهة فقال

فقال انى قدمت بغداد أطلب الحديث فلزمت الدارقطنى فلما كان فى بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضى أبو بكر بن الطيب فاظهر الدارقطنى من اكرامه ما تعجبت منه فلما فارقه قلت أيها الشيخ الامام من هذا الذى أظهرت من اكرامه ما رأيت فقال أوما تعرفه قلت لا فقال هذا سيف السنة أبو بكر الاشعرى فلزمت القاضى منذ ذلك واقتديت به فى مذهبه انتهى (ومنهم أبو على الحسن بن على بن الحسن بن عمر الانصارى البطليوسى) رحل الى المشرق فادى الفريضة وتجول هنالك ولقى أبا الحسن بن الفرج الصقلى وأبا عبد الله العراوى فسمع منهما الصحيحين بعلو وسمع من ابى الفتح ناصر بن أبى على الطوسى سنن أبى داود وحدث بالموطأ عن أبى بكر الطرطوشى وله أيضا رواية عن زاهر بن طاهر الشحامى وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى وأبى محمد الحريرى سمع منه مقاماته الحسن بن بستانة من بغداد ونزل بمكة وجاور بها وحدث فيها وفى غيرها وأسن وكان ثقة مسندا روى عنه أبو عبد الله بن أبى الصيف اليمنى وابو حفص بن شراحيل الاندلسى وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الاربلى وسمع منه فى صفر سنة ست وستين وخمسمائة وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه * (ومنهم أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الانصارى) من أهل المرية عمل بلنسية ويعرف بابن الرهيل سمع من أبى الحسن بن النعمة كثيرا واختص به وعنه أخذ القرا آت وسمع من ابن هذيل أيضا ثم رحل حاجا فلقى بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر السلفى وابا عبد الله بن الحضرمى وسمع منهما وجاور بمكة واخذ بها عن ابى الحسن على بن حميد الطرابلسى صحيح البخارى وكان يرويه عن ابى مكتوم عيسى بن ابى ذر الهروى عن ابيه وسمع ايضا من ابى محمد المبارك بن الطباخ البغدادى واجاز له ابو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمى وابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى بجاية عند صدره فى ربيع الاول سنة سبع وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والانقباض عن الناس والاقبال على ما يعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى التجيبى ان طلبة الاسكندرية راجعوا فيه لسماع التيسير لابى عمرو المقرى منه بروايته عن ابن هذيل سماعا فى سنة ثلاث وخمسين وصار له بذلك عندهم وجاهة وبعد ذلك اصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفى غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى *(ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حى التجيبى القرطبى) اخذ علم العدد والهندسة عن ابى عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان كلفا بصناعة التعديل وله زيج مختصر ذكره القاضى صاعد ونسبه به وحكى انه خرج من الاندلس فى سنة اثنتين واربعين واربعمائة بعد ان نالته بها وبالبحر محن شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى اليمن واتصل بأميرها فحظى عنده وبعثه رسولا الى القائم بأمر الله الخليفة ببغداد ونال هنالك دنيا عريضة وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين واربعمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد الكلاعى) اخذ بقرطبة عن ابى المطرف القنازعى وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة فى الحرص وقصر

الى النجاشى مع تلك الحدثة وضم الى ذلك هدايا كثيرة وألطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه فى طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انفذت الى الملك ناصيتى فليجزها بيده ويدمى فى قارورة فليريقه وبجراب من تربة بلادى فليطأه بقدميه وليطفئ الملك عن غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير سلطانه فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه *وأبرهة بن يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابى رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال فى الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة ورجم قبره بعد ذلك وفى ذلك يقول جرير بن الخطفى فى الفرزدق
اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترمون قبر ابى رغال

 (قال المسعودى) رحمه الله وقيل ان أبا رغال رجع به صالح النبى صلى الله عليه وسلم على صدقاته

الاول والحث على العمل وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولقيه هنالك أبو مروان الطبني فسمع منه بعض فوائده * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير) من أهل طرطوشة يعرف بالجبيري وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والنزاهة وعليه نزل القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية قال ابو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة فأنزله في بيته الذي كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر في كتب أبي فرعى بيده كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

أوما علي لا برحت ملعنا * يا ابن الخبيثة عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد * داني الولاء مقدم الاسلام

قال ابو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب ابي الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر في احتلافين من بلاد الاوزيح اليها سنة ثلاثين وثلثمائة (ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطي) له رحلة روى فيها بالاسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق وحدث عنه أبو العباس بن عيسى الدالي بالتلقين للقاضي عبد الوهاب * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن خلون القنطري) من نفطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروية رحل حاجا فادى الفريضة ولقي بمكة رزين ابن معاوية الاندلسي فحمل عنه كتابه في تجريد الصحاح سنة خمس وخمسمائة وفيها حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابن خير في كتابه اليه من بطليوس في نحو الثلاثين وخمسمائة (ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسي) رحل حاجا الى المشرق وسمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلثمائة وأبا بكر مسرة بن مسلم الصدفي حدث وأخذ عنه (ومنهم طاهر الاندلسي من أهل مالقة يكنى أبا الحسين) رحل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البرابر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة فلم يزل بمكة الى حدود الخمسين وأربعمائة وكان من أصحاب أبي عمر الطلمنكي وملازميه لقراءة القرآن وطلب العلم مع أبي محمد الشنتجالي وأبي أيوب الزاهد امام مسجد الكوائين بقرطبة وجاور بمكة طويلا واقرأ على مقربة من باب الصفا وكان الشيبيون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ذكره الضبي قال ابن الابار وأحسبه المذكور في برنامج الحولاني والذي قرأ عليهم أكثر المدونة على أبي عمر أحمد بن محمد الرياث انتهى * (ومنهم أبو الطاهر الاندلسي من أهل لبلة) نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان رحمه الله تعالى نحويا له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتاديب بالنحو ثم ترك ذلك * (ومنهم أبو محمد طارف بن موسى بن يعيش المنصفي المخزومي) والمنصفي نسبة الى قرية بغربي بلنسية ويكنى أيضا أبا الحسن رحل قبل العشرين وخمسمائة فادى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري ومن

الشريف

الاموال خالف أمره واساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم فقال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال

نحن قسي وقسا أبونا

وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي

هموا قتلوا الرئيس أبا رغال * بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفي ذلك يقول عمرو بن دراك العبدي

فاني ان قطعت حبال قيس * وحالفت المرور على تميم
لأعظم من فجار أبي رغال * وأجور في الحكومة من سدوم

وقال مسكين الدارمي

وأرجم قبره في كل عام * كرجم الناس قبر أبي رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم في ذلك قال وفي طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهذيبة نحو النضامية موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان وفي كتاب حدائق

الشريف أبي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشقران أخذ عنه كتاب الاحياء للغزالي لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبي بكر الطرطوشي وأبي الحسن بن مشرف وأبي عبد الله الرازي وأبي طاهر السلفي وغيرهم ثم قفل الى بلاده فحدث وأخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا فاضلا عالي الرواية ثقة قال ابن عباد لم ألق أفضل منه وكان مجاب الدعوة وحدث عنه بالسماع والاجازة جماعة منهم أبو الحسن بن هذيل وأبو محمد القاسم وأبو مروان بن الصيقل وأبو العباس الاقليشي وأبو بكر بن حمر وابن سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي وأبو بكر ابن جزي وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره أبي العباس الاقليشي وأبي الوليد بن حيرة الحافظ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وقد نيف على السبعين فاقام بمكة مجاورا الى أن توفي بها عن سن عالية رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وخمسمائة : (ومنهم محمد بن ابراهيم ابن مزين الاودي) من أهل اكشونبة غربي الاندلس يكنى أبا مصر ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك في المحرم سنة سبعين ومائة وأقام أشهرا ثم استعفى فاعفاه ورحل حاجا فادى الفريضة وسمع في رحلته امامنا مالك بن أنس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة وذكره ابن شعبان في الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه من قطع لسانه استؤني به عاما وأن مالكا قال لقد بلغني أن بالاندلس من نبت لسانه فان لم ينبت أقيد منه : (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد حياز الشاطبي الاوسي) قدم مصر وكان أخذ عن ابن برطله وابن البراء وغيرهما وعمل فهرست شيوخه على حروف المعجم وحج وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة حادي عشر رجب سنة ثماني عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وغفر له (ومنهم القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الاندلسي الاشبيلي) قال أبو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف ببني الباجي مشهور كثير العلماء والفضلاء وأصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضي أبو الوليد الباجي الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم أبو مروان حاجا من بلاده في البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده الاعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قدم الى الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويعرف بصاحب الوثائق وسمعا بها من جماعة من العلماء وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله هذا في المقتبس وكناه أبا عمر وذكر انه من كبراء اشبيلية وأثنى عليه كثيرا وقال مات في حدود الاربعمائة وروى عنه ابن عبد البر وغيره وأبوه عبد الله بن محمد ابن علي يعرف بالرواية ذكره الحميدي أيضا وذكر ابن بشكوال في الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا الشيخ أبو مروان حسن الاخلاق فاضلا متواضعا محسنا وسمعته يقول وقد سئل اعارة شئ فبادر اليه ثم قال عندي في قوله تعالى ويمنعون الماعون هو كل شئ واستفدنا من هذا الشيخ فائدة جليلة وهي معاينة قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى وعايرت بذلك المد المد الذي لنا بدمشق حينئذ

الاذهان وفى أخبار أهل البيت رضى الله عنهم فكان ملك ابرهة على اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من سنة الاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق ابن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الاذى وكانت أمه من آل ذي يزن وكان سيف بن ذي يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر فقصده فأقام ببابه سبع سنين وأبى أن ينجده وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس في الديانة أن ينصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى أنوشروان فاستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وما

وهو الكيل الكبير فوجد مدنا سع صاعين الايسر اوو جدته ممسوحا يسع صاعا ونصفا و... أيكون مدان ممسوحان ثلاثة آصع زائدة وقرأت فى كتاب المحلى لابن حزم قال أبو محمد وخرجه لى ءدعلى تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن على الباجى وهو عند أكثرهم لا يفارق داره أخرجه الى ثقتى الذى كلفته ذلك على بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن على المذكور وذكر انه مد أبيه وان جده أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد وأخبره أحمد بن خالد انه خرطه على مد يحيى بن يحيى على مد مالك قال أبو محمد ولا شك ان أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذى صححه بن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام قال ابو محمد ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة وكلته بالشعير الا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أوقية وسألت عن الرطل الفلفلى فقيل لى هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفى تقدير ابن حزم نظر وتوفى هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام أبى شامة وبعضه بالمعنى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الاشبيلى ثم المصرى) فاضل شرح الصدور بلفظه ومتكلم أحيا القلوب بوعظه أحواله مشهورة ومجالسه بالذكر معمورة وله معرفة بالادب وخبرة بالشعر والخطب وكلام وجهه حسن ونظم بمثابة على كثير من أرباب اللسن قاله ابن حبيب الحلبى قال وهو القائل

من أنت محبوبه من ذا يعيره * ومن صفوت له من ذا يكدره
هيهات عنك ملاح الكون تشغلى * والكل أعراض حسن أنت جوهره

وقال

اكشف البرقع عن بكر العقار * واجل فى ليلك مع شمس النهار
وانهب العيش ودع منغلطا * ينقضى ما بين هتك واستتار
ان تكن شيخ خلاعات الصبا * فالبس الصبوة فى خلع العذار
وارض بالعار وقل قد آن لى * فى هوى خمار كاسى لبس عار

وقال

حثوا الى نجد نياق الهوى * فثم واد جوه معشب
وانتظروا حتى يلوح الحمى * فالعيش فيه طيب طيب

وتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبها حصل لى شك هل هو ممن ارتحل بنفسه من الاندلس أو ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله تعالى أعلم وكذا ذكر آخر يقول وفى سنة سبع وثمانين وستمائة وبها توفى الامام زكى الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الاشبيلى المالكى محدث عالم زاهد فيما ليس بدائم كبير الخير جزيل المير كان حسن المناهج قاضيا للحوائج محسنا الى الصامت والمعرب متفقدا لمن يرد من الحجاز والمغرب سمع بمصر ودمشق وحلب وأفتى ودرس مفيد الذوى الطلب ولم يبرح يعين بإياديه ويغيث وهو أول من باشر بظاهرية دمشق مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى * (ومنهم الاحق بالسبق والتقدم تقى بن مخلد

هذه القرابة التى أدليت بها الى فقال أيها الملك الجبلة وهى الجلدة البيضاء اذ كنت أقرب اليك منهم فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذى يزن فأتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى أنوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز الاصبهبذ الديلمى فى أهل السجون فقال ان نجحوا فلنا وان هلكوا فلنا كلا الوجهين وحملوا فى السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا أيلة البصرة وهى برج البحر ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا الى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان أصاب بعضهم فى البحر مرض هم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلموا انه الموت ولا وجه يولون المر اليه فيجهدون أنفسهم وفى ذلك يقول رجل من حضرموت
أصبح من مثوب ألف فى الجبن من رهط ساسان ورهط مهرسن لبحسرجوا السودان من أرض اليمن * دلهم قصد السبيل ذويزن

مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي الحافظ أحد الاعلام وصاحب التفسير والمسند) أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقي الكبار وسمع بالحجاز مصعبا الزهري وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة وبدمشق ابراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبا بكر بن أبي شيبة وطائفة وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد وعني بالاثر عناية عظيمة لامزيد عليها وعدد شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلا وكان اماما زاهدا صواما صادقا كثير التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتي بالاثر ولد في رمضان سنة احدى ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين قال ابن حزم أقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقي بن مخلد الاندلس بمصنف ابن أبي شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي مافيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من العامة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير محمد واياهم وتصفح الكتاب جزأ جزأ حتى أتى على آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا وقال لبقي انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له قال ابن حزم مسند بقي روى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ممن دونهم أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان جاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي وذكر القشيري أن امرأة جاءته فقالت له ان ابني قد أسرته الفرنج واني لا أنام الليل من شوقي اليه ولي دويرة أريد أن أبيعها لأفتكه بها فان رأيت ان تشير الى من يأخذها ويسعى في فكاكه فليس لي ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرفي حتى ننظر في ذلك ان شاء الله تعالى وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال كيف كان أمرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك ونحن في القيود فبينما انا ذات يوم أمشي اذ سقط القيد من رجلي فأقبل على الموكل بي يشتمني وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن سقط ولم أشعر فجاؤا بالحداد فاعاده وشد مسماره وأبده ثم قمت فسقط أيضا فسألوا رهبانهم فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها فأطلقوه فأطلقوني وخفروني الى أن وصلت الى بلاد الاسلام فسأله بقي عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها فاذا هي الساعة التي دعا له فيها فرحمه الله تعالى ؛ (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدي المعروف بالمغامي) من أهل قرطبة وأصله من طليطلة وهو من ذرية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وروى عن عبد الملك

في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن أثر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الخبر واستشعروا الصبر ثم قال لملكهم وقد نزل عن الفيل وركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السفن فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في تاجه تتلألأ من الذهب تضيء كالنار فرمى وهرز ورمى القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فأخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة واخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورؤس خواص الحبشة ورؤسائهم وقتل منهم نحو ثلاثين ألفا وقد كان انوشروان اشترط على معديكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفي ذلك يقول الشاعر

ابن حبيب بعد نفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي وعاد الى
الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا بصيرا بالعربية ثم بعد عوده من مصر أقام بقرطبة أعواما
ثم عاد الى مصر وأقام بها وسمع الناس منه وعظم أمره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب
وتوفي بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين وبين عمر الواضحة لابن حبيب وصنف شيأ في
الرد على الشافعية في عشرة أجزاء وألف كتاب فضائل مالك رضي الله تعالى عنه والذي
يرتضى أن من قلد اماما من المجتهدين لا ينبغي له أن يغض من قدر غيره وان كان ولا بد من
الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الائمة رضي الله تعالى عنهم فانهم
على هدى من ربهم وقد حمل بعض الناس حمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في
حق العلماء الذين هم نجوم الهدى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد حكى أبو عبد الله
الوادي آشي حسبما رأيته بخطه أن القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي ألف
كتابا النصرة لمذهب مالك على غيره من المذاهب في مائة جزء وسماه النصرة لمذهب امام دار
الهجرة فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه في النيل فقضى الله تعالى
أن السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع
تيمورلنك عن البلاد فلم يستطع شيأ وهزم الى مصر وتفرقت العساكر وأخذ القضاة والعلماء
أسارى ومن جملتهم ذلك القاضي فبقي في أسر تيمورلنك الى أن ارتحل عن الشام فأخذه معه
أسيرا الى أن وصل الى الفرات فغرق فيه أعني القاضي فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب
تغريقه الكتاب المذكور والجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم وقد نجى الله تعالى
من هذه الورطة قاضي القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي صاحب
كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي
السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين في الهزيمة فلما أدخلوا على تيمورلنك
قال هم ابن خلدون قدموني للكلام تنجوا ان شاء الله تعالى والا فأنتم أخبر فقدموه وعليه
زي المغاربة فلما رآه تيمورلنك قال له ما أنت من هذه البلاد وتكلم معه ابن خلدون
بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتيمورلنك اني ألفت كتابا في تاريخ العالم وحليته بذكرك
أو كما قال وقيل ان تيمورلنك هو الذي قال له بلغني انك ألفت كتابا في تاريخ العالم ثم قال
له تيمورلنك كيف ساغ لك أن تذكرني فيه وتذكر بختنصر مع أنا خربنا العالم فقال له ابن خلدون
أفعالكما العظيمة ألحقتكما بالذكر مع ذوي المراتب الجسيمة أو نحو هذا من العبارات فأعجبه
ذلك وقيل انه لما أنس بابن خلدون قال له يا خوندما أسفى الا على كتاب ألفته في التاريخ
وأنفقت فيه أيام عمري وقد تركته بمصر وان عمري الماضي ذهب ضياعا حيث لم يكن في
خدمتك وتحت ظل دولتك والآن أذهب فآتي بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت
في خدمتك ونحو هذا من الكلام فأذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم ينج
من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عرب
شاه في عجائب المقدور وقد طال عهدي به فليراجع وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ
حلب على الوجه المشهور في كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته في التعنت قبل

من الحبشة الى ما اهب
ورث في ملكه على اليمن
وكتب الى انوشروان
بالفتح وخلف هناك جماعة
من أصحابه وكان جميع
ما ملكت الاحابش
اثنتين وسبعين سنة
وكان ملك مسروق بن ابرهة
الى ان قتل ثلاث سنين
وذلك لخمس وأربعين
خلت من ملك انوشروان
وأتت سعد حزب الوفود
من العرب تهنئه بالملك
وبالعدد المطلب وجد
امية بن ابي الصلت وقد
ذكرنا خبر عبد المطلب
ووفوده على ابن ذي يزن
في هذا الكتاب فيما
بعد وما قيل من الشعر في
مسير الفرس الى اليمن
ونصرهم على الحبشة
قول بعض أولاد فارس
نحن خضنا البحار حتى
فككنا
حميرا من بلية السودان
بليوث من آل ساسان
شوس
يمنعون الحريم بالمران
وسيوف بواتر تتلالا
كسنى البرق في ذرا الابدان
قتلنا مسروق اذ ناه لما
أن تداعت قبائل الحبشان

منا ومنكم جماعة فمن الذي في الجنة قتلانا أو قتلاكم وكان مراده ان يتسبب بقتلهم لانهم ان قالوا أحد الامرين هلكوا فقال بعض العلماء وأظنه ابن الشحنة دعوني اجبه والا فاتركوه فقال له باخونده هذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن أن يجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم نكن في زمانه أو كلاما هذا معناه فقال العالم المذكور روينا في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليذكر ويرى مكانه فمن الذي في الجنة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الذي في الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم فتعجب تيمورلنك من هذا الجواب المفحم الذي كتب نجوا به أن يجب منه فان هذا الاخوند اي يعلم ظاهرها وفيها الخلاص على كل حال بالانصاف ونجوا بحمد الله تعالى هذا العالم لهذا الجواب حتى تخلص على يده أولئك الاقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل الله تعالى فتنته في الاسلام وفتنة جنكزخان وأولاده من أعظم الفتن التي وهي بها المسلمون وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمورلنك قال له دعني أقبل يدك فقال ولم فقال له لانها مفاتيح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة أقاليم وأصابع يده خمسة فلكل أصبع اقليم وهذا أيضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود في هذه الترجمة بتصرف العنان والله سبحانه المستعان ❊ (ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله تعالى) قال الفتح شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله تعالى لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب ياسرا بالمعلى والرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء واسند وأبقى تلك المآثر وخلد شأو بهمة كريمة وأرومة من الشرف غير مرومة لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم وأرباب مجد ضخم قيد قيد مآثرهم الكتب وأطلعهم التواريخ كالشهب وما زال الفقيه أبو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لا تطلاعه بالادب الذي احكم اصوله وفروعه وعمر بره من شبيبته ربوعه وزفت به تبرا الجواد المستولي على الامد وجلى من نفسه به كاجلي الصقال عن النصل البرد وشاهد ذلك ما ثبت من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلا ويقوم على قوة العارضة دليلا فمن ذلك قوله يحذر من خطار الزمان ويحث على التحفظ من الانسان

كن بذئب صائدة مستأنسا ❊ واذا ابصرت انسانا ففر

انما الانسان بحر ماله ❊ ساحل فاحذره اياك الغرر

واجعل الناس كشخص واحد ❊ ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله في الزهد

ايها المطرود من باب الرضا ❊ كم يراك الله تلهو معرضا

كم الى كم انت في جهل الصبا ❊ قد مضى عمر الصبا وانقرضا

فاذا الليل دجت ظلمته ❊ واستلذ الجفن ان يغتمضا

ومساعلي بني قحطان

وفي ذلك يقول الاسعري [illegible] ابناء العجم ويذكر فضل العرب على الاعاجم لانه من قحطان

فكم لكم من يدبر كوا شاء بها

[illegible] على الزمن

ان معلوها [illegible]

[illegible]

ولابد كابادكم على اليمن

فام جلى انوشروان حدكم [illegible] اية الذل عن سيف بن ذي يزن

اذلابرا لحصون العرب داوعه

بالسيف والصعق عن صنعا وعن عدن

[illegible] والمسم [illegible]

[illegible]

من فارس كم بفصل الطول والمن

(قال المسعودي) وا [illegible] معد يكرب ابن حومس العرب [illegible] وفود الملك اليه واشراف العرب وزعماؤها ووجوهها [illegible] عبد المطلب ابن هاشم [illegible]

[illegible] ابن قصي ووفد امية بن ابي الصلت الثقفي وقيل ابو الصلت [illegible] فدخلوا اليه وهو في اعلى قصره بمدينة صنعاء

المعروف بغمدان وهو متضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه ويساره الملوك وابناء

فصع الخد على الارض وتح * واقرع السن على ما قد مضى

وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعي فلا اجيب

كم أعادي على ضلال * لا أرعوي لاولا أنيب

ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب

وأسوء كف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب

لو كنت ادنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب

أبعدني منه سوء عقلي * وهكذا يبعد المريب

مالي قدر وأي قدر * لمن أحلت به الذنوب

وله في هذا المعنى أيضا

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه

واعلم بانك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

وله في مثل ذلك

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يوما فما صمت

وله في المعنى الاوّل

جفوت أناسا كنت آلف وصلهم * وما في الجفا عند الضرورة من باس

بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شئ أشفى للنفوس من اليأس

فلا تعذلوني في انقباضي فانني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

وله يعاتب بعض اخوانه

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول

ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم تستحيل

فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

وأما شعره الذي امتدحه من مرح الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه بمآرب الغزل وأوطاره فانه نسي الى ما تناساه وترك حين كساه العلم والورع من ملابسهما كساه فمما وقع من ذلك قوله

كيف السلوّ ولي حبيب هاجر * قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا

لما درى أن الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا

يامن عهودي له تراعى * اناعلى عهدك الوثيق

ان شئت أن تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق

فاستخبري قلبك المعنى * يخبرك عن قلبي المشوق

انتهى كلام الفتح وأبو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية

صاحب

حل جلاله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في اكرم معدن واطيب موضع وموطن فانت أبيت اللعن راس العرب وربيعها الذي يخصب له وانت أيها الملك ذروة العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلتجئ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت خلفه ايها الملك نحن اهل الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي ابهجنا من كشفك الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد الرزية فقال له الملك وأيهم انت أيها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معد يكرب بن سيف ابن اختنا قال نعم قال أدنوه مني فادناه ثم اقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا محلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار لكم الكرامة ما اقمتم

صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى الجميع قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه الشيخ الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقييد له نظم ونثر ولي قضاء المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة روى عن أبيه وأبوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما وألف كتابه الوجيز في التفسير فاحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار وبرنامجا ضمنه مروياته وأسماء شيوخه حرر وأجاد ومن نظمه يندب عهد شبابه

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ريعانه وليالي العيش أسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تضمير شرتها * طرفا له في زمان اللهو احضار
عهدا كريما لبسنا فيه أردية * كانت عيانا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كوني سلاما وبردا فيه يانار
أبعد أن نعمت نفسي وأصبح لي * ليل الشباب لصبح الليل اسعار
وفارقتني الليالي فانثنت كسرا * عن ضيغم ماله ناب وأظفار
الا سلاح خلال أخلصت فلها * في منهل المجد ايراد واصدار
أصبو الى روض عيش روضه خضل * أو ينثني بي عن العلياء اقصار
اذا فعطلت كفي من شبا قلم * آثاره في رياض العلم أزهار

مولده سنة احدى وثمانين وأربعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بلورقة قصد مورقة يتولى قضاءها فصد عن دخولها وصرف منها الى لورقة فتوفي بها رحمه الله تعالى انتهى وقال الفتح في حقه ما نصه فتى العمر كهل العلاء حديث السن قديم السناء لبس الجلالة بردا ضافيا وورد ماء الاصالة صافيا وأوضح للفضل رسما عافيا وثنى من ذهنه للاغراض فنا قصدا وجعل فهمه شهابا رصدا سما الى رتب الكهول صغيرا وشن كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فسباها معنى وفصلا وحواها فرعا وأصلا وله أدب يسيل رضراضا ويحيل ألفاظا مبتدعة وأغراضا وقال فيه أيضا نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء فذ الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار كما رسا الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض وتبادر الظن به الى شرف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد بعيابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب في السود جاهدا فتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله أثره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو منار وقد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا فمن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جبت فيها الجذع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم

في لجة البحر اجوالا وأحوالا
حتى أتى ببني الاحرار يحملهم
تخالهم في سواد الليل أجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت اسدا على سود الكلاب وقد
أمسى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا
في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
ولمعديكرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن أخبره بها من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحباه جميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في

كتابنا أخبار الزمان فاغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودي) وأقام معديكرب بن سيف بن ذي يزن ملكا

والنجم حيران في بحر الدجى غرق * والبرق في طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجي بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم انتهى
المقصود منه وهو اعني ابابكر احمد شايخ عياض حسبما اعتنت به في ازهار الرياض
*(ومنهم شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح) بالحاء المهملة ابن احمد بن محمد الامام
الحافظ الزاهد بقية السلف اللخمي الاشبيلي الشافعي أسره الافرنج سنة ست واربعين
وستمائة وخلص وتقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعي وتفقه على الشيخ
عزالدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصاري الحموي
والمعين أحمد بن زين الدين واسمعيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علاق
وبدمشق من ابن عبد الدائم وحلق وعني بالحديث واتقن ألفاظه وعرف رواته
وحفاظه وفهم معانيه وانتقى لبابه ومبانيه قال الصفدي وكان من كبار أئمة هذا
الشان وممن يجري فيه وهو طلق اللسان هذا الى ما فيه من ديانة وورع وصيانة
وكانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الاموي يلازمها ويحوم عليه من الطلاب حوائمها
سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه وروى في تصانيفه عنه وعرضت
عليه مشيخة دار الحديث النورية فاباها ولم يقبل حباها وكان بزي الصوفية ومعه فقاهة
بالشافعية ولم يزل على حاله حتى أحزن الناس ابن فرح وتقدم الى الله وسرح وشيع
الخلق جنازته وتولوا وضعه في القبر وحيازته وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة
سنة تسع وتسعين وستمائة ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة وله قصيدة غزلية في
ألقاب الحديث سمعها منه الدمياطي واليونيني وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي
وأبو محمد بن الوليد ومات بتربة أم الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هي

غرامي صحيح والرجا فيك معضل * وحزني ودمعي مطلق ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل أنه * ضعيف ومتروك وذلي أجمل
ولا حسن الا سماع حديثكم * مشافهة يملى علي فانقل
وأمري موقوف عليك وليس لي * على أحد الا عليك المعوّل
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لي * على رغم عذالي تروق وتعدل
وعذل عذولي منكر لا أسيغه * وزور وتدليس يرد ويهمل
أقضي زماني فيك متصل الاسى * ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا في أكفان هجرك مدرج * تكلفني مالا أطيق فأحمل
وأجريت دمعي بالدماء مدبجا * وما هو الا مهجتي تتحلل
فمتفق سهدي وجفني وعبرتي * ومفترق صبري وقلبي المبلبل
ومؤتلف شجوي ووجدي ولوعتي * ومختلف حظي وما منك آمل
خذ الوجد عني مسندا ومعنعنا * فغيري بموضوع الهوى يتحيل
وذي نبذ من مبهم الحب فاعتبر * وغامضه ان رمت شرحا أطول
عزيز بكم صب ذليل لغيركم * ومشهور أوصاف المحب التذلل

على اليمن واصبح عبيدا دن الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب في بعض الايام من باب
قصره المعروف بغمدان
بمدينة صنعاء فلما صار الى
رحبتها عطفت عليه
الحرابة من الحبشة فقتلوه
بحرابهم وكان ملكه أربع
سنين وهو آخر ملوك اليمن
من قحطان فعدد ملوكهم
سبعة وثلاثون ملكا
ملكوا ثلاثة آلاف سنة
ومائة وسبعين سنة (قال
المسعودي) وأما عبيد بن
شرية الجرهمي حين وفد
على معاوية وسأله عن
أخبار اليمن وملوكها
وتواريخ سنيها فانه ذكر ان
أول ملوك اليمن على
حسب ما قدمنا في هذا
الكتاب سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان ملك
مائة سنة وأربعا وثمانين
سنة ثم ملك بعده الحرث
ابن شداد بن ملطاط بن
عمرو مائة وخمسا وعشرين
سنة ثم ملك بعده ابرهة بن
الرائش وهو ابرهة ذو
المنار مائة وثلاثا وثلاثين
سنة ثم ملك بعده افريقس
ابن ابرهة مائة وأربعا
وستين سنة ثم ملك بعده
أخوه الهدهاد بن شرحبيل
ابن عمرو وهو ذو الصرح
سنة ثم ملكت بعده
بلقيس بنت الهدهاد سبع
سنين ثم ملك سليمان بن
داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس ثم ملك بعده رحبعم بن

غريب يقاسي البعد عنك وماله * وحق الهوى عن داره متحوّل
فرفقا بمقطوع الوسائل ماله * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلازلت في عز منيع ورفعة * ومازلت تعلو بالتجني فأنزل
أوري بسعدى والرباب وزينب * وأنت الذي تعني وأنت المؤمل
فخذ أوّلا من آخر ثم أوّلا * من النصف منه فهو فيه مكمل
ابرّ اذا أقسمت أني بحبه * اهيم وقلبي بالصبابة يشعل

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي انتهى كلام الصفدي وظاهر كلامه انه ابن فرح بفتح الراء والذي تلقيناه عن شيوخنا انه بسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهي وحدها دالة على تمكن الرجل رحمه الله تعالى * (ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الاصبغ الاموي الاندلسي) سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها وحدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده الى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله قد رأيت منك عجبا قال نعم أنا صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد أبو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفي ببخارى سنة ٣٦٥ قال الحاكم أبو عبد الله رأيت أبا الاصبغ في المنام في بستان فيه خضرة ومياه جارية وفرش كثيرة وكأني أقول انها له فقلت يا أبا الاصبغ بماذا وصلت اليه أبالحديث فقال اي والله وهل نجوت الا بالحديث قال ورأيته أيضا وهو يمشي يرى أحسن ما يكون فقلت أنت أبو الاصبغ فقال نعم قلت ادع الله تعالى ان يجمعني واياك في الجنة فقال ان أمام الجنة أهوالا ثم رفع يديه وقال اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل انتهى * (ومنهم القاضي أبو البقاء خالد البلوي الاندلسي رحمه الله تعالى) وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد البلوي ووصفه الشاطبي بانه الشيخ الفقيه القاضي الاعدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة تاج المفرق في تحلية أهل المشرق ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما * حتى أشاع الناس أنك فاني
والله ان عاد الزمان بقربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفاني

وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب مالا يتجاوزه الرائد وقد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الحجازي رضي الله تعالى عنه مانصه وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال مما وصى به الجد الاكبر أبو الحجاج يوسف المذكور يعني سيدي أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصري القطب الغوث رضي الله

سليمان سنة ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعده حبيع بن سليمان ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذي الاذعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل في تسميته ذا الاذعار خبر تاباه العقول وتنكره النفوس كون مثله في العالم ويجوز كون ذلك في المقدور وانه انما سمي ذا الاذعار لانه وصل الى قوم في اقاصي مفاوز اليمن وحضرموت مشوهي الخلقة تجيء الصورة وجوههم في صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك اذعرهم ما شاهدوا من ذلك رجعت منه نفوسهم فسمي ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته * ثم ملك بعده عمرو ابن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة ثم ملك بعده من ولده كليكرب ابن تبع وهو تبع أبو كرب أسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده كلال بن سويب أربعا وسبعين سنة ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ثم ملك بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ذو شناتر بن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة ثم ملك بعده حنيفة ويعرف بذي الشناتر أربعا وثمانين سنة ٣ فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية

تعالى عنه وعاد علينا من بركاته وخواصه وأصدقائه قال اذا أدركتم الضرورة والفاقة فقولوا حسبي الله ربي الله يعلم انني في ضيق قال وذكر لي أيضا رضي الله تعالى عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بعد ان سأل الله تعالى ذلك وقد كان اصابته فاقة فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يارب يارحيم يارب يارحيم الطف بي في قضائك ولا تول أمري أحدا سواك حتى القاك فلما قالها اذهب الله تعالى عنه فاقته قال وكان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه وأحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضي خالدا المذكور الى انتحال كلام العماد في البرق الشامي لان خالدا أكثر في رحلته من الاسجاع التي للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب فيه

خليلي ان تقض اجتماع بخالد * فقولا له قولا وان تعدوا الحقا
سرقت العماد الاصبهاني برقه * وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

وأظن أن لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف عند ماجرى ذكر قتورية وقاضيها خالد المذكور ماصورته لم تخالف ولدعن والد وركب قاضيها ابن أبي خالد وقد شهرته النزعة الحجازية ولبس من خشن الحجازية وأرخى من البياض طيلسانا وتشبه بالمشارقة شكلا ولسانا والبداوة تسمه على الخرطوم وضبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم انتهى ومن نظم أبي البقاء خالد البلوي المذكور قوله

اتى العيد واعتاد الاحبة بعضهم * ببعض وأحباب المتيم قد بانوا
وضحى وقد ضحوا بقربانهم وما * لديه سوى جمر المدامع قربان

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة بمصلى تونس في عيد النحر من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ومن نظمه أيضا قوله رحمه الله تعالى

ومستنكر شيبي وماذهب الصبا * ولا جف اينياع الشبيبة من غصني
فقلت فراقي للاحبة مؤذن * بشيبي وان كنت ابن عشرين من سني

ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وفي الرحلة منها جملة (ومنهم برهان الدين أبو اسحق ابن الحاج ابراهيم النميري الغرناطي) وهو أيضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغني عن تكرير اسمه هنا وقال رحمه الله تعالى في رحلته أخبرني شيخنا يعني الشيخ الامام الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزري امام المالكية بالحرم الشريف رضي الله تعالى عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كما اشرني عن الناس خصوصا أذى الغيبة نحو خمسين ليلة أردت أن أدعو لطائفة من أصحابي بمطالب مختلفة كل بحسب ظني فيه يومئذ فادركتني حيرة في التمييز والتخصيص فالهمت أن قلت بديهة

شهدنا بتقصير ألبابنا * فحسن اختيارك أولى بنا
وأنت البصير باعدائنا * وأنت البصير باحبابنا

قال ثم أردفتها بدعاء وهو اللهم يامن لا يعلم خيره الا هو أنت أعلم باعدائنا وأودائنا فافعل بكل

في ترتيب ملوكهم ونباهتهم وتواريخ سنيهم لنأتي على جميع ماقيل في ذلك من التنازع والله ولي التوفيق * ولما قتلت الحبشة معد يكرب ابن سيف بن ذي يزن على حسب ما قدمنا في أرجبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معد يكرب فركب واتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من أرض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وأن لا يبقى على احد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان في نسبه واتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان ثم ملك بعده خورزاد الشهر ثم ملك بعده ابن سيحان ثم ملك بعده المرزبان خرخسرو وكان من أهل بيت مملكة فارس ثم ملك بعده خرخسرو وكان مولده باليمن ثم ملك بعده باذان بن ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن

منهم

منهم ما يناسب حسن اختيارك لساحبها علمنه مني وكفي بك عليما وكفي بك قديرا وكفي بك بصيرا وكفي بك لطيفا وكفي بك خبيرا وكفي بك نصيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا كثيرا * وقال ابن الحاج المذكور في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف كهيعص حمعسق وليعقد بكل حرف منها اصبعا يبدا بابهام يده اليمنى ويختم بابهام يده اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم يكررها وكلما كررها فتح اصبعا من اصابعه المعقودة تجاه العدو فيكررها عشر مرات ويفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك امن من شره ان شاء الله تعالى وهو مجرب انتهى ومن بديع نظم ابى اسحق بن الحاج النميرى المذكور قوله

يارب كاس لم يسح شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها * جملا نسبناه الى الزجاج

وله فيما اظن

له شفة اضاعوا النشر فيها * بلثم حين سدت ثغر بدري
فما شهى اهلي ما اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

وهو تضمين حسن * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق امام النحاة اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان المقرى الاثرى الغرناطى) قال ابن مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورة انتهت اليه رياسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت وانشدنى الكثير واذا انشدنى شيأ ولم اقيده استعاده مني فلم احفظه[٣] وانشدنى وكنت اظنه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرني احد اصحابنا عنه انه اخبره انهما لابى الحسن التجانى انشدهما له ببيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى

ان الذى يروى ولكنه * يحفظ ما يروى ولا يكتب
كصخرة تنبع امواجها * تسقى الاراضي وهي لا تشرب

قال ورويت عنه تآليف ابن أبي الاحوص منها التبيان في أحكام القرآن والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه والوسامة في أحكام الفراسة والمشرع السلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكرخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن ابى عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن أبي محمد الدوني عن ابى نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي وبالموطا عن ابى جعفر بن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العداة فانشدنى لنفسه

عداتى لهم فضل علي ومنة * فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها * وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وأنشدنى أيضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله

رجل من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وهو بعده من ملوك اليمن واسمه هينية بن أميم بن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال

وهينية الذى زادت قواه * على زيدان اذ حان الزوال
عجبت فانما وبى طريقا * الى زيدان اعطى لا نبال

ويقال انه هتيبة بن اميم بن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار مثل آل ذى شعر وآل ذى الكلاع وآل ذى أصبح وآل ذى يزن الا اليسير منهم فانهم نزلوا دورها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر اسود

يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت فقالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت ان ملكي لفارس الاحرار
وقليلا ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مشيدها للبوار
من اسود يلقيهم البحر فيها

[٣] قوله فلم احفظه هكذا بالاصل ولعله محرف والاصل حتى احفظه اولا حفظه او نحو ذلك تامل

وهذا اخبر عن ملوك تداولوها اخبروا عن ملكهم قبل كونه فقد اولتها

عاقته سعى اللون فادحه * ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقه * فكل عين اليه تدمن النظرا

وأنشدني في حاذق لبس صوفا وزهي فيه

أيا كاسيا من جيد الصوف نفسه * ويا عاريا من كل فضل ومن كيس
أتزهي بصوف وهو بالامس مصبح * على نعجة واليوم أمسى على تيس

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب بن مرزوق وأنشد الرحالة بن جابر الوادي آشي لابي حيان قوله

وقصر آمالي مآلي الى الردى * وأني وان طال المدى سوف أهلك
فصنت عماء أرجوه نفسا أبية * وجادت يميني بالذي كنت أملك

ووقفت على أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي فوجدت فيه ترجمة أبي حيان واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد وهي الشيخ الامام العالم العلامة الفريد الكامل حجة العرب مالك أزمة الادب أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني بالجيم والياء آخر الحروف مشددة وبعد الالف نون كان أمير المؤمنين في النحو والشمس السافرة شتاء في اليوم الصحو والمتصرف في هذا العلم فاليه الاثبات والمحو لو عاصر أئمة البصرة لبصرهم أو أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد وحذرهم نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد ان كان طريدا وأصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدا وجعل سرحة شرحه جنة وراقت النواظر توريدا ملأ الزمان تصانيف وأمال عنق الايام بالتآليف تخرج به أئمة في هذا الفن وروق لهم في عصره منه سلافة الدن فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير محبب او عيسى بن عمر لاصبح من تقصيره وهو محدب او الخليل لكان بعينه فداه او سيبويه لما تردى من مسئلته الزنبورية برداه او الكسائي لاعراه حلته جاهه عند الرشيد وأباسه او الفراء لفرسه ولم ينعم ولدا المأمون تقديم مداسه او اليزيدي لما ظهر نقده من مكامنه او الاخفش لاخفى جملة من محاسنه او ابو عبيدة لما تركه يتعصب لشعب الشعوبية او ابو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلق بعربية او السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا او المازني لما زانه قوله ان مصابكم رجلا او قطرب لما دب في العربية ولا درج او ثعلب لاستكن بمكره في وكره ولما خرج او المبرد لاصبحت كواه مفترة او الزجاج لامست قواريره مكسرة او ابن الوزان لعدم نقده او الثمانيني لما تم اوزنده او ابن باب لعلم ان قياسه ما اطرد او ابن دريد لما بلع ريقه ولا ازدرد او ابن قتيبة لاضاع رحله او ابن السراج لمشى اذ رأى وحله او ابن الخشاب لاضرم فيه نارا ولم يجد معه نورا او ابن الخباز لما سجر له تنورا او ابن القواس لما اغرق في نزعه او ابن يعيش لا وقعه في نزعه او ابن خروف لما وجد له مرعى او ابن اياز لما وجد لا وازه وقعا او ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا او الدباج لكان من حلته الرائعة عريا وعلى الجملة فكان امام النحاة في عصره شرقا وغربا وفريد هذا الفن الذي بعدا وقربا وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا الشيخ اثير الدين حبر الانام

الملوك على حسب ما وصفنا وينتظر في المستقبل من الزمان من ذكرنا من وفود التبر ان في اعالي الديار وعد داهل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الاحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن واحداث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامن بمال كسرى ثم غلب الاسلام بنصر محمد الله وقد انبأنا على أخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم ومصافاتهم في البلاد وحروبهم وايامهم في سائر مصنفاتنا في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب وملك اليمن طويل عريض حده مما يلي مكة الموضع المعروف بحقل المتسع من مراحل الحجاز وبين صنعاء الى عمان وهو آخر عمل اليمن من مراحل ومرحلة من جهة ما اخذ الى ستة والحد الثاني من حكم وحده الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى

فلا تقل زيد وعمرو فما * فى النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الافانين ولم يزل على حاله الى أن دخل فى خبر كان وتبدلت حركاته بالاسكان وتوفى رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه بالجامع الاموى بدمشق صلاة الغائب فى شهر ربيع الآخر ومولده بمدينة مطخشارش فى أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ولبعضهم يرثى أبا حيان رحمه الله تعالى

مات أثير الدين شيخ الورى * فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا * واعتل فى الاسحار لما سرى
وصادحات الايك فى نوحها * رثته فى السجع على حرف را
يا عين جودى بالدموع التى * يروى بها ما ضمه من ثرى
واجرى دما فالخطب فى شانه * قد اقتضى أكثر مما جرى
مات امام كان فى فنه * يرى اماما والورى من ورا
أمسى منادى للبلى مفردا * فضمه القبر على ما يرى
يا أسفا كان هدى ظاهرا * فعاد فى تربته مضمرا
وكان جمع الفضل فى عصره * صح فلما أن قضى كسرا
وعرف الفضل به برهة * والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا * يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه * وبين من أعرفه فى الورى
لا بدل عن نعته بالتقى * ففعله كان له مصدرا
لم يدغم فى اللحد الا وقد * فك من الصبر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن * أمثلة النحو ومن سطرا
ما أعقد التسهيل من بعده * فكم له من عسرة يسرا
وجسر الناس على خوضه * اذ كان فى النحو هداه بحرا
من بعده قد حال تمييزه * وحظه قد رجع القهقرى
شارك من قد ساد فى فنه * وكم له فن به استأثرا
دأب بنى الآداب أن يغسلوا * بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه * والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده * يلعى الذى فى ضبطها قررا
تفسيره البحر المحيط الذى * يهدى الى وراده الجوهرا
فوائد من فضله جمة * عليه فيها نعقد الخنصرا
وكان ثبتا نقله حجة * مثل ضياء الصبح ان أسفرا
ورحلة فى سنة المصطفى * أصدق من يسمع ان أخبرا

مواضع والى افعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم عرفهم عن غيرهم وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من اخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم)

ولما استحكمت الوضاح اتت عليه الزباء بنت عمرو ابن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر وقد كان ملكها من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق بين بلاد الخابور فهو قرقيسيا وقد كانت الزباء ملكت بعد ابيها واستعصت جذيمة فى نفسها الى ان قتلته واقام جذيمة ما كان من ملوك الطوائف خمسا وستين سنة وفى ملك أردشير بابك وسابور الجنود ابن اردشير ثلاثا وعشرين سنة فكان ملكه مائة سنة وثمانى عشرة سنة وكان يكنى بابى مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن كاهل اليشكرى

ان اذق حتفى فقبلى ذاقه * طسم عاد وجديس ذو السبع وابو مالك القيل الذى قتلته بعد عمرو وابنه جذع

له الاسانيد التي قد علت * فاستفلت عنها سوامي الذرا
ساوى بها الاحفاد اجدادهم * فاعجب لماض فاته من طرا
وشاعرا في نظمه مفلقا * كم حرر اللفظ وكم حبرا
لها معان كلما خطها * تستر مارقم في تسترا
أفديه من ماض لام الردى * مستقبلا من ربه بالقرى
مامات في أبيض أكفانه * الا وأضحى سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحة * كم تعبت في كل ماسطرا
ان مات فالذكر له خالد * يحيا به من قبل أن ينشرا
جاد ثرى واراه غيث اذا * مساه بالسقى له بكرا
وخصه من ربه رحمة * توردة في حشره الكوثرا

وكان قد قرأ القرا آت على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة افرادا وجمعا ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر احمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ ابي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن ابي الاحوص بمالقة ثم انه قدم الاسكندرية وقرأ القرا آت على عبد النصير بن علي بن يحيى المربوطي ثم قدم مصر فقرأ بها القرا آت على ابي الطاهر اسمعيل بن هبة الله المليحي وسمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية والاسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم أرفي أشياخي أكثر اشتغالا منه لاني لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذكياء وعنده تعظيم لهم وتظم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها وأما النحو والصرف فهو امام الناس كلهم فيهما لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتفخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيده وحرره وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلق بذلك وأجابه عنها وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت وقرئت ودريت ونسخت وما فسخت أخملت كتب الاقدمين وألهت المقيمين بمصر والقادمين وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء وكان التزم أن لا يقرئ أحدا الا ان كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيرا وأخذ عنه كتب الادب وكان شيخا حسن العمة مليح الوجه ظاهر اللون مشرب الحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ولم تكن كثة عبارته فصيحة بلغة الاندلس يعقد

دوس بن الازد بن العوف ابن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿ وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق بعد علي مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودارا لملكه واليه ينسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودي) وقد ذكر غير واحد ممن عني باخبار العرب وايامها ان جذيمة اول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لي عن غلام من اياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسي والقيام على راسي لكان الرأي قالوا الرأي ما رأى الملك

فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من انت قال انا عدي بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه

القاف قريبا من الكاف على انه لا ينطق بها في القرآن الافصيحة وسمعته يقول مالي هذه البلاد من بعد حرف القاف وكانت له خصوصية بالامير سيف الدين أرغون كافل الممالك ينبسط معه ويبيت عنده في قلعة الجبل ولما توفيت ابنته منضار طلع الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقوقية فاذن له في ذلك وكان أولا يرى رأي الظاهرية ثم انه تمذهب للشافعي رضي الله تعالى عنه فبحث على الشيخ علم الدين العراقي المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج الاصيرا وقرأ أصول الفقه على استاذه أبي جعفر بن الزبير بحث عليه من الاشارة للباجي ومن المستصفى للغزالي وعلى الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقي وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهاني وعلى الشيخ علاء الدين الباجي وقرأ شيأ من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه شيأ من المنطق وقرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي وقرأ عليه شيئا من الارشاد للعميدي في الخلاف ولكنه برع في النحو وانتهت اليه الرياسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم وكان أولا يعتقد في الشيخ شمس الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم انه انحرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال الفاضل كمال الدين الادفوي وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصبه للامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه التعصب المتين قال حكى لي انه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ان عليا رضي الله تعالى عنه عهد اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق أتراه ما صدق في هذا فقال صدق قال فقاتله فالذين سلوا السيوف في وجهه يبغضونه أو يحبونه وغير ذلك قال وكان سيء الظن بالناس كافة فاذا نقل له عن أحد خير لا يكيف به ولا ينثني عنه حتى عمن هو عنده مجروح فيقع في دم من هو بألسنة العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير انتهى قلت أنا لم أسمع منه في حق أحد من الاحياء والاموات الا خيرا وما كنت أنقم عليه شيئا الا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على أني أنا ما سمعت في حقه شيئا نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما يا سيدي وكيف تعمل في الشيخ أبي مدين فقال هو رجل مسلم دين والا ما كان يطير في الهواء ولا صلى الصلوات الخمس في مكة كما تدعي فيه هؤلاء الاغمار وكان فيه رحمه الله تعالى خشوع يبكي اذا سمع القرآن ويجري دمعه عند سماع الاشعار الغزلية وقال كمال الدين المذكور قال لي اذا قرأت اشعار العشق اميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما الاشعار الكرم ما تؤثر في انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لي اوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تحتج الى السفل وانشدني من لفظه لنفسه

رجاؤك فلسا قد عدا في حبائلي * فنيصار جاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله واضيعه * اذن كنت معتاضا من البرء بالسقم

قلت والذى اراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شئ معه وتعب حتى حصل المناصب تعبا كثيرا وكان قد جرب الناس وحلب اشطر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل

الخمر منه واخطبني منه فانه بزوجك فأشهد القوم ان وعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فاشهد عليه وانصرف الغلام اليها فانبأها فقالت عرس بالملك ففعل فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ماهذه الآثار يا عدي قال آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش فخر وأكب على الارض ورفع عدي جراميزه وهرب وأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثيني رقاش لا تكذبيني
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد
أم بدون فأنت أهل لدون

فاجابته رقاش تقول

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والمجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره واشتملت على حمل وولدت غلاما سمته عمرا ووشحته حتى اذا ترعرع سرحته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ثم

ازارته حاله واعجب به واقتبس عليه محبته ومودته حتى اذا خرج الملك في ...

الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفي الفقير في مصر اربعة أفلس يشتري له باثنتين بفلسين وبفلس زبيبا وبفلس كوزماء ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس ياكل به الخبز وكان يعيب على مشتري الكتب ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا اي كتاب اردته استعرته من خزائن الاوقاف واذا اردت من احد ان يعيرني دراهم ما اجد ذلك وانشدني له اجازة

ان الدراهم والنساء كلاهما * لا تأمنن عليهما انسانا
ينزعن ذا اللب المتين عن التقى * فترى اساءة فعله احسانا

وانشدني له من ابيات

أبى بشفيع ليس يمكن رده * دراهم بيض للجروح مراهم
تصير صعب الامر اهون ما ترى * وتقصى لبانات الفتى وهو نائم

ومن حزمه قوله عداني لهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار الفضلاء فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله

قد قلت لما ان سمعت مباحثا * في الذات قررها اجل مفيد
هذا ابو حيان قلت صدقتم * وبرزتم هذا هو التوحيدي

وكان قد جاء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده فكتب بالجص على مصراع الباب فلما راى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا أبو حيان غير مدافع * ملك النحاة فقلت بالاجماع
اسم الملوك على النقود وانني * شاهدت كنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليك أبا حيان أعملت أينقي * وملت الى حيث الركائب تلتقي
دعاني اليك الفضل فانقدت طائعا * ولبيت أحدوها بلفظي المصدق

ومدحه نجم الدين اسحق بن الملك التركي وسأله تكملة شرح التسهيل وأرسلها اليه من دمشق وأولها

تبدى فقلنا وجهه يلمح الصبح * وكمله باليمن فيه و بالنجح
وسهلت تسهيل الفوائد محسنا * فكن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن اللمطي بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الادب الباهر * من ناظم يلقى ومن ناثر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة أولها

ضيف ألم بنا من أبرع الناس * لا ناقض عهد أيامي ولا ناسي
عار من الكبر والادناس ذو شرف * لكنه من سرابيل العلا كاسي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين اول الاولى

أتراه بعد هجران يصل * ويرى في ثوب وصل مبتذل
هو جار على أحلامنا * اذ تولاها بقد معتدل

وأول الثانية

فبسطا في ارضه وخرج عمرو في غلالة يجنون الكماة فكانوا اذا اصابوا كماة طيبة اكلوها واذا اصابها عمرو خبأها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم ويقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فالتزمه جذيمة وحباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذ اقبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالح وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا واصلحت لهما طعاما فبينما هما ياكلان اذ اقبل رجل اشعث اغبر الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب ومد يده فناولته القينة طعاما فاكل فلم يغن عنه شيئا فمد يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا طلب ذراعا فارسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدي

صددت الكاس عنا أم عمرو
وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكراني فلن تنكرا حسبي أنا عمرو بن عدي فقاما اليه فلثماه

اعذروه

اعذروه فكريم من عذر * قرته ذات وجه كالقمر

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثير أباحيان أحيانا * بنشره طي علم مات احيانا

ومدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة أولها

فضضت عن العذب النمير ختامها * ففتحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت أملك من دهري جناحين * لطرت لكنه فيكم جني حيني

ياسادة نلت في مصر بهم شرفا * أرقى به شرفا ينأى عن العين

وان جرى لسماك وان ذكر لا * احلني فضلهم فوق السماكين

وليس غير أثير الدين آثله * فسادماشادلي حقابلامين

حبر ولو قلت ان الباء رتبتها * من قبل صدقك الاقوام في ذين

احيا علوما أمات الدهر اكثرها * منجلدت خلدت مابين دفين

ياواحدا لعصر ماقولي بعتهم * ولا احاشي امرأ بين الفريقين

هذي العلوم بدت من سيبويه كما * قالوا وفيك انتهت ياثاني اثنين

قدم لها وبودي لو أكون فدى * لما ينالك في الايام من شين

ياسيبويه الورى في الدهر لاعجب * اذا الخليل غدا يفديك بالعين

يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمها واجرت الدموع دما وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها واربت سحبها على السحائب واين دوام هذه من ديمها وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمها

فياشوق ما ابقى ويالي من النوى * ويادمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الارض الحمائم ويسير تحت لوائه سير الرياح بين الغمائم وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ويتسنم تسنم هامات الربا اذا لبست من الربيع ملونات العمائم ويشهد الله على ماقد قلته والله سبحانه نعم الشهيد فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني وأنشدته يوما لنفسي

قلت للكاتب الذي ماأراه * قط الا ونقط الدمع شكله

ان تخط الدموع في الخط شيأ * مايسمى فقال خط ابن مقله

وانشدني هو من لفظه لنفسه

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذ نوى من احب عني نقله

واجاد الخطوط في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وأنشدني في مليح نوتي

كلفت بنوتي كأن قوامه * اذا يتثنى خوط من البان ناعم

مجاذفه في كل قلب مجاذب * وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي

وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا

ما تمام هدي اي الملك هدية هي أنفس عنده ولا هو عليها أحرص من ابن أخته قد رده الله اليه فخرجا به حتى اذا وقفا على باب الملك بشراه به فصرفه الى أمه وقال لهما احكما فقالا احكمنا منادمتك مابقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندماني جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراشة الهذلي

الم تعلمي ان قد تفرق قبلنا

خليلا صفاء مالك وعقيل

وان ام عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمام حتى اذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها ثم امرته بزيارة خاله فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق واقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة امره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن

ان نوتى مركب نحن فيه * هام فيه صب الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلوى لما * أن بدا ثغره وقد طاب ريحه
وأنشدته لنفسي أيضا
نوتينا حسنه بديع * وفيه بدر السماء مغرى
م ماحك براالا وقلنا * ياليت أنا نحك برا
فاعجباه رحمه الله تعالى وزهز هلهما وأنشدني هو لنفسه في ملج احدب
عشقته احدبا كيسا * يحاكى نحيا خفين النعام
اذا كدت اسقط من فوقه * تعلقت من ظهره بالسنام
فانشدته لنفسي
واحدب رحت به مغرما * اذلم تشاهد مثله عيني
لاغروان هام فؤادي به * وخصره ما بين ديني
وانشدني من لفظه لنفسه في اعمى
ما ضر حسن الذى اهواه أن سنى * كريمتيه بلا شين قد احتجبا
قد كانتا زهرتى روض وقد ذوتا * لكن حسنهما الفتان ما ذهبا
كالسيف قد زال عنه صقله فغدا * انكى وآلم فى قلب الذى ضربا
وانشدته لنفسي فى ذلك
ورب اعمى وجهه روضة * تنزهي فيها كثير الديون
فى خده ورد غنيناه * عن نرجس فاقته العيون
وانشدته ايضا لنفسي فى ذلك
فما حسن اعمى لم يخف حد طرفه * محب غدا سكران فيه وما صحا
اذا صد خلنا ان يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وكتبت اليه استدعاء وهو المسؤل من احسان سيدنا الامام العالم العلامة لسان العرب ترجمان الادب جامع الفضائل عمدة وسائل السائل عمدة المقلدين زين المقلدين قطب المؤملين أفضل الآخرين وارث علوم الاولين صاحب اليد الطولى فى كل مكان ضيق والمصانيف التى تاخذ بمجامع القلب فكل ذى لب اليها شيق والمباحث التى أثارت الادلة الراجحة من مكامن أماكنها وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها كشاف معضلات الاوائل سباق غايات تصر عن شأوها سحبان وائل فارع هضبات البلاغة فى اجتلاء اجتلابها وهى فى مرقى مرقدها سالب تيجان الفصاحة فى اقتضاء اقتضابها من فوق فرقدها حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول اليها جان وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمثهن انس قبله ولا جان وأبدع خمائل نظم ونثر لا تصل الى أغنان فنونها يد جان أثير الدين أبى حيان لا زال ميت العلم يحييه وهل عجيب ذلك من أبى حيان
حتى ينال بنو العلوم مرامهم * ويحلهم دار المنى بامان
اجازة كاتب هذه الاحرف ما رواه فسح الله تعالى فى مدته من المسانيد والمصنفات والسنن

كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقى والغربى وهى اليوم خراب وكانت فيما ذكروا قد سقت الفرات وجعلت من فوقه ابنية رومية وجعلته أنفاقا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود فتغزو جذيمة الابرش فكتبت اليه انى فاعلة ومثلك من يرغب فيه واذا شئت فاشخص الى وكانت بالجمع عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فأشاروا عليه بالمضى وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فأمره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تقع فى حبالها فعصاه وأطاعهم حتى اذا كان ببقة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فأمروه بالشخوص اليها فلما علموا من رأيه فى ذلك وقال قصير تنصرف ودمك فى وجهك فقال جذيمة ببقة قضى الامر فأرسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير امر فأرسلها مثلا وظعن جذيمة حتى اذا عاين سد بينها وهى بمكان دون الحانوقة ونظر الى الكتائب دونها هاله ما رأى فقال أى قصير ما الرأى فقال قصير انى

والجاميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها مما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع أو مناولة أو اجازة خاصة أو عامة كيفما تأدى ذلك اليه واجازة ماله أدام الله افادته من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والادبية وغيرها وماله من نظم ونثر اجازة خاصة وأن يثبت بخطه تصانيفه الى حين هذا التاريخ وأن يجيره اجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأى من يراه ويجوزه منعما متفضلا ان شاء الله تعالى (فكتب الجواب رحمه الله تعالى) أعزك الله ظننت بانسان جميلا فغاليت وأبديت من الاحسان جزيلا وما باليت وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء والسراب يحسبه الظمآن ماء يا ابن الكرم وأنت ابصر من يشيم امح الروض النضير برعي الهشيم أما أغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأما وتربة من بهما لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك ونارجت الاكوان من أريج نفحاتك ولانت اعرف من يقصد للدراية وانجد من يعتمد عليه فى الرواية لكنك اردت ان تكسو من مطارفك وتتفضل من تالدك وطارفك وتجلو الخامل فى منصة النباهة وتنقذه من لكن الفهاهة فتشيد له ذكرا وتعلى له قدرا ولم يمكنه الا اسعافك فيما طلبت واجابتك فيما اليه ندبت فان المالك لا يعصى والمتفضل المحسن لا يقصى وقد أجزت لك أيدك الله تعالى جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة أو سماع أو مناولة واجازة بمشافهة وكتابة ووجادة وجميع ما أجيز لى أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وأنشأته نظما ونثرا وجميع ما سألت فى هذا الاستدعاء فمن مروياتى الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر اسمعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله المصرى المليجى آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبى الجود والكتب الستة والموطأ ومسند عبد بن حميد ومسند الدارمى ومسند الشافعى ومسند الطيالسى والمعجم الكبير للطبرانى والمعجم الصغير له وسنن الدارقطنى وغير ذلك وأما الاجزاء فكثيرة جدا ومن كتب النحو والآداب فاروى بالقراءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجى وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبى والمعرى وأما شيوخى الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر الآن منهم جماعة فمنهم القاضى أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الاحوص القرشى والمقرى أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الانصارى واسحق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القواس البغدادى وصفى الدين الحسين ابن أبى منصور بن ظافر الخزرجى وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الازدى بن الدهان وقطب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن القسطلانى ورضى الدين محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى اللغوى ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذانى ومكى بن محمد بن أبى القاسم بن حامد

تركت الرأى ببقة وقال عند ذلك أشر على فقال ان لقيتك الكتائب فحيتك تحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة وان هم أخذوا بجنبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق يعنى فرسا كانت جنبت معه فاستقبله القوم فأحاطوا به فلم يركب العصا وعندها البراق قصير فركبها وجال وانطلق والتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فمال جذيمة ما ضل من تجرى به العصا فادخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبعثها (أى عانتها) وقد ضفرت ما تحتها وقالت يا جذيمة أى متاع عروس ترى فقال أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ما أناس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من ذهب فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة فى غير طست طلب بدمه فقالت أى جذيم لا تضيعن من دمك شيأ فانى انما بعثت اليك لانه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم

أضاعه أهله وفي ذلك يقول المغيث * من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والخبل

الاصبهاني الصفار ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير بن القارص وزين الدين أبو بكر
محمد بن اسمعيل بن عبد الله الانماطي ومحمد بن ابراهيم بن ترحم بن حازم المازني ومحمد بن
الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارمي بن الحليلي ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف
الانصاري بن الخيمي ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسي عرف بابن التين وعبد الله
ابن محمد بن هرون بن عبد العزيز الطائي القرطبي وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان
ابن قتيان بن كامل الحزمي وعبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن فارس التميمي
وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن
عبد العلي المصري السكري وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني
وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل الفيالي الصالحي الكناني وعبد المعطي بن عبد الكريم
ابن أبي المكارم بن منجي الخزرجي وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن اسمعيل الحسيني
البهنسي المجاور وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي والفضل بن علي بن نصر بن
عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجي ويوسف بن اسحق بن أبي بكر الطبري المكي
والسمر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن السمر القشيري ومؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن
أيوب بن شادي وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية وزينب بنت
عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي ومن كتبت عنه من مشاهير الادباء
أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي بن المرحل وأبو الحسن بن حازم بن
محمد بن حازم الانصاري القرطاجني وأبو عبد الله بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي
التطيلي وأبو عبد الله محمد بن محمد بن زنون المالقي وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير
الحلياني العكي المالقي وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصاري الجزار وأبو عمرو
عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولوا القرشي وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن
المصري الوراق وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن ياسين الكومي التلمساني وأبو
العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد
ابن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم
الغزي * ومن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم الخشني
الابذي وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي بن الضائع وأبو جعفر أحمد بن
ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف
الفهري اللبلي وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي بن النحاس ومن لقيته من
الظاهرية أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الانصاري الاشبيلي الزاهد وأبو الفضل محمد بن
محمد بن سعدون الفهري الشنتمري وجملة الذين سمعت منهم نحو من اربعمائة شخص وخمسين
وأما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار
مصر والحجاز والعراق والشام وأما ما صنفته فمن ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم
اتحاف الاريب بما في القرآن من الغريب كتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار
شرح الكتاب سيبويه كتاب التجريد لاحكام سيبويه كتاب التذييل والتكميل

واستصفت دمه وجعلته
في برنية وقال بعضهم دخل
عليها جذيمة في قصر لها
ليس فيه إلا الجواري
وهي على سريرها فقالت
للاماء خذن بيد سيدكن
ثم دعت بنطع فأجلسته
عليه فعرف الشر وكشفت
عن عورتها فاذا هي قد
عقدت شعرها من
وراء فقالت أشوار عروس
ترى فقال بل شوار أمة بظرا
فقالت أما والله ما ذاك من
عدم مواس ولا قلة
أواس ولكنها شيمة
ما أناس ثم أمرت برواهشه
فقطعت وجعلت دمه يشخب
في النطع كراهة أن يفسد
مقعدها وقال جذيمة
لا يحزنك دم أراقه أهله
وهلك قصير وورد الخبر على
عمرو بن عدي التنوخي
بالحيرة واشتغل لذلك فقال
له قصير اطلب بثارك
خالك والا ستسبك العرب فلم
يحفل بذلك أن عنده خبرا
فخرج قصير الى عمرو بن
عدي فقال له هل لك الى
أن أصرف الجنود اليك
على أن تثأر خالك
فجعل له ذلك فصرف
وجوه الجنود اليه ومناهم
بالمال والحال فانصرف
اليه منهم بشر كثير فالتقى
هو والتنوخي فلما حاذوا القنس بايعه التنوخي وتم الامر لعمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني به

في شرح التسهيل كتاب التكميل الملخص من شرح التسهيل كتاب التذكرة كتاب المبدع في التصريف كتاب الموفور كتاب التقريب كتاب التدريب كتاب غاية الاحسان كتاب النكت الحسان كتاب الشذا في مسألة كذا كتاب الفصل في أحكام الفصل كتاب اللمحة كتاب الشذرة كتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء كتاب عقد اللآلي كتاب نكت الامالي كتاب النافع في قراءة نافع الاثير في قراءة ابن كثير المورد الغمر في قراءة أبي عمرو الروض الباسم في قراءة عاصم المزن الهامر في قراءة ابن عامر الرمزة في قراءة حمزة تقريب النائي في قراءة الكسائي غاية المطلوب في قراءة يعقوب قصيدة النير الجلي في قراءة زيد بن علي الوهاج في اختصار المنهاج الانور الاجلى في اختصار المحلى الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية كتاب الاعلام بأركان الاسلام نثر الزهر ونظم الزهر نظر الحسبي في جواب أسئلة الذهبي فهرست مسموعاتي نوافث السحر في دمائث الشعر تحفة الندس في نحاة الاندلس الابيات الوافية في علم القافية جزء في الحديث مشيخة ابن أبي المنصور كتاب الادراك للسان الاتراك زهو الملك في نحو الترك نفحة المسك في سيرة الترك كتاب الافعال في لسان الترك منطق الخرس في لسان الفرس ومما لم يكمل تصنيفه كتاب مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك نهاية الاعراب في علمي التصريف والاعراب مجاني الهصر في آداب وتواريخ لاهل العصر خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان نور الغبش في لسان الحبش المخبور في لسان اليحمور قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الحروف

اناهاولستطيل أعنى * كلما اشتد صار النفس رخوه
أهمس القول وهو يجهر سي * واذا ما انخفضت أطبق علوه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا * بصفير والقلب قلقل شدوه
لان دهرا ثم اهتدى ذا انحراف * وفشا السر مذ تكرر نخوه

وأنشدني أيضا لنفسه

يقول لي العذول ولم أطعه * تسل فقد بدا للعب لحيه
تخيل أنها شانت حبيبي * وعندي أنها زين وحليه

وأنشدني لنفسه أيضا

شوقي لذاك المحيا الزاهر الزاهي * شوق شديد وجسمي الواهن الواهي
أسهرت طرفي ولهت الفؤاد هوى * فالطرف والقلب مني الساهر الساهي
نهيت قلبي ونهى أن أبوح بما * يلقاه واشوقه للساهب الساهي
بهرت كل مليح بالبهاء فما * في البدر بين شبيه الباهر الباهي
لهجت بالحب لما ان لهوت به * عن كل شئ ووشي اللاهج اللاهي

وأنشدني من لفظه لنفسه

في الزباء فقال عمرو وكيف لنا بها وهي أمنع من عقاب الجو فقال أما اذا أبيت
فاني جادع أنفي واذني ومحتال لقتلها بجهدي فأعني وخلاك ذم فقال له عمرو وأنت أبصر وشأنك فجدع أنفه قصير ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت فقال أنا قصير لا ورب البشر ما كان على وجه الارض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك مني حتى جدع عمرو أنفي واذني وعرفت اني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فقالت أي قصير نقبل منك ونصرفك في بضاعتنا فأعطته مالا للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عمرو بن عدي وانصرف به الى الزباء فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك وزادته مالا الى ما جاء به فقال لها انه ليس من ملك الا وهو يتخذ نفقا في مدائنهم اذا كان يكون لهم عدد فقالت له أما أنا فقد فعلت ذلك فقد نقبت سربا وبنيته من تحت سريري هذا حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختي دخله وفرح بذلك قصير ثم ظعن حتى أتى عمرا فركب عمرو في ألفي رجل على ألف بعير في الغرائر
حتى صار اليها فتقدم قصير وسبق الابعرة فقال لها اصعدي حائط مدينتك وانظري الى مالك وتقدمي الى بوابك لا يعرض

راض حبيبي عارض قد بدا * ياحسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبي سلا * والاصل لا يعتد بالعارض

وأنشدني من لفظه لنفسه

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخا العقل يدري ما يراد من الهوى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
ألا انني لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا * فاحببت ان أبقى بابيضهم وحدي

وأنشدني من لفظه لنفسه

الا ان الحاظا بقلبي عوابثا * أظن بها هاروت أصبح نافثا
اذا رام ذو وجد سلوا منعنه * وكن على دين التصابي بواعثا
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقا * وأسرعن للبلوى بمن كان رائثا
بروحي رشا من آل خاقان راحل * وان كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن للفضل ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت

أسحر لتلك العين في القلب أم وخز * ولين لذاك الجسم في اللمس أم خز
وأملود ذاك القد أم أسمر غدا * له أبدا في قلب عاشقه هز
وشامة كساها الحسن أخر حله * فصار عليها من محاسنها طرز
وأهدى اليها الغصن لين قوامه * فماس كأن الغصن حام ما العز
يدوع أديم الارض من تحت رطبها * ويخضر من آثارها تربة الجرز
وتختال في برد الشباب اذا مشت * فينهضها تدويقها عدها عجز
أصابت فؤاد الصب منها بنظرة * فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز

وأنشدني اجازة في مليح أبرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله * وبفسك لاقت في هواه نزاعها
به وضح ناباه نفس أولي النهى * وأقطع داء ما ينافي طباعها
فقلت لهم لاعيب فيه يشينه * ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها الشمس الضحى حين قابلت * محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في خام

وعلقته مسود عين ووفرة * وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم في وجناته * لطاخة مسك في جنى من الورد

وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت

سال البدر هل تبدى أخوه * قلت يابدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو وانت يابدر باد * أو بدران طلعان جميعا

فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا
أم الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة حتى اذا بقي آخرها حلا بيل صاحب البواب بعصن كانت في يده خاصرة رجل صرط فقال البواب بالنبطية اي في الجوالق شر وثار الرجال من الجوالق ضربا بالسيف فهم خرجت الزباء هاربة الى سربها فابصرت قصيرا عند فقها مصلتا سيفه فانصرفت راجعة والقاها عمرو بن عدي فضربها وقال بعضهم مصت خاتمها وكان فيه سم ساعة وقالت بيدي لا بيد عمرو وخربت المدينة وسبيت الذراري فقالت الشعراء في امرها وامر قصير فاكثرت في ذلك دول المتلمس

ومن طلب الاوتار ماجذ انفه
قصير ورام الموت بالسيف بيهس
تعاميت لما صرع القوم رهطه
تبين في أثوابه كيف يلبس

ومن ذلك قول عدي بن زيد التميمي يصف ذلك من امرهم الاباء الملك المرجي * ألم تسمع بخطب الاولينا

وانشدني

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني

عاذلي في الاهيف الآنس * لو رآه الآن قد عذرا
رشا قد زانه الحور
غصن من فوقه قمر
قمر من سحبه الشعر
ثغره فيه أم درر
حال بين الدرة واللعس * خمره من ذاقها سكرا
رحه بالردف أم كسل
ريقه بالثغر أم عسل
ورده بالخد أم خجل
كحل بالعين أم كحل
يا لهاس أعين نعس * جلبت لناظري سهرا
مذ نأى عن مقلتي سني
ما أذ قالذة الوسن
طال ما ألقاه من شجن
عجبا ضدان في بدن
بفؤادي جذوة القبس * وبعيني الماء منهمرا
قد أتاني الله بالفرج
إذ دنا مني أبو الفرج
قمر قد حل في المهج
كيف لا يخشى من الوهج
غيره لو صانه نفسي * طبعه من حره شررا
نصب العينين لي شركا
فانثني والقلب قد ملكا
قمر أضحى له ملكا
قال لي يوما وقد ضحكا
أنجمي من أرض أندلس * نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي

قمر يجلو دجى الغلس * بهر الابصار مذ ظهرا
أمن من شنفا الكاف
ذبت من حبيه باكاف
لم يزل يسعى الى تلفي
بركاب الدل والصلف

وكان يقول لو وقع اليقين لحطته التي غدرت وحانت
وهي ذوات عائلة لحيلها مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا الا ضفرت شعرها من حلمه ثم تباعت بعلمه حتى يملك ذلك وأراد حصن دونه الخندل
وبالأبلق حصن تيماء الفرد حصين منيعين
مالت عن دمار دومة الابلق وهما الحصنان اللذان يذكرهما العرب في أشعارها وقال الاعشى في ذلك
بالابلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدار
وجذيمة لوضاح الذي يقول فيه
ماست مودته الحديث وعنده منهم وفائر
أين أبناء أحور دور عيش لنا وأحوى ذو أناعر
والملك كان لذي نوا س حوله من ذي بحائر
بالسابقات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر
أرمان تحلاق وفي همم مهم وبادو حاضر
وإنما سمي جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص

فكني به اعظاما له (قال المسعودي) هذا بدو خبر بني عدي وقد تقدم ان جذيمة كانت سنه

آه لولا أعين الحرس * نلت منه الوصل مقتدرا
يا أميرا جار مذ وليا
كيف لا ترثى لمن بليا
فبثغر منك قد جليا
قد حلا طعما وقد حليا
وبما أوتيت من كيس * جدفا أبقيت مصطبرا
بدر تم فى الجمال سى
ولهذا لقبوه سنى
دس بالى لدة الوسن
عجبا باهر حسن
هو خشى وهو مفترسى * فاروعن أعجوبتى خبرا
لك خد يا أبا الفرج
زين بالتوريد والضرج
وحديث عاطر الارج
كم سبى قلبا بلا حرج
لو رآك الغصن لم يمس * أو رآك البدر لاستترا
يا منذ بيا مهجتى كمدا
فقت فى الحسن البدور مدى
يا كحيلا كحله اعتمدا
عجبا أن تبرى الرمدا
وبسقم الناظرين كسى * جفنك السحار وانكسرا
وأنشدنى من لفظه لنفسه ايضا
ان كان ليل داج * وخاننا الاصباح * فنورها الوهاج * يغنى عن المصباح
سلافة تبدو * كالكوكب الازهر
مزاجها شهد * وعرفها عنبر
وحبذا الورد * منها وان اسكر
ذابى بها قد هاج * فما ترانى صاح * عن ذلك المنهاج * وعن هوى يا صاح
وبى رشا أهيف * قد لج فى بعدى
بدر فلا يخسف * منه سنى الخد
بلحظه المرهف * يسطو على الاسد
كسطوة الحجاج * فى الناس والسفاح * فما ترى من ناج * من لحظه السفاح
عال بالمسك * قلب رشا أحور
منعم المسك * ذى مبسم أعطر

وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ستين سنة وملك بعده عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب خمسا وعشرين سنة وكانت امه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهجانه بنت سلول من مراد ويقال من اياد وملك المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق وكردس الكرادس خمسا وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الهيجانة من آل بكر وملك المنذر بن الاسود ابن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت امه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن أفصى بن دعمى بن خويلد بن أسد بن ربيعة ابن نزار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها ثم ملك بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه اخت عمرو بن قابوس من آل نصر ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية ابن معديكرب وملك النعمان بن المنذر وهو الذى يقال له أبيت اللعن اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كتاب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة

ريـاه كالمسك * وريقـه كوثر

غصن على رجراج * طاعت له الارواح * فبذا الاراج * ان هبت الارواح

مهلا أبا القاسم * عـلى ابى حيـان

ما ان له عاصم * من لحظك الفتان

وهجرك الدائم * قد طال بالهيمـان

فدمعه أمواج * وسره قد باح * لكنه ما عاج * ولا أطاع اللاح

يا رب ذى بهتان * يعذل فى الراح

وفى هوى غزلان * دافعت بالراح

وقلت لا سلوان * عن ذاك يا لاح

سبح الوجوه والتاج * هى منية الافراح * فاختر لى يا زجاج * قمال وزوج اقداح

وأنشدنى من لفظه لنفسـه القصيدة الدالية التى نظمها فى مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها

هو العلم لا كالعلم شئ تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهى قصـيدة جيدة تزيد على مائة بيت وحكى لى أن الشيخ أثير الدين رحمه الله تعالى ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه وفيهـم شمس الدين بن دانيال فأنشـدهم الشيخ رحمه الله تعـالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة اخبركم ان الشيخ قد عوفى وما بقى عليه باس لانه لم يبق عنـده فضلة قوموا باسم الله وأنشدنى من لفظه لنفسـه رحمه الله تعـالى قصيدته السينية التى أولها

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه * كوحى كتاب أضعف الخط دارسه انتهـى

نص الصـفدى وما ذكره رحمه الله تعالى فى موضع ولادة أبى حيان غير مخالف لما ذكره فى الوافى انه ولد بغرناطة الا ان قوله بمدينـة مطخشارش فيـه نظر لانه يقتضى انها مدينة وليس كذلك وانما هى موضع بغرناطة ولذا قال الرعينى ان مولد أبى حيان بمطخشارش من غرناطة ونحوه لابن جماعـة انتهـى وهو صريح فى المراد وصاحب البيت ادرى بالذى فيه على انه يمكن ان يرد كلام الصفدى لذلك والله تعـالى اعلم وذكر فى الوافى انه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والاقراء بالجامع الاقمر قال الصـفدى وقال لى لم أر بعـد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك وكان ذلك حـين قرأت عليه المقامات الحريرية بمصر جماعة انتهـى وما وقع فى كلام كثير من أهل المغرب ان اباحيان توفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر لان اهـل المشرق أعرف بذلك اذ توفى عنـدهم وقد تقـدم انه توفى سـنة خمس وأربعـين وسبعمائة فعلى كلام اهل المشرق فى هـذا المعول والله اعلم وكانت نضار بنت ابى حيان حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالى على بعض الشيوخ وحدثت بشئ من مروياتها وحضرت على الدمياطى وسمعت على جماعة وهى بضم النون وتخفيف الضاد وأجازها من المغرب أبو جعفر ابن الزبير وحفظت مقدمـة فى النحو ولما توفيت عمـل والدها فيها كتابا سماه النضار فى المسلاة عن نضار وكان والدها يثنى عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ قال الصفدى

استاذن على النعمان يوما فقال له الحاجب ان الملك على شرابه قال فهو وقت الملق تقبله الافئـدة وهو جذل للرحيق فان تلج تلق انجـدا عن غزر مواهبـه فانت قسيم ما أفدت قال له الحاجب ما تفى عنايتى بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ما طلبت رهبـة التعدى قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد بن جعـفر الكلابى نديمـه فقـال النـابغة هـل لك الى ان تؤدى الى خالد عـنى ما اقول لك قال وما هو قال تقول ان من يدرك وفاء الدرك بك وتاديتى مـن الشـكر ما قد علمت فلما صار خالد الى بعض ما تبعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقـال ليهنك التمام حادث النعيم قال وما ذاك فاخبره الخبر وكان خالد رفيقا باتى الاشـياء بلطف وحسن بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

الا ملك أومن أنت سابقه * سبق الجواد اذا استولى على الامد

واللات لكانى انظـر الى * ذى رعين وقد مدت لهـم

تضبان المجـد الى معالم * أحسابكم ومناقب أنسابكم

فى حلبة أنت أبيت اللعن * غرتها فجئت سابقا منهملا

وجاؤا اليه لهم سـعى قال النعمـان لانت فى وصفك أبلغ احسـانا من النابغة فى نظام قافيته فقـال خالد ما أبلغ فيك حسنا

قال لي والدها انها خرجت جزأ لنفسها وأنها تعرب جيدا وأظنه قال لي انها تنظم الشعر وكن تقول دائما ليت أخاها حيان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادي الآخرة سنة ٧٣٠ في حياة والدها فوجد عليها وجدا عظيما ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقوقية ولازمه سنة ومولدها في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدي وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا باللجين على نضار * فسيل الدمع في الخدين جاري
فيا لله جارية تولت * فنبكيها بأدمعنا الجواري انتهى

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعد الرعيني الاندلسي في برنامجه عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما ملخصه ان أبا حيان قال سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وعيذاب من بلاد السودان وينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة ثم فصل من لقيه في كل بلد الى أن قال وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر الى أن قال فهذه نبذة من شيوخي وجملة من سمعت منهم نحو خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف وعدة كتب القراآت التي أخذت تسعة عشر كتابا وقال في حق الملبجي انه أعلى شيوخي في القراآت وان آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذري اللخمي واجازته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البخاري على جماعة أقدمهم اسنادا فيه أبو العز الحراني قرأته عليه بلفظي الا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في سورة النور فسمعته بقراءة غيري قال أنبأنا به أبو المعالي أحمد بن يحيى بن عبيد الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ستمائة ببغداد أنبانا أبو الوقت بسنده وكمل له رحمه الله تعالى جامع الترمذي بين قراءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترحم أنبانا ابن البناء أنبانا الكروخي بسنده وقرأ السنن لابي داود بغرناطة على أبي زيد عبد الرحمن الربعي عرف بالتونسي أنبانا به سهل بن مالك وقرأه بالقاهرة على أبي الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي بدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب أنبانا أبو عمر الهاشمي أنبانا اللؤلؤي أنبانا أبو داود وقرأ الموطا على أبي جعفر ابن الطباع عن أبي القاسم بن بقي عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند يوجد عن يونس بن مغيث في عصره وسمع أبو حيان الاجزاء الخلعيات والغيلانيات والقطيعيات والنهروانيات والمحامليات والثقفيات وسداسيات الرازي بعلوّ قرأها على صفي الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبي الطاهر اسمعيل بن ياسين الجيلي وهو آخر من حدث عنه عن أبي عبد الله الرازي سماعا وقرأ جزء الانصاري على أبي بكر بن الانماطي بسماعه حضورا في الرابعة على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي أنبانا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار سنة ٥٣٢ أنبانا ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب سنة ٤٤٥ أنبانا عبد الله بن ابراهيم بن ماسي أنبانا أبو مسلم الكشي البصري أنبانا محمد بن عبد الله الانصاري

الا وهو دون قدرك استخفافا للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضر القال وقلنا فأمر النعمان بادخاله فخرج الحاجب وقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحياه بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائد العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولقفالك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولوعدك أصدق من رفده ولعبيدك أكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أخلاق مجدك جلت مالها خطر
في الجود والبأس بين العلم والخبر
متوج بالمعالي فوق مفرقه
وفي الوغى ضيغم في صورة القمر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشي فوه جوهرا ثم قال بمثل هذا فلتمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدي بن زيد التميمي وكان يكتب لكسرى ابرويز ترجمانا اذا وفد عليه زعماء العرب لموجدة وجدها عليه النعمان في خبر طويل الشرح ولما قتل صار زيد بن عدي مكان أبيه فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب

الانصارى وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحو فى مصر والشام بقراءته على علم الدين أبى محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بقراءته على التاج أبى اليمن الكندى أنبانا أبو محمد عبد الله بن على بن أحمد البغدادى مؤلف كتاب المبهج أنبانا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس أنبانا أبو القاسم عبد الواحد ابن على بن عمر بن برهان الاسدى أنبانا القاسم على بن عبيد الله الرقى أنبانا على بن عيسى بن عبد الله الرمانى أنبانا أبو بكر بن السراج أنبانا أبو العباس المبرد أنبانا أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى قالا أنبانا أبو الحسن الاخفش أنبانا سيبويه قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيرى ورويته عن الاساتيذ أبوى على بن الضائع وابن أبى الاحوص وأبى جعفر اللبلى عن أبى على الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب ووقع لابى حيان تساعيات كثيرة وأغرب ما وقع له ثلاثة أحاديث بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمدانى بقراءته عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى قراءة عليه وهو يسمع قالا أنبانا أبو المفرج اسعد بن سعيد بن روح فى كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية أنبانا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رندة الضبى الاصبهانى انبانا الحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطر اللخمى الطبرانى انبانا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة ٢٧٤ أنبانا ابو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن اتيته فقلت

امنن علينا رسول الله فى كرم ❊ فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ❊ مشتت شملها فى دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن ❊ على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها ❊ يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ❊ اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ❊ واذ يزينك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ❊ واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت ❊ وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ❊ من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ❊ عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه ❊ هذى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه ❊ يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله قال أبو القاسم الطبرانى لا يروى عن زهير الا بهذا الاسناد وتفرد به عبيد الله بن رماحس و بالاسناد الى

الى النعمان يامره أن يبعث اليه باخته فلما قرأ النعمان كتابه قال للرسول وهو زيد بن عدى يا زيد أما لكسرى فى مها السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات فقال زيد انما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهرك ولو علم ان ذلك يشق عليك لما فعله وسأحسن ذلك عنده واعذرك بما يقبله فقال النعمان وافعل فقد تعرف ما على العرب فى تزوج العجم من الغضاضة والشناعة فادى اليه قوله فى مها السواد على اقبح الوجوه واوحده عليه وقال سالها فقال البقر فاخذ عليه وقال رب عبد قد صار فى الطغيان الى اكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طيئ لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بنى رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبى سلمى

الم تر للنعمان كان بنجوة من الدهر لو ان امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة ❊ من الدهر يوما واحدا كان غاويا ❊ فلم ار مسلوبا له مثل ملكه ❊ اقل صديقا معطيا ومواسيا

الطبراني أنبأنا عمر بن محمد بن عبد الكريم بن فروخ بن دبرج بن بلال بن سعد بن بلال بن سعد الانصاري الدمشقي قال حدثني جدي لامي عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدني قال أراني أنس بن مالك الوضوء ثم أخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح برأسه وأخذ ماء جديدا للصماخين فقلت له قد مسحت أذنيك فقال يا غلام هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك فقلت قد كفاني وفهمت قال فكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ قال الطبراني لم يرو عمر بن أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالاسناد الى الطبراني حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص المصري أنبأنا دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك حدثني أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وآمن بي ومن رأى من رآني وآمن بي ومن رأى من رأى من رآني ثم قال الرعيني وتصانيف أبي حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير ثم قال الرعيني وخرج أبو حيان من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد شيخه أبي الحسن الدباج

رضيت كفافي رتبة ومعيشة * فلست أسامي موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويلة * فلا بد يوما أن سيعثر فيها

وأنشد باسناده لموسى بن أبي تليد

حالي مع الدهر في تقلبه * كطائر ضم رجله شرك
وهمه في خلاص مهجته * يروم تخليصها فتشتبك

ثم أورد الرعيني جملة من نظم أبي حيان منها قوله

أريد من الدنيا ثلاثا وانها * لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة * واكثار أعمال عليها أواظب

وقوله

أرحت روحي من الايناس بالناس * لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت في البيت وحدي لا أرى أحدا * بنات فكري وكتبي هن جلاسي

وقوله

وزهدني في جمع المال انه * اذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوما أراح من العنا * ولم يكتسب حمدا ولم يدخر أجرا

وقوله

يظن الغمر أن الكتب تجدي * أخا ذهن لادراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى * تصير أضل من توما الحكيم

وله لغز في قيراط زاعما انه لا يفك

وما اسم خماسي اذا ما فككته * يصير لنا فعلين أمرا وماضيا

خ زاهر حيرا واني عليهم ووديعتهم توديع أن لا لقاء

والاصل ان النعمان حين اتى المدائن ... فاه كسرى ... الا ... جاريه ... له ... قاب ... بن ... الا ماصادر النعمان ... له امرهما ... عن بهر السواد فعم النعمان انه غير ناج منه ونبيه زيد بن عدي وقتل له النعمان ... فعلت هذا بي الي ... لاستقيلنك ... فرسه زيد ... عند احتمله ... لا ... المهر لا ... كسرى النعمان ... ساباط المدائن ثم ... برمى تحت أرجل الفيلة وقال بعضهم بل مات في محبسه بساباط وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثرت ... من ذلك قول الاعشى

واماد ولا الملك النعمان يوما ... يعطيه ... يعطي الصحائف ... وفي ... السامون ... حين ... جون في انهارها والخورنق

ويقسم امر الناس يوما وليلة * وهم ساكتون والمنية تنطق فذاك وما انجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرق

بعكس وهو كل وجزء وجمعه · بابدال عين حارفيه الا اهيا
ومع كونه فرداوجمعاً فأوّل * وآخره أضحى لشخص معاديا
وفي عكسه صوت فتبنيه صيغة * وبني بمعناه وما أنت بانيا
فكم فيه من معنى خفي وانما * عنيت بذكرى للذي ليس خافيا

ثم قال الرعيني وهو شيخ فاضل مارأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن اللقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان ذولمة وافرة ... فاخرة له وجه مستدير وقامته معتدلة الا تعدير لسير بالطول ولا بالقصر انتهى ماالتقط من كلام الرعيني * ولما قدم الاستاذ أبو حيان الى مصر أوصى أهله بقوله ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق وفي الباطن معاملة العدوّ في التحفظ منه والتحرز وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوّه وأن يعتقد أن احسان شخص الى آخر وتودده اليه اعاه ولغرض قام له فيه يتعلق به بعينه على ذلك لا لذات ذلك الشخص وينبغي أن يترك الانسان الكلام في ستة أشياء في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفي التعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وفي التعرض أيضا لائمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وفي الطعن على صالحي الامة نفع الله بهم وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس في مباحثهم وادراكاتهم فان ذلك على حسب عقولهم وأن يبسط نفسه عن المراء والاستهزاء والاستخفاف بأبناء زمانه وأن لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه وأن يلتمس مخرجا من ظاهر كلامه الفاسد وأن لا يقدم على تخطئة أحد بيادي الرأي وأن يترك الخوض في علوم الاوائل وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أحوالهم وينبغي للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر وأن لا يتكبر على أحد وان يقلل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه وأن يتظاهر لكل عاد وأعمه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا حرم مروءة وان يأخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور وان لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى وان لا يتعرض بذكر أهله ولا يجري ذكرهم بحضرة جليسه وأن لا يطلع أحدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللقاء وجميل التغاضي وأن لا يركن الى أحد الا الى الله تعالى وأن يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى أعلم انتهت وصية أبي حيان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبي الطيب بن علوان التونسي المالكي الشهير بالمصري وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبي حيان رحمه الله تعالى قلت ومعاني هذه الوصية من نهيه عن الطعن في صالحي الامة نفع الله تعالى بهم وأمره بالتسليم لاحوالهم وعدم الانكار عليهم علم أن ما نقله الصفدي عنه فيما تقدم من قوله ان الشيخ أبا مدين الى آخره كلام فيه نظر لان

وقال هانئ بن مسعود الشيباني
اذا التاج لاذ الملك اضحى في الورى ... الفيول
ان كسرى عدا على الملك النعمان حتى ... الابل
... النعمان ... حولاء وا ... (وقد كان النعمان) ... مستسلما على ... عند هانئ بن مسعود الشيباني ... كسرى على النعمان ... الى هانئ بن مسعود وطالبه بتركته ... ذلك السبب الذي أهاج حرب ذي قار ... ذلك ... الكتاب ... بنت النعمان بن المنذر خرجت الى ... فيها بالخمر ... معنى ...

منزلها تلماهلك النعمان لكها الزمان فانزلها من الرفعه الى الذلة ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية امير العراق ... الله

أباحيان رضى الله تعالى عنه لا ينكر كرامات الاولياء كيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرعينى بسنده الى الفقيه المقرى الصالح أبى تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعى حدث انه زار قبر أبى الحسن بن حالوت ولم يكن زاره قبل فانتبه عليه فتركه فسمع النداء من قبر معين يا غالب أتمشى وما زرتنى فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن أبى الحسن المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذى قعدت عنده وغالب هذا وابن حالوت هما من أصحاب الشيخ أبى احمد بن سيد بونة الخزاعى وهو من اصحاب الشيخ ابى مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيان كرامات الصالحين وهو ينهى عن الطعن فيهم ويحكى كراماتهم نعم قول الصفدى قبل ذلك الكلام انه كان ينكر على فقراء الوقت كلام صحيح فى الجملة لكثرة الدعاوى الباطلة ممن ليس من اهل الصلاح واما انكار الكرامات مطلقا فمقام ابى حيان يجل عن ذلك والله تعالى اعلم وقد اورد ابن جماعة له من قطعة قوله فى اهل عصره

ومن يك يدعى منهم صلاحا * فزنديق تغلغل فى الضلال

واوّل هذه القطعة

حلبت الدهر اشطره زمانا * واغنانى العيان عن السؤال

فما بصرت من خل وفى * ولا الفيت مشكور الخلال

ذئاب فى ثياب قد تبدّت * لرائيها باشكال الرجال

ومن يك يدعى منهم صلاحا * فزنديق تغلغل فى الضلال

ترى الجهال تتبعه وترضى * مشاركة بأهل أو بمال

فينهب مالهم ويصيب منهم * نساءهم بمقبوح الفعال

ويأخذ حاله زورا فيرمى * عمامته و يهرب فى الرمال

ويجرون التيوس وراء رجس * تقرمط فى العقيدة والمقال

اى اعتقدوا رأى القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل به فظهر بما ذكران اباحيان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله تعالى أعلم وقد اورد قاضى القضاة بن جماعة للشيخ ابى حيان من النظم غير ما قدمناذكره قوله

اما انه لولا ثلاث احبها * تمنيت أنى لا اعد من الاحيا

فمنها رجائى ان افوز بتوبة * تكفر لى ذنبا وتنجح لى سعيا

ومنهن صونى النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشى الى بابه مشيا

ومنهن أخذى بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا

أتترك نصا للرسول وتقتدى * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقوله

سال فى الخد للحبيب عذار * وهو لا شك سائل مرحوم

وسألت التشام فيه فتجنى * فأنا اليوم سائل محروم

وقوله

الفرس وقتل رستم فأتت والمقنعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيكن خرقاء قالت ها أناذه قال أنت خرقاء قالت نعم فما تكرارك فى استفهامى ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنتقل أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر ياسعد انه ليس يأتى قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم انشأت تقول

بينا نسوس الناس والامر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدى ابن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها
لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى
ولقد كان آمنا مسرورا

قال فبينما هى واقفة بين يدى سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوّارا لابيها فى الجاهلية

أمدعيا علما ولست بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتزعم أن الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذي تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

وقوله عداني البيتين قال وأخذ هذا المعنى من قول الطغرائي

من خص بالود الصحاب فانني * أحبو بخالص ودي الاعداء
جعلوا التنافس في المعالي ديدني * حتى وطئت بأخمصي الجوزاء
ونعوا الى مثالبي فحذرتها * ونفيت عن أخلاقي الاقذاء
ولرب ما انتفع الفتى بعدوه * كالسم أحيانا يكون دواء

ومن نظم أبي حيان

يا منفق الطرف في ميدان لذته * وماضي الطرف بين الراح والرود
تشرب الروح راح الوقت كارهة * ويذهب الجسم بين الترب في الدود

وله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمورد العذب في معارضة قصيدة كعب وقصيدة في مدح الامام الشافعي مطلعها * غذيت بعلم النحو اذ لي ثديا * وله رحمه الله تعالى من قصيدة في مدح أم ولده حيان

جننت بها سوداء لون وناظر * ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن * فؤادي منها في جحيم ولأواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا * فأعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعته من قده بمثقف * أدبت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه وعادري * أبا القدمنها أم بصعدة سمراء

ثم غير البيت الاول وأنشد

جننت بها سوداء شعر وناظر * وسمراء لون تزدري كل بيضاء

وقال يهني قال ابن جماعه حاطبي به ارتجالا عند ولادة ابني عمر بعد بنتين

حبيت بر بحانتي روضة * و بعدهما جاء نجل اغر
وسميته باسم امام اذا * رآه ابو مرة منه فر
ولا عجب منك عبد العزيز * اذا كان نجلك سمي عمر
تفرعت منه امام الهدى * وبدر الدجى ورئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى * ولا زلتما تقفوان الاثر

وقال

لقد زادني بالناس علما تجاربي * ومن جرب الايام مثلي تعلما
واني وتطلابي من الناس راحة * لكالمبتغي وسط الجحيم تنعما
سازهد حتى لا أرى لي صاحبا * وأجهد حتى لا أتى منهما

قال ابن جماعة وقال في املاك علي بن قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وكان جميل الصورة على أختي شقيقتي فاطمة

شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فأكرمها عمرو وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حي أحييك بتحية ملوك كان بعضهم لبعض لانزع الله من عبد صالح نعمة الاجعلك سببا لردها اليه ثم خرجت من عنده ولقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فأظهره الله وأذل الكافرين فجميع من سميناه من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الابرص على حسب ما قدمنا آنفا في صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائي فكان ملكه سبع سنين وثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد

هي أبيات اليف غريب نظامه * لقد حار في أوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة * ترف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول والرضا * على ونجلا الاكرمين الغطارف
فدام على عالى الجد سيدا * ولا زال في ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغب زيارته

أعيني حياتي والذي بقائه * بقائي لما أصبحت نحوك شيقا
اعف بتعلى غير أن لقائي * برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان طي أمك الدهر تاركي * ولو انني أصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى في العيان ولم تكن * لتدرك الابالتزاور واللقا

وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد أعيد الى منصب القضاء وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذووا العلم في الدنيا نجوم زواهر * وأنت فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا لحت أخفى نوركم كل نير * ألم تر أن النجم يخفى مع الشمس

وقال

لم أزح عن أحب كتابي * اقلى فيه أو لترك هواه
غير أني اذا كتبت كتابا * غاب الدمع مقلتي فمحاه

وقال

تذكرني الليلى في ثغر مظلمة * اصارتني زاهدا في المال والرتب
أني أسر بخال سوف أسلبها * عما قريب وأبقى رمة الترب

وقال

أتيت وما ادعى وأقبلت سامعا * فوالله مولى سيد ماجد ندب
وأحضر جمعا انت فيه جماله * أشنف سمعي منك بالاذ لؤلؤ رطب

وقال

لنا غرام شديد في هوى السود * نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به أشرقت أبصارنا وحكى * في اللون والعرف نفع المسك والعود
لا شئ أحسن من آس تركبه * في آبنوس ولا أشفى لمبرود
لانه بيضاء لون الجص واسم الى * سوداء حسناء لون الاعين السود
في جيدها غيد في قدها ميد * في خدها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبي بنار جوى * من هجرها وابتلت عيني بتسهيد

وقال في عكسه

اذا مال الفتى للسود يوما * فلا رأي لديه ولا رشاد
أتهوى خنفساء كأن زفتا * كساجلدها وهو السواد
وما السوداء الا قدر فرن * وكانون وفحم أو مداد

كان كذلك قبل عمرو بن عدي ملوك الحيرة على حسب ما ذكرنا وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانيه أشهر وسنذكر ان عمران الحيرة وبدؤه الى أن خربت في وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودي) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعي الخراب اليها واقفرت في هذا الوقت ليس بها الا الصدى والبوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث في المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وأن هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودي) ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها في كتابنا أخبار الزمان وما

وما البيضاء الا الشمس لاحت * تنير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد * يلذ السهد معها والرقاد
وبين البيض والسود ان فرق * لذى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين لها ابيضاض * ووجه الكافرين بها اسوداد

وقال رحمه الله تعالى

أعاذل ذرنى وانفرادى عن الورى * فلست أرى فيهم صديقا مصافيا
ندامای كتب أستفيد علومها * أحبای تغنى عن لقائى الاعاديا
وآنسها القرآن فهو الذى به * نجاتى اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت فى غرب البلاد وشرقها * أنقب عمن كان لله داعيا
فلم أر الا طالبا لرياسة * وجماع أموال وشيئا مرائيا
قبضت يدى عنهم وآثرت عزلة * عن الناس واستغنيت بالله كافيا

قال العز بن جماعة وخاطب والدى وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته بهذا له

أدام الاله لك العافيه * وصير دور العدا عافيه
اذا لاح من بدركم نوره * فكل النجوم به خافيه
تحدت كلام الاله الدوا * فآياته كانت الشافيه
تشوّف ناس لمنصبكم * ورتبتهم للعلا نافيه
فاين العلوم وأين الحلوم * وخلق موارده صافيه
هم عصبة لا تنال العلا * ولو أنها قد سعت حافيه
اذا كان خرق تدار كته * ولست لما مزقت رافيه
فان عن خطب ثبت له * وآراؤهم عنده هافيه
سجاياك لين ورفق بنا * واخلاقهم كلها جافيه
تصلى على سبعة منهم * وثامنهم نفسه طافيه
يقيمون فى تربهم هدا * وتسفى على قبرهم سافيه
فلا زلت فى صحة دائما * تجر ذيول السنى ضافيه
ويورك الله عين الحياة * فتحيا بها مائة وافيه
فان زاد عشرا فذاك المنى * وعشرون أيضا هى الكافيه
وهذى القوافى أتت كلا * فلم تبق لى بعدها قافيه

وقال رحمه الله تعالى أيضا

خلق الانسان فى كبد * بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه * غير عضو ضر للابد
منتج ذلا وفقد غنى * وافتراقا جمة العدد
من نجت منهم يداه أسى * أو يعش ألفاه فى نكد
عاش فى أمن فتى عزب * مستريح الفكر والجسد

(ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك)

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرق قوافى البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا فى النصرانية على من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا من ذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع فى قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تابى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل فى نسب قضاعة واتصالها بمعد ما ذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ وتنصرت فملكتها الروم على العرب الذين بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمارب وقصة

وقال رحمه الله تعالى أيضا

جن غيري بعارض فترجى * أهله أن يفيق عما قريب
وفؤادي بعارضين مصاب * فهو داء أعيا دواء الطبيب

وقال

سعت حية من شعره نحو صدغه * وما انفصلت من خده ان ذا عجب
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه * برود ولكن شب في قلبي اللهب

وقال

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد خطوبا تسلي عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بها كم فتتت كبد
عزل ونهب وضرب بالسياط وحبس ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
واذ وقيت بحمد الله شرتهم * فلتحمد الله في العقبى كمن حمدوا

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري وكتابه الصحيح

أسامع أخبار الرسول لك البشرى * لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الاخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر * تود الغواني لو تقلده النحرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة * فحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته أكابر * لنا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة * عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاري الامام لجامع * بجامعه منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع * أضاء به شمسا ونار به بدرا
وبحر علوم يلفظ الدر لا الحصا * فأنفس بها درا وأعظم به بحرا
تصانيفه نور ونور لناظر * فقد أشرقت زهرا وقد أينعت زهرا
محاسنة المختار ينظم شتها * يلخصها جمعا ويخلصها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا * فجازلها بحرا وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا يمانيا * وطورا حجازيا وطورا أتى مصرا
الى أن حوى منها الصحيح صحيحه * فوافى كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتابا من شرع أحمد شرعة * مطهرة تعلو السماكين والنسرا

قلت وتتصل روايتي عن الامام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي ولي الله العارف به شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي عن عالم الدنيا أبي عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق عن الأثير أبي حيان بكل مروياته فمنها أن أبا حيان قال حدثنا ابن أبي الاحوص عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي

عمرو بن عامر بن سبا فسارت غسان الى الشام من ولد مازن وذلك أن الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفي ذلك) يقول حسان بن ثابت الانصاري

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم في البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشام من العرب وملكها الروم على العرب فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الازد بن الغوث ثم ملك بعده الحرث ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ابن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو وذكر انها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة

ابن

وهي الذي ذكرتها الشعراء في أشعارها وينسب جماعة من ملوك غسان اليها وملك
بعده النعمان بن الحرث
ابن ثعلبة بن جبلة بن جفنة
بن عمرو ثم ملك بعده
عوف بن أبي شمر وكان
ملكه حين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ثم ملك جبلة بن الايهم بن
جبلة بن الحرث بن ثعلبة
ابن مازن وهو غسان بن الازد
بن غوث وهو الملك
الذي امتدحه حسان بن
ثابت الانصاري حيث
يقول في شعر طويل
أشهرها من ملكك بالشا
م الى الروم فخر كلب يمان
(وفيه يقول أيضا)
لمن الدار أقفرت بمعاني
بين أعلى اليرموك
والصمان
من قريات من ثلاثين
عدت
باسكه امنه بالقصور
الدواني
قد دنا الفصح والولائد
ينظمن
سراعا أكلة المرجان
ذاك مغنى لآل جفنة في
الدهر
وحقا تصرف الازمان
صلوات المسيح في ذلك
الدير
دعاء القسيس والرهبان
وهذه مواضع وقرى من
غوطة دمشق وأعمالها
بين الجولان واليرموك

(وذكر) عدة من الاخبار بين أن حسان بن ثابت الانصاري زار الحرث بن أبي شمر الغساني وكان النعمان بن المنذر

ابن مخلد بن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن
أبيه عن أبيه الامام بقي بن مخلد عن أبي بكر المقدمي عن عمر بن علي وعبد الله بن يزيد عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم
مر بمجلسين احدهما يدعون الله ويدعون اليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل
المجلسين خير وأحدهما افضل من الآخر اما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم افضل
واما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وانما بعثت معلما ثم
جلس معهم قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمعت فيه رواية الابناء عن الآباء بعدد
ما اجتمع في هذا الا ما اخبرنا به ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن منة قراءة عليه انبانا ابو
المعالي الابرموي انبانا ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي انبانا ابو المبارك عبد العزيز
ابن محمد بن منصور الشيرازي انبانا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي قال سمعت ابي
ابا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت ابي ابا الحسن عبد العزيز يقول سمعت ابي ابا بكر
الحرث يقول سمعت ابي اسدا يقول سمعت ابي الليث يقول سمعت ابي سليمان يقول سمعت
ابي ابا الاسود يقول سمعت أبي سفيان يقول سمعت ابي يزيد يقول سمعت ابي اكيمة يقول
سمعت ابي الهيثم يقول سمعت ابي عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة انتهى قلت قال الحافظ بن حجر
في فوائده ما اجتمع حديث فيه من عدد الآباء اكثر من هذا انتهى ورايت بخط الحفاظ على
قول الى اكيمة ما صورته صوابه اكينة انتهى فليحرر ومنها ان اباحيان قال انبانا
الاستاذ ابو جعفر الزبير صاحب الصلة انبانا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد
الازدي انبانا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال ابو حيان وانبانا الاصولي ابو
الحسين بن القاضي ابي عامر بن ربيع الاشعري عن ابي الحسن احمد بن علي الغافقي قال
انبانا عياض ح وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابي ركانة عن القاضي ابي
القاسم احمد بن عبد الودود بن سمعون بن عبد الله بن عطية قال هو وعياض انبانا القاضي
ابو بكر بن العربي انبانا ابو محمد هبة الله الاكفاني انبانا الحافظ عبد العزيز الكتاني
الدمشقي انبانا ابو عصمة نوح بن الفرغاني قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله
ابن قيس الخزرجي وابا بكر محمد بن عيسى البخاري قالا سمعنا ابا درهم بن
محمد بن خالد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول
لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن يزيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى سنة ٢١٨
لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل البلعمي فنزل في جوارنا فحملني معلمي أبو ابراهيم
اسحق بن ابراهيم الختلي اليه فقال له أسألك أن تحدث هذا الصبي ما سمعته من مشايخك فقال
مالي سماع فقال وكيف وأنت فقيه فما هذا قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي لي
طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري بخاري صاحب
التاريخ والمنظور اليه في علم الحديث وأعلمته مرادي وسألته الاقبال على ذلك فقال لي
يا بني لا تدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرفني رحمك الله

تعالى حدود ما قصدتك له ومقادير ما سألتك عنه فقال لى اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا فى حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كاربع مثل اربع فى اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا باربع مع اربع فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلى باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله تعالى فى الدنيا باربع واثابه فى الآخرة باربع قلت له فسر لى رحمك الله تعالى ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للاجر الواف فقال نعم اما الاربع التى تحتاج الى كتبها فهى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة رضى الله تعالى عنهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطب والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات فى صغره وفى ادراكه وفى شبابه وفى كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الاحجار والاخزاف والجلود والاكتاف الى الوقت الذى يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن أنه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتاليف فى احياء ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الاشياء الا باربع هى من كسب العبد اعنى معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هى من اعطاء الله تعالى اعنى القدرة والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشياء كلها هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى باربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله جل وعلا فى الدنيا باربع بعز القناعة وبهيبة النفس وبلذة العلم وبحياة الابد واثابه فى الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقى من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين فى اعلى عليين فى الجنة فقد اعلمتك يا بنى بمجملات جميع ما سمعت من مشايخى متفرقا فى هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتنى له اودع فهما انى قوله فسكت متفكرا واطرقت متأدبا فلما رأى ذلك منى قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه وانت فى بيتك فارسا كن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث فى الآخرة ولا عزه باقل من عز المحدث فلما سمعت ذلك نقص عزمى فى طلب الحديث وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى أن صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما أمكننى من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته فلذلك لم يكن عندى ما أمليه لهذا الصبى يا أبا ابراهيم فقال له ابو ابراهيم ان هذا الحديث الواحد الذى لا يوجد عند غيرك خير للصبى من ألف حديث يجده عند غيرك انتهى وجاء أبو حيان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقى الدين لاح لنا * داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر

اللخمى يساميه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد نبئت أمك تفضل النعمان على فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولأمك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أنفع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغمر من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك أو أعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يصلح الا فى شعر فقال

نبئت أن أبا منذر
ساميك للحدث الاصعر
فقفاك أحسن من وجهه
وأمك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها
كيمنى يديه على المعسر

(وكانت ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق واعمالها ومنهم من نزل الاردن من ارض الشام وجبلة بن الايهم هو الذى اسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود من اللطمة وخبره واخبارهم مشهور قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر اخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما من ملك

حبر

حبر تسربل منه دهره حبرا * بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا * مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فأظهر الحق اذ آثاره درست * وأخمد الشر اذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها * انت الامام الذي قد كان ينتظر

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك أسباب منها انه قال له يوما كذا قال سيبويه فقال يكذب سيبويه فانحرف عنه رحمه الله تعالى الجميع وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب الى ابي حيان ووجهه مع بعض غلمانه

حييت أثير الدين شيخ الادبا * أقصى له حما كما قد وجبا
حييت وفي بطاق آس نضر * كالقد بدا ملثمته مطربا

قال فانشدته

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس * أقضى القضاة حليف الجود والباس
لما رأى سقمي أهداه معترشا * حلو التثني فكان الشافي الآسي

ولما أنشد الشيخ ابو حيان قول نور الدين القصري في روضة مصر

دارت وجهين فيهما قسم الحسن فأضحت بها القلوب تهيم
ذا الى مصر فهو مصر وهذا * يتولى وسيم فهو وسيم
قد أعادت عصر التصابي صباها * وأبادت فيها الهموم الغيوم

زاد فيها بيتا وهو

ميل البحار يسجنون * وبعج القمار [illegible]

قال أبو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبي يدعى شهر [illegible] وكان مصارعا فقال البهاء لينظم كل منا فيه ثم قال

مصارع تصرع الآساد شهرته * تيها بكل مليح وجهه سمج
لما غدا راجحا في الحسن قلت لهم * عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

فنظمت أنا

سباني جمال من مليح مصارع * عليه دليل للملاحة واضح
لئن عزمه المثل فالكل دونه * وان خف منه الخصر فالردف راجح

وسمع العزازي نظمنا فقال وأنشدنيه

هل حكم ينصفني في هوى * مصارع يصرع أسد الشرى
مذ نزعني الصبر في حبه * حكى عليه مدمعي ما جرى
أباح قتلي في الهوى عامدا * وقال كم لي عاشق في الورى
رميته في أسر حبي ومن * أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال لسان الدين في الاحاطة كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية امام نحاة في زمانه غير مدافع

ونـدا ما على حبره وما كان من اسلامه واجازته مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الاخبار ازمان فيما بعد (وقوله) ابو النابغة

هذا غلام حسن وجهه [illegible] الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث الـ أصغر والاعرج خير الانام
ثم لهند ولهند قد أسرع في الخيرات منه [illegible]
وخمسة آباؤهم ما هم أكرم من يشرب صوب الغمام

لجميع من مضى من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد عد بالشام ملوك ببلاد مآرب من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذا [illegible] ومن لوطمن ارض الاردن و بلاد فلسطين [illegible] خمس مدن [illegible] كانت [illegible] المملكة منها والمدينة العظمى مدينة دوم وكانت [illegible] ملك [illegible] [illegible] هذه المدن اعرضنا [illegible] [illegible] كان فيه [illegible] شرط الاختصار [illegible] الكندة وغيرها من العرب من [illegible] ملوك

كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا أسماء لهم نعمهم وتشهرهم [illegible] طول)

سائر الامم الخالية والممالك السالفة من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه واعاد ذكره في هذا الكتاب من الملوك المشهور ملكه وعرفت ... الى الاختصار وما للانحار ... من أخبارهم في كتبنا المقدم ذكرها من ... والله المرجو

(ذكر أوائل ... العرب وغيرها من الامم وعلى سكنى ... من أهل العرب ... ذلك ... هذا المعنى) وقد ... ذكر ... قحطان وأرض ... عدا هم من العرب العاربة ذوى ... عاد وطسم وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من ... أول من بنى ممن ذكرنا دخلوا في العرب البادية الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا علم أن قبيلا في ... الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وشيد البنيان في الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كاشر ... في أفريقية وما ... بالمغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية

شأ ... عن باطنه مشارا اليه في التبريز بميدان الادراك وتعثر السوابق في مضمار التحصيل وبالله ... بهابالمشرق واستقر ... فنال بها ماشاء من عزو شهرة وتأثل وامر وحضوة وأصحبني ... بساحته من المعارف ... وعدة وكان شديد البسط مهيبا جهوريا ... الدعابة والعزل وطرح التسمت شاعرا مكثرا مليح الحديث لا عمل وان أطال واسر ... جدا فانه مع ... قال لى بعض أصحابنا دخلت عليه وهو ... وأوفدا ... على احدى رجليه ليغسل الاخرى ... البرك والاوز فقال لى ... الروم ... ما ترك ... هذا العور في هذا ... ثم قال لى بعد كلام حدثنا عنه الجلة ... من أصحابنا كالحاج أبى زيد خالد بن عيسى والمقرى الخطيب أبى جعفر الشعورى والشريف أبى عبد الله بن راجح و... أبى عبد الله بن مرزوق قال حدثنا شيخنا أبو حيان في الجم ... سنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحية من ... بن عمران حدثنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير ... عام لفظه ... من حظه ... عن الكاتب أبى اسحق ... عامر الهمذاني الطوسى بفتح الطاء حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسى ... وهو آخر من حدث عنه ... أنبانا أبو على الحسن بن محمد الحافظ ... أنبانا الحاكم بن محمد أنبانا أبو ... المهندس أنبانا عبد الله بن محمد أنبانا صاوت بن عباد بن نصال ... جعفر سمعت أبا امامة الباهلى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوالى بست أكفل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا ائتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ثم قال ابن الخطيب ان أباه ... حملته حدة الشبيبة على التعرض للاستاذ أبى جعفر الطباع وقد وقعت بينه وبين أستاذه ... الوحشة ... وتصدى للتألف في الرد عليه و... برواية ... أمره للسلطان فامتعض له ... الامر ... فأحفى ثم أجاز البحر ... المشرق ... ثم قال وشعره كثير يتصف بالاجادة ... قوله

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول	العقل مختبل والقلب متبول
هز له أسمرا من خوط قامتها	فما انثنى الصب الا وهو مقتول
جماله فصل الحسن البديع لها	فكلها جمل منه وتفصيل
والثغر ... والشر ...	والثغر جوهره والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج	والخصر مختطف والمتن مجدول
هيفاء ... في الحصر الوشاح لها	درماء تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتى غداهن النعيم بما	يشقين آباؤها الصيد البهاليل

الى أن قال ومن قوله

نور بخدك أم توقد نار	وضنى بجفنك أم فتور عقار
وشذا بريقك أم تأرج مسكة	وسنى بثغرك أم شعاع درارى
جمعت معانى الحسن فيك فقد غدت	قيد القلوب وفتنة الابصار
متصاون خفر اذا ناطقته	أغضى حياء في سكون وقار

في وجهه زهرات روض تجتلي * من نرجس مع وردة وبهار
حاف اقتطاف الورد من وجناتها * فادار من آس سياج عذار
وتسللت نمل العذار بخده * ليردن شهد رضابه المعطار
وبخده نار حمته ورودها * فوقفن بين الورد والاصدار
كم ذا أواري في هواه محبتي * وله دموعي في فيه نرط أواري

وقال ابن رشيد حدثنا أبو حيان قال حدثنا التاج ابو عبد الله الرجوني عدبة عدل ذات بن
بلاد السودان ورجوته من بلد من قرى بلاد السلام قال كنت حاضرا لوما ما لا داله د وجعا
رحل معر في اسمه يونس فقال لي ابن ... لما ... فقال ... قال علي رضي الله تعالى عنه اذا
وضع الاحسان في الكريم أثمر خيرا واذا وضع في اللئيم أثمر شرا كالغيث يقع في الاصداف
فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم ... الا يونس المعري في ذلك ...

صنائع المعروف ان أودعت * عند كريم زكت النعما
وان تكن عند لئيم غدت * مكدورة وجنيها اثما
كالغيث في الاصداف در وفي * فم الافاعي يثمر السما

قال أبو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معناها في بيتين وهما

اذا وضع الاحسان في الخب لم يفد * سوى كفره والحر يجري به شكرا
كغيث سقى أفعى فحاءت بسمها * وصادف أصدافا فأثمرت الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدر الدين أبو العباس يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح
الهمداني لنفسه بالقاهرة

فلا تعجب لحسن المدح مني * صفاتك أظهرت حسن الوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصا * وتسمعك الصدى ما قد تنادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره
ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر وفيه عندي نظر
لا يخفى والذي أعتقده ولا أرتاب فيه انه أبو حيان النحوي وقال ابن رشيد وأنشدني
أبو حيان لنفسه

اذا عاب عن عيني أقول سلوته * وان لاح حال اللون فاضطرب القلب
بمجرى عيناه والمبسم الذي * به المسك مظلوم به اللؤلؤ الرطب

وقال الشريف بن راجح رأيت ان ما وقع للشيخ أبو حيان في تقديم ... الادراك ... لعمره وقلت

نفائس الاعمار أفنيتها * أنا وأمثالي على غير شي
شيوخ سوء ليس يرضيها * ترضى به من المخازي صبي

ومن نظم أبي حيان قوله

ان علماء تعبت فيه زماني * بادلاويه طارقي والادي
لجدير بأن يكون عزيزا * ومصونا الا على الاجواد

وبنيانه سمرقند ومن خلف هنالك من جيوشها وبلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن ... وخلف (وقد افتخر) دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد بها على الكميت وفخره بملوك ... من ملوكهم وانهم ... في الارض وان لهم ... الفضل والنسب على عدنان فقال في شعره
هم وكتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع ... سمرقندا
وهم غرسوا هناك التبتينا
(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد الى ملكه اهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق ان يسمى تبعا ومن تخلف عن ملكه من ذكرنا سمي ملكا ولم يقل له اسم تبع وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقومها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية ... حين ... الحرم وبعث الله عليه ... واتخاسيو ... تبعا عن ...

 وكذلك حكي عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب سار في الارض ووطئ الممالك وذللها

من الطوائف يقال له قتادو ليس بقتاد بن فيروز من الساسانية فانهزم قتاد وأتى تبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من الشرق وفي ذلك يقول تبع ويذكر ما صنع

وردا الملك تبع وبنوه
ورثوهم جدودهم والجدودا
ادجبنا جيادنا من ظفار
ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد
وابن أقلود واغتصبنا مفودا
وكسونا البيت الذي حرم الله
ملاءمقصباوبرودا
وأقمنابه من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا
وسجدنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليماني ان لم
تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدي ربيعة الخراج قسرا
او تعقني عوائق العوّاق

(وقد كانت) لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وأنمار وتداعت بجدها نزار

وقوله

ومالك والانعاب نفسا شريفة * وتكليفها في الدهر ماليس يعذب
أردها فعن قرب تلاقي حمامها * فتنعم في دار البقا أو تعذب

واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف وأفاد غير واحد ان سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الاندلس انه نشأ شر بينه وبين شيخه احمد بن علي بن الطباع فألف أبو حيان كتابا سماه الالماع في افساد اجازة الطباع ورفع ابن الطباع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك وذكر أبو حيان انه لم يعم بفاس الا ثلاثة أيام وادرك فيها ابا القاسم المزياني وخرج ابو حيان من الاندلس سنة تسع وسبعين وستمائة وكان جماعة من اعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجني وهو القائل يمدح امير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس

أمن بارق اورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الاجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره * وشط ولكن طيفه عنك ما شطا
حبيب لوان البدر جاراه في مدى * من الحسن لا ستدنى مدى البدر واستبطا
اذا انتجعت مرعى خصيبا ركابه * غدا الخد عيني يشتكي الجدب والقحطا
عدا سرعت عنى المنى بشادن * تسرع في قتل النفوس وما أبطا
طننت الفلاة دارا بن ذي يزن بها * وخلت المحاريب الهوادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة * تروق وتمثال من الحسن قد خطا
حمائل لاحت كالخمائل بهجة * سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الاوانس والمها * به الوشي والديباج لا السدر والارطى
ولم سب قلبي غيرابهرها سنى * واطولها جيدا وأخفقها قرطا
ايا ربة الاحداج سيري فتعلمي * ومابك جهل أن سهمك ما أخطا
ففي سنتبيني ما بعينيك من عنا * بجسمي وعنوان الهوى فيه مختطا
فلم أر أعدى منك لحظا وناظرا * لقلبي ولا اعدى عليه ولا اسطا
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى * كؤسا بمعسول اللمى خلطت خلطا
وكم جنة قد ردت في ظل كافر * فلم أجر ما اولاه كفرا ولا غمطا
وكم ليلة قاسيتها بعيسة * الى أن بدت شيبا ذوائبها شمطا
وبت اظن الشهب مثلي لها هوى * وأغبطها في طول الفتها غبطا
على انها مثلي على عزبة مطالب * ومن ذا الذي ما شاء من دهره يعطى
كان الثريا كاعب ازمعت نوى * وامت باقصى الغرب منزلة شحطى
كان نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرا الحرف المناخة قد حطا
كان رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط في مهرها شرطا

ونواهبت ما كان بينهما من الدماء والثار فكانت لهم غلبة وفي ذلك يقول ابو دواد الايادي

ضربنا على تبع حربه * حبال البرود وخرج الذهب وولى ابو كرب هاربا *
وكان سببا لما كثر الرهب
وأتبعته فهوى للجبين
وكان العز بينهما من غلب

كان السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما تدقدق الكاتب النقطا
كان سهيلا اذ تناءت وأنجدت * غدا يائسا منها فأتهم وانحطا
كان خفوق القلب قلب متيم * تعدى عليه الدهر في البين واشتطا
كان كلا النسرين قد ريع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كان الذي ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أوقص اوقطا
كان أخاه رام فوتا أمامه * فلم يعد أن مد الجناح وأن مطا
كان بياض الصبح معصم غادة * جنت بيدها أزهار زهر الدجى لقطا
كان ضياء الشمس وجه امامنا * اذا ازداد بشرا في الوغى واذا أعطى
محمد الهادي الذي أنطق الورى * ثناء عما أسدى اليهم وما أعطى
امام غدا شمس المعالي وبدرها * وقد أصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره * يعاطى سرورا كالحميا ويستعطى
اذا ما الزمان الجهد أبدى تجهما * أرانا المحيا الطلق والخلق السبطا
كلا أبوي حفص علاه الى العلا * فاصبح عن مرقاته النجم منحطا
بسيماه تدرى أن كعبا جدوده * وان هو لم يذكر رزاحا ولا قرطا
اذا قبض الروع الوجوه فوجهه * يزيد لكون النصر متصلا له بسطا
به تترك الابطال صرعى لدى الوغى * كان قد سقوا من خمر بابل اسفنطا
تراه اذا يعطي الرغائب باسما * له جذل يربى على جذل المعطى
وكم عنق قد قلدت بنواله * فريدا وقد كانت فلا دنها لطا
متى ما تقس جود الكرام بجوده * فبالبحر قايست الوقيعة والوقطا
يشف له عن كل غيب حجابه * فتحسبه دون الحجب ما لطا
تطيع الليالي أمره في عصاته * وتردى أعاديه اساودها نشطا
وتمضي عليهم سيفه وسنانه * فتبرى الكلى طعنا وتفرى الطلى قطا
فكيف ترجت غرة منه فرقة * غدا عزها ذلا ورفعتها هبطا
وكم بالنهى والحلم غطى عليهم * الى ان جنوا ذنبا على العلم قد غطى
فأمطاهم دهم الحديد وطالما * أنالهم دهم الجياد وما امطى
ورام لهم هديا ولكنهم أبوا * بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبغى التوبة والرضا * ولكن أبوا الا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب * لما اعتاض منها أهلها الأثل والخمطا
هو الناصر المنصور والملك الذي * أعاد شباب الدهر من بعد ما شمطا
أصاخت له الايام سمعا وطاعة * وأحكمت الدنيا له عهدها ربطا
فلابد من أن يملك الارض كلها * وان تملأ الدنيا اياته قسطا
ويغزو في آفاق اندلس العدا * بجيش يخط الارض من قبله خطا
وكل جواد خف سنبكه فما * يمس الثرى الا مخالسة فرطا

(وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمي ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى البوادي من العرب بالبدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البراري والقفار (ذكر) عدة من أخبار بني العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد ايادوبه كان يكنى وأنمارا وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر بهم ما وصفنا أنهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد مضر فادخله قبة له حمراء من أدم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد ربيعة وقال له هذا الفرس الادهم والخباء الاسود وما أشبههما من مالى فلك ثم أخذ

يوم بها الاعداء ملك أمامه * من الرعب جيش يسرع السير ان ابطا
ويرمي جبال الفتح من شدة سبقه * بها فتوافى سبقا ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى وطارق * وموسى به رحلا لغزو العدا حطا
وسعيك ينسى ذكر سعيهما به * ويوسع سعي المشركين به حبطا
ويوقع في الاعداء أعظم وقعة * بها ملأ الاسماع طيرا لها لغطا
تجاوب صحم الطير فيه وشبهها * كما واطن الزنج النبيط أو القبطا
وتنكر فيها الجو والارض أعين * ترى الجو نارا والصعيد دما عبطا
تخضب منهم من أشابت بخوفها * نصول ترى منها بفود الدجى وخطا
ويحسم أدواء العدا كل صارم * حسام اذا لاقى الطلى حده قطا
وكل كمي كلما خط صفحة * بسيف غدا بالرمح ينقط ما خطا
شجاع اذا التف الرماحان مثل ما * تقلقل في أسنان مشط به مشطا
اذا ما رجت منه أعاديه غرة * رأت دون ما ترجوا القتادة والخرطا
يجدع آناف العداة بسيفه * وينشقها بالرمح ريح الردى قسطا
يبيد الاعادي سطوة وكيدة * فيحكي الاسود الغلب والاذؤب الملطا
سرى في طلاب المعلوات فلم يزل * يدا يدا مبسوطة وندى بسطا
ولو نازعت يمناه جذبا شماله * لبوسا من الماذي لانفق وانعطا
يصول بخطي لكل مرشة * به أثر يعزوه للحية الرقطا
فتى تبصر الا كام فرعا كواسيا * بهن وقد أبصرن عارية مرطا
اذا نسبت للخط أو لردينة * نسبن الى العليا ردينة والخطا
كماة حماة ما تزال الى الوغى * حنين لهم ماحن نصو وما أطا
عليهم نسيج السابغات كأنها * جلود عن الحيات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم * رأيت صلالا ألبست حللا رقطا
ترجرج كالزاروق لينا ومثله * ترى نقطة من بعد ما طرحت خطا
جيوش اذا غطى البلاد عبابها * وأمواجها غطت نفوس العدا غطا
فكم فدحكت في حصر حصن ومعقل * وشاحا على خصر فاسعفه ضغطا
وخيل كأمثال النعام تخالها * لافراط لوك اللجم تبغي لها سرطا
تخيلها فتخالا اذا ارتعت وان * سبحن بما حلنها خفة بطا
فينعق منهم ام طائل بحاجة * مـوارع لا يـأمن مراو لامرطا
وكم خالطت سمر الرماح وأوردت * مياها غدت حمر الدماء لها خلطا
تحزونها ليل السرى فاذا دعوا * نزال امتطوا منهن أفضل ما يعطى
فكم جنبوها خلف معتادة السرى * عوارف لم تسمع لها أذن نحطا
وقد وسمت أعناقهن أزمة * بطول السرى حتى تظن لها علطا
اذا أوقدت نارا بقذف الحصا حكت * وبحر الدجى طام سفينا رمت نفطا

بيداغمار وقال له هذه البدرة والمجلس وما أشبههما من مالي فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فاتوا الافعى بن الافعى الجرهمي وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الافعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران وهم في مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذي ترون أثره أعور فقال أنمار وانه لأبتر فقال ربيعة وانه لأزور قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا ان رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم قال اياد بعيرك أعور قال فانه لأعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لأبتر قال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لأزور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فاين بعيري دلوني عليه قالوا والله ما حسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئا قالوا ما رأينا بعيرا فاتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيري ثم حلفوا أنهم ما رأوه فدعا بهم الافعى فقال ما تقول

امام الهدى أعليت للدين معاما * وسمت العدا من بعد رفعتهم حطا
وألحقتهم عقم المنى عن خيالها * فما ولدت عقما ولا تجت سقطا
وصيرتم فى عقلة سارح العدا * وسرحتم الآمال من عقلها نشطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا * بعدلك لا يعدى عليه ولا يسطى
ففى كل حال تؤثر القسط جاريا * على سنن التقوى وتجتنب القسطا
فبوركت سبطا جده عمر الرضا * وبورك من جد غدوت له سبطا
تلوت الامام العدل يحيى فلم تزل * تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحا بعده واستقامة * وتوطئة نهج السبيل الذى وطا
وما كان أبقى غاية غير أنه * حبيت بما لم يحب خلق ولم يعطا
اذا درر الاملاك فى الفخر نظمت * على نسق سعد افدولتك الوسطى

وله أيضا فيه

فى كل أفق من صباح دجاكم * نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما * كسيت من حبر المديح وريطه

وله رحمه الله تعالى عدة تآليف وولد سنة ٦٠٨ وتوفى ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بتونس وممن أخذ عنه الحافظ بن رشيد الفهرى وذكره فى رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدرى فى رحلته فقال حازم وما أدراك ما حازم وقد عرفت به فى أزهار الرياض بما يغنى عن الاعادة وكان هو والحافظ أبو عبد الله بن الابار فرسى رهان غير أن ابن الابار كان أكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى الاندلسى البلنسى كتب ببلنسية عن السيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ثم عن ابنه السيد أبى زيد ثم كتب عن الامير أبى مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص وفى ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو فأنشد السلطان قصيدته السينية التى مطلعها

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع بأهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته فى صدور مكاتباته فكتبها مدة ثم أراد السلطان صرفها لابى العباس الغسانى لكونه يحسن كتابتها بالخط المشرقى وكان آثر عند السلطان من المغربى فسخط ابن الابار أنفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وأنفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وأنشد متمثلا

اطلب العز فى لظى وذر الذل ولو كان فى جنان الخلود

قالوا رأينا فى سفرنا هذا الك أثر بعير فقال اياد انه لاعور وقال وما يدريك أنه أعور قال رأيته مجتهدا فى رعى الكلا من شق واحد والشق الآخر وافر كثير الالتفاف لم يمسه فعلمت انه أعور وقال أنمار رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه ازور وقال مضر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلا الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتى ما هو أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه التمس بعيرك ثم قال الافعى للقوم من أنتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الافعى وكيف تحتاجون الى وأنتم على ما أرى قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فأنزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطافهم بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فائتنى بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من

فمن ذلك الى السلطان فأمر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه عدّ فيه من عوتب من الكتاب وأعتبه وسماه أعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته وأعاده الى الكتابة ولما توفي السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها انه تقبض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه أجمع وألفي في أثنائها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها

طغى بتونس خلف * سموه ظلما خليفه

فاستشاط السلطان لها وأمر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥ وقال في حقه ابن سعيد في المغرب ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه في هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة ياسمين لا * تهيم بغيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى * تبسم ثغرها اليقق
فأطراف الاهلة سا * ل في أثنائها الشفق

وكتب الى الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد يستدعي منه منثورا

لك الخير أتحفني بخيري روضة * لانفاسه عند الهجوم هبوب
ألبس أديب الروض يجعل ليله * نهارا فيذكو تحته ويطيب
وطوى مع الاصباح منشور نشره * كأن أبان عن ريح المحب حبيب
أهيم به من نسبة أدبية * ولا غرو أن يهوى الاديب أديب

وقوله في الخسوف

نظرت الى البدر عند الخسوف * وقد شين منظره الازين
كما سفرت صفحة للحبيب * يحجبها برقع أدكن

وقوله في المعنى

ألم تر للخسوف وكيف أبدى * ببدر التم لماع الضياء
كمرآة جلاها القين حتى * أنارت ثم ردت في غشاء

وقوله

والثريا بجانب البدر تحكي * راحة أومأت لتلطم خدا

وقوله

من عاذري من بابلي طرفه * ولعمره ما حل يوما بابلا
أعتده خوطا لعيشي ناعما * فيعود خطيا لقتلي ذابلا

وهو حافظ متقن له في الحديث والادب تصانيف وله كتاب في مختصر الاشعار سماه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف في المؤتلف والمختلف وكتاب التاريخ وبسببه قتله صاحب افريقية وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله تحفة القادم في شعر الاندلس والحلة السيراء في أشعار الامراء ومن شعره قوله

أمري

هذا فأتوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال أياد صدقتم لولا أن نحله في هامة جبار فرعاها النحل فلما حضر غذاؤهم وجيء بالشواء فاذا شاة مشوية فأكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود منه ولا أرخص ولا أسمن منه وقال انمار صدقتم لولا انه غذي بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمه نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا أكرم قرى ولا أخصب رحلا من هذا الملك قال مضر صدقتم لولا أنه لغير أبيه فذهب الاعلام الى الافعى فخبره بما كان منهم فدخل الافعى على أمه فقال أقسمت عليك الا ما أخبرتني من أنا ومن أبي فقالت يا بني وما دعاك الى هذا أنت ابن الافعى الملك الاكبر قال حقا لتصدقيني فألح عليها قالت يا بني ان أباك الافعى الذي تدعى له كان شيخا قد ثقل فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل البيت وقد كان قدم الينا شاب من أبناء الملوك فدعوته الى نفسي فعلقت بك منه ثم بعث الى الشهرمان فقال أخبرني عن الشهد الذي بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال أنا أخبرك بر في طنف

أمري عجيب في الامور * بين التواري والظهور

مستعمل عند المغيب * ومهمل عند الحضور

وسبب هذا أن ملك تونس كان اذا أشكل عليه شيء أو ورد عليه لغز أو معمى أو مترجم بعث به اليه فيحله واذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت اليه ووجد في تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس فامر بضربه فضرب حتى مات وأحرقت كتبه رحمه الله تعالى وكان أعداؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين أبي الحسن علي بن شلبون المعافري البلنسي مهاجاة فقال فيه

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع الناس صادرة عن الابار

أوليس فارا خلقه وخليقة * والفار مجبول على الاضرار

فأجابه ابن الابار

قل لابن شلبون مقال تنزه * غيري يجاريك الهجاء حمار

انا اقتسمنا خطتينا بيننا * فحملت برة واحتملت حمار

وهذا مضمن من شعر النابغة الذبياني انتهى ما لخصناه من كلام أبي سعيد في حقه ومن شعر ابن الابار أيضا

لو عن لي عون من المقدار * هجرت للدار الكريمة داري

وحللت أطيب طيبة من طيبة * جارا لمن أوصى بحفظ الجار

حيث استبان الحق للابصار * لما استثار حفائظ الانصار

يا زائرين القبر قبر محمد * بشرى لكم بالسبق في الزوار

أوضعتم لخلاصكم وضعتم * ما قادكم من فادح الاوزار

فزتم بسبقكم وفزت بالذي * حملتم شوقا الى المختار

أدوا السلام سلمتم وبرده * أرجو الاجارة من ورود النار

اللهم أجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم واختم ترجمته بقوله

رجوت الله في اللأواء لما * بلوت الناس من ساه ولاهي

فمن يك سائلا عني فاني * غنيت بالافتقار الى الهي

وقد جودت ترجمته في أزهار الرياض في أخبار عياض فليراجع ذلك فيه من شاء (رجع الى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق) : (ومنهم الحافظ أبو المكارم جمال الدين بن مسدي وهو أبو بكر محمد ويقال أبو المكارم ابن أبي أحمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مسدي المهلبي الازدي الاندلسي) شيخ السنة وحامل رايتها وفريد الفنون ومحكم آياتها عرف الاحاديث وميز بين شهيرها وغريبها وكان الملق لراية السنة بيمين عرابتها طلع بمغربه شمسا قبل بزوغه بافق المشرق وملأ جريرته الخضراء من بحر علومه المتدفق وأوعبها بوبله المشرق وطاف البلاد الاسلامية المغربية والمشرقية فعقدت على كماله الخناصر وجعله أرباب الدراية لمقلة الدين الباصر ولقي أعيان الشيوخ في القطرين وأخذ عنهم ما تقر به العين ويدفع به عن القلب الرين مع فصاحة لسان وطلاوة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة تجيء على سحبان وطهر أزهار بان

فبعثت اليه من يشوره فاخبروني انهم هجموا على عظام نخرة منكرة في ذلك الطف فاذا النحل قد عملت في جمجمة من تلك العظام ما تروا لعسل لم أر مثله فقدمته الى القوم لجودته ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ما هذه الشاة التي شويتها لهؤلاء القوم قال اني بعثت الى الراعي أن ابعث الي بأحسن شيء عندك فبعث بها الي وما سألته عنها فبعث الى الراعي أن أعلمني خبر هذه الشاة قال انها أول ما ولدت من غنمي عام أول فماتت امها فبقيت وكانت كلبة لي قد وضعت فأنست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم أجد في غنمي مثلها فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ما هذا الخمر الذي سقيت هؤلاء القوم قال من حبة كرم غرستها على قبر أبيك فليس في العرب مثل شرابها فسأل الاعمى ما لهؤلاء القوم ان هم الا شياطين فاحضرهم فقال ما خطبكم قصوا على قصتكم فقال اياد ان ابي جعل لي خادمة شمطاء وما أشبههما من ماله فقال ان اباك ترك غنما برسا فهي لك ورعاتها مع الخادم قال انمار ان ابي جعل لي بدرة وجلده وما أشبههما من ماله قال ذلك ما ترك ابوك من الرقة والحرث والارض فقال ربيعة ان ابي جعل لي فرسا ادهم بينا

وفوضت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار لمثل هذا المعصم فكم وشى بها من مطارف للبلاغة وكم غنم حتى يظن الرائي عودمنبره من وعظه مائسا ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا وترجم على من لقي من الاعيان بصدر البيان وفصل احوالهم باحسن تبيان وعدتهم اربعة آلاف شيخ وناهيك بهذه مرتبة نفادلها الفضائل في ارسان وارى تحقيق قول القائل جمع الله تعالى العالم في انسان وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتاخرين وهو اشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا بعد نادر اتوفي شهيدا مطعونا ماس اناس كانوا يحسدونه فختم الله تعالى له بالشهادة وبوئ بها دار السعادة وتوفي سنة ٦٦٣ بمكة ومولده سنة ٥٩٨ رحمه الله تعالى ونفعنا بامثاله ❊ (ومنهم الكاتب ابو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري) بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو بعدها راء الاشبيلي المولد والمنشا ولد في شوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع وله باع مديد في الترسل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضي بن برهان والنجيب بن الصيقل وكتب لامير سبتة وحدث بتونس عن العراقي وجاور زمانا وتوفي بالمدينة سنة ٧٠٤ وحج مرتين قال ابو حيان قدم القاهرة مرتين وحج في الاولى وانشد من لفظه لنفسه

اسيلي الدمع يا عيني ولكن ❊ دما ويقل ذلك لي اسيلي
فكم في الترب من طرف كحيل ❊ لترب لي ومن خد اسيل

وقال

ماذا جنيت على نفسي بما كتبت ❊ كفي فيا ويح نفسي من اذى كفي
ولو يشاء الذي اجرى على يدنا ❊ قضاءه الكف عني كنت ذا كف

وقال

واحسرتا لامور ليس يبلغها ❊ مالي وهن منى نفسي وآمالي
اصبحت كالآل لا جدوى لديّ وما ❊ اوتيت جهدا ولكن جدي الآلي

وقال العلامة فتح الدين بن سيد الناس انه انشده لنفسه بالحرم الشريف النبوي سنة ثلاث وسبعمائة

رجونك يا رحمن انك خير من ❊ رجاه لغفران الجرائم مرتجي
فرحمتك العظمى التي ليس بابها ❊ وحاشاك في وجه المسيء بمرتج

وقد انشد له ابو حيان كثيرا من نظمه رحمه الله تعالى (ومنهم ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج بن ابي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية) كان عارفا بالعشب والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفائدة في الحشائش ورتب فيه اسماءها على حروف المعجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالي في حقه انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرستاني وابن ملاعب

وابن

الفرس فقال مضر ان ابي جعل لي قبة حمراء من ادم وما اشبهها من ماله فقال ان اباك ترك ابلا حمراء فهي لك وما اشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمي مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوتهم حتى بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته وذهب ما كان لانمار من شاء في تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها انفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا الابل وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يده انمار عظم يتعرقه قد جاء به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب في عنق مضر فتأوه مضر وصاح عيني عيني وشاغل به اخوته فركب انمار بعد ان اكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان في عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا لمضر الحمراء لما ذكرنا من امر القبة وكذلك تفتخر مضر في كلامها المنثور

وابن العطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضت معه في ذكر الحشائش فقلت له قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب وذكروا انه يستعمل منه شئ كثير وهذا يدل على انه كان موجودا كثيرا واما الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون أين يطلبونه فقلت له وأين هو فقال بالاهواز منه شئ كثير انتهى وأجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبيد الله بسبتة فلم يتهيأ له ذلك وحج رحمه الله تعالى في رحلته الاولى ولقي كثيرا وروى عن عدد من الرجال والنساء ضمنهم التذكرة وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عدي في رجال الحديث وله كتاب المعلم بما زاده البخاري على كتاب مسلم ويعرف بالنباتي لمعرفته بالنبات ومولده في نحو سنة ٥٦١ وتوفي رحمه الله تعالى باشبيلية منسلخ ربيع الثاني سنة ٦٣٧ وحدثنا عنه اناس من تلامذته وأطنب بعضهم في التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجد وابن عفير وغير واحد كأبي ذر الخشني وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر أحاديث من حفظه ويقال له الحزمي بفتح الحاء نسبة الى مذهب ابن حرم لانه كان ظاهري المذهب وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم انه كان جالسا في دكانه باشبيلية يبيع الحشائش وينسخ فاجتاز به الامير أبو عبد الله بن هود سلطان الاندلس فسلم عليه فرد عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه رأسه فبقي واقفا منتظرا أن يرفع اليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان في علم الحديث أحدهما يقال له الحافل في تكملة الكامل لابن عدي وهو كتاب كبير قال ابن الابار سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثني عليه ويستحسنه والثاني اختصر فيه الكامل لابي أحمد بن عدي كما سبق في مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ أبي الوقت السجزي وابي الفتح بن البطي وأبي عبد الله الغراوي وغيرهم من الائمة وله فهرسة حافلة أفرد فيها رواته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان متعصبا لابن حرم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين وطالت صحبته له وكان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك وغيره أضبط منه وفاق أهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان لبيعه قال ابن الابار وهنالك رأيته ولقيته غير مرة ولم آخذ عنه ولم أستجزه وسمع منه جل أصحابنا ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفي باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٨ وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاول وحكى ذلك عن والده أبي الوليد محمد بن أحمد انتهى ※(ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الاشبيلي الشهير بالمسيلي) رحل حاجا وقفل الى بلده وحدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب وروى عن أبي محمد بن أبي السعادات المروزي الخراساني وانه أنشده بثغر الاسكندرية عند وداعه اياه قال أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السم من ألسن الافاعي ※ أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم والدموع تجري ※ لما دعا للوداع داعي

※(ومنهم أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد ويعرف

والحدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه وأعقابهم وقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر منازلهم من الديار وتشعب أنسابها وتسلسلها في الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا السير من مبسوطها ما يغني ذلك من اعادته في هذا الكتاب (ولنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجمو اليه نسب من سكن من حل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والاكراد والخزر والبربر وسكنى البوادي وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم ※ تباين الناس في السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض سكنوا حينا من الزمان لم يبنوا بناء ولا شيدوا مدنا وكان سكناهم في شبه الاكواخ والمظال ثم ان نفرا منهم أخذوا في ابتناء المساكن

وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى في البيوت والاظلال

بابن الاقليشي) صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم عارض به كتاب القضاعي وأصل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكن دانية وبها ولد ونشأ سمع أباه وابا بكر وابا العباس بن عيسى وتلمذ له ورحل الى بلنسية فاخذ العربية والآداب عن ابي محمد البطليوسي وسمع الحديث من صهره ابي الحسن طارق بن يعيش والحافظ ابي بكر بن العربي وابي الوليد بن خيرة وابن الدباغ ولقي بالمرية اباالقاسم بن ورد وابا محمد عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي اباالعباس بن العريف ورحل الى المشرق سنة اثنتين واربعين وخمسمائة وجاور بمكة سنين وسمع من ابي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط ام الخليفة العباسي سنة سبع واربعين ثم كر راجعا الى الغرب فقبض في طريقه وحدث بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجوّدا مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب العزر من كلام سيد البشر وكتاب ضياء الاولياء وهو اسفار عدة وحمل الناس عنه معشراته في الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارئ فيبكي حتى يعجب الناس من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد امامته وعلمه وورعه وزهده وروى عنه ابو الحسن بن كوثر وابن بيش وغيرهما ومن شعره قوله

اسير الخطايا عند بابك واقف * له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة * ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة * فها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم * فما طاف منه من سنى الحق طائف
ثلاثون عاما قد تولت كانها * حلوم تقضت او بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه * اذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا أحمد الخوّان قد أدبر الصبا * وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أرّق الطرف الزمان الذي مضى * وأبكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا وحسرة * فدمعك ينبي أن قلبك آسف

وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرضي اوأخذه منه نقلا وتوفي في صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الخمسين وخمسمائة ودفن عند الجميزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب وقال ابن عباد انه توفي سنة خمسين أواحدى وخمسين بعدها رحمه الله تعالى وقد نيف عن الستين (ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر المعافري المرسي) وأصله من طلبيرة ويعرف بابن افرند روى عن أبي الحسين الصفدي وغيره كالقاضي الحافظ أبي بكر بن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي اسحق بن حبيش وغيرهم وله رحلة حج فيها ولقي أبا الفتح بن الرندانقاني بلد بين سرخس ومرو من أصحاب أبي حامد الغزالي وأنشد عنه مما قاله في وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم * قضيت لبانات الفؤاد لديكم

يتبعون الاماكن الرفهة الخصبة ويتقلون عنها اذا أجدبت فمضت هذه الطائفة على نهج الاقدمين (وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس لما نضب عنهم الطوفان الذي أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا في طلب البقاع الخصبة المتخيرة فانفرد من انفرد بانتجاع الارضين وحلول البيداء وآخرون بقاعا تخيروها كمن ابتنى اقليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن كنعان ابن سنجارب بن نمروذ الاول ابن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على اقليم بابل من قبل الضحاك وهو بيوراسب وكمن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخبارها في هذا الكتاب وكمن عمر الشأم من الكنعانيين وكمن حل بوادي البربر وهم هوارة وزناتة وضريسة ومغيلة وورفجومة ونفزة وكتامة ولواتة ومراتة وزلوية ونفوسة ولمطة وصدينة ومصمودة وغمارة وقالطة ووريكة واسمة وبنو اسحين وارلته وهي مورمانه وبنو وكلان وبنو نصرران وبنو دوعس وبنو ومنهم وسا وصنهاجة ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش وغيرهم الغابة المعروفة بغابة المبرابرية سون

وان تسكن الاخرى ولم تك أوبة * وحان حمامى فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين أبو عمر بن عياد وابنه محمد عن ابن اثر بدهذا وكان صالحا زاهدا متصوّفا رحمه الله تعالى (ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي) من أهل لورقة رحل حاجا وكان منقبضا زاهدا صوّاما قوّاما واقرأ القرآن وأسمع الحديث وممن حدث عنه الحافظان أبو سليمان وأبو محمد بن حوط الله ولقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة * (ومنهم أبو عمر بن عات وهو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النفرى) من أهل شاطبة سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وابن حبيش وغير واحد وطائفة كثيرة ورحل الى المشرق فادى الفريضة وسمع أبا الطاهر السلفى وأبا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره وأجازله ابو الفرج بن الجوزى وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر أشياخه وجملة صالحة من مروياته عنهم برنامجيه اللذين سمى أحدهما بالنزهة فى التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والآخر بريحانة النفس وراحة الانفس فى ذكر شيوخ الاندلس قال ابن عبد الملك المراكشى فى الصلة حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن على بن القطان وكان من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة يسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شئ منها متوسط الطبقة فى حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل اذلم يعن بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابى عمر بن عبد البر وابن عات وكان على سنن السلف الصالح فى الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشف ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من افعال البر كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين وحكى انه حضر فى جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارئ بكتابه فقال ابو عمر انا اقرأ لكم فقرألهم من حفظه وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمته مدة ستة اشهر فلم اره احفظ منه وحضرت اسماع الموطا وصحيح البخارى منه فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر اوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف فى شئ من ذلك انتهى وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شئ منها موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن ويا كل الخشف وربما اذن فى المساجد وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر وشهد وقعة العقاب التى افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى فى تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها ففقد حينئذ ولم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قال ابن الابار وهو ممن أجازله المذكور فيما رواه أو ألفه رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن جنون البهرانى) من ساكنى اشبيلية وأصله من لبلة روى عن أبيه وابن الجد وابن زرقون وابن جهور وغيرهم من أعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من أبى حفص عمر بن طبرزذ وبخراسان من المؤيد الطوسى وبهراة من أبى روح عبد المعز

ورعوين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير الغابة واتسع فى هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشأم وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبيه فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهى بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومى فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد افريقية واقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة الفى ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس واطراف البرارى والقفار (ومن بحر أفريقية) وصقلية يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر اقيانس وغير

وبمرو من عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني ومن جماعة غير هؤلاء وسمع أيضا بدمشق من ابى الفضل الخرستاني وسواه وبها توفى قبل العشرين وستمائة فيما نقل ابن الابار عن ابن نقطة وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وستمائة ❊ (ومنهم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ابن محمد بن أحمد المخزومي) من أهل قرطبة ويعرف أبوه بكوزان روى عن أبيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسي وسمع منه وأنشد من لفظه بعض أصحاب الآثار قال أنشدني شرف الدين أبو الحسن على بن الفضل المقدسي قال انشدتني نقية بنت غيث بن على الارمنازي لنفسها

لا خير في الخمر على انها ❊ مذكورة في صفة الجنه

لانها ان خامرت عاقلا ❊ خامره في عقله جنه

يخاف أن تقذفه من علا ❊ فلا تقى مهجته جنه

❊ (ومنهم أبو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش السكاني المرسي) سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبي وابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله ورحل الى المشرق سنة تسع وسبعين وخمسمائة فحج سنة ثمانين بعدها وأقام بالحجاز والشام مدة ولقى أبا الطاهر الخشوعي بدمشق فسمع منه مقامات الحريري وأخذها الناس عنه ومما أفاد زاد في قول الحريري ❊ اذا ما حويت جنى نخلة ❊ الابيات قوله

ولا تأسفن على خارج ❊ اذا ما اخترت سنى الداخل

ولا تكثر الصمت في معشر ❊ وان زدت عيا على باقل

وسمع من أبي القاسم بن عساكر الدمشقي ومن ابى حفص الميانشي جامع الترمذي وقفل الى الاندلس في سنة سبع وتسعين وحدث بيسير وكان يحسن عبارة الرؤيا وكف بصره سنة ثمان وعشرين وستمائة أو نحوها وتوفى على اثر ذلك ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم الغافقي) ويقال فيه ابراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن اندلسي سكن دمشق وولى الحسبة بها ويكنى أبا اسحق سمع ببغداد من ابى بكر بن مالك القطيعي وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابي ويوسف بن القاسم الميانجي وبمصر من أبي طاهر الذهلي وأبي أحمد العطريفي وله أيضا سماع بالرملة واطرابلس والدينور وغيرها من البلدان وحدث بيسير روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجياني من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكتاني وكان مالكيا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان صارما في الحسبة ووليها سنة خمس وتسعين وثلثمائة في أيام الحاكم العبيدي وتوفى بدمشق في ذي الحجة سنة أربع وأربعمائة قيل ثاني عيد الاضحى وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر رحمه الله تعالى قلت ما سمعت بمالكي معتزلي غير هذا ولعله كان مالكيا بالمغرب فلما دخل في خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله تعالى أعلم ❊ (ومنهم أبو أمية ابراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد الغافقي) من أهل المرية ونزل مرسية سمع ببلده من ابن شفيع وأخذ عنه القرا آت ومن الحافظ ابن سكرة وابن رغيبة وعبد القادر بن الحناط وبقرطبة من ابن عتاب

هؤلاء ممن ذكرنا من الامم من سكن قطع الارض وابتنى المدائن شرقا وغربا (ورأت العرب) ان جولان الا... بقاعها على الايام اشبه بالعز واليق بذى الانفة وقالوا الآن نكون محكمين في الارض نسكن حيث شاء اصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من اجل ذلك (وذكر آخرون) ان القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار ونيل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من العرة والهرب من العار بدأت التفكر في المنازل والتقدير للمواطن فتاملوا شان المدن والابنيه فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء ربما فسد واضر باجسام سكانه واحال امزجة ابدانه وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف في الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما في الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير في اللبث على هذه الحالة وزعموا ايضا ان الابنية والاظلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسد روحه عن المرور ونفاذه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة

وابن طريف وأبي بحر الاسدي وأبي مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي علي بن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرها في شعبان سنة ست وعشرين وسمع أيضا من أبي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي وقفل الى بلده واستقر بعد الحادثة عليه لمرسية وولي القضاء والخطبة هنالك وحدث وأخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع منه الاحاديث النسطورية وأسمع صحيح البخاري آخر الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان يحدث به عن سلطان بن ابراهيم عن كريمة المروزية وحكى رحمه الله تعالى عن أبي ذر الهروي أنه قال عند موته عليكم بكريمة فانها تحمل كتاب البخاري من طريق أبي الهيثم رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو القاسم بن فورتش وهو اسمعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطي) وأخوه ... يحيى وكانا جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابي ذر الهروي بمكة وعادا ... محمد منهما القضاء وتدلقيهما القاضي الحافظ أبو علي بن سكرة ولم يسمع منهم ... عن أبي عمر الطلمنكي وأبي الحزم بن درهم وتوفي أبو القاسم في نحو الخمسمائة * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن أحمد بن عمر القرشي العلري الاشبيلي) رحل حاجا ودخل العراق والموصل وبغداد الكثير ورواه وسمع من أبي حفص الميانشي بمكة ... الحسن علي بن هابيل الانصاري عن ابي الوليد الباجي ... كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال أبو الصبر كان ا... دته ينقص منه رجل واحد فاستربت في الرواية عنه ... رلان ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون وأبو الصبر ممن روى عن المد... ورو هو ابو الصبر السبتي والله تعالى أعلم بحقيقة حال الرجل * (ومنهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن خليل التنري الحميري التاكرني) قال في تاريخ اربل كان شابا متأدبا فاضلا قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذري انشدنا المذكور لنفسه

* أوما يقربك الزمان قرار
* ولكل عهد سالف تذكار

لم ترع في البيد الا الشمس والقمرا
فهي الغداة كزنجي اذا كفرا
هي من قطر قرطبة وتوفي بأرزن من ديار بكر
... بديع شعره
* أبدى لعينيك أزهارا وأشجارا
... * بث السبرية آجالا واعمارا

وتاكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشد النون وورد المذكور اربل سنة سبع وعشرين وستمائة وله ابيات اجازفيها ابيات شرف الدين عمر بن الفارض في غلام اسمه بركات قال الاسدي الدمشقي ومن خطه نقلت كنت حاضرا هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال

في هذه المواطن وعناء القرائح في التنقل ... المساكن مع صحة الامزجة وقوة الفطنة وصفاء الالوان وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء النضاء ... هذا الامن من العاهات والاسقام والعلل والآلام فأكثر ... البوادي والحلول ... البيداء فهم اقوى الناس هموما وأشدهم أحلاما وأصحهم أجساما وأعزهم جارا واحماهم ... وافضلهم جوارا وأجودهم فطنا لما كسبهم ... الجو ونقاء الهواء لان الابدان تحتوي اجزاؤها على ... كدار وعناء الاقذار ... اليه ويتلاطم في عرصاته وأفنيته من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه في ... اكنافه جميع ما ... اليه ولذلك ترا ... الاقذاء والادواء والعاهات في أهل المدن وتركبت في أجسامهم ... أشعار ... دفنا ... ماعد ... المعتبرة تخيره

ابن الفارض

بركاته يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل شمس الضحى تحكيه

فقال أبو الروح وانشدني ذلك

هذا الكمال فقل لمن قد عابه * حسدا وآية كل شئ فيه

لم ندو احدى زهرتيه وانما * كملت بذلك ملاحة التشبيه

وكأنه رام يغلق جفنه * ليصيب بالسهم الذي يرميه

وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل انشدني ابو الروح

اوصيت قلبي ان يفر عن الصبا * ظنا بأني قد دعوت سميعا

فاجابني لاتخش مني بعدما * افلت مز ... رتوعا

حتى اذا نادى الحبيب رايته * آوى الـ ... يعا

كذبالة اخمدتها فاذا دنا * منها الضر ... ريعا

قال وانشدني

وزائر زارني والليل معتكر * والطيب ... ـهره

أمسكت قلبي عنه وهو مطرب * والشو ...

فتاه صدى الى من لايحللني * والور

تراه عيني وكفي لاتلامسه * حتى ... طره

قال وانشدني قال انشدني الامام ابو عمرو بن غياث الشريشي لنفسه رحمه الله تعالى

صبوت وهل عار على الحب ان صبا * وقيد ثغر الاربعين الى الصبا

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا

وليس مشيبا ماترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

وتوفي أبو عمرو سنة ٦٢٠ عن تسعين سنة قال ابن المستوفي وأنشدني المذكور قال انشدني أبو عمرو أيضا لنفسه

أودع فؤادي حسرة أودع * نفسك تؤذي أ ... ق ...

أ ... للفظ أو هاومها * أنت بما ترى ...

رعها القلب وأنت الذي * مسكنه في ...

قال و ... ى قال انشدني مطرف الغرناطي

أنا صب كما تشاء وتهوى * شاء

سنة سنها قديما جميل * وأني

قال وأنشدني أيضا المطرف

وفي فروع الايك ورق اذا * بل الندى أعطافها تسجع

أوهزها نفح نسيم الصبا * شاقك منها غرد شرع

كأنما ر بطتها منبر * وهي خطيب فوقه مصقع

ان شبها في طرف لوعة * جرى لها في طرف مدمع

ي انخفاضها وارتفاعها
لعدم ا... عامة الاعتدال
... رضها فاذلك أخلاق
... انها على ماهي عليه من
الغلظ (وذكر) الهيثم بن
...دي والشرقي القطامي
غيرهما من الاخبار يين
...وفد على كسرى
شروان بعض خطباء
...رب فساله كسرى عن
...ن العرب وسكناها
...ختيارها البدو فقال
...ملكوا الارض
...ملكها ...
... بالاسوار
...عتمدوا على المرهفات
...ائرة والرماح الشاجرة
...ساوجد ... من ملك
...نعة من الارض فكانها
...اله يردون منها خيارها
...قصدون الطافها قال
...محظونهم من الفلك
...س نحت الفرقدين
...أس الجرة وسعد الجدى
رفين على الارض بحسب
...فقال ... فقال
كثرها ... باليل
...

بلهما

ماجاء من وراء الكعبة فهي دبور وماجاء من قبل ذلك فهي صبا قال ... أكثر ... اخذه

أخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالكي الخطيب

كان فؤادي وطرفي معا *** هما طرفا غصن من أخضر
اذا اشتعل النار في جانب *** جرى الماء في الجانب الآخر

تم طبع الجزء الاول بعون من عليه الاعتماد والمعول من
كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

ويليه الجزء الثاني أوله ومن رحل من الاندلس الى المشرق
الامام [illegible]

غذائهم قال اللحم واللبن
والسيد والتمر قال فما
[illegible] قال العر[illegible]
[illegible]
[illegible] الحائف واذا [illegible]
وبذل المهج في [illegible]
وهم سراة الليل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الارض [illegible]
الارض [illegible]
[illegible]